الأصول الدينية

للحرب والسلام

في اليهودية والنصرانية والإسلام

دراسة تحليلية

تأليف

الشريف نبيل بن هاشم أمير النصري

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠١١/١٩٨١٣م

الترقيم الدولي : ٢-٠٤-٥٢٢٠-٩٧٧-٩٧٨

الناشر

دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية – مكة المكرمة – بطحاء قريش

ص.ب: ١٤٧٠٠ الرمز البريدي: ٢١٩٥٥

هاتف: ٥٣٥٥٥٦٦-٢-٩٦٦+ فاكس: ٥٣٥٥٥٧٧-٢-٩٦٦+

البريد الإليكتروني:

Alaser١٤٢٧@gmail.com

أصل هذا الكتاب رسالة علمية نال بها المؤلف درجة الماجستير بتقدير ممتاز من قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،[1] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[2]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[3] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[4] إن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[5].

وبعد فتحتوى هذه المقدمة على ما يلي:

أولا: أهمية موضوع الدراسة وقيمة البحث فيه:

إن الحديث عن الحرب السلام في هذه الأيام ضروري ومهم وحيوي، إذ إننا نعيش واقعا يصفه المؤرخون بأنه ملطخ بالدماء، من جراء الحروب والقتال بين الأمم ذات العقائد المختلفة، وكل أمة من هذه الأمم تدعي أنها أمة سلام وحب وإخاء، وما سواها من الأمم فهي أمم حرب وقتل وإفساد في الأرض، ومن جملة هذه الأمم أمم أهل الكتاب.

وترتبط أهمية هذه الدراسة باتهام أهل الكتاب للعقيدة الإسلامية؛ بأنها عقيدة خالية من الرحمة، موغلة في الحقد على البشر، عقيدة تنشأ أمة بشعة تتعطش لسفك دماء الأمم والشعوب،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم ٨٦٨.

(٢) آل عمران :١٠٢.

(٣) النساء :١.

(٤) الأحزاب : ٧٠،٧١.

(٥) أخرجه النسائي، كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه، حديث رقم ١٥٧٨، وصححه الألباني.

وتنُبز بأقذع النبز، وتوصف بأشنع الأوصاف، وتُصوّرُ الأمة الإسلامية بأنها أمة حروب وإرهاب وقتل للبشر.

ولا ضير في ذلك ولا غرابة، فقد أظهر الله سبحانه وبحمده دين الإسلام، بعز عزيز وذل ذليل، عزا أعز به تعالى الإسلام، ونبي الإسلام محمدا ﷺ، وأمة الإسلام من بعده، وذلا أذل الله تعالى فيه الكفر وأهله. فظهر دين الإسلام على الدين كله، والكفار والمشركون من أهل الكتاب – وغيرهم من الأمم –كارهون لهذا الظهور منذ أن بُعث رسول الله ﷺ، وظل من شرق من هؤلاء الكفار بالإسلام؛ ولم يقبل الهدى الذي جاء به ﷺ؛ عدوا دائما للإسلام والمسلمين، وسيبقى هذا العداء حتى تقوم الساعة.

ولقد أثبت التاريخ وبشهادة المنصفين من أهل الكتاب أنفسهم، أن المسلمين كانوا خير الفاتحين في التاريخ، فعندما فتح المسلمون بلدان أهل الكتاب، كانوا مضرب المثل في التعامل مع أممهم المغلوبة؛ وفي الإنصاف معهم، وعدم مجاوزة حكم الله عز وجل فيهم، وضربوا أروع الأمثال أيضا في الرقي الحضاري الذي يتشدق به أهل الكتاب اليوم، الذين أذاقوا المسلمين في كل عصر كانت لهم فيه غلبة على المسلمين أصناف الظلم والعذاب والانتقام المسرف، وفي العصور الحديثة ذاق المسلمون منهم الأمرين، وسقوهم من سموم الظلم والجور التعذيب كيزانا بعدد نجوم السماء.

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع:

قد استعنت بالله تعالى واستخرته في الكتابة عن "**الأصول الدينية للحرب والسلام في اليهودية والنصرانية والإسلام** "وذلك لعدة أسباب :

١- رغبتي في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ودحض اتهامها بالإرهاب ومحبة الحروب لقتل الأبرياء، وإثبات كونها صاحبة الحق في التسمية بعقيدة السلام بمعناه الشامل.

٢- الحملة المتعصبة التي يشنها أهل الكتاب–اليهود والنصارى– على المسلمين في

كل مكان يوجد فيه الدين الإسلامي في هذا العصر، والتي ا تخذت أشكالا متعددة والتي من أشرسها احتلال الأراضي الفلسطينية والحملة العسكرية على العراق الشقيق.

٣- توجيه الكثير من المسلمين الذين احتاروا في ا تخاذ الموقف الصحيح من هذه الهجمة، نتيجة الشعارات التي يرفعها أهل الكتاب.

٤- توجيه رسالة صادقة إلى العقلاء من أهل الكتاب، الذين لا يعرفون حقيقة الإسلام وإطلاعهم على بعض القيم والأخلاق الإسلامية المتعلقة بالحرب والسلام، ودعوتهم للتدبر والتفكر فيما جاء به محمد ﷺ من دين، وأن ينظروا في الحق الذي أنزل الله تعالى في القرآن العظيم مصدقا لما معهم، وأنه ﷺ جاء بما يعرفون، وفي كتبهم يجدون ويقرؤون، أقول لهم: ﴿...يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ٩٨ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٩﴾[1]. إنها دعوة للعقلاء من أهل الكتاب، الذين شنوا الحرب على المسلمين في هذه الأيام مستغلين الضعف العابر الذي حل بهم، للنظر علام يقاتلوننا ؟ أعلى الحق أم على الباطل ؟!!.

ثالثا: هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى كشف الأصول الدينية للحرب والسلام عند أهل الكتاب وعند المسلمين ودراستها دراسة تحليلية من خلال كتبهم المقدسة.

(١) آل عمران : ٩٨ ، ٩٩.

رابعا: فرضيات الدراسة:

يقوم بناء الدراسة على ثلاث فرضيات:

١- أن الحرب بمفهومها الواسع، والقتال بمفهومه المباشر هما سنة الله عز وجل الكونية ، التي كتبها تعالى للتدافع بين الحق والباطل، وهذه السنة قد تحققت في أهل الكتاب والمسلمين من بعدهم، وهي سنة ماضية في هذه الحياة الدنيا إلى أن يرث الله تعالى الأرض وما عليها يوم القيامة.

٢- أن من أهل الكتاب من قاتل الأمم الأخرى على الحق وجاهد في سبيل الله تعالى قبل بعثة النبي محمد ﷺ، واستحقوا بذلك المدح والأجر من الله عز وجل في الدنيا، ودخول الجنة في الآخرة، ثم انحرفوا عن هذا الحق وقاتلوا على الباطل بقتالهم للنبي محمد بعد بعثته ﷺ، وأمته من بعده.

٣- أن المسلمين من بعدهم وهم أمة محمد ﷺ النبي الخاتم، قاتلوا في سبيل الله عز وجل، مثلما قاتلت أمم أهل الكتاب من قبلهم، وهم آخر الأمم، ولذلك فهم الأمة التي كُتب عليها القتال والجهاد في سبيله تعالى إلى أن تقوم الساعة.

خامسا: الصعوبات العلمية التي واجهتني:

اعترف بأنني قد واجهت صعوباتٍ علمية، ما كنت أستطيع مجاوزتها إلا بعد توفيق الله سبحانه وبحمده، ومن أهم هذه الصعوبات:

١- المراجع العملية لموضوع البحث؛ فنظرا لعدم وجود أهل الكتاب في مملكتنا الحبيبة المملكة العربية السعودية، ورسوخ العقيدة الإسلامية فيها، فلا يكاد يوجد متجر واحد في داخلها يمكن شراء مرجع واحد منه يعرض عقيدة أهل الكتاب عرض المادح المعتقد، أما النقد لعقائدهم فهو متوفر- إلى حد ما -، ولكن ليس فيه بغية البحث، وأهم هذه المراجع طبعات الكتاب المقدس وشروحه المختلفة، ولذلك اضطررت إلى السفر خارج المملكة للحصول على

المراجع المطلوبة بعد أن منحتني جامعة أم القرى - الصرح الشامخ - تأييدا للحصول على التصاريح اللازمة من الدولة - وفقها الله - لإدخال مثل هذه المراجع.

٢- وبعد الحصول على المراجع اللازمة؛ واجهتني مشكلة أكبر من إيجادها، وهي وجود التناقض والاختلاف في الآراء بين أهل الكتاب أنفسهم حول قضية البحث الأساسية " الأصول الدينية للحرب والسلام"، فاضطررت إلى قضاء قرابة نصف المدة الممنوحة لي لكتابة البحث في القراءة، وكان منها قراءة صفحات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد صفحة صفحة، لاستخراج النصوص المتعلقة بموضوع الكتاب، وكانت هذه النصوص كثيرة جدا، ولذلك اضطررت لإعادة قراءتها أكثر من مرة، وفرزتها فرزا دقيقا بعناوين مختلفة؛ لعليّ أجد فيها بغيتي بعد الشروع في الكتابة.

٣- تشعب موضوعات الكتاب وأبعاده، والتاريخ الطويل لأهل الكتاب الذي كان لزاما عليّ أن أقف عليه وعلى تلك الموضوعات، وكانت قضايا ضرورية – في نظري-؛ إلا أنني عرفت أنني أمام بحث طويل، وشاق بعد القراءة الجادة في موضوعاته، فكان يجب عليّ أن أقرأ في كتب التاريخ، وفي كتب أصول عقائد أهل الكتاب- على طولها وكثرتها وتناقضها وغموضها-، وكتب الحديث والسيرة والتفسير والفقه والسياسة وغير ذلك من فنون العلم، ولذلك هممت أن أتقدم بطلب الاقتصار على الكتابة عن أصول أحد قطبي أهل الكتاب، ولكن الله تعالى قدر أن أمضي في الكتابة بحسب الخطة الأساسية.

سادسا: الدراسات السابقة التي عالجت الموضوع:

وجدت العديد من الدراسات التي عالجت جوانب كثيرة من موضوعات الكتاب ولا سيما في الجانب اليهودي، الذي تصدى له جهابذة من علماء الأديان، ومن أهمها موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، للدكتور عبدالوهاب المسيري وكتابات الدكتور محمد

الشرقاوي، والدكتور أحمد شلبي، والدكتور حسن ظاظا، والدكتور محمد مهران، والدكتور سفر الحوالي، والأستاذ البهي الخولي، والأستاذ أحمد عثمان، والأستاذة أبكار السقاف، والدكتور أحمد حجازي السقا، والدكتور أحمد أحمد السقا، والدكتور صابر طعيمة، والدكتورمحمد سيد طنطاوي، والدكتور أحمد الزغيبي، والدكتور عبدالله الشقاري، والدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، والشيخ عبدالرحمن الميداني، وموسوعة تاريخ اليهود للأستاذ محمود شاكر، والأستاذ عبدالمجيد همو، وغيرهم ممن دونوا في مصادر البحث ومراجعه في نهاية الكتاب.

وقد تناول هؤلاء العلماء عقائد اليهود وفندوها تفنيدا جيدا ورائعا، وقد ورد في ثنايا كتاباتهم ما هو جوهر موضوع الكتاب، فعملت جهدي في جمعه في هذه الدراسة، وحررت ما جاء في بعضها من غموض وتجاوزات، لا سيما عند تجاوز نقد بعض هؤلاء العلماء لليهود في تاريخ دخولهم الأرض المقدسة، حتى كادوا أن يمسوا نبيهم موسى عليه السلام، ، وحملهم على ذلك النظرة القومية للقضية الفلسطينية.

وقد اعتمد بعض هؤلاء العلماء على الاقتصار على إيراد نصوص محددة من الكتاب المقدس – العهد القديم – وتكررت هذه النصوص في كثير من مؤلفات بعضهم، وكأن الأصول العقدية للحرب والسلام لا يوجد فيها غير هذه النصوص، وربما حملهم على ذلك كفاية ما نقله بعضهم عن بعض في إثبات موضوع من موضوعات كتبهم والذي من جملته ما يتعلق بالحرب والسلام.

وجاءت بعض الكتابات غاية في الإتقان من حيث تصوير عقيدة الحرب والسلام عند أهل الكتاب، ولكنها عالجت قضايا عامة وغيرمحددة.

فعملت جهدي أن استوعب موضوع الدراسة من هذه المصادر وأن أخرجه في كتاب منفصل، وأضفت نصوصا جديدة لم أقف عليها في حدود ما اطلعت عليه من كتب هؤلاء العلماء، وتبع هذه النصوص شروح موثقة من أقوال رجال دينهم، فأصبحت الدراسة مختصة في جزئية محددة جمع فيه معظم ما يتعلق بموضوعها.

أما ما يتعلق بالنصارى، فالدراسات العقدية الحديثة المتخصصة في النصرانية التي تناولت موضوع الكتاب قليلة؛ إذا ما قورنت باليهودية، وقد أسعفني المؤرخون المعاصرون، من أمثال الدكتور قاسم عبده قاسم مدير عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بدراسات علمية رصينة في تاريخ الحروب الصليبية، هو وفريق المؤلفين في المركز، ومنهم الدكتور أحمد الهواري والدكتور شوقي حبيب والدكتور علي السيد علي، وكذلك أسعفتني الكتابات المتخصصة في الحروب الصليبية من علماء التاريخ من أمثال الدكتور سعيد عاشور، الدكتور محمد مؤنس عوض، والدكتور رأفت عبدالحميد، والدكتورة، سهير نعينع، والأستاذة الدكتورة زينب عبدالعزيز، والدكتور ممدوح حسين، والأستاذ غسان الرمال والدكتور عبدالمحسن رمضان.

وأيضا أفدت من غير الكتابات المتخصصة في الحروب الصليبية من علماء التاريخ من أمثال الدكتور عبدالعزيز نوار والدكتور عبدالمجيد نعنعي، والدكتور عمر عبدالعزيز عمر، والدكتور عبدالعزيز الشناوي، والدكتور عمر توفيق والدكتور السيد العريني.

ويضاف إلى ذلك وجود بعض الكتابات المتميزة التي تناولت الجوانب العقدية للحرب والسلام عند أهل الكتاب على وجه الخصوص، مثل رسالة الدكتور يوسف الحسن للدكتوراة "البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني" وهي رسالة متميزة وجادة، ولكنها تناولت الموضوع من واقع واحد فقط وهو الجانب الأمريكي، وأيضا كان توجه الرسالة ينحصر في مجملة على ردود فعل الساسة الأمريكيين، وكبار رجال الدين البروتستانت والمنظمات الأصولية الصهيونية المؤمنة بعقيدة حرب هرمجدون بعد رجوع المخلص يسوع المسيح – بحسب العقيدة النصرانية البروتستانتية –، ولم تلتفت دراسته لتحليل ودراسة نصوص الكتاب المقدس، بل لتحليل ودراسة أفعال رجال الدين النصراني ورجال السياسة، وهذا جانب مهم ولا شك، ولكن تبقى أهمية دراسة الكتاب المقدس في مقدمة ما يجب أن يحلل ويدرس، فكان عملي مكمل – في نظري – لدراسة الدكتور الحسن، هذا بالإضافة إلى ظهور النزعة القومية في الكتاب، وكنت انتظر من كاتب

مبدع مثله أن يتوج جهده العلمي بالنظر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لاستلهام الحلول المناسبة للأمة المسلمة؛ بدلا من وجهة نظر القومية العربية المتهالكة.

وكذلك دراسة الدكتور أحمد زايد في رسالة الماجستير "حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى وأثرها في العالم الإسلامي"، فهي دراسة مفيدة ولكنها عامة لم تتناول قضية الحرب والسلام بالتحديد.

هذا بالإضافة إلى غير ذلك من كتابات العلماء والمؤلفين ممن دونوا في قائمة المصادر والمراجع. ولقد كان الحال مطابقا لحالي مع المراجع اليهودية السابقة، من حيث اقتناص الفوائد العلمية من هذه المؤلفات، وصياغتها في إطار الكتاب العام.

أما ما يختص بموقف الإسلام من الحرب والسلام، فالكتابات التي حررت بغيتي فيه كثيرة ومبدعة، ولذلك فقد لازمتني الحيرة فيما آخذ وفيما أذر، ومن هذه الكتابات الرائعة كتاب الجهاد في سبيل الله حقيقته وغاياته، للدكتور عبدالله القادري، وكتاب أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، للدكتور على العلياني، وكتاب الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، للدكتور محمد هيكل، وغيرها من الكتابات المدونة في قائمة المصادر والمراجع، ولذلك بذلت جهدي في زيادة دراسة بعض الجوانب التي رأيت أنها بحاجة إلى مزيد بحث، ولم تشملها دراسات هؤلاء العلماء، ومن أمثلتها قضية إثبات أن سنة التدافع بين الناس من بعد موسى عليه السلام هي الجهاد والقتال في سبيل الله تعالى. وتحرير معنى جهاد الدفع وجهاد الطلب عند السلف.

سابعا: منهجي في كتابة البحث:

سلكت في كتابتي هذا البحث منهجا يتلخص في النقاط التالية:

١- عرضت – في الغالب- عقيدة أهل الكتاب في موضوع البحث من المصدرين الأساسيين لأهل الكتاب ، الكتاب المقدس بعهديه القديم – التوراة- والجديد –

الإنجيل -، مع أهمية معرفة أن هذه النقول لا تعني أن ما ذكر فيها حق، وإن وجد فيها شيء من الحق فهو من بقايا الحق الذي أنزل على أنبياء الله تعالى.

٢- استخرجت أهم النصوص المتعلقة بالحرب والسلام من الكتاب المقدس، مع الإشارة إلى موضع الاستشهاد في موضعه في الكتاب المقدس، وما أعرضت عنه قد تكون فيه الإشارة للمراد، ولكن في المنقول ما يفيده المحذوف من هذه النصوص.

٣- اعتمدت في نقاشي مع أهل الكتاب في الأصول العقدية لموضوع البحث؛ على كتبهم، وأقوال علمائهم قدر الإمكان.

٤- اكتفيت بشرح ما يكفي من نصوص الكتاب المقدس التي تثبت ما ذهبت إليه من أحكام، وربما سقت نصوص الكتاب المقدس بدون شرح ولكن بوضع عناوين جانبية تشير إلى المراد والشاهد قدر الإمكان.

٥- لم أترجم للأماكن الواردة في الكتاب المقدس، إلا ما وجدت الفائدة في ترجمته، لكونها أسماء عبرية قديمة لا يعرف كنه بعضها المفسرون من أهل الكتاب أنفسهم، ولكون هذه الأماكن لا تخرج عن حدود الأرض المقدسة، وأيضا أن الترجمة لهذه الأماكن لا تفيد –في الغالب – صلب الموضوع الذي من أجله جاء النقل.

٦- إذا نقلت من الكتاب المقدس ووجدت مزيد فائدة في ترجمة أخرى غير التي اعتمدها أثبت الزيادة بين خطين– –.

٧- نقلت أسماء من عدهم أهل الكتاب أنبياء – ومنهم من جاء ذكرهم في القرآن والسنة عليهم السلام– كما وردت في الكتاب المقدس.

٨- عزوت الآيات الواردة في البحث، إلى مكانها في القرآن الكريم.

٩- خرجت الأحاديث الشريفة الواردة في البحث، والحكم عليها إن استطعت، إذا لم تكن في الصحيحين.

١٠- عزوت أقوال من نقلت عنه من العلماء والمؤلفين، إلى مكانها في كتابهم.

١١- عرفت - قدر المستطاع - بالأعلام والمصطلحات العربية والأعجمية أو غيرها، يرد في ثنايا البحث، عند أول ورود له، ولكثرة الأسماء والمصطلحات وغموضها ترجمت لمن رأيت المصلحة في الترجمة له، وأغفلت من لا فائدة في ترجمته، أو ما لم أستطع الوقوف على ترجمة له.

١٢- الإحالات في كل حاشية تحتوي على الآتي:

أ-كلمة "انظر" أو "بتصرف" أو "بتصرف يسير" عند التصرف في المنقول، أو الاستفادة من الفكرة، أو الإحالة على موضوع أوسع في مراجع أخرى.

ب- أما حين إغفال كلمة "انظر" أو "بتصرف" فذلك عند النقل الحرفي، وقد وضعته بين قوسي تنصيص " " أو ( )، أما إن كان نصا لآية كريمة، فعلامة تنصيصها علامة المصحف.

ج- جعلت ما بين شرطتين - - كل إضافة أو استدراك من كلامي، وإن كان موجودا في النقل الذي أنقل منه جعلت المنقول ما بين قوسين ( ) ، والتزمت جعل كلامي مابين شرطتين.

د- عند حذف ما لا يتعلق بالاستشهاد المطلوب من النقل أضع بدلا عنه ثلاث نقاط... ،كإشارة إلى ذلك المحذوف.

ح- تصويب ما ظهر لي من الأخطاء اللغوية وقد أنبه على ذلك إن دعت الحاجة، وقد أغفله.

ط- إن تكرر النقل من مصدر واحد مباشرة، أشير بعبارة المرجع أو المصدر السابق.

ي- في الإشارة إلى المرجع أو المصدر أذكر اسم الكتاب أولا ثم المؤلف ثم رقم الصفحة، ثم دار النشر، ثم الطبعة، وإن لم أجدها في بعض الكتب أكتفي باسم

الكتاب والمؤلف، وقد أضع تاريخها إن وجدته، إن لم أجد عدد الطبعة. وذلك في أول نقل، فإن تكرر نقل في عدة مواضع حذفت رقم الطبعة ودار النشر.

ك- قد أقتبس طريقة بعض المؤلفين في عرض الأدلة، فتعرض المراجع الخاصة بهم، فأرجع إن استعطت لهذه المراجع وأثبت الطبعات المغايرة التي رجعت إليها، ثم أثبت في نهاية النقل الكتاب الذي اقتبست منه طريقة عرض الأدلة، وقد أثبت في بعض الأحيان مرجع من رجعت إليه وأضيف نقلا عن المصدر الفلاني.

ل-رتبت المراجع والمصادر في نهاية الكتاب بحسب الترتيب الهجائي لأسماء الكتب، واستثنيت القرآن الكريم ، فوضعته في أول قائمة المصادر والمراجع.

م- قسمت المصادر والمراجع إلى قسمين: مصادر ومراجع أساسية وهي التي جاء ذكرها في حواشي الكتاب. ومصادر ومراجع مساعدة وهي التي استفدت منها إما فكرة وإما معنى صغته بعبارتي.

١٣- التزمت المنهج العلمي - قدر الإمكان - في البحث، من الموضوعية - بحصر الدراسة في إطار عام والتجرد من الهوى في الحكم على أهل الكتاب، والمنهجية - من حيث طريقة تنظيم المعلومات-، ولكن هذا المنهج لم يمنعني من الانحياز إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، في الاعتماد على حكميهما على أهل الكتاب، وكان دوري فيما وجدت من حكم من هذين المصدرين الشريفين المعصومين في أهل الكتاب يقتصر على البحث عن الحكمة في ذلك ووجه الدلالة والاستشهاد.

ثامنا: خطة البحث:

وقد جاءت خطة البحث كالتالي:

المقدمة.

تمهيـــد: وفيه التعريف بأهم مصطلحات البحث (الحرب ،السلام، الهدنة ، الصلح).

الباب الأول: **سنن الله الكونية في الصراع والدفع. ويشمل ثلاثة فصول:**

الفصل الأول: قضية الخير والشر وعلاقتها بالقدر الإلهي.

الفصل الثاني: سنّة الله تعالى في الدفع بين الناس وحكمتها.

الفصل الثالث: نظرة تاريخية موجزة للصراع بين الأمم.

الباب الثاني: **الحرب والسلام عند أهل الكتاب ويشمل فصلين:**

الفصل الأول: الحرب والسلام عند اليهود. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عقيدة الحرب والسلام في العهد القديم.وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : الحروب المقدسة في العهد القديم.

المطلب الثاني : حروب اليهود الداخلية في العهد القديم.

المطلب الثالث: خصائص الحرب وأساليبها في العهد القديم.

المبحث الثاني: أثر عقيدة الحرب والسلام في واقع اليهود النفسي والاجتماعي وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عقيدة الاختيار والاصطفاء وأثرها في الحرب والسلام.

المطلب الثاني: عقيدة أرض الموعد وأثرها في الحرب والسلام.

المطلب الثالث: عقيدة النفي والشتات وأثرها في الحرب والسلام.

الفصل الثاني: الحرب والسلام عند النصارى. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عقيدة الحرب والسلام في العهد الجديد. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عقيدة السلام في نصوص العهد الجديد.

المطلب الثاني: عقيدة الحرب في نصوص العهد الجديد.

المبحث الثاني: أثر عقيدة الحرب والسلام في واقع النصارى النفسي والاجتماعي وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أثر عقيدة الحرب والسلام من عصر نشأة النصرانية حتى عصر التمكين.

المطلب الثاني: أثر عقيدة الحرب والسلام في عصر التمكين.

المطلب الثالث: أثر عقيدة الحرب والسلام حتى نهاية العصور الوسطى.

المطلب الرابع: أثر عقيدة الحرب والسلام في العصر الحديث.

المطلب الخامس: أثر عقيدة الحرب والسلام في الواقع المعاصر.

الباب الثالث: الحرب والسلام في الإسلام. ويشمل ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عقيدة الحرب والسلام في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: عقيدة الحرب والسلام في السنة النبوية.

الفصل الثالث:هدف جهاد الكفار في الإسلام.

الخاتمة.

المراجع.

الفهارس.

تاسعا: شكر من أعان على إنجاز البحث:

أشكر الله تعالى أولا وأخيرا ثم أتوجه بالشكر الجزيل لجامعة أم القرى، ولكلية الدعوة وأصول الدين، ولقسم العقيدة، ولكل من أعان على إخراج هذا البحث.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المؤلف:

الشريف نبيل بن هاشم أمير النصري

تـمـهـيـد

التعريف بأهم مصطلحات الدراسة :

(السلام، الحرب، الهدنة، الصلح)

التعريف بأهم مصطلحات الدراسة:

(السلام، الحرب، الهدنة، الصلح)

ليس الغرض من هذا التمهيد استيفاء جميع ما له علاقة بالألفاظ المذكورة، وإنما المراد إلقاء الضوء عليها، والتعرف على بعض مجالات استخداماتها فيما يتعلق بموضوع الدراسة -قدر الإمكان- سواء في لغة العرب أو لغة أهل الكتاب.

فالسلام في لغة العرب: مشتق من السِّلم، والسِّلم مركب من السين واللام والميم معظم بابه من الصحة العافية، ويكون فيها ما يشذ عنه، **قاله ابن فارس**.

وقال رحمه الله: (والسِّلام (بكسر السين): المُسَالمة، وفِعال تجيء في المفاعلة كثيرًا نحو القِتال والمقاتلة، والسِّلم (بكسر السين): هو الصلح، وقد يؤنث ويذكر، قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾[1])[2].

وقال الجوهري: (السلم: الصلح يفتح ويكسر ويذكر ويؤنث، والسلم: المسالم تقول: أنا سلم لمن سالمني، والتسالم التصالح، والمسالمة: المصالحة... واستسلم أي انقاد)[3].

وقال ابن منظور: (من معاني السلم: الاستسلام، والتسالم: التصالح، والمسالمة: المصالحة. وفي حديث الحديبية: (أنه أخذ ثمانين من أهل مكة سلمًا)[4].

وقال ابن الأثير: (يروى بكسر السين وفتحها، وهما لغتان للصلح، وهو المراد في

---

(١) الأنفال: ٦١.

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (سلم) (٣/ ٩٠)، أحمد بن فارس بن زكريا، ت عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

(٣) الصحاح، مادة (سلم) (٤/ ١٥٨٣- ١٥٨٥). إسماعيل بن حماد الجوهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الأولى.

(٤) لسان العرب، مادة (سلم) (٣٢٥). أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط الأولى.

الحديث على ما فسره الحميدي في غريبه)[1].

وقال الخطابي: (إنه السَّلم بفتح السين واللام، يريد الاستسلام والإذعان كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾[2] أي الانقياد، وهو مصدر يقع على الواحد والاثنين والجمع؛ **قال**: وهذا هو الأشبه بالقضية، فإنهم لم يؤخذوا عن صلح، وإنما أخذوا قهرا وأسلموا أنفسهم عجزا، وللأول وجه، وذلك أنهم لم يجر معهم حرب، إنما لما عجزوا عن دفعهم أو النجاة منهم رَضَوْا أن يؤخذوا أسرى ولا يقتلوا، فكأنهم قد صولحوا على ذلك، فسمي الانقياد صلحًا، وهو السلم، ومنه كتابة بين قريش والأنصار: (وإن سلم المؤمنين واحدٌ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن) أي لا يصالح واحد دون أصحابه، وإنما يقع الصلح بينهم وبين عدوهم باجتماع ملئهم على ذلك **قال**: ومن الأول - أي بفتح السين - حديث أبي قتادة: (لآتينك برجل سلم) أي أسير لأنه استسلم وانقاد، واستسلم: أي انقاد، ومنه الحديث: (أسلم سالمها الله) هو من المسالمة وترك الحرب، ويحتمل أن يكون دعاءً وإخبارًا، إما دعاءً لها أن يسالمها الله ولا يأمر بحربها، أو خبرًا أن الله سالمها ومنع من حربها، والسلام: الاستسلام، وحكي السِلم والسَّلمُ الاستسلام وضد الحرب أيضا)[3].

وقال ابن عرفة: (﴿قالوا سلاما﴾ أي قالوا قولاً يتسلمون فيه، ليس فيه تعدٍّ ولا إثم. وكانت العرب في الجاهلية يحبون أن يقول أحدهم لصاحبه: أنعم صباحًا، وأبيت اللعن، ويقولون: سلام عليكم، فكأنه علامة المسالمة، وأنه لا حرب هناك)[4].

وقال ابن كثير: (السلم: أي المسالمة والمصالحة والمهادنة)[5].

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٣٩٢)، ابن الأثير، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٢) النساء: ٩٠.

(٣) لسان العرب مادة (سلم) (٣٢٥) بتصرف يسير.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تفسير ابن كثير، (٢/ ٣٣٥).

والهدنة في لغة العرب: مشتقة من مادة (هدن) والهاء والدال والنون: أصيل يدل على سكون واستقامة، قاله ابن فارس، وقال: سمعت أبا الحسن علي بن إبراهيم القطان يقول: سمعت ثعلبا يقول: تهادن الأمر، استقام، وقال غيره: ومنه قياس الهدنة[١].

وقال الجوهري: (هدن يهدِن هدونا: سكن، وهدنه أي سكّنه، يتعدى ولا يتعدى، وهادنه: صالحه، والاسم منها الهدنة؛ ومنه قولهم: (هدنة على دخن) أي سكون على غِلّ، وتهادنت الأمور: استقامت)[٢].

وقال ابن منظور: (الهدنة والهِدانةُ: المصالحة بعد الحرب، وهادنه مهادنة: صالحة والاسم منهما الهدنة، وفي الحديث أن النبي ﷺ ذكر الفتن فقال: (يكون بعدها هدنة على دخن وجماعة أقذاء..) وتفسيره في الحديث ؛ لا ترجع قلوب قوم على ما كانت عليه، وأصل الهدنة السكون بعد الهيج، ويقال للصلح بعد القتال والموادعة بين المسلمين والكفار وبين كل المتحاربين هدنة، وربما جعلت للهدنة مدة معلومة، فإذا انقضت المدة عادوا إلى القتال)[٣].

والصلح في لغة العرب: من مادة "صلح" وهى دالة على السلم والمسالمة، قال ابن منظور: والصلح: تصالح القوم بينهم، والصلح: السلم، وقد اصطلحوا وصالحوا وأصلحوا وتصالحوا واصّالحوا، مشددة الصاد، قلبوا التاء صادا وأدغموها في الصاد بمعنى واحد، وقوم صلوح: متصالحون، كأنهم وصفوا بالمصدر[٤].

ومن الألفاظ المرادفة للمعاني السابقة أو القريبة من معانيها: الموادعة، والمعاهدة، والاتفاق.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (هدن) (٦/ ٤١).

(٢) الصحاح، مادة "هدن" (٥/ ١٧٧٦).

(٣) لسان العرب، مادة "هدن" (٦/ ٣١٩).

(٤) لسان العرب، مادة "صلح" (٤/ ٦١).

فالموادعة: المصالحة والمتاركة، قاله ابن فارس[1].

وقال الجوهري: الموادعة: المصالحة، والتوادع: التصالح[2].

وقال ابن منظور: والموادعة والتوادع: شبه المصالحة والتصالح، والوديع: العهدُ... وفي الحديث: (أنه وادع بني فلان) أي صالحهم وسالمهم على ترك الحرب والأذى، وحقيقة الموادعة المتاركة، أي يدع كل واحد منهما ما هو فيه؛ ومنه الحديث: (وكان كعب القرظي موادعًا لرسول الله ﷺ)[3].

والمعاهدة: مشتقة من مادة عهد، وأصله الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به، والعهد الموثِق، وجمعه عهود، قاله ابن فارس[4].

وقال الجوهري: (العهد: الأمان، واليمين، والموثِق، والذمة، والحفاظ والوصية)[5].

وقال ابن منظور: (العهد: كل ما عوهد الله عليه، وكلُّ ما بين العباد من المواثيق فهو عهد، والمعاهد: من كان بينك وبينه عهد، وأكثر ما يطلق في الحديث على أهل الذمة، وقد يطلق على غيرهم من الكفار إذا صولحوا على ترك الحرب مدةً ما)[6].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة "ودع" (٦/ ٩٦).

(٢) الصحاح، مادة "ودع" (٣/ ١٠٧٣).

(٣) لسان العرب، مادة "ودع" (٦/ ٤١٨).

(٤) معجم مقاييس اللغة، مادة "عهد" (٤/ ١٦٧).

(٥) الصحاح، مادة "عهد" (٢/ ٤٥٠).

(٦) لسان العرب، مادة "عهد" (٤ / ٤٥٣- ٤٥٤).

والاتفاق: مشتق من مادة **"**وفق **"**: الواو والفاء والقاف: كلمة تدل على ملاءمة الشيئين، منه الوفق: الموافقة، واتفق الشيئان: تقاربا وتلاءما **قاله ابن فارس**[(١)].

قال الجوهري: (الوفاق: الموافقة، والتوافق: الاتفاق والتظاهر)[(٢)].

وقال ابن منظور: (الوفاق: الموافقة، والوفِق: من الموافقة بين الشيئين كالالتحام)[(٣)].

والحرب: اسم للحالة التي هي نقيض السِلم، وهي مؤنثة لأنها في معنى المحاربة، والمحاربة مصدر قولهم: حارب يُحارب[(٤)].

قال ابن فارس: (الحاء والراء والباء أصول ثلاثة: أحدها السلب...، والحرْب: اشتقاقها من الحرَب وهو السلب، يقال: حربتُه ماله، وقد حُرب مالَه أي سُلِبه)[(٥)].

وقال الجوهري: (الحرب تؤنث، وأنا حرب لمن حاربني أي عدوّ، وتحاربوا واحتربوا وحاربوا بمعنى)[(٦)].

وقال ابن منظور: (الحرب: نقيض السلم، أنثى، وأصلها الصفة كأنها مقاتَلَةٌ حرْبٌ، هذا قول السيرافي. وقوم مِحربةٌ ورجل مِحربٌ أي محارب لعدوه، وفلان حرْبٌ لي أي عدوٌ محاربٌ)[(٧)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة " وفق " (٦/ ١٢٨).

(٢) الصحاح، مادة "وفق" (٤/ ١٢٨٨).

(٣) لسان العرب، مادة " وفق " (٦/ ٤٦٩).

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، مجموعة من المختصين، إشراف د. صالح بن حميد، عبدالرحمن بن ملوح، (١٠: ٤٣٩٠). دار الوسيلة، جدة. ط. الأولى.

(٥) معجم مقاييس اللغة، مادة "حرب" (٢/ ٤٨).

(٦) الصحاح، مادة "حرب" (١/ ٩٦).

(٧) لسان العرب، مادة "حرب" (٢/ ٤٩).

السلام في لغة أهل الكتاب:

يأخذ لفظ "السلام" في لغة أهل الكتاب عدة معانٍ وتوجهات، فنجد أن قاموس الكتاب المقدس يعرّف السلام:

بـأنه: (حالة الراحة من الاضطراب الخارجي الذي يحدث بهجوم جيش في الحرب، أو من الاضطراب الداخلي براحة النفس، وكانت هذه الكلمة عبارة التحية عند اليهود، وهم يقصدون بها الاطمئنان والسرور والراحة، كما يقصدون بها الأمن الخارجي والتحرر من الاستعباد السياسي، وهو تحّية المسيحيين أيضا، ولكنهم يريدون به السلام الروحي القلبي العميق الذي اشتراه المسيح بدمه، سلامًا لا تُنيله[1] الدنيا ولا تنزعه كل عواصفها، وهو السلام الذي يملك على قلب المؤمن نتيجة مصالحته مع الله)[2].

وحددت دائرة المعارف الكتابية استخدامات لفظ (السلام) في العهد القديم في خمسة معانٍ:

١- التحية المألوفة بين الأصدقاء والسؤال عن صحتهم، كما كانت تستخدم عند الوداع.

٢- السلام من الأعداء، مما يعني الفوز والنجاح.

٣- السلام الداخلي، وكان من نصيب الأبرار المتوكلين على الله.

٤- كان على البار أن يطلب السلامة ويسعى وراءها وأن يحب "الحق والسلام".

٥- سيكون السلام أبرز معالم عصر المسيا الذي هو "رئيس السلام".

---

(١) هكذا الضبط في قاموس الكتاب المقدس.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، مادة "سلام"(٤٧٨). قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، دار مكتبة العائلة، ط. الرابعة عشر.

وحددت استخدامات لفظ (السلام) في **العهد الجديد** في خمسة معانٍ أيضًا:

١- أن إنجيل المسيح هو رسالة سلام من الله للإنسان.

٢- يجب على المؤمنين أن يشتهوه ويتبعوه، فقد أوصى الرب يسوع المسيح تلاميذه.

٣- والله هو "إله السلام " فهو مصدر ومانح للسلام وخير وبركة.

٤- كما أن السلام كان التحية المألوفة، و"ابن السلام" هو المستحق للسلام والذي يسعى للسلام.

٥- السلام الذي صنعه المسيح هو أساسًا سلامٌ روحي من الله ومع الله، سلام في القلب، وسلام في الروح(١).

الحرب في لغة أهل الكتاب:

يأخذ معنى الحرب عند أهل الكتاب المعنى نفسه في لغة العرب فهو: حالة مناقضة للسلم.

يؤكد ذلك ما ذكرته دائرة المعارف الكتابية في توضيحها لمعنى الحرب وخصائصها الرئيسية فتقول: (سجل لنا الكتاب المقدس بعض ما كان يصاحب الحروب من الجلبة والهتافات (فسمع الفلسطينيون ضجيج الهتاف فتساءلوا: ما ضجيج الهتاف هذا في معسكر العبرانيين)(٢). (وبينما كان شاول يتحدث مع الكاهن تزايد ضجيج معسكر الفلسطينيين...)(٣). ووصف الأنبياء ما تحدثه الحرب من رعب وذعر وخراب في صور

(١) دائرة المعارف الكتابية، مادة "سلام – سلامة "، (٤٠٩-٤١٠)، بتصرف.

(٢) سفر صموئيل الأول (٤: ٦).

(٣) سفر صموئيل الأول (١٤: ١٩).

مجازية مثيرة، فنجد إرميا يصف الجيش الزاحف بقوله: (من دان سمعت حمحمة خيله، عند صوت صهيل جياده ارتجفت كل الأرض)[1].

ويقول ناحوم: (صوت السوط، وصوت رعشة البكر، وخيل تخب، ومركبات تقفز وفرسان تنهض، ولهيب السيف، وبريق الرمح، وكثرة جرحى، ووفرة قتلى، ولا نهاية للجثث، يعثرون بجثثهم)[2]. كما يقول: (ترس أبطاله محمر، رجال الجيش قرمزيون، المركبات بنار الفولاذ في يوم إعداده، والسرو[3] يهتز. تهيج المركبات في الأزقة، تتراكض في الساحات، منظرها كمصابيح تجري كالبروق)[4].

ونظرًا للخراب والهول الذي تجره الحروب والمذابح التي يقتل فيها الرجال، كان السيف أحد (الأحكام الأربعة الرديئة)[5] التي أرسلها الله. أما الثلاثة الأخرى فهي المجاعة والوحوش الرديئة والوبأ. ونظرًا لما يتميز به السيف من قوة فتاكة، فإنه كان عاملًا مشتركًا في كل العمليات الحربية (فنادى أبنير يوآب قائلا: أينبغي للسيف أن يظل ينهش إلى الأبد)[6]. (عبثا عاقبت بينكم، فهم أَبَوْا التقويم، وأفرست سيوفكم أنبياءكم كأسد كاسر)[7][8].

(١) سفر إرميا (٨: ١٦).

(٢) سفر ناحوم (٣: ٢-٣).

(٣) هكذا الضبط في الدائرة.

(٤) سفر ناحوم (٢: ٣و٤).

(٥) جاء في سفر حزقيال (فكم بالأحرى يحدث إذا أرسلت أحكامي الأربعة الشديدة الحرب والمجاعة والوحوش الضارية والوباء على أورشليم لأبيد منها الناس والبهائم) (١٤: ٢١).

(٦) سفر صموئيل الثاني (٢: ٢٦).

(٧) سفر إرميا (٢: ٣٠).

(٨) دائرة المعارف الكتابية، مادة حرب، (٣/ ٥٢)، بتصرف. مجموعة من المؤلفين، دار الثقافة، القاهرة، ط. الثانية.

ويؤكد **قاموس الكتاب المقدس** هذا المعنى عند شرحه لمعنى الحرب فيقول: وكان الجيش يهجم إلى الأمام بهتاف[1]، ثم يشتبك الجنود في القتال يدا بيد، وكانت المطاردة دموية، وكان العبرانيون عندما ينتصرون، ينهبون معسكر العدو، ويسلبون الموتى، مثلهم في ذلك مثل غيرهم من الأمم في عصرهم[2]، وأحيانا كانوا يقتلون أو يشوهون الأسرى (أما ملك عاي فقد وقع في الأسر فتسلمه يوشع، وعندما تم القضاء على جيش عاي في الصحراء حيث تعقبوا الإسرائيليين، وفَنَوْا جميعهم بحد السيف، رجع المحاربون الإسرائيليون إلى عاي وقتلوا كل من كان فيها)[3]، وفي أكثر الأحيان كانوا يُصَيِّرُونهم عبيدًا[4].

* * *

(١) انظر سفر يشوع (٦:٥) و سفر صموئيل الأول (١٧: ٥٢) و سفر إرميا (٥٠: ٤٢) و سفر حزقيال (٢١: ٢٢) و سفر عاموس (١: ١٤).

(٢) انظر سفر القضاة (٨: ٢٤ -٢٦) و سفر صموئيل الأول (٣١:٩) و سفر أخبار الأيام الأول (٢٠: ٢٥).

(٣) انظر سفر يشوع (٨:٢٣- ٢٩)، و انظر سفر يوشع (١٠: ٢٢-٢٧) و سفر القضاة (١: ٦) و ٨: ٢١) وسفر صموئيل الثاني (٨: ٢).

(٤) قاموس الكتاب المقدس، مادة حرب، (٢٩٦)، بتصرف.

الباب الأول
سنن اللّه الكونية في الصراع والتدافع

الفصل الأول: قضية الخير والشر وعلاقتها بالقدر الإلهي.

الفصل الثاني: سنّة الله تعالى في الدفع بين الناس وحكمتها.

الفصل الثالث: نظرة تاريخية موجزة للصراع بين الأمم.

الفصل الأول

قضية الخير والشر وعلاقتها بالقدر الإلهي

الفصل الأول

قضية الخير والشر وعلاقتها بالقدر الإلهي

تتعلق قضية الخير والشر بالحرب والسلام من جهة أن الصراع بين أهل الحق الذين يمثلون الخير، وبين أهل الباطل الذين يمثلون الشر صراع دموي على مر العصور في هذه الحياة الدنيا، وبدأ هذا التاريخ الدموي بقتل أحد ابني آدم عليه السلام لأخيه - كما سيأتي -واستمر من بعده صراع دموي طويل بين دعاة الخير ودعاة الشر، وكانت أبرز معالم هذا التاريخ الطويل هي نشوب الحروب ونبذ السلام بين الفريقين.

وتتعلق قضية الخير والشر بقدرالله تعالى؛ لكونه -عز وجل- خالق الموت والحياة، والسماوات والأرض، وقدر كل ما في هذا الوجود الذي من جملته الخير والشر.

فالله العليم الحكيم يعلم ما كان وما سيكون ومالم يكن لوكان كيف يكون، هو أعلم بخلقه فقد قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[(١)]. فهو سبحانه صاحب العلم المطلق الكامل؛ المنزه عن أن يعتريه جهل بشيء في كونه تعالى؛ أو نقص في علم بشيء يكون في ملكه تعالى.

وهو تعالى الحكيم المنزه عن فعل شيء دون حكمة أو غاية؛ فأفعاله تعالى في غاية الحكمة والكمال المطلق، ولا يقدح في هذا الكمال عدم معرفة بعض الخلق ما هي الحكمة في بعض أفعاله تعالى.

---

(١) الملك: ١٤.

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (والله سبحانه وتعالى لا يعلم عباده الحقائق التي أخبر عنها من صفاته وصفات اليوم الآخر، ولا يعلمون حقائق ما أراد بخلقه وأمره من الحكمة، ولا حقائق ما صدرت عنه من المشيئة والقدرة)[1].

ومن هذا المنطلق يمكن الولوج إلى قضية الخير والشر وما يتعلق بها من السنن الكونية، فالله تعالى مالك الكون ولا يمكن أن يحدث أمر في كونه وملكه لا يريده تعالى، وإلا لاضطرب نظام الكون وفسد لأن وقوع ما لا يريده تعالى يفضي إلى لوازم باطلة أشنعها تقرير وجود شركاء لله تعالى في تدبير هذا الكون، وهذا أمر باطل نقلا وعقلا وفطرةً وحسًّا، يقول تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[2].

والخير والشر موجودان في كون الله وفي ملكه تعالى...، إذن فإن الله تعالى يريد أن يكون هناك خير وشر...، يتجلى هذا واضحًا في قصة آدم وزوجه مع إبليس، وقصة ابني آدم عليه السلام وقتل أحدهما للآخر[3]، فلحكمة عظيمة الله تعالى خلق الخلق، وهي عبادته تعالى، فقد قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[4]. وبالرغم من وجود هذه الحكمة العظيمة فقد غابت عن الملائكة الكرام البررة، فسألت ربها عندما قال لهم: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[5]. قالت: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

(١) التدمرية، أحمد بن عبد السلام ابن تيمية تحقيق د. محمد السعوي (١١٠-١١١)، مطبعة العبيكان، الرياض، ط. الأولى.

(٢) المؤمنون: ٩١.

(٣) لم أقف على نص صحيح يثبت أسماء أبناء آدم عليه السلام، ومعظم المفسرين اعتمدوا في إثبات الاسمين على الإسرائيليات.

(٤) الذاريات: ٥٦. سيأتي في الصفحة (٥٦) مزيد من التفصيل حول أقوال العلماء في معنى هذه الآية العظيمة.

(٥) البقرة: ٣٠.

﴿ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ...﴾[1]. فهم قد أجابوا بحسب ظنهم في هذا الخليفة، ولعلهم قالوا ذلك بسبب معرفتهم بما كان من سكان الأرض السابقين من الجن كما ذهب إلى ذلك البعض – ولسنا هنا بصدد معالجة هذه القضية – ولكن الذي غاب عن علم الملائكة – والله أعلم – أن هناك عبادات كثيرة يستحقها الله تعالى بالرغم من قولهم: ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾. فهم ظنوا أنهم أفضل خلق الله تعالى، وأن مجرد تسبيح الله وتنزيهه وإخلاص العبادة له تعالى بالتقديس وتطهير النفس بالخشية والمحبة والتعظيم له تعالى كافيا في حقه تعالى، ولكن الله تعالى أجابهم: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2]. فهو تعالى يعلم ما سيكون من هذا الخليفة، وهو تعالى أعلم بما يستحقه من العبادة ومن التسبيح والتقديس كما قال ﷺ: (لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)[3]، ولذلك علمت الملائكة عندما أمرهم تعالى بإنبائه عن الأسماء التي علمها آدم، فقال لهم: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾[4]. قالوا: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾[5]. علمت عندئذ أن الشر الذي ظنوا أنه سيكون من استخلاف هذا الخليفة في الأرض ليس شرا محضا، لأنه تعالى منزه ذلك، وانه ربما كان هذا الشر الظاهر سببها إلى عبادات لا يعرفونها هم فآبوا إلى الله تنزيها وتقديسا له واستغفارا منهم عما بدر منهم من سؤال وظن لا يليق بكمال علم الله تعالى.

يقول العلامة السعدي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ..﴾ الآية[6]: (هذا شروع في ذكر فضل آدم عليه السلام أبي

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، حديث رقم ٤٨٦.

(٤) البقرة: ٣١.

(٥) البقرة: ٣٢.

(٦) البقرة: ٣٠.

البشر، أن الله حين أراد خلقه أخبر الملائكة بذلك، وأن الله مستخلفه في الأرض، فقالت الملائكة عليهم السلام: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾. وهذا تخصيص بعد تعميم، لبيان شدة مفسدة القتل، وهذا بحسب ظنهم أن الخليفة المجعول في الأرض سيحدث منه ذلك، فنزهوا الباري عن ذلك، وعظموه، وأخبروا أنهم قائمون بعبادة الله على وجه خال من المفسدة، فقالوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ أي: ننزهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يحتمل أن معناها: ونقدسك، فتكون اللام مفيدة للتخصيص والإخلاص، ويحتمل أن يكون (نقدس لك أنفسنا) أي: نطهرها بالأخلاق الجميلة، كمحبة الله وخشيته وتعظيمه، ونطهرها من الأخلاق الرذيلة، قال الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ﴾ من هذا الخليفة ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ لأن كلامكم بحسب ما ظننتم، وأنا عالم بالظواهر والسرائر، وأعلم أن الخير الحاصل بخلق هذا الخليفة أضعاف أضعاف ما في ضمن ذلك من الشر، فلو لم يكن في ذلك إلا أن الله تعالى أراد أن يجتبي منهم الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين؛ لتظهر آياته لخلقه، ويحصل من العبوديات التي لم تكن تحصل بدون خلق هذا الخليفة كالجهاد وغيره، وليظهر ما كمُن في غرائز بني آدم من الخير والشر بالامتحان، وليتبين عدوه من وليِّه، وحزبه من حربه، وليظهر ما كُمن في نفس إبليس من الشر الذي انطوى عليه واتصف به، فهذه حِكم عظيمة يكفي بعضها في ذلك)[1].

ثم جاءت بعد ذلك قصة أمر الله تعالى للملائكة بالسجود وإباء إبليس واستكباره واستنكافه، ثم بعد ذلك إغواؤه لآدم وزوجه بتزيين معصية الله تعالى بالأكل من الشجرة، فأخرجهما الله تعالى من الجنة عقابا لهما، وأهبط الجميع إلى الأرض: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾[2].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٤٩.

(٢) البقرة: ٣٦.

وبعد الهبوط إلى الأرض بدأت معركة الخير مع الشر، وبدأ الصراع بين الحق والباطل، وظهرت بعد ذلك أول جريمة قتل عندما قتل أحد ابني آدم أخاه، وظهرت عبودية الابن المقتول عندما قال لأخيه: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾[١].

ثم تدرج الفساد والانحراف على الأرض إلى أن وصل ذروته بالشرك وعبادة الأصنام الذي هو أكبر شر وجد على الأرض، وكان ذلك بعد القرون العشرة الأولى من بعد آدم عليه السلام، والتي كانت على التوحيد، وقد وقع فيه بنو آدم بسبب إغواء إبليس وجنده لهم، فأرسل الله تعالى أول رسل الخير والدعاة إلى الحق على الأرض نوحا عليه السلام، لدعوة الناس إلى الفطرة الكامنة في نفوسهم وهى التوحيد[٢].

واقتضت حكمة الله تعالى أن يكون هذا الصراع بين الخير والشر سنّة لهذا الكون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٖ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورٗا .. ﴾ الآية[٣].

ثم ظهرت عبوديات لم تكن موجودة في الملأ الأعلى مثل الجهاد في سبيل الله، وظهرت بعض آثار أسماء الله - تعالى - الحسنى التى لا تحصى - تعالى - وصفاته العلا، في هذا الكون واقعًا مشهودًا أمام خلقه سبحانه وبحمده، ليكون له تعالى الحمد والثناء والكبرياء في السماء وفي الأرض، وليعلم الخلق عظمة من يعبدون فيزدادون تأليها له تعالى بغاية الحب وغاية الذل له تعالى، إلى غير ذلك من الحكم العظيمة الجليلة التي لا يعلمها إلا هو تعالى.

---

(١) المائدة: ٢٨.

(٢) أنظر جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ٢/ ٣٤٧.

(٣) الأنعام: ١١٢.

والسلام خير ولاشك، لما فيه من معاني جميلة وعلاقات حميمة نبيلة بين الأمم والأفراد، فبالسلام يعيش الإنسان في أمان ورغد وهناء، وبالسلام يحصل تكامل الأسر وتتقدم المجتمعات، وبالسلام تصرف مقدرات الأمم وطاقاتها لعمارة الأرض واستخراج كنوزها للقيام بمهمة الاستخلاف البشري كما أراد الله تعالى، إلى غير ذلك من الفوائد الهائلة الحاصلة من وجود السلام على الأرض والبعد عن الفتن والحروب والملاحم، ولكنها سنة الله التي تأبى أن تكون دعوى دعاة الخير خالية من الابتلاء والتمحيص ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ...﴾ الآية[(١)].

والحرب شر ولا شك، ولكنها ليست شرا محضا من كل وجه، لأن الله تعالى لا يخلق شرا محضا ليس فيه خير بوجه من الوجوه، أو لا يؤدي هذا الشر إلى خير أحب الله من وجود الشر ذاته؛ يمثل ذلك الحروب التي وإن كانت في ظاهرها قتل وهلاك ودمار ودماء وإفساد للأموال وذخائر الأمم، إلا أنها قد تكون وسيلةً لسلام أكبر، وأمان أعمّ، لو كانت في سبيل الله تعالى، ومن أجل أن يعبد الله كما أراد سبحانه وبحمده، وأن يُحكَّم شرعه في كونه عز وجل، وعلى أرضه تعالى، وبهذا المفهوم يتحول معنى الحرب من وسيلة للقتل والنهب إلى معنى آخر هو في قمة السمو الأخلاقي الديني الذي سماه الله تعالى الجهاد في سبيل الله، فهو سبحانه قدَّر وجود الشر والأشرار الذين يدعون إليه، ومن أبشع صور الشر قتل الأنفس وإزهاق الأرواح بغير حق والتي تتمثل في الحروب الظالمة القائمة على مجرد حب الملك والاستبداد وقهر الأمم، فكان وجود الشر والأشرار يؤدي إلى عبادة أحب إلى الله وهى عبادة الجهاد في سبيله تعالى، وأصبحت الحرب بهذا المعنى سلام في حقيقة الأمر، فدفع الظلم والظالمين خير وسلام ولاشك، وإبعاد الطغاة والظلمة المستعبدين للأمم والمانعين تطبيق حكم الله في أرض الله خير وسلام ولاشك.

وهذا فارق منهجي بين المسلمين وبين كل من أهل الكتاب، أما نسبة وجود الخير إلى الله فلا إشكال فيها عند الجميع، وأما نسبة الشر إلى الله تعالى فهو محور وموطن النزاع.

(١) آل عمران: ١٧٩.

فاليهود – في مجملهم – يعتقدون أن الله تعالى هو خالق للخير والشر معًا، وأنه ليس هناك شر مطلق؛ إذ الشر أحيانًا داعم للخير بل وجزء منه، ويقولون: كما أنه لا بد من وجود الظلام لظهور النور فكذلك لا بد من وجود الشر لتبين حقيقة الخير، وبوجود الأشرار تعرف حقيقة الأخيار(١).

فهم يقررون إرادة الله تعالى للشر مطلقا، ومن ذلك ما جاء في العهد القديم أن الرب أعلن بأنه سيجلب الشر لبني إسرائيل عقابا لهم على معصيته، وعدم اتباع أوامره، فقال: (اسْمَعِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ: هَئَنَذَا جَالِبٌ شَرًّا عَلَى هَذَا الشَّعْبِ ثَمَرَ أَفْكَارِهِمْ لأَنَّهُمْ لَمْ يَصْغُوا لِكَلامِي، وَشَرِيعَتِي رَفَضُوهَا.)(٢)، ولكنهم لا ينزهونه تعالى عن نسبة النقائص إليه، فهم أهل تشبيه، وتجسيم يشبهون الخالق بالمخلوق فالله تعالى في عقيدتهم رجل يحارب من أجل شعبه الذي اختاره كما جاء في العهد القديم: (فاعلموا اليوم أن الرب إلهكم يتقدمكم كنار آكلة، وهو الذي يستأصلهم ويذلهم أمامكم، فتطردوهم وتبيدونهم سريعا كما كلمكم الرب)(٣)، بل يطلقون على الله اسم المحارب فيزعمون أن نبي الله موسى عليه السلام قال في العهد القديم: (الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي، هذا هو إلهي فأسبحه، وإله أبي فأعظمه، الرب محارِبٌ، الرب اسمه)(٤)، إلى غير ذلك من النقائص التي ينسبونها لله تعالى مما هو معروف عنهم، تعالى الله عما يقول الكافرون علوا كبيرا(٥).

---

(١) انظر اليهود الحسيديم، د. جعفر هادي حسن، ٦٣.

(٢) سفر إرميا، ١٩: ٦.

(٣) سفر التثنية، ٩: ٣.

(٤) سفر الخروج، ١٥: ٢.

(٥) انظر على سبيل المثال: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. المسيري، ٥/ ٦٥. الأسفار المقدسة، د. علي وافي، ٢٦٩. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ٣ /١٨. العنصرية اليهودية، د. أحمد الزغيبي، ٢/ ١٤٩. اليهودية، د. أحمد شلبي، ١٨٦. اليهودية في أسفارها المقدسة، د. إبراهيم محمد إبراهيم، ١٦٣.

وأما النصارى – في مجملهم – فلا يقرون بإرادة الله تعالى للشر ويحصرون إرادته تعالى في الخير فقط، واضطربوا فيمن أوجد الشر في الكون فتارة جعلوا نفس الإنسان هي الجالبة للشر، وتارة جعلوا الشيطان هو من جلب النزعة الشريرة في الإنسان، وتارة جعلوا الملائكة الذين سقطوا[1] هم الذين جلبوا النزعة الشريرة في الإنسان.

جاء في رسالة يعقوب من العهد الجديد: (لا يقل أحد إذا جُرب إني أُجرب من قبل الله. لأن الله غير مُجرِّب بالشرور وهو لا يُجرِّب أحدا. ولكن كل واحد يُجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته، ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتا)[2].

يقول وليم باركلي عند تفسيره لهذا النص: (توحي هذه الفقرة بوجود اعتقاد يهودي معين، وهو اعتقاد سائد حتى إننا نادي به أحيانا. إن يعقوب هنا يوبِّخ الشخص الذي يلقي اللوم على الله عندما يجرب. فقد كانت الحرب التي تستعر داخل كل إنسان كثيرا ما تشغل بال الفكر اليهودي. وقد شغلت فكر بولس أيضا حين قال: (فإني أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن، ولكني أرى ناموسا آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني

=

الأسفار المقدسة، د. صابر طعيمة، ١٠. الكنز المرصود في فضائح التلمود، د. محمد الشرقاوي، ١٦٧. الكنز المرصود في قواعد التلمود، د. أحمد حجازي السقا،١١٧. العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، د. سعد الدين صالح ٣١٤. وغير ذلك الكثير.

(١) يعتقد النصارى أن الشيطان جر معه في عصيانه غيره من الملائكة، وأنه قد حدثت حرب في السماء بين ملائكة الخير بقيادة ميخائيل وملائكة الشر بقيادة التنين–الشيطان– وانتهت بانتصار ملائكة الخير وطرح ملائكة الشر على الأرض وإسقاطهم عليها، وهم يستدلون بنص في العهد الجديد (ونشبت حرب في السماء، إذ هاجم ميخائيل وملائكته التنين وملائكته، لكنهم انهزموا ولم يبق لهم مكان في السماء إذ طرحوا إلى الأرض) سفر الرؤيا ١٢: ٧–٨–٩ ترجمة التفسير التطبيقي للكتاب المقدس. وفي ترجمة دار الكتاب المقدس (فطرح التنتين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان، والذي يضل العالم كله، وطرح إلى الأرض وطرحت معه ملائكته). انظر أيضا قاموس الكتاب المقدس، مادة "ملاك" ٩٢١.

(٢) رسالة يعقوب، ١٣: ١–١٥.

ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي)[1]. فكل إنسان إذن يحمل نفسا تدور فيها غمار حرب أهلية تشد الإنسان في اتجاهين متضادين، وقد حاول اليهود تفسير التجربة فتوصلوا إلى التعليم الذي ينادي بأنه توجد داخل كل إنسان رغبتان أو طبيعتان، فهناك ما أسموه باسم "Yester Hatob" أي الرغبة الصالحة، وهناك "Yester Hara" أي الرغبة الشريرة، ولكن هذا لا يحل المشكلة، بل يشرحها فقط، لأن ذلك لا يبين من أين جاءت الرغبة الشريرة، لذا فقد حاول الفكر اليهودي أن يعرف من أين جاءت الرغبة الشريرة هذه)[2].

ويظهر مما سبق أن وليم باركلي يريد أن يثبت وجود الشر من ناحية، و أن ينفي أن يكون الله تعالى هو الذي جاء بالنزعة الشريرة في الإنسان من ناحية أخرى، ولذلك استطرد ليؤكد هذا المفهوم واستشهد بنص من التوراة الخفية قائلا: "لقد أظهر كاتب "حكمة يشوع"[3] مقدار الدمار الذي تحدثه تلك الرغبة الشريرة حين قال: (يا أيتها المجاسرة الخبيثة من أين خلقت لتغطي اليابسة بالمكر؟)[4]. وهو يعتقد أن النزعة الشريرة قد أتت من الشيطان، وأن الإنسان يحارب ضدها بإرادته: (الله منذ البدء صنع إنسانا وتركه بيد من حاول أن يجعله فريسة، ولكنه تركه أيضا بيد مشورته، إن أردت أن تحفظ

(١) سفر رومية ٧: ٢٢- ٢٣.

(٢) تفسير العهد الجديد، وليم باركلي، رسائل يعقوب وبطرس، ٧٣-٧٤.

(٣) هو سفر يسوع بن سيراخ أحد أسفار الأبوكريفا وهي كلمة يونانية تعني "الخفي" أو "غير الموثوق" أو "غير المعترف به"، ومصطلح "أبوكريفا" يشير إلى النصوص المقدسة غير القانونية التي لم يعترف بها اليهود ضمن أسفار العهد القديم، (موسوعة اليهودية د. المسيري ٥/ ١٠٥.

ويستدل بحكمة يشوع على الآراء اللاهوتية والآداب التي كانت شائعة بين اليهود في العصر الذي ألف فيه وهو ما بين سنة ١٩٠-١٧٠ ق.م، انظر (قاموس الكتاب المقدس، مادة "سفر يشوع ابن سيراخ"، ١٠٧١).

(٤) سفر حكمة يشوع (٣٧: ٣).

الوصايا فاحفظ مرضاة الأمانة)[١]، فبناء على ذلك يكون الشيطان هو الذي زرع النزعة الشريرة في الإنسان، وأن الإنسان يستطيع أن يتغلب عليها بإرادته"[٢].

وهذا الذي استشهد به ليس فقط منافيا للحقيقة، بل فيه مغالطة من حيث النتيجة، فكيف يقرر أن الله تعالى هو الذي صنع الإنسان ثم تركه بيد من حاول أن يجعله فريسة ثم تركه أيضا بيد مشورته، ثم بعد ذلك يكون الشيطان هو الذي زرع النزعة الشريرة في الإنسان؟!! وأيضا يؤدي هذا القول إلى لازم فاسد؛ وهو أن الله تعالى يظلم عباده بأن يتركهم بيد الشيطان ليزرع فيهم الشر!!

والحق أن الله تعالى خالق للشر وللخير، وخالق للشيطان، وخالق للإنسان، وهداه النجدين، وجعل له إرادة يختار بها ما يريد من خير أو شر، وأن الشيطان وإن كان أصل مادة الشر فإنه مخلوق من المخلوقات، وسيأتي مزيد إيضاح لهذه المسألة قريبا.

ثم حاول باركلي تخطئة اليهود في نسبتهم الخير والشر إلى الله تعالى فيقول: (إن بعض الكتاب اليهود يرجعون تلك الرغبة الشريرة إلى زمن جنة عدن ففي إحدى كتب (الأبوكريفا)[٣]، وهو كتاب "حياة آدم وحواء" نجد القصة كاملة.

تقول القصة إن الشيطان قد اتخذ صورة ملاك، وتكلم في الحية واضعا في حواء الرغبة للأكل من الفاكهة المحرمة، وجعلها تقسم أن تعطيها لآدم كذلك، وقالت حواء:

(١) سفر حكمة يشوع (١٥: ١٤و١٥).

(٢) تفسير العهد الجديد، وليم باركلي، رسائل يعقوب وبطرس، (٧٣-٧٤).

(٣) الأبوكريفا: كلمة يونانية تعني "مخفي" أو "مخبأ" أو "سري"، وقد وردت في سفر دانيال في الترجمة السبعينية "وهي ترجمة يونانية للعهد القديم" للتعبير عن الكنوز المخفية، وقد كان هناك نوعان من المعرفة الدينية عند اليونان في ذلك الحين، النوع الأول كان يشمل عقائد وطقوسا عامة يمكن لجميع طبقات البشر معرفتها وممارستها، أما النوع الثاني فقد كان يشمل حقائق عميقة غامضة لا يمكن أن يفهمها أو يدرك كنهها إلا قلة من الخاصة ولذلك بقيت "مخفية" أو "أبوكريفية" عن العامة. قاموس الكتاب المقدس، مادة "أبوكريفا"، ١٨.

"وعندما جعلني أقسم بذلك، تركني وصعد إلى الشجرة، ولكنه وضع في الفاكهة التي أعطاها لي سم الشر أو شهوته، لأن الشهوة هي بداية الطريق إلى الخطية، ثم نزل من على الشجرة إلى الأرض، فأخذت الفاكهة منه وأكلتها". نرى من ذلك أن الشيطان نفسه هو الذي نجح في أن يزرع الميل الشرير في الإنسان، وذلك الميل هو شهوة الجسد، وتنتهي القصة بأن مصدر كل خطية يرجع في الواقع إلى تلك الشهوة التي دسها الشيطان في الفاكهة التي أكلتها حواء.

ثم يستطرد باركلي قائلا: وفي كتاب "أخنوخ"[1] نجد نظريتين:

النظرية الأولى: تنسب الخطية إلى الملائكة الذين سقطوا[2] "إصحاح ٨٥". **والنظرية الثانية**: تعتبر مسؤولية وجود الخطية والنزعة الشريرة على الإنسان نفسه "إن الخطية لم ترسل إلى الأرض، ولكن الإنسان نفسه هو الذي أوجدها (٩٨: ٤) ولكن هاتين النظريتين لا تحلان المشكلة، بل إنهما يزيدانها تعقيدا، فمن أين جاءت النزعة الشريرة في النهاية؟ قد يكون الشيطان هو الذي وضع تلك النزعة في الإنسان، وقد يكون الملائكة الساقطون هم الذين وضعوها، وقد يكون الإنسان هو الذي أوجدها ولكن من أين جاءت في النهاية؟! وللإجابة عن هذا السؤال انزلق معلمو اليهود إلى منزلق خطر، فقالوا: حيث إن الله خلق كل شيء فلا بد أنه خلق النزعة الشريرة أيضا!!! قال معلمو اليهود: إن الله قد أحزنه أنه خلق الميل الشرير في الإنسان، لأنه لو لم يعمل ذلك لما عصى الإنسان خالقه، ولكن الله يقول: "كما خلقت الميل الشرير، أوجدت كذلك الناموس

(١) كتاب أخنوخ سفر من الأسفار غير القانونية، ويسمى أيضا "نسخة أخنوخ الأثيوبية" أو "الحبشية" ويسمى أيضا أخنوخ الأول، وينسب خطأ إلى أخنوخ المذكور في سفر التكوين ٥: ٢٣-٢٤ والكتاب مليء بأخبار الرؤى عن المسيا المنتظر، ويسميه مسيح الله هذا بالإضافة لأخبار الدينونة الأخيرة وملكوت المجد عند النصارى، انظر قاموس الكتاب المقدس مادة "كتاب أخنوخ"، ٣٢.

(٢) مرت ترجمة الملائكة الذين سقطوا، ص ٣٢.

لشفاء الإنسان، فلو اتبع الإنسان الناموس، لما سقط في الشر، إن الله قد خلق الميل للصلاح عن يمين الإنسان، والميل للشر عن يساره". ويبدو خطر هذا الرأي في أنه يعني أن الإنسان يمكنه أن يلوم الله، كلما وقع – أي الإنسان – في الخطية، أو قد يقول كما قال بولس: "لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فيّ " (رومية ٧: ١٥-٢٤) فمن أغرب التعاليم أن يقال إن الله هو المسؤول الأول عن وجود الخطية"[(١)].

لقد حاول باركلي أن يثبت عدم خلق الله تعالى للشر محاولا تنزيهه لكنه وقع في شرٍّ مما فرَّ منه وهو أنه يلزم من قوله إثبات خالق آخر مع الله تعالى قد خلق الشر، ويبدو أنه انساق مع طبيعة العقيدة النصرانية العاطفية دون أن يمعن النظر أن تقريره هذا يؤدي لهذه النتيجة الخطيرة، والحق وسط بين غلوِّ اليهود الذين لم ينزهوا الله تعالى ووصفوه بالشرور والنقائص، فلم ينفعهم إثبات خلق الله تعالى للشر فسموا الله "الرب محارِب" تعالى الله عما يقولون، وبين تفريط النصارى بعدم نسبة خلق الشر إلى الله تعالى مطلقا، فأدى إلى لازم خطير وهو إثبات شركاء مع الله عز وجل، وسموا الله "إله السلام"، وناقضوا أفعالهم، ومنَّ الله تعالى على المسلمين بالوسط فكانت أسعد الأمم بالحق الذي هداها الله إليه، فأثبتوا خلق الله تعالى للخير والشر ونزهوه تعالى عن نسبة النقائص إليه.

ولجمع شتات هذه المسألة لا بد من التفصيل في إرادة الله تعالى، فهي إرادتان:

الأولى كونية: تشمل جميع ما يقع في الكون من خير وشر.

والثانية شرعية: وتشمل كل ما يحبه الله تعالى، وهى متعلقة بالخير فقط، ومنها قول الرسول ﷺ: (والخير كله بيديك، والشر ليس إليك)[(٢)].

وقد شرح علماء أهل السنة والجماعة مفهوم الإرادتين بما يغني عن التفصيل فيهما في مثل هذا الكتاب، وزبدة القول أن كل شر خلقه الله تعالى في الوجود مراد إرادة الوسائل

(١) تفسير العهد الجديد، وليم باركلي، رسائل يعقوب وبطرس، ٧٣-٧٤.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم ٧٧١.

وليس إرادة المقاصد، فإن كثيرا من الخير يتطلب وجوده وجود مادة الشر لكي يتحقق؛ فالشر هنا باعتبار ذاته مبغوضا ولا يحبه الله تعالى؛ وباعتبار الأثر المترتب عليه من وجود الشر مرغوبا فيه ومراد له تعالى؛ فلا مانع من اجتماع الإرادة والكراهة في شيء واحد باعتبارين مختلفين؛ فالشر من حيث ذاته مكروه ومن حيث آثاره مطلوب ومراد(1).

وقد أوضح العلامة ابن أبي العز الحنفي رحمه الله هذه المسألة وضوحا شافيا كافيا وهو يعالج ويشرح حكمة الله تعالى في خلق إبليس الذي هو أصل مادة الشر فقال: "فهو سبحانه يكره الشيء ولا ينافي ذلك إرادته لأجل شيء غيره، وكونه سببا إلى أمر هو أحب إليه من فوته، ومن ذلك أنه خلق إبليس، الذي هو مادة لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات، وهو سبب لشقاوة كثير من العباد، وعملهم بما يغضب الرب سبحانه تبارك وتعالى، وهو الساعي في وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه، ومع هذا فهو وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه، ووجودها أحب إليه من عدمها، **منها**: أن يظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق هذه الذات التي هي أخبث الذوات وشرها، في مقابلة ذات جبرائيل التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها، وهي مادة كل خير فتبارك خالق هذا وهذا. كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار، والدواء والداء، والحياة والموت، والحسن والقبيح، والخير والشر، وذلك أدل دليل على كمال قدرته وعزته وملكه وسلطانه، فإنه خلق هذه المتضادات وقابلها بعضها ببعض، وجعلها محال تصرفه وتدبيره، فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبير ملكه.

ومنها: ظهور آثار أسمائه القهرية مثل: القهار والمنتقم والعدل والضار، والشديد العقاب، والسريع العقاب، وذي البطش الشديد، والخافض والمذل، فإن هذه الأسماء

---

(1) فتاوى ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم، ٨/١٠٨ -٣١٩، شفاء العليل، ابن القيم، ٤٧، شرح العقيدة الطحاوية، ١٣٣ -٣٢٧-٣٣٠-٥١٥-٥١٧.

والأفعال كمال لا بد من وجود متعلقها ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء.

ومنها: ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه وعتقه لمن شاء من عبيده، فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا بقوله: (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون، فيغفر لهم)[١].

ومنها: ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة، فإنه الحكيم الخبير الذي يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه، ولا ينزله غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته وأعلم بمن يصلح لقبولها ويشكره على انتهائها إليه، وأعلم بمن لا يصلح لذلك، فلو قدر عدم الأسباب المكروهة لتعطلت حكم كثيرة، ولفاتت مصالح عديدة، ولو عطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب، وهذا كالشمس والمطر والرياح التي فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر.

ومنها: حصول العبودية إليه سبحانه، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة لله سبحانه وتعالى والمعاداة فيه وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبودية الصبر ومخالفة الهوى وإيثار محاب الله تعالى، وعبودية التوبة والاستغفار، وعبودية الاستعاذة بالله أن يجيره من عدوه ويعصمه من كيده وأذاه، إلى غير ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن إدراكها"[٢].

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم ٢٧٤٩.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، بتصرف يسير ٣٢٩.

ويتضح مما سبق ذكره أن هناك خلافا جذريا في مفهوم الحرب والسلام بين المسلمين وأهل الكتاب، ومنشأ هذا الخلاف حاصل من عقيدة كل طرف في نسبة الشر إلى الله تعالى، فغلوُّ اليهود أثَّر تأثيرا كبيرا في نظرتهم للأمم الأخرى، وهو يفسر العنصرية اليهودية التي تبيح لهم تدمير وقتل الأمميين، وتفريط النصارى جعلهم ينزلقون في المزلق الخطير وهو إثبات شركاء مع الله، لأنه لازم لا ينفك عن قولهم، وبالتالي فقد أنكروا أن يكون الله تعالى قد أمر بالحرب لأنه "إله سلام"، وتاهوا في تفسير حروبهم الصليبية المقدسة كما سيأتي معنا.

واتضح أيضا بهذا البيان نصاعة عقيدة المسلمين حيث فسرت السنن الكونية التي أراد الله تعالى أن توجد تفسيرا يليق بجلال الله تعالى وبكماله، فظهر مفهوم الحرب بمفهوم أسمى من المعنى الذي انقدح في ذهن أهل الكتاب، وهو الجهاد في سبيل الله تعالى، وأن الحرب بهذه العقيدة إنما هي سلام في حقيقة الأمر، بل وسيتضح قريبا أيضا أن الله تعالى قد فرض على أهل الكتاب الجهاد أيضا عند تفسيرنا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ .. ﴾(1).

ويبدو أن التحريف الذي شوَّه عقيدة أهل الكتاب هو الذي شوَّه مفهوم الجهاد في سبيل الله تعالى من جملة ماشوَّه من عقائدهم.

* * *

(1) التوبة: ١١١.

الفصل الثاني

سنة الله في الدفع بين الناس وحكمتها

الفصل الثاني

سنة الله في الدفع بين الناس وحكمتها

بعد ما سبق بيانه من تقرير لإرادة الله تعالى لما يجري في الكون من خير وشر؛ فإنه يجب أن يعلم أنه تعالى قد جعل لهذا الكون ناموسا وسنّة يسير عليها إلى أن يرث الأرض ومن عليها.

وهذه السنة الكونية تشمل جميع المخلوقات والكائنات، فكل شيء خلقه الله تعالى من جماد ونبات وماء وحيوان له سنّة مخصوصة به لا تتعداه إلى غيره، ونهاية هذه السنّة تكون بعد أن يأتي الوقت المعلوم والأجل المقسوم لكل من في السماوات والأرض وهو يوم القيامة.

ففي حق الجمادات من السماوات والأرض والجبال والشمس والقمر وغيرها نرى أن كل منها يجري ويسير وفق ناموس معين لا يخطئ ولا يتغير - إلا أن يشاء الله - حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فالأرض الميتة ينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتحيا ويخرج منها الحب والرزق ليأكل منه الناس، يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[1]. ويقول تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[2].

فإنزال الماء من السماء سنّة إلهية وهو ينزل منها وفق ناموس محدد يعرفه علماء الطبيعة، وإحياء الأرض بهذا الماء المنزل وخروج الرزق منها سنّة إلهية، لها ناموس محدد وسنّة

(١) فصّلت: ٣٩.

(٢) يس: ٣٣-٣٥.

محددة يعرفها علماء الطبيعة.

ومن سنن السماوات والأرض أنه تعالى قد أمسكهما من الزوال والذهاب إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾[1].

ومن هذه السنن أنه تعالى رفع السماء بغير عمد، وأن الشمس والقمر يجريان ويدوران لأجل مسمى قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾[2].

إلى غير ذلك من السنن، إذ ليس المقصود هنا هو إحصاء السنن الكونية بل مجرد الإشارة إلى ذلك، ويكفي أن نعلم أن الله تعالى هو الذي أمر بالنظر في هذا الكون الفسيح وفي آيته فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[3].

وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾[4].

ولقد نظر الإنسان منذ أن أنزله إلى هذه الأرض في هذا الكون الفسيح، وعرف كثيرا من سنن الله تعالى فيه، وتكيّفت حياته وعيشه بمقتضاها، ولا يزال علماء الطبيعة وعلماء الأحياء وعلماء البحار والفلك والطب وسائر أصناف العلوم يتعرفون يوما بعد يوم على هذه السنن؛ ليتحقق معنى قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ

(١) فاطر: ٤١.

(٢) الرعد: ٢.

(٣) يونس: ١٠١.

(٤) العنكبوت: ٢٠.

لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[١].

والله تعالى لم يشرع هذه السنن عبثا؛ بل لتظهر عبوديات لم تكن لتكون لولا وجود هذه السنن كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾[٢].

فأدى خلق السماوات والأرض إلى ظهور أصناف من مخلوقات الله تعالى لم تكن في الملأ الأعلى، وظهرت عبوديات يستحقها تعالى لم تكن موجودة في الملأ الأعلى.

والإنسان مخلوق من مخلوقات الله تعالى، أهبطه تعالى على الأرض، وفضله وكرمه على كثير من مخلوقاته، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[٣].

ولقد سنّ الله تعالى لبني آدم سنة كونية لا تتبدل ولا تتغير إلى قيام الساعة، وهي سنّة المدافعة، فاقتضت حكمته تعالى أن يتدافع دعاة الخير والحق مع دعاة الشر والباطل؛ لتتحقق الإرادة الإلهية، وتظهر العبوديات المختلفة من هذا المخلوق المفضل على كثير من الخلق.

ولقد مرت سنة الله تعالى في التدافع بين الناس بمرحلتين كما ظهر لي من أقوال أهل العلم - والله أعلم بالصواب -:

---

(١) فصلت: ٥٣.

(٢) الحج: ١٨.

(٣) الإسراء: ٧٠.

المرحلة الأولى:

كانت من بداية خلق الدنيا حتى أمر الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة، ومحاربة الجبارين الذين كانوا يعيشون فيها، ومنعوا رسول الله موسى وقومه من دخولها.

يقول الإمام القرطبي رحمه الله: "وأن الجهاد ومقاومة الأعداء أصله من عهد موسى عليه السلام"[(١)].

ويقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: "فإن من قبل موسى من الأنبياء لم يكونوا يقاتلون، وموسى وأنبياء بنى إسرائيل لم يقتلوا في الغزو، بل ولا يعرف نبي قتل في جهاد".[(٢)] -وسيأتي سبب قول الإمامين هذا قريبا-.

وكانت سنة الله تعالى في هذه المرحلة هي أن يستأصل الكافرين ويعذبهم بعذاب من عنده، كما قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[(٣)].

المرحلة الثانية:

من بعد أن أمر الله موسى عليه السلام بقتال القوم الجبارين، عندما قال موسى لبني إسرائيل: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٨/ ١٨٨).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم، ١/ ٥٩.

(٣) العنكبوت: ٤٠.

يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ (٢٥)﴾[١].

وبعد أن أمر الله تعالى نبيه موسى بالقتال أصبح القتال سنة ماضية من بعده في بني إسرائيل، حتى أرسل محمد ﷺ، فكانت هذه سنة الله في شريعته وأمته من بعده، ﷺ.

ولقد بين تعالى في آيتين كريمتين سبب هذه السنّة العظيمة فقال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)﴾[٣].

فبين تعالى في الآية الأولى سبب سنة تدافع الناس في الأرض وهي أنها لو فقدت لأدى ذلك إلى فساد الأرض، قال ذلك الله تعالى وهو يخبر عن قصة جهاد نبي الله داود عليه السلام وطالوت ملك بني إسرائيل المؤمن الصالح مع جالوت عدو الله الظالم الكافر.

فدل ذلك على أن المقصود بدفع الناس بعضهم ببعض هو الجهاد في سبيل الله، كما قرر ذلك جمع من أهل العلم، فيكون معنى الآية كما يقول العلامة ابن سعدي رحمه الله: (لولا أنه يدفع بمن يقاتل في سبيله كيد الفجار وتكالب الكفار لفسدت الأرض باستيلاء الكفار عليها وإقامتهم شعائر الكفر ومنعهم من عبادة الله تعالى وإظهار دينه، ولكن الله ذو فضل على العالمين حيث شرع لهم الجهاد الذي فيه سعادتهم والمدافعة عنهم ومكنهم من الأرض بأسباب يعلمونها وأسباب لا يعلمونها...)[٤].

---

(١) المائدة: ٢١- ٢٥.

(٢) البقرة: ٢٥١.

(٣) الحج: ٤٠.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١٠٩.

ونجد أن الآية الثانية قد جاءت في سياق الإذن للمؤمنين بالقتال في سبيل الله فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾[1]. ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ...﴾.

فيكون معنى الآية كما يقول الإمام القرطبي رحمه الله:(وَلَوْلا دَفْعُ اللهَّ النَّاسَ" الْآيَةَ، أَيْ لَوْلَا الْقِتَالُ وَالْجِهَادُ لَتَغَلَّبَ عَلَى الْحَقِّ فِي كُلِّ أُمَّةٍ. فَمَنِ اسْتَبْشَعَ مِنَ النَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ الْجِهَادَ فَهُوَ مُنَاقِضٌ لِمَذْهَبِهِ، إِذْ لَوْلَا الْقِتَالُ لَمَا بَقِيَ الدِّينُ الَّذِي يُذَبُّ عَنْهُ...أَيْ لَوْلَا هَذَا الدَّفْعُ لَهُدِّمَ فِي زَمَنِ مُوسَى الْكَنَائِسُ، وَفِي زَمَنِ عِيسَى الصَّوَامِعُ وَالْبِيَعُ، وَفِي زَمَنِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَسَاجِدُ)[2].

والقول بأن معنى الدفع في الآيتين هو الجهاد والقتال قال به ابن عباس فيما حكاه عنه الأئمة السمعاني[3] والبغوي[4] والقرطبي[5]، ونسب الإمام البغوي هذا القول أيضا لمجاهد رحمه الله.

وقد فُسر الدفع في الآيتين بمعانٍ أخرى غير معنى الجهاد والقتال، وحاصل هذه الأقوال يعود إلى سبعة أقوال[6]:

القول الأول: أن معنى الدفع هو أن الله يدفع ببعض الناس وهم أهل الطاعة له والإيمان به بعضا وهم أهل المعصية والشرك.

---

(١) الحج: ٣٩- ٤٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ٦/ ٦٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ١/ ٢٥٤.

(٤) معالم التنزيل، ١/ ٣٠٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ٢٣٧.

(٦) أعرضت عن ذكر بعض الأقوال الشاذة لضعفها.

وهو قول علي رضي الله عنه ومجاهد والربيع ونقل الأئمة ابن جرير[١] والبغوي[٢] والقرطبي[٣] أنه قول عامة المفسرين.

القول الثاني: أن ا لدفع بما شرع على ألسنة الرسل من الشرائع، ولولا ذلك لتسالب الناس وتناهبوا وهلكوا، وقال عنه الإمام القرطبي: "وهذا قول حسن؛ فإنه عموم في الكف والدفع وغير ذلك فتأمله"[٤].

القول الثالث: نقله الإمام القرطبي عن سفيان الثوري رحمه الله: أن الدافعين هم الشهود الذين تستخرج بهم الحقوق[٥].

القول الرابع: نقله الإمام القرطبي عن قتادة رحمه الله أن معنى الدفع: يبتلي الله المؤمن بالكافر ويعافي الكافر بالمؤمن[٦].

القول الخامس: نقله الإمام الطبري: ولولا دفاع الله بأصحاب محمد ﷺ عن التابعين (لهدمت صوامع وبيع)[٧].

القول السادس: نقله الإمام القرطبي[٨]أن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: (إن الله ليدفع بالمؤمن الصالح عن مائة من أهل بيته وجيرانه البلاء)[٩].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٩/ ١٦٣.

(٢) معالم التنزيل، ١/ ٣٠٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ٢٣٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ٩/ ١٦٣.

(٨) المصدر السابق.

(٩) إسناده ضعيف جدا.لوجود يحى بن سعيد ابن العطار الحمصي قال عنه ابن كثير ضعيف جدا.

القول السابع: أن الناس المدفوع بهم الفساد هم الأبدال، وهم أربعون رجلا كلما مات رجل واحد بدّل الله آخر، فإذا كان عند القيامة ماتوا كلهم، اثنان وعشرون منهم بالشام وثمانية عشرة بالعراق، وقد ذكر هذا القول الإمامان القرطبي[1] وابن كثير[2] في تفسيرهما، وأورد الأمام القرطبي حديثا مرويا عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الأبدال يكونون بالشام، وهم أربعون رجلا، كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلا، يسقي بهم الغيث، وينصر بهم الأعداء، ويصرف بهم عن أهل الأرض البلاء)[3].

وأورد الإمام ابن كثير حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الأبدال في أمتي ثلاثون؛ بهم ترزقون، وبهم تمطرون، وبهم تنصرون) أخرجه ابن مردويه[4].

ويظهر مما سبق أن جميع الأقوال عدا القولين الأخيرين يدخل فيها المعنى المختار – جهاد وقتال المؤمنين للكافرين – إما بالتضمن أو بالالتزام.

ففي القول الأول: يمكن القول أن دفع أهل طاعة الله للمشركين يأخذ أوضاعا متعددة؛ تبدأ من دعوتهم إلى الإسلام سِلْمًا وتنتهي إلى حربهم وجهادهم إذا لم يدفعوا

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ٢٣٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ١/ ٣١١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ٢٣٧، وإسناده ضعيف في رفعه للنبي صلى الله عليه وسلم، وثابت بسند صحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أخرجه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٧٧٩) وهو كما قالا. وانظر المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٣/ ٢١٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.١. وانظر تفصيل قول الإمام ابن تيمية في هذه المسألة في جامع المسائل لابن تيمية ، ٢/ ٢٧،تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف الشيخ : بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط.١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ١/ ٣١١، وإسناده ضعيف.

الجزية إن لم يكونوا أهل كتاب أو من له شبهة أهل كتاب.

وأما القول الثاني: فلا شك أن شريعة الرسل صلوات ربي وسلامه عليهم هي التي تأمر المسلمين بالجهاد في سبيل الله كوسيلة أخيرة لدعوة الأمم إلى دين الإسلام، ولهذا استحسن الإمام القرطبي هذا القول-والله أعلم-.

وأما القول الثالث: فيقين أن المجاهدين في سبيل الله شاهدون على أمم الكفر الذين يجاهدونهم ليقيموا عليهم الحجة يوم القيامة.

وكذلك القول الرابع: فإن الجهاد في سبيل الله نوع من أنواع الابتلاء للمؤمن ونوع من المعافاة للكافر إن دخل في الإسلام بعد القتال.

وكذلك القول الخامس: فإن الجهاد والقتال كان من أبرز ما دفع به الصحابة رضوان الله عليهم الكفار.

وأما القول السادس فهو قول ضعيف لا تقوم به حجة، وحتى على فرض صحته يمكن تخريجه بأن المجاهد في سبيل الله يذب عن الدين وعن دماء وأموال وأعراض المسلمين عامة ومن جملتهم أهل بيته وجيرانه، لا سيما عند دهم العدو لبلاد الإسلام.

وكذلك القول السابع لا تقوم به حجة لضعفه ولانقطاعه، وهو على كثرة طرقه إلا أنه لم يصح في رفعها للنبي ﷺ شيء، وأحسن ما فيها ما ثبت موقوفا على عليّ رضي الله عنه.

ومع هذا يمكن تخريجه على نحو ما سبق، لا سيما وأن لفظ الحديث فيه إشارة إلى النصر على الأعداء بهؤلاء الأبدال، فيكون دعاؤهم وتحريضهم للمسلمين وتقوية عزائمهم ومشاركتهم في ساحات القتال سببا في نصرهم على أعداء الله وأعدائهم.

وقد عقب الإمام الطبري رحمه الله تعالى بعد ذكره الأقوال السابقة بتعقيب جامع قال

فيه: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال إن الله تعالى ذكره، أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض، لهُدِم ما ذكر، من دفعه تعالى ذكره بعضَهم ببعض، وكفّه المشركين بالمسلمين عن ذلك، ومنه كفّه ببعضهم التظالم، كالسلطان الذي كفّ به رعيته عن التظالم بينهم، ومنه كفّه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحق من له قِبَله حقّ ونحو ذلك، وكل ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض، ولولا ذلك لتظالموا، فهدم القاهرون صوامع المقهورين وبِيَعَهم، وما سمَّى جل ثناؤه، ولم يضع الله تعالى دلالة في عقل على أنه عنى من ذلك بعضا دون بعض، ولا جاء بأن ذلك كذلك خبر يجب التسليم له فذلك على الظاهر والعموم على ما قد بيّنته قبل لعموم ظاهر ذلك جميع ما ذكرنا)[1].

وبذا ظهر أن القول بأن معنى الدفع بين الناس هو ما شرعه تعالى لعباده المؤمنين من الجهاد والقتال في سبيله من بعد موسى عليه السلام، وأن الأقوال الأخرى في تفسير الدفع تدخل في درجة من درجات الجهاد في سبيله تعالى.

ومما يؤكد أن الله تعالى جعل بين دعاة الخير والحق ودعاة الشر والباطل عداءً وتدافعا حتى أضحت سنَّةً كونية قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[2].

فأخبر تعالى أنه جعل لكل نبيٍّ عدوًّا وبيّن أن أعداء الأنبياء شياطين الإنس الجن، وأخبر في آية الفرقان أن أعداء الأنبياء من المجرمين، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[3].

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٩/ ١٩٣.

(٢) الأنعام:١١٢.

(٣) الفرقان: ٣١.

فدل ذلك كما يقول العلامة الشنقيطي على أن المراد بالمجرمين شياطين الإنس والجن[(١)].

يقول الإمام الطبري في تفسير آية الأنعام السالفة: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ مسلّيه بذلك عما لقي من كفرة قومه في ذات الله، وحاثًّا له على الصبر على ما نال فيه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾، يقول: كما ابتليتك يا محمد بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء شياطين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول؛ ليصدوهم بمجادلتهم إياك بذلك عن اتّباعك والإيمان بك، وبما جئتهم به من عند ربك، كذلك ابتلينا مَنْ قَبْلَكَ من الأنبياء والرسل بأن جعلنا لهم أعداء من قومهم يؤذونهم بالجدال والخصومات، يقول: فهذا الذي امتحنتك به لم تُخَصَّصْ به من بينهم وحدَك، بل قد عممتهم بذلك معك لأبتليهم وأختبرهم مع قدرتي على مَنْع مَنْ أذاهم من إيذائهم، فلم أفعل ذلك إلا لأعرف أولي العزم منهم من غيرهم، يقول: فاصبر أنتَ كما صبر أولو العزم من الرسل)[(٢)].

والله تعالى خلق الخلق ليبتليهم ويختبرهم ثم يجازيهم يوم القيامة على ما عملوا قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾. ثم بين الحكمة في ذلك فقال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾[(٥)].

---

(١) أضواء البيان، ٢/ ١٨٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، (٥/ ٣١٣).

(٣) الملك: ٢.

(٤) هود: ٧.

(٥) الكهف: ٧.

والتحقيق -كما يقول العلامة الشنقيطي- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1]: أي إلا لآمرهم بعبادتي وأبتليهم، أي: أختبرهم بالتكليف، ثم أجازيهم على أعمالهم، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وإنما قلنا إنّ هذا هو التحقيق في معنى الآية، لأنه تدل عليه آيات محكمات من كتاب الله، فقد صرح تعالى في آيات من كتابه أنه خلقهم ليبتليهم أيهم أحسن عملا، وأنه خلقهم ليجزيهم بأعمالهم، ثم ساق -رحمه الله- آيات سورة هود والملك والكهف السابقة، ثم قال: فتصريحه جل وعلا في هذه الآيات المذكورة بأن حكمة خلقه للخلق هي ابتلاؤهم أيهم أحسن عملا، يفسر قوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾، وخير ما يفسر به القرآن القرآن[2].

والتدافع بين الناس هو سنة الله تعالى في الابتلاء، إنه يبتلي الأنبياء وأتباعهم ليمحصهم ويرفع درجاتهم، ويقيم الحجة على الكافرين الظالمين، ثم يهلكهم بعد ذلك، ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾[3]. ثم بين تعالى هذه السنة الكونية بقوله: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ الَّذِينَ ..﴾. ثم أخبر بعد ذلك عن عبوديات يحب أن تظهر من عباده فقال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[4]. ثم أخبر بعد ذلك عن سبب هذا التمحيص والابتلاء، فقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) أضواء البيان، ٧/ ٢٧٣.وقد شرح رحمه الله الآيات الدالة على حكمة خلق الله تعالى للسماوات والأرض وأهلها، وأزال الشبه التي يظن غير المتأمل أن فيها اختلافا.

(٣) آل عمران:١٣٧.

(٤) آل عمران:١٤٠-١٤٢.

ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾[1].

والآيات في تقرير أن التدافع سنة الله تعالى في الأمم كثيرة جدا منها:

قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[2].

فقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول للكافرين أنهم إذا انتهوا عن كفرهم وذلك بالإسلام لله وحده لا شريك له، يغفر لهم ما قد سلف منهم من الجرائم، وإن يعودوا إلى كفرهم وعنادهم فقد مضت سنة الأولين، بإهلاك الأمم المكذبة، فلينتظروا ما حل بالمعاندين، فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون، فهذا خطابه للمؤمنين عندما أمرهم بمعاملة الكافرين فقال: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾، فهذا المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين، أن يدفع شرهم عن الدين، وأن يذب عن دين الله الذي خلق الخلق له، حتى يكون هو العالي على سائر الأديان، فإن انتهوا عن ما هم عليه من الظلم فإن الله بما يعملون بصير لا تخفى عليه خافية[3].

ومن الآيات الموضحة لسنة التدافع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[4].

فقد بين الله تعالى لنبيه إذ كذبه المشركون: لم يزل هذا دأب الأمم الخالية والقرون

---

(١) آل عمران: ١٧٩.

(٢) الأنفال: ٣٨-٣٩.

(٣) تفسير تيسير الكريم الرحمن، ٣٢٠.

(٤) الحجر: ١٠- ١٣.

الماضية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾﴾ أي فرقهم وجماعاتهم رسلا ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾ يدعوهم إلى الحق والهدى ﴿إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾ أي ندخل التكذيب ﴿فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي الذين وصفهم الظلم والبهت، عاقبناهم لما اشتبهت قلوبهم بالكفر والتكذيب، تشابهت معاملتهم لأنبيائهم ورسلهم بالاستهزاء والسخرية وعدم الإيمان، ولهذا قال: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي عادة الله فيهم بإهلاك من لم يؤمن بآيات الله[(١)].

ومن هذه الآيات قوله تعالى لنبيه: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾[(٢)].

فقد بين تعالى لنبيه ﷺ أثناء مدافعته لقومه وهمهم بإخراجه من أرضه من بغضهم لمقامه معهم، وأنهم لو فعلوا ذلك لم يلبثوا بعده إلا قليلا حتى تحل بهم العقوبة كما هي سنة الله التي لا تحوَّل ولا تبدل في جميع الأمم، كل أمة كذبت رسولها وأخرجته عاجلها بالعقوبة[(٣)].

ومما يؤكد أن سنة التدافع هي الجهاد في سبيل الله تعالى، وأنها مذكورة عند أهل الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[(٤)].

يقول الإمام البغوي: يعني أن الله وعدهم هذا الوعد وبيَّنه في هذه الكتب، وقيل فيه

(١) انظر تفسير تيسير الكريم الرحمن، ٤٢٩.

(٢) انظر الإسراء: ٧٦، ٧٧.

(٣) انظر تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام منان، ٤٦٤.

(٤) التوبة: ١١١.

دليل على أن أهل الملل كلهم أمروا بالجهاد على ثواب الجنة(١).

ويقول الإمام القرطبي رحمه الله: إخبار من الله تعالى أن هذا كان في هذه الكتب، وأن الجهاد ومقاومة الأعداء أصله من عهد موسى عليه السلام، -كما سبق- و﴿وَعْدًا﴾ و﴿حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان(٢).

وهذا الذي استنبطه الإمام القرطبي رحمه الله وتقريره أن أصل الجهاد ومقاومة الأعداء من عهد موسى عليه السلام، هو الذي قال به الإمام ابن تيمية رحمه الله -كما سبق- عندما قال: (فإن من قبل موسى من الأنبياء لم يكونوا يقاتلون)(٣)، وكان الله تعالى يتولى أخذ القرى الظالمة بنفسه، وقد جمع تعالى بين أخذه تعالى فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾(٤).

وقد أخبر تعالى وهو يعاتب الذين انهزموا يوم أحد وتركوا القتال فقال لهم: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾(٥).

فأخبرهم تعالى أن الجهاد والقتال في سبيله سنَّة الأنبياء والمرسلين وعباده المؤمنين

---

(١) معالم التنزيل، ٤ / ٩٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ٨/ ١٨٨.

(٣) مجموع الفتاوى، ١/ ٥٩.

(٤) التوبة: ٥٢.

(٥) آل عمران: ١٤٦ - ١٤٨.

الذين اصطفاهم من العالمين.

يقول الإمام الطبري عند تفسيره لهذه الآية: "فعذلهم الله عز وجل على فرارهم وتركهم القتال...ثم أخبرهم عما كان من فعل كثير من أتباع الأنبياء قبلهم وقال لهم: هلا فعلتم كما كان أهل الفضل والعلم من أتباع الأنبياء قبلكم يفعلونه إذا قتل نبيهم، من المضي على منهاج نبيهم، والقتال على دينه أعداء دين الله، على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم، ولم تهنوا ولم تضعفوا كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر من أتباع الأنبياء إذا قتل نبيهم، ولكنهم صبروا لأعدائهم حتى حكم الله بينهم"[(١)].

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، (٣/ ٤٦١). قال الإمام ابن تيمية عند تفسيره لهذه الآية: "ولما سلط الله العدو على الصحابة يوم أحد قال: (أولما أصابتكم مصيبة...الآية) وقال: (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير... الآيات)، والأكثرون يقرؤون قاتل والربيون الكثير عند جماهير السلف والخلف هم الجماعات الكثيرة، قال ابن مسعود وابن عباس في رواية عنه والفراء: ألوف كثيرة. وقال ابن عباس في أخرى ومجاهد وقتادة: جماعات كثيرة. وقرئ بالحركات الثلاث في الراء فعلى هذه القراءة فالربيون الذين قاتلوا معه الذين ما وهنوا وما ضعفوا وأما على قراءة أبي عمرو وغيره ففيها وجهان:

أحدهما: يوافق الأول أي الربيون يقتلون فما وهنوا، أي: ما وهن من بقى منهم لقتل كثير منهم، أي: ما ضعفوا لذلك ولا دخلهم خَوَر ولا ذلوا لعدوهم، بل قاموا بأمر الله في القتال حتى أداهم الله عليهم، وصارت كلمة الله هي العليا.

والثاني: أن النبي قتل معه ربيون كثير، فما وهن من بقى منهم لقتل النبي، وهذا يناسب صراخ الشيطان أن محمدا قد قتل، لكن هذا لا يناسب لفظ الآية فالمناسب أنهم مع كثرة المصيبة ما وهنوا، ولو أُرِيد أن النبي قتل ومعه ناس لم يخافوا لم يحتج إلى تكثيرهم بل تقليلهم هو المناسب لها، فإذا كثروا لم يكن في مدحهم بذلك عبرة.
وأيضا لم يكن فيه حجة على الصحابة، فإنهم يوم أُحُد قليلون والعدو أضعافهم فيقولون: ولم يهنوا لأنهم ألوف ونحن قليلون.

وأيضا فقوله: وكأين من نبي، يقتضي كثرة ذلك، وهذا لا يعرف أن أنبياء كثيرين قتلوا في الجهاد.
وأيضا فيقتضي أن المقتولين مع كل واحد منهم ربيون كثير، وهذا لم يوجد؛ فإن مَنْ قَبْلَ موسى من الأنبياء لم يكونوا يقاتلون، وموسى وأنبياء بني إسرائيل لم يقتلوا في الغزو، بل ولا يعرف نبي قتل في جهاد، فكيف يكون هذا كثيرا ويكون جيشه كثيرا.

والله سبحانه أنكر على من ينقلب سواء كان النبي مقتولا أو ميتا، فلم يذمهم إذا مات أو قتل على الخوف بل

وبذا يتضح جليًّا أن تدافع الناس سنَّة ربانية خالدة، ومعناها القتال والجهاد في سبيل الله، من بعد أن فرضها على موسى والأنبياء من بعده، ويدخل في هذا معنى هذه السنة ما هو أقل من القتال من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك.

= على الانقلاب على الأعقاب؛ ولهذا تلاها الصديق رضي الله عنه بعد موته ﷺ فكأن لم يسمعوها قبل ذلك.

ثم ذكر بعدها معنى آخر، وهو أن من كان قبلكم كانوا يقاتلون فيقتل منهم خلق كثير وهم لا يهنون فيكون ذكر الكثرة مناسبا لأن من قتل مع الأنبياء كثير وقتل الكثير من الجنس يقتضي الوهن، فما وهنوا وإن كانوا كثيرين، ولو وهنوا دل على ضعف إيمانهم، ولم يقل هنا: ولم ينقلبوا على أعقابهم، فلو كان المراد أن نبيهم قتل لقال: فانقلبوا على أعقابهم، لأنه هو الذي أنكره إذا مات النبي أو قتل، فأنكر سبحانه شيئين: الارتداد إذا مات أو قتل، والوهن والضعف والاستكانة لما أصابهم في سبيل الله من استيلاء العدو، ولهذا قال: (فما وهنوا لما أصابهم إلخ)، ولم يقل فما وهنوا لقتل النبي، ولو قتل وهم أحياء لذكر ما يناسب ذلك، ولم يقل: فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، ومعلوم إنما يصيب في سبيل الله في عامة الغزوات لا يكون قتل نبي.

وأيضا فكون النبي قاتَل معه أو قُتِل معه ربيون كثير لا يستلزم أن يكون النبي معهم في الغزاة، بل كل من اتبع النبي وقاتل على دينه فقد قاتل معه، وكذلك كل من قُتِل على دينه، فقد قُتِل معه، وهذا الذي فهم الصحابة، فإن أعظم قتالهم كان بعد وفاته ﷺ، حتى فتحوا البلاد شاما ومصرا وعراقا ويمنا وعربا وعجما وروما ومغربا ومشرقا، وحينئذ فظهر كثرة من قتل معه، فإن الذين قاتلوا وأصيبوا وهم على دين الأنبياء كثيرون ويكون في هذه الآية عبرة لكل المؤمنين إلى يوم القيامة، فإنهم كلهم يقاتلون مع النبي ﷺ على دينه، وإن كان قد مات، والصحابة الذين يغزون في السرايا والنبي ليس معهم، كانوا معه يقاتلون، وهم داخلون في قوله: (محمد رسول الله والذين معه... الآية) وفي قوله: (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم... الآية) ليس من شرط من يكون مع المطاع أن يكون مشاهدا للمطاع ناظرا إليه. الفتاوى، ١/ ٥٨، ٥٩.

الفصل الثالث

نظرة موجزة للصراع بين الأمم

الفصل الثالث

نظرة موجزة للصراع بين الأمم

تمهيـــد:

إن حصر المسيرة التاريخية للحروب بين الأمم أمر من الصعوبة بمكان، ذلك أن صفحة من صفحات التاريخ لا تكاد تخلو من القتل والإبادة، فمنذ أن سنّ ابن آدم القتل بقتله أخاه، بدأ تاريخ الصراع والقتل وتدرج شيئا فشيئا، وقد أورد المؤرخون في كتبهم من الحروب والأساطير والمرويات ما يصعب جمعها أو الاعتماد عليها كمصدر علمي موثوق، فقد كانت الأمم عندما تريد أن تتفاخر بماضيها وعزها وأمجادها تتحدث عن أبطالها الذين أهلكوا الأعداء في ساحات الوغى، وأمعنوا في إذلالهم واستولوا على أراضيهم وأموالهم وسبوا نساءهم وذراريهم بعد أن قتلوا رجالهم، فتراهم يتخذون أيام الانتصارات أعيادا وينقشون على الصخر رسومات تثبت نشوة النصر والاعتزاز بقهر العدو.

وقد ذهب كثير من المؤرخين إلى إثبات أن الإنسان الأول كان إنسانا عدوانيا محاربًا، يرى أن الحرب هي الوسيلة الوحيدة لبقائه مطمئنا على وجه هذه البسيطة، بل وذهبوا إلى أبعد من ذلك بقولهم: إن الحرب كانت الوسيلة الأساسية لرقي الإنسان، وانتقال الحضارات بين الأمم، يقول ول ديورانت: "إن الإنسان ميال بفطرته للحروب، وأن الحرب هي الأداة المختارة للانتخاب الطبيعي بين الأمم والجماعات البدائية"[(١)].

ويقول أيضا: (ولم يكن للنتائج المترتبة على الحروب نهاية تقف عندها فقد كانت عاملا لا يرحم في اقتلاع الشعوب الضعيفة والقضاء عليها، ورفعت مستوى الإنسان من حيث الشجاعة والعنف والقسوة والذكاء والمهارة، وحفزت الإنسان على الاختراع وأدّت إلى صنع آلات أصبحت فيما بعد أدوات نافعة، وإلى اصطناع فنون للحرب سرعان ما انقلبت فنونا للسلم؛ فكم من السكك الحديدية اليوم تبدأ على أنها جزء من

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت، دار الجيل، ١/ ٤١- ٤٢.

خطة القتال، ثم تنتهي وسيلة للتجارة وفوق هذا كله عملت الحرب على انحلال الشيوعية والفوضى اللذين سادا الجماعات البدائية وأدخلت في الحياة نظاما وقانونا، وأدت إلى استرقاق الأسرى وإخضاع الطبقات وقيام الحكومات، فالدولة أمها الملكية وأبوها القتال)[(١)].

أما غاستون بوتول فيقول: (إن الحرب أروع التظاهرات الاجتماعية بلا خلاف ويقررون أيضا أن الحرب هي التي ولدت التاريخ، فالتاريخ بدأ في الواقع بكونه تاريخ المعارك المسلحة دون غير، ولعله سيبقى دوما تاريخ المعارك... ذلك بأن الحرب هي في الوقت نفسه أبرز المعالم التي نستند إليها في التأريخ وهي الحدود التي تدل على المنعطفات الكبرى للحوادث شئنا أم لم نشأ، فبالحرب كادت الحضارات الحديثة تشق طريقها، وبالحرب تقوم أو تثبت ضروب التفوق التي تضع مجتمعا ما على هامة الإنسانية زمنا متفاوتا في الطول، والحرب في الوقت نفسه هي العامل الأساسي من العوامل ذلك التقليد الجماعي الذي يؤدي دورا عظيما جدا في ضروب التحول الاجتماعي، ويصل الأمر إلى وصف الحرب أنها أهم أشكال انتقال الحياة فهي صورة من صور الانتقال المعجل)[(٢)].

وحتى ما أطلق عليه بعض المؤرخين بقرون السلم، إنما قصدوا به أن قرون السلم هذه خاصة بدولة معينة من الدول لا تعم غيرها من دول العالم فتعتبر فترة سلم بمعنى خاص، وهو قلة الحروب الخارجية والداخلية لهذه الدولة[(٣)].

وسنلقي في هذا الفصل الضوء على واقع الحرب السلام في العصور الغابرة وذلك من خلال نماذج يسيرة من تاريخ الحضارات القديمة.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) هذه هي الحرب، غاستون بوتول، ترجمة مروان القنواتي، ٥.

(٣) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية،د. محمد خير هيكل، ١/ ٥، ط. الثانية، دار البيارق، بيروت.

واقع الحرب والسلام واقع حضارة وادي الرافدين - ٥٠٠٠.ق.م -:

يعتبر المؤرخون منطقة العراق إجمالا من المناطق المشتعلة حروبا من العصور القديمة الغابرة، ذلك لما لها من موقع جغرافي متميز بين قارات ثلاث هي آسيا وأوروبا وأفريقيا، وعند ملتقى الطرق التجارية الرئيسة التي تصل بين الخليج وبين البحر المتوسط، هذا بالإضافة لخصوبة التربة وكثرة الأنهار.

يقول الأستاذ محمود شاكر: (فقد كان الطريق مفتوحا أمام القبائل العربية القديمة القادمة من شبه الجزيرة العربية وكانت هجرة تلك الأقوام إلى العراق مستمرة منذ أقدم العصور التاريخية المعروفة، بل وحتى الدراسات الحديثة تشير إلى هجرة بعض الأقوام العربية القديمة إلى السهل الرسوبي منذ عصر العبيد في الألف الخامس قبل الميلاد، وقد برز من بين الأقوام العربية القديمة التي وفدت العراق في الألف الثالث قبل الميلاد وما بعده الأقوام الأكدية والبابلية (الأمورية) والآشورية والآرامية، وهي الأقوام التي أقامت صرح الحضارات العراقية القديمة، ولم يتوقف تدفق الأقوام العربية القديمة إلى العراق بوقوع العراق تحت الحكم الأجنبي في العهد الفارسي بل استمرت خلال ذلك وما بعده هجرة القبائل العربية وكان آخرها هجرة العرب الكبرى إبان الفتح العربي الإسلامي في القرن السابع الميلادي)[١].

واقع الحرب والسلام في الممالك السومرية القديمة:

يثبت المؤرخون من خلال دراسة المواقع الأثرية في منطقة الرافدين، أن هناك مدنا سومرية مطمورة يرجع تاريخها إلى الألف الخامس قبل الميلاد مثل "إريدو" - وتسمى دور العبيد[٢] و"أور" و"أورك" و"لارسا" و"لكش" و"نبور" و"كيش" و"أجاد"

(١) موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم، محمود شاكر، ١/ ١٥، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن. ط. الأولى.

(٢) تشير التنقيبات التي أجريت في المواقع الأثرية جنوبي العراق إلى أن تاريخ أقدم استيطان في المنطقة كان في =

و"أكد" و"الوركاء" وغيرها، وأنه لم يكن تاريخ أرض جزيرة ما بين النهرين القديم من إحدى نواحيه إلا صراعا قامت به الشعوب غير السامية التي تسكن بلاد سومر لتحتفظ باستقلالها أمام الهجرات السامية والزحف السامي من "كيش" و"أجاد" وغيرهما من مراكز العمران الشمالية[1].

وتشير كتب التاريخ أن آخر حكام كيش هو الملك (آجا) الذي تعود إليه قصة النزاع بين كيش والوركاء في عهد ملكها "جلجامش" بطل الملحمة المشهورة باسمه، وقد دخل جلجامش الحرب مع كيش كما تقول القصة المشار إليها آنفا بعد أن استشار مجلس المسنين ومجلس الشباب في المدينة، وأعقب سلالة الوركاء الأولى سلالة جديدة قامت في مدينة (أور) عرفت بسلالة أور الأولى[2].

وتذكر جداول الملوك السومرية أنه تعاقب على حكم البلاد أن بلاد سومر وقعت في بعض الأوقات تحت نفوذ وسيطرة بلاد عيلام[3].

يقول ديورانت: (إذا حسبنا عمر "نبور" رجع بنا إلى عام (٥٢٦٢ ق.م) ويلِّوح أن أسرا قوية من ملوك المدن مستمسكة بعروشها قد ازدهرت في "كيش" حوالي عام (٤٥٠٠ ق.م)، وفي "أور" حوالي (٣٥٠٠ ق. م) وإننا لنجد في التنافس الذي قام بين هذين المركزين الأولين من مراكز الحضارة القديمة أول دور من أدوار النزاع بين السامية وغير السامية وهو النزاع الذي يكوِّن في تاريخ الشرق الأدنى مأساة دموية متصلة تبدأ من عهد عظمة "كش" السامية وتستمر خلال فتوح الملكين الساميين "سرجون الأول" =

الألف الخامس قبل الميلاد في الفترة التي أطلق الباحثون عليها اسم دور العبيد ويعرف الطور الأول منه بطور أريدو ويطلق عليهم أحيانا الفراتيون الأوائل. انظر موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم، ١/ ٣٠.

(١) انظر قصة الحضارة، ول ديورانت، ١/ ١٣.

(٢) انظر موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم، محمود شاكر ١/ ٣٦.

(٣) انظر المصدر السابق، ١/ ٣٧.

و"حمورابي" إلى استيلاء القائدين الآريين "قورش الفارسي" و" الإسكندر المقدوني" على بابل في القرنين السادس والرابع قبل الميلاد... وبعد عام (٣٠٠٠ ق. م) تروي السجلات المكونة من ألواح الطين التي كان الكهنة يحتفظون بها والتي وجدت في خرائب "أور" قصة دقيقة دقة لا بأس بها عن قيام ملوك المدائن وتتويجهم وانتصارهم غير المنقطع وجنائزهم الفخمة في مدن "أور" و"لكش" و"أرك" وما إليها...واختتمت هذه الفترة الواضحة من تاريخ "أور" كما تختتم في العادة مثيلاتها من الفترات على يد رجل يدعى لوجال زجيزي غزا "لكش" وأطاح "بأور" و"كاجينا" ونهب المدينة وهي في أوج عزها ورخائها وهدم معابدها وذبح أهلها في الطرقات وساق أمامه تماثيل الآلهة أسيرة ذليلة(١).

ويؤكد الدكتور حسن السعدي وجود محاربين عظماء مثل "إنمي باراجسي" و"أجا" في سلالات السومريين المبكرة كان فيها فيقول: (وقد قام الأول -إنمي- بمحاربة "عيلام" والانتصار عليها، كما شيد معبدا للآلة أنليل في نيبور، أما الثاني -أجا- فقد شملت سيرته إحدى القطع الأدبية السومرية المعروفة باسم "جلجامش وأجا" وتشير إلى صراع على السيادة بين "كيش" و"الوركاء" على عهد "جلجامش" الذي رفض إنذار ملك كيش "أجا" بالخضوع، كما رفض الانصياع لمطلب مجلس حكماء المدينة بالإذعان لملك" كيش"، وصمم على مواجهتها وكان له ذلك بالفعل، وعلى أية حال فقد انتهت هذه السلالة بعد صراع بين حاكمها "أجا" وبين جلجامش حاكم الوركاء إنتهى لصالح الأخير ليبدأ عهد سلالة جديدة في حين أصبح حاكم كيش تابعا للسيد الجديد(٢).

ويذكر نموذجا آخر لهؤلاء المحاربين من أمثال الملك سرجون الأول -المذكور آنفا- الذي أقسم أن يغسل أسلحته في البحر السفلي -الخليج العربي- إمعانا في إذلال خصومه

(١) قصة الحضارة ول ديورانت، ١/ ١٦.

(٢) انظر تاريخ الشرق الأدنى القديم د. حسن محمد السعدي، ٥٩، وانظر تاريخ الحضارات العام، موريس كروزية، (١/ ١٩ فهرست الصور).

فيقول: "وتشغل حروب "سرجون" الحيز الأكبر من سِنِي حكمه الممتدة حوالي ستين عامًا، فقد بدأ حملاته بتحطيم الوركاء، وأَسْر حاكمها وتقديمه مطوقا ذليلا في طوق كلب على بوابة الإله "أنليل"، ثم اتجه بعد ذلك إلى إخضاع سلسلة المدن السومرية الكبرى الواحدة تلو الأخرى، "أور" ثم "لجش "ثم "أوما" حيث انتصر في كل مكان، وخرب أسوار كل مدينة اعترضته، وبذا أصبح سرجون الأول سيدا على بلاد سومر من شمالها لجنوبها؛ حيث غسل سلاحه في البحر السفلي... وهكذا أصبح سرجون الأول سيدا لبلاد "سومر" و"أكد" ومحققًا لوحدة أراضيها، ويبدو أن هذه المرحلة قد سبقت اختياره لـ"أكد" عاصمة لملكه الجديد، وهي تقع في مكان ما على نهر الفرات لم يحدد موقعه الأثري حتى الآن، ومنها بدأت انطلاقاته العسكرية التي جردها في اتجاهين رئيسين الأول جهة الشمال الغربي عند دجلة نحو إيران والثاني غربًا على طول الفرات باتجاه سوريا. وقد احتفظ متحف اللوفر بنقش ناتئ يصور سومريو "لاناش" بقيادة ملكهم "أيناتوم" وهم يدوسون الجثث في سيرهم إلى المعركة، وأشار فيها أنها تعود إلى القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد(١).

وتذكر المصادر التاريخية أن هذا الملك الغازي أخذ يخضع البلاد شرقا وغربا شمالا وجنوبا فاستولى على "أيلام" وغسل أسلحته في مياه الخليج الفارسي الأعظم رمزًا لانتصاراته الباهرة، ثم اجتاز غرب آسيا ووصل إلى البحر المتوسط وأسس أول إمبراطورية عرفها التاريخ، وظل يحكمها قرابة ستين سنة، وتجمعت حوله الأساطير فهيأت عقول الأجيال التالية لتجعل منه إلهًا، وانتهى حكمه ونار الثورة مشتعلة في جميع أنحاء دولته.

---

(١) تاريخ الشرق الأدنى القديم د. حسن محمد السعدي ٧٦-٧٧. وانظر تاريخ الحضارات العام موريس كروزيه،٢٩١.

وظهرت في تلك الحقبة من الزمن شخصيات عرفت بحب القتال والتعطش إلى الدماء أمثال السفاح "لجال - زنجي" وغيره من الملوك السومريين أمثال "لجال - شجنجور" و"لجال يجوب - تدوده" و"لجال - أندرنوجنجا"[(١)].

واقع الحرب والسلام في الممالك البابلية القديمة:

وفي نفس المصادر جاء ما يؤكد وجود أمم بعد ذلك سادت ثم بادت، فتتحدث عن عصر ما قبل حمورابي، وهو بداية نشأة بابل المدينة الدولة على يد الأموريين بعد سقوط مملكة "أور" وتولِّي مؤسس مُلْك الأسرة الملك "سومو أبوم" حوالي ١٨٩٤-١٨٨١ ق.م، الذي بدأ بتحصين بابل وتسويرها، وبسط سيطرته على بعض المدن المجاورة.

وتذكر أن الملك حمورابي العظيم ملك بابل الذي أقبل من الشمال واستعاد من العلاميين عددًا من المدن، وظل ساكنًا عشرين سنة غزا بعدها بلاد "أيلام" وقبض على ملكها وبسط حكمه على مدن مملكته، وأنشأ إمبراطورية لم يعهد التاريخ من قبل لها مثيلًا، في قوتها وسن لها قانونا ونظام حياة[(٢)].

وتذكر المصادر التاريخية أنه بعد استقر الحكم لحمورابي تبنى سياسة سلمية أظهر فيها روحا طيبة لملك أشور، وشرع خلال السنوات الخمس الأولى من حكمه الممتد لاثنين وأربعين عاما في توطيد دعائم ملكه داخليا قبل البدء في تحقيق هدفه الأسمى وهو توحيد العراق تحت سيطرته، ثم مع بداية عامه السادس ١٧٨٧ ق.م خاض حروبًا خاطفة محددة الأهداف نجح فيها في ضم عدد من المدن، ثم أعقبها بعد ثلاث سنوات بتدمير مدن أخرى.

---

(١) انظر تاريخ الحضارات العام موريس كروزيه،٢٩١.

(٢) انظر قصة الحضارة، ول ديورانت ١/ ٧٣.

ويبدو أنه آثر الاستكانة لفترة قاربت العشرين عاما؛ حتى لا يعجل بالصدام مع قوة آشور التي ظل يعترف لقائدها "شمش آداد الأول" بالسيادة، شاغلا نفسه ببناء المعابد، وتحصين المدن، وشق القنوات، فضلا عن إعداد العدة للمرحلة التالية من هجومه، شملت العمليات العسكرية لهذه المرحلة الثانية من توسعاته تمكن خلالها من الاستيلاء على بعض المدن بعد نجاحه ببصيرته السياسية النافذة في استقطاب مدن أخرى لصفه، وتكوين حلف ضدها، بعد أن كانت هذه المدن تشكل تحالفًا ضده بقيادة عيلام، وكان ذلك حوالي عام ١٧٦٢ ق.م. وليصبح بهذا النصر ملك سومر(١).

وكانت هناك العديد المخاطر المحيطة بالدولة البابلية بعد موت حمورابي وضعف خلفائه، فقد أحاط بالدولة الكثير من الأعداء منهم الآشوريون والحيثيون والكاشيون وهم من القبائل القوية التي كانت على الحدود الشرقية ويحسدون البابليين على ما أوتوا من ثروة ونعيم، فلم يمض على موت حمورابي ثمان سنين حتى اجتاح رجالها دولته، وعاثوا في أرضها فسادًا يسلبون وينهبون، ثم ارتدوا عنها، ثم شنوا الغارة تلو الغارة، واستقروا آخر الأمر فيها فاتحين حاكمين، وهذه الطريقة التي تنشأ بها عادة طبقة الثراة في البلاد(٢).

وقد استطاع الحيثيون اجتياح ما تبقى من مملكة بابل في زحف استمر قرابة الستين عاما - كما يذكر المؤرخون - وذلك في عهد ملكهم "مورسيللي" الذي اجتاح كل ما صادفه من مدن وأعمل فيها السلب والنهب حتى وصل إلى بابل، فاحتلَّها ونهبها ونقل ثرواتها كغنائم إلى العاصمة الحيثية، وبذلك أفل نجم الدولة البابلية الأولى، وتلتها دول

(١) انظر تاريخ الشرق الأدنى القديم. د. حسن محمد السعدي.١٣٢.

(٢) انظر قصة الحضارة، ول ديورانت، ١/ ١٩٤، وانظر تاريخ الشرق الأدنى القديم. د. حسن محمد السعدي.١٤١.

ودول، ولم يكن العصر البابلي بجميع عصوره العتيقة والوسيطة والحديثة والعصر الإمبراطوري إلا عصرًا مليئا بالحروب والقلاقل[١].

واقع الحرب والسلام في الممالك الآشورية القديمة:

وفي أثناء الأحداث التاريخية السابقة الذكر ظهرت حضارة جديدة في شمال بابل وعلى بعد ثلاث مئة ميل منها، وهي الحضارة الأشورية، واضطر أهل البلاد أن يحيوا حياة عسكرية شاقة، أرغمتهم عليها القبائل الجبلية التي لا تنفك تهددهم من جميع الجهات، وما لبثوا أن غلبوا هؤلاء المهاجين، واستولوا على المدن التي كانت مهدهم الأول في "عيلام" و"وسومر" و"أكد" و"بابل" وتغلبوا على "فينيقية" و"مصر"، وظلوا مائتي عام كاملة يسيطرون بقوتهم الوحشية على بلاد الشرق الأدنى[٢].

وبينما كانت بلاد بابل تتخبط في ظلمات حكم "الكاشيين" ضم "سلما نصر الأول" دويلات المدن الشمالية تحت حكمه، واتخذ الكلخ عاصمة له، وساق هذا الملك جيوشه في كل اتجاه فأخضع "الحثيين" و"الأرمن"، وأربعين أمة غيرهما، واستولى على "بابل"، وأرهب "مصر"، فأرسلت له الهدايا وهي قلقة وجلة، وكان حكمه رمزًا للتاريخ الآشوري، وصورة مصغرة منه، حرب وجزية فرضهما على جيران "أشور"، ثم فرضهما على "أشور" نفسها، واستولى "أشور ناصر بال" على اثنتي عشرة دولة صغيرة، وعاد من حروبه بمغانم كثيرة، ومد "سلما نصر" هذه الفتوح حتى دمشق، وحارب عدة وقائع تكبد فيها خسائر فادحة، وقتل في واقعة واحدة ستة عشر ألف من السوريين، وشيد الهياكل وفرض الجزية على المغلوبين، ثم ثار عليه ابنه ثورة عنيفة وخلعه، وحكمت "سمورامات" أم الملك ثلاث سنين. وجيّش "تغلث فلاصر" جيوشا جديدة، واستعاد

(١) انظر قصة الحضارة، ول ديورانت، ١/٢٦٣، وانظر تاريخ الشرق الأدنى القديم. د. حسن محمد السعدي.١٤٣.

(٢) انظر قصة الحضارة، ول ديورانت، ١/ ٢٦٥.

أرمينية، واجتاح "سوريا" و"بابل" وأخضع لحكمه "دمشق" و"السامرة" ومد ملك أشور من جبال القفقاس إلى "مصر". ثم ضعفت حضارة أشور، وانتهت بعد زمن "أشور بانبيال"(١).

واقع الحرب والسلام عند قدماء المصريين ٢٦٤٤ ق. م:

تذكر المصادر التاريخية أن "أمنيمحيت الأول" الملك الصارم أقام دولة عظيمة استمرت خمسمائة عام، وكانت له حروب طاحنة مع الغزاة النوبيين. وانقضى عهد الدولة الوسطى في حال من الفوضى والتفكك دامت مائتي عام، ثم غزا الهكسوس -وهم بدو من آسيا- مصر المتقطعة الأوصال فأحرقوا مدنها وهدموا هياكلها وبددوا ما تجمع من ثرواتها وقضوا على كثير من معالمها وأخضعوا وادي النيل مدى قرنين لحكم "ملوك الرعاة"(٢).

يقول موريس كروزيه: "فالغزو الذي قام به ملوك الرعاة الهكسوس في أعقاب الإمبراطورية الوسطى سجل عهدًا جديدًا في تاريخ مصر، كما أحدث تغييرًا ملحوظًا في القيم المثالية التي سيطرت على مصر الفرعونية، فقد ترتب على ملوك السلالة الثامنة عشرة أن يطردوا الأجنبي المغتصب من البلاد، وأن يطاردوه إلى ما وراء الحدود الشرقية، ويجدُّوا في إثره حتى مشارف الفرات، محاولين أن يجعلوا من المنطقة الواقعة شرقًا بين مصر وبلاد ما بين النهرين درعًا واقيًا لهم. ولذا أخذت الإمبراطورية الحديثة تحاول بسط سيطرتها المباشرة على فلسطين وسوريا، ووضعهما تحت حمايتها المباشرة، حتى إن ملوك ما بين النهرين أصبحوا في فترة معينة من التوابع لها. وظهرت صفحة جديدة في تاريخ مصر، فبعد أن كانت البلاد من قبل في شبه عزلة، نراها في هذه الحقبة تقوم بدور نشيط وحاكم في مصير الشرق الأدنى، سياسيًّا حينًا وحربيًّا أو عسكريًّا في أكثر الأحيان"(٣).

(١) انظر قصة الحضارة، ول ديورانت، ١/ ٢٩٩.

(٢) انظر قصة الحضارة، ول ديورانت، ٢/ ٧٦.

(٣) تاريخ الحضارات العام. موريس كروزيه. ١/ ٥٠.

وكان من بعض نتائج هذا الوضع الطبيعية أن فراعنة ذلك العهد برزوا شاءوا أم أَبَوْا كقادة حرب مجربين، بالرغم من النفور أو الكره الذي بدا على بعضهم في هذا المجال مثل "أمنوفيس الرابع" و"تحوتمس الثالث" و"رعمسيس الثاني"، وقد شهدت المرويات التاريخية بالانتصارات الحربية التي سحقوا فيها أعداءهم. وقد انتهى حكم الهكسوس على يد أهل الأرض المصريين فلم يلبث الغزاة الفاتحون وأن سمنوا وأترفوا وفقدوا سلطانهم، وجمع المصريون شملهم وشنُّوا حربًا ضروسًا يبغون تحرير بلادهم فطردوا الهكسوس، وأسسوا الأسرة الثامنة عشرة التي بلغت البلاد في أيامها درجة من القوة والمجد لم تبلغها قط من قبل[1].

"ثم قويت شوكة المصريين وطمعوا في الأمم المجاورة فغزو غربي آسيا واستمرت الحروب لمدة ألف عام كما يذكر المؤرخون، ذلك أن "تحتمس الأول" لم يعزز قوى الدولة الجديدة فحسب، ولكنه غزا "سورية" أيضًا بحجة أن مصر يجب أن تسيطر على غربي آسيا لكي تمنع الاعتداء على أراضيها فيما بعد، وأخضع كل البلاد الواقعة بين ساحل البحر، وكثير من المدن في الداخل، ووضع فيها حاميات من عنده، وفرض عليها الجزية، ثم عاد إلى طيبة مثقلًا بالغنائم، ومكللا بالمجد الذي يكلل على الدوام هامة من يقتل بني الإنسان"[2].

وحكمت مصر بعد ذلك "حتشبسوت بنت تحتمس الأول" اثنتين وعشرين سنة، كان فيها حكما سليما حكيما، ثم خلفها "تحتمس الثالث" وكان حكمه مليئًا بالحروب، فقد انتهزت بلاد سورية فرصة موت حتشبسوت فثارت على مصر، ولكن تحتمس لم يقعد عن العمل، فسار على رأس جيش في السنة الأولى من حكمه عن طريق القنطرة، وغزا بسرعة عشرين ميلا كل يوم، والتحم بالقوات الثائرة عند "هار مجدو"، وهزم السوريين

---

(١) انظر قصة الحضارة. ول ديورانت، ١/ ٧٣، وانظر تاريخ الحضارات العام، موريس كروزيه،١/ ٥٠.

(٢) انظر قصة الحضارة، ول ديورانت، ١/ ٧٣.

وحلفاءهم، ثم سار تحتمس مظفرًا مخترقا غربي آسيا، يخضع أهلها، ويفرض عليهم الضرائب، ويجمع منهم الخراج. وكانت هذه الحملة أولى حملات بلغت خمس عشرة، أخضع فيها تحتمس الثالث بلاد البحر المتوسط الشرقي لحكم مصر[1].

واقع الحرب والسلام في جزيرة العرب:

ضرب العرب في حروبهم فيما بينهم المثل السيئ في إثارة الحروب والعزوف عن السلام، فقصص حروبهم اشتهرت بقيامها من أجل أتفه الأسباب، ومن أمثلة هذه الحروب حرب زهير بن جناب الكلبي مع غطفان وبكر وتغلب وبني القين. ومن هذه الحروب حرب البسوس التي اشتعلت لمدة أربعين سنة بسبب ناقة[2]. ومن هذه الحروب حرب داحس والغبراء، وحروب كثيرة غيرها لا حصر لها[3].

واقع الحرب والسلام لدى الفرس والروم واليونان:

كانت حياة فارس حياة سياسية وحربية أكثر منها اقتصادية، عماد ثروتها القوة لا الصناعة، وكان على رأس الدولة الملك "أوخشتر" أي المحارب، وهو لقب يدل على منشأ الملكية العسكري وصيغتها العسكرية، ولم تكد الإمبراطورية التي أقامها دارا تعمر إلا قرنا من الزمان حتى تصدعت على أثر كثير من الهزائم منيت بها على يدي أعدائها.

وتذكر المصادر التاريخية أن من أهم ملوك الفرس الحربيين "قورش" و"دارا" فهما الذين وَسَّعا ملك بلاد فارس وجاء بعدهما "خشيار شاي" ورثها عنهما ثم جاء من خلفهم من الملوك فدمروها تدميرا.

(١) المصدر السابق. ١/ ٢٦٢ بتصرف.

(٢) انظر الكامل، ابن الأثير،١/ ٢٩٩.

(٣) انظر الكامل، ابن الأثير ١/ ٤١٨. وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت ١/ ٤٤٩.

ولقد سجلت هذه المصادر حروبا طاحنة بين الفرس والروم ليس في التاريخ كله ما يماثل المجازر المروعة والدم المراق اللذين تطالعنا بهما سجلات الفرس الملكية إلا سجلات روما بعد تيبريوس[1].

وسجلت من جملة ما سجل أيضا حروبا طاحنة مع جيوش اليونانيين بقيادة الإسكندر الذي كسرهم وهزمهم هزيمة منكرة، حين استطاع اجتياز مضيق الدردنيل دون أن يلقى مقاومة، واتجه جنوبا وشرقا يخضع بعض المدائن ويستسلم له البعض الآخر، ودام على ذلك عاما كاملا[2].

وجمع "دارا الثالث" في هذه الأثناء خليطا من ستمائة ألف رجل بين جندي ومغامر، ولكنه مني بهزيمة منكرة من جيوش الإسكندر قتل فيها معظم الجيش الفارسي، وفرَّ أكثره مذعورًا، واستمر الإسكندر في فتوحاته شرقا وغربًا[3].

واقع الحرب والسلام في ظل الفتوحات الإسلامية:

وعندما بزغ فجر الإسلام لم ينتشر نور الإسلام إلا بعد أن أمر الله تعالى نبيه ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين، وخاض عليه الصلاة والسلام عدة معارك وغزوات من أشهرها غزوة بدر الكبرى، وهي التي أعز الله تعالى بها دين الإسلام، والحديث عن مغازي المصطفى ﷺ أشهر من أن يذكر، بل وحذا صحابة رسول الله ﷺ حذو رسولهم، وائتمروا بأمره وجاهدوا العرب والفرس والروم، وفتح الله عليهم الفتوح العظيمة المسجلة بمداد الذهب في التاريخ والتي لم يسبقهم إلى مثلها أحد في تاريخ البشرية.

(١) انظر قصة الحضارة، ول ديورانت ٢/ ٤٥٥.

(٢) انظر قصة الحضارة، ٢/ ٤٥٧.

(٣) انظر قصة الحضارة، ٢/ ٤٥٨.

الحروب التترية للبلاد الآسيوية والإسلامية:

استطاع "تيموجين بن يسو كاي" الذي ولد في منغوليا عام ٥٤٩هـ أن يوحد قبائل المغول عام ٦٠٣هـ ووضع لهم دستورا اجتماعيا حربيا مختصرا عرف باسم "الياسة الكبرى" أو "الياسق" بالغ الشدة والعنف، للطاعة الكبرى فيه نصيب فكانوا أعظم الأمم طاعة لسلاطينهم دون معرفة معاني الشفقة أو الرحمة، وبعد أن وحدهم لقب نفسه (جنكيز خان) أي أعظم الملوك. واندفع بهم إلى الصين، واستولى على بكين عام ٦١٢هـ، فاستولى بذلك على مزيد من الكنوز والنفائس وتعلم المغول استعمال البارود ثم قضى على دولة الخطا السوداء -قرة خطي- التركية المتاخمة للبلاد الصينية سنة ٦١٥هـ، فأصبح يطرق أبواب العالم الإسلامي ويتحداه، وكان هذا التحدي شريكًا لبعض الوقت للغزو الصليبي على العالم الإسلامي، وكانت حملاته وحملات أخلافه حملات غاشمة كمد البحر أو الطوفان الذي يكاد يغرق ويبدد أو يقوض الحضارة الإسلامية، ولم يمر على أمة الإسلام ولا على البشرية كلها -كما يذكر ذلك المؤرخون- مثل ذلك الغزو في الوحشية والقسوة والحقد الأسود المتعطش لسفك الدماء. واستمرت الحروب مع التتار في القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجريين وقد وصل زحفهم إلى بلاد الشام ولم يوقفهم إلا الجهاد الإسلامي(١).

الحروب الصليبية للبلاد الإسلامية:

مثلت الحروب الصليبية الحروب الرئيسة في مواجهة الإسلام والمسلمين، وقد حملت الدولة البيزنطية لواء هذه الحروب إلى أن تهاوت وانهارت نهائيا تحت مطارق الإسلام عام ٨٥٧ هـ، فانتقل هذا اللواء إلى الإمبراطوريتين الروسية والنمساوية، وفرنسا وإنجلترا.

وفي الوقت نفسه كان الإسبانيون والبرتغاليون يتحركون بدافع الحقد على الإسلام ويحاربون المسلمين في الأندلس ليخرجوهم منها، وكان دور الكنيسة دورا فاعلا في تأجيج نار الحرب، فكان البابا في روما يحرك أمم أوروبا ويدفعهم إلى ذلك. وضرب

(١) انظر حاضر العالم الإسلامي، د.جميل المصري ١/ ٥٧، دار أم القرى، الأردن، ط. الثالثة.

الصليبيون مثالا للحقد على الإسلام والمسلمين، فاصطبغ الغزو بصبغة التعصب وشهوة الانتقام؛ فقد سفكوا الدماء في "الرها" و"أنطاكية" و"طرابلس" و"بيت المقدس"، وسفكوا دماء سبعين ألف مسلم أو يزيد في ساحة المسجد الأقصى من المجاورين والعلماء والطلاب والعباد والزهاد، وخاضت خيولهم بدم الضحايا من الرجال والنساء والأطفال(1).

يقول الراهب"روبرت" أحد الصليبيين المتعصبين -وهو شاهد عيان لما حدث في بيت المقدس- واصفا سلوك قومه: (كان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل، وذلك كاللبؤات التي فقدت صغارها، كانوا يذبحون الأولاد الشباب ويقطعونهم إربا إربا، وكانوا يشنقون أناسا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة، وكان قومنا يقبضون على كل شيء يجدونه، فيبقروا بطون الموتى ليخرجوا منها قطعا ذهبية، فيا للشره وحب الذهب، وكانت الدماء في طرق المدينة المغطاة بالجثث....)(2).

ويقول أحد كهنتهم شامتا: (حدث ما هو عجيب بين العرب، عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم، وبقرت بطون بعضهم، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار وحرق بعضهم في النار، فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا)(3).

وقال واصفا مذبحة مسجد عمر: (لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان،

(1) انظر حاضر العالم الإسلامي، د. جميل المصري.١/ ٦٢.

(2) انظر المصدر السابق، ١/ ٦٤.

(3) انظر المصدر السابق، ١/ ٦٤.

وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك، وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها، فإذا ما اتصلت ذراع بجسم لم يعرف أصلها... ولم يكتف الفرسان الصليبيون الأتقياء بذلك، فعقدوا مؤتمرا أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس من المسلمين واليهود وخوارج النصارى الذين كان عددهم نحو ستين ألفا، فأفنوهم على بكرة أبيهم في ثمانية أيام، ولم يستبقوا منهم امرأة ولا ولدا ولا شيخا)[١].

وعمل الصليبيون مثل ذلك أيضا في مدن المسلمين التي اجتاحوها، ففي "المعرة"- بلدة بالشام- قتلوا جميع من كان فيها من المسلمين اللاجئين على الجوامع، والمختبئين في السراديب، فأهلكوا صبرا ما يزيد على مائة ألف إنسان في أكثر الروايات. وكانت "المعرة" من أعظم مدن الشام بعدد السكان بعد أن فر إليها الناس بعد سقوط "أنطاكية" وغيرها بيد الصليبيين[٢].

واقع الحرب والسلام في العصر الحاضر:

يعتبر العصر الحاضر أكثر العصور دموية في التاريخ البشري وعصر منابذة السلام، ففي مطلع القرن الماضي اندلعت حروب عالمية كبرى وهي الحرب العالمية الأولى "١٩١٤-١٩١٨م"، والحرب العالمية الثانية "١٩٣٩- ١٩٤٥م".

والحرب العالمية الثانية كانت أكثر دموية وأكثر أعدادا في القتلى، وتقول الإحصائيات إن عدد الذين قتلوا في هذا القرن ١٢٠ مليون إنسان في ١٢٠ حربا، وهذا العدد يفوق عدد من قتلوا في كل الحروب فيما سبق سنة ١٩٠٠م[٣].

وكان الاستعمار الأوروبي حلقة جديدة من الاستعمار متصلة بالحروب الصليبية القديمة وآية ذلك أن "اللورد اللنبي" القائد الإنجليزي، بعد أن دخلت قواته القدس

(١) انظر المصدر السابق، ١/ ٦٥.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٦٥.

(٣) ١٩٩٩ نصر بلا حرب ريتشاد نيكسون، وكان هذا عام ١٩٨٨.

سنة ١٣٣٧هـ قال كلمته المشهورة: "اليوم انتهت الحروب الصليبية".

ولا تزال الحروب الناشبة في كل أصقاع المعمورة وبلاد المسلمين أكبر شاهد؛ فدماء الفلسطينيين تراق من أكثر من خمسين سنة على أيدي اليهود الذين عاثوا في أرضها فسادًا، وفي كشمير ذاق المسلمون الأمرين في حربهم مع الهندوس، وفي الفلبين وفي جنوب السودان وفي البوسنة والهرسك وكوسوفو والشيشان على أيدي النصارى، ونشبت الحرب العراقية الإيرانية، وبعد ذلك حرب الخليج، والقارة الأفريقية بأكملها لا تهدأ يوما واحدا من زلازل الحروب، ولا زالت جراح العراق تنزف من جراء الحرب الأمريكية عليه، واحتلال أراضيه حتى كتابة هذه السطور، وقد قتل الأمريكيون في هذه الحرب مئات الآلاف من المسلمين.

❊ ❊ ❊

الباب الثاني
الحرب والسلام عند أهل الكتاب

الفصل الأول: الحرب والسلام عند اليهود.

الفصل الثاني: الحرب والسلام عند النصارى.

الفصل الأول

الحرب والسلام عند اليهود

المبحث الأول: عقيدة الحرب والسلام في العهد القديم.

المبحث الثاني: أثر عقيدة الحرب والسلام في واقع اليهود النفسي والاجتماعي.

المبحث الأول

عقيدة الحرب والسلام في العهد القديم

المطلب الأول

الحروب المقدسة في العهد القديم

تمهيد:

تتصف حروب بني إسرائيل بأنها حروب قد نالت قداسة الرب يهوه، لأنها تمثل الوسيلة العملية لتحقيق إرادته في تمييز شعبه عن بقية الشعوب؛ لأنه شعب مصطفى لا بد من أن يتبوأ صدارة الأمم وسيادتها، شعب قد أخذ الرب على نفسه الميثاق أن يورثه أرضه المقدسة، ولذلك فإن العقيدة التي رسخت بموجب عهد الرب يهوه مع شعبه في سيناء بعد خروجهم من استعباد مصر، ليست عقيدة سلام مع الأمم، وإنما تقوم على قتال الأمميين الذين يحاولون منع تحقيق إرادة الرب، الذي أعطى شعبه منحة أرضية مقدسة لتكون لهم وطنا، ولكن على هذا الشعب أن يغزوه غزوا، ويحاربه حروبا بأمر الرب نفسه حتى تتحقق هذه الإرادة[1]، ولذلك هي حروب مقدسة، تشمل كل حرب خاضها شعب الرب سواء أكان المحارب هو الرب يهوه، أو الأنبياء، أو شعب الله نفسه.

وقد شرع الرب لموسى الحرب المقدسة وحثه على خوضها وطمأنه من نتيجتها، وعرفه بأنه سيكون تحت عنايته ومدده حين يباشرها وسيمده بكل ما هو شأنه أن يحقق له النصر والظفر على عدوه، يقول الرب يهوه لموسى ولشعبه: (٢٧ أرسل هيبتي أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين. ٢٨ وأرسل أمامك الزنابير فتطرد الحويين والكنعانيين والحثيين من أمامك...فإني أدفع إلى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك)[2]، إنها حرب هجومية، وهي مقدسة، ولها ما يبررها

---

(١) انظر معجم اللاهوت الكتابي، ٢٥ ٩.

(٢) سفر الخروج، إصحاح ٢٣.

في نصوص العهد القديم، فشعب كنعان في تلك النصوص ذو حضارة وثنية فاسدة، مقرونة بعبادة لقوى الطبيعة، وهو يشكل فخا لشعب الله، فكان قرار الرب نفيهم من أرض شعبه(١)، قال يهوه: (٣٣ لا يسكنوا في أرضك لئلا يجعلوك تخطئ إلي. إذا عبدت آلهتهم فإنه يكون لك فخا)(٢)، ولذلك يوافق الرب يهوه على إفنائه فيقول: (٦فأرسلهم موسى ألفا من كل سبط إلى الحرب... ٧ فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر. ٨وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم...١٧ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال. وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها...)(٣).

لقد أصبحت حروب بني إسرائيل التي خاضوها حروبا للرب، وتكون غنائم هذه الحرب غنيمة محرمة -تستحق الإبادة- بأمر الرب لو كانت غنائم من أرض الموعد التي وعد الرب شعبه بها، كما فعل يشوع بأريحا: (٢١ وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف)(٤)، ومعنى التحريم هو الإبادة والقتل لكل ما هو حي بحد السيف.

ويعتقد اليهود أيضا أن الرب بإنشائه مملكة إسرائيل في التاريخ، إنما يقيم ملكه الخاص في هذه الدنيا، وذلك عن طريق شعبه الذي يعبده كما يريد ويحب، ويحفظ له شريعته الخاصة، وبنو إسرائيل بقتالهم -قبل دخول الأرض- لمن يمنع إرادة الرب في أن يعبد شعب الله ربهم في الأرض التي يجب أن تكون العبادة عليها، وبدفاعهم -بعد دخول الأرض- إنما هم يدافعون عن حق الرب الخاص، وهى حروب الله(٥).

---

(١) انظر معجم اللاهوت الكتابي، ٢٥ ٩.

(٢) انظر سفر الخروج، إصحاح ٢٣.

(٣) انظر سفر العدد، إصحاح ٣١.

(٤) انظر سفر يشوع، إصحاح ٦.

(٥) انظر معجم اللاهوت الكتابي، ٢٥ ٩.

ولأجل ذلك كانت -ومازالت- حياة بني إسرائيل حياة حربا دينية شرعية شرعها الرب لهم، ويظهر شعب إسرائيل في مجموع الأحداث كمدافع عن الله في هذه الدنيا، وملكه هو وكيل الله في التاريخ؛ فحرارة الإيمان تتطلب أعمالا حربية وشجاعة، يساندها اليقين المعتمد على العون الإلهي والأمل في نصر سياسي وديني معا[1].

وقد حذر الرب يهوه شعبه بأنهم إن لم يحاربوا الأمم التي أمرهم أنهم سيكونون كالأشواك في أعينهم، وأنه سيعاقبهم بأن يفعل بهم الفعل الذي أراد لخصمهم:

(٥٥ وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها. ٥٦ فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم)[2].

وسنتاول في هذا المطلب أنواع الحروب المقدسة، وهي:

١ -حروب الرب يهوه.

٢ -وحروب الأنبياء.

٣ -وحروب شعب الله.

(١) انظر المرجع السابق.

(٢) سفر العدد، إصحاح ٣٣. وانظر على سبيل المثال سفر المزامير (مزامير٢- ٤٥ -٦٠ -١١٠).

١- حروب الرب يهوه:

تظهر النصوص المقدسة عند اليهود الرب يهوه كقائد حربي يباشر الحروب ويجالد الأعداء ويخوض غمار المعارك بنفسه أحيانا كثيرة، وهو شخصيا في كفاح مع القوى الشريرة التي تناهض مقاصده، ويظهر هذا الأمر بوضوح في تاريخ شعبه المقدس، عندما يحاول أعداء مختلفون إعاقة سير تلك المقاصد، عندئذ يتدخل الرب مؤكدا سيطرته على الأحداث فيباشر سلطانه، ويعيش شعبه حالات نجاة عجيبة[١]، ويحمي الرب شعبه ويبيد أعداءه وأعداءهم.

ونتيجة لذلك دعي الرب يهوه في العهد القديم برجل الحرب كما جا ءفي سفر الخروج: (٣ الرب رجل الحرب- محارب - الرب اسمه)[٢]، ودعي أيضا رب الجنود: (٨والآن فهكذا تقول لعبدي داود: هكذا قال رب الجنود..)[٣]، و رب القوات وهو باللغة العبرية "يهوه صباؤوث" ويعني التعبير أن الرب هو رئيس قوات العبرانيين[٤]، أو إله الحرب الذي قاد جيوش إسرائيل[٥].

وذلك لأن الرب هو الذي كان ينصرهم في الحروب ويمنحهم العون والقوة للتغلب على أعدائهم فهو رب جنود بني إسرائيل، كما وعدهم بعد خروجهم من مصر وهم في طريقهم إلى البحر الأحمر، جاء في سفر الخروج: (١٤الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون)[٦].

وجاء فيه أيضا: (٤١ وكان عند نهاية أربع مئة وثلاثين سنة في ذلك اليوم عينه أن جميع أجناد الرب خرجت من أرض مصر)[٧].

---

(١) انظر معجم اللاهوت الكتابي، مادة "حرب"، ٢٥٩.

(٢) سفر الخروج، أصحاح (١٥).

(٣) سفر صموئيل الثاني، أصحاح (٧).

(٤) انظر قاموس الكتاب المقدس، ٣٩٧، وانظر دائرة المعارف الكتابية، مادة الله، ١/ ٣٨٠.

(٥) انظر دائرة المعارف الكتابية، مادة الله، ١/ ٣٨٠.

(٦) سفر الخروج، أصحاح (١٤).

(٧) سفر الخروج، أصحاح (١٢).

وفي سفر أشعياء: (٤ لأنه هكذا قال لي الرب:كما يهر فوق فريسته الأسد والشبل (الذي يدعى عليه جماعة من الرعاة وهو لا يرتاع من صوتهم ولا يتذلل لجمهورهم) هكذا ينزل رب الجنود للمحاربة عن جبل صهيون وعن أكمتها. ٥ كطيور مرفة هكذا يحامي رب الجنود عن أورشليم. يحامي فينقذ. يعفو فينجي)[(١)].

وقد ورد في العهد القديم ذكر كثير من الحروب التي نسبت إلى الرب، بل جاء في العهد القديم ذكر لكتاب خاص بحروب الرب، وهو أحد الكتب العديدة التي يشير إليها، والتي كان لها دورها في العقيدة اليهودية، ولكن لا يعلم عنه شيئا الآن[(٢)].

والأرجح كما تقرر دائرة المعارف الكتابية، أن الكتاب كان يحتوي على عدد من أناشيد الانتصار في الحروب، كتبت للتغني بها في الاحتفالات بذكرى هذه الانتصارات التي جعلهم الرب يحرزونها فهو "رجل الحرب" وواضح أيضا أنه كان هناك كتاب آخر من نفس الطراز هو سفر "ياشر" أو "البار" الذي ورد ذكره في سفر يشوع: (١٣فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه. أليس هذا مكتوبا في سفر ياشر؟..)[(٣)].

وفي سفر صموئيل الثاني: (١٨وقال أن يتعلم بنو يهوذا «نشيد القوس». هوذا ذلك مكتوب في «سفر ياشر)[(٤)].

وأظهرت نصوص العهد القديم الرب يهوه وهو يحارب عن شعبه ويدافع بنفسه ويكون في وسطه أو بإرسال ملائكته، أو جند من جنده، ويخلق ويصنع العجائب

(١) سفر إشعياء، أصحاح (٣١).

(٢) انظر دائرة المعارف الكتابية، مادة حرب (٢/ ٥٤).

(٣) سفر يشوع، أصحاح (١٠).

(٤) سفر صموئيل الثاني، أصحاح (١).

والمعجزات من أجلهم، وينصرهم على أمم أكثر منهم عددا، وأشد وأعظم منهم قوة، فيخضعهم لشعبه، فيطردهم ويهزمهم ويرثوا ويمتلكوا أراضيهم:

كما جاء في سفر الخروج: (١٠فقال:ها أنا قاطع عهدا. قدام جميع شعبك أفعل عجائب –معجزات – لم تخلق في كل الأرض وفي جميع الأمم فيرى جميع الشعب الذي أنت في وسطه فعل الرب. إن الذي أنا فاعله معك رهيب. ١١«احفظ ما أنا موصيك اليوم. ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين)[١].

وكما جاء في سفر التثنية: (متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوبا كثيرة من أمامك: الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك ٢ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم. لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم)[٢].

وجاء في نفس السفر (٢٩ متى قرض –استأصل– الرب إلهك من أمامك الأمم الذين أنت ذاهب إليهم لترثهم وورثتهم وسكنت أرضهم ٣٠فاحترز من أن تصاد وراءهم من بعد ما بادوا من أمامك...)[٣].

٢- الحروب المقدسة في عهد إبرام - إبراهيم -:

جاء ذكر أول نص لحرب مقدسة؛ في سفر التكوين، عندما حارب إبراهيم الملوك الذين أسرو ابن أخيه لوط فأنقذه من الأسر، وهي الحرب التي كانت نال بعدها إبراهيم

---

(١) سفر الخروج، أصحاح (٣٤).

(٢) سفر التثنية، أصحاح (٧).

(٣) سفر التثنية، أصحاح(١٢) وانظر سفر التثنية أيضا أصحاحات (٤) و(١١) و(١٩) و(٣١)، وانظر سفر الخروج أصحاحات (١٣) و(١٤) و(٣٣)، وانظر سفر يشوع أصحاحات(٢٣) و(٢٤)، وانظر سفر الملوك الثاني أصحاح (١٩).

وعد الرب له بوراثة الأرض المقدسة -كما سيتضح-، وقد حصلت له معجزة، وهى أنه مع بضع مئات من غلمانه هزم جيشا عرمرما هزم جيوشا قبله.

فجاء فيه:(١٤فلما سمع أبرام أن أخاه سبي جر غلمانه المتمرنين ولدان بيته ثلاث مئة وثمانية عشر وتبعهم إلى دان. ١٥وانقسم عليهم ليلا هو وعبيده فكسرهم وتبعهم إلى حوبة التي عن شمال دمشق. ١٦واسترجع كل الأملاك واسترجع لوطا أخاه أيضا وأملاكه والنساء أيضا والشعب...

وهى حرب مقدسة؛ لأن الرب هو الذي نصر إبرام -إبراهيم- فيها:

(١٩وباركه وقال: «مبارك أبرام من الله العلي مالك السماوات والأرض ٢٠ ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك». فأعطاه عشرا من كل شيء)[١].

٣- الحروب المقدسة في عهد موسى:

بحسب عقيدة اليهود أمر الرب يهوه موسى وشعبه المقدس بخوض حرب هجومية ضد سيحون[٢]ملك الأموريين، وعوج[٣] ملك باشان، وحضه الرب على الدخول في هذه

(١) سفر التكوين، أصحاح (١٤).

(٢) عرفته دائرة المعارف الكتابية في مادة "سيحون" بأنه: ملك أموري كانت عاصمته حشبون. ونعرف مما جاء فى سفر العدد (٢١: ٢٦-٣٠)، إرميا (٤٨: ٤٥) أن سيحون كان قد حارب الموآبيين واستولى على أرضهم حتى نهر أرنون فى الجنوب.

(٣) عرفته دائرة المعارف الكتابية في مادة "عوج" بأنه: اسم سامي معناه "طويل العنق" أو"أعوج"، وهو من بقية الرفائيين، وكان ملكا على باشان التي كانت تشمل "٦٠ مدينة محصنة بأسوار شامخة وأبواب ومزإليج غير قري الصحراء الكثيرة" تمتد من نهر إليرموك إلى جبل حرمون في الجزء الشمإلى من شرقي الأردن. وقد استولى بنو إسرائيل بقيادة موسى على بلاده عقب استيلائهم على مملكة سيحون ملك الأموريين، إذ يبدو أنه بعد هزيمة سيحون، استعد عوج لمباغتة إسرائيل بالهجوم عليهم قبل أن يستعدوا هم للهجوم عليه، ولكنهم هزموا عوج في عاصمته "إذرعي"، "وضربوه وبنيه ورجع قومه حتى لم يبقى له شارد وملكوا أرضه، وأخذوا كل البهائم وغنيمة المدن" (عد ٢١: ٣٣-٣٥، تث ٣: ١-١٢، يش ١٢: ٤ و٥).

الحروب غير هياب، مطمئنا إياه بأمر جلل من شأنه أن يقوي عزمه، وهو أنه سيجعل خشيته والخوف منه أمام جميع وجوه الشعوب تحت كل سماء، وأن سمعته تسبقه، وأن كل من سيسمع خبره سوف يرتعد ويجزع أمامه فتصبح حربه وكأنها نزهة.

فقد جاء في سفر العدد خبر هزيمة سيحون ملك الأموريين على يد موسى وشعب الله: (٢١وأرسل إسرائيل رسلا إلى سيحون ملك الأموريين قائلا: ٢٢ دعني أمر في أرضك. لا نميل إلى حقل ولا إلى كرم ولا نشرب ماء بئر. في طريق الملك نمشي حتى نتجاوز تخومك. ٢٣ فلم يسمح سيحون لإسرائيل بالمرور في تخومه بل جمع سيحون جميع قومه وخرج للقاء إسرائيل إلى البرية فأتى إلى ياهص وحارب إسرائيل. ٢٤ فضربه إسرائيل بحد السيف وملك أرضه من أرنون إلى يبوق إلى بني عمون. لأن تخم بني عمون كان قويا. ٢٥ فأخذ إسرائيل كل هذه المدن وأقام إسرائيل في جميع مدن الأموريين في حشبون وفي كل قراها)[(١)].

وفي نفس سياق السفر السابق جاء خبر هزيمة عوج ملك باشان على يد موسى وشعب الله: (٣١ فأقام إسرائيل في أرض الأموريين. ٣٢ وأرسل موسى ليتجسس يعزير فأخذوا قراها وطردوا الأموريين الذين هناك. ٣٣ ثم تحولوا وصعدوا في طريق باشان. فخرج عوج ملك باشان للقائهم هو وجميع قومه إلى الحرب في إذرعي. ٣٤ فقال الرب لموسى: «لا تخف منه لأني قد دفعته إلى يدك مع جميع قومه وأرضه فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين الساكن في حشبون. ٣٥ فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبق له شارد وملكوا أرضه)[(٢)].

---

(١) سفر العدد، أصحاح (٢١).

(٢) سفر العدد، أصحاح (٢١)، وانظر لمزيد من النصوص المقدسة التي أكدت الحرب على ملكي سيحون وباشان، سفر التثنية (٢:٢٦-٢٧-٣٣) و(٣: ١)و(٤: ٤٥). (٢٩: ٧)وسفر القضاة (١١:١٩) وسفر العدد أصحاح (٢١). سفر يشوع (١٢:١) و(٢٤: ٨) وسفر نحميا (٩: ٢٢) وسفر المزامير(١٣٥: ١٠-١١) =

وأثبت العهد القديم أمر الرب لموسى بشن حروب مقدسة، وهي حروب انتقامية ضد المديانيين[1]، كما جاء في سفر العدد: (١ وأمر الرب موسى: ٢ انتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين ثم تضم إلى قومك).

واستجاب موسى لأمر الرب واستنفر شعب الله للحرب المقدسة واختار ألف مقاتل من سبط فجاء في نفس السياق: (٣فقال موسى للشعب: جردوا منكم رجالا للجند فيكونوا على مديان ليجعلوا نقمة الرب على مديان. ٤ ألفا واحدا من كل سبط من جميع أسباط إسرائيل ترسلون للحرب.

٥ فاختير من ألوف إسرائيل ألف من كل سبط. اثنا عشر ألفا مجردون للحرب. ٦ فأرسلهم موسى ألفا من كل سبط إلى الحرب هم وفينحاس بن ألعازار الكاهن إلى الحرب وأمتعة القدس وأبواق الهتاف في يده).

واستجاب شعب الله، ونفذ أمر الرب، وقتل ذكور مديان وملوكهم وسبوا نساءهم وأطفالهم ونهبوا أموالهم وحرقوا ديارهم: (٧ فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر. ٨ وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم. أوي وراقم وصور وحور ورابع. خمسة ملوك مديان. وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف. ٩ وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم. ١٠ وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار.

=

و(١٢٦: ١٩) وسفر عاموس(٢: ٩).

(١) جاء في دائرة المعارف الكتابية في مادة "مديان" أنها: كلمة سامية معناها "نزاع أو مخاصمة". وهو اسم الابن الرباع لإبراهيم من زوجته قطورة (تك ٢٥: ٢، ١ أخ ١: ٣٢). وكان له خمسة أبناء رؤوس عشائرهم: عيفة وعفر وحنوك وأبيداع والدعة" (تك ٢٥: ٤، ١ اخ ١: ٣٣)، ومنهم جاء المديانيون.

١١ وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم ١٢ وأتوا إلى موسى وألعازار الكاهن وإلى جماعة بني إسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة إلى المحلة إلى عربات موآب التي على أردن أريحا).

وغضب موسى لعدم تحريم -إبادة- الجيش لكل شعب مديان تطهير المحاربين وقتل النساء الأسيرات ماعدا الأبكار:

١٣ فخرج موسى وألعازار الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحلة. ١٤ فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب. ١٥ وقال لهم موسى: هل أبقيتم كل أنثى حية؟ ١٦ إن هؤلاء كن لبني إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب في أمر فغور فكان الوبأ في جماعة الرب. ١٧ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال. وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها. ١٨ لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات)[١].

٤- الحروب المقدسة في عهد يشوع[٢]:

استمرار حرب الرب مع عماليق وعدم انقطاعها: محاصرة أريحا وسقوطها بأيدي يشوع وشعب الله: الرب يأمر يشوع بعدم الخوف من ملك عاي ويبشره بأنه سيفعل بها مثل أريحا: تآمر خمسة ملوك على يشوع وشعب الله بعد سقوط جبعون: أهل جبعون يستنجدون بيشوع: جيش الملوك يهرب والرب يرميهم بحجارة من السماء فيموت معظمهم: يشوع يأمر الشمس أن تدوم والقمر أن يقف فيطيعانه حتى ينتقم الشعب لنفسه: الرب يحارب عن إسرائيل:يشوع يتبع فلول الملوك الخمسة ويقتلهم: يشوع يذل الملوك الخمسة ثم يقتلهم ويعلقهم على الخشب: إبادة أهل مقيدة بحد السيف: إبادة مدينة

---

(١) سفر العدد، أصحاح (٣١).

(٢) جاء في دائرة المعارف الكتابية في مادة "يشوع" أنه: اسم عبري معناه "الرب خلاص". وهو: يشوع بن نون خادم موسى وخليفته.

لبنة بحد السيف: إبادة مدينة لخيش بحد السيف: هزيمة ملك جازر هورام لإعانته لخيش: إبادة عجلون بحد السيف: إبادة حبرون بحد السيف: إبادة دبير بحد السيف: تمام احتلال أرض كنعان الجنوبية بحد السيف لأن الرب يحارب عنهم: حلف حرب ضد يشوع وشعب الله: معركة مياه ميروم: الرب يأمر يشوع بعدم الخوف ويعده أن يعرقب خيلهم ويحرق مركباتهم بالنار: يشوع يقتل ملك حاصور بالسيف ويحرقها: يشوع يأخذ كل المدن وملوكها ويضربهم بحد السيف: المدن المستثناة من الإحراق: أخذ الغنائم وقتل جميع الرجال بأمر الرب: احتلال الأرض وقتل جميع الملوك في معارك دامت أياما كثيرة: الرب يشدد قلوب أعداء يني إسرائيل لمحاربتهم حتى يكونوا غنيمة لهم بأمره: المدينة الوحيدة التي صالحت بني إسرائيل: يشوع يقضي على العناقيين ويستولي على أرضهم بأمر الرب ثم تستريح الأرض من الحربالملوك الذين هزموا شرقي نهر الأردن:الملوك الذين هزموا غربي نهر الأردن:

وجاء في سفر الخروج ذكر حرب يشوع لعماليق[1] بأمر موسى وهزيمته لهم:

(٨وأتى عماليق وحارب إسرائيل في رفيديم. ٩فقال موسى ليشوع: انتخب لنا رجالا واخرج حارب عماليق. وغدا أقف أنا على رأس التلة وعصا الله في يدي. ١٠ففعل يشوع كما قال له موسى ليحارب عماليق. وأما موسى وهارون وحور فصعدوا على رأس التلة. ١١وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب وإذا خفض يده أن عماليق يغلب. ١٢فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذا حجرا ووضعاه تحته فجلس عليه. ودعم هارون وحور يديه الواحد من هنا والآخر من هناك. فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس. ١٣فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف.

(١) أشار قاموس الكتاب المقدس للفظ عماليق، وأنه يستخدم بإطلاقين: فهو يستخدم – كما هو هنا – علما على عماليق بن إليفاز بن عيسو أمير أدوم، ويستخدم ويراد به شعبا من ذرية عيسو كانوا يقيمون قرب قادش في جنوب فلسطين، وكانوا هناك عند بدء مجيء العبرانيين من مصر مع موسى ويشوع. انظر قاموس الكتاب المقدس ٦٣٦.

استمرار حرب الرب مع عماليق وعدم انقطاعها:

١٤فقال الرب لموسى: «اكتب هذا تذكارا في الكتاب وضعه في مسامع يشوع. فإني سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء». ١٥فبنى موسى مذبحا ودعا اسمه «يهوه نسي». ١٦وقال: «إن اليد على كرسي الرب. للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور-جيلا بعد جيل-)[(١)].

ثم أمر الرب يهوه شعبه بغزو أرض كنعان بواسطة نبيه يشوع:

محاصرة أريحا وسقوطها بأيدي يشوع وشعب الله:

جاء في سفر يشوع:(١وكانت أريحا مغلقة مقفلة بسبب بني إسرائيل. لا أحد يخرج ولا أحد يدخل. ٢فقال الرب ليشوع: انظر. قد دفعت بيدك أريحا وملكها جبابرة البأس...١٧فتكون المدينة وكل ما فيها محرما للرب...٢١وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ - حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف)[(٢)].

الرب يأمر يشوع بعدم الخوف من ملك عاي ويبشره بأنه سيفعل بها مثل أريحا:

وجاء في نفس السفر:(١ فقال الرب ليشوع: «لا تخف ولا ترتعب. خذ معك جميع رجال الحرب، وقم اصعد إلى عاي. انظر. قد دفعت بيدك ملك عاي وشعبه ومدينته وأرضه، ٢فتفعل بعاي وملكها كما فعلت بأريحا وملكها. غير أن غنيمتها وبهائمها تنهبونها لنفوسكم....

٢٢وهؤلاء خرجوا من المدينة للقائهم، فكانوا في وسط إسرائيل، هؤلاء من هنا وأولئك من هناك. وضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت. ٢٣وأما ملك عاي فأمسكوه حيا وتقدموا به إلى يشوع. ٢٤وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي

(١) سفر الخروج، أصحاح (١٧).

(٢) سفر يشوع، أصحاح (٦).

في الحقل في البرية حيث لحقوهم، وسقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا أن جميع إسرائيل رجع إلى عاي وضربوها بحد السيف. ٢٥فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفا، جميع أهل عاي. ٢٦ويشوع لم يرد يده التي مدها بالحربة حتى حرم جميع سكان عاي. ٢٧لكن البهائم وغنيمة تلك المدينة نهبها إسرائيل لأنفسهم حسب قول الرب الذي أمر به يشوع. ٢٨وأحرق يشوع عاي وجعلها تلا أبديا خرابا إلى هذا اليوم) [1].

وجاء في سفر يشوع أيضا نص طويل يوضح جانبا من طبيعة الحروب المقدسة التي خاضاها شعب الله لاحتلال أرض كنعان الجنوبية:

تآمر خمسة ملوك على يشوع وشعب الله بعد سقوط جبعون:

وجاء في نفس السفر:(١فلما سمع أدوني صادق ملك أورشليم أن يشوع قد أخذ عاي وحرمها. كما فعل بأريحا وملكها فعل بعاي وملكها، وأن سكان جبعون قد صالحوا إسرائيل وكانوا في وسطهم، ٢خاف جدا، لأن جبعون مدينة عظيمة كإحدى المدن الملكية، وهي أعظم من عاي، وكل رجالها جبابرة.

الملوك الخمسة يوحدون جيوشهم ويحاربون جبعون:

٣فأرسل أدوني صادق ملك أورشليم إلى هوهام ملك حبرون، وفرآم ملك يرموت، ويافيع ملك لخيش، ودبير ملك عجلون يقول: ٤«اصعدوا إلي وأعينوني، فنضرب جبعون لأنها صالحت يشوع وبني إسرائيل». ٥فاجتمع ملوك الأموريين الخمسة: ملك أورشليم وملك حبرون وملك يرموت وملك لخيش وملك عجلون، وصعدوا هم وكل جيوشهم ونزلوا على جبعون وحاربوها.

(١) سفر يشوع، أصحاح (٨).

أهل جبعون يستنجدون بيشوع:

٦فأرسل أهل جبعون إلى يشوع إلى المحلة في الجلجال يقولون: «لا ترخ يديك عن عبيدك. اصعد إلينا عاجلا وخلصنا وأعنا، لأنه قد اجتمع علينا جميع ملوك الأموريين الساكنين في الجبل».

يشوع يهب لنجدتهم:

٧فصعد يشوع من الجلجال هو وجميع رجال الحرب معه وكل جبابرة البأس.

الرب يأمر يشوع بعدم الخوف من الملوك ويعده بالنصر عليهم:

٨فقال الرب ليشوع: «لا تخفهم، لأني بيدك قد أسلمتهم. لا يقف رجل منهم بوجهك». ٩فأتى إليهم يشوع بغتة. صعد الليل كله من الجلجال.

١٠فأزعجهم الرب أمام إسرائيل، وضربهم ضربة عظيمة في جبعون، وطردهم في طريق عقبة بيت حورون، وضربهم إلى عزيقة وإلى مقيدة.

جيش الملوك يهرب والرب يرميهم بحجارة من السماء فيموت معظمهم:

١١وبينما هم هاربون من أمام إسرائيل وهم في منحدر بيت حورون، رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء إلى عزيقة فماتوا. والذين ماتوا بحجارة البرد هم أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل بالسيف.

يشوع يأمر الشمس أن تدوم والقمر أن يقف فيطيعانه حتى ينتقم الشعب لنفسه:

١٢حينئذ قال يشوع للرب، يوم أسلم الرب الأموريين أمام بني إسرائيل، أمام عيون إسرائيل: «يا شمس دومي على جبعون، ويا قمر على وادي أيلون». ١٣فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه. أليس هذا مكتوبا في سفر ياشر؟ فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل.

الرب يحارب عن إسرائيل:

١٤ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت إنسان. لأن الرب حارب عن إسرائيل.

يشوع يتبع فلول الملوك الخمسة ويقتلهم:

١٥ثم رجع يشوع وجميع إسرائيل معه إلى الـمحلة في الجلجال. ١٦فهرب أولئك الخمسة الملوك واختبأوا في مغارة في مقيدة. ١٧فأخبر يشوع: «قد وجد الملوك الخمسة مختبئين في مغارة في مقيدة». ١٨فقال يشوع: «دحرجوا حجارة عظيمة على فم المغارة، وأقيموا عليها رجالا لأجل حفظهم. ١٩وأما أنتم فلا تقفوا، بل اسعوا وراء أعدائكم واضربوا مؤخرهم. لا تدعوهم يدخلون مدنهم، لأن الرب إلهكم قد أسلمهم بيدكم».

يشوع يذل الملوك الخمسة ثم يقتلهم ويعلقهم على الخشب:

٢٠ولما انتهى يشوع وبنو إسرائيل من ضربهم ضربة عظيمة جدا حتى فنوا، والشرد الذين شردوا منهم دخلوا المدن المحصنة، ٢١رجع جميع الشعب إلى المحلة إلى يشوع في مقيدة بسلام. لم يسن أحد لسانه على بني إسرائيل.

٢٢فقال يشوع: «افتحوا فم المغارة وأخرجوا إلي هؤلاء الخمسة الملوك من المغارة». ٢٣ففعلوا كذلك، وأخرجوا إليه أولئك الملوك الخمسة من المغارة: ملك أورشليم وملك حبرون وملك يرموت وملك لخيش وملك عجلون. ٢٤وكان لما أخرجوا أولئك الملوك إلى يشوع أن يشوع دعا كل رجال إسرائيل وقال لقواد رجال الحرب الذين ساروا معه: «تقدموا ضعوا أرجلكم على أعناق هؤلاء الملوك». فتقدموا ووضعوا أرجلهم على أعناقهم. ٢٥فقال لهم يشوع: «لا تخافوا ولا ترتعبوا. تشددوا وتشجعوا. لأنه هكذا يفعل الرب بجميع أعدائكم الذين تحاربونهم». ٢٦وضربهم يشوع بعد ذلك وقتلهم وعلقهم على خمس خشب، وبقوا معلقين على الخشب حتى المساء. ٢٧وكان عند غروب الشمس

أن يشوع أمر فأنزلوهم عن الخشب وطرحوهم في المغارة التي اختبأوا فيها، ووضعوا حجارة كبيرة على فم المغارة حتى إلى هذا اليوم عينه.

وحارب يشوع لاحتلال أرض كنعان الجنوبية وقضى على ملوكها بحد السيف:

إبادة أهل مقيدة بحد السيف:

٢٨وأخذ يشوع مقيدة في ذلك اليوم وضربها بحد السيف، وحرم ملكها هو وكل نفس بها. لم يبق شاردا. وفعل بملك مقيدة كما فعل بملك أريحا.

إبادة مدينة لبنة بحد السيف:

٢٩ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل إسرائيل معه إلى لبنة، وحارب لبنة. ٣٠فدفعها الرب هي أيضا بيد إسرائيل مع ملكها، فضربها بحد السيف وكل نفس بها. لم يبق بها شاردا، وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا.

إبادة مدينة لخيش بحد السيف:

٣١ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لبنة إلى لخيش ونزل عليها وحاربها. ٣٢فدفع الرب لخيش بيد إسرائيل، فأخذها في اليوم الثاني وضربها بحد السيف وكل نفس بها حسب كل ما فعل بلبنة.

هزيمة ملك جازر هورام [١] لإعانته لخيش:

٣٣حينئذ صعد هورام ملك جازر لإعانة لخيش، وضربه يشوع مع شعبه حتى لم يبق له شاردا.

إبادة عجلون بحد السيف:

٣٤ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لخيش إلى عجلون فنزلوا عليها وحاربوها،

(١) جاء في دائرة المعارف الكتابية في مادة "هورام" اسم سامي معناه "ارتفاع" وكان ملكا لجازر في عهد يشوع.

٣٥وأخذوها في ذلك اليوم وضربوها بحد السيف، وحرم كل نفس بها في ذلك اليوم حسب كل ما فعل بلخيش.

إبادة حبرون بحد السيف:

٣٦ثم صعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون وحاربوها، ٣٧وأخذوها وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها. لم يبق شاردا حسب كل ما فعل بعجلون، فحرمها وكل نفس بها.

إبادة دبير بحد السيف:

٣٨ثم رجع يشوع وكل إسرائيل معه إلى دبير وحاربها، ٣٩وأخذها مع ملكها وكل مدنها، وضربوها بحد السيف وحرموا كل نفس بها. لم يبق شاردا. كما فعل بحبرون كذلك فعل بدبير وملكها، وكما فعل بلبنة وملكها.

تمام احتلال أرض كنعان الجنوبية بحد السيف لأن الرب يحارب عنهم:

٤٠فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها. لم يبق شاردا، بل حرم كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل. ٤١فضربهم يشوع من قادش برنيع إلى غزة وجميع أرض جوشن إلى جبعون. ٤٢وأخذ يشوع جميع أولئك الملوك وأرضهم دفعة واحدة، لأن الرب إله إسرائيل حارب عن إسرائيل. ٤٣ ثم رجع يشوع وجميع إسرائيل معه إلى المحلة إلى الجلجال)(١).

وجاء في نفس السفر ذكر لأحلاف حربية أخرى ضد يشوع وشعب الله؛ تصدى لها الرب بكل قوة ومنح شعبه القوة لإبادتهم:

(١) سفر يشوع، أصحاح (١٠).

حلف حرب ضد يشوع وشعب الله:

(١فلما سمع يابين ملك حاصور، أرسل إلى يوباب ملك مادون وإلى ملك شمرون وإلى ملك أكشاف، ٢وإلى الملوك الذين إلى الشمال في الجبل، وفي العربة جنوبي كنروت وفي السهل وفي مرتفعات دور غربا، ٣الكنعانيين في الشرق والغرب، والأموريين والحثيين والفرزيين واليبوسيين في الجبل، والحويين تحت حرمون في أرض المصفاة. ٤فخرجوا هم وكل جيوشهم معهم، شعبا غفيرا كالرمل الذي على شاطئ البحر في الكثرة، بخيل ومركبات كثيرة جدا.

معركة مياه ميروم:

٥فاجتمع جميع هؤلاء الملوك بميعاد وجاءوا ونزلوا معا على مياه ميروم ليحاربوا إسرائيل.

الرب يأمر يشوع بعدم الخوف ويعده أن يعرقب خيلهم ويحرق مركباتهم بالنار:

٦فقال الرب ليشوع: «لا تخفهم لأني غدا في مثل هذا الوقت أدفعهم جميعا قتلى أمام إسرائيل، فتعرقب خيلهم وتحرق مركباتهم بالنار». ٧فجاء يشوع وجميع رجال الحرب معه عليهم عند مياه ميروم بغتة وسقطوا عليهم. ٨فدفعهم الرب بيد إسرائيل، فضربوهم وطردوهم إلى صيدون العظيمة وإلى مسرفوت مايم وإلى بقعة مصفاة شرقا. فضربوهم حتى لم يبق لهم شارد. ٩ففعل يشوع بهم كما قال له الرب. عرقب خيلهم وأحرق مركباتهم بالنار.

يشوع يقتل ملك حاصور بالسيف ويحرقها:

١٠ثم رجع يشوع في ذلك الوقت وأخذ حاصور وضرب ملكها بالسيف، لأن حاصور كانت قبلا رأس جميع تلك الممالك. ١١وضربوا كل نفس بها بحد السيف. حرموهم. ولم تبق نسمة. وأحرق حاصور بالنار.

يشوع يأخذ كل المدن وملوكها ويضربهم بحد السيف:

١٢فأخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكها وضربهم بحد السيف. حرمهم كما أمر موسى عبد الرب.

المدن المستثناة من الإحراق:

١٣غير أن المدن القائمة على تلالها لم يحرقها إسرائيل، ما عدا حاصور وحدها أحرقها يشوع.

أخذ الغنائم وقتل جميع الرجال بأمر الرب:

١٤وكل غنيمة تلك المدن والبهائم نهبها بنو إسرائيل لأنفسهم. وأما الرجال فضربوهم جميعا بحد السيف حتى أبادوهم. لم يبقوا نسمة. ١٥كما أمر الرب موسى عبده هكذا أمر موسى يشوع، وهكذا فعل يشوع. لم يهمل شيئا من كل ما أمر به الرب موسى.

احتلال الأرض وقتل جميع الملوك في معارك دامت أياما كثيرة:

١٦فأخذ يشوع كل تلك الأرض: الجبل وكل الجنوب وكل أرض جوشن والسهل والعربة وجبل إسرائيل وسهله، ١٧من الجبل الأقرع الصاعد إلى سعير إلى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون. وأخذ جميع ملوكها وضربهم وقتلهم. ١٨فعمل يشوع حربا مع أولئك الملوك أياما كثيرة.

المدينة الوحيدة التي صالحت بني إسرائيل:

١٩لم تكن مدينة صالحت بني إسرائيل إلا الحويين سكان جبعون، بل أخذوا الجميع بالحرب.

الرب يشدد قلوب أعداء يني إسرائيل لمحاربتهم حتى يكونوا غنيمة لهم بأمره:

٢٠لأنه كان من قبل الرب أن يشدد قلوبهم حتى يلاقوا إسرائيل للمحاربة فيحرموا، فلا تكون عليهم رأفة، بل يبادون كما أمر الرب موسى.

يشوع يقضي على العناقيين [١] ويستولي على أرضهم بأمر الرب ثم تستريح الأرض من الحرب:

٢١وجاء يشوع في ذلك الوقت وقرض العناقيين من الجبل، من حبرون ومن دبير ومن عناب ومن جميع جبل يهوذا ومن كل جبل إسرائيل. حرمهم يشوع مع مدنهم. ٢٢فلم يتبق عناقيون في أرض بني إسرائيل، لكن بقوا في غزة وجت وأشدود. ٢٣فأخذ يشوع كل الأرض حسب كل ما كلم به الرب موسى، وأعطاها يشوع ملكا لإسرائيل حسب فرقهم وأسباطهم. واستراحت الأرض من الحرب)[٢].

وجاء في نفس السفر نص شمل الملوك التي هزمها يشوع وشعب الله: (٧وهؤلاء هم ملوك الأرض الذين ضربهم يشوع وبنو إسرائيل في عبر الأردن غربا، من بعل جاد في بقعة لبنان إلى الجبل الأقرع الصاعد إلى سعير. وأعطاها يشوع لأسباط إسرائيل ميراثا حسب فرقهم. ٨في الجبل والسهل والعربة والسفوح والبرية والجنوب: الحثيون والأموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون. ٩ملك أريحا واحد. ملك عاي التي بجانب بيت إيل واحد. ١٠ملك أورشليم واحد. ملك حبرون واحد. ١١ملك يرموت واحد. ملك لخيش واحد. ١٢ملك عجلون واحد. ملك جازر واحد.

(١) جاء في دائرة المعارف الكتابية في مادة "عناق": أنها كلمة سامية معناها "عنق" أو "قلادة عنق". وكانوا شعبا أو قبيلة تسكن المنطقة الجبلية في فلسطين غربي الأردن، وبخاصة في حبرون وما حولها قبل دخول بني إسرائيل إلى أرض كنعان. ودعوا "عناقيين" بالنسبة إلى جدهم الأكبر "عناق بن أربع" الذي تنسب إليه "قرية أربع" التي هي "حبرون".

(٢) سفر يشوع، أصحاح (١١).

١٣ملك دبير واحد. ملك جادر واحد. ١٤ملك حرمة واحد. ملك عراد واحد. ١٥ملك لبنة واحد. ملك عدلام واحد. ١٦ملك مقيدة واحد. ملك بيت إيل واحد. ١٧ملك تفوح واحد. ملك حافر واحد. ١٨ملك أفيق واحد. ملك لشارون واحد. ١٩ملك مادون واحد. ملك حاصور واحد. ٢٠ملك شمرون مرأون واحد. ملك أكشاف واحد. ٢١ملك تعنك واحد. ملك مجدو واحد. ٢٢ملك قادش واحد. ملك يقنعام في كرمل واحد. ٢٣ملك دور في مرتفعات دور واحد. ملك جوييم في الجلجال واحد. ٢٤ملك ترصة واحد. جميع الملوك واحد وثلاثون)[(١)].

الملوك الذين هزموا شرقي نهر الأردن:

(١ وهؤلاء هم ملوك الأرض الذين ضربهم بنو إسرائيل وامتلكوا أرضهم في عبر الأردن نحو شروق الشمس، من وادي أرنون إلى جبل حرمون وكل العربة نحو الشروق. ٢سيحون ملك الأموريين الساكن في حشبون،... ٤وتخوم عوج ملك باشان من بقية الرفائيين الساكن في عشتاروث وفي إذرعي، ٥والمتسلط على جبل حرمون وسلخة وعلى كل باشان إلى تخم الجشوريين والمعكيين ونصف جلعاد، تخوم سيحون ملك حشبون.

٦موسى عبد الرب وبنو إسرائيل ضربوها. وأعطاها موسى عبد الرب ميراثا للرأوبينيين والجاديين ولنصف سبط منسى.

الملوك الذين هزموا غربي نهر الأردن:

٧وهؤلاء هم ملوك الأرض الذين ضربهم يشوع وبنو إسرائيل في عبر الأردن غربا، من بعل جاد في بقعة لبنان إلى الجبل الأقرع الصاعد إلى سعير. وأعطاها يشوع لأسباط إسرائيل ميراثا حسب فرقهم. ٨في الجبل والسهل والعربة والسفوح والبرية والجنوب:

---

(١) سفر يشوع، أصحاح (١٢).

الحثيون والأموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون. ٩ملك أريحا واحد. ملك عاي التي بجانب بيت إيل واحد. ١٠ملك أورشليم واحد. ملك حبرون واحد. ١١ملك يرموت واحد. ملك لخيش واحد. ١٢ملك عجلون واحد. ملك جازر واحد. ١٣ملك دبير واحد. ملك جادر واحد. ١٤ملك حرمة واحد. ملك عراد واحد. ١٥ملك لبنة واحد. ملك عدلام واحد. ١٦ملك مقيدة واحد. ملك بيت إيل واحد. ١٧ملك تفوح واحد. ملك حافر واحد. ١٨ملك أفيق واحد. ملك لشارون واحد. ١٩ملك مادون واحد. ملك حاصور واحد. ٢٠ملك شمرون مرأون واحد. ملك أكشاف واحد. ٢١ملك تعنك واحد. ملك مجدو واحد. ٢٢ملك قادش واحد. ملك يقنعام في كرمل واحد. ٢٣ملك دور في مرتفعات دور واحد. ملك جوييم في الجلجال واحد. ٢٤ملك ترصة واحد. جميع الملوك واحد وثلاثون)[١].

٥- الحروب المقدسة التي خاضها شعب الله في عهد القضاة:

وجاء في العهد القديم أن يشوع قام قبل موته بتقسيم الأرض المقدسة بين الأسباط، وقام في سبط قضاة يدبرون شئونهم ويسوسونهم، فكانوا حكاما ذوي سلطة مطلقة وقوادا للعسكر، ثم عصى بنو إسرائيل الرب يهوه فعاقبهم وسلط عليهم الأمم، وعندما تابوا وأنابوا إليه؛ حارب الرب معهم ضد الطغاة الذين استعبدوهم حروبا مقدسة ومن تلك الحروب:

فتوحات سبطي يهوذا[٢] وشمعون[٣]:

(١ وكان بعد موت يشوع أن بني إسرائيل سألوا الرب: «من منا يصعد إلى الكنعانيين

(١) سفر يشوع، أصحاح (١٢).

(٢) جاء في دائرة المعارف الكتابية في مادة "يهوذا" أنه: اسم عبري معناه "يحمد": وهو: يهوذا الابن الرابع ليعقوب أبي الأسباط.

(٣) جاء في دائرة المعارف الكتابية في مادة "شمعون" أنه: اسم عبري معناه "سمع" أو "مستمع"، وهو: شمعون ثاني أبناء يعقوب من زوجته ليئة.

أولا لمحاربتهم؟» ٢ فقال الرب: «يهوذا يصعد. هوذا قد دفعت الأرض ليده». ٣فقال يهوذا لشمعون أخيه: «اصعد معي في قرعتي لنحارب الكنعانيين، فأصعد أنا أيضا معك في قرعتك». فذهب شمعون معه.

شعب الله يهزم الكنعانيين والفرزيين، ويقتلون عشرة آلاف منهم:

٤ فصعد يهوذا. ودفع الرب الكنعانيين والفرزيين بيدهم، فضربوا منهم في بازق عشرة آلاف رجل. ٥ ووجدوا أدوني بازق في بازق، فحاربوه وضربوا الكنعانيين والفرزيين.

تقطيع جسد العدو:

٦ فهرب أدوني بازق. فتبعوه وأمسكوه وقطعوا أباهم يديه ورجليه. ٧ فقال أدوني بازق: «سبعون ملكا مقطوعة أباهم أيديهم وأرجلهم كانوا يلتقطون تحت مائدتي. كما فعلت كذلك جازاني الله». وأتوا به إلى أورشليم فمات هناك.

الاستيلاء على أورشليم بحد السيف وإشعال النار فيها[(١)] وفي غيرها من المناطق:

(٨ وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار. ٩وبعد ذلك نزل بنو يهوذا لمحاربة الكنعانيين سكان الجبل والجنوب والسهل.

١٠ وسار يهوذا على الكنعانيين الساكنين في **حبرون** (وكان اسم حبرون قبلا قرية أربع) وضربوا شيشاي وأخيمان وتلماي. ١١ وسار من هناك على سكان دبير (واسم دبير قبلا قرية سفر).

---

(١) جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: "مع أن بني إسرائيل هزموا أورشليم، إلا أنهم لم يحتلوها إلا أيام داود (٢صم ٥: ٦-١٠)، ٩٤٧.

كالب[(١)] يعطي أبنته عكسة لمن يقهر قرية سفر:

١٢ فقال كالب: «الذي يضرب قرية سفر ويأخذها، أعطيه عكسة ابنتي امرأة». ١٣ فأخذها عثنيئيل بن قناز أخو كالب الأصغر منه. فأعطاه عكسة ابنته امرأة.

فتح صفاة:

١٧ وذهب يهوذا مع شمعون أخيه وضربوا الكنعانيين سكان صفاة وحرموها، ودعوا اسم المدينة «حرمة».

فتح غزة: ١٨ وأخذ يهوذا غزة وتخومها وأشقلون وتخومها وعقرون وتخومها. ١٩ وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل، ولكن لم يطرد سكان الوادي لأن لهم مركبات حديد. ٢٠ وأعطوا لكالب حبرون كما تكلم موسى. فطرد من هناك بني عناق الثلاثة.

٢١ وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم، فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في أورشليم إلى هذا اليوم[(٢)].

مناطق يتحتم الاستيلاء عليها:

٢٢ وصعد بيت يوسف أيضا إلى بيت إيل والرب معهم. ٢٣ واستكشف بيت يوسف عن بيت إيل (وكان اسم المدينة قبلا لوز). ٢٤ فرأى المراقبون رجلا خارجا من المدينة، فقالوا له: «أرنا مدخل المدينة فنعمل معك معروفا». ٢٥ فأراهم مدخل المدينة،

(١) جاء في دائرة المعارف الكتابية في مادة "كالب" أنه: اسم عبري بمعني "كلب" وهو اسم: كالب بن يفنة من سبط يهوذا، وكان واحدا من الجواسيس الاثني عشر الذين أرسلهم موسى رجل الله من قادش برنيع، في برية فاران، ليستكشفوا أرض كنعان.

(٢) قال صاحب السنن القويم: "قيل هذا على يهوذا أيضا (انظر يش ٥: ٦٣). وكانت أورشليم على حدوديهوذا (يش ١٥: ٨). وعلة ذلك أن أورشليم كانت مشتركة بين يهوذا وبنيامين وكان القسم الجنوبي ليهوذا والقسم الشمالي لبنيامين، وبقي اليبوسيين في أورشليم إلى زمان داود فكانوا فيها زمان كتابة هذا السفر. وهذا دليل قاطع على أن هذا السفر كتب قبل ملك داود، وقبل الاستيلاء على ذلك الجزء من أورشليم".

فضربوا المدينة بحد السيف، وأما الرجل وكل عشيرته فأطلقوهم. ٢٦ فانطلق الرجل إلى أرض الحثيين وبنى مدينة ودعا اسمها «لوز» وهو اسمها إلى هذا اليوم)(١).

الرب يندم على معاقبة شعبه بعد أن عصاه، و يقيم قادة من القضاة لتخليصهم من أعدائهم بحروب مقدسة:

جاء في سفر القضاة: (١١ وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم... ١٦ وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم. ١٧ ولقضاتهم أيضا لم يسمعوا، بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها. حادوا سريعا عن الطريق التي سار بها آباؤهم لسمع وصايا الرب. لم يفعلوا هكذا. ١٨ وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضي، وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضي، لأن الرب ندم من أجل أنينهم بسبب مضايقيهم وزاحميهم)(٢).

وجاء في نفس السفر مؤكدا المعنى نفسه:

روح الرب تحل على عثنئيل ليخلص الشعب من ملك أرام:

(٩وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب، فأقام الرب مخلصا لبني إسرائيل فخلصهم. عثنئيل بن قناز أخا كالب الأصغر. ١٠ فكان عليه روح

الرب، وقضى لإسرائيل. وخرج للحرب فدفع الرب ليده كوشان رشعتايم ملك أرام، واعتزت يده على كوشان رشعتايم. ١١ واستراحت الأرض أربعين سنة.

إهود يخلص شعب الله بعد معصيته من الموآبيين:

ومات عثنئيل بن قناز. ١٢ وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب، فشدد الرب عجلون ملك موآب على إسرائيل، لأنهم عملوا الشر في عيني الرب. ١٣ فجمع

(١) سفر القضاة، إصحاح (١).

(٢) سفر القضاة، إصحاح (٢).

إليه بني عمون وعماليق، وسار وضرب إسرائيل وامتلكوا مدينة النخل. ١٤ فعبد بنو إسرائيل عجلون ملك موآب ثماني عشرة سنة. ١٥ وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب، فأقام لهم الرب مخلصا إهود بن جيرا البنياميني، رجلا أعسر...٢٨ وقال لهم: «اتبعوني لأن الرب قد دفع أعداءكم الموآبيين ليدكم». فنزلوا وراءه وأخذوا مخاوض الأردن إلى موآب، ولم يدعوا أحدا يعبر.

بقيادة إهود شعب الله يقتل عشرة الآف من محاربي الموآبيين الأشداء:

٢٩ فضربوا – قتلوا – من موآب في ذلك الوقت نحو عشرة آلاف رجل، كل نشيط وكل ذي بأس، ولم ينج أحد. ٣٠ فذل الموآبيون في ذلك اليوم تحت يد إسرائيل. واستراحت الأرض ثمانين سنة.

شمجر مخلص شعب الله يقتل ست مئة من الفلسطينيين:

٣١ وكان بعده شمجر بن عناة، فضرب –فقتل– من الفلسطينيين ست مئة رجل بمنخس البقر. وهو أيضا خلص إسرائيل)[(١)].

دبورة القاضية النبية تأمر باراق بقتال الكنعانيين وتذهب للقتال معه:

(٣ فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب، لأنه كان له تسع مئة مركبة من حديد، وهو ضايق بني إسرائيل بشدة، عشرين سنة. ٤ودبورة امرأة نبية زوجة لفيدوت، هي قاضية إسرائيل في ذلك الوقت....

الرب يأمر زحف جيش شعبه إلى جبل تابور:

٦ فأرسلت ودعت باراق بن أبينوعم من قادش نفتالي، وقالت له: «ألم يأمر الرب إله إسرائيل: اذهب وازحف إلى جبل تابور، وخذ معك عشرة آلاف رجل من بني نفتالي ومن بني زبولون...

---

(١) سفر القضاة، إصحاح (٣).

باراق يهزم سيسرا الكنعاني بأمر الرب:

١٣ فدعا سيسرا جميع مركباته، تسع مئة مركبة من حديد، وجميع الشعب الذي معه من حروشة الأمم إلى نهر قيشون. ١٤ فقالت دبورة لباراق: «قم، لأن هذا هو اليوم الذي دفع فيه الرب سيسرا ليدك. ألم يخرج الرب قدامك؟» فنزل باراق من جبل تابور ووراءه عشرة آلاف رجل.

الرب يلقي الرعب في قلب سيسرا ويهزمه مع جيشه ويقتلوا بحد السيف: ١٥ فأزعج – أرعب – الرب سيسرا وكل المركبات وكل الجيش بحد السيف أمام باراق. فنزل سيسرا عن المركبة وهرب على رجليه. ١٦ وتبع باراق المركبات والجيش إلى حروشة الأمم. وسقط كل جيش سيسرا بحد السيف. لم يبق ولا واحد) [1].

أنشودة لدبورة تمدح فيها النصر الذي حققته مع باراق:

١فترنمت دبورة وباراق بن أبينوعم في ذلك اليوم قائلين: ٢«لأجل قيادة القواد في إسرائيل، لأجل طاعة الشعب، باركوا الرب. ٣اسمعوا أيها الملوك واصغوا أيها العظماء. أنا، أنا للرب أترنم. أزمر للرب إله إسرائيل.....دبورة تتسلط على أعدائها بأمر الرب:

١٣ حينئذ تسلط الشارد على عظماء الشعب. الرب سلطني على الجبابرة...

نجوم السماء تحارب سيسرا من مساراتها وأفلاكها:

١٩ «جاء ملوك. حاربوا. حينئذ حارب ملوك كنعان في تعنك على مياه مجدو. بضع فضة لم يأخذوا. ٢٠ من السماوات حاربوا. الكواكب من أفلاكها-مساراتها- حاربت سيسرا...

(١) سفر القضاة، إصحاح (٤).

ملاك الرب يلعن ميروز الكنعانية وساكنيها:

٢٣ العنوا ميروز قال ملاك الرب. العنوا ساكنيها لعنا، لأنهم لم يأتوا لمعونة الرب، معونة الرب بين الجبابرة)[(١)].

وجاء في نفس السفر ما يؤكد معنى الخلاص لشعب الله بالحروب المقدسة:

ظهور نبي جديد ليخلص شعب الله من يد مديان وذلهم:

(١ وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين...٦فذل إسرائيل جدا من قبل المديانيين. وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب. ٧وكان لما صرخ بنو إسرائيل إلى الرب بسبب المديانيين...

جدعون مخلص شعب الله بأمر الرب:

١١ وأتى ملاك الرب وجلس تحت البطمة التي في عفرة التي ليوآش الأبيعزري. وابنه جدعون كان يخبط حنطة في المعصرة ليهربها من المديانيين. ١٢ فظهر له ملاك الرب وقال له: «الرب معك يا جبار البأس!» ١٣ فقال له جدعون: «أسألك يا سيدي، إذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه، وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا قائلين: ألم يصعدنا الرب من مصر؟ والآن قد رفضنا الرب وجعلنا في كف مديان». ١٤ فالتفت إليه الرب وقال: «اذهب بقوتك هذه وخلص إسرائيل من كف مديان. أما أرسلتك؟» ١٥ فقال له: «أسألك يا سيدي، بماذا أخلص إسرائيل؟ ها عشيرتي هي الذلى في منسى، وأنا الأصغر في بيت أبي». ١٦ فقال له الرب: «إني أكون معك، وستضرب المديانيين كرجل واحد...

تحالف جيوش المديانيين والعمالقة وبني المشرق على شعب الله العاصي:

٣٣ واجتمع جميع المديانيين والعمالقة وبني المشرق معا وعبروا ونزلوا في وادي يزرعيل.

---

(١) سفر القضاة، إصحاح (٥).

روح الرب تحل في جدعون ليحارب حروب الرب المقدسة:

٣٤ ولبس – حل – روح الرب جدعون فضرب بالبوق، فاجتمع أبيعزر وراءه. ٣٥ وأرسل رسلا إلى جميع منسى، فاجتمع هو أيضا وراءه، وأرسل رسلا – يستدعي قواتهم المحاربة – إلى أشير وزبولون ونفتالي فصعدوا للقائهم – فخفوا إليه –.

الرب يبين لجدعون أنه لن ينتصر آلان ومتى سينتصر:

٣٦ وقال جدعون لله: «إن كنت تخلص بيدي إسرائيل كما تكلمت، ٣٧ فها إني واضع جزة الصوف في البيدر. فإن كان طل على الجزة وحدها، وجفاف على الأرض كلها، علمت أنك تخلص بيدي إسرائيل كما تكلمت... ٤٠ ففعل الله كذلك في تلك الليلة. فكان جفاف في الجزة وحدها وعلى الأرض كلها كان طل) [(١)]، فكانت هذه علامة على عدم نصره الآن.

الرب يأمر جدعون بأن يختار ثلاث مئة مقاتل فقط لمحاربة حتى لا يفتخر الشعب على الرب ويعلموا أنه هو الذي يحارب عنهم:

(١فبكر يربعل (أي جدعون) وكل الشعب الذي معه ونزلوا على عين حرود. وكان جيش المديانيين شماليهم عند تل مورة في الوادي. ٢وقال الرب لجدعون: «إن الشعب الذي معك كثير علي لأدفع المديانيين بيدهم، لئلا يفتخر علي إسرائيل قائلا: يدي خلصتني.

استبعاد اثنين وعشرين ألفا من المقاتلين الخائفين من جيش الرب:

٣والآن ناد في آذان الشعب: من كان خائفا ومرتعدا فليرجع وينصرف من جبل جلعاد». فرجع من الشعب اثنان وعشرون ألفا. وبقي عشرة آلاف.

(١) سفر القضاة، إصحاح (٦).

الرب يطلب من جدعون تصفية البقية الباقية من الجيش ويختار الماء ليغربلهم وينقيهم:

٤وقال الرب لجدعون: «لم يزل الشعب كثيرا. انزل بهم إلى الماء فأنقيهم لك هناك. ويكون أن الذي أقول لك عنه: هذا يذهب معك فهو يذهب معك. وكل من أقول لك عنه: هذا لا يذهب معك فهو لا يذهب».

إبعاد من يلغ بلسانه من الماء كما يلغ الكلب ومن يجثو على ركبتيه:

٥ فنزل بالشعب إلى الماء. وقال الرب لجدعون: «كل من يلغ بلسانه من الماء كما يلغ الكلب فأوقفه وحده. وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب».

الرب يصطفي ثلاث مئة رجل من شعبه اغترفوا بأيدهم فقط للحرب المقدسة:

٦ وكان عدد الذين ولغوا بيدهم إلى فمهم ثلاث مئة رجل. وأما باقي الشعب جميعا فجثوا على ركبهم لشرب الماء. ٧فقال الرب لجدعون: «بالثلاث مئة الرجل الذين ولغوا أخلصكم وأدفع المديانيين ليدك. وأما سائر الشعب فليذهبوا كل واحد إلى مكانه». ٨ فأخذ الشعب زادا بيدهم مع أبواقهم. وأرسل سائر رجال إسرائيل كل واحد إلى خيمته، وأمسك الثلاث مئة الرجل. وكانت محلة المديانيين تحته في الوادي».

الرب يبشر جدعون بالنصر ويأمر بالتجسس على معسكر المديانيين:

٩ وكان في تلك الليلة أن الرب قال له: «قم انزل إلى المحلة، لأني قد دفعتها إلى يدك. ١٠ وإن كنت خائفا من النزول، فانزل أنت وفورة غلامك إلى المحلة، ١١ وتسمع ما يتكلمون به، وبعد تتشدد يداك وتنزل إلى المحلة». فنزل هو وفورة غلامه إلى آخر المتجهزين الذين في المحلة».

جيش التحالف كالجراد كثرة، وجمالهم لا عدد لها كرمل البحر:

١٢ وكان المديانيون والعمالقة وكل بني المشرق حالين في الوادي كالجراد في الكثرة، وجمالهم لا عدد لها كالرمل الذي على شاطئ البحر في الكثرة.

رؤيا مبشرة بالنصر على الأعداء:

١٣ وجاء جدعون فإذا رجل يخبر صاحبه بحلم ويقول: «هوذا قد حلمت حلما، وإذا رغيف خبز شعير يتدحرج في محلة المديانيين وجاء إلى الخيمة وضربها فسقطت، وقلبها إلى فوق فسقطت الخيمة». ١٤ فأجاب صاحبه: «ليس ذلك إلا سيف جدعون بن يوآش رجل إسرائيل. قد دفع الله إلى يده المديانيين وكل الجيش». ١٥ وكان لما سمع جدعون خبر الحلم وتفسيره أنه سجد ورجع إلى محلة إسرائيل وقال: «قوموا لأن الرب قد دفع إلى يدكم جيش المديانيين.

جدعون يقسم الجيش إلى ثلاث فرق:

١٦ وقسم الثلاث مئة الرجل إلى ثلاث فرق، وجعل أبواقا في أيديهم كلهم، وجرارا فارغة ومصابيح في وسط الجرار. ١٧ وقال لهم: «انظروا إلي وافعلوا كذلك. وها أنا آت إلى طرف المحلة، فيكون كما أفعل أنكم هكذا تفعلون. ١٨ ومتى ضربت بالبوق أنا وكل الذين معي فاضربوا أنتم أيضا بالأبواق حول كل المحلة، وقولوا: للرب ولجدعون.

هزيمة المديانيين بسيف الرب المحارب مع جدعون:

١٩ فجاء جدعون والمئة الرجل الذين معه إلى طرف المحلة في أول الهزيع الأوسط، وكانوا إذ ذاك قد أقاموا الحراس، فضربوا بالأبواق وكسروا الجرار التي بأيديهم. ٢٠ فضربت الفرق الثلاث بالأبواق وكسروا الجرار، وأمسكوا المصابيح بأيديهم اليسرى والأبواق بأيديهم اليمنى ليضربوا بها، وصرخوا: «سيف للرب ولجدعون».

هروب جيش المديانيين:

٢١ ووقفوا كل واحد في مكانه حول المحلة. فركض كل الجيش وصرخوا وهربوا. ٢٢ وضرب الثلاث المئين بالأبواق، وجعل الرب سيف كل واحد بصاحبه وبكل الجيش. فهرب الجيش إلى بيت شطة إلى صردة حتى إلى حافة آبل محولة إلى طباة. ٢٣ فاجتمع رجال إسرائيل من نفتالي ومن أشير ومن كل منسى وتبعوا المديانيين.

قتل أميري المديانيين:

٢٤ فأرسل جدعون رسلا إلى كل جبل أفرايم قائلا: «انزلوا للقاء المديانيين وخذوا منهم المياه إلى بيت بارة والأردن». فاجتمع كل رجال أفرايم وأخذوا المياه إلى بيت بارة والأردن. ٢٥ وأمسكوا أميري المديانيين غرابا وذئبا، وقتلوا غرابا على صخرة غراب، وأما ذئب فقتلوه في معصرة ذئب. وتبعوا المديانيين وأتوا برأسي غراب وذئب إلى جدعون من عبر الأردن)[١].

جدعون يطارد الفلول الهاربة من المديانيين لقتل ملكيها زبح وصلمناع:

(٤وجاء جدعون إلى الأردن وعبر هو والثلاث مئة الرجل الذين معه معيين ومطاردين.

جدعون يطلب من أهل سكوت خبزا لجيشه فيأبون:

٥فقال لأهل سكوت: «أعطوا أرغفة خبز للقوم الذين معي لأنهم معيون، وأنا ساع وراء زبح وصلمناع ملكي مديان». ٦فقال رؤساء سكوت: «هل أيدي زبح وصلمناع بيدك الآن حتى نعطي جندك خبزا؟.

جدعون يتوعدهم بأن يخلط لحومهم بأشواك البرية بعد الفراغ من مهمته:

٧فقال جدعون: «لذلك عندما يدفع الرب زبح وصلمناع بيدي أدرس لحمكم مع أشواك البرية بالنوارج».

جدعون يطلب من أهل فنوئيل ما طلبه من أهل سكوت فيردون عليه بمثل ردهم ويتوعدهم كما توعد أهل سكوت أيضا:

(١) سفر القضاة، إصحاح (٧).

٨وصعد من هناك إلى فنوئيل وكلمهم هكذا. فأجابه أهل فنوئيل كما أجاب أهل سكوت، ٩فقال أيضا لأهل فنوئيل: «عند رجوعي بسلام أهدم هذا البرج».

البقية الباقية من فلول جيش المديانيين المنهزم عددها خمسة عشر ألف مقاتل، وعدد القتلى منهم مئة وعشرون ألف مقاتل:

١٠ وكان زبح وصلمناع في قرقر وجيشهما معهما نحو خمسة عشر ألفا، كل الباقين من جميع جيش بني المشرق. والذين سقطوا مئة وعشرون ألف رجل مخترطي السيف[1].

جدعون يهزم الجيش المتبقي الهارب ويقبض على الملكين:

١١ وصعد جدعون في طريق ساكني الخيام شرقي نوبح ويجبهة، وضرب الجيش وكان الجيش مطمئنا. ١٢ فهرب زبح وصلمناع، فتبعهما وأمسك ملكي مديان زبح وصلمناع وأزعج كل الجيش.

جدعون وشعب الله ينتقمون من أهل سكوت وفنوئيل:

١٣ ورجع جدعون بن يوآش من الحرب من عند عقبة حارس. ١٤ وأمسك غلاما من أهل سكوت وسأله، فكتب له رؤساء سكوت وشيوخها، سبعة وسبعين رجلا. ١٥ ودخل إلى أهل سكوت وقال: «هوذا زبح وصلمناع اللذان عيرتموني بهما قائلين: هل أيدي زبح وصلمناع بيدك الآن حتى نعطي رجالك المعيين خبزا؟» ١٦ وأخذ شيوخ المدينة وأشواك البرية والنوارج وعلم بها أهل سكوت. ١٧ وهدم برج فنوئيل وقتل رجال المدينة.

(١) تبين مثل هذه المبالغات الغير متوقعة، بعد جذور عقيدة الحرب في الديانة اليهودية.

جدعون يقتل ملكي مديان:

١٨ وقال لزبح وصلمناع: «كيف الرجال الذين قتلتماهم في تابور؟» فقالا: «مثلهم مثلك. كل واحد كصورة أولاد ملك». ١٩ فقال: «هم إخوتي بنو أمي. حي هو الرب لو استحييتماهم لما قتلتكما!». ٢٠ وقال ليثر بكره: «قم اقتلهما». فلم يخترط الغلام سيفه، لأنه خاف، بما أنه فتى بعد. ٢١ فقال زبح وصلمناع: «قم أنت وقع علينا، لأنه مثل الرجل بطشه». فقام جدعون وقتل زبح وصلمناع، وأخذ الأهلة التي في أعناق جمالهما)[(١)].

وجاء في نفس السفر نص يصف حربا مقدسة جديدة على يد مخلص جديد، وهو يفتاح الجلعادي، وهو محارب شديد البأس أنجبه أبوه جلعاد من إمرأة عاهرة، وأنجب جلعاد أيضا عددا من الأبناء من زوجته، فلما كبروا طردوا يفتاح ولم يورثوه شيئا من تركة أبيهم، فهرب يفتاح من إخوته، وأقام في أرض تدعى طوب، وقام بتكوين عصابة من المجرمين، وبعد أن غزا هاجم بنو عمون شعب الله، فاستنجدوا بالمخلص يفتاح ليقودهم في الحرب مع بني عمون، فاشترط عليهم أن يكون رأسهم وكبيرهم إن هو انتصر على عدوهم، فوافقوا.

شعب الله يستنجد بيفتاح:

٤وكان بعد أيام أن بني عمون حاربوا إسرائيل. ٥ولما حارب بنو عمون إسرائيل ذهب شيوخ جلعاد ليأتوا بيفتاح من أرض طوب. ٦وقالوا ليفتاح: «تعال وكن لنا قائدا فنحارب بني عمون...

ثم أرسل يفتاح وفدا يفاوض فيه ملك بني عمون عن سبب الحرب ودار بينهما جدل طويل، وانتهى بهما الأمر إلى نشوب الحرب.

---

(١) سفر القضاة، إصحاح (٨).

يفتاح يخبر ملك عمون بأنه لم يخطئ إليه، وأنه يرتكب الشر في حقه، وأن الرب سيقضي بينهما:

٢٧ فأنا لم أخطئ إليك. وأما أنت فإنك تفعل بي شرا بمحاربتي. ليقض الرب القاضي اليوم بين بني إسرائيل وبني عمون». ٢٨ فلم يسمع ملك بني عمون لكلام يفتاح الذي أرسل إليه.

روح الرب تحل على يفتاح ليحارب الحرب المقدسة:

٢٩ فكان روح الرب على يفتاح، فعبر جلعاد ومنسى وعبر مصفاة جلعاد، ومن مصفاة جلعاد عبر إلى بني عمون...

الرب ينصر يفتاح على بني عمون:

٣٢ ثم عبر يفتاح إلى بني عمون لمحاربتهم. فدفعهم الرب ليده. ٣٣ فضربهم من عروعير إلى مجيئك إلى منيت (عشرين مدينة) وإلى آبل الكروم ضربة عظيمة جدا. فذل بنو عمون أمام بني إسرائيل) [١].

حرب شمشون المقدسة مع الفلسطينيين:

يعد شمشون من القضاة المخلصين لشعب الله بعد أن عصوا الرب وفعلوا الشر في عينه، وحاصل قصة شمشون أن الرب عندما رأى ارتداد شعبه، أسلمه ليد عدوه وعدوهم أربعين عاما، ثم أراد أن يخلصهم بمخلص، فأرسل ملاكه ليبشر والدي شمشون به بعد أن كانت أمه عاقرا، فولد شمشون وباركه الرب.

روح الرب يحرك شمشون في الأرض:

(٢٥ وابتدأ روح الرب يحركه في محلة دان بين صرعة وأشتأول)[٢].

---

(١) سفر القضاة، إصحاح (١١).

(٢) سفر القضاة، إصحاح (١٣).

ثم تزوج شمشون من فتاة فلسطينية معارضا رغبة أبيه الذي لم يعلم أن ذلك بتدبير الرب الذي كان يلتمس سببا يعذب به الفلسطينيين، جاء في القضاة: (٤ ولم يعلم أبوه وأمه أن ذلك من الرب لأنه كان يطلب علة على الفلسطينيين . وفي ذلك الوقت كان الفلسطينيون متسلطين على إسرائيل)[١].

ثم توالت القصة وقامت زوجة شمشون بخيانته، وأخبرت قومها بحل اللغز الذي تحداهم به، فقتل شمشون ثلاثين من الفلسطينين، وتركته زوجته وأصبحت زوجة لصاحبه الذي كان نديما له، فحرق شمشون زروع الفلسطينيين، فانتقم الفلسطينيون من زوجته السابقة وأبيها وأحرقوهما بالنار، فانتقم شمشون منهم، جاء في سفر القضاة: (٧فقال لهم شمشون: «ولو فعلتم هذا فإني أنتقم منكم، وبعد أكف». ٨وضربهم ساقا على فخذ ضربا عظيما. ثم نزل وأقام في شق صخرة عيطم.

الجيش الفلسطيني يتقدم للانتقام من شمشون:

٩ وصعد الفلسطينيون ونزلوا في يهوذا وتفرقوا في لحي.

رجال يهوذا يخونون شمشون ويوثقوه ليسلموه للعدو:

١٠ فسألهم رجال يهوذا: «لماذا صعدتم علينا؟» فقالوا: «صعدنا لنوثق شمشون لنفعل به كما فعل بنا». ١١ فنزل ثلاثة آلاف رجل من يهوذا إلى شق صخرة عيطم، وقالوا لشمشون: «أما علمت أن الفلسطينيين متسلطون علينا؟ فماذا فعلت بنا؟» فقال لهم: «كما فعلوا بي هكذا فعلت بهم». ١٢ فقالوا له: «نزلنا لنوثقك ونسلمك إلى يد الفلسطينيين». فقال لهم شمشون: «احلفوا لي أنكم أنتم لا تقعون علي». ١٣ فأجابوه: «كلا. ولكننا نوثقك ونسلمك إلى يدهم، وقتلا لا نقتلك». فأوثقوه بحبلين جديدين وأصعدوه من الصخرة.

(١) سفر القضاة، إصحاح (١٤).

روح الرب تحل على شمشون ويقتل بفك حمار ألف رجل فلسطيني:

١٤ ولما جاء إلى لحي صاح الفلسطينيون للقائه. فحل عليه روح الرب، فكان الحبلان اللذان على ذراعيه ككتان أحرق بالنار، فانحل الوثاق عن يديه.

١٥ ووجد فك حمار طريا، فأخذه وضرب به ألف رجل. ١٦ فقال شمشون: «بفك حمار كومة كومتين. بفك حمار قتلت ألف رجل». ١٧ ولما فرغ من الكلام رمى الفك من يده، ودعا ذلك المكان «رمت لحي»)[١].

ثم توالت الأحداث بحسب نصوص العهد القديم، ويبيت شمشون عند عاهرة ويدخل عليها، فيعرف أهل غزة أنه موجود عندها، فيحاصرون المنزل لقتله، ويفاجأ شمشون الأعداء بقوته حيث خلع بوابة غزة، ولا تزال العاهرة به حتى تعرف سر قوته وتخبر به قومها من أهل غزة، فقبض عليه الفلسطينيون وقلعوا عينه وأذلوه، وفي فرحهم تجمعوا وأرادوا أن يلعبوا بشمشون ويسخروا منه.

انتقام شمشون وانتحاره مع قتلى الأعداء (عملية فدائية – الخيار شمشون):

(٢٣ وأما أقطاب الفلسطينيين فاجتمعوا ليذبحوا ذبيحة عظيمة لداجون إلههم ويفرحوا وقالوا قد دفع إلهنا ليدنا شمشون عدونا. ٢٤ ولما رآه الشعب مجدوا إلههم لأنهم قالوا قد دفع إلهنا ليدنا عدونا الذي خرب أرضنا وكثر قتلانا. ٢٥ وكان لما طابت قلوبهم أنهم قالوا ادعوا شمشون ليلعب لنا. فدعوا شمشون من بيت السجن فلعب أمامهم وأوقفوه بين الأعمدة. ٢٦ فقال شمشون للغلام الماسك بيده دعني ألمس الأعمدة التي البيت قائم عليها لأستند عليها. ٢٧ وكان البيت مملوءا رجالا ونساء وكان هناك جميع أقطاب الفلسطينيين وعلى السطح نحو ثلاثة آلاف رجل وامرأة ينظرون لعب شمشون. ٢٨ فدعا شمشون الرب وقال: يا سيدي الرب اذكرني وشددني يا الله هذه المرة فقط

(١) سفر القضاة، إصحاح (١٥).

فأنتقم نقمة واحدة عن عيني من الفلسطينيين. ٢٩ وقبض شمشون على العمودين المتوسطين اللذين كان البيت قائما عليهما واستند عليهما الواحد بيمينه والآخر بيساره.

شمشون يقتل من الفلسطينيين أكثر مما قتل طوال حياته:

٣٠ وقال شمشون لتمت نفسي مع الفلسطينيين. وانحنى بقوة فسقط البيت على الأقطاب وعلى كل الشعب الذي فيه فكان الموتى الذين أماتهم في موته أكثر من الذين أماتهم في حياته)[1].

٦- الحروب المقدسة في عهد النبي صموئيل آخر قضاة بني إسرائيل:

يبين العهد القديم أن عقيدة الاستيلاء على الأرض المقدسة والاستيطان فيها، كانت سببا في سياسية بني إسرائيل العدوانية تجاه الأممين، وسببا في الأغارة عليهم، ولذلك كان لهم أعداء ألداء دائمين خلال حقب التاريخ، وكانوا في حروب مستمرة، ومن تلك الحروب ما كان في عهد القضاة الذي عاصره النبي صموئيل.

شعب الله يجهز جيشا لمحاربة الفلسطينيين:

١وكان كلام صموئيل إلى جميع إسرائيل. وخرج إسرائيل للقاء الفلسطينيين للحرب ونزلوا عند حجر المعونة، وأما الفلسطينيون فنزلوا في أفيق.

هزيمة شعب الله أمام الفلسطينيين:

٢واصطف الفلسطينيون للقاء إسرائيل، واشتبكت الحرب فانكسر إسرائيل أمام الفلسطينيين، وضربوا من الصف في الحقل نحو أربعة آلاف رجل.

مطالبة الشيوخ بإحضار تابوت عهد الرب في المعركة لتخليصهم من يد أعدائهم:

٣فجاء الشعب إلى المحلة. وقال شيوخ إسرائيل: «لماذا كسرنا اليوم الرب أمام

(١) سفر القضاة، إصحاح (١٦).

الفلسطينيين؟ لنأخذ لأنفسنا من شيلوه -مدينة قرب نابلس- تابوت عهد الرب فيدخل في وسطنا ويخلصنا من يد أعدائنا». ٤فأرسل الشعب إلى شيلوه وحملوا من هناك تابوت عهد رب الجنود الجالس على الكروبيم [1]. وكان هناك ابنا عالي حفني وفينحاس مع تابوت عهد اللـه.

تابوت عهد الرب في ميدان المعركة:

٥وكان عند دخول تابوت عهد الرب إلى المحلة أن جميع إسرائيل هتفوا هتافا عظيما حتى ارتجت الأرض. ٦فسمع الفلسطينيون صوت الهتاف فقالوا: «ما هو صوت هذا الهتاف العظيم في محلة العبرانيين؟» وعلموا أن تابوت الرب جاء إلى المحلة. ٧فخاف الفلسطينيون لأنهم قالوا: «قد جاء الله إلى المحلة». وقالوا: «ويل لنا لأنه لم يكن مثل هذا منذ أمس ولا ما قبله! ٨ويل لنا! من ينقذنا من يد هؤلاء الآلهة القادرين؟ هؤلاء هم الآلهة الذين ضربوا مصر بجميع الضربات في البرية. ٩تشددوا وكونوا رجالا أيها الفلسطينيون لئلا تستعبدوا للعبرانيين كما استعبدوا هم لكم. فكونوا رجالا وحاربوا.

الاستيلاء على تابوت العهد:

١٠فحارب الفلسطينيون، وانكسر إسرائيل وهربوا كل واحد إلى خيمته. وكانت الضربة عظيمة جدا. وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف راجل.١١وأخذ تابوت الله. ومات ابنا عالي حفني وفينحاس)[2].

تابوت العهد يجلب الشؤم على أشدود:

(١فأخذ الفلسطينيون تابوت الله وأتوا به من حجر المعونة إلى أشدود. ٢وأخذ الفلسطينيون تابوت الله وأدخلوه إلى بيت داجون وأقاموه بقرب داجون. ٣وبكر

---

(١) ملائكة يرسلون من قبل الله أو يقيمون في يحضرة الله تعالى. قاموس الكتاب المقدس، مادة كروب كروبيم.

(٢) سفر صموئيل الأول، أصحاح (٤).

الأشدوديون في الغد وإذا بداجون ساقط على وجهه إلى الأرض أمام تابوت الرب، فأخذوا داجون وأقاموه في مكانه. ٤وبكروا صباحا في الغد وإذا بداجون ساقط على وجهه على الأرض أمام تابوت الرب ورأس داجون ويداه مقطوعة على العتبة. بقي بدن السمكة فقط. ٥لذلك لا يدوس كهنة داجون وجميع الداخلين إلى بيت داجون على عتبة داجون في أشدود إلى هذا اليوم.

تابوت العهد يجلب الشؤم والخراب والأمراض على جت وعقرون:

٦فثقلت يد الرب على الأشدوديين، وأخربهم وضربهم بالبواسير في أشدود وتخومها. ٧ولما رأى أهل أشدود الأمر كذلك قالوا: «لا يمكث تابوت إله إسرائيل عندنا لأن يده قد قست علينا وعلى داجون إلهنا». ٨فأرسلوا وجمعوا جميع أقطاب الفلسطينيين إليهم وقالوا: «ماذا نصنع بتابوت إله إسرائيل؟» فقالوا: «لينقل تابوت إله إسرائيل إلى جت». فنقلوا تابوت إله إسرائيل. ٩وكان بعدما نقلوه أن يد الرب كانت على المدينة باضطراب عظيم جدا، وضرب أهل المدينة من الصغير إلى الكبير ونفرت لهم البواسير.

١٠فأرسلوا تابوت الله إلى عقرون. وكان لما دخل تابوت الله إلى عقرون أنه صرخ العقرونيون: «قد نقلوا إلينا تابوت إله إسرائيل ليميتونا نحن وشعبنا!». ١١وأرسلوا وجمعوا كل أقطاب الفلسطينيين وقالوا: «أرسلوا تابوت إله إسرائيل فيرجع إلى مكانه ولا يميتنا نحن وشعبنا». لأن اضطراب الموت كان في كل المدينة. يد الله كانت ثقيلة جدا هناك. ١٢والناس الذين لم يموتوا ضربوا بالبواسير، فصعد صراخ المدينة إلى السماء)[١].

تداول أهل فلسطين لإعادة تابوت العهد إلى شعب الله:

١وكان تابوت الله في بلاد الفلسطينيين سبعة أشهر. ٢فسأل الفلسطينيون الكهنة والعرافين: «ماذا نعمل بتابوت الرب. أخبرونا بماذا نرسله إلى مكانه». ٣فقالوا: «إذا

(١) سفر صموئيل الأول، أصحاح (٥).

أرسلتم تابوت إله إسرائيل فلا ترسلوه فارغا، بل ردوا له قربان إثم. حينئذ تشفون ويعلم عندكم لماذا لا ترتفع يده عنكم». ٤ فقالوا: «وما هو قربان الإثم الذي نرده له؟» فقالوا: «حسب عدد أقطاب الفلسطينيين: خمسة بواسير من ذهب وخمسة فيران من ذهب. لأن الضربة واحدة عليكم جميعا وعلى أقطابكم. ٥واصنعوا تماثيل بواسيركم وتماثيل فيرانكم التي تفسد الأرض، وأعطوا إله إسرائيل مجدا لعله يخفف يده عنكم وعن آلهتكم وعن أرضكم. ٦ولماذا تغلظون قلوبكم كما أغلظ المصريون وفرعون قلوبهم؟ أليس على ما فعل بهم أطلقوهم فذهبوا؟ ٧فالآن خذوا واعملوا عجلة واحدة جديدة وبقرتين مرضعتين لم يعلهما نير، واربطوا البقرتين إلى العجلة، وأرجعوا ولديهما عنهما إلى البيت. ٨وخذوا تابوت الرب واجعلوه على العجلة، وضعوا أمتعة الذهب التي تردونها له قربان إثم في صندوق بجانبه وأطلقوه فيذهب. ٩وانظروا، فإن صعد في طريق تخمه إلى بيتشمس فإنه هو الذي فعل بنا هذا الشر العظيم. وإلا فنعلم أن يده لم تضربنا. كان ذلك علينا عرضا.

رد التابوت مع القرابين:

١٠ففعل الرجال كذلك، وأخذوا بقرتين مرضعتين وربطوهما إلى العجلة، وحبسوا ولديهما في البيت...١٥فأنزل اللاويون تابوت الرب والصندوق الذي معه الذي فيه أمتعة الذهب ووضعوهما على الحجر الكبير. وأصعد أهل بيتشمس محرقات وذبحوا ذبائح في ذلك اليوم للرب. ١٦فرأى أقطاب الفلسطينيين الخمسة ورجعوا إلى عقرون في ذلك اليوم.

الرب يعاقب أهل بيتشمس لأنهم نظروا إلى تابوت الرب:

١٩وضرب – وعاقب الرب – أهل بيتشمس لأنهم نظروا إلى تابوت الرب. وضرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين رجلا. فناح الشعب لأن الرب ضرب الشعب ضربة عظيمة. ٢٠وقال أهل بيتشمس: «من يقدر أن يقف أمام الرب الإله القدوس هذا، وإلى من يصعد عنا؟» ٢١وأرسلوا رسلا إلى سكان قرية يعاريم قائلين: «قد رد

الفلسطينيون تابوت الرب، فانزلوا وأصعدوه إليكم)[1].

صموئيل يدعو الشعب للتوبة إلى الله حتى ينقذهم الرب من الفلسطينيين:

٣وقال صموئيل لكل بيت إسرائيل: «إن كنتم بكل قلوبكم راجعين إلى الرب فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروث من وسطكم، وأعدوا قلوبكم للرب واعبدوه وحده، فينقذكم من يد الفلسطينيين».٤فنزع بنو إسرائيل البعليم والعشتاروث وعبدوا الرب وحده.

صموئيل يدعو الشعب للتجمع في المصفاة ليصلي من أجلهم:

٥فقال صموئيل: «اجمعوا كل إسرائيل إلى المصفاة فأصلي لأجلكم إلى الرب. ٦فاجتمعوا إلى المصفاة واستقوا ماء وسكبوه أمام الرب، وصاموا في ذلك اليوم وقالوا: «هناك قد أخطأنا إلى الرب». وقضى صموئيل لبني إسرائيل في المصفاة.

الفلسطينيون تجمعون لمحاربة شعب الله:

٧وسمع الفلسطينيون أن بني إسرائيل قد اجتمعوا في المصفاة، فصعد أقطاب الفلسطينيين إلى إسرائيل. فلما سمع بنو إسرائيل خافوا من الفلسطينيين.

تدخل الرب لإنقاذ شعبه بعد صراخ النبي صموئيل ودعائه للرب:

٨وقال بنو إسرائيل لصموئيل: «لا تكف عن الصراخ من أجلنا إلى الرب إلهنا فيخلصنا من يد الفلسطينيين». ٩فأخذ صموئيل حملا رضيعا وأصعده محرقة بتمامه للرب. وصرخ صموئيل إلى الرب من أجل إسرائيل فاستجاب له الرب.

الرب يهزم الفلسطينيين وشعب الله يتبع فلولهم الهاربة:

١٠وبينما كان صموئيل يصعد المحرقة تقدم الفلسطينيون لمحاربة إسرائيل، فأرعد

---

(١) سفر صموئيل الأول، أصحاح (٦).

الرب بصوت عظيم في ذلك اليوم على الفلسطينيين وأزعجهم، فانكسروا أمام إسرائيل.١١وخرج رجال إسرائيل من المصفاة وتبعوا الفلسطينيين وضربوهم إلى ما تحت بيت كار.

نصب صموئيل لحجر معونة الرب على الفلسطينيين وإذلاله لهم:

١٢فأخذ صموئيل حجرا ونصبه بين المصفاة والسن، ودعا اسمه «حجر المعونة» وقال: «إلى هنا أعاننا الرب». ١٣فذل الفلسطينيون ولم يعودوا بعد للدخول في تخم إسرائيل.

يد الرب على الفلسطينيين واسترجاع الأرض المقدسة منهم:

وكانت يد الرب على الفلسطينيين كل أيام صموئيل.١٤والمدن التي أخذها الفلسطينيون من إسرائيل رجعت إلى إسرائيل من عقرون إلى جت. واستخلص إسرائيل تخومها من يد الفلسطينيين)[1].

٧- الحروب المقدسة في عهد الملوك:

حروب الملك شاول:

قام شعب الله بحرب قدسها الرب لتحرير شعبه عندما أراد العمونيين إذلالهم، وخاض هذه الحروب ملكان من ملوك شعب الله هما شاول وداود.

جيش ناحاش العموني يزحف على شعب الله، ويطلبون منه عقد معاهدة يكونون عبيدا له بموجبها:

جاء في سفر صموئيل الأول:(١ وصعد ناحاش العموني ونزل على يابيش جلعاد. فقال جميع أهل يابيش لناحاش: «اقطع لنا عهدا فنستعبد لك».

(١) سفر صموئيل الأول، أصحاح (٧).

ناحاش يوافق على الصلح بشرط قلع العين اليمنى لكل إسرائيلي ليكون ذلك عارا عليهم:

٢فقال لهم ناحاش العموني: «بهذا أقطع لكم. بتقوير كل عين يمنى لكم وجعل ذلك عارا على جميع إسرائيل».

شعب الله يطلبون منه مهلة سبعة أيام:

٣فقال له شيوخ يابيش: «اتركنا سبعة أيام فنرسل رسلا إلى جميع تخوم إسرائيل. فإن لم يوجد من يخلصنا نخرج إليك.

روح الرب تحل على شاول ويتسلم قيادة شعب الله:

٤فجاء الرسل إلى جبعة شاول وتكلموا بهذا الكلام في آذان الشعب، فرفع كل الشعب أصواتهم وبكوا. ٥وإذا بشاول آت وراء البقر من الحقل، فقال: «ما بال الشعب يبكون؟» فقصوا عليه كلام أهل يابيش. ٦فحل روح الله على شاول عندما سمع هذا الكلام وحمي غضبه جدا.

شاول يهدد المتخاذلين من شعب الله:

٧فأخذ زوج بقر وقطعه، وأرسل إلى كل تخوم إسرائيل بيد الرسل قائلا: «من لا يخرج وراء شاول ووراء صموئيل، فهكذا يفعل ببقره». فوقع رعب الرب على الشعب، فخرجوا كرجل واحد.

شاول يجند جيشا كبيرا لحرب ناحاش:

٨وعدهم في بازق فكان بنو إسرائيل ثلاث مئة ألف، ورجال يهوذا ثلاثين ألفا. ٩وقالوا للرسل الذين جاءوا: «هكذا تقولون لأهل يابيش جلعاد: غدا عندما تحمى الشمس يكون لكم خلاص. فأتى الرسل وأخبروا أهل يابيش ففرحوا. ١٠وقال أهل يابيش: «غدا نخرج إليكم فتفعلون بنا حسب كل ما يحسن في أعينكم.

شعب الله بقيادة شاول يهزمون ناحاش وجيشه العموني:

١١وكان في الغد أن شاول جعل الشعب ثلاث فرق، ودخلوا في وسط المحلة عند سحر الصبح وضربوا العمونيين حتى حمي النهار. والذين بقوا تشتتوا حتى لم يبق منهم اثنان معا. ١٢وقال الشعب لصموئيل: «من هم الذين يقولون: هل شاول يملك علينا؟ ايتوا بالرجال فنقتلهم». ١٣فقال شاول: «لا يقتل أحد في هذا اليوم، لأنه في هذا اليوم صنع الرب خلاصا في إسرائيل)[1].

ولما هاجم يوناثان ابن الملك شاول حامية الفلسطينيين المعسكرة في جبع ثار الفلسطينيون وعزموا على الانتقام من شعب الله، وعند ذلك استنفر شاول الشعب.

يوناثان يهاجم الفلسطينيين:

جاء في سفر صموئيل الأول: (٣وضرب يوناثان نصب الفلسطينيين الذي في جبع. فسمع الفلسطينيون.

شاول يستنفر الشعب:

وضرب شاول بالبوق في جميع الأرض قائلا: «ليسمع العبرانيون». ٤فسمع جميع إسرائيل قولا: «قد ضرب شاول نصب الفلسطينيين، وأيضا قد أنتن إسرائيل لدى الفلسطينيين». فاجتمع الشعب وراء شاول إلى الجلجال.

جيوش الفلسطينيين تزحف لمحاربة شعب الله:

٥ وتجمع الفلسطينيون لمحاربة إسرائيل. ثلاثون ألف مركبة، وستة آلاف فارس، وشعب كالرمل الذي على شاطئ البحر في الكثرة. وصعدوا ونزلوا في مخماس شرقي بيت آون...

---

(١) سفر صموئيل الأول، أصحاح (١١).

ثم توالت الأحداث وأخذ شاول الملك على شعب الله وتولى قيادة الحروب المقدسة:

٤٦فصعد شاول من وراء الفلسطينيين، وذهب الفلسطينيون إلى مكانهم. ٤٧ وأخذ شاول الملك على إسرائيل، وحارب جميع أعدائه حواليه: موآب وبني عمون وأدوم، وملوك صوبة والفلسطينيين. وحيثما توجه غلب. ٤٨ وفعل ببأس وضرب عماليق، وأنقذ إسرائيل من يد ناهبيه... ٥٢ وكانت حرب شديدة على الفلسطينيين كل أيام شاول. وإذا رأى شاول رجلا جبارا أو ذا بأس ضمه إلى نفسه)[١].

وجاء في نفس السفر خبر عن حرب الملك شاول مع العماليق:(١ وقال صموئيل لشاول: إياي أرسل الرب لمسحك ملكا على شعبه إسرائيل. والآن فاسمع صوت كلام الرب. ٢ هكذا يقول رب الجنود: إني قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر. ٣ فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ما له ولا تعف عنهم بل اقتل رجلا وامرأة، طفلا ورضيعا، بقرا وغنما، جملا وحمارا.

جيش شعب الله يهزم العماليق بقيادة شاول:

٤ فاستحضر شاول الشعب وعده في طلايم، مئتي ألف راجل وعشرة آلاف رجل من يهوذا. ٥ ثم جاء شاول إلى مدينة عماليق وكمن في الوادي. ٦ وقال شاول للقينيين: «اذهبوا حيدوا انزلوا من وسط العمالقة لئلا أهلككم معهم، وأنتم قد فعلتم معروفا مع جميع بني إسرائيل عند صعودهم من مصر». فحاد القيني من وسط عماليق. ٧ وضرب شاول عماليق من حويلة حتى مجيئك إلى شور التي مقابل مصر.

شعب الله يحرم -يبيد- كل شعب العماليق:

٨ وأمسك أجاج ملك عماليق حيا، وحرم جميع الشعب بحد السيف. ٩ وعفا شاول والشعب عن أجاج وعن خيار الغنم والبقر والحملان والخراف وعن كل الجيد، ولم

---

(١) سفر صموئيل الأول، أصحاح (١٥).

يرضوا أن يحرموها. وكل الأملاك المحتقرة والمهزولة حرموها)[1].

وتوالت الأحداث وحارب الملك شاول حروب الرب واستعان بداود الذي قتل جليات -جالوت- زعيم جيش الفلسطينيين -كما سيأتي قريبا-، ولأجل قوة وشجاعة داود زوجه ابنته.

الملك شاول يزوج ابنته لداود ليحارب حروب الرب:

(١٧ وقال شاول لداود: «هوذا ابنتي الكبيرة ميرب أعطيك إياها امرأة. إنما كن لي ذا بأس وحارب حروب الرب». فإن شاول قال: «لا تكن يدي عليه، بل لتكن عليه يد الفلسطينيين». ١٨ فقال داود لشاول: «من أنا وما هي حياتي وعشيرة أبي في إسرائيل حتى أكون صهر الملك!» ١٩ وكان في وقت إعطاء ميرب ابنة شاول لداود أنها أعطيت لعدريئيل المحولي امرأة)[2].

٨- الحروب المقدسة في عهد داود:

وجاء في العهد القديم ذكر لحروب متعددة قام بها داود -الذي توج ملكا فيما بعد- مع شعب الله وهي مقدسة وبأمر الرب يهوه، فقد جاء في سفر صموئيل الأول:

داود يخبر جليات عندما تحداه أنه يتحرك للحرب باسم الرب وأن الحرب للرب:

(٤٥ فقال داود: «أنت تأتي إلي بسيف وبرمح وبترس. وأنا آتي إليك باسم رب الجنود إله صفوف إسرائيل الذين عيرتهم. ٤٦ هذا اليوم يحبسك الرب في يدي فأقتلك وأقطع رأسك. وأعطي جثث جيش الفلسطينيين هذا اليوم لطيور السماء وحيوانات الأرض، فتعلم كل الأرض أنه يوجد إله لإسرائيل.

(١) سفر صموئيل الأول، أصحاح (١٥).

(٢) سفر صموئيل الأول، أصحاح (١٨).

٤٧ وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلص الرب، لأن الحرب للرب وهو يدفعكم ليدنا». ٤٨ وركض نحو الصف للقاء الفلسطيني. ٤٩ ومد داود يده إلى الكنف وأخذ منه حجرا ورماه بالمقلاع، وضرب الفلسطيني في جبهته، فانغزر الحجر في جبهته وسقط على وجهه إلى الأرض.

داود يقتل جليات ويقطع رأسه ويهزم الفلسطينيين:

٥٠ فتمكن داود من الفلسطيني بالمقلاع والحجر، وضرب الفلسطيني وقتله. ولم يكن سيف بيد داود. ٥١ فركض داود ووقف على الفلسطيني وأخذ سيفه واخترطه من غمده وقتله وقطع به رأسه. فلما رأى الفلسطينيون أن جبارهم قد مات هربوا. ٥٢ فقام رجال إسرائيل ويهوذا وهتفوا ولحقوا الفلسطينيين حتى مجيئك إلى الوادي وحتى أبواب عقرون. فسقطت قتلى الفلسطينيين في طريق شعرايم إلى جت وإلى عقرون. ٥٣ ثم رجع بنو إسرائيل من الاحتماء وراء الفلسطينيين ونهبوا محلتهم.) [١].

داود يستشير الرب في نجدة بلدة قعيلة والرب يبشره بأنه سينصره عليهم:

(١ فأخبروا داود: «هوذا الفلسطينيون يحاربون قعيلة وينهبون البيادر». ٢ فسأل داود من الرب: «أأذهب وأضرب هؤلاء الفلسطينيين؟» فقال الرب لداود: «اذهب واضرب الفلسطينيين وخلص قعيلة». ٣ فقال رجال داود له: «ها نحن ههنا في يهوذا خائفون، فكم بالحري إذا ذهبنا إلى قعيلة ضد صفوف الفلسطينيين؟» ٤ فعاد أيضا داود وسأل من الرب، فأجابه الرب: «قم انزل إلى قعيلة، فإني أدفع الفلسطينيين ليدك». ٥ فذهب داود ورجاله إلى قعيلة وحارب الفلسطينيين وساق مواشيهم وضربهم ضربة عظيمة، وخلص داود سكان قعيلة) [٢].

(١) سفر صموئيل الأول، أصحاح (١٧).

(٢) سفر صموئيل الأول، أصحاح (٢٣).

وأثبتت نصوص سفر صموئيل الأول حروبا مقدسة للملك دواد قام بها ضد الجشوريين والجرزيين والعمالقة منها:

حروب داود المقدسة بعد توج ملكا:

(٨ وصعد داود ورجاله وغزوا الجشوريين والجرزيين والعمالقة لأن هؤلاء من قديم سكان الأرض من عند شور إلى أرض مصر. ٩ وضرب داود الأرض، ولم يستبق رجلا ولا امرأة، وأخذ غنما وبقرا وحميرا وجمالا وثيابا ورجع وجاء إلى أخيش. ١٠ فقال أخيش: «إذا لم تغزوا اليوم». فقال داود: «بلى. على جنوبي يهوذا وجنوبي اليرحمئيليين وجنوبي القينيين». ١١ فلم يستبق داود رجلا ولا امرأة حتى يأتي إلى جت إذ قال: «لئلا يخبروا عنا قائلين: هكذا فعل داود». وهكذا عادته كل أيام إقامته في بلاد الفلسطينيين. ١٢ فصدق أخيش داود قائلا: «قد صار مكروها لدى شعبه إسرائيل، فيكون لي عبدا إلى الأبد)[(١)].

وعندما غزا العمالقة الجنوب وصقلغ هزموها وأحرقوها وأسروا نساء داود، لحق بهم وحاربهم بأمر الرب وهزمهم شر هزيمة.

داود يسأل الرب يهوه ويستشيره هل يقبل على حرب العماليق:

١ ولما جاء داود ورجاله إلى صقلغ في اليوم الثالث، كان العمالقة قد غزوا الجنوب وصقلغ، وضربوا صقلغ وأحرقوها بالنار، ٢ وسبوا النساء اللواتي فيها. لم يقتلوا أحدا لا صغيرا ولا كبيرا، بل ساقوهم ومضوا في طريقهم. ٣ فدخل داود ورجاله المدينة وإذا هي محرقة بالنار، ونساؤهم وبنوهم وبناتهم قد سبوا...

٧ ثم قال داود لأبياثار الكاهن ابن أخيمالك: «قدم إلي الأفود». فقدم أبياثار الأفود إلى داود. ٨ فسأل داود من الرب: «إذا لحقت هؤلاء الغزاة فهل أدركهم؟» فقال له:

(١) سفر صموئيل الأول، أصحاح (٢٧).

«الحقهم فإنك تدرك وتنقذ». ٩ فذهب داود هو والست مئة الرجل الذين معه وجاءوا إلى وادي البسور، والمتخلفون وقفوا. ١٠ وأما داود فلحق هو وأربع مئة رجل، ووقف مئتا رجل لأنهم أعيوا عن أن يعبروا وادي البسور...

الملك داود يضرب ويهزمهم العمالقة:

١٦ فنزل به وإذا بهم منتشرون على وجه كل الأرض، يأكلون ويشربون ويرقصون بسبب جميع الغنيمة العظيمة التي أخذوا من أرض الفلسطينيين ومن أرض يهوذا. ١٧ فضربهم داود من العتمة إلى مساء غدهم، ولم ينج منهم رجل إلا أربع مئة غلام الذين ركبوا جمالا وهربوا. ١٨ واستخلص داود كل ما أخذه عماليق، وأنقذ داود امرأتيه. ١٩ ولم يفقد لهم شيء لا صغير ولا كبير ولا بنون ولا بنات ولا غنيمة، ولا شيء من جميع ما أخذوا لهم، بل رد داود الجميع.

الملك داود يأخذ الغنائم:

٢٠ وأخذ داود الغنم والبقر. ساقوها أمام تلك الماشية وقالوا: «هذه غنيمة داود»[(١)].

وجاءت في سفر صموئيل الثاني قصة استيلاء دواد وشعب الله على أورشليم بعد محاربة اليبوسيين أهل أورشليم.

استيلاء الملك داود على أروشليم:

(٦ وذهب الملك ورجاله-تقدم الملك بقواته نحو أورشليم لمحاربة أهلها- إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض. فقالوا لداود: «لا تدخل إلى هنا ما لم تنزع العميان والعرج». (أي لا يدخل داود إلى هنا). ٧ - غير أن داود استولى -وأخذ داود حصن صهيون (هي مدينة داود). ٨ وقال داود في ذلك اليوم: «إن الذي يضرب اليبوسيين ويبلغ إلى القناة (والعرج والعمي المبغضين من نفس داود) لذلك يقولون: لا يدخل

(١) سفر صموئيل الأول، أصحاح (٣٠).

البيت أعمى أو أعرج». ٩ وأقام داود في الحصن وسماه «مدينة داود». وبنى داود مستديرا من القلعة فداخلا. ١٠ وكان داود يتزايد متعظما والرب إله الجنود معه...

الفلسطينيون يهاجمون الملك داود وشعب الله:

١٧ وسمع الفلسطينيون أنهم قد مسحوا داود ملكا على إسرائيل، فصعد جميع الفلسطينيين ليفتشوا على داود. ولما سمع داود نزل إلى الحصن.

انتشار العدو في أرض المعركة والملك داود يستشير الرب في الحرب المقدسة ويأذن له:

١٨ وجاء الفلسطينيون وانتشروا في وادي الرفائيين. ١٩ وسأل داود من الرب: أأصعد إلى الفلسطينيين؟ أتدفعهم ليدي؟» فقال الرب لداود: «اصعد لأني دفعا أدفع الفلسطينيين ليدك». ٢٠ فجاء داود إلى بعل فراصيم وضربهم داود هناك، وقال: «قد اقتحم الرب أعدائي أمامي كاقتحام المياه». لذلك دعى اسم ذلك الموضع «بعل فراصيم».٢١ وتركوا هناك أصنامهم فنزعها داود ورجاله.

الرب يخبر الملك داود بالخطة الحربية لمواجهة العدو:

٢٢ ثم عاد الفلسطينيون فصعدوا أيضا وانتشروا في وادي الرفائيين. ٢٣ فسأل داود من الرب فقال: لا تصعد، بل در من ورائهم وهلم عليهم مقابل أشجار البكا.

الرب في ميدان المعركة المقدسة ليهزم أعداء شعبة بنفسه:

٢٤ وعندما تسمع صوت خطوات في رؤوس أشجار البكا حينئذ احترص، لأنه إذ ذاك يخرج الرب أمامك لضرب محلة الفلسطينيين». ٢٥ ففعل داود كذلك كما أمره الرب، وضرب الفلسطينيين من جبع إلى مدخل جازر) [1].

(١) سفر صموئيل الثاني، أصحاح (٥).

حروب داود مع الفلسطينيين والموآبيين:

(١ وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذللهم، وأخذ داود «زمام القصبة» من يد الفلسطينيين. ٢ وضرب الموآبيين وقاسهم بالحبل. أضجعهم على الأرض، فقاس بحبلين للقتل وبحبل للاستحياء. وصار الموآبيون عبيدا لداود يقدمون هدايا.

حرب داود للأراميين وهزيمتهم لهم:

(٣ وضرب داود هدد عزر بن رحوب ملك صوبة حين ذهب ليرد سلطته عند نهر الفرات. ٤ فأخذ داود منه ألفا وسبع مئة فارس وعشرين ألف راجل. وعرقب داود جميع خيل المركبات وأبقى منها مئة مركبة. ٥ فجاء أرام دمشق لنجدة هدد عزر ملك صوبة، فضرب داود من أرام اثنين وعشرين ألف رجل. ٦ وجعل داود محافظين في أرام دمشق وصار الأراميون لداود عبيدا يقدمون هدايا. وكان الرب يخلص داود حيثما توجه. ٧ وأخذ داود أتراس الذهب التي كانت على عبيد هدد عزر وأتى بها إلى أورشليم. ٨ ومن باطح ومن بيروثاي مدينتي هدد عزر أخذ الملك داود نحاسا كثيرا جدا...

هزيمة وإخضاع أدوم بأمر الرب:

١٤ وجعل في أدوم محافظين. وضع محافظين في أدوم كلها. وكان جميع الأدوميين عبيدا لداود. وكان الرب يخلص داود حيثما توجه)[١].

ولما أساء ملك بني عمون حانون معاملة وفد داود حاربه وأذله في ميدان المعركة:

(٦ ولما رأى بنو عمون أنهم قد أنتنوا عند داود أرسل بنو عمون واستأجروا أرام بيت رحوب وأرام صوبا، عشرين ألف راجل، ومن ملك معكة ألف رجل، ورجال طوب اثني عشر ألف رجل. ٧ فلما سمع داود أرسل يوآب وكل جيش الجبابرة.

(١) سفر صموئيل الثاني، أصحاح (٨).

٨ وخرج بنو عمون واصطفوا للحرب عند مدخل الباب، وكان أرام صوبا ورحوب ورجال طوب ومعكة وحدهم في الحقل. ٩ فلما رأى يوآب أن مقدمة الحرب كانت نحوه من قدام ومن وراء، اختار من جميع منتخبي إسرائيل وصفهم للقاء أرام.

١٠ وسلم بقية الشعب ليد أخيه أبيشاي فصفهم للقاء بني عمون. ١١ وقال: «إن قوي أرام علي تكون لي منجدا. وإن قوي عليك بنو عمون أذهب لنجدتك. ١٢ تجلد ولنتشدد من أجل شعبنا ومن أجل مدن إلهنا، والرب يفعل ما يحسن في عينيه.

هزيمة الأراميين والعمونيين:

١٣ فتقدم يوآب والشعب الذين معه لمحاربة أرام فهربوا من أمامه. ١٤ ولما رأى بنو عمون أنه قد هرب أرام هربوا من أمام أبيشاي ودخلوا المدينة. فرجع يوآب عن بني عمون وأتى إلى أورشليم.

هزيمة الأراميين الثانية:

١٥ ولما رأى أرام أنهم قد انكسروا أمام إسرائيل اجتمعوا معا. ١٦ وأرسل هدد عزر فأبرز أرام الذي في عبر النهر، فأتوا إلى حيلام وأمامهم شوبك رئيس جيش هدد عزر. ١٧ ولما أخبر داود جمع كل إسرائيل وعبر الأردن وجاء إلى حيلام، فاصطف أرام للقاء داود وحاربوه. ١٨ وهرب أرام من أمام إسرائيل، وقتل داود من أرام سبع مئة مركبة وأربعين ألف فارس، وضرب شوبك رئيس جيشه فمات هناك.١٩ ولما رأى جميع الملوك، عبيد هدد عزر أنهم انكسروا أمام إسرائيل صالحوا إسرائيل واستعبدوا لهم، وخاف أرام أن ينجدوا بني عمون بعد) (١).

(١) سفر صموئيل الثاني، أصحاح (١٠).

داود يأمر بتخريب عمون ومحاصرة مدينة ربة:

(١ وكان عند تمام السنة في وقت خروج الملوك أن داود أرسل يوآب وعبيده معه وجميع إسرائيل، فأخربوا بني عمون وحاصروا ربة. وأما داود فأقام في أورشليم)(١).

يوآب يستولي على ربة عمون ويتحرش بداود فيهزمه داود شر هزيمة:

(٦ وحارب يوآب ربة بني عمون وأخذ مدينة المملكة. ٢٧ وأرسل يوآب رسلا إلى داود يقول: «قد حاربت ربة وأخذت أيضا مدينة المياه. ٢٨ فالآن اجمع بقية الشعب وانزل على المدينة وخذها لئلا آخذ أنا المدينة فيدعى باسمي عليها». ٢٩ فجمع داود كل الشعب وذهب إلى ربة وحاربها وأخذها. ٣٠ وأخذ تاج ملكهم عن رأسه ووزنه وزنة من الذهب مع حجر كريم، وكان على رأس داود. وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جدا.

داود يضع شعب بني عمون تحت مناشير من حديد وينشرهم بها:

٣١ وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم في أتون الآجر، وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون. ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم)(٢).

انتصارات داود على الفلسطينيين:

١٥ كانت أيضا حرب بين الفلسطينيين وإسرائيل، فانحدر داود وعبيده معه وحاربوا الفلسطينيين، فأعيا داود. ١٦ ويشبي بنوب الذي من أولاد رافا، ووزن رمحه ثلاث مئة شاقل نحاس وقد تقلد جديدا، افتكر أن يقتل داود. ١٧ فأنجده أبيشاي ابن صروية فضرب الفلسطيني وقتله. حينئذ حلف رجال داود له قائلين: «لا تخرج أيضا معنا إلى الحرب، ولا تطفئ سراج إسرائيل». ١٨ م بعد ذلك كانت أيضا حرب في جوب مع الفلسطينيين. حينئذ سبكاي الحوشي قتل ساف الذي هو من أولاد رافا.

(١) سفر صموئيل الثاني، أصحاح (١١).

(٢) سفر صموئيل الثاني، أصحاح (١٢).

١٩ م كانت أيضا حرب في جوب مع الفلسطينيين. فألحانان بن يعري أرجيم البيتلحمي قتل جليات الجتي، وكانت قناة رمحه كنول النساجين. ٢٠ وكانت أيضا حرب في جت، وكان رجل طويل القامة أصابع كل من يديه ست، وأصابع كل من رجليه ست (عددها أربع وعشرون) وهو أيضا ولد لرافا. ٢١ ولما عير إسرائيل ضربه يوناثان بن شمعى أخي داود. ٢٢ هؤلاء الأربعة ولدوا لرافا في جت وسقطوا بيد داود وبيد عبيده)[١].

وكان من تسبيح دواد مايفيد العلاقة الحربية بينه وبين الرب ومن ذلك:

(١ وكلم داود الرب بكلام هذا النشيد في اليوم الذي أنقذه فيه الرب من أيدي كل أعدائه ومن يد شاول، ٢ فقال: «الرب صخرتي وحصني ومنقذي، ٣ إله صخرتي به أحتمي. ترسي وقرن خلاصي. ملجإي ومناصي. مخلصي، من الظلم تخلصني. ٤ أدعو الرب الحميد فأتخلص من أعدائي.

١٨ أنقذني من عدوي القوي، من مبغضي لأنهم أقوى مني. ١٩ أصابوني في يوم بليتي وكان الرب سندي. ٢٠ أخرجني إلى الرحب. خلصني لأنه سر بي...

٣٨ ألحق أعدائي فأهلكهم، ولا أرجع حتى أفنيهم. ٣٩ أفنيهم وأسحقهم فلا يقومون، بل يسقطون تحت رجلي. ٤٠ «تنطقني قوة للقتال، وتصرع القائمين علي تحتي. ٤١ وتعطيني أقفية أعدائي ومبغضي فأفنيهم. ٤٢ يتطلعون فليس مخلص، إلى الرب فلا يستجيبهم. ٤٣ فأسحقهم كغبار الأرض. مثل طين الأسواق أدقهم وأدوسهم. ٤٤ وتنقذني من مخاصمات شعبي وتحفظني رأسا للأمم. شعب لم أعرفه يتعبد لي. ٤٥ بنو الغرباء يتذللون لي. من سماع الأذن يسمعون لي. ٤٦ بنو الغرباء يبلون ويزحفون من حصونهم. ٤٧ حي هو الرب ومبارك صخرتي، ومرتفع إله صخرة خلاصي، ٤٨ الإله

(١) سفر صموئيل الثاني، أصحاح (٢١).

المنتقم لي والمخضع شعوبا تحتي، ٤٩ والذي يخرجني من بين أعدائي ويرفعني فوق القائمين علي، وينقذني من رجل الظلم. ٥٠ لذلك أحمدك يا رب في الأمم ولاسمك أرنم. ٥١ برج خلاص لملكه والصانع رحمة لمسيحه، لداود ونسله إلى الأبد)[(١)].

ومن منجزات المقاتلين الذين قاتلوا مع داود وسماهم الكتاب المقدس أبطال داود – الثلاثة – أن:

المقاتل منهم يقتل بهزة رمحه هزة واحدة ثمان مئة رجل من الأعداء:

جاء في سفر صموئيل الثاني أيضا:(٨ هذه أسماء الأبطال الذين لداود: يشيب بشبث التحكموني رئيس الثلاثة. هو هز رمحه على ثمان مئة قتلهم دفعة واحدة. ٩ وبعده ألعازار بن دودو بن أخوخي أحد الثلاثة الأبطال الذين كانوا مع داود حينما عيروا الفلسطينيين الذين اجتمعوا هناك للحرب وصعد رجال إسرائيل.

بطل الكتاب المقدس يقاتل حتى يلصق السيف في يده:

١٠ أما هو فأقام وضرب الفلسطينيين حتى كلت يده، ولصقت يده بالسيف، وصنع الرب خلاصا عظيما في ذلك اليوم، ورجع الشعب وراءه للنهب فقط.

والبطل الآخر يضرب من الأعداء عددا كقطعة حقل مملوءة عدسا:

١١ وبعده شمة بن أجي الهراري. فاجتمع الفلسطينيون جيشا وكانت هناك قطعة حقل مملوءة عدسا، فهرب الشعب من أمام الفلسطينيين. ١٢ فوقف في وسط القطعة وأنقذها، وضرب الفلسطينيين فصنع الرب خلاصا عظيما[(٢)].

---

(١) سفر صموئيل الثاني، أصحاح (٢٢).

(٢) سفر صموئيل الثاني، أصحاح (٢٣). انظر ص ٦٩٦ التفسير التطبيقي.

حرب داود للاستيلاء على أورشليم بعد أن مسح ملكا على إسرائيل:

(٤ وذهب داود وكل إسرائيل إلى أورشليم (أي يبوس). وهناك اليبوسيون سكان الأرض. ٥ وقال سكان يبوس لداود: «لا تدخل إلى هنا». فأخذ داود حصن صهيون (هي مدينة داود). ٦ وقال داود: «إن الذي يضرب اليبوسيين أولا يكون رأسا وقائدا». فصعد أولا يوآب ابن صروية، فصار رأسا. ٧ وأقام داود في الحصن، لذلك دعوه «مدينة داود». ٨ وبنى المدينة حواليها من القلعة إلى ما حولها. ويوآب جدد سائر المدينة. ٩ وكان داود يتزايد متعظما ورب الجنود معه.

ذكر لرجال داود الجبابرة مرة أخرى:

١٠ وهؤلاء رؤساء الأبطال الذين لداود، الذين تشددوا معه في ملكه مع كل إسرائيل لتمليكه حسب كلام الرب من جهة إسرائيل. ١١ وهذا هو عدد الأبطال الذين لداود: يشبعام بن حكموني رئيس الثوالث. هو هز رمحه على ثلاث مئة قتلهم دفعة واحدة. ١٢ وبعده ألعازار بن دودو الأخوخي. هو من الأبطال الثلاثة. ١٣ هو كان مع داود في فس دميم وقد اجتمع هناك الفلسطينيون للحرب. وكانت قطعة الحقل مملوءة شعيرا، فهرب الشعب من أمام الفلسطينيين. ١٤ ووقفوا في وسط القطعة وأنقذوها، وضربوا الفلسطينيين. وخلص الرب خلاصا عظيما. ١٥ ونزل ثلاثة من الثلاثين رئيسا إلى الصخر إلى داود إلى مغارة عدلام وجيش الفلسطينيين نازل في وادي الرفائيين.

١٦ وكان داود حينئذ في الحصن، وحفظة الفلسطينيين حينئذ في بيت لحم. ١٧ فتأوه داود وقال: «من يسقيني ماء من بئر بيت لحم التي عند الباب؟» ١٨ فشق الثلاثة محلة الفلسطينيين واستقوا ماء من بئر بيت لحم التي عند الباب وحملوه وأتوا به إلى داود، فلم يشأ داود أن يشربه بل سكبه للرب ١٩ وقال: «حاشا لي من قبل إلهي أن أفعل ذلك! أأشرب دم هؤلاء الرجال بأنفسهم؟ لأنهم إنما أتوا به بأنفسهم». ولم يشأ أن يشربه. هذا ما فعله الأبطال الثلاثة.

٢٠ وأبشاي أخو يوآب كان رئيس ثلاثة. وهو قد هز رمحه على ثلاث مئة فقتلهم، فكان له اسم بين الثلاثة. ٢١ من الثلاثة أكرم على الاثنين وكان لهما رئيسا، إلا أنه لم يصل إلى الثلاثة الأول.

٢٢ بنايا بن يهوياداع ابن ذي بأس كثير الأفعال من قبصيئيل. هو الذي ضرب أسدي موآب، وهو الذي نزل وضرب أسدا في وسط جب يوم الثلج. ٢٣ وهو ضرب الرجل المصري الذي قامته خمس أذرع، وفي يد المصري رمح كنول النساجين. فنزل إليه بعصا وخطف الرمح من يد المصري وقتله برمحه. ٢٤ هذا ما فعله بنايا بن يهوياداع، فكان له اسم بين الثلاثة الأبطال.

٢٥ هوذا أكرم على الثلاثين إلا أنه لم يصل إلى الثلاثة. فجعله داود من أصحاب سره. ٢٦ وأبطال الجيش هم:..)[(١)]، ثم ساق بقية الأسماء.

الأمم تسمع عن بطولات داود وجيشه، والرب يضع هيبته عليهم جميعا:

١٧ وخرج اسم داود إلى جميع الأراضي، وجعل الرب هيبته على جميع الأمم)[(٢)].

حروب دواد وانتصاراته على الأمم وقتله لعشرات الآلاف منهم:

(١ وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذللهم، وأخذ جت وقراها من يد الفلسطينيين. ٢ وضرب موآب، فصار الموآبيون عبيدا لداود يقدمون هدايا.

٣ وضرب داود هدد عزر ملك صوبة في حماة حين ذهب ليقيم سلطته عند نهر الفرات، ٤ وأخذ داود منه ألف مركبة وسبعة آلاف فارس وعشرين ألف راجل، وعرقب داود كل خيل المركبات وأبقى منها مئة مركبة.

---

(١) سفر أخبار الأيام الأول، أصحاح (١١).

(٢) سفر أخبار الأيام الأول، أصحاح (١٤).

٥ فجاء أرام دمشق لنجدة هدد عزر ملك صوبة، فضرب داود من أرام اثنين وعشرين ألف رجل. ٦ وجعل داود محافظين في أرام دمشق، وصار الأراميون لداود عبيدا يقدمون هدايا. وكان الرب يخلص داود حيثما توجه.

داود يقدس غنائم الحروب للرب:

٧ وأخذ داود أتراس الذهب التي كانت على عبيد هدد عزر وأتى بها إلى أورشليم. ٨ ومن طبحة وخون مدينتي هدد عزر أخذ داود نحاسا كثيرا جدا صنع منه سليمان بحر النحاس والأعمدة وآنية النحاس. ٩ وسمع توعو ملك حماة أن داود قد ضرب كل جيش هدد عزر ملك صوبة، ١٠ فأرسل هدورام ابنه إلى الملك داود ليسأل عن سلامته ويباركه، لأنه حارب هدد عزر وضربه. (لأن هدد عزر كانت له حروب مع توعو). وبيده جميع آنية الذهب والفضة والنحاس. ١١ هذه أيضا قدسها الملك داود للرب مع الفضة والذهب الذي أخذه من كل الأمم من: أدوم ومن موآب ومن بني عمون ومن الفلسطينيين ومن عماليق.

الأدوميون عبيدا للملك داود:

(١٢ وأبشاي ابن صروية ضرب من أدوم في وادي الملح ثمانية عشر ألفا. ١٣ وجعل في أدوم محافظين، فصار جميع الأدوميين عبيدا لداود. وكان الرب يخلص داود حيثما توجه. ١٤ وملك داود على جميع إسرائيل، وكان يجري قضاء وعدلا لكل شعبه)[١].

خليفة ملك عمون يسيء الأدب مع وفد داود ويعد عدة الحرب:

(١ وكان بعد ذلك أن ناحاش ملك بني عمون مات، فملك ابنه عوضا عنه. ٢ فقال داود: «أصنع معروفا مع حانون بن ناحاش، لأن أباه صنع معي معروفا». فأرسل داود رسلا ليعزيه بأبيه. فجاء عبيد داود إلى أرض بني عمون إلى حانون ليعزوه. ٣ فقال رؤساء

(١) سفر أخبار الأيام الأول، أصحاح (١٨).

بني عمون لحانون: «هل يكرم داود أباك في عينيك حتى أرسل إليك معزين؟ أليس لأجل الفحص والقلب وتجسس الأرض جاء عبيده إليك؟» ٤ فأخذ حانون عبيد داود وحلق لحاهم وقص ثيابهم من الوسط عند السوءة ثم أطلقهم. ٥ فذهب أناس وأخبروا داود عن الرجال. فأرسل للقائهم لأن الرجال كانوا خجلين جدا. وقال الملك: «أقيموا في أريحا حتى تنبت لحاكم ثم ارجعوا». ٦ ولما رأى بنو عمون أنهم قد أنتنوا عند داود، أرسل حانون وبنو عمون ألف وزنة من الفضة ليستأجروا لأنفسهم من أرام النهرين ومن أرام معكة ومن صوبة مركبات وفرسانا.٧ فاستأجروا لأنفسهم اثنين وثلاثين ألف مركبة، وملك معكة وشعبه. فجاءوا ونزلوا مقابل ميدبا. واجتمع بنو عمون من مدنهم وأتوا للحرب.

داود يرسل يوآب وجيش من الجبابرة:

٨ ولما سمع داود أرسل يوآب وكل جيش الجبابرة. ٩ فخرج بنو عمون واصطفوا للحرب عند باب المدينة، والملوك الذين جاءوا كانوا وحدهم في الحقل.

هزيمة الحلفاء الأراميين:

١٠ ولما رأى يوآب أن مقدمة الحرب كانت نحوه من قدام ومن وراء، اختار من جميع منتخبي إسرائيل وصفهم للقاء أرام. ١١ وسلم بقية الشعب ليد أبشاي أخيه، فاصطفوا للقاء بني عمون. ١٢ وقال: «إن قوي أرام علي تكون لي نجدة، وإن قوي بنو عمون عليك أنجدتك. ١٣ تجلد، ولنتشدد لأجل شعبنا ولأجل مدن إلهنا، وما يحسن في عيني الرب يفعل». ١٤ وتقدم يوآب والشعب الذين معه نحو أرام للمحاربة، فهربوا من أمامه. ١٥ ولما رأى بنو عمون أنه قد هرب أرام هربوا هم أيضا من أمام أبشاي أخيه ودخلوا إلى المدينة. وجاء يوآب إلى أورشليم.

١٦ ولما رأى أرام أنهم قد انكسروا أمام إسرائيل أرسلوا رسلا، وأبرزوا أرام الذين في عبر النهر، وأمامهم شوبك رئيس جيش هدد عزر. ١٧ ولما أخبر داود جمع كل إسرائيل

وعبر الأردن وجاء إليهم واصطف ضدهم. اصطف داود للقاء أرام في الحرب فحاربوه. ١٨ وهرب أرام من أمام إسرائيل، وقتل داود من أرام سبعة آلاف مركبة وأربعين ألف راجل، وقتل شوبك رئيس الجيش. ١٩ ولما رأى عبيد هدد عزر أنهم قد انكسروا أمام إسرائيل صالحوا داود وخدموه. ولم يشأ أرام أن ينجدوا بني عمون بعد[١].

الحرب ضد العمونيين:

(١ وكان عند تمام السنة في وقت خروج الملوك اقتاد يوآب قوة الجيش وأخرب أرض بني عمون وأتى وحاصر ربة. وكان داود مقيما في أورشليم. فضرب يوآب ربة وهدمها. ٢ وأخذ داود تاج ملكهم عن رأسه، فوجد وزنه وزنة من الذهب، وفيه حجر كريم. فكان على رأس داود. وأخرج غنيمة المدينة وكانت كثيرة جدا. ٣ وأخرج الشعب الذين بها ونشرهم بمناشير ونوارج حديد وفؤوس. وهكذا صنع داود لكل مدن بني عمون. ثم رجع داود وكل الشعب إلى أورشليم. ٤ ثم بعد ذلك قامت حرب في جازر مع الفلسطينيين. حينئذ سبكاي الحوشي قتل سفاي من أولاد رافا فذلوا. ٥ وكانت أيضا حرب مع الفلسطينيين، فقتل ألحانان بن ياعور لحمي أخا جليات الجتي. وكانت قناة رمحه كنول النساجين. ٦ ثم كانت أيضا حرب في جت، وكان رجل طويل القامة أعنش، أصابعه أربع وعشرون، وهو أيضا ولد لرافا. ٧ ولما عير إسرائيل ضربه يهوناثان بن شمعي أخي داود. ٨ هؤلاء ولدوا لرافا في جت وسقطوا بيد داود وبيد عبيده)[٢].

الرب يضرب فك أعداء داود عليه السلام ويهشم أسنانهم:

(٧ قم يا رب. خلصني يا إلهي. لأنك ضربت كل أعدائي على الفك. هشمت أسنان الأشرار. ٨ للرب الخلاص. على شعبك بركتك)[٣].

---

(١) سفر أخبار الأيام الأول، أصحاح (١٩).

(٢) سفر أخبار الأيام الأول، أصحاح (٢٠).

(٣) سفر المزامير، مزمور (٣).

الرب ينتهر الأمم ويهلك الأشرار:

٣ عند رجوع أعدائي إلى خلف يسقطون ويهلكون من قدام وجهك ٤ لأنك أقمت حقي ودعواي. جلست على الكرسي قاضيا عادلا. ٥ انتهرت الأمم. أهلكت الشرير. محوت اسمهم إلى الدهر والأبد. ٦ العدو تم خرابه إلى الأبد. وهدمت مدنا. باد ذكره نفسه)[1].

الرب يمطر الأشرار فخاخا من نار وكبريتا وريح سموم:

(٥ الرب يمتحن الصديق. أما الشرير ومحب الظلم فتبغضه نفسه. ٦ يمطر على الأشرار فخاخا نارا وكبريتا وريح السموم نصيب كأسهم)[2].

وفي اليوم الذي أنقذ فيه الرب داود من أيدي أعدائه ومن يد شاول رنم وقال:

(١ أحبك يا رب يا قوتي. ٢ الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إلهي صخرتي به أحتمي. ترسي وقرن خلاصي وملجإي. ٣ أدعو الرب الحميد فأتخلص من أعدائي...

١٤ أرسل سهامه فشتتهم وبروقا كثيرة فأزعجهم.

٢٩ لأني بك اقتحمت جيشا وبإلهي تسورت أسوارا. ٣٠ الله طريقه كامل. قول الرب نقي. ترس هو لجميع المحتمين به.

٣٤ الذي يعلم يدي القتال فتحنى بذراعي قوس من نحاس. ٣٥ وتجعل لي ترس خلاصك ويمينك تعضدني ولطفك يعظمني.

٣٧ أتبع أعدائي فأدركهم ولا أرجع حتى أفنيهم. ٣٨ أسحقهم فلا يستطيعون القيام. يسقطون تحت رجلي. ٣٩ تمنطقني بقوة للقتال. تصرع تحتي القائمين علي. ٤٠

---

(١) سفر المزامير، مزمور (١١).

(٢) سفر المزامير، مزمور (١٨).

وتعطيني أقفية أعدائي ومبغضي أفنيهم. ٤١ يصرخون ولا مخلص. إلى الرب فلا يستجيب لهم. ٤٢ فأسحقهم كالغبار قدام الريح. مثل طين الأسواق أطرحهم.

٤٣ تنقذني من مخاصمات الشعب. تجعلني رأسا للأمم. شعب لم أعرفه يتعبد لي. ٤٤ من سماع الأذن يسمعون لي. بنو الغرباء يتذللون لي. ٤٥ بنو الغرباء يبلون ويزحفون من حصونهم.

٤٦ حي هو الرب ومبارك صخرتي ومرتفع إله خلاصي ٤٧ الإله المنتقم لي والذي يخضع الشعوب تحتي. ٤٨ منجي من أعدائي. رافعي أيضا فوق القائمين علي. من الرجل الظالم تنقذني. ٤٩ لذلك أحمدك يا رب في الأمم وأرنم لاسمك)[١].

يمين الرب تصيب مبغضيه:

(٨ تصيب يدك جميع أعدائك. يمينك تصيب كل مبغضيك. ٩ تجعلهم مثل تنور نار في زمان حضورك. الرب بسخطه يبتلعهم وتأكلهم النار)[٢].

الرب ملك الجنود الجبار في القتال:

(٧ ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد. ٨ من هو هذا ملك المجد؟ الرب القدير الجبار الرب الجبار في القتال!..١٠ من هو هذا ملك المجد! رب الجنود هو ملك المجد)[٣].

داود يطلب من الرب أن يمسك مجنا وترسا ليصد أعداءه:

(١ خاصم يا رب مخاصمي. قاتل مقاتلي. ٢ أمسك مجنا وترسا وانهض إلى معونتي ٣

(١) سفر المزامير.

(٢) سفر المزامير، مزمور (٢١).

(٣) سفر المزامير، مزمور (٢٤).

وأشرع رمحا وصد تلقاء مطاردي. قل لنفسي: [خلاصك أنا]. ٤ ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسي. ليرتد إلى الوراء ويخجل المتفكرون بإساءتي. ٥ ليكونوا مثل العصافة قدام الريح وملاك الرب داحرهم. ٦ ليكن طريقهم ظلاما وزلقا وملاك الرب طاردهم)[1].

الرب يستأصل الشعوب مع غرسهم ويحطمهم:

(١ اللهم بآذاننا قد سمعنا. آباؤنا أخبرونا بعمل عملته في أيامهم في أيام القدم. ٢ أنت بيدك استأصلت الأمم وغرستهم. حطمت شعوبا ومددتهم. ٣ لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض ولا ذراعهم خلصتهم لكن يمينك وذراعك ونور وجهك لأنك رضيت عنهم)[2].

الحروب للرب وباسم الرب والتوكل على الرب فيها:

٥ بك ننطح مضايقينا. باسمك ندوس القائمين علينا. ٦ لأني على قوسي لا أتكل وسيفي لا يخلصني. ٧ لأنك أنت خلصتنا من مضايقينا وأخزيت مبغضينا)[3].

داود يطلب من الرب أن يتقلد سيفه على فخذه ويقتحم العدو:

(٣ تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك. ٤ وبجلالك اقتحم. اركب. من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف. ٥ نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك. شعوب تحتك يسقطون)[4].

رب الجنود يخرب الأرض ويكسر القوس ويقطع الرمح ويحرق المركبات بالنار:

(٧ رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب. سلاه. ٨ هلموا انظروا أعمال الله كيف جعل

---

(١) سفر المزامير، مزمور (٣٥).

(٢) سفر المزامير، مزمور (٤٤).

(٣) سفر المزامير، مزمور (٤٤).

(٤) سفر المزامير، مزمور (٤٥).

خربا في الأرض. ٩ مسكن الحروب إلى أقصى الأرض. يكسر القوس ويقطع الرمح. المركبات يحرقها بالنار. ١٠ كفوا واعلموا أني أنا الله. أتعالى بين الأمم. أتعالى في الأرض. ١١ رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب)[١].

الرب يبدد عظام محاصري داود:

(٤ ألم يعلم فاعلو الإثم الذين يأكلون شعبي كما يأكلون الخبز والله لم يدعوا؟ ٥ هناك خافوا خوفا ولم يكن خوف لأن الله قد بدد عظام محاصرك. أخزيتهم لأن الله قد رفضهم)[٢].

بالرب يهوه يصنع شعبه البأس ويدوس الأعداء:

(١٢ بالله نصنع ببأس وهو يدوس أعداءنا)[٣].

إذا قام الرب للحرب يتبدد أعداؤه ويهرب مبغضوه، يسبي ويسحق:

(١ يقوم الله. يتبدد أعداؤه ويهرب مبغضوه من أمام وجهه. ٢ كما يذرى الدخان تذريهم. كما يذوب الشمع قدام النار يبيد الأشرار قدام الله. ٣ والصديقون يفرحون. يبتهجون أمام الله ويطفرون فرحا... ١٢ [ملوك جيوش يهربون يهربون. الملازمة البيت تقسم الغنائم... ١٨ صعدت إلى العلاء. سبيت سبيا. قبلت عطايا بين الناس وأيضا المتمردين للسكن أيها الرب الإله...٢١ ولكن الله يسحق رؤوس أعدائه الهامة الشعراء للسالك في ذنوبه)[٤].

---

(١) سفر المزامير، مزمور (٤٦).

(٢) سفر المزامير، مزمور (٥٣).

(٣) سفر المزامير، مزمور (٦٠).

(٤) سفر المزامير، مزمور (٦٨).

الرب يهوه يستيقظ ويضرب أعداء شعبه ويهزمهم:

(٦٥ فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط من الخمر. ٦٦ فضرب أعداءه إلى الوراء. جعلهم عارا أبديا)[١].

الرب يسحق ويبدد أعداءه:

(٨ يا رب إله الجنود من مثلك قوي رب وحقك من حولك؟ ٩ أنت متسلط على كبرياء البحر. عند ارتفاع لججه أنت تسكنها. ١٠ أنت سحقت رهب مثل القتيل. بذراع قوتك بددت أعداءك)[٢].

الرب يهوه إله النقمات يفني أعداء شعبه:

(١ يا إله النقمات يا رب يا إله النقمات أشرق. ٢ ارتفع يا ديان الأرض. جاز صنيع المستكبرين..٢٣ ويرد عليهم إثمهم وبشرهم يفنيهم. يفنيهم الرب إلهنا)[٣].

الرب يهوه يمين داود يحطم ويدين الأمم ويملأ الأرض بجثث القتلى:

(٥ الرب عن يمينك يحطم في يوم رجزه ملوكا. ٦ يدين بين الأمم. ملأ جثثا أرضا واسعة. سحق رؤوسها. ٧ من النهر يشرب في الطريق لذلك يرفع الرأس)[٤].

داود يبيد الأمم باسم الرب:

(١٠ كل الأمم أحاطوا بي. باسم الرب أبيدهم. ١١ أحاطوا بي واكتنفوني. باسم الرب أبيدهم. ١٢ أحاطوا بي مثل النحل. انطفأوا كنار الشوك. باسم الرب أبيدهم...

---

(١) سفر المزامير، مزمور (٧٨).

(٢) سفر المزامير، مزمور (٨٩).

(٣) سفر المزامير، مزمور (٩٤).

(٤) سفر المزامير، مزمور (١١٠).

يمين الرب صانعة ببأس. ١٦ يمين الرب مرتفعة. يمين الرب صانعة ببأس)(١).

الرب يضرب أمما كثيرة ويقتل ملوكا أعزاء:

(١٠ الذي ضرب أمما كثيرة وقتل ملوكا أعزاء: ١١ سيحون ملك الأموريين وعوج ملك باشان وكل ممالك كنعان)(٢).

(١٧ الذي ضرب – أطاح – ملوكا عظماء لأن إلى الأبد رحمته. ١٨ وقتل ملوكا أعزاء لأن إلى الأبد رحمته: ١٩ سيحون ملك الأموريين لأن إلى الأبد رحمته ٢٠ وعوج ملك باشان لأن إلى الأبد رحمته)(٣).

الرب يخلص داود ويحامي عنه:

(٧ إن سلكت في وسط الضيق تحييني. على غضب أعدائي تمد يدك وتخلصني يمينك. ٨ الرب يحامي عني. يا رب رحمتك إلى الأبد. عن أعمال يديك لا تتخل)(٤).

الرب رأس داود في القتال:

(٧ يا رب السيد قوة خلاصي ظللت رأسي في يوم القتال. ٨ لا تعط يا رب شهوات الشرير. لاتنجح مقاصده. يترفعون)(٥).

الرب يبيد ويستأصل الأعداء:

(١١ من أجل اسمك يا رب تحييني. بعدلك تخرج من الضيق نفسي ١٢ وبرحمتك تستأصل أعدائي وتبيد كل مضايقي نفسي لأني أنا عبدك)(٦).

---

(١) سفر المزامير، مزمور (١١٨).

(٢) سفر المزامير، مزمور (١٣٥).

(٣) سفر المزامير، مزمور (١٣٦).

(٤) سفر المزامير، مزمور (١٣٨).

(٥) سفر المزامير، مزمور (١٤٠).

(٦) سفر المزامير، مزمور (١٤٣).

الرب يهوه صخرة داود ومعلمه القتال في الحرب:

(١ مبارك الرب صخرتي الذي يعلم يدي القتال وأصابعي الحرب)[١].

الرب ينقذ شعبه من ملك أشور ويرسل ملاكا ليبيد جيشه:

(٣٢ لأنه من أورشليم تخرج بقية وناجون من جبل صهيون. غيرة رب الجنود تصنع هذا». ٣٣ لذلك هكذا يقول الرب عن ملك أشور: «لا يدخل هذه المدينة ولا يرمي هناك سهما ولا يتقدم عليها بترس ولا يقيم عليها مترسة. ٣٤ في الطريق الذي جاء فيه يرجع وإلى هذه المدينة لا يدخل يقول الرب. ٣٥ وأحامي عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسي ومن أجل داود عبدي».٣٦ فخرج ملاك الرب وضرب من جيش أشور مئة وخمسة وثمانين ألفا. فلما بكروا صباحا إذا هم جميعا جثث ميتة. ٣٧ فانصرف سنحاريب ملك أشور وذهب راجعا وأقام في نينوى)[٢].

٩- الحروب المقدسة في عهد الانقسام:

الحرب المقدسة التي خاضها أخاب ملك إسرائيل -المملكة الشمالية- مع جيش الحلفاء بقيادة بنهدد ملك أرام:

تهديد بنهدد وعرضه لشعب الله أن يستسلم ويخضع له:

(١وجمع - وحشد - بنهدد ملك أرام كل جيشه، واثنين وثلاثين ملكا معه، وخيلا ومركبات وصعد وحاصر السامرة وحاربها. ٢وأرسل رسلا إلى أخآب ملك إسرائيل إلى المدينة وقال له: هكذا يقول بنهدد: ٣لي فضتك وذهبك، ولي نساؤك وبنوك الحسان.

إجابة أخاب ملك إسرائيل:

٤فأجاب ملك إسرائيل: حسب قولك يا سيدي الملك، أنا وجميع ما لي لك.

(١) سفر المزامير، مزمور (١٤٤).

(٢) سفر أشعياء أصحاح (٣٧).

بنهدد يقدم على إذلال شعب الله:

٥فرجع الرسل وقالوا: [هكذا تكلم بنهدد: إني قد أرسلت إليك أن فضتك وذهبك ونساءك وبنيك تعطيني إياهم. ٦فإني في نحو هذا الوقت غدا أرسل عبيدي إليك فيفتشون بيتك وبيوت عبيدك، وكل ما هو شهي في عينيك يضعونه في أيديهم ويأخذونه.

الملك أخاب يستشير شيوخ شعب الله:

٧فدعا ملك إسرائيل جميع شيوخ الأرض وقال: اعلموا وانظروا أن هذا يطلب الشر، لأنه أرسل إلي بطلب نسائي وبني وفضتي وذهبي ولم أمنعها عنه.

شيوخ شعب الله يرفضون طلب بنهدد:

٨فقال له كل الشيوخ وكل الشعب: [لا تسمع له ولا تقبل]. ٩فقال لرسل بنهدد: [قولوا لسيدي الملك إن كل ما أرسلت فيه إلى عبدك أولا أفعله. وأما هذا الأمر فلا أستطيع أن أفعله]. فرجع الرسل وردوا عليه الجواب.

الملك بنهدد يتوعد بهزيمة شعب الله:

١٠فأرسل إليه بنهدد وقال: [هكذا تفعل بي الآلهة وهكذا تزيدني إن كان تراب السامرة يكفي قبضات لكل الشعب الذي يتبعني]. ١١فأجاب ملك إسرائيل: [قولوا: لا يفتخرن من يشد كمن يحل]. ١٢فلما سمع هذا الكلام وهو يشرب مع الملوك في الخيام قال لعبيده: [اصطفوا] فاصطفوا على المدينة.

نبي من أنبياء شعب الله يبشرهم بأن الرب سيتدخل لنصرة شعبه:

١٣وإذا بنبي تقدم إلى أخآب ملك إسرائيل وقال: [هكذا قال الرب: هل رأيت كل هذا الجمهور العظيم؟ هئنذا أدفعه ليدك اليوم فتعلم أني أنا الرب]. ١٤فقال أخآب: [بمن؟] فقال: [هكذا قال الرب: بغلمان رؤساء المقاطعات]. فقال: [من يبتدئ بالحرب؟] فقال: [أنت]. ١٥فعد غلمان رؤساء المقاطعات فبلغوا مئتين واثنين وثلاثين.

وعد بعدهم كل الشعب، كل بني إسرائيل، سبعة آلاف. ١٦وخرجوا عند الظهر وبنهدد يشرب ويسكر في الخيام هو والملوك الاثنان والثلاثون الذين ساعدوه. ١٧فخرج غلمان رؤساء المقاطعات أولا. وأرسل بنهدد فأخبروه: [قد خرج رجال من السامرة]. ١٨فقال: [إن كانوا قد خرجوا للسلام فأمسكوهم أحياء، وإن كانوا قد خرجوا للقتال فأمسكوهم أحياء]. ١٩فخرج غلمان رؤساء المقاطعات هؤلاء من المدينة هم والجيش الذي وراءهم.

الرب يهزم جيش بنهدد الأرامي:

٢٠وضرب كل رجل رجله، فهرب الأراميون وطاردهم إسرائيل، ونجا بنهدد ملك أرام على فرس مع الفرسان. ٢١وخرج ملك إسرائيل فضرب الخيل والمركبات، وضرب أرام ضربة عظيمة.

بأمر الرب الملك أخاب يحارب مرة ثانية حلف بنهدد:

٢٢ فتقدم النبي إلى ملك إسرائيل وقال له: [اذهب تشدد، واعلم وانظر ما تفعل. لأنه عند تمام السنة يصعد عليك ملك أرام]. ٢٣وأما عبيد ملك أرام فقالوا له: [إن آلهتهم آلهة جبال، لذلك قووا علينا. ولكن إذا حاربناهم في السهل فإننا نقوى عليهم. ٢٤وافعل هذا الأمر: اعزل الملوك كل واحد من مكانه، وضع قوادا مكانهم. ٢٥وأحص لنفسك جيشا كالجيش الذي سقط منك فرسا بفرس ومركبة بمركبة، فنحاربهم في السهل ونقوى عليهم]. فسمع لقولهم وفعل كذلك.

٢٦وعند تمام السنة عد بنهدد الأراميين وصعد إلى أفيق ليحارب إسرائيل. ٢٧وأحصي بنو إسرائيل وتزودوا وساروا للقائهم. فنزل بنو إسرائيل مقابلهم نظير قطيعين صغيرين من المعزى. وأما الأراميون فملأوا الأرض.

الرب يهزم جيش بنهدد مرة أخرى:

٢٨فتقدم رجل الله وقال لملك إسرائيل: [هكذا قال الرب: من أجل أن الأراميين قالوا إن الرب إله جبال وليس إله أودية، أدفع كل هذا الجمهور العظيم ليدك، فتعلمون

أني أنا الرب]. ٢٩فنزل هؤلاء مقابل أولئك سبعة أيام. وفي اليوم السابع اشتبكت الحرب، فضرب بنو إسرائيل من الأراميين مئة ألف راجل في يوم واحد. ٣٠وهرب الباقون إلى أفيق إلى المدينة، وسقط السور على السبعة والعشرين ألف رجل الباقين. وهرب بنهدد ودخل المدينة من مخدع إلى مخدع)[1].

وعندما تمرد ميشع ملك موآب ورفض أداء الجزية التي كان يدفعها لملك إسرائيل أخاب، بعث أبنه يهورام إلى يهوشافاط ملك يهوذا؛ وطلب منه أ ن يشاركه في قمع تمرد الموآبيين؛ فأجابه يهوشافاط لذلك، وكان يهورام بن أخاب قد تحالف مع ملك أدوم من قبل؛ فاتفق الملوك الثلاثة على محاربة ميشع ملك موآب.

تمرد ملك موآب واستنفار ملك إسرائيل:

(٤وكان ميشع ملك موآب صاحب مواش، فأدى لملك إسرائيل مئة ألف خروف ومئة ألف كبش بصوفها. ٥وعند موت أخآب عصى ملك موآب على ملك إسرائيل. ٦وخرج-وحشد- الملك يورام-يهورام- في ذلك اليوم-جيوشه- من السامرة وعد كل إسرائيل.

تحالف مملكة إسرائيل -الشمال- بقيادة يهورام بن أخاب، ومملكة يهوذا-الجنوب- بقيادة يهوشافاط، وملك أدوم:

٧وذهب وأرسل إلى يهوشافاط ملك يهوذا يقول: [قد عصى علي ملك موآب. فهل تذهب معي إلى موآب للحرب؟] فقال: [أصعد. مثلي مثلك. شعبي كشعبك وخيلي كخيلك]. ٨فقال: [من أي طريق نصعد؟]. فقال: [من طريق برية أدوم]. ٩فذهب ملك إسرائيل وملك يهوذا وملك أدوم وداروا مسيرة سبعة أيام. ولم يكن ماء للجيش والبهائم التي تبعتهم.

(١) سفر الملوك الأول، أصحاح (٢٠).

حلف يهورام يطلب معونة الرب ويبحث عن نبي من أنبياء الرب:

١٠فقال ملك إسرائيل: [آه على أن الرب قد دعا هؤلاء الثلاثة الملوك ليدفعهم إلى يد موآب!] ١١فقال يهوشافاط: [أليس هنا نبي للرب فنسأل الرب به؟] فأجاب واحد من عبيد ملك إسرائيل وقال: [هنا أليشع بن شافاط الذي كان يصب ماء على يدي إيليا]. ١٢فقال يهوشافاط: [عنده كلام الرب]. فنزل إليه ملك إسرائيل ويهوشافاط وملك أدوم.

١٣فقال أليشع لملك إسرائيل: [ما لي ولك! اذهب إلى أنبياء أبيك وإلى أنبياء أمك]. فقال له ملك إسرائيل: [كلا. لأن الرب قد دعا هؤلاء الثلاثة الملوك ليدفعهم إلى يد موآب]. ١٤فقال أليشع: [حي هو رب الجنود الذي أنا واقف أمامه إنه لولا أني رافع وجه يهوشافاط ملك يهوذا لما كنت أنظر إليك ولا أراك. ١٥والآن فأتوني بعواد]. ولما ضرب العواد بالعود كانت عليه يد الرب ١٦فقال: [هكذا قال الرب: اجعلوا هذا الوادي حفرا حفرا.

الرب يبشر الحلف بالنصر في الحرب المقدسة:

١٧لأنه هكذا قال الرب: لا ترون ريحا ولا ترون مطرا وهذا الوادي يمتلئ ماء، فتشربون أنتم وماشيتكم وبهائمكم. ١٨وذلك يسير في عيني الرب، فيدفع موآب إلى أيديكم. ١٩فتضربون كل مدينة محصنة وكل مدينة مختارة وتقطعون كل شجرة طيبة وتطمون جميع عيون الماء وتفسدون كل حقلة جيدة بالحجارة]. ٢٠وفي الصباح عند إصعاد التقدمة إذا مياه آتية عن طريق أدوم، فامتلأت الأرض ماء.

٢١ولما سمع كل الموآبيين أن الملوك قد صعدوا لمحاربتهم جمعوا كل متقلدي السلاح فما فوق، ووقفوا على التخم. ٢٢وبكروا صباحا والشمس أشرقت على المياه، ورأى الموآبيون مقابلهم المياه حمراء كالدم. ٢٣فقالوا: [هذا دم! قد تحارب الملوك وضرب بعضهم بعضا، والآن فإلى النهب يا موآب.

هزيمة ملك موآب وانتصار حلف الرب:

٢٤وأتوا إلى محلة إسرائيل، فقام إسرائيل وضربوا الموآبيين فهربوا من أمامهم، فدخلوها وهم يضربون الموآبيين.

تعقب الحلف للفلول الهارب وتحقق وعد الرب:

٢٥وهدموا المدن، وكان كل واحد يلقي حجره في كل حقلة جيدة حتى ملأوها، وطموا جميع عيون الماء وقطعوا كل شجرة طيبة. ولكنهم أبقوا في [قير حارسة] حجارتها. واستدار أصحاب المقاليع وضربوها. ٢٦فلما رأى ملك موآب أن الحرب قد اشتدت عليه أخذ معه سبع مئة رجل مستلي السيوف ليشقوا إلى ملك أدوم، فلم يقدروا. ٢٧فأخذ ابنه البكر الذي كان ملك عوضا عنه وأصعده محرقة على السور. فكان غيظ عظيم على إسرائيل. فانصرفوا عنه ورجعوا إلى أرضهم)[1].

وعهد آسا ملك يهوذا كانت مملكته تعيش في رغد من العيش بسبب إزالته للأصنام وعمل ماهو صالح في عيني الرب، وبالرغم من الجيش الكبير الذي كان معه، إلا أن زارح الكوشي طمع فيه وأرد غزو بلاده، فلجأ آسا إلى الرب وتوكل عليه، فتولى الرب قيادة المعركة.

زارح الكوشي يعتدي على آسا ملك يهوذا–المملكة الجنوبية–:

٩فخرج إليهم زارح الكوشي بجيش ألف ألف وبمركبات ثلاث مئة وأتى إلى مريشة. ١٠وخرج آسا للقائه واصطفوا للقتال في وادي صفاتة عند مريشة.

آسا يتضرع إلى الرب ويتوكل عليه:

١١ودعا آسا الرب إلهه: [أيها الرب ليس فرقا عندك أن تساعد الكثيرين ومن ليس لهم قوة. فساعدنا أيها الرب إلهنا لأننا عليك اتكلنا وباسمك قدمنا على هذا الجيش. أيها الرب أنت إلهنا. لايقو عليك إنسان].

(١) سفر الملوك الثاني، أصحاح (٣).

جيش الرب يهزم زارح الكوشي وجيشه:

١٢فضرب الرب الكوشيين أمام آسا وأمام يهوذا فهرب الكوشيون. ١٣وطردهم آسا والشعب الذي معه إلى جرار وسقط من الكوشيين حتى لم يكن لهم حي لأنهم انكسروا أمام الرب وأمام جيشه. فحملوا غنيمة كثيرة جدا.

انتصارات أخرى لآسا وجيشه لأن رعب الرب كان على جيش الرب:

١٤وضربوا جميع المدن التي حول جرار لأن رعب الرب كان عليهم ونهبوا كل المدن لأنه كان فيها نهب كثير. ١٥وضربوا أيضا خيام الماشية وساقوا غنما كثيرا وجمالا ثم رجعوا إلى أورشليم)[(١)].

وفي عهد ملك يهوذا يهوشافاط تحالف الموآبيون والعمونيون لشن حرب عليه، وعند بلغ الخبر ليهوشافاط خاف جدا وعقد العزم على الاستعانة بالرب، فجمع شعب الرب وتضرعوا إليه وألحوا في الدعاء حتى حل روح الرب على النبي يحزئيل فبشرهم بالنصر.

تحالف الموآبيون العمونيون وسكان جبل سعير ضد يهوشافاط ملك يهوذا:

ثم بعد ذلك أتى بنو موآب وبنو عمون ومعهم العمونيون على يهوشافاط للمحاربة. ٢فجاء أناس وأخبروا يهوشافاط: [قد جاء عليك جمهور كثير من عبر البحر من أرام وها هم في حصون تامار] (هي عين جدي).

يهوشافاط يخاف ويتضرع إلى الرب هو وشعبه ويصوم في ذلك اليوم ويطلبون الخلاص من الرب:

٣فخاف يهوشافاط وجعل وجهه ليطلب الرب ونادى بصوم في كل يهوذا. ٤واجتمع يهوذا ليسألوا الرب. جاءوا أيضا من كل مدن يهوذا ليسألوا الرب. ٥فوقف

(١) سفر أخبار الأيام، أصحاح(١٤).

يهوشافاط في جماعة يهوذا وأورشليم في بيت الرب أمام الدار الجديدة ٦وقال: [يا رب إله آبائنا أما أنت هو الله في السماء وأنت المتسلط على جميع ممالك الأمم وبيدك قوة وجبروت وليس من يقف معك؟ ٧ألست أنت إلهنا الذي طردت سكان هذه الأرض من أمام شعبك إسرائيل وأعطيتها لنسل إبراهيم خليلك إلى الأبد ٨فسكنوا فيها وبنوا لك فيها مقدسا لاسمك قائلين: ٩إذا جاء علينا شر سيف قضاء أو وبأ أو جوع ووقفنا أمام هذا البيت وأمامك (لأن اسمك في هذا البيت) وصرخنا إليك من ضيقنا فإنك تسمع وتخلص؟

١٠والآن هوذا بنو عمون وموآب وجبل ساعير الذين لم تدع إسرائيل يدخلون إليهم حين جاءوا من أرض مصر بل مالوا عنهم ولم يهلكوهم ١١فهوذا هم يكافئوننا بمجيئهم لطردنا من ملكك الذي ملكتنا إياه. ١٢يا إلهنا أما تقضي عليهم لأنه ليس فينا قوة أمام هذا الجمهور الكثير الآتي علينا ونحن لا نعلم ماذا نعمل ولكن نحوك أعيننا.

روح الرب يحل على يحزئيل ويبشرهم بالنصر: ويخبرهم بأن الحرب ليست لهم بل هي حرب الرب:

(١٣وكان كل يهوذا واقفين أمام الرب مع أطفالهم ونسائهم وبنيهم. ١٤وإن يحزئيل بن زكريا بن بنايا بن يعيئيل بن متنيا اللاوي من بني آساف كان عليه روح الرب في وسط الجماعة ١٥فقال: [اصغوا يا جميع يهوذا وسكان أورشليم وأيها الملك يهوشافاط. هكذا قال الرب لكم: لا تخافوا ولا ترتاعوا بسبب هذا الجمهور الكثير لأن الحرب ليست لكم بل لله.

يحزئيل يخبر شعب الرب بأنه لن يباشر الحرب وأن الرب هو الذي سيخلصهم:

١٧ليس عليكم أن تحاربوا في هذه. قفوا اثبتوا وانظروا خلاص الرب معكم يا يهوذا وأورشليم لا تخافوا ولا ترتاعوا. غدا اخرجوا للقائهم والرب معكم]. ١٨فخر

يهوشافاط لوجهه على الأرض وكل يهوذا وسكان أورشليم سقطوا أمام الرب سجودا للرب. ١٩فقام اللاويون من بني القهاتيين ومن بني القورحيين ليسبحوا الرب إله إسرائيل بصوت عظيم جدا.

يهوشافاط يقيم فرقة من المغنيين متزينين بالثياب المقدسة ويتقدمون مسيرة المجندين للقتال:

٢٠وبكروا صباحا وخرجوا إلى برية تقوع. وعند خروجهم وقف يهوشافاط وقال: [اسمعوا يا يهوذا وسكان أورشليم آمنوا بالرب إلهكم فتأمنوا. آمنوا بأنبيائه فتفلحوا]. ٢١ولما استشار الشعب أقام مغنين للرب ومسبحين في زينة مقدسة عند خروجهم أمام المتجردين وقائلين: [احمدوا الرب لأن إلى الأبد رحمته].

الرب يثير الفتنة بين العمونيين والموآبيين وبين سكان جبل سعير:

٢٢ولما ابتدأوا في الغناء والتسبيح جعل-أثار- الرب أكمنة على بني عمون وموآب وجبل ساعير الآتين على يهوذا فانكسروا.

العمونيون والموآبيون ينقلبون على سكان جبل سعير ويحرموهم ويقاتلوهم ويبيدوهم:

٢٣وقام-انقلب- بنو عمون وموآب على سكان جبل ساعير ليحرموهم ويهلكوهم-وقضوا عليهم.

الرب يثير الفتنة بين العمونيين والموآبيين فقتل كل فريق الآخر:

ولما فرغوا من سكان ساعير-انقلبوا على أنفسهم فأفنى بعضهم بعضا- ساعد بعضهم على إهلاك بعض.

جيش الرب ينهب الغنائم:

٢٤ولما جاء يهوذا إلى المرقب في البرية تطلعوا نحو الجمهور وإذا هم جثث ساقطة على الأرض ولم ينفلت أحد. ٢٥فأتى يهوشافاط وشعبه لنهب أموالهم فوجدوا بينهم أموالا

وجثثا وأمتعة ثمينة بكثرة فأخذوها لأنفسهم حتى لم يقدروا أن يحملوها. وكانوا ثلاثة أيام ينهبون الغنيمة لأنها كانت كثيرة.

الرب يهزم الأعداء وتعم هيبته على كل الممالك المجاورة:

٢٧ثم ارتد كل رجال يهوذا وأورشليم ويهوشافاط برأسهم ليرجعوا إلى أورشليم بفرح لأن الرب فرحهم-هزم أعدئهم- على أعدائهم.٢٨ودخلوا أورشليم بالرباب والعيدان والأبواق إلى بيت الرب. ٢٩وكانت هيبة الله على كل ممالك الأراضي حين سمعوا أن الرب حارب أعداء إسرائيل)[1].

وجهز الملك عزيا بن أمصيا جيشا كبيرا وقام بحرب هجومية مقدسة على الفلسطينيين والعرب المقيمين في جوربعل؛ وأعانه الرب على ذلك، وأذل أعدائه وفرض عزيا عليهم الجزية.

انتصارات عزيا ملك يهوذا:

(٦وخرج-وزحف- وحارب الفلسطينيين وهدم سور جت وسور يبنة وسور أشدود وبنى مدنا في أرض أشدود والفلسطينيين. ٧وساعده-أعانه-الله على الفلسطينيين وعلى العرب الساكنين في جوربعل والمعونيين. ٨وأعطى-ودفع العمونيون له الجزية-العمونيون عزيا هدايا وامتد اسمه إلى مدخل مصر لأنه تشدد جدا -لأن شوكته قويت جدا-)[2].

وورث يوثام بن عزيا ملك أبيه، وكان يصنع ما هو قويم في عيني الرب فنصره الرب في حروبه الهجومية المقدسة.

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح (٢٠).

(٢) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح (٢٦).

حرب يوثام ملك يهوذا لملك عمون وهزيمته له وإجباره على دفع الجزية:

(٥وهو حارب ملك بني عمون وقوي عليهم فأعطاه بنو عمون في تلك السنة مئة وزنة من الفضة وعشرة آلاف كر قمح وعشرة آلاف من الشعير. هذا ما أداه له بنو عمون وكذلك في السنة الثانية والثالثة. ٦وتشدد يوثام لأنه هيأ طرقه أمام الرب إلهه)[(١)].

وفي عهد الملك حزقيا بن آحاز ملك يهوذا الصالح الذي عمل ما هو قويم في عيني الرب، وقدس الهيكل حق التقديس وقدم له الذبائح الكثيرة والاحتفالات التي لم تقم منذ عهد سليمان، زحفت جيوش الملك سنحاريب الأشوري طمعا في أرض مملكته ومدنها، فقام حزقيا بإجراءات دفاعية، وعبأ شعب الرب للحرب، وذكرهم بأن الرب معهم وهو الذي يحارب عنهم.

حزقيا ملك يهوذا يصنع إجراءات دفاعية ضد سنحاريب ملك أشور:

(١وبعد هذه الأمور وهذه الأمانة أتى سنحاريب ملك أشور ودخل يهوذا ونزل على المدن الحصينة وطمع بإخضاعها لنفسه. ٢ولما رأى حزقيا أن سنحاريب قد أتى ووجهه على محاربة أورشليم ٣تشاور هو ورؤساؤه وجبابرته على طم مياه العيون التي هي خارج المدينة فساعدوه.

٤فتجمع شعب كثير وطموا جميع الينابيع والنهر الجاري في وسط الأرض قائلين: [لماذا يأتي ملوك أشور ويجدون مياها غزيرة؟

٥وتشدد وبنى كل السور المنهدم وأعلاه إلى الأبراج وسورا آخر خارجا وحصن القلعة مدينة داود وعمل سلاحا بكثرة وأتراسا.

الملك حزقيا يخبر الشعب أن الرب هو الذي يتولى الحرب عن شعبه:

٦وجعل رؤساء قتال على الشعب وجمعهم إليه إلى ساحة باب المدينة وطيب قلوبهم قائلا: ٧[تشددوا وتشجعوا. لا تخافوا ولا ترتاعوا من ملك أشور ومن كل الجمهور

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح (٢٧).

الذي معه لأن معنا أكثر مما معه. ٨معه ذراع بشر ومعنا الرب إلهنا ليساعدنا-لينجدنا- ويحارب حروبنا. فاستند-فبث كلام حزقيا الشجاعةفي قلوب الشعب- الشعب على كلام حزقيا ملك يهوذا.

سنحاريب ملك أشور يحاول تثبيط شعب الرب في أورشليم ويشككهم في إعانة الرب لهم:

٩بعد هذا أرسل سنحاريب ملك أشور عبيده إلى أورشليم. (وهو على لخيش وكل سلطنته معه) إلى حزقيا ملك يهوذا وإلى كل يهوذا الذين في أورشليم يقولون: ١٠[هكذا يقول سنحاريب ملك أشور: على ماذا تتكلون وتقيمون في الحصار في أورشليم؟١١أليس حزقيا يغويكم ليدفعكم للموت بالجوع والعطش قائلا: الرب إلهنا ينقذنا من يد ملك أشور. ١٢أليس حزقيا هو الذي أزال مرتفعاته ومذابحه وقال ليهوذا وأورشليم: أمام مذبح واحد تسجدون وعليه توقدون؟

سنحارب يتبختر وويتشدق بقوته وقوة آبائه أمام شعب الرب:

١٣أما تعلمون ما فعلته أنا وآبائي بجميع شعوب الأراضي؟ فهل قدرت آلهة أمم الأراضي أن تنقذ أرضها من يدي.

١٤من من جميع آلهة هؤلاء الأمم الذين حرمهم آبائي استطاع أن ينقذ شعبه من يدي حتى يستطيع إلهكم أن ينقذكم من يدي.

سنحاريب يحاول زعزعة ولاء شعب الرب لمليكه:

١٥والآن لا يخدعنكم حزقيا ولا يغوينكم هكذا ولا تصدقوه لأنه لم يقدر إله أمة أو مملكة أن ينقذ شعبه من يدي ويد آبائي. فكم بالحري إلهكم لا ينقذكم من يدي!]. ١٦وتكلم عبيده أكثر ضد الرب الإله وضد حزقيا عبده. ١٧وكتب رسائل لتعيير الرب إله إسرائيل وللتكلم ضده قائلا: [كما أن آلهة أمم الأراضي لم تنقذ شعوبها من يدي كذلك لا ينقذ إله حزقيا شعبه من يدي].

جيش سنحارب الأشوري يقف على الأسوار ويتكلم باللغة العبرية بكلام يرعبهم ويخوفهم به:

١٨وصرخوا بصوت عظيم باليهودي إلى شعب أورشليم الذين على السور لتخويفهم وترويعهم ليأخذوا المدينة. ١٩وتكلموا على إله أورشليم كما على آلهة شعوب الأرض صنعة أيدي الناس.

الملك حزقيا والنبي إشعياء يستنجدون بالرب:

٢٠فصلى حزقيا الملك وإشعياء بن آموص النبي لذلك وصرخا إلى السماء.

الرب يرسل ملاكا فيهزم ويبيد جيش الملك سنحاريب:

٢١فأرسل الرب ملاكا فأباد كل جبار بأس ورئيس وقائد في محلة ملك أشور. فرجع بخزي الوجه إلى أرضه. ولما دخل بيت إلهه قتله هناك بالسيف الذين خرجوا من أحشائه.

الرب هو المخلص الدائم لشعبه:

٢٢وخلص الرب حزقيا وسكان أورشليم من سنحاريب ملك أشور ومن يد الجميع وحماهم من كل ناحية. ٢٣وكان كثيرون يأتون بتقدمات الرب إلى أورشليم وتحف لحزقيا ملك يهوذا واعتبر في أعين جميع الأمم بعد ذلك)[(١)].

وبعد فإن هذه الجولة الطويلة في استقراء بعض نصوص العهد القديم تبين رسوخ عقيدة الحروب المقدسة أو حروب الرب لدى اليهود، وهذه الحروب قد يشارك الرب فيها بنفسه، وقد يبعث ملاكا من عنده، وقد يترك شعبه ليحقق ما يريده، والجامع فيها أنها حروب قامت بأمر الرب ونالت القداسة فأصبحت حروبا للرب نفسه.

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٣٢).

ولدي وقفتان مهمتان تجدر الإشارة إليهما:

الأولى: تتعلق بواقع الحروب المعاصرة التي قام بها اليهود الذين مازالوا يعتقدون أنهم شعب الرب، وأن الحروب المعاصرة التي خاضوها لاستعمار الأرض المقدسة "فلسطين"، ومازالوا يخوضونها، حروب مقدسة وهي حروب للرب نفسه أيضا.

الثانية: تتعلق بالموقف الشرعي الإسلامي، الذي ينتهج منهج الحق، ويحكم بالعدل الذي أمر الله تعالى عباده به، وقامت السماوات والأرض به، فالمسلمون وإن كان يعتقدون أن اليهود هم أشد الناس عداوة للمسلمين، إلا أن ذلك لا يحملهم على ترك الحق الذي جاء في كتابهم موافقا للناموس وللوحي الإلهي الذي نزل على موسى والنبيين من قبله ومن بعده ومن جملتهم خاتم النبيين محمد ﷺ، بل نصدق بهذا الحق فيه ونؤمن أنه من عند الله تعالى، ونرد الباطل ولا نقبله.

فعن الوقفة الأولى نجد أن اليهود قد صبغوا الصبغة المقدسة على الحروب التي خاضوها ضد أعدائهم، واعتبروا الانتصارات التي حققوها في عام ١٩٤٨م و في عام ١٩٦٧م انتصارات غير متوقعة أو قلبا خارقا للحظوظ جعلهم يشعرون بأنهم يملكون قدرا إلهيا من نوع خاص، فهذه الحروب تركت بصماتها القوية والعميقة على الشعب اليهودي، الذي داخله إحساس قوي بأنه نجا من الهلاك بفضل العناية الإلهية، وأعطي انتصارا بشكل لا يقل في إعجازه عن نجاة وانتصار الإسرائيليين القدامى في البحر الأحمر عندما نجاهم الرب من فرعون وجيشه وشق البحر لهم وأغرق عدوهم[(١)].

وقد قارن الفيلسوف مارتن بوبر بين خروج اليهود من مصر وانتصارهم في حزيران/ يونيو١٩٦٧م[(٢)].

---

(١) انظر الحرب المقدسة، كارين آرمسترونغ، ترجمة سامي الكعكي،دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤، ص (٣٤٠).

(٢) المرجع السابق.

أما الجنرال إسحاق رابين الذي استولى على مدينة القدس القديمة، التي كانت مغلقة في وجه اليهود منذ عام ١٩٤٨م، فوصف تلك اللحظة بأنها أشبه ما تكون بالرؤيا الدينية:"لقد تجلت كأنها وميض حقائق بارقة احتجبت طويلا عن الأنظار"[١].

ويقول الباحث الإسرائيلي هارولد فيش:"كانت حقا لحظة دينية، وتجربة إعجازية، فكان لها طابع ميتافيزقي مخصوص"[٢].

وأما الصهيوني الأمريكي أبراهام هشيل يقول:"لقد راود الرب حلم، ومهمة إسرائيل هي تفسير ذلك الحلم "، ورأى في الانتصار مثالا آخر على علاقة الحب المستمرة بين الرب وشعبه، التي كان تأسيس دولة إسرائيل وصونها وتوسيعها آخر الشواهد على تلك العلاقة:"في بنائنا الأرض، لا يغيب عن بالنا وجوب الاستجابة للعهد التوراتي، وللضرورة التي ما فتئت تنادينا عبر العصور، والتي لا تعرف التقادم أو الموات أبدا". لقد شعر الصهيونيون بأنهم يحملون على عاتقهم رسالة دينية وينفذون مشيئة الرب[٣].

وأكد إسحاق رابين في خطابه أمام الجامعة العبرية بعيد حرب ١٩٦٧م على حق إسرائيل وتحدث عن "إيمان الجنود الإسرائيليين المتقد بعدالتهم"، وأدى أنه كانت تدفعهم إلى الأمام قيم روحية وغنى روحي عميق أكثر بكثير مما كانوا مدفوعين بأسلحتهم"، وختم كلامه بالقول إنه بسبب هذه القوة الروحية فـ"ليس لدى الإسرائيليين أية تفسيرات عقلانية، اللهم وعي عميق بالعدالة الأخلاقية لكفاحهم"[٤].

وقبل ثلاثة أسابيع من اندلاع حرب ١٩٦٧م، ألقى ابن الحاخام كوك، الحاخام زفي يهودا كوك، خطابه السنوي بمناسبة إنشاء دولة إسرائيل في "يشيفا مركاز هارف" ذي الأهمية البالغة شمالي القدس خطابا قال فيه: " لقد اقترفنا إثما كبيرا " هكذا صرخ في

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، ص(٣٤١).

(٤) المرجع السابق، ص (٣٥٢).

الجمهور الذي انفجر لساعته في البكاء، الأمة كلها مذنبة بالضلال الرهيب، ثم سأل:" كيف يسع دولة يهودية بحق أن تسمح ببقاء جبل الهيكل في أيدي الأغيار الأردنيين؟ كيف يسع الشعب المختار أن يرضى بالسكنى في النقب والسهل الساحلي فيما الأراضي المقدسة الحقيقية تقع ضمن مناطق الأعداء ؟ ما جنس تلك الدولة اليهودية التي تدع مدنا مقدسة كحبرون وشكيم وأريحا بدون تحرير ؟ "، وحين حرر الجيش الإسرائيلي فعلا المدن المقدسة بعد ذلك ببضعة أسابيع، حيا أنصار كوك زعيمهم ونادوا به نبيا حقيقيا لإسرائيل فقد رأو في الانتصار الخارق عملا من أعمال الرب، وأن الانتصار يبشر بالخلاص المشيحاني[١].

ولذلك لم يعد الصهيونيون المتدينون مستعدين بعد الحرب للاكتفاء بمقعد خلفي في إسرائيل، بل يخالجهم إحساس بأن الرب عمل ما عليه، وبقي عليهم هم أن يضمنوا قيام الحكومة بإتمام عمله. ولعلهم كانوا وافقوا إبراهام هشيل في القول السابق"لقد راود الرب حلم، ومهمة إسرائيل هي تفسير ذلك الحلم"، وقد خرجوا إلى العلن في صخب أهوج، مصممين على ترجمة إرادة الرب إلى حقائق ملموسة[٢].

وكان لظهور هذه الصهيونية الدينية المتقدة حماسا وقع الصدمة على الصهيونيين العماليين، الذي طالما تجاهلوها فيما سبق، وقد تحدث "عاموس عوز" عن اجتماع عقد مبكرا بين المثقفين والكيبوتزيين اليساريين من جهة، والصهيونيين المتدينين من جهة أخرى في "يشيفا مركاز هاراف"، وكانت النتيجة أن الكيبوتزيين قد ارتاعوا من النزعة القومية الحادة التي تملكت العديد من مواطنيهم الذين عقدوا العزم على البقاء في المناطق المحتلة حديثا مهما كلف الأمر؛ في حين كان اليساريون، على غرار بن غوريون قبلهم، يتطلعون إلى تخليص الصهيونية العمالية من العقلية الانتصارية المسوغة أخلاقيا، والتي

(١) المرجع السابق، ص (٣٥٧).

(٢) المرجع السابق.

كانوا يحسون أنها غريبة عنهم، ولذلك ذهبوا إلى "يشيفا مركاز هارف" بحثا عن نصيحة يسديها إليهم الباحثون والطلاب هناك، وكان الأمل يحدوهم في أن يمسوا ولو مسا خفيفا ذلك العنصر الرحيم والموفور التقاليد الدينية اليهودية، إلا أنهم قد صدموا ووجدوا الحاخامات الذين يصطبغون بحكمة الأنبياء والحكماء، قد صكوا آذانهم بلغة خطابية منمقة تتحدث عن الحرب المقدسة التي كتب الله لهم، ورأوا حماسة غريبة عنهم من هؤلاء المتدينين وهم أمام حائط المبكى والمواقع التوراتية في الضفة الغربية، تعتريهم نشوة طاغية وهم يتحدثون عن نصر الرب لهم والمعجزات التي يجريها لشعبه والخلاص ومجيء المسيح[1].

وهذه هارييت اليهودية الأمريكية التي هاجرت إلى إسرائيل للانضمام إلى جماعة "تقوة" تقول لعاموس عوز وهي تعاتبه:"ما كان يجب أن نتوقف أبدا في حرب الأيام الستة-١٩٦٧م-، وكذلك في حرب عيد الغفران-١٩٧٣م-. كان ينبغي علينا أن نمضي قدما إلى أن نجبرهم على الاستسلام التام، وندمر كل عواصمهم ! من تراه يكترث بصراخ الأغيار ؟"، وبعد إطراقة تفكير قصيرة، أردفت تقول:" لكن ذلك ما كان ليجلب السلام هو الآخر. لربما كان سيمنحنا بعض الهدوء، أما السلام فلا.! لأن هذه حرب دينية! حرب مقدسة! بالنسبة لهم كما بالنسبة لنا! حرب ضد الإسلام بأجمعه؛ حرب ضد الأغيار أجمعين"[2].

وهكذا تتضح الرؤية اليهودية العقدية المعاصرة، ويتأكد استمرار عقيدة الحرب المقدسة التي خاضها شعب الله مع موسى ويشوع وقضاة بني إسرائيل وملوكهم وأنبيائهم، ويخوضها اليوم شعب الله بقيادة ديان وبيجن ورابين شارون.

(١) المرجع السابق، ص(٣٥٨).

(٢) المرجع السابق،ص(٣٦٤).

وأما الوقفة الثانية، وما يتعلق بالموقف الشرعي الإسلامي، فينبثق مما سبق عند شرحنا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[(1)]، وعند شرحنا لقوله تعالى في الآيتين الكريمتين: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾[(2)]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾[(3)]. ورجحنا أن معنى سنة التدافع هو الجهاد في سبيل الله، كما قرر جمع من أهل العلم[(4)].

وعليه وبعد أثبتنا الاختيار الإلهي لبني إسرائيل، في حقبة محدودة من الزمن، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾[(5)]، وبعد أن أثبتنا نقض بني إسرائيل عهد الله، وتبديل الله ذلك الاصطفاء إلى لعنة وطرد من رحمته، كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾[(6)]. وأثبتنا وراثة أمة محمد ﷺ ذلك الاصطفاء، بعد أن قامت بما لم يفعله بنو إسرائيل من أمر الله من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ

(١) التوبة: ١١١.

(٢) البقرة: ٢٥١.

(٣) الحج: ٤٠.

(٤) راجع مبحث سنة التدافع، ص ٤١.

(٥) الدخان: ٣٢.

(٦) المائدة: ٧٨- ٧٩.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110)﴾[1].

بعد هذا كله نقول إن الحروب التي قام بها أنبياء بني إسرائيل حروب مقدسة فعلا، وهي سنة الله تعالى في التدافع بين الناس لإظهار العبوديات المختلفة لله تعالى، وهي الجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام الذي نزل به أبونا آدم من الجنة، ودعت إليه رسل الله من عهد وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وجميع الرسل صلوات ربي وسلامه عليهم[2].

ومع هذا لا يعنى إثبات هذه القداسة للحروب التي قام بها بنو إسرائيل، إثبات ماجاء في العهد القديم من الظلم للأمم المهزومة والإبادة أو التحريم بتلك الصور البشعة والتي نسب بنوا إسرائيل فعلها للرب وبأمر الرب، فالمسلمون ينزهون شرائع الله تعالى التي جاء بها رسله الكرام عن تلك القبائح، فالله تعالى شرع الجهاد في سبيله لإعلاء كلمته ونصرة دينه تعالى، وهو تعالى منزه عن الظلم لعباده.

وأما ما يتشدق به يهود اليوم من قداسة للحروب المعاصرة التي يخوضونها فهو مردود عليهم بالنصوص السابقة المثبتة للعنة الله لهم، وأنه كما أخبر النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)[3]، فشريعة بني إسرائيل منسوخة بالشريعة التي نزلت على محمد ﷺ.

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) راجع مطلب عقيدة الاختيار الإلهي،ص(٣١٢).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، حديث رقم ١٥٣.

واقتضت حكمة الله تعالى أن تكون العداوة بين اليهود والمسلمين قائمة حتى يظهر مسيحهم الدجال الذي سيتبعه سبعون ألف من يهود أصبهان، وحتى تقوم الملحمة والمعركة الفاصلة بين المسلمين واليهود، عندما ينطق الشجر والحجر فيقولا يا مسلم يا عبد الله خلفي يهودي تعال فاقتله، فيقضي المسلمون على اليهود، ويظهر الخير على الشر، وتتحقق إرادة الله تعالى الدينية الشرعية المقتضية لمحبته تعالى، وسيأتي مزيد إيضاح لهذا المستقبل في مبحث مستقل إن شاء الله.

* * *

المطلب الثاني

حروب اليهود الداخلية في العهد القديم

سجل العهد القديم حروبا داخلية بين شعب الرب، وصفها بأنها كانت كل الأيام، فلم يعرف الشعب حياة الراحة ورغد العيش إلا في فترات يسيرة من تاريخ نشوئه كأمة لها كيان ودولة، فهو إن لم يكن مشغولا بحروب خارجية مع أعداء الرب وأعدائه، فإنه يكون مشغولا بالفتن والتمرد والثورات الداخلية، فالسمة الأساسية التي اتسم بها الشعب أنه شعب حروب وفتن داخلية كانت أم خارجية.

بل وسجل العهد القديم واقع الشعب النفسي، ونظرة كل فرد من أفراده لنفسه ولأخيه وللأممين الأغيار، وسجل - من جملة ما سجل - العامل المشترك في نفسية الشعب، وهو أنانية أفراده في نظرتهم فيما بينهم، وحقدهم الموحد على عدوهم المشترك.

والعجيب أنه يسجل على إسحاق أبا يعقوب- إسرائيل- أنه كان قدوة في زرع الحقد بين أبنائه – وحاشا أنبياء الله تعالى أن يفعلوا ذلك–، والأبناء كانوا مثالا في المراوغة واغتصاب كل واحد منهم ما يمكن اغتصابه من أخيه. وأما عهد يعقوب، فواقع أبنائه النفسي مع أخيهم يوسف مشهور. وكذلك الحال مع موسى ومن خرج معه من مصر، فقد كان الشعب مثالا في الحمق والتخاذل وسوء النية والتمرد على الرب وعلى قائد الشعب.

وكذلك كان حال الشعب مع يشوع ومع القضاة ومع الملوك حتى بلغ الأمر ذروته بانقسام المملكة بعد موت سليمان، ويعبر هذا الانقسام عن الحال النفسي الذي وصل إليه الشعب مع نفسه ومع قادته، فلم يهنأ لهم بال طوال عهد الانقسام حتى زالت دولة إسرائيل في الشمال، ثم انشغلت بعد ذلك دولة يهوذا في الجنوب مع الأعداء الخارجيين، حتى زالت من الوجود على يدي نبوخذنصر.

ولو أردنا الوقوف على الجذور النفسية للشقاق الداخلي في العهد القديم، لوجدناها ترجع إلى زمن نوح الذي غضب على ابنه حام ولعن أبناءه من بعده دون ذنب منه ولا من

ذريته، وحكم عليه هو وذريته بأن يكونوا عبيدا لأخويه سام ويافث وذريتهما دون ذنب أقترفه هو أو ذريته، جاء في سفر التكوين :(١٨وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما وحاما ويافث. وحام هو أبو كنعان. ١٩هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح. ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض.

٢٠وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما. ٢١وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه.

٢٢فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا.

٢٣فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء. فلم يبصرا عورة أبيهما.

٢٤فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير. ٢٥فقال: «ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته».

٢٦وقال: «مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبدا له. ٢٧ليفتح- ليوسع- الله ليافث فيسكن في مساكن- خيام- سام. وليكن كنعان عبدا لهم)[1].

ويظهر من هذا النص المقدس، أنه في مقابل لعن حام وبنيه؛ فإن ساما ويافثا قد بوركا، ونال يافث ميزة أكبر وهي السكن في مساكن سام.

وكذلك في عهد إسحاق، نجد أن إسحاق وزوجه يغرسان الحقد بين ابنيهما، وذلك عندما انتزع يعقوب بمؤامرة من أمه ورعونة من أبيه البركة من أخيه عيسو المستحق لها، ولم يستطع إسحاق أن يفعل شيئا، وبالفعل نال يعقوب البركة، جاء في سفر التكوين:(١وحدث لما شاخ إسحاق وكلت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له: «يا ابني». فقال له: «هئنذا». ٢فقال: «إنني قد شخت ولست أعرف يوم وفاتي.

(١) سفر التكوين، أصحاح(٩).

٣فالآن خذ عدتك: جعبتك وقوسك واخرج إلى البرية وتصيد لي صيدا ٤واصنع لي أطعمة كما أحب وأتني بها لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت».

رفقة زوجة اسحاق تخدعه وتحول البركة إلى يعقوب:

٥وكانت رفقة سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه. فذهب عيسو إلى البرية ليصطاد صيدا ليأتي به. ٦وأما رفقة فقالت ليعقوب ابنها: «إني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلا: ٧ائتني بصيد واصنع لي أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتي. ٨فالآن يا ابني اسمع لقولي في ما أنا آمرك به: ٩اذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين جيدين من المعزى فأصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب ١٠فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته». ١١فقال يعقوب لرفقة أمه: «هوذا عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجل أملس. ١٢ربما يجسني أبي فأكون في عينيه كمتهاون وأجلب على نفسي لعنة لا بركة». ١٣فقالت له أمه: «لعنتك علي يا ابني. اسمع لقولي فقط واذهب خذ لي». ١٤فذهب وأخذ وأحضر لأمه فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب. ١٥وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر ١٦وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديي المعزى. ١٧وأعطت الأطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها.

يعقوب يخدع أباه وينتحل شخصية عيسو:

١٨فدخل إلى أبيه وقال: «يا أبي». فقال: «هئنذا. من أنت يا ابني؟» ١٩فقال يعقوب لأبيه: «أنا عيسو بكرك. قد فعلت كما كلمتني. قم اجلس وكل من صيدي لتباركني نفسك». ٢٠فقال إسحاق لابنه: «ما هذا الذي أسرعت لتجد يا ابني؟» فقال: «إن الرب إلهك قد يسر لي». ٢١فقال إسحاق ليعقوب: «تقدم لأجسك يا ابني. أأنت هو ابني عيسو أم لا؟» ٢٢فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه فجسه وقال: «الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو». ٢٣ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه. فباركه.

٢٤وقال: «هل أنت هو ابني عيسو؟» فقال: «أنا هو». ٢٥فقال: «قدم لي لآكل من صيد ابني حتى تباركك نفسي». فقدم له فأكل وأحضر له خمرا فشرب. ٢٦فقال له إسحاق أبوه: «تقدم وقبلني يا ابني».

اسحاق يبارك يعقوب ويدعو له باستعباد وسجود الشعوب له وسيدا لاخوته وهو يظن انه عيسو:

٢٧فتقدم وقبله. فشم رائحة ثيابه وباركه. وقال: «انظر! رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب. ٢٨فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض وكثرة حنطة وخمر. ٢٩ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل. كن سيدا لإخوتك وليسجد لك بنو أمك. ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين».

إسحاق وعيسو يكتشفا الخدعة:

٣٠وحدث عندما فرغ إسحاق من بركة يعقوب ويعقوب قد خرج من لدن إسحاق أبيه أن عيسو أخاه أتى من صيده ٣١فصنع هو أيضا أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه: «ليقم أبي ويأكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسك». ٣٢فقال له إسحاق أبوه: «من أنت؟» فقال: «أنا ابنك بكرك عيسو». ٣٣فارتعد إسحاق ارتعادا عظيما جدا. وقال: «فمن هو الذي اصطاد صيدا وأتى به إلي فأكلت من الكل قبل أن تجيء وباركته؟ نعم ويكون مباركا!» ٣٤فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جدا وقال لأبيه: «باركني أنا أيضا يا أبي!» ٣٥فقال: «قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك». ٣٦فقال: «ألا إن اسمه دعي يعقوب فقد تعقبني الآن مرتين! أخذ بكوريتي وهوذا الآن قد أخذ بركتي».

طلب عيسو بركة ثانية ونفاد بركة إسحاق:

ثم قال: «أما أبقيت لي بركة؟» ٣٧فقال إسحاق لعيسو: «إني قد جعلته سيدا لك ودفعت إليه جميع إخوته عبيدا وعضدته بحنطة وخمر. فماذا أصنع إليك يا ابني؟»

٣٨فقال عيسو لأبيه: «ألك بركة واحدة فقط يا أبي؟ باركني أنا أيضا يا أبي!» ورفع عيسو صوته وبكى.

إسحاق يعلن تفضيل يعقوب على عيسو وأنه يعيش بسيف ويستعبد لأخيه:

٣٩فأجاب إسحاق أبوه: «هوذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك وبلا ندى السماء من فوق.٤٠وبسيفك تعيش ولأخيك تستعبد. ولكن يكون حينما تجمح أنك تكسر نيره عن عنقك».

عيسو يحقد على أخيه وعلن اقتراب أيام مناحة أبيه:

٤١فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة التي باركه بها أبوه. وقال عيسو في قلبه: «قربت أيام مناحة أبي فأقتل يعقوب أخي». ٤٢فأخبرت رفقة بكلام عيسو ابنها الأكبر فأرسلت ودعت يعقوب ابنها الأصغر وقالت له: «هوذا عيسو أخوك متسل من جهتك بأنه يقتلك. ٤٣فالآن يا ابني اسمع لقولي وقم اهرب إلى أخي لابان إلى حاران ٤٤وأقم عنده أياما قليلة حتى يرتد غضب أخيك عنك ٤٥وينسى ما صنعت به. ثم أرسل فآخذك من هناك. لماذا أعدم اثنيكما في يوم واحد؟»، ٤٦وقالت رفقة لإسحاق: «مللت حياتي من أجل بنات حث. إن كان يعقوب يأخذ زوجة من بنات حث مثل هؤلاء من بنات الأرض فلماذا لي حياة؟)[١].

(١) سفر التكوين،أصحاح(٢٧).

ثم توالت أحدث القصة وصالح يعقوب أخاه عيسو:

(٣وأرسل يعقوب رسلا قدامه إلى عيسو أخيه إلى أرض سعير بلاد أدوم ٤وأمرهم: «هكذا تقولون لسيدي عيسو: هكذا قال عبدك يعقوب: تغربت عند لابان ولبثت إلى الآن. ٥وقد صار لي بقر وحمير وغنم وعبيد وإماء. وأرسلت لأخبر سيدي لكي أجد نعمة في عينيك».٦فرجع الرسل إلى يعقوب قائلين: «أتينا إلى أخيك إلى عيسو وهو أيضا قادم للقائك وأربع مئة رجل معه)[1].

وقبل دخول شعب الرب إلى مصر، دل تآمر إخوة يوسف على قتل أخيهم، على طبيعة مغروسة في نفوس هذا أصول هذه الأمة وهذا الشعب، كما جاء في سفر التكوين:(١٨فلما أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم احتالوا له ليميتوه. ١٩فقال بعضهم لبعض: «هوذا هذا صاحب الأحلام قادم.

٢٠فالآن هلم نقتله ونطرحه في إحدى الآبار ونقول: وحش رديء أكله. فنرى ماذا تكون أحلامه». ٢١فسمع رأوبين وأنقذه من أيديهم وقال: «لا نقتله». ٢٢وقال لهم رأوبين: «لا تسفكوا دما. اطرحوه في هذه البئر التي في البرية ولا تمدوا إليه يدا» ـ لكي ينقذه من أيديهم ليرده إلى أبيه.

٢٣فكان لما جاء يوسف إلى إخوته أنهم خلعوا عنه قميصه الملون الذي عليه ٢٤وأخذوه وطرحوه في البئر. وأما البئر فكانت فارغة ليس فيها ماء)[2].

ثم توالت أحدث القصة حتى كشف يوسف عن نفسه وعفا عن إخوته، جاء في نفس السفر:(١فلم يستطع يوسف أن يضبط نفسه لدى جميع الواقفين عنده فصرخ: «أخرجوا كل إنسان عني!» فلم يقف أحد عنده حين عرف يوسف إخوته بنفسه. ٢فأطلق صوته

(١) سفر التكوين أصحاح(٣٣).

(٢) سفر التكوين،أصحاح(٣٧).

بالبكاء. فسمع المصريون وسمع بيت فرعون. ٣وقال يوسف لإخوته: «أنا يوسف. أحي أبي بعد؟» فلم يستطع إخوته أن يجيبوه لأنهم ارتاعوا منه. ٤فقال يوسف لإخوته: «تقدموا إلي». فتقدموا. فقال: «أنا يوسف أخوكم الذي بعتموه إلى مصر.

٥والآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعتموني إلى هنا لأنه لاستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم. ٦لأن للجوع في الأرض الآن سنتين. وخمس سنين أيضا لا تكون فيها فلاحة ولا حصاد. ٧فقد أرسلني الله قدامكم ليجعل لكم بقية في الأرض وليستبقي لكم نجاة عظيمة.

٨فالآن ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله. وهو قد جعلني أبا لفرعون وسيدا لكل بيته ومتسلطا على كل أرض مصر)[١].

وفي نص مقدس يبين جانبا مهما في واقع شعب الرب النفسي، بعد الخروج من أرض مصر، وفي الطريق إلى أرض الموعد، تمرد قورح وداثان وأبيرام وشعب الرب بأجمعه على موسى،جاء في سفر العدد:(١وأخذ قورح بن يصهار بن قهات بن لاوي وداثان وأبيرام ابنا أليآب وأون بن فالت بنو رأوبين ٢ يقاومون موسى مع أناس من بني إسرائيل مئتين وخمسين رؤساء الجماعة مدعوين للاجتماع ذوي اسم.

٣فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما: «كفاكما! إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب. فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب؟».٤فلما سمع موسى سقط على وجهه. ٥ثم قال لقورح وجميع قومه: «غدا يعلن الرب من هو له ومن المقدس حتى يقربه إليه. فالذي يختاره يقربه إليه. ٦افعلوا هذا: خذوا لكم مجامر. قورح وكل جماعته. ٧واجعلوا فيها نارا وضعوا عليها بخورا أمام الرب غدا. فالرجل الذي يختاره الرب هو المقدس. كفاكم يا بني لاوي!» ٨وقال موسى لقورح: «اسمعوا يا بني لاوي. ٩أقليل

(١) سفر التكوين أصحاح(٤٥).

عليكم أن إله إسرائيل أفرزكم من جماعة إسرائيل ليقربكم إليه لكي تعملوا خدمة مسكن الرب وتقفوا قدام الجماعة لخدمتها؟ ١٠فقربك وجميع إخوتك بني لاوي معك وتطلبون أيضا كهنوتا! ١١إذن أنت وكل جماعتك متفقون على الرب. وأما هارون فما هو حتى تتذمروا عليه؟».

ألفاظ تترجم الحقد الدفين على نبيهم موسى – عليه السلام–:

١٢فأرسل موسى ليدعو داثان وأبيرام ابني أليآب. فقالا: «لا نصعد! ١٣أقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبنا وعسلا لتميتنا في البرية حتى تترأس علينا ترؤسا؟ ١٤كذلك لم تأت بنا إلى أرض تفيض لبنا وعسلا ولا أعطيتنا نصيب حقول وكروم. هل تقلع أعين هؤلاء القوم؟ لا نصعد!».

١٥فاغتاظ موسى جدا وقال للرب: «لا تلتفت إلى تقدمتهما. حمارا واحدا لم آخذ منهم ولا أسأت إلى أحد منهم».

التحدي والعقاب:

١٦وقال موسى لقورح: «كن أنت وكل جماعتك أمام الرب أنت وهم وهارون غدا ١٧وخذوا كل واحد مجمرته واجعلوا فيها بخورا وقدموا أمام الرب كل واحد مجمرته.مئتين وخمسين مجمرة. وأنت وهارون كل واحد مجمرته». ١٨فأخذوا كل واحد مجمرته وجعلوا فيها نارا ووضعوا عليها بخورا ووقفوا لدى باب خيمة الاجتماع مع موسى وهارون. ١٩وجمع عليهما قورح كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع فتراءى مجد الرب لكل الجماعة.

٢٠وقال الرب لموسى وهارون: ٢١«افترزا من بين هذه الجماعة فإني أفنيهم في لحظة!» ٢٢فخرا على وجهيهما وقالا: «اللهم إله أرواح جميع البشر هل يخطئ رجل واحد فتسخط على كل الجماعة؟» ٢٣فقال الرب لموسى: ٢٤«كلم الجماعة قائلا اطلعوا من حوالي مسكن قورح وداثان وأبيرام».

٢٥فقام موسى وذهب إلى داثان وأبيرام وذهب وراءه شيوخ إسرائيل. ٢٦فقال للجماعة: «اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البغاة ولا تمسوا شيئا مما لهم لئلا تهلكوا بجميع خطاياهم». ٢٧فطلعوا من حوالي مسكن قورح وداثان وأبيرام وخرج داثان وأبيرام ووقفا في باب خيمتيهما مع نسائهما وبنيهما وأطفالهما. ٢٨فقال موسى: «بهذا تعلمون أن الرب قد أرسلني لأعمل كل هذه الأعمال وأنها ليست من نفسي. ٢٩إن مات هؤلاء كموت كل إنسان وأصابتهم مصيبة كل إنسان فليس الرب قد أرسلني. ٣٠ولكن إن ابتدع الرب بدعة وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل ما لهم فهبطوا أحياء إلى الهاوية تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب».

٣١فلما فرغ من التكلم بكل هذا الكلام انشقت الأرض التي تحتهم ٣٢وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الأموال ٣٣فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء إلى الهاوية وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة. ٣٤وكل إسرائيل الذين حولهم هربوا من صوتهم لأنهم قالوا: «لعل الأرض تبتلعنا». ٣٥وخرجت نار من عند الرب وأكلت المئتين والخمسين رجلا الذين قربوا البخور.

طرق المجامر:

٣٦ثم قال الرب لموسى: ٣٧«قل لألعازار بن هارون الكاهن أن يرفع المجامر من الحريق واذر النار هناك فإنهن قد تقدسن. ٣٨مجامر هؤلاء المخطئين ضد نفوسهم فليعملوها صفائح مطروقة غشاء للمذبح لأنهم قد قدموها أمام الرب فتقدست. فتكون علامة لبني إسرائيل». ٣٩فأخذ ألعازار الكاهن مجامر النحاس التي قدمها المحترقون وطرقوها غشاء للمذبح ٤٠تذكارا لبني إسرائيل لكي لا يقترب رجل أجنبي ليس من نسل هارون ليبخر بخورا أمام الرب فيكون مثل قورح وجماعته كما كلمه الرب عن يد موسى.

شعب الرب يتذمر بأجمعه على موسى والرب يفشي الوباء بينهم:

٤١فتذمر كل جماعة بني إسرائيل في الغد على موسى وهارون قائلين: «أنتما قد قتلتما

شعب الرب». ٤٢ولما اجتمعت الجماعة على موسى وهارون انصرفا إلى خيمة الاجتماع وإذا هي قد غطتها السحابة وتراءى مجد الرب. ٤٣فجاء موسى وهارون إلى قدام خيمة الاجتماع. ٤٤فقال الرب لموسى: ٤٥«اطلعا من وسط هذه الجماعة فإني أفنيهم بلحظة». فخرا على وجهيهما. ٤٦ثم قال موسى لهارون: «خذ المجمرة واجعل فيها نارا من على المذبح وضع بخورا واذهب بها مسرعا إلى الجماعة وكفر عنهم لأن السخط قد خرج من قبل الرب. قد ابتدأ الوبأ».

٤٧فأخذ هارون كما قال موسى وركض إلى وسط الجماعة وإذا الوبأ قد ابتدأ في الشعب. فوضع البخور وكفر عن الشعب. ٤٨ووقف بين الموتى والأحياء فامتنع الوبأ. ٤٩فكان الذين ماتوا بالوبإ أربعة عشر ألفا وسبع مئة عدا الذين ماتوا بسبب قورح. ٥٠ثم رجع هارون إلى موسى إلى باب خيمة الاجتماع والوبأ قد امتنع)[١].

وفي عهد القضاة، عندما حارب جدعون بن يوآش الأبيعزري المديانيين دون سبط أفرايم، غضبوا عليه جدا وبدت بوادر الانقسام والخصومة والحرب واضحة في مواجهتهم له، ولكن جدعون احتوى غضب سبط أفرايم من وأجابهم بلين أطفأ غضبهم، جاء في سفر القضاة:(١وقال له رجال أفرايم: «ما هذا الأمر الذي فعلت بنا، إذ لم تدعنا عند ذهابك لمحاربة المديانيين؟» وخاصموه بشدة. ٢فقال لهم: «ماذا فعلت الآن نظيركم؟ أليس خصاصة أفرايم خيرا من قطاف أبيعزر؟ ٣ليدكم دفع الله أميري المديانيين غرابا وذئبا. وماذا قدرت أن أعمل نظيركم؟». حينئذ ارتخت روحهم عنه عندما تكلم بهذا الكلام)[٢].

(١) سفر العدد،أصحاح(١٦).

(٢) سفر القضاة،أصحاح(٨).

وكان جدعون عند قتاله للمديانيين، قد طلب مساعدة أهل سكوت وفنوئيل –وهم من شعب الرب – فرفضوا خوفا من ثأر المديانيين، فلما انتصر جدعون رجع إليهم وقتل قادتهم وشيوخهم ودرس الأشواك وخلطها بلحم أهل سكوت، وهدم برج فنوئيل وقتل رجال المدينة، لأنهم خذلوه ولم يقدموا له المأكل والمشرب، جاء في سفر القضاة:(٤وجاء جدعون إلى الأردن وعبر هو والثلاث مئة الرجل الذين معه معيين ومطاردين. ٥فقال لأهل سكوت: «أعطوا أرغفة خبز للقوم الذين معي لأنهم معيون، وأنا ساع وراء زبح وصلمناع ملكي مديان». ٦فقال رؤساء سكوت: «هل أيدي زبح وصلمناع بيدك الآن حتى نعطي جندك خبزا؟» ٧فقال جدعون: «لذلك عندما يدفع الرب زبح وصلمناع بيدي أدرس لحمكم مع أشواك البرية بالنوارج». ٨وصعد من هناك إلى فنوئيل وكلمهم هكذا. فأجابه أهل فنوئيل كما أجاب أهل سكوت، ٩فقال أيضا لأهل فنوئيل: عند رجوعي بسلام أهدم هذا البرج.

القبض على زبح وصلمناع ملكي مديان:

١٠وكان زبح وصلمناع في قرقر وجيشهما معهما نحو خمسة عشر ألفا، كل الباقين من جميع جيش بني المشرق. والذين سقطوا مئة وعشرون ألف رجل مخترطي السيف. ١١وصعد جدعون في طريق ساكني الخيام شرقي نوبح ويجبهة، وضرب الجيش وكان الجيش مطمئنا. ١٢فهرب زبح وصلمناع، فتبعهما وأمسك ملكي مديان زبح وصلمناع وأزعج كل الجيش.

جدعون ينتقم من أهل سكوت وفنوئيل:

١٣ورجع جدعون بن يوآش من الحرب من عند عقبة حارس. ١٤وأمسك غلاما من أهل سكوت وسأله، فكتب له رؤساء سكوت وشيوخها، سبعة وسبعين رجلا. ١٥ودخل إلى أهل سكوت وقال: «هوذا زبح وصلمناع اللذان عيرتموني بهما قائلين: هل أيدي زبح وصلمناع بيدك الآن حتى نعطي رجالك المعيين خبزا؟» ١٦وأخذ شيوخ المدينة وأشواك البرية والنوارج وعلم بها أهل سكوت. ١٧وهدم برج فنوئيل وقتل

رجال المدينة)[1].

وفي عهد القضاة أيضا أراد أبيمالك أن يكون ملكا على أروشليم، فاستمال أخواله وحقق ما يريد ولكن بعد أن قتل إخوته، جاء في سفر القضاة:(١وذهب أبيمالك بن يربعل إلى شكيم إلى أخواله، وقال لجميع عشيرة بيت أبي أمه: ٢«تكلموا الآن في آذان جميع أهل شكيم. أيما هو خير لكم: أأن يتسلط عليكم سبعون رجلا، جميع بني يربعل، أم أن يتسلط عليكم رجل واحد؟ واذكروا أني أنا عظمكم ولحمكم». ٣فتكلم أخواله عنه في آذان كل أهل شكيم بجميع هذا الكلام. فمال قلبهم وراء أبيمالك، لأنهم قالوا: «أخونا هو».

أبيمالك يقتل إخوته:

٤وأعطوه سبعين شاقل فضة من بيت بعل بريث، فاستأجر بها أبيمالك رجالا بطالين طائشين، فسعوا وراءه. ٥ثم جاء إلى بيت أبيه في عفرة وقتل إخوته بني يربعل، سبعين رجلا، على حجر واحد. وبقي يوثام بن يربعل الأصغر لأنه اختبأ)[2].

ولم يلبث أبيمالك في حكمه حتى ثار الشعب عليه في شكيم وتمردوا، جاء في سفر القضاة:(٢٢فترأس أبيمالك على إسرائيل ثلاث سنين. ٢٣وأرسل الرب روحا رديئا بين أبيمالك وأهل شكيم، فغدر أهل شكيم بأبيمالك. ٢٤ليأتي ظلم بني يربعل السبعين ويجلب دمهم على أبيمالك أخيهم الذي قتلهم، وعلى أهل شكيم الذين شددوا يديه لقتل إخوته.

٢٥فوضع له أهل شكيم كمينا على رؤوس الجبال، وكانوا يستلبون كل من عبر بهم في الطريق. فأخبر أبيمالك. ٢٦وجاء جعل بن عابد مع إخوته وعبروا إلى شكيم فوثق به أهل شكيم. ٢٧وخرجوا إلى الحقل وقطفوا كرومهم وداسوا وصنعوا تمجيدا، ودخلوا

(١) سفر القضاة،أصحاح(٨).

(٢) سفر القضاة أصحاح(٩).

بيت إلههم وأكلوا وشربوا ولعنوا أبيمالك.

٢٨فقال جعل بن عابد: «من هو أبيمالك ومن هو شكيم حتى نخدمه؟ أما هو ابن يربعل، وزبول وكيله؟ اخدموا رجال حمور أبي شكيم. فلماذا نخدمه نحن؟ ٢٩من يجعل هذا الشعب بيدي فأعزل أبيمالك». وقال لأبيمالك: «كثر جندك واخرج!» ٣٠ولما سمع زبول رئيس المدينة كلام جعل بن عابد حمي غضبه، ٣١وأرسل رسلا إلى أبيمالك في ترمة يقول: «هوذا جعل بن عابد وإخوته قد أتوا إلى شكيم، وها هم يهيجون المدينة ضدك. ٣٢فالآن قم ليلا أنت والشعب الذي معك واكمن في الحقل. ٣٣ويكون في الصباح عند شروق الشمس أنك تبكر وتقتحم المدينة. وها هو والشعب الذي معه يخرجون إليك فتفعل به حسبما تجده يدك».

أبيمالك يقضي على الثورة:

٣٤فقام أبيمالك وكل الشعب الذي معه ليلا وكمنوا لشكيم أربع فرق. ٣٥فخرج جعل بن عابد ووقف في مدخل باب المدينة. فقام أبيمالك والشعب الذي معه من المكمن. ٣٦ورأى جعل الشعب فقال لزبول: «هوذا شعب نازل عن رؤوس الجبال». فقال له زبول: «إنك ترى ظل الجبال كأنه أناس». ٣٧فعاد جعل وقال أيضا: «هوذا شعب نازل من عند أعالي الأرض، وفرقة واحدة آتية عن طريق بلوطة العائفين». ٣٨فقال له زبول: «أين الآن فمك الذي قلت به: من هو أبيمالك حتى نخدمه؟ أليس هذا هو الشعب الذي رذلته. فاخرج الآن وحاربه». ٣٩فخرج جعل أمام أهل شكيم وحارب أبيمالك. ٤٠فهزمه أبيمالك، فهرب من قدامه وسقط قتلى كثيرون حتى عند مدخل الباب. ٤١فأقام أبيمالك في أرومة. وطرد زبول جعلا وإخوته عن الإقامة في شكيم. ٤٢وكان في الغد أن الشعب خرج إلى الحقل وأخبروا أبيمالك. ٤٣فأخذ القوم وقسمهم إلى ثلاث فرق، وكمن في الحقل ونظر وإذا الشعب يخرج من المدينة، فقام عليهم وضربهم. ٤٤وأبيمالك والفرقة التي معه اقتحموا ووقفوا في مدخل باب المدينة. وأما الفرقتان فهجمتا على كل من في الحقل وضربتاه. ٤٥وحارب أبيمالك المدينة كل ذلك اليوم، وأخذ المدينة وقتل الشعب

الذي بها، وهدم المدينة وزرعها ملحا.

إحراق برج شكيم:

٤٦وسمع كل أهل برج شكيم فدخلوا إلى صرح بيت إيل بريث. ٤٧فأخبر أبيمالك أن كل أهل برج شكيم قد اجتمعوا. ٤٨فصعد أبيمالك إلى جبل صلمون هو وكل الشعب الذي معه. وأخذ أبيمالك الفؤوس بيده، وقطع غصن شجر ورفعه ووضعه على كتفه، وقال للشعب الذي معه: «ما رأيتموني أفعله فأسرعوا افعلوا مثلي». ٤٩فقطع الشعب أيضا كل واحد غصنا وساروا وراء أبيمالك، ووضعوها على الصرح وأحرقوا عليهم الصرح بالنار. فمات أيضا جميع أهل برج شكيم، نحو ألف رجل وامرأة.

قتل أبيمالك في المعركة:

٥٠ثم ذهب أبيمالك إلى تاباص ونزل في تاباص وأخذها.٥١وكان برج قوي في وسط المدينة فهرب إليه جميع الرجال والنساء وكل أهل المدينة وأغلقوا وراءهم وصعدوا إلى سطح البرج.٥٢فجاء أبيمالك إلى البرج وحاربه، واقترب إلى باب البرج ليحرقه بالنار. ٥٣فطرحت امرأة قطعة رحى على رأس أبيمالك فشجت جمجمته. ٥٤فدعا حالا الغلام حامل عدته وقال له: «اخترط سيفك واقتلني، لئلا يقولوا عني: قتلته امرأة». فطعنه الغلام فمات. ٥٥ولما رأى رجال إسرائيل أن أبيمالك قد مات، ذهب كل واحد إلى مكانه. ٥٦فرد الله شر أبيمالك الذي فعله بأبيه لقتله إخوته السبعين، ٥٧وكل شر أهل شكيم رده الله على رؤوسهم، وأتت عليهم لعنة يوثام بن يربعل)[(١)].

وجدد سبط أفرايم تمرده المسلح على بقية الأسباط، وحاربه بقية الأسباط بقيادة يفتاح الجلعادي:(١واجتمع رجال أفرايم-وجهز سبط أفرايم جيشا- وعبروا إلى جهة الشمال، وقالوا ليفتاح: «لماذا عبرت لمحاربة بني عمون ولم تدعنا للذهاب معك؟ نحرق بيتك

(١) سفر القضاة، أصحاح(٩).

عليك بنار!» ٢فقال لهم يفتاح: «صاحب خصام شديد كنت أنا وشعبي مع بني عمون، وناديتكم فلم تخلصوني من يدهم. ٣ولما رأيت أنكم لا تخلصون، وضعت نفسي في يدي وعبرت إلى بني عمون، فدفعهم الرب ليدي.-فنصرني لرب عليهم- فلماذا صعدتم علي اليوم هذا لمحاربتي؟».٤وجمع يفتاح كل رجال جلعاد وحارب أفرايم، فضرب رجال جلعاد أفرايم لأنهم قالوا: «أنتم منفلتو أفرايم. جلعاد بين أفرايم ومنسى». ٥فأخذ الجلعاديون مخاوض الأردن لأفرايم. وكان إذ قال منفلتو أفرايم: «دعوني أعبر». كان رجال جلعاد يسألونه: «أأنت أفرايمي؟» فإن قال: «لا» ٦كانوا يقولون له: «قل إذا: شبولت» فيقول: «سبولت» ولم يتحفظ للفظ بحق. فكانوا يأخذونه ويذبحونه على مخاوض الأردن. فسقط في ذلك الوقت من أفرايم اثنان وأربعون ألفا)[(١)].

اغتصاب سرية اللاوي:

وفي قصة اغتصاب سرية اللاوي وموتها، تقاتل شعب الرب قتالا شديدا حتى كادوا أن يفنوا سبط بنيامين عن بكرة أبيه، جاء في سفر القضاة:(٢٢ وفيما هم يطيبون قلوبهم إذا برجال المدينة رجال بليعال أحاطوا بالبيت قارعين الباب وكلموا الرجل صاحب البيت الشيخ قائلين أخرج الرجل الذي دخل بيتك فنعرفه. ٢٣ فخرج إليهم الرجل صاحب البيت وقال لهم لا يا إخوتي لا تفعلوا شرا. بعدما دخل هذا الرجل بيتي لا تفعلوا هذه القباحة. ٢٤ هوذا ابنتي العذراء وسريته دعوني أخرجهما فأذلوهما وافعلوا بهما ما يحسن في أعينكم وأما هذا الرجل فلا تعملوا به هذا الأمر القبيح. ٢٥ فلم يرد الرجال أن يسمعوا له. فأمسك الرجل سريته وأخرجها إليهم خارجا فعرفوها وتعللوا بها الليل كله إلى الصباح-فظلوا يتناوبون على اغتصابها طوال الليل- وعند طلوع الفجر أطلقوها. ٢٦ فجاءت المرأة عند إقبال الصباح وسقطت عند باب بيت الرجل حيث سيدها هناك إلى الضوء. ٢٧ فقام سيدها في الصباح وفتح أبواب البيت وخرج للذهاب في طريقه وإذا

(١) سفر القضاة، أصحاح(١٢).

بالمرأة سريته ساقطة على باب البيت ويداها على العتبة. ٢٨ فقال لها قومي نذهب. فلم يكن مجيب. فأخذها على الحمار وقام الرجل وذهب إلى مكانه.

توزيع أشلاء السرية على أسباط:

٢٩ودخل بيته وأخذ السكين وأمسك سريته وقطعها مع عظامها إلى اثنتي عشرة قطعة وأرسلها إلى جميع تخوم إسرائيل. ٣٠ وكل من رأى قال لم ير مثل هذا من يوم صعود بني إسرائيل من أرض مصر إلى هذا اليوم. تبصروا فيه وتشاوروا وتكلموا)[١].

غضب بني إسرائيل من الواقعة:

(١ فخرج جميع بني إسرائيل واجتمعت الجماعة كرجل واحد من دان إلى بئر سبع مع أرض جلعاد إلى الرب في المصفاة. ٢ ووقف وجوه جميع الشعب جميع أسباط إسرائيل في مجمع شعب الله أربع مئة ألف راجل مخترطي السيف. ٣ فسمع بنو بنيامين أن بني إسرائيل قد صعدوا إلى المصفاة. وقال بنو إسرائيل تكلموا. كيف كانت هذه القباحة.

٤ فأجاب الرجل اللاوي بعل المرأة المقتولة وقال دخلت أنا وسريتي إلى جبعة التي لبنيامين لنبيت. ٥ فقام علي أصحاب جبعة وأحاطوا علي بالبيت ليلا وهموا بقتلي وأذلوا سريتي حتى ماتت. ٦ فأمسكت سريتي وقطعتها وأرسلتها إلى جميع حقول ملك إسرائيل. لأنهم فعلوا رذالة وقباحة في إسرائيل. ٧ هوذا كلكم بنو إسرائيل هاتوا حكمكم ورأيكم ههنا.

---

(١) سفر القضاة،أصحاح(١٩).

العزم على القصاص من أهل جبعة البنياميين الجناة:

٨ فقام جميع الشعب كرجل واحد وقالوا لا يذهب أحد منا إلى خيمته ولا يميل أحد إلى بيته. ٩ والآن هذا هو الأمر الذي نعمله بجبعة. عليها بالقرعة. ١٠ فنأخذ عشرة رجال من المئة من جميع أسباط إسرائيل ومئة من الألف وألفا من الربوة لأجل أخذ زاد للشعب ليفعلوا عند دخولهم جبعة ببنيامين حسب كل القباحة التي فعلت بإسرائيل.

البنياميون يرفضون تسليم الجناة:

١١ فاجتمع جميع رجال إسرائيل على المدينة متحدين كرجل واحد. ١٢ وأرسل أسباط إسرائيل رجالا إلى جميع أسباط بنيامين قائلين ما هذا الشر الذي صار فيكم. ١٣ فالآن سلموا القوم بني بليعال الذين في جبعة لكي نقتلهم وننزع الشر من إسرائيل. فلم يرد بنو بنيامين أن يسمعوا لصوت إخوتهم بني إسرائيل.

البنياميون يجندون رجالهم:

١٤ فاجتمع بنو بنيامين من المدن إلى جبعة لكي يخرجوا لمحاربة بني إسرائيل. ١٥ وعد بنو بنيامين في ذلك اليوم من المدن ستة وعشرين ألف رجل مخترطي السيف ما عدا سكان جبعة عدوا سبع مئة رجل منتخبين. ١٦ من جميع هذا الشعب سبع مئة رجل منتخبون عسر. كل هؤلاء يرمون الحجر بالمقلاع على الشعرة ولا يخطئون.

١٧ وعد رجال إسرائيل ما عدا بنيامين أربع مئة ألف رجل مخترطي السيف. كل هؤلاء رجال حرب.

بنوا إسرائيل يسألون الرب قبل الحرب مرتين، والبنياميون الظالمون ينتصرون في معركتين:

١٨ فقاموا وصعدوا إلى بيت إيل وسألوا الله وقال بنو إسرائيل من يصعد منا أولا لمحاربة بني بنيامين. فقال الرب يهوذا أولا. ١٩ فقام بنو إسرائيل في الصباح ونزلوا على جبعة.

٢٠ وخرج رجال إسرائيل لمحاربة بنيامين وصف رجال إسرائيل أنفسهم للحرب عند جبعة.

٢١ فخرج بنو بنيامين من جبعة وأهلكوا من إسرائيل في ذلك اليوم اثنين وعشرين ألف رجل إلى الأرض.

٢٢ وتشدد الشعب رجال إسرائيل وعادوا فاصطفوا للحرب في المكان الذي اصطفوا فيه في اليوم الأول.

٢٣ ثم صعد بنو إسرئيل وبكوا أمام الرب إلى السماء وسألوا الرب قائلين هل أعود أتقدم لمحاربة بني بنيامين أخي. فقال الرب اصعدوا إليه.

٢٤ فتقدم بنو إسرائيل إلى بني بنيامين في اليوم الثاني. ٢٥ فخرج بنيامين للقائهم من جبعة في اليوم الثاني وأهلك من بني إسرائيل أيضا ثمانية عشر ألف رجل إلى الأرض. كل هؤلاء مخترطو السيف. ٢٦فصعد جميع بني إسرائيل وكل الشعب وجاءوا إلى بيت إيل وبكوا وجلسوا هناك أمام الرب وصاموا ذلك اليوم إلى المساء وأصعدوا محرقات وذبائح سلامة أمام الرب.

٢٧ وسأل بنو إسرائيل الرب. وهناك تابوت عهد الله في تلك الأيام. ٢٨ وفينحاس بن أليعازر بن هرون واقف أمامه في تلك الأيام. قائلين أأعود أيضا للخروج لمحاربة بني بنيامين أخي أم أكف. فقال اصعدوا لأني غدا أدفعهم ليدك.

هزيمة البنياميين وإبادتهم واستئصالهم:

٢٩ ووضع إسرائيل كمينا على جبعة محيطا. ٣٠ وصعد بنو إسرائيل على بني بنيامين في اليوم الثالث واصطفوا عند جبعة كالمرة الأولى والثانية.

٣١ فخرج بنو بنيامين للقاء الشعب وانجذبوا عن المدينة وأخذوا يضربون من الشعب قتلى كالمرة الأولى والثانية في السكك التي إحداها تصعد إلى بيت إيل والأخرى إلى جبعة في الحقل نحو ثلاثين رجلا من إسرائيل.

٣٢ وقال بنو بنيامين منهزمون أمامنا كما في الأول. وأما بنو إسرائيل فقالوا لنهرب ونجذبهم عن المدينة إلى السكك.

٣٣ وقام جميع رجال إسرائيل من أماكنهم واصطفوا في بعل تامار وثار كمين إسرائيل من مكانه من عراء جبعة. ٣٤ وجاء من مقابل جبعة عشرة آلاف رجل منتخبون من كل إسرائيل وكانت الحرب شديدة وهم يعلمون أن الشر قد مسهم.

٣٥ فضرب الرب بنيامين أمام إسرائيل وأهلك بنو إسرائيل في ذلك اليوم خمسة وعشرين ألف رجل ومئة رجل. كل هؤلاء مخترطو السيف.

٣٦ ورأى بنو بنيامين أنهم قد انكسروا. وأعطى رجال إسرائيل مكانا لبنيامين لأنهم اتكلوا على الكمين الذي وضعوه على جبعة. ٣٧ فأسرع الكمين واقتحموا جبعة وزحف الكمين وضرب المدينة كلها بحد السيف. ٣٨ وكان الميعاد بين رجال إسرائيل وبين الكمين إصعادهم بكثرة علامة الدخان من المدينة.

٣٩ ولما انقلب رجال إسرائيل في الحرب ابتدأ بنيامين يضربون قتلى من رجال إسرائيل نحو ثلاثين رجلا لأنهم قالوا إنما هم منهزمون من أمامنا كالحرب الأولى. ٤٠ ولما ابتدأت العلامة تصعد من المدينة عمود دخان التفت بنيامين إلى ورائه وإذا بالمدينة كلها تصعد نحو السماء. ٤١ ورجع رجال إسرائيل وهرب رجال بنيامين برعدة لأنهم رأوا أن الشر قد مسهم. ٤٢ ورجعوا أمام بني إسرئيل في طريق البرية ولكن القتال أدركهم والذين من المدن أهلكوهم في وسطهم.

٤٣ فحاوطوا بنيامين ثمانية عشر ألف رجل جميع هؤلاء ذوو بأس. ٤٥ فداروا وهربوا إلى البرية إلى صخرة رمون. فالتقطوا منهم في السكك خمسة آلاف رجل وشدوا وراءهم إلى جدعوم وقتلوا منهم ألفي رجل. ٤٦ وكان جميع الساقطين من بنيامين خمسة وعشرين ألف رجل مخترطي السيف في ذلك اليوم. جميع هؤلاء ذوو بأس. ٤٧ودار وهرب إلى البرية إلى صخرة رمون ست مئة رجل وأقاموا في صخرة رمون أربعة أشهر.

٤٨ ورجع رجال بني إسرائيل إلى بني بنيامين وضربوهم بحد السيف من المدينة بأسرها حتى البهائم حتى كل ما وجد وأيضا جميع المدن التي وجدت أحرقوها بالنار)[(١)].

وبعد أن انتهت الحرب بانتصار بنو إسرائيل أخذ الشعب عهدا على أنفسهم ألا يزوجوا أحد من الناجين من البنيامين، جاء في نفس السفر:(١ ورجال إسرائيل حلفوا في المصفاة قائلين لا يسلم أحد منا ابنته لبنيامين امرأة.

ثم لم يلبثوا إلا وندموا على ذلك وبكوا وناحوا على انقراض سبط بنيامين المتحتم لو لم يتزوجوا:(٢وجاء الشعب إلى بيت إيل وأقاموا هناك إلى المساء أمام الله ورفعوا صوتهم وبكوا بكاء عظيما. ٣ وقالوا لماذا يا رب إله إسرائيل حدثت هذه في إسرائيل حتى يفقد اليوم من إسرائيل سبط. ٤ وفي الغد بكر الشعب وبنوا هناك مذبحا وأصعدوا محرقات وذبائح سلامة.

ثم حددوا موعدا للاجتماع وغلظوا الأمر على من لا يحضر:(٥ وقال بنو إسرائيل من هو الذي لم يصعد في المجمع من جميع أسباط إسرائيل إلى الرب. لأنه صار الحلف العظيم على الذي لم يصعد إلى الرب إلى المصفاة قائلا يمات موتا. ٦ وندم بنو إسرائيل على بنيامين أخيهم وقالوا قد انقطع اليوم سبط واحد من إسرائيل. ٧ ماذا نعمل للباقين منهم في أمر النساء وقد حلفنا نحن بالرب أن لا نعطيهم من بناتنا نساء.

ثم قاموا مهاجمة أهل مدينة يابيش جلعاد-وهم من شعب الرب- لأنهم لم يحضروا الاجتماع، وصالحوا سبط بنيامين بإعطائهم سبايا يابيش جلعاد :(٨ وقالوا أي سبط من أسباط إسرائيل لم يصعد إلى الرب إلى المصفاة. وهوذا لم يأت إلى المحلة رجل من جلعاد. ١٠ فأرسلت الجماعة إلى هناك اثني عشر ألف رجل من بني البأس وأوصوهم قائلين اذهبوا واضربوا سكان جلعاد بحد السيف مع النساء والأطفال. ١١ وهذا ما تعملونه. تحرمون كل ذكر وكل امرأة عرفت اضطجاع ذكر. ١٢ فوجدوا يابيش جلعاد أربع مئة

(١) سفر القضاة،أصحاح(٢٠).

فتاة عذارى لم يعرفن رجلا بالاضطجاع مع ذكر وجاءوا بهن إلى المحلة إلى شيلوه التي في أرض كنعان.

مصالحة البنياميين:

١٣ وأرسلت الجماعة كلها وكلمت بني بنيامين الذين في صخرة رمون واستدعتهم إلى الصلح. ١٤ فرجع بنيامين في ذلك الوقت فأعطوهم النساء اللواتي استحيوهن من نساء يابيش جلعاد ولم يكفوهم هكذا. ١٥ وندم الشعب من أجل بنيامين لأن الرب جعل شقا في إسرائيل.

زوجات للناجين من سبط بنيامين:

١٦ فقال شيوخ الجماعة ماذا نصنع بالباقين في أمر النساء لأنه قد انقطعت النساء من بنيامين. ١٧ وقالوا ميراث نجاة لبنيامين ولا يمحى سبط من إسرائيل. ١٨ونحن لا نقدر أن نعطيهم نساء من بناتنا لأن بني إسرائيل حلفوا قائلين ملعون من أعطى امرأة لبنيامين.

ونتيجة لهذا العهد المقطوع أوصى الشعب سبط بنيامين أن يخطف كل رجل ليس له إمرأة من نساء شيلوة–وهم من شعب الرب أيضا–، أثناء رقصهن في عيد الفصح:(١٩ ثم قالوا هوذا عيد الرب في شيلوه من سنة إلى سنة شمالي بيت إيل شرقي الطريق الصاعدة من بيت إيل إلى شكيم وجنوبي لبونة. ٢٠ وأوصوا بني بنيامين قائلين امضوا واكمنوا في الكروم.

٢١وانظروا فإذا خرجت بنات شيلوه ليدرن في الرقص فاخرجوا أنتم من الكروم واخطفوا لأنفسكم كل واحد امرأته من بنات شيلوه واذهبوا إلى أرض بنيامين.

٢٢ فإذا جاء آباؤهن أو إخوتهن لكي يشكوا إلينا نقول لهم تراءفوا عليهم لأجلنا لأننا لم نجد لكل واحد امرأته في الحرب لأنكم أنتم لم تعطوهم في الوقت حتى تكونوا قد أثمتم.

٢٣ ففعل هكذا بنو بنيامين واتخذوا نساء حسب عددهم من الراقصات اللواتي اختطفوهن وذهبوا ورجعوا إلى ملكهم وبنوا المدن وسكنوا بها. ٢٤ فسار من هناك بنو إسرائيل في ذلك الوقت كل واحد إلى سبطه وعشرته وخرجوا من هناك كل واحد إلى ملكه.

٢٥ في تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل. كل واحد عمل ما حسن في عينيه)[١].

ويسجل العهد القديم تفشي الضغائن والأحقاد والحسد في نفوس بني إسرائيل وشيوع ذلك فيهم، وأنه لافرق بين الملوك وعامة الشعب في هذا الأمر.

ففي عهد الملوك سجل حقد الملك شاول على داود لأن الشعب بجلة وعظمه على البطولات التي فعلها في الحروب، وأظهرت قصة دواد وشاول واقعا عمليا لحقيقة نظرة أفراد الشعب فيما بينهم، جاء في سفر صموئيل الأول:(٦ وكان عند مجيئهم حين رجع داود من قتل الفلسطيني أن النساء خرجت من جميع مدن إسرائيل بالغناء والرقص للقاء شاول الملك بدفوف وبفرح وبمثلثات. ٧فغنت النساء اللاعبات وقلن: «ضرب شاول ألوفه وداود ربواته. ٨ فغضب شاول جدا وساء هذا الكلام في عينيه، وقال:«أعطين داود ربوات وأما أنا فأعطينني الألوف! وبعد فقط تبقى له المملكة!» ٩ فكان شاول يعاين داود من ذلك اليوم فصاعدا.

شاول يحاول قتل داود:

١٠وكان في الغد أن الروح الرديء من قبل الله اقتحم شاول وجن في وسط البيت. وكان داود يضرب بيده كما في يوم فيوم، وكان الرمح بيد شاول. ١١فأشرع شاول الرمح وقال: «أضرب داود حتى إلى الحائط». فتحول داود من أمامه مرتين. ١٢وكان شاول يخاف داود لأن الرب كان معه وقد فارق شاول. ١٣فأبعده شاول عنه وجعله له رئيس ألف، فكان يخرج ويدخل أمام الشعب. ١٤وكان داود مفلحا في جميع طرقه والرب معه.

(١) سفر القضاة، أصحاح(٢١).

١٥فلما رأى شاول أنه مفلح جدا فزع منه. ١٦وكان جميع إسرائيل ويهوذا يحبون داود لأنه كان يخرج ويدخل أمامهم»[١].

يوناثان يحاول تهدئة شاول:

١وكلم شاول يوناثان ابنه وجميع عبيده أن يقتلوا داود. ٢وأما يوناثان بن شاول فسر بداود جدا. فأخبر يوناثان داود: «شاول أبي ملتمس قتلك، والآن فاحتفظ على نفسك إلى الصباح وأقم في خفية واختبئ. ٣وأنا أخرج وأقف بجانب أبي في الحقل الذي أنت فيه، وأكلم أبي عنك، وأرى ماذا يصير وأخبرك». ٤وتكلم يوناثان عن داود حسنا مع شاول أبيه وقال له: «لا يخطئ الملك إلى عبده داود، لأنه لم يخطئ إليك، ولأن أعماله حسنة لك جدا. ٥فإنه وضع نفسه بيده وقتل الفلسطيني فصنع الرب خلاصا عظيما لجميع إسرائيل. أنت رأيت وفرحت. فلماذا تخطئ إلى دم بريء بقتل داود بلا سبب؟» ٦فسمع شاول لصوت يوناثان، وحلف شاول: «حي هو الرب لا يقتل». ٧فدعا يوناثان داود وأخبره بجميع هذا الكلام. ثم جاء يوناثان بداود إلى شاول فكان أمامه كأمس وما قبله.

شاول يحاول قتل داود ثانية:

٨وعادت الحرب تحدث، فخرج داود وحارب الفلسطينيين وضربهم ضربة عظيمة فهربوا من أمامه. ٩وكان الروح الرديء من قبل الرب على شاول وهو جالس في بيته ورمحه بيده، وكان داود يضرب باليد. ١٠فالتمس شاول أن يطعن داود بالرمح حتى إلى الحائط، ففر من أمام شاول فضرب الرمح إلى الحائط. فهرب داود ونجا تلك الليلة.

ميكال تساعد داود على الهرب:

١١فأرسل شاول رسلا إلى بيت داود ليراقبوه ويقتلوه في الصباح. فأخبرت داود ميكال امرأته: «إن كنت لا تنجو بنفسك هذه الليلة فإنك تقتل غدا». ١٢فأنزلت ميكال

(١) سفر صموئيل الأول، أصحاح(١٨).

داود من الكوة فذهب هاربا ونجا. ١٣فأخذت ميكال الترافيم ووضعته في الفراش، ووضعت لبدة المعزى تحت رأسه وغطته بثوب. ١٤وأرسل شاول رسلا لأخذ داود، فقالت: «هو مريض». ١٥ثم أرسل شاول الرسل ليروا داود قائلا: «اصعدوا به إلي على الفراش لأقتله». ١٦فجاء الرسل وإذا في الفراش الترافيم ولبدة المعزى تحت رأسه. ١٧فقال شاول لميكال: «لماذا خدعتني، فأطلقت عدوي حتى نجا؟» فقالت ميكال لشاول: «هو قال لي: أطلقيني، لماذا أقتلك؟».

شاول يطلب داود:

١٨فهرب داود ونجا وجاء إلى صموئيل في الرامة وأخبره بكل ما عمل به شاول. وذهب هو وصموئيل وأقاما في نايوت. ١٩فأخبر شاول وقيل له: «هوذا داود في نايوت في الرامة». ٢٠فأرسل شاول رسلا لأخذ داود. ولما رأوا جماعة الأنبياء يتنبأون، وصموئيل واقفا رئيسا عليهم، كان روح الله على رسل شاول فتنبأوا هم أيضا. ٢١وأخبروا شاول، فأرسل رسلا آخرين، فتنبأوا هم أيضا. ثم عاد شاول فأرسل رسلا ثالثة، فتنبأوا هم أيضا. ٢٢فذهب هو أيضا إلى الرامة وجاء إلى البئر العظيمة التي عند سيخو وسأل: «أين صموئيل وداود؟» فقيل: «ها هما في نايوت في الرامة». ٢٣فذهب إلى هناك إلى نايوت في الرامة، فكان عليه أيضا روح الله فكان يذهب ويتنبأ حتى جاء إلى نايوت في الرامة. ٢٤فخلع هو أيضا ثيابه وتنبأ هو أيضا أمام صموئيل وانطرح عريانا ذلك النهار كله وكل الليل. لذلك يقولون: «أشاول أيضا بين الأنبياء؟)[(١)].

وبالرغم من أن داود حارب الفلسطينيين في قعيلة وقتل الغلف الذين يحاولون معارضة شعب الرب لدخول أرض الميراث، إلا أن شاول تعقبه وحاول أن يقضي عليه وعلى جيشه،جاء في نفس السفر:(١فأخبروا داود: «هوذا الفلسطينيون يحاربون قعيلة وينهبون البيادر». ٢فسأل داود من الرب: «أأذهب وأضرب هؤلاء الفلسطينيين؟» فقال الرب لداود: «اذهب واضرب الفلسطينيين وخلص قعيلة». ٣فقال رجال داود له: «ها

(١) سفر صموئيل الأول، إصحاح (١٩).

نحن ههنا في يهوذا خائفون، فكم بالحري إذا ذهبنا إلى قعيلة ضد صفوف الفلسطينيين؟» ٤فعاد أيضا داود وسأل من الرب، فأجابه الرب: «قم انزل إلى قعيلة، فإني أدفع الفلسطينيين ليدك». ٥فذهب داود ورجاله إلى قعيلة وحارب الفلسطينيين وساق مواشيهم وضربهم ضربة عظيمة، وخلص داود سكان قعيلة. ٦وكان لما هرب أبياثار بن أخيمالك إلى داود إلى قعيلة نزل وبيده أفود.

شاول يتعقب داود:

٧فأخبر شاول بأن داود قد جاء إلى قعيلة. فقال شاول: «قد نبذه الله إلى يدي، لأنه قد أغلق عليه بالدخول إلى مدينة لها أبواب وعوارض». ٨ودعا شاول جميع الشعب للحرب للنزول إلى قعيلة لمحاصرة داود ورجاله. ٩فلما عرف داود أن شاول منشئ عليه الشر، قال لأبياثار الكاهن قدم الأفود. ١٠ثم قال داود: «يا رب إله إسرائيل، إن عبدك قد سمع بأن شاول يحاول أن يأتي إلى قعيلة ليخرب المدينة بسببي. ١١فهل يسلمني أهل قعيلة ليده؟ هل ينزل شاول كما سمع عبدك؟ يا رب إله إسرائيل، أخبر عبدك». فقال الرب: «ينزل». ١٢فقال داود: «هل يسلمني أهل قعيلة مع رجالي ليد شاول؟» فقال الرب: «يسلمون». ١٣فقام داود ورجاله، نحو ست مئة رجل، وخرجوا من قعيلة وذهبوا حيثما ذهبوا. فأخبر شاول بأن داود قد أفلت من قعيلة، فعدل عن الخروج.

١٤وأقام داود في البرية في الحصون ومكث في الجبل في برية زيف. وكان شاول يطلبه كل الأيام، ولكن لم يدفعه الله ليده.

عهد داود ويوناثان:

١٥فرأى داود أن شاول قد خرج يطلب نفسه. وكان داود في برية زيف في الغاب. ١٦فقام يوناثان بن شاول وذهب إلى داود إلى الغاب وشدد يده بالله. ١٧وقال له: «لا تخف لأن يد شاول أبي لا تجدك، وأنت تملك على إسرائيل، وأنا أكون لك ثانيا. وشاول أبي أيضا يعلم ذلك».١٨فقطعا كلاهما عهدا أمام الرب. وأقام داود في الغاب، وأما يوناثان فمضى إلى بيته.

خيانة أهل زيف لداود:

١٩فصعد الزيفيون إلى شاول إلى جبعة قائلين: «أليس داود مختبئا عندنا في حصون في الغاب في تل حخيلة التي إلى يمين القفر.٢٠فالآن حسب كل شهوة نفسك أيها الملك في النزول انزل، وعلينا أن نسلمه ليد الملك». ٢١فقال شاول: «مباركون أنتم من الرب لأنكم قد أشفقتم علي. ٢٢فاذهبوا أكدوا أيضا واعلموا وانظروا مكانه حيث تكون رجله ومن رآه هناك. لأنه قيل لي إنه مكرا يمكر. ٢٣فانظروا واعلموا جميع المختبئات التي يختبئ فيها ثم ارجعوا إلي على تأكيد، فأسير معكم. ويكون إذا وجد في الأرض أني أفتش عليه بجميع ألوف يهوذا».

داود في برية زيف:

٢٤فقاموا وذهبوا إلى زيف قدام شاول. وكان داود ورجاله في برية معون في السهل عن يمين القفر. ٢٥وذهب شاول ورجاله للتفتيش، فأخبروا داود فنزل إلى الصخر وأقام في برية معون. فلما سمع شاول تبع داود إلى برية معون. ٢٦فذهب شاول عن جانب الجبل من هنا، وداود ورجاله عن جانب الجبل من هناك. وكان داود يفر في الذهاب من أمام شاول، وكان شاول ورجاله يحاوطون داود ورجاله ليأخذوهم. ٢٧فجاء رسول إلى شاول يقول: «أسرع واذهب لأن الفلسطينيين قد اقتحموا الأرض». ٢٨فرجع شاول عن اتباع داود، وذهب للقاء الفلسطينيين. لذلك دعي ذلك الموضع «صخرة الزلقات». ٢٩وصعد داود من هناك وأقام في حصون عين جدي)[1].

ونشبت حرب بين الفلسطينيين وبني إسرائيل بقيادة شاول، ولم يتردد داود في أن ينخرط في جيش أعداء الرب، نكاية في شاول ونصرة الفلسطينيين الذين آووه ونصروه، جاء في نفس السفر:(١وجمع الفلسطينيون جميع جيوشهم إلى أفيق. وكان الإسرائيليون

(١) سفر صموئيل الأول، إصحاح (٢٣).

نازلين على العين التي في يزرعيل. ٢وعبر أقطاب الفلسطينيين مئات وألوفا، وعبر داود ورجاله في المؤخرة مع أخيش.

قادة الفلسطينيين يجبرون الملك على طرد داود ورجاله من جيشهم:

٣فقال رؤساء الفلسطينيين: «ما هؤلاء العبرانيون؟» فقال أخيش لرؤساء الفلسطينيين: «أليس هذا داود عبد شاول ملك إسرائيل الذي كان معي هذه الأيام أو هذه السنين، ولم أجد فيه شيئا من يوم نزوله إلى هذا اليوم».

٤وسخط عليه رؤساء الفلسطينيين، وقالوا له: «أرجع الرجل فيرجع إلى موضعه الذي عينت له، ولا ينزل معنا إلى الحرب ولا يكون لنا عدوا في الحرب. فبماذا يرضي هذا سيده؟ أليس برؤوس أولئك الرجال؟ ٥أليس هذا هو داود الذي غنين له بالرقص قائلات: ضرب شاول ألوفه وداود ربواته؟». ٦فدعا أخيش داود وقال له: «حي هو الرب إنك أنت مستقيم، وخروجك ودخولك معي في الجيش صالح في عيني لأني لم أجد فيك شرا من يوم جئت إلي إلى اليوم. وأما في أعين الأقطاب فلست بصالح. ٧فالآن ارجع واذهب بسلام، ولا تفعل سوءا في أعين أقطاب الفلسطينيين».

داود يندم على عدم مشاركتهم في حرب شعب الرب:

٨فقال داود لأخيش: «فماذا عملت، وماذا وجدت في عبدك من يوم صرت أمامك إلى اليوم حتى لا آتي وأحارب أعداء سيدي الملك؟» ٩فأجاب أخيش: «علمت أنك صالح في عيني كملاك الله. إلا إن رؤساء الفلسطينيين قالوا: «لا يصعد معنا إلى الحرب. ١٠والآن فبكر صباحا مع عبيد سيدك الذين جاءوا معك. وإذا بكرتم صباحا وأضاء لكم فاذهبوا». ١١فبكر داود هو ورجاله ليذهبوا صباحا ويرجعوا إلى أرض الفلسطينيين. وأما الفلسطينيون فصعدوا إلى يزرعيل)[١].

(١) سفر صموئيل الأول، إصحاح (٢٩).

ثم توالت الأحداث وتمكن داود من شاول وعفا عنه، جاء في نفس السفر:(١ولما رجع شاول من وراء الفلسطينيين أخبروه: «هوذا داود في برية عين جدي». ٢فأخذ شاول ثلاثة آلاف رجل منتخبين من جميع إسرائيل وذهب يطلب داود ورجاله على صخور الوعول. ٣وجاء إلى حظائر الغنم التي في الطريق. وكان هناك كهف فدخل شاول لحاجة له (وداود ورجاله كانوا جلوسا في مؤخرة الكهف). ٤فقال رجال داود له: «هوذا اليوم الذي قال لك عنه الرب:هئنذا أدفع عدوك ليدك فتفعل به ما يحسن في عينيك». فقام داود وقطع طرف جبة شاول سرا.

٥وكان بعد ذلك أن قلب داود ضربه على قطعه طرف جبة شاول.

٦فقال لرجاله: «حاشا لي من قبل الرب أن أعمل هذا الأمر بسيدي بمسيح الرب، فأمد يدي إليه لأنه مسيح الرب هو».

٧فوبخ داود رجاله بالكلام ولم يدعهم يقومون على شاول. وأما شاول فقام من الكهف وذهب في طريقه. ٨ثم قام داود بعد ذلك وخرج من الكهف ونادى وراء شاول: «يا سيدي الملك». ولما التفت شاول إلى ورائه خر داود على وجهه إلى الأرض وسجد.

٩وقال داود لشاول: «لماذا تسمع كلام الناس القائلين: هوذا داود يطلب أذيتك. ١٠هوذا قد رأت عيناك اليوم هذا كيف دفعك الرب ليدي في الكهف، وقيل لي أن أقتلك، ولكنني أشفقت عليك وقلت: لا أمد يدي إلى سيدي لأنه مسيح الرب هو.

١١فانظر يا أبي، انظر أيضا طرف جبتك بيدي. فمن قطعي طرف جبتك وعدم قتلي إياك اعلم وانظر أنه ليس في يدي شر ولا جرم، ولم أخطئ إليك، وأنت تصيد نفسي لتأخذها.

١٢يقضي الرب بيني وبينك وينتقم لي الرب منك، ولكن يدي لا تكون عليك. ١٣كما يقول مثل القدماء: من الأشرار يخرج شر. ولكن يدي لا تكون عليك. ١٤وراء من خرج ملك إسرائيل؟ وراء من أنت مطارد؟ وراء كلب ميت! وراء برغوث واحد! ١٥فيكون الرب الديان ويقضي بيني وبينك، ويرى ويحاكم محاكمتي وينقذني من يدك».

شاول يعترف بخطيئته:

١٦فلما فرغ داود من التكلم بهذا الكلام إلى شاول قال شاول: «أهذا صوتك يا ابني داود؟» ورفع شاول صوته وبكى. ١٧ثم قال لداود: «أنت أبر مني لأنك جازيتني خيرا وأنا جازيتك شرا. ١٨وقد أظهرت اليوم أنك عملت بي خيرا لأن الرب قد دفعني بيدك ولم تقتلني. ١٩فإذا وجد رجل عدوه، فهل يطلقه في طريق خير؟ فالرب يجازيك خيرا عما فعلته لي اليوم هذا. ٢٠والآن فإني علمت أنك تكون ملكا وتثبت بيدك مملكة إسرائيل. ٢١فاحلف لي الآن بالرب إنك لا تقطع نسلي من بعدي، ولا تبيد اسمي من بيت أبي». ٢٢فحلف داود لشاول. ثم ذهب شاول إلى بيته، وأما داود ورجاله فصعدوا إلى الحصن)[1].

وبعد انتحار شاول توج رجال يهوذا داود ملكا على يهوذا، ولكن أبنير قائد جيش شاول، اعترض على ذلك وأقام ملكا إيشبوشث بن شاول على إسرائيل، جاء في سفر صموئيل الثاني:(١وكان بعد ذلك أن داود سأل الرب: «أأصعد إلى إحدى مدائن يهوذا؟» فقال له الرب: «اصعد». فقال داود: «إلى أين أصعد؟» فقال: «إلى حبرون». ٢فصعد داود إلى هناك هو وامرأتاه أخينوعم اليزرعيلية وأبيجايل امرأة نابال الكرملي. ٣وأصعد داود رجاله الذين معه كل واحد وبيته وسكنوا في مدن حبرون.

٤وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكا على بيت يهوذا. وأخبروا داود: «إن رجال يابيش جلعاد هم الذين دفنوا شاول». ٥فأرسل داود رسلا إلى أهل يابيش جلعاد يقول لهم: «مباركون أنتم من الرب إذ قد فعلتم هذا المعروف بسيدكم شاول فدفنتموه. ٦والآن ليصنع الرب معكم إحسانا وحقا، وأنا أيضا أفعل معكم هذا الخير لأنكم فعلتم هذا الأمر. ٧والآن فلتتشدد أيديكم وكونوا ذوي بأس، لأنه قد مات سيدكم شاول، وإياي مسح بيت يهوذا ملكا عليهم».

---

(١) سفر صوموئيل الأول، إصحاح (٢٤).

أبنير قائد جيش شاول يقيم إيشبوشث ملكا على إسرائيل:

٨وأما أبنير بن نير، رئيس جيش شاول، فأخذ إيشبوشث بن شاول وعبر به إلى محنايم ٩وجعله ملكا على جلعاد وعلى الأشوريين وعلى يزرعيل وعلى أفرايم وعلى بنيامين وعلى كل إسرائيل. ١٠وكان إيشبوشث بن شاول ابن أربعين سنة حين ملك على إسرائيل، وملك سنتين. وأما بيت يهوذا فإنما اتبعوا داود. ١١وكانت المدة التي ملك فيها داود في حبرون على بيت يهوذا سبع سنين وستة أشهر.

الحرب بين رجال داود ورجال أبنير:

١٢وخرج أبنير بن نير وعبيد إيشبوشث بن شاول من محنايم إلى جبعون. ١٣وخرج يوآب بن صروية وعبيد داود، فالتقوا جميعا على بركة جبعون. وجلسوا هؤلاء على البركة من هنا وهؤلاء على البركة من هناك. ١٤فقال أبنير ليوآب: «ليقم الغلمان ويتكافحوا أمامنا». فقال يوآب: «ليقوموا». ١٥فقاموا وعبروا بالعدد، اثنا عشر لأجل بنيامين وإيشبوشث بن شاول، واثنا عشر من عبيد داود. ١٦وأمسك كل واحد برأس صاحبه وضرب سيفه في جنب صاحبه وسقطوا جميعا. فدعي ذلك الموضع «حلقث هصوريم» التي هي في جبعون. ١٧وكان القتال شديدا جدا في ذلك اليوم، وانكسر أبنير ورجال إسرائيل أمام عبيد داود. ١٨وكان هناك بنو صروية الثلاثة: يوآب، وأبيشاي، وعسائيل. وكان عسائيل خفيف الرجلين كظبي البر.

موت عسائيل:

١٩فسعى عسائيل وراء أبنير، ولم يمل في السير يمنة ولا يسرة من وراء أبنير. ٢٠فالتفت أبنير إلى ورائه وقال: «أأنت عسائيل؟» فقال: «أنا هو». ٢١فقال له أبنير: «مل إلى يمينك أو إلى يسارك واقبض على أحد الغلمان وخذ لنفسك سلبه». فلم يشأ عسائيل أن يميل من ورائه. ٢٢ثم عاد أبنير وقال لعسائيل: «مل من ورائي. لماذا أضربك إلى الأرض؟ فكيف أرفع وجهي لدى يوآب أخيك؟» ٢٣فأبى أن يميل، فضربه أبنير بطرف

الرمح في بطنه، فخرج الرمح من خلفه فسقط هناك ومات في مكانه. وكان كل من يأتي إلى الموضع الذي سقط فيه عسائيل ومات يقف.٢٤وسعى يوآب وأبيشاي وراء أبنير، وغابت الشمس عندما أتيا إلى تل أمة الذي تجاه جيح في طريق برية جبعون.

٢٥فاجتمع بنو بنيامين وراء أبنير وصاروا جماعة واحدة، ووقفوا على رأس تل واحد. ٢٦فنادى أبنير يوآب: «هل إلى الأبد يأكل السيف؟ ألم تعلم أنها تكون مرارة في الأخير؟ فحتى متى لا تقول للشعب أن يرجعوا من وراء إخوتهم؟».

٢٧فقال يوآب: «حي هو الله إنه لو لم تتكلم لكان الشعب في الصباح قد صعد كل واحد من وراء أخيه».

٢٨وضرب يوآب بالبوق فوقف جميع الشعب ولم يسعوا بعد وراء إسرائيل ولا عادوا إلى المحاربة.

٢٩فسار أبنير ورجاله في العربة ذلك الليل كله وعبروا الأردن، وساروا في كل الشعب وجاءوا إلى محنايم. ٣٠ورجع يوآب من وراء أبنير وجمع كل الشعب. وفقد من عبيد داود تسعة عشر رجلا وعسائيل. ٣١وضرب عبيد داود من بنيامين ومن رجال أبنير، فمات ثلاث مئة وستون رجلا. ٣٢ورفعوا عسائيل ودفنوه في قبر أبيه الذي في بيت لحم. وسار يوآب ورجاله الليل كله وأصبحوا في حبرون)[(١)].

ثم استمرت الحروب الطويلة بين بيت شاول وبيت داود، جاء في نفس السفر: (١وكانت الحرب طويلة بين بيت شاول وبيت داود، وكان داود يذهب يتقوى وبيت شاول يذهب يضعف. ٢وولد لداود بنون في حبرون. وكان بكره أمنون من أخينوعم اليزرعيلية، ٣وثانيه كيلآب من أبيجايل امرأة نابال الكرملي. والثالث أبشالوم ابن معكة بنت تلماي ملك جشور، ٤والرابع أدونيا ابن حجيث، والخامس شفطيا ابن أبيطال،

(١) سفر صموئيل الثاني أصحاح(٢).

٥والسادس يثرعام من عجلة امرأة داود. هؤلاء ولدوا لداود في حبرون.

الخصومة بين أبنير قائد الجيش وإيشبوشث ابن شاول، وتمرد أبنير على إيشبوشث:

٦وكان في وقوع الحرب بين بيت شاول وبيت داود أن أبنير تشدد لأجل بيت شاول. ٧وكانت لشاول سرية اسمها رصفة بنت أية. فقال إيشبوشث لأبنير: «لماذا دخلت إلى سرية أبي؟» ٨فاغتاظ أبنير جدا من كلام إيشبوشث وقال: «ألعلي رأس كلب ليهوذا؟ اليوم أصنع معروفا مع بيت شاول أبيك، مع إخوته ومع أصحابه، ولم أسلمك ليد داود، وتطالبني اليوم بإثم المرأة! ٩هكذا يصنع الله بأبنير وهكذا يزيده إنه كما حلف الرب لداود كذلك أصنع له ١٠لنقل المملكة من بيت شاول وإقامة كرسي داود على إسرائيل وعلى يهوذا من دان إلى بئر سبع». ١١ولم يقدر بعد أن يجاوب أبنير بكلمة لأجل خوفه منه.

أبنير يعرض الصلح مع داود نكاية في إيشبوشث:

١٢فأرسل أبنير من فوره رسلا إلى داود قائلا: «لمن هي الأرض؟ يقولون: اقطع عهدك معي، وهوذا يدي معك لرد جميع إسرائيل إليك».

داود يوافق بشروط:

١٣فقال: «حسنا. أنا أقطع معك عهدا، إلا إني أطلب منك أمرا واحدا، وهو أن لا ترى وجهي ما لم تأت أولا بميكال بنت شاول حين تأتي لترى وجهي».

١٤وأرسل داود رسلا إلى إيشبوشث بن شاول يقول: «أعطني امرأتي ميكال التي خطبتها لنفسي بمئة غلفة من الفلسطينيين».

١٥فأرسل إيشبوشث وأخذها من عند رجلها، من فلطيئيل بن لايش. ١٦وكان رجلها يسير معها ويبكي وراءها إلى بحوريم. فقال له أبنير: «اذهب ارجع». فرجع.

أبنير يشرع في تنفيذ عهده ضد إيشبوشث:

١٧وكان كلام أبنير إلى شيوخ إسرائيل: «قد كنتم منذ أمس وما قبله تطلبون داود

ليكون ملكا عليكم. ١٨فالآن افعلوا. لأن الرب قال لداود: «إني بيد داود عبدي أخلص شعبي إسرائيل من يد الفلسطينيين ومن أيدي جميع أعدائهم». ١٩وتكلم أبنير أيضا في مسامع بنيامين، وذهب أبنير ليتكلم في مسامع داود أيضا في حبرون بكل ما حسن في أعين إسرائيل وفي أعين جميع بيت بنيامين.

٢٠فجاء أبنير إلى داود إلى حبرون ومعه عشرون رجلا. فصنع داود لأبنير وللرجال الذين معه وليمة. ٢١وقال أبنير لداود: «أقوم وأذهب وأجمع إلى سيدي الملك جميع إسرائيل، فيقطعون معك عهدا، وتملك حسب كل ما تشتهي نفسك». فأرسل داود أبنير فذهب بسلام.

يوآب قائد جيش يهوذا يقتل أبنير قائد جيش إسرائيل لأنه قتل أخاه عسائيل:

٢٢وإذا بعبيد داود ويوآب قد جاءوا من الغزو وأتوا بغنيمة كثيرة معهم، ولم يكن أبنير مع داود في حبرون، لأنه كان قد أرسله فذهب بسلام. ٢٣وجاء يوآب وكل الجيش الذي معه. فأخبروا يوآب: «قد جاء أبنير بن نير إلى الملك فأرسله فذهب بسلام». ٢٤فدخل يوآب إلى الملك وقال: «ماذا فعلت؟ هوذا قد جاء أبنير إليك. لماذا أرسلته فذهب؟ ٢٥أنت تعلم أبنير بن نير أنه إنما جاء ليملقك وليعلم خروجك ودخولك وليعلم كل ما تصنع». ٢٦ثم خرج يوآب من عند داود وأرسل رسلا وراء أبنير، فردوه من بئر السيرة وداود لا يعلم. ٢٧ولما رجع أبنير إلى حبرون مال به يوآب إلى وسط الباب ليكلمه سرا، وضربه هناك في بطنه فمات بدم عسائيل أخيه.

داود يتبرأ من فعل قائد جيشه الذي عصاه:

٢٨فسمع داود بعد ذلك فقال: «إني بريء أنا ومملكتي لدى الرب إلى الأبد من دم أبنير بن نير. ٢٩فليحل على رأس يوآب وعلى كل بيت أبيه، ولا ينقطع من بيت يوآب ذو سيل وأبرص وعاكز على العكازة وساقط بالسيف ومحتاج الخبز». ٣٠فقتل يوآب وأبيشاي أخوه أبنير لأنه قتل عسائيل أخاهما في جبعون في الحرب.

داود ينوح على أبنير:

٣١فقال داود ليوآب ولجميع الشعب الذي معه: «مزقوا ثيابكم وتنطقوا بالمسوح والطموا أمام أبنير». وكان داود الملك يمشي وراء النعش.

٣٢ودفنوا أبنير في حبرون. ورفع الملك صوته وبكى على قبر أبنير، وبكى جميع الشعب.

٣٣ورثا الملك أبنير وقال: «هل كموت أحمق يموت أبنير؟ ٣٤يداك لم تكونا مربوطتين، ورجلاك لم توضعا في سلاسل نحاس. كالسقوط أمام بني الإثم سقطت». وعاد جميع الشعب يبكون عليه. ٣٥وجاء جميع الشعب ليطعموا داود خبزا، وكان بعد نهار. فحلف داود: «هكذا يفعل لي الله وهكذا يزيد إن كنت أذوق خبزا أو شيئا آخر قبل غروب الشمس».

٣٦فعرف جميع الشعب وحسن في أعينهم، كما أن كل ما صنع الملك كان حسنا في أعين جميع الشعب. ٣٧وعلم كل الشعب وجميع إسرائيل في ذلك اليوم أنه لم يكن من الملك قتل أبنير بن نير. ٣٨وقال الملك لعبيده: «ألا تعلمون أن رئيسا وعظيما سقط اليوم في إسرائيل؟ ٣٩وأنا اليوم ضعيف وممسوح ملكا، وهؤلاء الرجال بنو صروية أقوى مني. يجازي الرب فاعل الشر كشره)[(١)].

مقتل إيشبوشث بن شاول:

(١ولما سمع ابن شاول أن أبنير قد مات في حبرون ارتخت يداه، وارتاع جميع إسرائيل. ٢وكان لابن شاول رجلان رئيسا غزاة، اسم الواحد بعنة واسم الآخر ركاب، ابنا رمون البئيروتي من بني بنيامين (لأن بئيروت حسبت لبنيامين. ٣وهرب البئيروتيون إلى جتايم وتغربوا هناك إلى هذا اليوم). ٤وكان ليوناثان بن شاول ابن مضروب الرجلين،

(١) سفر صموئيل الثاني،أصحاح(٣).

كان ابن خمس سنين عند مجيء خبر شاول ويوناثان من يزرعيل، فحملته مربيته وهربت. ولما كانت مسرعة لتهرب وقع وصار أعرج. واسمه مفيبوشث. ٥وسار ابنا رمون البئيروتي، ركاب وبعنة، ودخلا عند حر النهار إلى بيت إيشبوشث وهو نائم نومة الظهيرة. ٦فدخلا إلى وسط البيت ليأخذا حنطة، وضرباه في بطنه. ثم أفلت ركاب وبعنة أخوه. ٧فعند دخولهما البيت كان هو مضطجعا على سريره في مخدع نومه فضرباه وقتلاه وقطعا رأسه، وأخذا رأسه وسارا في طريق العربة الليل كله.

داود يقتص من القاتلين:

٨وأتيا برأس إيشبوشث إلى داود إلى حبرون، وقالا للملك: «هوذا رأس إيشبوشث بن شاول عدوك الذي كان يطلب نفسك. وقد أعطى الرب لسيدي الملك انتقاما في هذا اليوم من شاول ومن نسله». ٩فأجاب داود ركاب وبعنة أخاه، ابني رمون البئيروتي: «حي هو الرب الذي فدى نفسي من كل ضيق ١٠إن الذي أخبرني قائلا: هوذا قد مات شاول وكان في عيني نفسه كمبشر قبضت عليه وقتلته في صقلغ. ذلك أعطيته بشارة. ١١فكم بالحري إذا كان رجلان باغيان يقتلان رجلا صديقا في بيته على سريره! فالآن أما أطلب دمه من أيديكما وأنزعكما من الأرض؟» ١٢وأمر داود الغلمان فقتلوهما، وقطعوا أيديهما وأرجلهما وعلقوهما على البركة في حبرون. وأما رأس إيشبوشث فأخذوه ودفنوه في قبر أبنير في حبرون)[1]، ثم أصبح بعد ذلك داود ملكا على كل إسرائيل.

وبينت قصة اغتصاب أمنون بن داود لإخته من أبيه ثامار شقيقة أبشالوم بن داود، جانبا من جوانب طبيعة العلاقات الأخوية عند شعب الرب، جاء في سفر صموئيل الثاني:(١وجرى بعد ذلك أنه كان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها ثامار، فأحبها أمنون بن داود. ٢وأحصر أمنون للسقم من أجل ثامار أخته لأنها كانت عذراء، وعسر في عيني أمنون أن يفعل لها شيئا.

(١) سفر صموئيل الثاني أصحاح(٤).

الصديق الحكيم جدا يشير على أمنون باغتصاب اخته:

٣وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شمعى أخي داود. وكان يوناداب رجلا حكيما جدا.

٤فقال له: «لماذا يا ابن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح إلى صباح؟ أما تخبرني؟» فقال له أمنون: «إني أحب ثامار أخت أبشالوم أخي».

٥فقال يوناداب: «اضطجع على سريرك وتمارض. وإذا جاء أبوك ليراك فقل له: دع ثامار أختي فتأتي وتطعمني خبزا وتعمل أمامي الطعام لأرى فآكل من يدها». ٦فاضطجع أمنون وتمارض، فجاء الملك ليراه. فقال أمنون للملك: «دع ثامار أختي فتأتي وتصنع أمامي كعكتين فآكل من يدها».

٧فأرسل داود إلى ثامار إلى البيت قائلا: «اذهبي إلى بيت أمنون أخيك واعملي له طعاما».

٨فذهبت ثامار إلى بيت أمنون أخيها وهو مضطجع. وأخذت العجين وعجنت وعملت كعكا أمامه وخبزت الكعك ٩وأخذت المقلاة وسكبت أمامه، فأبى أن يأكل. وقال أمنون: «أخرجوا كل إنسان عني». فخرج كل إنسان عنه. ١٠ثم قال أمنون لثامار: «ايتي بالطعام إلى المخدع فآكل من يدك». فأخذت ثامار الكعك الذي عملته وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع.

١١وقدمت له ليأكل، فأمسكها وقال لها: «تعالي اضطجعي معي يا أختي». ١٢فقالت له: «لا يا أخي، لا تذلني لأنه لا يفعل هكذا في إسرائيل. لا تعمل هذه القباحة. ١٣أما أنا فأين أذهب بعاري، وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء في إسرائيل! والآن كلم الملك لأنه لا يمنعني منك». ١٤فلم يشأ أن يسمع لصوتها، بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها.

أمنون يبغضب ثامار بعد اغتصابها ويطردها:

١٥ثم أبغضها أمنون بغضة شديدة جدا حتى إن البغضة التي أبغضها إياها كانت أشد من المحبة التي أحبها إياها. وقال لها أمنون: «قومي انطلقي!» ١٦فقالت له: «لا سبب! هذا الشر بطردك إياي هو أعظم من الآخر الذي عملته بي». فلم يشأ أن يسمع لها، ١٧بل دعا غلامه الذي كان يخدمه وقال: «اطرد هذه عني خارجا وأقفل الباب وراءها».

ثامار تنوح على شرفها المهدر:

١٨وكان عليها ثوب ملون، لأن بنات الملك العذارى كن يلبسن جبات مثل هذه. فأخرجها خادمه إلى الخارج وأقفل الباب وراءها. ١٩فجعلت ثامار رمادا على رأسها، ومزقت الثوب الملون الذي عليها، ووضعت يدها على رأسها وكانت تذهب صارخة.

أبشالوم يحقد على أخيه–من أبيه– أمنون:

٢٠فقال لها أبشالوم أخوها: «هل كان أمنون أخوك معك؟ فالآن يا أختي اسكتي. أخوك هو. لا تضعي قلبك على هذا الأمر». فأقامت ثامار مستوحشة في بيت أبشالوم أخيها. ٢١ولما سمع الملك داود بجميع هذه الأمور اغتاظ جدا. ٢٢ولم يكلم أبشالوم أمنون بشر ولا بخير، لأن أبشالوم أبغض أمنون من أجل أنه أذل ثامار أخته.

أبشالوم يغتال أمنون:

٢٣وكان بعد سنتين من الزمان أنه كان لأبشالوم جزازون في بعل حاصور التي عند أفرايم. فدعا أبشالوم جميع بني الملك. ٢٤وجاء أبشالوم إلى الملك وقال: «هوذا لعبدك جزازون. فليذهب الملك وعبيده مع عبدك». ٢٥فقال الملك لأبشالوم: «لا يا ابني. لا نذهب كلنا لئلا نثقل عليك». فألح عليه، فلم يشأ أن يذهب بل باركه. ٢٦فقال أبشالوم: «إذا دع أخي أمنون يذهب معنا». فقال الملك: «لماذا يذهب معك؟» ٢٧فألح عليه أبشالوم، فأرسل معه أمنون وجميع بني الملك.

٢٨فأوصى أبشالوم غلمانه: «انظروا. متى طاب قلب أمنون بالخمر وقلت لكم اضربوا أمنون فاقتلوه. لا تخافوا. أليس أني أنا أمرتكم؟ فتشددوا وكونوا ذوي بأس». ٢٩ففعل غلمان أبشالوم بأمنون كما أمر أبشالوم. فقام جميع بني الملك وركبوا كل واحد على بغله وهربوا.

٣٠وفيما هم في الطريق وصل الخبر إلى داود: «قد قتل أبشالوم جميع بني الملك، ولم يتبق منهم أحد». ٣١فقام الملك ومزق ثيابه واضطجع على الأرض وجميع عبيده واقفون وثيابهم ممزقة. ٣٢فقالب يوناداب بن شمعى أخي داود: «لا يظن سيدي أنهم قتلوا جميع الفتيان بني الملك. إنما أمنون وحده مات، لأن ذلك قد وضع عند أبشالوم منذ يوم أذل ثامار أخته. ٣٣والآن لا يضعن سيدي الملك في قلبه شيئا قائلا إن جميع بني الملك قد ماتوا. إنما أمنون وحده مات».

أبشالوم يهرب إلى جشور:

٣٤وهرب أبشالوم. ورفع الرقيب طرفه ونظر وإذا بشعب كثير يسيرون على الطريق وراءه بجانب الجبل. ٣٥فقال يوناداب للملك: «هوذا بنو الملك قد جاءوا. كما قال عبدك كذلك صار». ٣٦ولما فرغ من الكلام إذا ببني الملك قد جاءوا، ورفعوا أصواتهم وبكوا وكذلك بكى الملك وعبيده بكاء عظيما جدا. ٣٧فهرب أبشالوم وذهب إلى تلماي بن عميهود ملك جشور. وناح داود على ابنه الأيام كلها. ٣٨وهرب أبشالوم وذهب إلى جشور وكان هناك ثلاث سنين. ٣٩وكان داود يتوق إلى الخروج إلى أبشالوم لأنه تعزى عن أمنون حيث إنه مات)[١].

ثم بعد ذلك تشفع يوآب قائد الجيش لأبشالوم عند أبيه داود لإعادته إلى أورشليم، جاء في نفس السفر:(٢١فقال الملك ليوآب: «هئنذ قد فعلت هذا الأمر، فاذهب رد الفتى أبشالوم». ٢٢فسقط يوآب على وجهه إلى الأرض وسجد وبارك الملك، وقال يوآب:

(١) سفر صموئيل الثاني أصحاح(١٣).

«اليوم علم عبدك أني قد وجدت نعمة في عينيك يا سيدي الملك إذ فعل الملك قول عبده». ٢٣ثم قام يوآب وذهب إلى جشور وأتى بأبشالوم إلى أورشليم. ٢٤فقال الملك: «لينصرف إلى بيته ولا ير وجهي». فانصرف أبشالوم إلى بيته ولم ير وجه الملك.

أبشالوم يسيئ معاملة يوآب:

٢٨وأقام أبشالوم في أورشليم سنتين ولم ير وجه الملك. ٢٩فأرسل أبشالوم إلى يوآب ليرسله إلى الملك فلم يشأ أن يأتي إليه. ثم أرسل أيضا ثانية فلم يشأ أن يأتي. ٣٠فقال لعبيده: «انظروا. حقلة يوآب بجانبي، وله هناك شعير. اذهبوا وأحرقوه بالنار». فأحرق عبيد أبشالوم الحقلة بالنار. ٣١فقام يوآب وجاء إلى أبشالوم إلى البيت وقال له: «لماذا أحرق عبيدك حقلتي بالنار؟» ٣٢فقال أبشالوم ليوآب: «هئنذا قد أرسلت إليك قائلا: تعال إلى هنا فأرسلك إلى الملك لتسأله: لماذا جئت من جشور؟ خير لي لو كنت باقيا هناك. فالآن إني أرى وجه الملك، وإن وجد في إثم فليقتلني».

يوآب يتشفع مرة ثانية عند الملك داود ليرضى عن أبشالوم:

٣٣فجاء يوآب إلى الملك وأخبره. ودعا أبشالوم فأتى إلى الملك وسجد على وجهه إلى الأرض قدام الملك، فقبل الملك أبشالوم)[١].

ثم قام أبشالوم بالتخطيط على التمرد على أبيه لانتزاع الملك منه فبدأ يستميل الشعب إليه، جاء في نفس السفر: (وكان بعد ذلك أن أبشالوم اتخذ مركبة وخيلا وخمسين رجلا يجرون قدامه.

٢وكان أبشالوم يبكر ويقف بجانب طريق الباب، وكل صاحب دعوى آت إلى الملك لأجل الحكم كان أبشالوم يدعوه إليه ويقول: «من أية مدينة أنت؟» فيقول: «من أحد أسباط إسرائيل عبدك».

(١) سفر صموئيل الثاني، أصحاح (١٤).

٣فيقول أبشالوم له: «انظر. أمورك صالحة ومستقيمة، ولكن ليس من يسمع لك من قبل الملك». ٤ثم يقول أبشالوم: «من يجعلني قاضيا في الأرض فيأتي إلي كل إنسان له خصومة ودعوى فأنصفه؟» ٥وكان إذا تقدم أحد ليسجد له يمد يده ويمسكه ويقبله.

٦وكان أبشالوم يفعل مثل هذا الأمر لجميع إسرائيل الذين كانوا يأتون لأجل الحكم إلى الملك، فاسترق أبشالوم قلوب رجال إسرائيل.

مؤامرة أبشالوم لانتزاع الملك من أبيه الملك داود:

٧وفي نهاية أربعين سنة قال أبشالوم للملك: «دعني فأذهب وأوفي نذري الذي نذرته للرب في حبرون، ٨لأن عبدك نذر نذرا عند سكناي في جشور في أرام قائلا: إن أرجعني الرب إلى أورشليم فإني أعبد الرب». ٩فقال له الملك: «اذهب بسلام». فقام وذهب إلى حبرون.

١٠وأرسل أبشالوم جواسيس في جميع أسباط إسرائيل قائلا: «إذا سمعتم صوت البوق فقولوا: قد ملك أبشالوم في حبرون!».

١١وانطلق مع أبشالوم مئتا رجل من أورشليم قد دعوا وذهبوا ببساطة، ولم يكونوا يعلمون شيئا. ١٢وأرسل أبشالوم إلى أخيتوفل الجيلوني مشير داود من مدينته جيلوه إذ كان يذبح ذبائح. وكانت الفتنة شديدة وكان الشعب لا يزال يتزايد مع أبشالوم. ١٣فأتى مخبر إلى داود قائلا: «إن قلوب رجال إسرائيل صارت وراء أبشالوم».

هروب الملك داود ورجال حاشيته من أورشليم خوفا من بطش أبشالوم:

١٤فقال داود لجميع عبيده الذين معه في أورشليم: «قوموا بنا نهرب، لأنه ليس لنا نجاة من وجه أبشالوم. أسرعوا للذهاب لئلا يبادر ويدركنا وينزل بنا الشر ويضرب المدينة بحد السيف».

ثم توالت أحدث المؤامرة، وأظهر كثير من الحاشية خيانة لداود ومنهم أخيتوفل الذي أصبح لمشورته حظوة عند أبشالوم، جاء في نفس السفر:(٣٠وأما داود فصعد في مصعد جبل الزيتون. كان يصعد باكيا ورأسه مغطى ويمشي حافيا، وجميع الشعب الذين معه غطوا كل واحد رأسه، وكانوا يصعدون وهم يبكون. ٣١وأخبر داود إن أخيتوفل بين الفاتنين مع أبشالوم، فقال داود: «حمق يا رب مشورة أخيتوفل».

وأظهر حوشاي الأركي وفاءه لداود، فطلب منه أن يخدع أبشالوم وأن يفسد المشورة الجيدة الت يشير بها أخيتوفل على أبشالوم، وأن يكون جاسوسا لها مع الكاهنين صادوق وأبياثار، جاء في نفس السفر:(٣٢ولما وصل داود إلى القمة حيث سجد لله، إذا بحوشاي الأركي قد لقيه ممزق الثوب والتراب على رأسه.

٣٣فقال له داود: «إذا عبرت معي تكون علي حملا. ٣٤ولكن إذا رجعت إلى المدينة وقلت لأبشالوم: أنا أكون عبدك أيها الملك. أنا عبد أبيك منذ زمان والآن أنا عبدك. فإنك تبطل لي مشورة أخيتوفل. ٣٥أليس معك هناك صادوق وأبياثار الكاهنان. فكل ما تسمعه من بيت الملك فأخبر به صادوق وأبياثار الكاهنين. ٣٦هوذا هناك معهما ابناهما أخيمعص لصادوق ويوناثان لأبياثار. فترسلون على أيديهما إلي كل كلمة تسمعونها». ٣٧فأتى حوشاي صاحب داود إلى المدينة وأبشالوم يدخل أورشليم)[(١)].

ثم توالت احدث القصة ودخل أبشالوم إلى أورشليم وفعل القبائح، جاء في السفر نفسه:(١٥وأما أبشالوم وجميع الشعب رجال إسرائيل فأتوا إلى أورشليم وأخيتوفل معهم. ١٦ولما جاء حوشاي الأركي صاحب داود إلى أبشالوم، قال: «ليحي الملك! ليحي الملك!» ١٧فقال أبشالوم لحوشاي: «أهذا معروفك مع صاحبك؟ لماذا لم تذهب مع صاحبك؟» ١٨فقال حوشاي لأبشالوم: «كلا، ولكن الذي اختاره الرب وهذا الشعب

(١) سفر صموئيل الثاني، أصحاح(١٥).

وكل رجال إسرائيل فله أكون ومعه أقيم. ١٩وثانيا: من أخدم؟ أليس بين يدي ابنه؟ كما خدمت بين يدي أبيك كذلك أكون بين يديك».

بعد مشورة أخيتوفل أبشالوم يعاشر سرايا أبيه الملك داود:

٢٠وقال أبشالوم لأخيتوفل: «أعطوا مشورة ماذا نفعل». ٢١فقال أخيتوفل لأبشالوم: «ادخل إلى سراري أبيك اللواتي تركهن لحفظ البيت، فيسمع كل إسرائيل أنك قد صرت مكروها من أبيك، فتتشدد أيدي جميع الذين معك». ٢٢فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح، ودخل أبشالوم إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل. ٢٣وكانت مشورة أخيتوفل التي كان يشير بها في تلك الأيام كمن يسأل بكلام الله. هكذا كل مشورة أخيتوفل على داود وعلى أبشالوم جميعا)[١].

أخيتوفل يشير على أبشالوم بمباغتة جيش الملك داود وقتله وهم في غفلة:

(١ وقال أخيتوفل لأبشالوم: «دعني أنتخب اثني عشر ألف رجل وأقوم وأسعى وراء داود هذه الليلة ٢فآتي عليه وهو متعب ومرتخي اليدين فأزعجه، فيهرب كل الشعب الذي معه، وأضرب الملك وحده ٣وأرد جميع الشعب إليك. كرجوع الجميع هو الرجل الذي تطلبه، فيكون كل الشعب في سلام». ٤فحسن الأمر في عيني أبشالوم وأعين جميع شيوخ إسرائيل.

حوشاي يخالفه ويشير بحشد القوات كلها، حتى ينجو الملك داود وجيشه، وأبشالوم يأخذ برأيه:

٥فقال أبشالوم: «ادع أيضا حوشاي الأركي فنسمع ما يقول هو أيضا». ٦فلما جاء حوشاي إلى أبشالوم قال أبشالوم: «بمثل هذا الكلام تكلم أخيتوفل. أنعمل حسب كلامه أم لا؟ تكلم أنت».

---

(١) سفر صموئيل الثاني، أصحاح١٦).

٧فقال حوشاي لأبشالوم: «ليست حسنة المشورة التي أشار بها أخيتوفل هذه المرة. ٨أنت تعلم أباك ورجاله أنهم جبابرة، وأن أنفسهم مرة كدبة مثكل في الحقل. وأبوك رجل قتال ولا يبيت مع الشعب. ٩ها هو الآن مختبئ في إحدى الحفر أو أحد الأماكن. ويكون إذا سقط بعضهم في الابتداء أن السامع يسمع فيقول: قد صارت كسرة في الشعب الذي وراء أبشالوم. ١٠أيضا ذو البأس الذي قلبه كقلب الأسد يذوب ذوبانا، لأن جميع إسرائيل يعلمون أن أباك جبار، والذين معه ذوو بأس.

١١لذلك أشير بأن يجتمع إليك كل إسرائيل من دان إلى بئر سبع، كالرمل الذي على البحر في الكثرة، وحضرتك سائر في الوسط. ١٢ونأتي إليه إلى أحد الأماكن حيث هو، وننزل عليه نزول الطل على الأرض، ولا يبقى منه ولا من جميع الرجال الذين معه واحد. ١٣وإذا انحاز إلى مدينة، يحمل جميع إسرائيل إلى تلك المدينة حبالا، فنجرها إلى الوادي حتى لا تبقى هناك ولا حصاة».

حوشاي يبلغ داود بالخطة:

١٥فقال أبشالوم وكل رجال إسرائيل: «إن مشورة حوشاي الأركي أحسن من مشورة أخيتوفل». فإن الرب أمر بإبطال مشورة أخيتوفل الصالحة لينزل الرب الشر بأبشالوم. ١٥وقال حوشاي لصادوق وأبياثار الكاهنين: «كذا وكذا أشار أخيتوفل على أبشالوم وعلى شيوخ إسرائيل، وكذا وكذا أشرت أنا. ١٦فالآن أرسلوا عاجلا وأخبروا داود: لا تبت هذه الليلة في سهول البرية، بل اعبر لئلا يبتلع الملك وجميع الشعب الذي معه». ١٧وكان يوناثان وأخيمعص واقفين عند عين روجل، فانطلقت الجارية وأخبرتهما، وهما ذهبا وأخبرا الملك داود، لأنهما لم يقدرا أن يريا داخلين المدينة. ١٨فرآهما غلام وأخبر أبشالوم. فذهبا كلاهما عاجلا ودخلا بيت رجل في بحوريم وله بئر في داره، فنزلا إليها. ١٩فأخذت المرأة وفرشت سجفا على فم البئر وسطحت عليه سميذا فلم يعلم الأمر. ٢٠فجاء عبيد أبشالوم إلى المرأة إلى البيت وقالوا: «أين أخيمعص ويوناثان؟» فقالت لهم المرأة: «قد عبرا قناة الماء». ولما فتشوا ولم يجدوهما رجعوا إلى أورشليم. ٢١وبعد ذهابهم

خرجا من البئر وذهبا وقالا لداود: «قوموا واعبروا سريعا الماء، لأن هكذا أشار عليكم أخيتوفل». ٢٢فقام داود وجميع الشعب الذي معه وعبروا الأردن. وعند ضوء الصباح لم يبق أحد لم يعبر الأردن.

انتحار أخيتوفل لعدم الأخذ بمشورته:

٢٣وأما أخيتوفل فلما رأى أن مشورته لم يعمل بها، شد على الحمار وقام وانطلق إلى بيته إلى مدينته، وأوصى لبيته، وخنق نفسه ومات ودفن في قبر أبيه.

داود في مناحيم، ويعفي يوآب من قيادة الجيش ويقيم عماسا بدلا منه:

٢٤وجاء داود إلى محنايم. وعبر أبشالوم الأردن هو وجميع رجال إسرائيل معه.

٢٥وأقام أبشالوم عماسا بدل يوآب على الجيش. وكان عماسا ابن رجل اسمه يثرا الإسرائيلي الذي دخل إلى أبيجايل بنت ناحاش أخت صروية أم يوآب.

٢٦ونزل إسرائيل وأبشالوم في أرض جلعاد. ٢٧وكان لما جاء داود إلى محنايم أن شوبي بن ناحاش من ربة بني عمون، وماكير بن عميئيل من لودبار، وبرزلاي الجلعادي من روجليم، ٢٨قدموا فرشا وطسوسا وآنية خزف وحنطة وشعيرا ودقيقا وفريكا وفولا وعدسا وحمصا مشويا ٢٩وعسلا وزبدة وضأنا وجبن بقر لداود وللشعب الذي معه ليأكلوا. لأنهم قالوا: «الشعب جوعان ومتعب وعطشان في البرية»[1].

داود ينظم قواته ويستعيد الملك :

(١وأحصى داود الشعب الذي معه، وجعل عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات. ٢وأرسل داود الشعب ثلثا بيد يوآب وثلثا بيد أبيشاي ابن صروية أخي يوآب وثلثا بيد إتاي الجتي. وقال الملك للشعب: «إني أنا أيضا أخرج معكم». ٣فقال الشعب: «لا تخرج، لأننا إذا هربنا لا يبالون بنا، وإذا مات نصفنا لا يبالون بنا. والآن أنت كعشرة آلاف منا.

(١) سفر صموئيل الثاني، أصحاح(١٧).

والآن الأصلح أن تكون لنا نجدة من المدينة». ٤فقال لهم الملك: «ما يحسن في أعينكم أفعله». فوقف الملك بجانب الباب وخرج جميع الشعب مئات وألوفا. ٥وأوصى الملك يوآب وأبيشاي وإتاي: «ترفقوا لي بالفتى أبشالوم». وسمع جميع الشعب حين أوصى الملك جميع الرؤساء بأبشالوم.

هزيمة أبشالوم وجيشه–إسرائيل– وموته:

٦وخرج الشعب إلى الحقل للقاء إسرائيل. وكان القتال في وعر أفرايم، ٧فانكسر هناك شعب إسرائيل أمام عبيد داود، وكانت هناك مقتلة عظيمة في ذلك اليوم. قتل عشرون ألفا. ٨وكان القتال هناك منتشرا على وجه كل الأرض، وزاد الذين أكلهم الوعر من الشعب على الذين أكلهم السيف في ذلك اليوم. ٩وصادف أبشالوم عبيد داود، وكان أبشالوم راكبا على بغل، فدخل البغل تحت أغصان البطمة العظيمة الملتفة، فتعلق رأسه بالبطمة وعلق بين السماء والأرض، والبغل الذي تحته مر. ١٠فرآه رجل وأخبر يوآب: «إني قد رأيت أبشالوم معلقا بالبطمة». ١١فقال يوآب للرجل الذي أخبره: «إنك قد رأيته، فلماذا لم تضربه هناك إلى الأرض، وعلي أن أعطيك عشرة من الفضة ومنطقة؟» ١٢فقال الرجل ليوآب: «فلو وزن في يدي ألف من الفضة لما كنت أمد يدي إلى ابن الملك، لأن الملك أوصاك في آذاننا أنت وأبيشاي وإتاي قائلا: احترزوا أيا كان منكم على الفتى أبشالوم. ١٣ وإلا فكنت فعلت بنفسي زورا، إذ لا يخفى عن الملك شيء، وأنت كنت وقفت ضدي».

يوآب قائد جيش داود المخلوع يجهز على أبشالوم:

١٤فقال يوآب: «إني لا أصبر هكذا أمامك». فأخذ ثلاثة سهام بيده ونشبها في قلب أبشالوم وهو بعد حي في قلب البطمة، ١٥وأحاط بها عشرة غلمان حاملو سلاح يوآب وضربوا أبشالوم وأماتوه. ١٦وضرب يوآب بالبوق فرجع الشعب عن اتباع إسرائيل، لأن يوآب منع الشعب. ١٧وأخذوا أبشالوم وطرحوه في الوعر في الجب العظيم وأقاموا

عليه رجمة عظيمة جدا من الحجارة. وهرب كل إسرائيل، كل واحد إلى خيمته. ١٨وكان أبشالوم قد أخذ وأقام لنفسه وهو حي النصب الذي في وادي الملك، لأنه قال: «ليس لي ابن لأجل تذكير اسمي». ودعا النصب باسمه، وهو يدعى «يد أبشالوم» إلى هذا اليوم.

داود يبلغ بنبأ مقتل إبنه أبشالوم:

١٩وقال أخيمعص بن صادوق: «دعني أجر فأبشر الملك، لأن الله قد انتقم له من أعدائه».

٢٠فقال له يوآب: «ما أنت صاحب بشارة في هذا اليوم. في يوم آخر تبشر، وهذا اليوم لا تبشر من أجل أن ابن الملك قد مات». ٢١وقال يوآب لكوشي: «اذهب وأخبر الملك بما رأيت». فسجد كوشي ليوآب وركض. ٢٢وعاد أيضا أخيمعص بن صادوق فقال ليوآب: «مهما كان فدعني أجر أنا أيضا وراء كوشي». فقال يوآب: «لماذا تجري أنت يا ابني وليس لك بشارة تجازى؟» ٢٣قال: «مهما كان أجري». فقال له: «اجر». فجرى أخيمعص في طريق الغور وسبق كوشي.

٢٤وكان داود جالسا بين البابين، وطلع الرقيب إلى سطح الباب إلى السور ورفع عينيه ونظر وإذا برجل يجري وحده. ٢٥فنادى الرقيب وأخبر الملك. فقال الملك: «إن كان وحده ففي فمه بشارة». وكان يسعى ويقرب. ٢٦ثم رأى الرقيب رجلا آخر يجري، فنادى الرقيب البواب وقال: «هوذا رجل يجري وحده». فقال الملك: «وهذا أيضا مبشر». ٢٧وقال الرقيب: «إني أرى جري الأول كجري أخيمعص بن صادوق». فقال الملك: «هذا رجل صالح ويأتي ببشارة صالحة». ٢٨فنادى أخيمعص وقال للملك: «السلام». وسجد للملك على وجهه إلى الأرض. وقال: «مبارك الرب إلهك الذي دفع القوم الذين رفعوا أيديهم على سيدي الملك».

٢٩فقال الملك: «أسلام للفتى أبشالوم؟» فقال أخيمعص: «قد رأيت جمهورا عظيما عند إرسال يوآب عبد الملك وعبدك، ولم أعلم ماذا». ٣٠فقال الملك: «در وقف ههنا». فدار ووقف. ٣١وإذا بكوشي قد أتى، وقال كوشي: « ليبشر سيدي الملك لأن الرب قد

انتقم لك اليوم من جميع القائمين عليك». ٣٢فقال الملك لكوشي: «أسلام للفتى أبشالوم؟» فقال كوشي: «ليكن كالفتى أعداء سيدي الملك وجميع الذين قاموا عليك للشر». ٣٣فانزعج الملك وصعد إلى علية الباب وكان يبكي ويقول وهو يتمشى: «يا ابني أبشالوم، يا ابني يا ابني! أبشالوم، يا ليتني مت عوضا عنك! يا أبشالوم ابني يا ابني)[1].

مناحة داود وتأنيب يوآب له على ذلك:

١فأخبر يوآب: «هوذا الملك يبكي وينوح على أبشالوم». ٢فصارت الغلبة في ذلك اليوم مناحة عند جميع الشعب، لأن الشعب سمعوا في ذلك اليوم من يقول إن الملك قد تأسف على ابنه.

٣وتسلل الشعب في ذلك اليوم للدخول إلى المدينة كما يتسلل القوم الخجلون عندما يهربون في القتال. ٤وستر الملك وجهه وصرخ بصوت عظيم: «يا ابني أبشالوم، يا أبشالوم ابني يا ابني!».

٥فدخل يوآب إلى الملك إلى البيت وقال: «قد أخزيت اليوم وجوه جميع عبيدك، منقذي نفسك اليوم وأنفس بنيك وبناتك وأنفس نسائك وأنفس سراريك، ٦بمحبتك لمبغضيك وبغضك لمحبيك. لأنك أظهرت اليوم أنه ليس لك رؤساء ولا عبيد، لأني علمت اليوم أنه لو كان أبشالوم حيا وكلنا اليوم موتى لحسن حينئذ الأمر في عينيك.

٧فالآن قم واخرج وطيب قلوب عبيدك. لأني قد أقسمت بالرب إنه إن لم تخرج لا يبيت أحد معك هذه الليلة، ويكون ذلك أشر عليك من كل شر أصابك منذ صباك إلى الآن!» ٨فقام الملك وجلس في الباب. فأخبروا جميع الشعب: «هوذا الملك جالس في الباب». فأتى جميع الشعب أمام الملك. وأما إسرائيل فهربوا كل واحد إلى خيمته.

---

(١) سفر صموئيل الثاني، أصحاح(١٨).

عودة داود إلى أورشليم وعفوه عن كل من شارك في التمرد:

٩وكان جميع الشعب في خصام في جميع أسباط إسرائيل قائلين: «إن الملك قد أنقذنا من يد أعدائنا وهو نجانا من يد الفلسطينيين. والآن قد هرب من الأرض لأجل أبشالوم.

١٠وأبشالوم الذي مسحناه علينا قد مات في الحرب. فالآن لماذا أنتم ساكتون عن إرجاع الملك؟» ١١وأرسل الملك داود إلى صادوق وأبياثار الكاهنين قائلا: «قولا لشيوخ يهوذا: لماذا تكونون آخرين في إرجاع الملك إلى بيته، وقد أتى كلام جميع إسرائيل إلى الملك في بيته؟ ١٢أنتم إخوتي. أنتم عظمي ولحمي. فلماذا تكونون آخرين في إرجاع الملك؟.

١٣وقولا لعماسا: أما أنت عظمي ولحمي؟ هكذا يفعل بي الله وهكذا يزيد إن كنت لا تصير رئيس جيش عندي كل الأيام بدل يوآب». ١٤فاستمال قلوب جميع رجال يهوذا كرجل واحد، فأرسلوا إلى الملك قائلين: «ارجع أنت وجميع عبيدك». ١٥فرجع الملك وأتى إلى الأردن، وأتى يهوذا إلى الجلجال سائرا لملاقاة الملك ليعبر الملك الأردن)[1].

وفي صورة من صور التمرد والثورة المغروسة في نفسية شعب الرب، استطاع شبع بن بكري البنياميني استمالة رجال إسرائيل وألبهم ضد داود، فتبعوه وقاوم داود هذا التمرد وقتل رجاله شبعا، جاء في السفر السابق أيضا:(١ واتفق هناك رجل لئيم اسمه شبع بن بكري رجل بنياميني، فضرب بالبوق وقال: «ليس لنا قسم في داود ولا لنا نصيب في ابن يسى. كل رجل إلى خيمته يا إسرائيل». ٢فصعد-فتخلى- كل رجال إسرائيل من وراء داود إلى وراء شبع بن بكري-وتبعوا شبع بن بكري-. وأما رجال يهوذا فلازموا ملكهم من الأردن إلى أورشليم. ٣وجاء داود إلى بيته في أورشليم. وأخذ الملك النساء السراري العشر اللواتي تركهن لحفظ البيت، وجعلهن تحت حجز، وكان يعولهن ولكن لم يدخل إليهن، بل كن محبوسات إلى يوم موتهن في عيشة العزوبة.

(١) سفر صموئيل الثاني،أصحاح(١٩).

يوآب قائد الجيش السابق يغتال عماسا قائد الجيش الجديد:

٤وقال الملك لعماسا: «اجمع لي رجال يهوذا في ثلاثة أيام، واحضر أنت هنا». ٥فذهب عماسا ليجمع يهوذا، ولكنه تأخر عن الميقات الذي عينه. ٦فقال داود لأبيشاي: «الآن يسيء إلينا شبع بن بكري أكثر من أبشالوم. فخذ أنت عبيد سيدك واتبعه لئلا يجد لنفسه مدنا حصينة وينفلت من أمام أعيننا». ٧فخرج وراءه رجال يوآب: الجلادون والسعاة وجميع الأبطال، وخرجوا من أورشليم ليتبعوا شبع بن بكري. ٨ولما كانوا عند الصخرة العظيمة التي في جبعون جاء عماسا قدامهم. وكان يوآب متنطقا على ثوبه الذي كان لابسه، وفوقه منطقة سيف في غمده مشدودة على حقويه، فلما خرج اندلق السيف. ٩فقال يوآب لعماسا: «أسالم أنت يا أخي؟ وأمسكت يد يوآب اليمنى بلحية عماسا ليقبله». ١٠وأما عماسا فلم يحترز من السيف الذي بيد يوآب، فضربه به في بطنه فدلق أمعاءه إلى الأرض ولم يثن عليه، فمات. وأما يوآب وأبيشاي أخوه فتبعا شبع بن بكري. ١١ووقف عنده واحد من غلمان يوآب، فقال: «من سر بيوآب، ومن هو لداود، فوراء يوآب». ١٢وكان عماسا يتمرغ في الدم في وسط السكة. ولما رأى الرجل أن كل الشعب يقفون، نقل عماسا من السكة إلى الحقل وطرح عليه ثوبا، لما رأى أن كل من يصل إليه يقف. ١٣فلما نقل عن السكة عبر كل إنسان وراء يوآب لاتباع شبع بن بكري.

مقتل شبع بن بكري والقضاء على الفتنة:

١٤وعبر في جميع أسباط إسرائيل إلى آبل وبيت معكة وجميع البيريين، فاجتمعوا وخرجوا أيضا وراءه. ١٥وجاءوا وحاصروه في آبل بيت معكة وأقاموا مترسة حول المدينة فأقامت في الحصار، وجميع الشعب الذين مع يوآب كانوا يخربون لأجل إسقاط السور.

مشورة المرأة الحكيمة:

١٦فنادت امرأة حكيمة من المدينة: «اسمعوا. اسمعوا. قولوا ليوآب تقدم إلى ههنا

فأكلمك». ١٧فتقدم إليها، فقالت المرأة: «أأنت يوآب؟» فقال: «أنا هو». فقالت له: «اسمع كلام أمتك». فقال: «أنا سامع».

١٨فقالت: «كانوا يتكلمون أولا قائلين: سؤالا يسألون في آبل. وهكذا كانوا انتهوا. ١٩أنا مسالمة أمينة في إسرائيل. أنت طالب أن تميت مدينة وأما في إسرائيل. لماذا تبلع نصيب الرب؟».

٢٠فأجاب يوآب: «حاشاي! حاشاي أن أبلع وأن أهلك. ٢١الأمر ليس كذلك. لأن رجلا من جبل أفرايم اسمه شبع بن بكري رفع يده على الملك داود. سلموه وحده فأنصرف عن المدينة». فقالت المرأة ليوآب: «هوذا رأسه يلقى إليك عن السور».

بنو إسرائيل يستمعون لمشورة المرأة ويقطعون رأس شبع بن بكري للنجاة بأنفسهم:

٢٢فأتت المرأة إلى جميع الشعب بحكمتها فقطعوا رأس شبع بن بكري وألقوه إلى يوآب، فضرب بالبوق فانصرفوا عن المدينة كل واحد إلى خيمته. وأما يوآب فرجع إلى أورشليم إلى الملك.

٢٣وكان يوآب على جميع جيش إسرائيل، وبنايا بن يهوياداع على الجلادين والسعاة، ٢٤وأدورام على الجزية، ويهوشافاط بن أخيلود مسجلا، ٢٥وشيوا كاتبا، وصادوق وأبياثار كاهنين، ٢٦وعيرا اليائيري أيضا كان كاهنا لداود)[1].

وعندما اعتلى سليمان بن داود العرش، قضى على كل المعارضين، وبنى الهيكل، وكون جيشا قويا وأصبح أغنى وأحكم ملك في تاريخ إسرائيل[2].

(١) سفر صموئيل الثاني، أصحاح(٢٠).

(٢) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس،مجموعة من المؤلفين،تعريب شركة ماستر ميديا،٧٠١.

وكان أدونيا رابع أبناء داود، وكان يظن أن له الحق، أن يخلف أباه داود في الملك، فابن داود الأكبر أمنون قتله أبشالوم لاغتصابه أخته -كما سبق- وابنه الثاني دانيئيل لا يذكر إلا في سفر أخبار الأيام الأول، ويرجح أنه كان قد مات قبل ذلك الوقت، والابن الثالث أبشالوم قتل في ثورته، وأدونيا هو الإبن الذي يلي أبشالوم، ولكن زوجة الملك داود بثشبع أم سليمان نظمت خطة لانتقال الملك إلى سليمان إبنها بدلا من أدونيا، مستغلة استعجال أدونيا في تنصيب نفسه ملكا قبل وفاة أبيه، ونجحت الخطة بالفعل، ونصب دود سليمان خليفة له، جاء في سفر الملوك الأول:(١وشاخ الملك داود. تقدم في الأيام. وكانوا يغطونه بالثياب فلم يدفأ. ٢فقال له عبيده: [ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء، فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ولتضطجع في حضنك فيدفأ سيدنا الملك]. ٣ففتشوا على فتاة جميلة في جميع تخوم إسرائيل، فوجدوا أبيشج الشونمية فجاءوا بها إلى الملك. ٤وكانت الفتاة جميلة جدا، فكانت حاضنة الملك. وكانت تخدمه ولكن الملك لم يعرفها- ولكن الملك لم يعاشرها-.

أدونيا يعلن نفسه ملكا:

٥ثم إن أدونيا ابن حجيث ترفع قائلا: [أنا أملك]. وعد لنفسه عجلات وفرسانا وخمسين رجلا يجرون أمامه. ٦ولم يغضبه أبوه قط قائلا: [لماذا فعلت هكذا؟] وهو أيضا جميل الصورة جدا، وقد ولدته أمه بعد أبشالوم.

الكاهن أبياثار ويوآب قائد الجيش يؤيدان أدونيا في تنصيب نفسه ملكا:

٧وكان كلامه مع يوآب ابن صروية ومع أبياثار الكاهن، فأعانا أدونيا.

الكاهن صادوق وناثان النبي وخاصة داود يعترضون على أدونيا:

٨وأما صادوق الكاهن وبناياهو بن يهوياداع وناثان النبي وشمعي وريعي والجبابرة الذين لداود فلم يكونوا مع أدونيا.

٩فذبح أدونيا غنما وبقرا ومعلوفات عند حجر الزاحفة الذي بجانب عين روجل، ودعا جميع إخوته بني الملك وجميع رجال يهوذا عبيد الملك.

١٠وأما ناثان النبي وبناياهو والجبابرة وسليمان أخوه فلم يدعهم.

زوجة الملك داود بثشبع تعلم بالأمر، وتضع خطة هي وناثان النبي لإقناع الملك بتنصيب سليمان ملكا بعد موته:

١١فقال ناثان لبثشبع أم سليمان: [أما سمعت أن أدونيا ابن حجيث قد ملك، وسيدنا داود لا يعلم؟ ١٢فالآن تعالي أشير عليك مشورة فتنجي نفسك ونفس ابنك سليمان. ١٣اذهبي وادخلي إلى الملك داود وقولي له: أما حلفت أنت يا سيدي الملك لأمتك أن سليمان ابنك يملك بعدي، وهو يجلس على كرسيي. فلماذا ملك أدونيا؟ ١٤وفيما أنت متكلمة هناك مع الملك أدخل أنا وراءك وأكمل كلامك].

تنفيذ خطة بثشبع وناثان:

١٥فدخلت بثشبع إلى الملك إلى المخدع. وكان الملك قد شاخ جدا وكانت أبيشج الشونمية تخدم الملك. ١٦فخرت بثشبع وسجدت للملك. فقال الملك: [ما لك؟] ١٧فقالت له: [أنت يا سيدي حلفت بالرب إلهك لأمتك أن سليمان ابنك يملك بعدي وهو يجلس على كرسيي.

الوشاية بأدونيا ومن حالفه عند الملك:

١٨والآن هوذا أدونيا قد ملك. والآن أنت يا سيدي الملك لا تعلم ذلك. ١٩وقد ذبح ثيرانا ومعلوفات وغنما بكثرة، ودعا جميع بني الملك، وأبياثار الكاهن ويوآب رئيس الجيش، ولم يدع سليمان عبدك.

٢٠وأنت يا سيدي الملك أعين جميع إسرائيل نحوك لتخبرهم من يجلس على كرسي سيدي الملك بعده. ٢١فيكون إذا اضطجع سيدي الملك مع آبائه أني أنا وابني سليمان نحسب مذنبين]. ٢٢وبينما هي متكلمة مع الملك إذا ناثان النبي داخل.

٢٣فأخبروا الملك:[هوذا ناثان النبي]. فدخل إلى أمام الملك وسجد للملك على وجهه إلى الأرض.

٢٤وقال ناثان: [يا سيدي الملك، أأنت قلت إن أدونيا يملك بعدي وهو يجلس على كرسيي؟.

٢٥لأنه نزل اليوم وذبح ثيرانا ومعلوفات وغنما بكثرة، ودعا جميع بني الملك ورؤساء الجيش وأبياثار الكاهن، وها هم يأكلون ويشربون أمامه ويقولون: ليحي الملك أدونيا.

٢٦وأما أنا عبدك وصادوق الكاهن وبناياهو بن يهوياداع وسليمان عبدك فلم يدعنا.

٢٧هل من قبل سيدي الملك كان هذا الأمر ولم تعلم عبدك من يجلس على كرسي سيدي الملك بعده؟].

داود يختار سليمان خلفا له:

٢٨فأجاب الملك داود: [ادع لي بثشبع]. فدخلت إلى أمام الملك ووقفت بين يدي الملك. ٢٩فحلف الملك: [حي هو الرب الذي فدى نفسي من كل ضيقة ٣٠إنه كما حلفت لك بالرب إله إسرائيل أن سليمان ابنك يملك بعدي وهو يجلس على كرسيي عوضا عني، كذلك أفعل هذا اليوم]. ٣١فخرت بثشبع على وجهها إلى الأرض وسجدت للملك وقالت: [ليحي سيدي الملك داود إلى الأبد].

مسح سليمان ملكا:

٣٢وقال الملك داود: [ادع لي صادوق الكاهن وناثان النبي وبناياهو بن يهوياداع]. فدخلوا إلى أمام الملك.

٣٣فقال الملك لهم: [خذوا معكم عبيد سيدكم، وأركبوا سليمان ابني على البغلة التي لي وانزلوا به إلى جيحون، ٣٤وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبي ملكا على

إسرائيل، واضربوا بالبوق وقولوا: ليحي الملك سليمان. ٣٥وتصعدون وراءه فيأتي ويجلس على كرسيي وهو يملك عوضا عني، وإياه قد أوصيت أن يكون رئيسا على إسرائيل ويهوذا]...

لجوء أدونيا إلى المذبح:

٤٩فارتعد وقام جميع مدعوي أدونيا وذهبوا كل واحد في طريقه. ٥٠وخاف أدونيا من سليمان، وقام وانطلق وتمسك بقرون المذبح. ٥١فأخبر سليمان: هوذا أدونيا خائف من الملك سليمان، وهوذا قد تمسك بقرون المذبح قائلا: [ليحلف لي اليوم الملك سليمان إنه لا يقتل عبده بالسيف]. ٥٢فقال سليمان: [إن كان ذا فضيلة لا يسقط من شعره إلى الأرض. ولكن إن وجد به شر فإنه يموت]. ٥٣فأرسل الملك سليمان فأنزلوه عن المذبح، فأتى وسجد للملك سليمان. فقال له سليمان: [اذهب إلى بيتك)[1].

سليمان يقتل أخاه أدونيا لأنه أراد الزواج من حاضنة أبيهما:

(١٣ثم جاء أدونيا ابن حجيث إلى بثشبع أم سليمان. فقالت: [أللسلام جئت؟] فقال: [للسلام]. ١٤ثم قال: [لي معك كلمة]. فقالت: [تكلم].

١٥فقال: [أنت تعلمين أن الملك كان لي، وقد جعل جميع إسرائيل وجوههم نحوي لأملك، فدار الملك وصار لأخي لأنه من قبل الرب صار له.

١٦والآن أسألك سؤالا واحدا فلا ترديني فيه]. فقالت له: [تكلم]. ١٧فقال: [قولي لسليمان الملك، لأنه لا يردك، أن يعطيني أبيشج الشونمية امرأة].

١٨فقالت بثشبع: [حسنا. أنا أتكلم عنك إلى الملك]. ١٩فدخلت بثشبع إلى الملك سليمان لتكلمه عن أدونيا. فقام الملك للقائها وسجد لها وجلس على كرسيه، ووضع

(١) سفر الملوك الأول، أصحاح(١).

كرسيا لأم الملك فجلست عن يمينه. ٢٠وقالت: [إنما أسألك سؤالا واحدا صغيرا. لا تردني]. فقال لها الملك: [اسألي يا أمي لأني لا أردك]. ٢١فقالت: [لتعط أبيشج الشونمية لأدونيا أخيك امرأة].

الملك سليمان يغلظ القول على أمه ويتهكم بها:

٢٢فأجاب الملك سليمان: [ولماذا أنت تسألين أبيشج الشونمية لأدونيا؟ فاسألي له الملك لأنه أخي الأكبر مني! له ولأبياثار الكاهن وليوآب ابن صروية].

الملك يأمر بقتل أخاه أدونيا، ويتم تنفيذ حكم الإعدام فيه:

٢٣وحلف سليمان الملك بالرب: [هكذا يفعل لي الله وهكذا يزيد إنه قد تكلم أدونيا بهذا الكلام ضد نفسه. ٢٤والآن حي هو الرب الذي ثبتني وأجلسني على كرسي داود أبي، والذي صنع لي بيتا كما تكلم، إنه اليوم يقتل أدونيا]. ٢٥فأرسل الملك سليمان بيد بناياهو بن يهوياداع فبطش به فمات.

طرد أبياثار الكاهن من وظيفة الكهنوت:

٢٦وقال الملك لأبياثار الكاهن: [اذهب إلى عناثوث إلى حقولك لأنك مستوجب الموت، ولست أقتلك في هذا اليوم لأنك حملت تابوت سيدي الرب أمام داود أبي، ولأنك تذللت بكل ما تذلل به أبي]. ٢٧وطرد سليمان أبياثار عن أن يكون كاهنا للرب لإتمام كلام الرب الذي تكلم به على بيت عالي في شيلوه.

سليمان يأمر بقتل يوآب قائد الجيش:

٢٨فأتى الخبر إلى يوآب، لأن يوآب مال وراء أدونيا ولم يمل وراء أبشالوم. فهرب يوآب إلى خيمة الرب وتمسك بقرون المذبح. ٢٩فأخبر الملك سليمان بأن يوآب قد هرب إلى خيمة الرب وها هو بجانب المذبح. فأرسل سليمان بناياهو بن يهوياداع قائلا: [اذهب ابطش به].

٣٠فدخل بناياهو إلى خيمة الرب وقال له: [هكذا يقول الملك: اخرج]. فقال: [كلا ولكنني هنا أموت]. فرد بناياهو الجواب على الملك قائلا: [هكذا تكلم يوآب وهكذا جاوبني].

٣١فقال له الملك: [افعل كما تكلم، وابطش به وادفنه، وأزل عني وعن بيت أبي الدم الزكي الذي سفكه يوآب، ٣٢فيرد الرب دمه على رأسه لأنه بطش برجلين بريئين وخير منه وقتلهما بالسيف وأبي داود لا يعلم، وهما أبنير بن نير رئيس جيش إسرائيل وعماسا بن يثر رئيس جيش يهوذا. ٣٣فيرتد دمهما على رأس يوآب ورأس نسله إلى الأبد، ويكون لداود ونسله وبيته وكرسيه سلام إلى الأبد من عند الرب].

تنفيذ حكم الإعدام:

٣٤فصعد بناياهو بن يهوياداع وبطش به وقتله، فدفن في بيته في البرية. ٣٥وجعل الملك بناياهو بن يهوياداع مكانه على الجيش، وجعل الملك صادوق الكاهن مكان أبياثار)[1].

وقبل موت الملك سليمان، تمرد عليه يربعام عبد أبيه الملك داود، بسبب نبوءة النبي أخيا الشيلوني، جاء في سفر الملوك الأول: (٢٦ويربعام بن ناباط، أفرايمي من صردة، عبد لسليمان. واسم أمه صروعة، وهي أرملة، رفع يده على الملك. ٢٧وهذا هو سبب رفعه يده على الملك: أن سليمان بنى القلعة وسد شقوق مدينة داود أبيه. ٢٨وكان يربعام جبار بأس. فلما رأى سليمان الغلام أنه عامل شغلا أقامه على كل أعمال بيت يوسف. ٢٩وكان في ذلك الزمان لما خرج يربعام من أورشليم أنه لاقاه أخيا الشيلوني النبي في الطريق وهو لابس رداء جديدا، وهما وحدهما في الحقل.

(١) سفر الملوك الأول، أصحاح(٢).

نبوءة النبي أخيا بوراثة يربعام عبد داود لملك على عشرة أسباط من أسباط شعب الرب:

٣٠فقبض أخيا على الرداء الجديد الذي عليه ومزقه اثنتي عشرة قطعة.

٣١وقال ليربعام: [خذ لنفسك عشر قطع، لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل: هئنذا أمزق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط.

٣٢ويكون له سبط واحد من أجل عبدي داود ومن أجل أورشليم المدينة التي اخترتها من كل أسباط إسرائيل، ٣٣لأنهم تركوني وسجدوا لعشتورث إلهة الصيدونيين ولكموش إله الموآبيين ولملكوم إله بني عمون، ولم يسلكوا في طرقي ليعملوا المستقيم في عيني وفرائضي وأحكامي كداود أبيه.

٣٤ولا آخذ كل المملكة من يده، بل أصيره رئيسا كل أيام حياته لأجل داود عبدي الذي اخترته الذي حفظ وصاياي وفرائضي.

٣٥وآخذ المملكة من يد ابنه وأعطيك إياها (أي الأسباط العشرة). ٣٦وأعطي ابنه سبطا واحدا ليكون سراج لداود عبدي كل الأيام أمامي في أورشليم المدينة التي اخترتها لنفسي لأضع اسمي فيها.

٣٧وآخذك فتملك حسب كل ما تشتهي نفسك، وتكون ملكا على إسرائيل.

٣٨فإذا سمعت لكل ما أوصيك به وسلكت في طرقي وفعلت ما هو مستقيم في عيني وحفظت فرائضي ووصاياي كما فعل داود عبدي، أكون معك وأبني لك بيتا آمنا كما بنيت لداود، وأعطيك إسرائيل. ٣٩وأذل نسل داود من أجل هذا، ولكن لا كل الأيام].

سليمان يأمر بقتل يربعام، ويربعام يهرب إلى شيشق ملك مصر:

٤٠وطلب سليمان قتل يربعام، فقام يربعام وهرب إلى مصر إلى شيشق ملك مصر. وكان في مصر إلى وفاة سليمان. ٤١وبقية أمور سليمان وكل ما صنع وحكمته هي مكتوبة

في سفر أمور سليمان. ٤٢وكانت الأيام التي ملك فيها سليمان في أورشليم على كل إسرائيل أربعين سنة.

موت الملك سليمان وخلافة ابنه رحبعام:

٤٣ثم اضطجع سليمان مع آبائه ودفن في مدينة داود أبيه، وملك رحبعام ابنه عوضا عنه)[١].

وبعد موت سليمان ثارت الأسباط الشمالية على رحبعام لأنه أغلظ لهم القول، عندما تظلموا عنده مما كان يفرضه عليهم أبوه الملك سليمان من ضرائب وتسخير، فتوعدهم وهددهم بأن يكون أشد من أبيه في سياسته لهم، وكان عدد أسباط الشمال إثنا عشر سبطا، استمالهم يربعام فتوجوه ملكا عليهم، فكانت مملكة الشمال، وبقي مع رحبعام سبطان، وتوجوه ملكا عليهم، فتكونت أمتان منفصلتان، كل أمة لها ملك متوج من قبلها، جاء في سفر الملوك الأول:(١ وذهب رحبعام إلى شكيم، لأنه جاء إلى شكيم جميع إسرائيل ليملكوه. ٢ولما سمع يربعام بن نباط وهو بعد في مصر. (لأنه هرب من وجه سليمان الملك، وأقام يربعام في مصر).

يربعام وبقية الأسباط يعرضون على رحبعام تخفيف الضرائب:

٣وأرسلوا فدعوه. أتى يربعام وكل جماعة إسرائيل وقالوا لرحبعام: ٤[إن أباك قسى نيرنا وأما أنت فخفف الآن من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا فنخدمك].

رحبعام يطلب مهلة، ويستشير في الأمر:

٥فقال لهم: [اذهبوا إلى ثلاثة أيام أيضا ثم ارجعوا إلي]. فذهب الشعب. ٦فاستشار الملك رحبعام الشيوخ الذين كانوا يقفون أمام سليمان أبيه وهو حي قائلا: [كيف تشيرون

(١) سفر الملوك الأول، أصحاح(١١).

أن أرد جوابا إلى هذا الشعب؟] ٧فقالوا: [إن صرت اليوم عبدا لهذا الشعب وخدمتهم وأجبتهم وكلمتهم كلاما حسنا، يكونون لك عبيدا كل الأيام]. ٨فترك مشورة الشيوخ التي أشاروا بها عليه واستشار الأحداث الذين نشأوا معه ووقفوا أمامه، ٩وقال لهم: [بماذا تشيرون أنتم فنرد جوابا على هذا الشعب الذين قالوا لي: خفف من النير الذي جعله علينا أبوك].

رحبعام يقبل استشارة الأحداث:

١٠فقال الأحداث الذين نشأوا معه: [هكذا تقول لهذا الشعب الذين قالوا لك إن أباك ثقل نيرنا وأما أنت فخفف من نيرنا: إن خنصري أغلظ من وسط أبي. ١١والآن أبي حملكم نيرا ثقيلا وأنا أزيد على نيركم. أبي أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب].

تمرد عشرة أسباط من بني إسرائيل وانقسام المملكة:

١٢فجاء يربعام وجميع الشعب إلى رحبعام في اليوم الثالث كما قال الملك: [ارجعوا إلي في اليوم الثالث].

١٣فأجاب الملك الشعب بقساوة، وترك مشورة الشيوخ التي أشاروا بها عليه، ١٤وقال حسب مشورة الأحداث: [أبي ثقل نيركم وأنا أزيد على نيركم. أبي أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب].

١٥ولم يسمع الملك للشعب، لأن السبب كان من قبل الرب ليقيم كلامه الذي تكلم به الرب عن يد أخيا الشيلوني إلى يربعام بن نباط. ١٦فلما رأى كل إسرائيل أن الملك لم يسمع لهم، أجاب الشعب الملك: [أي قسم لنا في داود، ولا نصيب لنا في ابن يسى! إلى خيامك يا إسرائيل. الآن انظر إلى بيتك يا داود]. وذهب إسرائيل إلى خيامهم. ١٧وأما بنو إسرائيل الساكنون في مدن يهوذا فملك عليهم رحبعام.

بنو إسرائيل يقتلون أدورام مرسول الملك رحبعام:

١٨ثم أرسل الملك رحبعام أدورام الذي على التسخير فرجمه جميع إسرائيل بالحجارة فمات. فبادر الملك رحبعام وصعد إلى المركبة ليهرب إلى أورشليم. ١٩فعصى إسرائيل على بيت داود إلى هذا اليوم.

أسباط بني إسرائيل العشرة يتوجون يربعام ملكا عليهم:

٢٠ولما سمع جميع إسرائيل بأن يربعام قد رجع، أرسلوا فدعوه إلى الجماعة وملكوه على جميع إسرائيل. لم يتبع بيت داود إلا سبط يهوذا وحده)[1].

وحشد رحبعام جيشا لرد الإسرائيليين إلى طاعته، وأمره الرب بعدم محاربة بني إسرائيل:جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(١ولما جاء رحبعام إلى أورشليم جمع من بيت يهوذا وبنيامين مئة وثمانين ألف مختار محارب ليحارب إسرائيل ليرد الملك إلى رحبعام. ٢وكان كلام الرب إلى شمعيا رجل الله ٣[قل لرحبعام بن سليمان ملك يهوذا وكل إسرائيل في يهوذا وبنيامين: ٤هكذا قال الرب: لا تصعدوا ولا تحاربوا إخوتكم. ارجعوا كل واحد إلى بيته لأنه من قبلي صار هذا الأمر] فسمعوا لكلام الرب ورجعوا عن الذهاب ضد يربعام.

رحبعام يأمر ببناء الحصون:

٥وأقام رحبعام في أورشليم وبنى مدنا للحصار في يهوذا. ٦فبنى بيت لحم وعيطام وتقوع ٧وبيت صور وسوكو وعدلام ٨وجت ومريشة وزيف ٩وأدورايم ولخيش وعزيقة ١٠وصرعة وأيلون وحبرون التي في يهوذا وبنيامين مدنا حصينة. ١١وشدد الحصون وجعل فيها قوادا وخزائن مأكل وزيت وخمر ١٢وأتراسا في كل مدينة ورماحا وشددها كثيرا جدا وكان له يهوذا وبنيامين.

(١) سفر الملوك الأول،أصحاح(١٢).

اللاويون ينضمون إلى يهوذا:

١٣والكهنة واللاويون الذين في كل إسرائيل مثلوا بين يديه من جميع تخومهم ١٤لأن اللاويين تركوا مراعيهم وأملاكهم وانطلقوا إلى يهوذا وأورشليم لأن يربعام وبنيه رفضوهم من أن يكهنوا للرب ١٥وأقام لنفسه كهنة للمرتفعات وللتيوس وللعجول التي عمل. ١٦وبعدهم جاء إلى أورشليم من جميع أسباط إسرائيل الذين وجهوا قلوبهم إلى طلب الرب إله إسرائيل ليذبحوا للرب إله آبائهم. ١٧وشددوا مملكة يهوذا وقووا رحبعام بن سليمان ثلاث سنين لأنهم ساروا في طريق داود وسليمان ثلاث سنين)[(١)].

وقد جاء نص مقدس يبين حقيقة العلاقة بين المملكتين، واصفا إياها بأنها علاقة حرب دائمة كل الأيام، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(١٥وأمور رحبعام الأولى والأخيرة مكتوبة في أخبار شمعيا النبي وعدو الرائي عن الانتساب. وكانت حروب بين رحبعام ويربعام كل الأيام. ١٦ثم اضطجع رحبعام مع آبائه ودفن في مدينة داود وملك أبيا ابنه عوضا عنه)[(٢)].

وبعد أن تولى أبيا -أبيام- بن رحبعام الملك على يهوذا بعد أبيه، لم تتغير العلاقة بين المملكتين، بل استمرت الحرب كل الأيام بين مملكة يهوذا بقيادة أبيا- أبيام- وإسرائيل بقيادة يربعام، جاء في نفس السفر السابق:(١وفي السنة الثامنة عشرة للملك يربعام بن نباط، ملك أبيام على يهوذا...٦ وكانت حرب بين رحبعام ويربعام كل أيام حياته. ٧وبقية أمور أبيام وكل ما عمل مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا. وكانت حرب بين أبيام ويربعام. ٨ثم اضطجع أبيام مع آبائه، فدفنوه في مدينة داود، وملك آسا ابنه عوضا عنه)[(٣)].

---

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(١١).

(٢) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(١٢).

(٣) سفر الملوك الأول، أصحاح(١٥).

وسجل العهد القديم مبالغات هي أقرب إلى الأساطير منها إلى الواقع؛ فقد جاء تفصيل للحروب التي نشبت بين المملكتين في سفر الأخبار الثاني:(٣وابتدأ أبيا في الحرب بجيش من جبابرة القتال أربع مئة ألف رجل مختار ويربعام اصطف لمحاربته بثمان مئة ألف رجل مختار جبابرة بأس.

الملك أبيا ـ أبيام ـ يخطب في جيش الملك يربعام قبل المعركة:

٤وقام أبيا على جبل صمارايم الذي في جبل أفرايم وقال: [اسمعوني يا يربعام وكل إسرائيل. ٥أما لكم أن تعرفوا أن الرب إله إسرائيل أعطى الملك على إسرائيل لداود إلى الأبد ولبنيه بعهد ملح؟.

٦فقام يربعام بن نباط عبد سليمان بن داود وعصى سيده. ٧فاجتمع إليه رجال بطالون بنو بليعال وتشددوا على رحبعام بن سليمان وكان رحبعام فتى رقيق القلب فلم يثبت أمامهم.

٨والآن أنتم تقولون إنكم تثبتون أمام مملكة الرب بيد بني داود وأنتم جمهور كثير ومعكم عجول ذهب قد عملها يربعام لكم آلهة.

٩أما طردتم كهنة الرب بني هارون واللاويين وعملتم لأنفسكم كهنة كشعوب الأراضي كل من أتى ليملأ يده بثور ابن بقر وسبعة كباش صار كاهنا للذين ليسوا آلهة!.

١٠وأما نحن فالرب هو إلهنا ولم نتركه. والكهنة الخادمون الرب هم بنو هارون واللاويون في العمل.

١١ويوقدون للرب محرقات كل صباح ومساء وبخور أطياب وخبز الوجوه على المائدة الطاهرة ومنارة الذهب وسرجها للإيقاد كل مساء لأننا نحن حارسون حراسة الرب إلهنا. وأما أنتم فقد تركتموه.

١٢وهوذا معنا الله رئيسا وكهنته وأبواق الهتاف للهتاف عليكم. فيا بني إسرائيل لا تحاربوا الرب إله آبائكم لأنكم لا تفلحون].

يربعام يحاول خداع أبيام ولكنه يفشل وينهزم هو وجيشه:

١٣ولكن يربعام جعل الكمين يدور ليأتي من خلفهم. فكانوا أمام يهوذا والكمين خلفهم.

١٤فالتفت يهوذا وإذا الحرب عليهم من قدام ومن خلف. فصرخوا إلى الرب وبوق الكهنة بالأبواق ١٥وهتف رجال يهوذا. ولما هتف رجال يهوذا ضرب الله يربعام وكل إسرائيل أمام أبيا ويهوذا. ١٦فانهزم بنو إسرائيل من أمام يهوذا ودفعهم الله ليدهم. ١٧وضربهم أبيا وقومه ضربة عظيمة فسقط قتلى من إسرائيل خمس مئة ألف رجل مختار.

١٨فذل بنو إسرائيل في ذلك الوقت وتشجع بنو يهوذا لأنهم اتكلوا على الرب إله آبائهم.

١٩وطارد أبيا يربعام وأخذ منه مدنا: بيت إيل وقراها ويشانة وقراها وعفرون وقراها. ٢٠ولم يقو يربعام بعد في أيام أبيا فضربه الرب ومات)[(١)].

وبعد موت يربعام خلفه في الملك إبنه ناداب، ولم يستمر ملك غير عامين ثم تمرد عليه بعشا بن أخيا وقام بثورة أطاحت بملكه، وقتله وتوج نفسه ملكا على إسرائيل، جاء في سفر الملوك الأول:(٢٥ وملك ناداب بن يربعام على إسرائيل في السنة الثانية لآسا ملك يهوذا، فملك على إسرائيل سنتين. ٢٦وعمل الشر في عيني الرب وسار في طريق أبيه وفي خطيته التي جعل بها إسرائيل يخطئ.

ثورة بعشا وقضاؤه الكامل على بيت يربعام:

٢٧وفتن عليه-وتمرد عليه- بعشا بن أخيا من بيت يساكر، وضربه بعشا في جبثون التي للفلسطينيين. وكان ناداب وكل إسرائيل محاصرين جبثون. ٢٨وأماته بعشا في السنة

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(١٣).

الثالثة لآسا ملك يهوذا وملك عوضا عنه. ٢٩ولما ملك ضرب كل بيت يربعام. لم يبق نسمة ليربعام حتى أفناهم حسب كلام الرب الذي تكلم به عن يد عبده أخيا الشيلوني ـ ٣٠لأجل خطايا يربعام التي أخطأها والتي جعل بها إسرائيل يخطئ بإغاظته التي أغاظ بها الرب إله إسرائيل. ٣١وبقية أمور ناداب وكل ما عمل مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل)[١].

وكان آسا بن أبيام قد تولى الملك على يهوذا خلفا لأبيه، استمرت رحى الحروب دائرة بين مملكة يهوذا بقيادة آسا، ومملكة إسرائيل بقيادة بعشا،جاء في نفس السفر السابق:(١٦وكانت حرب بين آسا وبعشا ملك إسرائيل كل أيامهما.

الملك بعشا يتولى قيادة الجيش المحارب لمملكة يهوذا بقيادة الملك آسا:

١٧وصعد بعشا ملك إسرائيل على يهوذا وبنى الرامة لكي لا يدع أحدا يخرج أو يدخل إلى آسا ملك يهوذا.

ملك يهوذا آسا يتحالف مع بنهدد ملك أرام لقتال بعشا ملك إسرائيل:

١٨وأخذ آسا جميع الفضة والذهب الباقية في خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك ودفعها ليد عبيده، وأرسلهم الملك آسا إلى بنهدد بن طبريمون بن حزيون ملك أرام الساكن في دمشق قائلا: ١٩[إن بيني وبينك وبين أبي وأبيك عهدا. هوذا قد أرسلت لك هدية من فضة وذهب، فتعال انقض عهدك مع بعشا ملك إسرائيل فيصعد عني].

جيوش أرام تغزو مدن إسرائيل:

٢٠فسمع بنهدد للملك آسا وأرسل رؤساء الجيوش التي له على مدن إسرائيل، وضرب عيون ودان وآبل بيت معكة وكل كنروت مع كل أرض نفتالي.

(١) سفر الملوك الأول، أصحاح(١٥).

الملك بعشا ينزجر ويكف عن بناء الرامة:

٢١ولما سمع بعشا كف عن بناء الرامة وأقام في ترصة.

٢٢فاستدعى الملك آسا كل يهوذا. لم يكن بريء. فحملوا كل حجارة الرامة وأخشابها التي بناها بعشا، وبنى بها الملك آسا جبع بنيامين والمصفاة.)[١].

وبعد أن مات بعشا خلفه أبنه أيله بن بعشا فأصبح ملكا على إسرائيل، ولم يلبث إلا وتمرد عليه زمري وقتله وتولى الملك بدلا منه، جاء في سفر أخبار الملوك الأول:(٨وفي السنة السادسة والعشرين لآسا ملك يهوذا ملك أيلة بن بعشا على إسرائيل في ترصة سنتين. ٩ففتن عليه عبده زمري رئيس نصف المركبات، وهو في ترصة يشرب ويسكر في بيت أرصا الذي على البيت في ترصة.

ثورة زمري على أيله بن بعشا وقتله وانتزاع الملك منه:

١٠فدخل زمري وضربه، فقتله في السنة السابعة والعشرين لآسا ملك يهوذا، وملك عوضا عنه.

١١وعند تملكه وجلوسه على كرسيه ضرب كل بيت بعشا. لم يبق له ذكرا، مع أوليائه وأصحابه. ١٢فأفنى زمري كل بيت بعشا حسب كلام الرب الذي تكلم به على بعشا عن يد ياهو النبي.

١٣لأجل كل خطايا بعشا، وخطايا أيلة ابنه التي أخطئا بها وجعلا إسرائيل يخطئ لإغاظة الرب إله إسرائيل بأباطيلهم)[٢].

ولم يستمر ملك زمري سوى سبعة أيام حتى سمع الجيش المرابط على حصار المدينة الفلسطينية جبثون، فنصب الجيش قائدهم عمري ملكا عليهم، وزحفوا على زمري،

(١) سفر الملوك الأول،أصحاح(١٥). وانظر سفر أخبار الأيام الثاني،أصحاح(١٦).

(٢) سفر الملوك الأول،أصحاح(١٦).

وانتحر زمري، جاء في سفر الملوك الأول:(١٥في السنة السابعة والعشرين لآسا ملك يهوذا ملك زمري سبعة أيام في ترصة. وكان الشعب نازلا على جبثون التي للفلسطينيين. ١٦فسمع الشعب النازلون من يقول: [قد فتن زمري وقتل أيضا الملك].

ثورة الجيش بقيادة عمري على زمري:

فملك كل إسرائيل عمري رئيس الجيش على إسرائيل في ذلك اليوم في المحلة.

١٧وصعد عمري وكل إسرائيل معه من جبثون وحاصروا ترصة.

١٨ولما رأى زمري أن المدينة قد أخذت دخل إلى قصر بيت الملك وأحرق على نفسه بيت الملك بالنار، فمات...

انقسام الشعب:

٢١حينئذ انقسم شعب إسرائيل نصفين، فنصف الشعب كان وراء تبني بن جينة لتمليكه، ونصفه وراء عمري. ٢٢وقوي الشعب الذي وراء عمري على الشعب الذي وراء تبني بن جينة، فمات تبني وملك عمري)[١].

ومات عمري وخلفه أبنه أخآب على ملك مملكة إسرائيل، ومات ملك يهوذا أسا وخلفه أبنه يهوشافاط على ملك المملكة.

وشرع يهوشافاط بعد توليه الملك في إعداد جيش قوي لمحاربة إسرائيل،وحصن المدن وأقام معسكرات الجند في سائر مملكته، ولكن بعد أن أصبح قويا جدا حتى هابته الأمم المجاورة خفف حدة العداء بين المملكتين،وبادر بزيارة للسلام لمملكة إسرائيل وصاهر الملك أخاب، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(١ وملك يهوشافاط ابنه عوضا عنه وتشدد على إسرائيل. ٢وجعل جيشا في جميع مدن يهوذا الحصينة وجعل وكلاء في أرض يهوذا وفي مدن أفرايم التي أخذها آسا أبوه.

(١) سفر الملوك الأول، أصحاح(١٦).

٣وكان الرب مع يهوشافاط لأنه سار في طرق داود أبيه الأولى ولم يطلب البعليم. ٤ولكنه طلب إله أبيه وسار في وصاياه لا حسب أعمال إسرائيل. ٥فثبت الرب المملكة في يده وقدم كل يهوذا هدايا ليهوشافاط. وكان له غنى وكرامة بكثرة. ٦وتقوى قلبه في طرق الرب ونزع أيضا المرتفعات والسواري من يهوذا)[١].

الملك يهوشافاط يزور إسرائيل:

جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(وكان ليهوشافاط غنى وكرامة بكثرة. وصاهر أخآب. ٢ونزل بعد سنين إلى أخآب إلى السامرة فذبح أخآب غنما وبقرا بكثرة له وللشعب الذي معه...)[٢].

مصالحة وتحالف حربي فاشل بين يهوشافاط ملك يهوذا وأخآب ملك إسرائيل:

ووقع يهوشافاط معاهدة صلح مع ملك أخاب إسرائيل،جاء في سفر الملوك الأول: (٤٤وصالح يهوشافاط ملك إسرائيل - ووقع يهوشافاط معاهدة صلح مع ملك إسرائيل)[٣].

ثم عرض الملك أخاب على الملك يهوشافاط تشكيل حلف عسكري ضد مملكة أرام، فوافق يهوشافاط على هذا الحلف، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(... وأغواه أن يصعد إلى راموت جلعاد-وأغراه أن يذهب معه لمواجهة راموت جلعاد-. ٣وقال أخآب ملك إسرائيل ليهوشافاط ملك يهوذا: [أتذهب معي إلى راموت جلعاد؟]-أتذهب معي لمحاربة راموت جلعاد- فقال له: [مثلي مثلك وشعبي كشعبك ومعك في القتال)[٤].

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(١٧).

(٢) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(١٨).

(٣) سفر الملوك الأول، أصحاح(٢٢).

(٤) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(١٨).

ثم خاض الجيش التحالف معركة ضد الأراميين، ولكنه انهزم أمامهم وقتل أخاب واستطاع يهوشافاط أن ينجو بنفسه، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(٢٨فصعد ملك إسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا إلى راموت جلعاد. ٢٩وقال ملك إسرائيل ليهوشافاط: [إني أتنكر وأدخل الحرب وأما أنت فالبس ثيابك]. فتنكر ملك إسرائيل ودخلا الحرب.

٣٠وأمر ملك أرام رؤساء المركبات التي له: [لا تحاربوا صغيرا ولا كبيرا إلا ملك إسرائيل وحده].

هروب الملك يهوشافاط من المعركة ونجاته:

٣١فلما رأى رؤساء المركبات يهوشافاط قالوا إنه ملك إسرائيل فحاوطوه للقتال فصرخ يهوشافاط وساعده الرب وحولهم عنه.

٣٢فلما رأى رؤساء المركبات أنه ليس ملك إسرائيل رجعوا عنه.

إصابة الملك أخاب وموته متأثرا بجراحة:

٣٣وإن رجلا نزع في قوسه غير متعمد وضرب ملك إسرائيل بين أوصال الدرع فقال لمدير المركبة: [رد يدك وأخرجني من الجيش لأني قد جرحت].

٣٤واشتد القتال في ذلك اليوم وأوقف ملك إسرائيل في المركبة مقابل أرام إلى المساء ومات عند غروب الشمس)[١].

وخلف أخزيا بن أخآب أباه في الملك بعد مقتله، وبعد أن مات يهوشافاط ملك يهوذا، خلفه أبنه يهورام، وكان حليفا -فيما يبدو- لأخزيا لأنه تزوج أخته[٢]، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(واضطجع يهوشافاط مع آبائه فدفن مع آبائه في مدينة داود وملك يهورام ابنه عوضا عنه.

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(١٨).

(٢) انظر سفر الملوك الثاني، أصحاح(١٦).

٢وكان له إخوة بنو يهوشافاط: عزريا ويحيئيل وزكريا وعزرياهو وميخائيل وشفطيا. كل هؤلاء بنو يهوشافاط ملك إسرائيل.

٣وأعطاهم أبوهم عطايا كثيرة من فضة وذهب وتحف مع مدن حصينة في يهوذا. وأما المملكة فأعطاها ليهورام لأنه البكر.

يهورام يقتل جميع إخوته بعد أن تمكن في الملك خوفا من تمردهم:

٤ فقام يهورام على مملكة أبيه وتشدد وقتل جميع إخوته بالسيف وأيضا بعضا من رؤساء إسرائيل)[(١)].

وخلف يهورام بن أخآب أخاه أخزيا بعد وفاته، وذلك في السنة الثانية من حكم يهوشافاط ملك يهوذا[(٢)].

وكان يهورام بن أخآب قد طلب من يهوشافاط بن أسا أن يعقد معه تحالفا عسكريا بالإضافة لملك أدوم لتحارب الجيوش الثلاثة ملك موآب المتمرد على يهورام بن أخاب ملك إسرائيل.

يهورام بن أخآب يطلب التحالف العسكري مع يهوشافاط وملك أدوم ضد ملك موآب المتمرد عليه والممتنع من دفع الجزية له:

(٤وكان ميشع ملك موآب صاحب مواش، فأدى لملك إسرائيل مئة ألف خروف ومئة ألف كبش بصوفها. ٥وعند موت أخآب عصى ملك موآب على ملك إسرائيل. ٦وخرج الملك يورام في ذلك اليوم من السامرة وعد كل إسرائيل.

---

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٢١).

(٢) سفر الملوك الثاني، أصحاح(١٧).

انضمام قوات يهوشافاط ملك يهوذا وملك أدوم إلى قوات يهورام بن أخاب ملك إسرائيل:

٧وذهب وأرسل إلى يهوشافاط ملك يهوذا يقول: [قد عصى علي ملك موآب. فهل تذهب معي إلى موآب للحرب؟] فقال: [أصعد. مثلي مثلك. شعبي كشعبك وخيلي كخيلك].

٨فقال: [من أي طريق نصعد؟]. فقال: [من طريق برية أدوم]. ٩فذهب ملك إسرائيل وملك يهوذا وملك أدوم وداروا مسيرة سبعة أيام. ولم يكن ماء للجيش والبهائم التي تبعتهم.

١٠فقال ملك إسرائيل: [آه على أن الرب قد دعا هؤلاء الثلاثة الملوك ليدفعهم إلى يد موآب!].

١١فقال يهوشافاط: [أليس هنا نبي للرب فنسأل الرب به؟] فأجاب واحد من عبيد ملك إسرائيل وقال: [هنا أليشع بن شافاط الذي كان يصب ماء على يدي إيليا].

١٢فقال يهوشافاط: [عنده كلام الرب]. فنزل إليه ملك إسرائيل ويهوشافاط وملك أدوم.

النبي أليشع يتنبأ بنصر التحالف:

١٣فقال أليشع لملك إسرائيل: [ما لي ولك! اذهب إلى أنبياء أبيك وإلى أنبياء أمك]. فقال له ملك إسرائيل: [كلا. لأن الرب قد دعا هؤلاء الثلاثة الملوك ليدفعهم إلى يد موآب].

١٤فقال أليشع: [حي هو رب الجنود الذي أنا واقف أمامه إنه لولا أني رافع وجه يهوشافاط ملك يهوذا لما كنت أنظر إليك ولا أراك.

١٥والآن فأتوني بعواد]. ولما ضرب العواد بالعود كانت عليه يد الرب.

١٦فقال: [هكذا قال الرب: اجعلوا هذا الوادي حفرا حفرا.

١٧لأنه هكذا قال الرب: لا ترون ريحا ولا ترون مطرا وهذا الوادي يمتلئ ماء، فتشربون أنتم وماشيتكم وبهائمكم.

١٨وذلك يسير في عيني الرب، فيدفع موآب إلى أيديكم.

١٩فتضربون كل مدينة محصنة وكل مدينة مختارة وتقطعون كل شجرة طيبة وتطمون جميع عيون الماء وتفسدون كل حقلة جيدة بالحجارة].

٢٠وفي الصباح عند إصعاد التقدمة إذا مياه آتية عن طريق أدوم، فامتلأت الأرض ماء.

التحالف ينتصر على الموآبيين:

٢١ولما سمع كل الموآبيين أن الملوك قد صعدوا لمحاربتهم جمعوا كل متقلدي السلاح فما فوق، ووقفوا على التخم.

٢٢وبكروا صباحا والشمس أشرقت على المياه، ورأى الموآبيون مقابلهم المياه حمراء كالدم. ٢٣فقالوا: [هذا دم! قد تحارب الملوك وضرب بعضهم بعضا، والآن فإلى النهب يا موآب].

٢٤وأتوا إلى محلة إسرائيل، فقام إسرائيل وضربوا الموآبيين فهربوا من أمامهم، فدخلوها وهم يضربون الموآبيين.

٢٥وهدموا المدن، وكان كل واحد يلقي حجره في كل حقلة جيدة حتى ملأوها، وطموا جميع عيون الماء وقطعوا كل شجرة طيبة. ولكنهم أبقوا في [قير حارسة] حجارتها. واستدار أصحاب المقاليع وضربوها.

٢٦فلما رأى ملك موآب أن الحرب قد اشتدت عليه أخذ معه سبع مئة رجل مستلي السيوف ليشقوا إلى ملك أدوم، فلم يقدروا.

٢٧فأخذ ابنه البكر الذي كان ملك عوضا عنه وأصعده محرقة على السور. فكان غيظ عظيم على إسرائيل. فانصرفوا عنه ورجعوا إلى أرضهم)[١].

ثم انضم أخزيا بن يهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا، مع صهره يهورام بن أخاب بن عمري ملك إسرائيل، في حلف عسكري لمحاربة حزائيل ملك أرام في راموت جلعاد، وانهزم التحالف، جاء في سفر الملوك الثاني:(٢٥في السنة الثانية عشرة ليورام بن أخآب ملك إسرائيل، ملك أخزيا بن يهورام ملك يهوذا. ٢٦وكان أخزيا ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملك، وملك سنة واحدة في أورشليم. واسم أمه عثليا بنت عمري ملك إسرائيل. ٢٧وسار في طريق بيت أخآب، وعمل الشر في عيني الرب كبيت أخآب لأنه كان صهر بيت أخآب.

حلف عسكري بين أخزيا ملك يهوذا ويهورام بن أخاب ملك إسرائيل وجيش التحالف يزحف على أرام:

٢٨وانطلق مع يورام بن أخآب لمقاتلة حزائيل ملك أرام في راموت جلعاد.

إصابة يهورام-يورام-في المعركة:

فضرب الأراميون يورام. ٢٩فرجع يورام الملك ليبرأ في يزرعيل من الجروح التي جرحه بها الأراميون في راموت عند مقاتلته حزائيل ملك أرام.

أخزيا بن يهورام يعود يهورام بن أخاب في مرضه:

ونزل أخزيا بن يهورام ملك يهوذا ليرى يورام بن أخآب في يزرعيل لأنه كان مريضا)[٢].

(١) سفر الملوك الثاني، أصحاح(٣).

(٢) سفر الملوك الثاني، أصحاح(٨).

وفي مزيد عن الأحداث نفسها، جاء في سفر الأخبار الثاني:(١ وملك سكان أورشليم أخزيا ابنه الأصغر عوضا عنه لأن جميع الأولين قتلهم الغزاة الذين جاءوا مع العرب إلى المحلة. فملك أخزيا بن يهورام ملك يهوذا.

٢كان أخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك وملك سنة واحدة في أورشليم واسم أمه عثليا بنت عمري.

٣وهو أيضا سلك في طرق بيت أخآب لأن أمه كانت تشير عليه بفعل الشر. ٤فعمل الشر في عيني الرب مثل بيت أخآب لأنهم كانوا له مشيرين بعد وفاة أبيه لإبادته.

٥فسلك بمشورتهم وذهب مع يورام بن أخآب ملك إسرائيل لمحاربة حزائيل ملك أرام في راموت جلعاد. وضرب الأراميون يورام.

٦فرجع ليبرأ في يزرعيل بسبب الضربات التي ضربوه بها في الرامة عند محاربته حزائيل ملك أرام. ونزل أخزيا بن يهورام ملك يهوذا ليزور يورام بن أخآب في يزرعيل لأنه كان مريضا)[١].

ولأمر أراده الرب يهوه جعل زيارة أخزيا ليهورام سببا في هلاكة ليمسح ياهو ملكا بدلا منه، فكانت ثورة ياهو بن يهوشافاط بن نمشي على يهورام بن أخآب بأمر الرب، جاء في سفر الأخبار الثاني:(٧فمن قبل الله كان هلاك أخزيا بمجيئه إلى يورام.-ولكن الرب شاء أن تكون زيارة أخزيا ليورام سببا في هلاكه-.

الرب يختار ياهو ملكا على إسرائيل:

فإنه حين جاء خرج مع يورام إلى ياهو بن نمشي الذي مسحه الرب لقطع بيت أخآب.

---

(١) سفر الأخبار الثاني، أصحاح(٢٢).

ياهو يغتال أخزيا وقادة يهوذا وأبناء إخوة أخزيا:

٨وإذ كان ياهو يقضي على بيت أخآب وجد رؤساء يهوذا وبني إخوة أخزيا الذين كانوا يخدمون أخزيا فقتلهم.

٩وطلب أخزيا فأمسكوه وهو مختبئ في السامرة وأتوا به إلى ياهو وقتلوه ودفنوه لأنهم قالوا إنه ابن يهوشافاط الذي طلب الرب بكل قلبه. فلم يكن لبيت أخزيا من يقوى على المملكة.

وفي الجانب الآخر وفي الممكلةالجنوبية، أقتنصت عثليا أم أخزيا الفرصة لتكون ملكة على يهوذا فقتلت أبناء النسل الملكي وانتزعت الملك:

١٠ولما رأت عثليا أم أخزيا أن ابنها قد مات قامت وأبادت جميع النسل الملكي من بيت يهوذا.

يهوشبعة بنت الملك يهورام تخبئ يوآش بن أخزيا عن أعين عثليا:

١١أما يهوشبعة بنت الملك فأخذت يهوآش بن أخزيا وسرقته من وسط بني الملك الذين قتلوا وجعلته هو ومرضعته في مخدع السرير وخبأته يهوشبعة بنت الملك يهورام امرأة يهوياداع الكاهن. (لأنها كانت أخت أخزيا) من وجه عثليا فلم تقتله. ١٢وكان معهم في بيت الله مختبئا ست سنين وعثليا مالكة على الأرض)[(١)].

وجاء المزيد من تفصيل قصة مسح ياهو ملكا على إسرائيل في سفر الملوك الثاني:(١ودعا أليشع النبي واحدا من بني الأنبياء وقال له: [شد حقويك وخذ قنينة الدهن هذه بيدك واذهب إلى راموت جلعاد.

(١) سفر الأخبار الثاني، أصحاح(٢٢).

٢وإذا وصلتها فانظر هناك ياهو بن يهوشافاط بن نمشي وادخل وأقمه من وسط إخوته وادخل به إلى مخدع داخل مخدع.

النبي يمسح ياهو ملكا على إسرائيل:

٣ثم خذ قنينة الدهن وصب على رأسه وقل: هكذا قال الرب: قد مسحتك ملكا على إسرائيل. ثم افتح الباب واهرب ولا تنتظر].

٤فانطلق النبي إلى راموت جلعاد ٥ودخل وإذا قواد الجيش جلوس. فقال: [لي كلام معك يا قائد]. فقال ياهو: [مع من منا كلنا]. فقال: [معك أيها القائد].

٦فقام ودخل البيت، فصب الدهن على رأسه وقال له: [هكذا قال الرب إله إسرائيل: قد مسحتك ملكا على شعب الرب إسرائيل.

النبي يأمر ياهو بقتل أخآب وآل بيته:

٧فتضرب بيت أخآب سيدك. وأنتقم لدماء عبيدي الأنبياء ودماء جميع عبيد الرب من يد إيزابل.

٨فيبيد كل بيت أخآب، وأستأصل لأخآب كل ذكر ومحجوز ومطلق في إسرائيل.

٩وأجعل بيت أخآب كبيت يربعام بن نباط وكبيت بعشا بن أخيا.

١٠وتأكل الكلاب إيزابل في حقل يزرعيل وليس من يدفنها]. ثم فتح الباب وهرب.

انضمام قادة الجيش إلى ياهو:

١١وأما ياهو فخرج إلى عبيد سيده فقيل له: [أسلام؟ لماذا جاء هذا المجنون إليك؟] فقال لهم: [أنتم تعرفون الرجل وكلامه]. ١٢فقالوا: [كذب. فأخبرنا]. فقال: [بكذا وكذا قال لي: هكذا قال الرب: قد مسحتك ملكا على إسرائيل]. ١٣فبادر كل واحد وأخذ ثوبه ووضعه تحته على الدرج نفسه، وضربوا بالبوق وقالوا: [قد ملك ياهو].

الثورة على الملك يهورام ومقتله:

١٤وعصى ياهو بن يهوشافاط بن نمشي على يورام. وكان يورام يحافظ على راموت جلعاد هو وكل إسرائيل من حزائيل ملك أرام.

١٥ورجع يورام الملك ليبرأ في يزرعيل من الجروح التي ضربه بها الأراميون حين قاتل حزائيل ملك أرام. فقال ياهو: [إن كان في أنفسكم، لا يخرج منهزم من المدينة لينطلق فيخبر في يزرعيل].

١٦وركب ياهو وذهب إلى يزرعيل، لأن يورام كان مضطجعا هناك. ونزل أخزيا ملك يهوذا ليرى يورام.

١٧وكان الرقيب واقفا على البرج في يزرعيل، فرأى جماعة ياهو عند إقباله، فقال: [إني أرى جماعة]. فقال يورام: [خذ فارسا وأرسله للقائهم فيقول: [أسلام؟].

١٨فذهب راكب الفرس للقائه وقال: [هكذا يقول الملك: أسلام؟] فقال ياهو: [ما لك وللسلام؟ در إلى ورائي!] فقال الرقيب: [قد وصل الرسول إليهم ولم يرجع].

١٩فأرسل راكب فرس ثانيا. فلما وصل إليهم قال: [هكذا يقول الملك: أسلام؟] فقال ياهو: [ما لك وللسلام؟ در إلى ورائي].

٢٠فقال الرقيب: [قد وصل إليهم ولم يرجع. والسوق كسوق ياهو بن نمشي، لأنه يسوق بجنون]. ٢١فقال يورام: [اشدد]. فشدت مركبته، وخرج يورام ملك إسرائيل وأخزيا ملك يهوذا، كل واحد في مركبته، خرجا للقاء ياهو. فصادفاه عند حقلة نابوت اليزرعيلي. ٢٢فلما رأى يورام ياهو قال: [أسلام يا ياهو؟] فقال: [أي سلام ما دام زنى إيزابل أمك وسحرها الكثير؟].

٢٣فرد يهورام يديه وهرب وقال لأخزيا: [خيانة يا أخزيا!].

٢٤فقبض ياهو بيده على القوس وضرب يورام بين ذراعيه، فخرج السهم من قلبه فسقط في مركبته.

٢٥وقال لبدقر ثالثه: [ارفعه وألقه في حصة حقل نابوت اليزرعيلي. واذكر كيف إذ ركبت أنا وإياك معا وراء أخآب أبيه جعل الرب عليه هذا الحكم.

٢٦ألم أر أمسا دم نابوت ودماء بنيه يقول الرب، فأجازيك في هذه الحقلة يقول الرب. فالآن ارفعه وألقه في الحقلة حسب قول الرب].

ياهو يقتل أخزيا ملك يهوذا:

٢٧ولما رأى ذلك أخزيا ملك يهوذا هرب في طريق بيت البستان، فطارده ياهو وقال: [اضربوه]. فضربوه أيضا في المركبة في عقبة جور التي عند يبلعام. فهرب إلى مجدو ومات هناك)[(١)].

ثم توجه ياهو نحو أبناء أخآب السبعين وأمر بقتلهم، جاء في سفر الملوك الثاني:(١وكان لأخآب سبعون ابنا في السامرة. فكتب ياهو رسائل وأرسلها إلى السامرة إلى رؤساء يزرعيل الشيوخ وإلى مربي أخآب قائلا: ٢[فالآن عند وصول هذه الرسالة إليكم، إذ عندكم بنو سيدكم وعندكم مركبات وخيل ومدينة محصنة وسلاح.

٣انظروا الأفضل والأصلح من بني سيدكم واجعلوه على كرسي أبيه وحاربوا عن بيت سيدكم].

٤فخافوا جدا جدا وقالوا: [هوذا ملكان لم يقفا أمامه، فكيف نقف نحن؟] ٥فأرسل الذي على البيت والذي على المدينة والشيوخ والمربون إلى ياهو قائلين: [عبيدك نحن، وكل ما قلت لنا نفعله. لا نملك أحدا. ما يحسن في عينيك فافعله].

---

(١) سفر الملوك الثاني، أصحاح(٩).

٦فكتب إليهم رسالة ثانية قائلا: [إن كنتم لي وسمعتم لقولي، فخذوا رؤوس الرجال بني سيدكم وتعالوا إلي في نحو هذا الوقت غدا إلى يزرعيل]. وبنو الملك سبعون رجلا كانوا مع عظماء المدينة الذين ربوهم.

٧فلما وصلت الرسالة إليهم أخذوا بني الملك وقتلوا سبعين رجلا ووضعوا رؤوسهم في سلال وأرسلوها إليه إلى يزرعيل.

٨فجاء الرسول وأخبره: [قد أتوا برؤوس بني الملك]. فقال: [اجعلوها كومتين في مدخل الباب إلى الصباح].

٩وفي الصباح خرج ووقف وقال لجميع الشعب: [أنتم أبرياء. هئنذا قد عصيت على سيدي وقتلته، ولكن من قتل كل هؤلاء؟.

١٠فاعلموا الآن أنه لا يسقط من كلام الرب إلى الأرض الذي تكلم به الرب على بيت أخآب، وقد فعل الرب ما تكلم به عن يد عبده إيليا]. ١١وقتل ياهو كل الذين بقوا لبيت أخآب في يزرعيل وكل عظمائه ومعارفه وكهنته حتى لم يبق له شاردا.

ياهو يقتل إخوة أخزيا:

١٢ثم قام وجاء سائرا إلى السامرة. وإذ كان عند بيت عقد الرعاة في الطريق ١٣صادف ياهو إخوة أخزيا ملك يهوذا. فقال: [من أنتم؟] فقالوا: [نحن إخوة أخزيا، ونحن نازلون لنسلم على بني الملك وبني الملكة]. ١٤فقال: [أمسكوهم أحياء]. فأمسكوهم أحياء وقتلوهم عند بئر بيت عقد، اثنين وأربعين رجلا ولم يبق منهم أحدا)[(١)].

وبعد سبعة سنين من اغتصاب الملكة عثليا لملك يهوذا، قام يهوداع بثورة عليها وأنهى ملكها، ونصيب يوآش بن أخزيا ملكا مكانها،جاء تفصيل هذه الثورة في سفر أخبار الأيام

(١) سفر الملوك الثاني، أصحاح(١٠).

الثاني:(وفي السنة السابعة تشدد يهوياداع وأخذ معه في العهد رؤساء المئات: عزريا بن يروحام وإسماعيل بن يهوحانان وعزريا بن عوبيد ومعسيا بن عدايا وأليشافاط بن زكري.

يهوياداع يجمع الشعب ويأخذ عليهم العهد بعدم الخيانة:

٢وجالوا في يهوذا وجمعوا اللاويين من جميع مدن يهوذا ورؤوس آباء إسرائيل وجاءوا إلى أورشليم.

٣وقطع كل المجمع عهدا في بيت الله مع الملك. وقال لهم: [هوذا ابن الملك يملك كما تكلم الرب عن بني داود.

الخطة المحكمة لخلع الملكة عثليا:

٤هذا هو الأمر الذي تعملونه. الثلث منكم الذين يدخلون في السبت من الكهنة واللاويين يكونون بوابين للأبواب.

٥والثلث في بيت الملك والثلث في باب الأساس وجميع الشعب في ديار بيت الرب.
٦ولا يدخل بيت الرب إلا الكهنة والذين يخدمون من اللاويين فهم يدخلون لأنهم مقدسون وكل الشعب يحرسون حراسة الرب.

٧ويحيط اللاويون بالملك مستديرين كل واحد سلاحه بيده. والذي يدخل البيت يقتل. وكونوا مع الملك في دخوله وفي خروجه].

اللاويون ينفذون الخطة:

٨فعمل اللاويون وكل يهوذا حسب كل ما أمر به يهوياداع الكاهن. وأخذوا كل واحد رجاله الداخلين في السبت مع الخارجين في السبت لأن يهوياداع الكاهن لم يصرف الفرق.

٩وأعطى يهوياداع الكاهن رؤساء المئات الحراب والمجان والأتراس التي للملك

داود التي في بيت الله.

١٠وأوقف جميع الشعب وكل واحد سلاحه بيده من جانب البيت الأيمن إلى جانب البيت الأيسر حول المذبح والبيت حول الملك مستديرين.

الشعب يتوج يوآش بن أخزيا ملكا:

١١ثم أخرجوا ابن الملك ووضعوا عليه التاج وأعطوه الشهادة وملكوه. ومسحه يهوياداع وبنوه وقالوا: [ليحي الملك!].

موت عثليا:

١٢ولما سمعت عثليا صوت الشعب يركضون ويمدحون الملك دخلت إلى الشعب في بيت الرب. ١٣ونظرت وإذا الملك واقف على منبره في المدخل والرؤساء والأبواق عند الملك وكل شعب الأرض يفرحون وينفخون بالأبواق والمغنون بآلات الغناء والمعلمون التسبيح. فشقت عثليا ثيابها وقالت: [خيانة! خيانة!].

١٤فأخرج يهوياداع الكاهن رؤساء المئات الموكلين على الجيش وقال لهم: [أخرجوها إلى خارج الصفوف والذي يتبعها يقتل بالسيف]. لأن الكاهن قال: [لا تقتلوها في بيت الرب]. ١٥فألقوا عليها الأيادي. ولما أتت إلى مدخل باب الخيل إلى بيت الملك قتلوها هناك.

يهوياداع يأخذ العهد على نفسه لنصرة الملك يوآش:

١٦فقطع يهوياداع عهدا بينه وبين كل الشعب وبين الملك أن يكونوا شعبا للرب)[(١)].

وفي عهد يوآش-يهوآش- بن يهوأحاز بن ياهو ملك إسرائيل، وأمصيا بن يوآش بن أخزيا ملك يهوذا، نشبت الحروب مرة أخرى بين المملكتين، جاء في سفر الملوك

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٢٣).وانظر سفر الملوك الثاني، أصحاح(١١).

الثاني:(١٠ في السنة السابعة والثلاثين ليهوآش ملك يهوذا، ملك يوآش بن يهوأحاز على إسرائيل في السامرة ست عشرة سنة. ١١وعمل الشر في عيني الرب ولم يحد عن جميع خطايا يربعام بن نباط الذي جعل إسرائيل يخطئ، بل سار بها. ١٢وبقية أمور يوآش وكل ما عمل وجبروته وكيف حارب أمصيا ملك يهوذا مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل. ١٣ثم اضطجع يوآش مع آبائه، وجلس يربعام على كرسيه. ودفن يوآش في السامرة مع ملوك إسرائيل)[(١)].

أمصيا بن يوآش ملك يهوذا يتحدى يوآش بن يهوأحاز ملك إسرائيل:

(٨حينئذ أرسل أمصيا رسلا إلى يوآش بن يهوأحاز بن ياهو ملك إسرائيل قائلا: [هلم نتراء مواجهة].

٩فأرسل يوآش ملك إسرائيل إلى أمصيا ملك يهوذا قائلا: [العوسج الذي في لبنان أرسل إلى الأرز الذي في لبنان يقول: أعط ابنتك لابني امرأة. فعبر حيوان بري كان في لبنان وداس العوسج.

١٠إنك قد ضربت أدوم فرفعك قلبك. تمجد وأقم في بيتك. ولماذا تهجم على الشر فتسقط أنت ويهوذا معك؟].

١١فلم يسمع أمصيا. فصعد يوآش ملك إسرائيل وتراءيا مواجهة، هو وأمصيا ملك يهوذا في بيت شمس التي ليهوذا.

هزيمة أمصيا وجيشه وأسره:

١٢فانهزم يهوذا أمام إسرائيل وهربوا كل واحد إلى خيمته. ١٣وأما أمصيا ملك يهوذا ابن يوآش بن أخزيا فأمسكه يوآش ملك إسرائيل في بيت شمس، وجاء إلى أورشليم

(١) سفر الملوك الثاني، أصحاح(١٣).

وهدم سور أورشليم من باب أفرايم إلى باب الزاوية، أربع مئة ذراع.

١٤وأخذ كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك والرهناء ورجع إلى السامرة.

١٥وبقية أمور يوآش التي عمل وجبروته وكيف حارب أمصيا ملك يهوذا مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل. ١٦ثم اضطجع يوآش مع آبائه، ودفن في السامرة مع ملوك إسرائيل. وملك يربعام ابنه عوضا عنه.

الثورة على أمصيا ومقتله:

١٧ وعاش أمصيا بن يهوآش ملك يهوذا بعد وفاة يوآش بن يهوأحاز ملك إسرائيل خمس عشرة سنة. ١٨وبقية أمور أمصيا مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا.

١٩وفتنوا عليه فتنة في أورشليم، فهرب إلى لخيش، فأرسلوا وراءه إلى لخيش وقتلوه هناك.

٢٠وحملوه على الخيل فدفن في أورشليم مع آبائه في مدينة داود. ٢١وأخذ كل شعب يهوذا عزريا وهو ابن ست عشرة سنة وملكوه عوضا عن أبيه أمصيا. ٢٢هو بنى أيلة واستردها ليهوذا بعد اضطجاع الملك مع آبائه)[(١)].

وفي إشارة إلى الحروب التي كانت بين المملكتين، جاء في سفر الملوك الثاني ذكر لبطولات حربية ليربعام الثاني ملك إسرائيل الذي استرجع المدن التي استولى عليها يهوذا: (٢٣في السنة الخامسة عشرة لأمصيا بن يهوآش ملك يهوذا، ملك يربعام بن يوآش ملك إسرائيل في السامرة إحدى وأربعين سنة. ٢٤وعمل الشر في عيني الرب. لم يحد عن شيء من خطايا يربعام بن نباط الذي جعل إسرائيل يخطئ.

٢٥هو رد تخم إسرائيل من مدخل حماة إلى بحر العربة حسب كلام الرب إله إسرائيل

---

(١) سفر لملوك الثاني، أصحاح(١٤).وانظر سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٢٥).

الذي تكلم به عن يد عبده يونان بن أمتاي النبي الذي من جت حافر. ٢٦لأن الرب رأى ضيق إسرائيل مرا جدا. لأنه لم يكن محجوز ولا مطلق وليس معين لإسرائيل. ٢٧ولم يتكلم الرب بمحو اسم إسرائيل من تحت السماء، فخلصهم بيد يربعام ابن يوآش.

٢٨وبقية أمور يربعام وكل ما عمل، وجبروته كيف حارب وكيف استرجع إلى إسرائيل دمشق وحماة التي ليهوذا مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل. ٢٩ثم اضطجع يربعام مع آبائه مع ملوك إسرائيل، وملك زكريا ابنه عوضا عنه)[1].

ومن صور الحروب الداخلية عند شعب الرب،تمرد شلوم بن يابيش على زكريا بن يربعام الثاني ملك إسرائيل واغتصب الملك منه ثورة دموية قتل فيها زكريا، جاء في سفر الملوك الثاني:(٨في السنة الثامنة والثلاثين لعزريا ملك يهوذا، ملك زكريا بن يربعام على إسرائيل في السامرة ستة أشهر. ٩وعمل الشر في عيني الرب كما عمل آباؤه. لم يحد عن خطايا يربعام بن نباط الذي جعل إسرائيل يخطئ.

١٠ففتن عليه شلوم بن يابيش وضربه أمام الشعب فقتله، وملك عوضا عنه. ١١وبقية أمور زكريا مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل. ١٢ذلك كلام الرب الذي كلم به ياهو قائلا: [بنو الجيل الرابع يجلسون لك على كرسي إسرائيل]. وهكذا كان)[2].

وبعد أن تولى الملك شلوم بن يابيش بشهر، تمرد منحيم بن جادي عليه وقام بثورة ضده واغتصب الملك منه، جاء في سفر الملوك الثاني:(١٣شلوم بن يابيش ملك في السنة التاسعة والثلاثين لعزيا ملك يهوذا، وملك شهر أيام في السامرة. ١٤وصعد منحيم بن جادي من ترصة وجاء إلى السامرة، وضرب شلوم بن يابيش في السامرة فقتله

(١) سفر الملوك الثاني، أصحاح(١٤).

(٢) سفر الملوك الثاني، أصحاح(١٥).

وملك عوضا عنه. ١٥وبقية أمور شلوم وفتنته التي فتنها مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل.

منحيم يرتكب الفظائع لتثبيت ملكه:

١٦حينئذ ضرب منحيم تفصح وكل ما بها وتخومها من ترصة. لأنهم لم يفتحوا له. ضربها وشق جميع حواملها)[1].

ولم يدم ملك منحيم طويلا، فقد تمرد فقح بن رمليا على ملك إسرائيل فقحيا بن منحيم واغتصاب الملك منه، جاء في نفس السفر:(٢٣في السنة الخمسين لعزريا ملك يهوذا ملك فقحيا بن منحيم على إسرائيل في السامرة سنتين. ٢٤وعمل الشر في عيني الرب. لم يحد عن خطايا يربعام بن نباط الذي جعل إسرائيل يخطئ.

٢٥ففتن عليه-فثار عليه- فقح بن رمليا ثالثه، وضربه في السامرة في قصر بيت الملك مع أرجوب ومع أرية ومعه خمسون رجلا من بني الجلعاديين. قتله وملك عوضا عنه. ٢٦وبقية أمور فقحيا وكل ما عمل مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل)[2].

ومن الصور التي تبين طبيعة العلاقة بين أمم شعب الرب، تحالف فقح بن رمليا ملك إسرائيل ورصين ملك أرام ضد آحاز بن يوثام ملك يهوذا، جاء في نفس السفر:(١في السنة السابعة عشرة لفقح بن رمليا، ملك آحاز بن يوثام ملك يهوذا. ٢كان آحاز ابن عشرين سنة حين ملك، وملك ست عشرة سنة في أورشليم. ولم يعمل المستقيم في عيني الرب إلهه كداود أبيه، ٣بل سار في طريق ملوك إسرائيل حتى إنه عبر ابنه في النار حسب أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل. ٤وذبح وأوقد على المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء.

تحالف جيش فقح ملك إسرائيل ورصين ملك أرام لمهاجمة يهوذا:

(١) سفر الملوك الثاني،أصحاح(١٥).

(٢) سفر الملوك الثاني،أصحاح(١٥).

٥حينئذ صعد رصين ملك أرام وفقح بن رمليا ملك إسرائيل إلى أورشليم للمحاربة، فحاصروا آحاز ولم يقدروا أن يغلبوه.

الملك رصين يطرد يهوذا من أيلة:

٦في ذلك الوقت أرجع رصين ملك أرام أيلة للأراميين، وطرد اليهود من أيلة. وجاء الأراميون إلى أيلة وأقاموا هناك إلى هذا اليوم.

استنجاد أحاز ملك يهوذا بتغلث فلاسر ملك أشور:

٧وأرسل آحاز رسلا إلى تغلث فلاسر ملك أشور قائلا: [أنا عبدك وابنك. اصعد وخلصني من يد ملك أرام ومن يد ملك إسرائيل القائمين علي]. ٨فأخذ آحاز الفضة والذهب الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك وأرسلها إلى ملك أشور هدية.

٩فسمع له ملك أشور، وصعد ملك أشور إلى دمشق وأخذها وسباها إلى قير، وقتل رصين)[1].

وجاء تفصيل لهذا التحالف في سفر أخبار الأيام الثاني، ولكن مع اختلاف موقف ملك أشور: **هزيمة آحاز من تحالف فقح ورصين:**

(٥فدفعه الرب إلهه ليد ملك أرام فضربوه وسبوا منه سبيا عظيما وأتوا بهم إلى دمشق. ودفع أيضا ليد ملك إسرائيل فضربه ضربة عظيمة.

٦وقتل فقح بن رمليا في يهوذا مئة وعشرين ألفا في يوم واحد ـ الجميع بنو بأس ـ لأنهم تركوا الرب إله آبائهم. ٧وقتل زكري جبار أفرايم معسيا ابن الملك وعزريقام رئيس البيت وألقانة ثاني الملك.

سبي يهوذا إلى إسرائيل:

(١) سفر الملوك الثاني، أصحاح(١٦).

٨وسبى بنو إسرائيل من إخوتهم مئتي ألف من النساء والبنين والبنات ونهبوا أيضا منهم غنيمة وافرة وأتوا بالغنيمة إلى السامرة.

تدخل نبي من أنبياء الرب لإعادة السبي:

٩وكان هناك نبي للرب اسمه عوديد فخرج للقاء الجيش الآتي إلى السامرة وقال لهم: [هوذا من أجل غضب الرب إله آبائكم على يهوذا قد دفعهم ليدكم وقد قتلتموهم بغضب بلغ السماء.

١٠والآن أنتم عازمون على إخضاع بني يهوذا وأورشليم عبيدا وإماء لكم. أما عندكم أنتم آثام للرب إلهكم؟.

١١والآن اسمعوا لي وردوا السبي الذي سبيتموه من إخوتكم لأن حمو غضب الرب عليكم].

إعادة المسبيين:

١٢ثم قام رجال من رؤوس بني أفرايم: عزريا بن يهوحانان وبرخيا بن مشليموت ويحزقيا بن شلوم وعماسا بن حدلاي على المقبلين من الجيش ١٣وقالوا لهم: [لا تدخلون بالسبي إلى هنا لأن علينا إثما للرب وأنتم عازمون أن تزيدوا على خطايانا وعلى إثمنا لأن لنا إثما كثيرا وعلى إسرائيل حمو غضب].

١٤فترك المتجردون السبي والنهب أمام الرؤساء وكل الجماعة. ١٥وقام الرجال المعينة أسماؤهم وأخذوا المسبيين وألبسوا كل عراتهم من الغنيمة وكسوهم وحذوهم وأطعموهم وأسقوهم ودهنوهم وحملوا على حمير جميع المعيين منهم وأتوا بهم إلى أريحا مدينة النخل إلى إخوتهم. ثم رجعوا إلى السامرة.

استنجاد آحاز بملوك أشور:

١٦في ذلك الوقت أرسل الملك آحاز إلى ملوك أشور ليساعدوه.

١٧فإن الأدوميين أتوا أيضا وضربوا يهوذا وسبوا سبيا.

١٨واقتحم الفلسطينيون مدن السواحل وجنوبي يهوذا وأخذوا بيت شمس وأيلون وجديروت وسوكو وقراها وتمنة وقراها وجمزو وقراها وسكنوا هناك.

١٩لأن الرب ذلل يهوذا بسبب آحاز ملك إسرائيل لأنه أجمح يهوذا وخان الرب خيانة.

٢٠فجاء عليه تغلث فلاسر ملك أشور وضايقه ولم يشدده.

٢١لأن آحاز أخذ قسما من بيت الرب ومن بيت الملك ومن الرؤساء وأعطاه لملك أشور ولكنه لم يساعده)[1].

ونختم بنص من النصوص الموضحة لطبيعة الحروب الداخلية، وهو تمرد هوشع بن أيله على فقح بن رمليا ملك إسرائيل واغتصاب الملك منه:

٣٠وفتن هوشع بن أيلة على فقح بن رمليا وضربه فقتله، وملك عوضا عنه في السنة العشرين ليوثام بن عزيا. ٣١وبقية أمور فقح وكل ما عمل مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل)[2].

وبعد فيظهر جليا مما سبق من نصوص العهد القديم، أن طبيعة اليهود ونفسيتهم، هي طبيعة تتسم بالأنانية وحب الذات، وأن المصلحة الشخصية هدف لكل فرد أن يصل إلى السلطة، وإن كانوا يظهرون تلاحما أمام الأعداء، فهو لأجل مصلحة مرجحة لا يمكن أن تتأتى بدون اتحاد الشعب.

ولم يكد يستقر الحكم لأحد من قادة اليهود دون معارض أو متمرد أو محارب

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٢٨).وانظر السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم(٥/ ٦٦).

(٢) سفر الملوك الثاني، أصحاح(١٥)، وعن الخطأ التاريخي في هذا النص،انظر السنن القويم أيضا(٥/ ٤١٨).

بعد خروجهم من أرض مصر، ولم تظهر الحروب الداخلية إلا بعد أن أصبح لليهود كيانات ودول، ففي نهاية عصر القضاة وبداية عصر الملوك ظهرت الصراعات والثورات الداخلية للنزاع على الملك، وثم جاء عصر الانقسام والكبير بعد موت سليمان، واستمرت الحروب الداخلية حتى زالت المملكة الشمالية، ولم يهنأ للملكة الجنوبية بال حتى زالت هي الأخرى.

ولئن زالت الممالك اليهودية عن الوجود في ذلك العصر، إلا أن الصراع على القيادة استمر مع استمرار بقاء اليهود كأقليات عبر التاريخ، حتى وصل إلى العصر الحديث ووصل معه أيضا الصراع على القيادة لهذا الشعب، "فيرى الصهاينة أن أعضاء الجماعات اليهودية عبر تواريخهم، واجهوا دائما مشكلة القيادة ومشكلة من يتحدث باسمهم أمام السلطة الحاكمة، فبعد زوال الممالك اليهودية، أخذت مشكلة القيادة في الظهور بكل أشكاله، إذ تحول كثير من الجماعات اليهودية إلى جماعات وظيفية، وتتسم الجماعة الوظيفية بأن قياداتها تهيمن على أعضائها لأنها عادة جماعة صغيرة عدديا.

وبعد أن حصل اليهود على وعد بلفور لإنشاء وطن قومي لهم، ظهر الصراع الداخلي مجددا على الصعيد العالمي من جهة، وداخل أرض الموعد من جهة أخرى، فعلى الصعيد العالمي نجد إن الصراع أصبح يدور بين أعضاء الجماعات اليهودية بمالهم من مصالح وارتباط وهويات ثقافية متنوعة من جهة وبين المنظمة الصهيونية من جهة أخرى، فالصهيونيون يريدون توظيف كل شيء لمصلحة أرض الموعد، والجماعات الأخرى تنظر لمصالحها الخاصة فقط، وهذا الصراع لا يزال مستمرا.

كما نشب صراع جانبي آخر على قيادة الجماعات بين صهاينة الداخل المستوطنين في أرض الموعد، وصهاينة الخارج الذين يدعون للعودة إلى الوطن، ولا تزال أصداء هذا الصراع مدوية.

ودار صراع ثالث حول القيادة داخل أرض الموعد، وهو صراع ذو أبعاد عديدة، لعدم وجود تجانس كبير بين أعضاء النخبة الحاكمة، ولا داخل أفراد الشعب فيما بينهم،

فمثال ديفيد بن جوريون ومناحم بيجن وشيمون بيريز وإسحاق شامير جاءوا من بولندا، وأمثال حاييم وايزمان وملاديمير جابوتنسكي وليفي إشكول مهاجرون من روسيا، وبيجال آلون وآرييل شارون وإسحاق رابين ولدوا في فلسطين، ودفيد ليفي وشاحل من الدول العربية، وجولدامائير وموشيه أرينز ومائر كاهانا وأبا إيبان من الدول الناطقة بالإنجليزية.

وقد نشب كثير من الصراعات بينهم حول توجه الدولة الصهيونية وقياداتها، فهناك صراع عرقي بين الإشكناز وبقية أفراد اليهود في أرض الموعد من يهود سفارد وعرب وغيرهم، كما يوجد صراع بين المؤسسة العمالية الصهيونية من جهة وبعض كبار الممولين وقادة الاقتصاد الحر ومن يتبعهم من قطاعات شعبية محبطة لا تجد وسيلة للإفصاح عن سخطها من جهة أخرى.

وقد أخذ الصراع بين الدينيين واللادينيين في التصاعد، كما يلاحظ أن هناك صراع أجيال غير واضح على سطح الأحداث، ويطرح كل قطاع من أعضاء النخبة والزعامات نفسه باعتباره الأكثر كفاءة، بل يدور الآن صراع حاد بين القوى الدينية المختلفة من الصهاينة المتدينين والليتوانيين وحبد والسفارد...الخ[1].

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[2].

* * *

(١) الصهيونية والعنف، د.عبدالوهاب المسيري، ص(١٤-٢١).

(٢) الحشر : ١٤.

المطلب الثالث

خصائص الحرب وأساليبها في العهد القديم

أظهرت نصوص الحرب والسلام في العهد القديم خصائص وأساليب كثيرة لهما، حددت عقيدة اليهود فيهما من جهة؛ وصورت كيفية مباشرة شعب الله لهذه الحروب والمعاهدات من جهة أخرى.

وإن المتأمل لهذه النصوص يجد أن أهم خصيصة ظهرت فيها الحروب في العهد القديم أنها حروب دينية مقدسة، لها عمق تاريخي يرجع إلى العهد المبكر للدين اليهودي، فالعبريون هم شعب يهوه وخاصته، وكل حرب يخوضونها بأمر يهوه ولأجله ولتحقيق وعوده، ولذلك كان لهذه الحروب طقوس وأساليب أمرهم الرب يهوه بها، وكان للكهنة الدور البارز في تحرير رغبات الرب وتحديد هذه الطقوس الحربية.

يؤكد هذا المعنى ما تعنيه عبارة " قدسوا حربا " في أسفار الأنبياء، من أنها القيام بالطقوس والشعائر الدينية تمهيدا لدخول الحرب[1]:

جاء في سفر إرمياء:(٤قدسوا عليها حربا. قوموا فنصعد في الظهيرة. ويل لنا لأن النهار مال لأن ظلال المساء امتدت)[2].

وجاء في سفر إرمياء أيضا:(٧وأقدس عليك مهلكين كل واحد وآلاته فيقطعون خيار أرزك ويلقونه في النار)[3].

وجاء في نفس السفر أيضا:(٢٧[ارفعوا الراية في الأرض. اضربوا بالبوق في الشعوب. قدسوا عليها الأمم. نادوا عليها ممالك أراراط ومني وأشكناز. أقيموا عليها

---

(١) انظر دائرة المعارف الكتابية، (٣/ ٥١).

(٢) سفر إرميا، أصحاح (٦).

(٣) سفر إرميا، أصحاح (٢٢).

قائدا. أصعدوا الخيل كغوغاء مقشعرة.٢٨قدسوا عليها الشعوب ملوك مادي ولاتها وكل حكامها وكل أرض سلطانها)[١].

وجاء في سفر ميخا:(٥هكذا قال الرب على الأنبياء الذين يضلون شعبي الذين ينهشون بأسنانهم وينادون: سلام! والذي لا يجعل في أفواههم شيئا يفتحون عليه حربا)[٢].

وجاء في سفر يوئيل:(٩نادوا بهذا بين الأمم. قدسوا حربا. أنهضوا الأبطال. ليتقدم ويصعد كل رجال الحرب)[٣].

وقد بين النبي إشعياء في سفره، كيفية حشد الرب لجيوشه وكيف أنه يستدعي لحرب مقدسة، فقد جاء في السفر المسمى باسمه: (٣أنا أوصيت مقدسي ودعوت أبطالي لأجل غضبي مفتخري عظمتي)[٤].

والسبب في تقديس هذه الحروب – كما هو رأي الدائرة – هو أن المحاربين كانوا يقدسون الرب بالتقدمات والذبائح التي ترفع إليه قبل بدء الحرب[٥].

---

(١) سفر إرميا، أصحاح (٥١).

(٢) سفر ميخا، أصحاح (٣).

(٣) سفر يوئيل، أصحاح (٣).

(٤) سفر إشعياء، (١٣).

(٥) انظر دائرة المعارف الكتابية،(٣/ ٥١).

ويمكن تلخيص أهم الخصائص المتعلقة بالقداسة الدينية للحروب في الآتي:

١- أنه لا يمكن الدخول للمعركة قبل الرجوع إلى الله:

فقد كان يجب الرجوع إلى الله قبل أي معركة، جاء في سفر القضاة:(١٨ فقاموا وصعدوا إلى بيت إيل وسألوا الله وقال بنو إسرائيل من يصعد منا أولا لمحاربة بني بنيامين. فقال الرب يهوذا أولا)[١].

وجاء في سفر صموئيل الأول:(٣٧فسأل شاول الله: أأنحدر وراء الفلسطينيين؟ أتدفعهم ليد إسرائيل؟» فلم يجبه في ذلك اليوم)[٢].

وجاء فيه أيضا:(٢فسأل داود من الرب: أأذهب وأضرب هؤلاء الفلسطينيين؟ فقال الرب لداود: اذهب واضرب الفلسطينيين وخلص قعيلة)[٣].

وجاء فيه أيضا:(٥ولما رأى شاول جيش الفلسطينيين خاف واضطرب قلبه جدا. ٦فسأل شاول من الرب، فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم ـ التمائم ـ ولا بالأنبياء)[٤].

وجاء فيه أيضا:(٨فسأل داود من الرب: إذا لحقت هؤلاء الغزاة فهل أدركهم؟ فقال له: الحقهم فإنك تدرك وتنقذ)[٥].

٢- الثقة بالرب يهوه وحده وليس في تابوت العهد:

ومع أنهم كانوا يعتقدون أن تابوت العهد له قوة خاصة تضمن لهم النصر، لأنه كان

(١) سفر القضاة، أصحاح (٢٠).

(٢) سفر صموئيل الأول، أصحاح(١٤).

(٣) سفر صموئيل الأول، أصحاح (٢٣).

(٤) سفر صموئيل الأول، أصحاح (٢٨).

(٥) سفر صموئيل الأول، أصحاح (٣٠).

في نظرهم رمزا لوجود يهوه في وسطهم، لذلك كانوا يحملونه معهم في الحروب[١]، كما جاء في سفر صموئيل الأول:(٣فجاء الشعب إلى المحلة. وقال شيوخ إسرائيل: لماذا كسرنا اليوم الرب أمام الفلسطينيين؟ لنأخذ لأنفسنا من شيلوه تابوت عهد الرب فيدخل في وسطنا ويخلصنا من يد أعدائنا)[٢]، إلا أن شعب الله تعلم فيما بعد أن يضع ثقته في الرب ذاته وليس في أي شيء آخر يرمز لوجوده، فعندما أخذوا التابوت معهم في معركة حجر المعونة، كانت النتيجة وبالا على إسرائيل، إذ أخذ الفلسطينيون التابوت[٣]، جاء في سفر صموئيل الأول:(٤فأرسل الشعب إلى شيلوه وحملوا من هناك تابوت عهد رب الجنود الجالس على الكروبيم[٤]. وكان هناك ابنا عالي حفني وفينحاس مع تابوت عهد الله. ٥وكان عند دخول تابوت عهد الرب إلى المحلة أن جميع إسرائيل هتفوا هتافا عظيما حتى ارتجت الأرض. ٦فسمع الفلسطينيون صوت الهتاف فقالوا: «ما هو صوت هذا الهتاف العظيم في محلة العبرانيين؟» وعلموا أن تابوت الرب جاء إلى المحلة. ٧فخاف الفلسطينيون لأنهم قالوا: «قد جاء الله إلى المحلة». وقالوا: «ويل لنا لأنه لم يكن مثل هذا منذ أمس ولا ما قبله! ٨ويل لنا! من ينقذنا من يد هؤلاء الآلهة القادرين؟ هؤلاء هم الآلهة الذين ضربوا مصر بجميع الضربات في البرية. ٩تشددوا وكونوا رجالا أيها الفلسطينيون لئلا تستعبدوا للعبرانيين كما استعبدوا هم لكم. فكونوا رجالا وحاربوا». ١٠فحارب الفلسطينيون، وانكسر إسرائيل وهربوا كل واحد إلى خيمته. وكانت الضربة عظيمة جدا. وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف راجل. ١١وأخذ تابوت الله. ومات ابنا عالي حفني وفينحاس)[٥].

(١) انظر دائرة المعارف الكتابية، (٣/ ٥١).

(٢) سفر صموئيل الأول، أصحاح (٤).

(٣) دائرة المعارف الكتابية،(٣/ ٥١).

(٤) مرت ترجمتهم ص (١١٠).

(٥) سفر صموئيل الأول، أصحاح (٤).

وفي بعض الأحيان كان شعب الرب يحقق بعض الانتصارات على الأعداء بتابوت العهد فقط دون أدنى محاربة منهم، حدث ذلك في مخماس حيث لحقت الهزيمة بالفلسطينيين عند دفع الكاهن بتابوت العهد في ميدان المعركة(1)، جاء في صموئيل الأول: (١٨فقال شاول لأخيا: «قدم تابوت الله». لأن تابوت الله كان في ذلك اليوم مع بني إسرائيل. ١٩وفيما كان شاول يتكلم بعد مع الكاهن، تزايد الضجيج الذي في محلة الفلسطينيين وكثر. فقال شاول للكاهن: «كف يدك». ٢٠وصاح شاول وجميع الشعب الذي معه وجاءوا إلى الحرب، وإذا بسيف كل واحد على صاحبه. اضطراب عظيم جدا. ٢١والعبرانيون الذين كانوا مع الفلسطينيين منذ أمس وما قبله، الذين صعدوا معهم إلى المحلة من حواليهم، صاروا هم أيضا مع إسرائيل الذين مع شاول ويوناثان. ٢٢وسمع جميع رجال إسرائيل الذين اختبأوا في جبل أفرايم أن الفلسطينيين هربوا، فشدوا هم أيضا وراءهم في الحرب.٢٣فخلص الرب إسرائيل في ذلك اليوم)(2).

٣- استشارة الرب بالسؤال عن إرادته قبل الدخول إلى المعركة:

وكان من الطقوس الدينية قبل بداية القتال والتحام الجيوش لأي حرب يخوضها شعب الرب استشارة الرب لمعرفة إرادته في الأمر، جاء في سفر القضاة:(٢٣ ثم صعد بنو إسرئيل وبكوا أمام الرب إلى السماء وسألوا الرب قائلين هل أعود أتقدم لمحاربة بني بنيامين أخي. فقال الرب اصعدوا إليه... ٢٧ وسأل بنو إسرائيل الرب. وهناك تابوت عهد الله في تلك الأيام. ٢٨ وفينحاس بن أليعازر بن هرون واقف أمامه في تلك الأيام. قائلين أأعود أيضا للخروج لمحاربة بني بنيامين أخي أم أكف. فقال اصعدوا لأني غدا أدفعهم ليدك)(3)(4).

---

(١) دائرة المعارف الكتابية، (٣/ ٥١).

(٢) سفر صموئيل الأول، أصحاح(١٤).

(٣) سفر القضاة، أصحاح (٢٠).

(٤) انظر قاموس الكتاب المقدس، مادة حرب،(٢٩٦).

وكذلك فعل داود عندما أراد أن يلحق بالغزاة استشار الرب، جاء في سفر صموئيل الأول:(٨فسأل داود من الرب: «إذا لحقت هؤلاء الغزاة فهل أدركهم؟» فقال له: «الحقهم فإنك تدرك وتنقذ)[١].

وفي العصور اللاحقة أيضا كان شعب الرب يسأل الأنبياء لمعرفة إرادة الرب قبل الدخول في الحرب مع الأعداء[٢]، جاء في سفر الملوك الأول:(٤وقال ليهوشافاط: [أتذهب معي للحرب إلى راموت جلعاد؟] فقال يهوشافاط لملك إسرائيل: [مثلي مثلك. شعبي كشعبك وخيلي كخيلك]. ٥ثم قال يهوشافاط لملك إسرائيل: [اسأل اليوم عن كلام الرب)[٣].

وجاء في سفر الملوك الثاني:(١١فقال يهوشافاط: [أليس هنا نبي للرب فنسأل الرب به؟] فأجاب واحد من عبيد ملك إسرائيل وقال: [هنا أليشع بن شافاط الذي كان يصب ماء على يدي إيليا)[٤].

٤ - تذكير الكهنة للشعب بأهمية استشعار حضور الرب في المعارك ومعونته:

وكان الكهنة المرافقون لجيش شعب الرب يذكرونهم في كل حروبهم بأن الرب(يهوه) معهم ليحارب عنهم[٥]، جاء في سفر التثنية:(١ إذا خرجت للحرب على عدوك ورأيت خيلا ومراكب قوما أكثر منك فلا تخف منهم لأن معك الرب إلهك الذي أصعدك من أرض مصر. ٢وعندما تقربون من الحرب يتقدم الكاهن ويقول للشعب: ٣اسمع يا إسرائيل: أنتم قربتم اليوم من الحرب على أعدائكم. لا تضعف قلوبكم. لا تخافوا ولا

---

(١) سفر صموئيل الأول، أصحاح(٣٠).

(٢) انظر دائرة المعارف الكتابية، مادة حرب (٣/ ٥١).

(٣) سفر الملوك الأول، أصحاح (٢٢).

(٤) سفر لملوك الثاني، أصحاح (٣).

(٥) انظر معجم اللاهوت الكتابي، مادة حرب، (٢٥٩). وانظر دائرة المعارف الكتابية مادة حرب (٣/ ٥١).

ترتعدوا ولا ترهبوا وجوههم ٤لأن الرب إلهكم سائر معكم ليحارب عنكم أعداءكم ليخلصكم)[١].

وعندما كان العدو يقترب جدا إلى المعركة، كان الكاهن أو القائد يشجع الشعب بتذكيرهم بحضور الله ومعونته[٢]، جاء في سفر التثنية:(٢ وعندما تقربون من الحرب يتقدم الكاهن ويقول للشعب: ٣ اسمع يا إسرائيل: أنتم قربتم اليوم من الحرب على أعدائكم. لا تضعف قلوبكم. لا تخافوا ولا ترتعدوا ولا ترهبوا وجوههم ٤ لأن الرب إلهكم سائر معكم ليحارب عنكم أعداءكم ليخلصكم)[٣].

٥- تقديم الذبائح والقرابين للرب والصيام:

جرت العادة أن يقدموا ذبائح قبل حملاتهم العسكرية أو التحامهم بالأعداء أو إذا بدت علامات الهزيمة عليهم[٤]، جاء في سفر القضاة:(٢٦فصعد جميع بني إسرائيل وكل الشعب وجاءوا إلى بيت إيل وبكوا وجلسوا هناك أمام الرب وصاموا ذلك اليوم إلى المساء وأصعدوا محرقات وذبائح سلامة أمام الرب)[٥].

وجاء في سفر صموئيل الأول:(٨وقال بنو إسرائيل لصموئيل: «لا تكف عن الصراخ من أجلنا إلى الرب إلهنا فيخلصنا من يد الفلسطينيين». ٩فأخذ صموئيل حملا رضيعا وأصعده محرقة بتمامه للرب. وصرخ صموئيل إلى الرب من أجل إسرائيل فاستجاب له الرب. ١٠وبينما كان صموئيل يصعد المحرقة تقدم الفلسطينيون لمحاربة إسرائيل، فأرعد

(١) سفر التثنية أصحاح (٢٠).

(٢) انظر دائرة المعارف الكتابية، مادة حرب(٣/ ٥٢).

(٣) سفر التثنية، أصحاح (٢٠).

(٤) انظر قاموس الكتاب المقدس، (٢٩٦). وانظر دائرة المعارف الكتابية، مادة حرب(٣/ ٥١).

(٥) سفر القضاة، أصحاح، (٢٠).

الرب بصوت عظيم في ذلك اليوم على الفلسطينيين وأزعجهم، فانكسروا أمام إسرائيل)[1].

وجاء في السفر نفسه: (٩فقال شاول: «قدموا إلي المحرقة وذبائح السلامة». فأصعد المحرقة)[2].

٦- طلب معونة الرب بالصلاة:

وكانوا أيضا يطلبون معونة الله بالصلاة أحيانا[3]، جاء في سفر أخبار الملوك الثاني:(٥ فوقف يهوشافاط في جماعة يهوذا وأورشليم في بيت الرب أمام الدار الجديدة ٦وقال: يا رب إله آبائنا أما أنت هو الله في السماء وأنت المتسلط على جميع ممالك الأمم وبيدك قوة وجبروت وليس من يقف معك؟ ٧ألست أنت إلهنا الذي طردت سكان هذه الأرض من أمام شعبك إسرائيل وأعطيتها لنسل إبراهيم خليلك إلى الأبد ٨فسكنوا فيها وبنوا لك فيها مقدسا لاسمك قائلين: ٩إذا جاء علينا شر سيف قضاء أو وبأ أو جوع ووقفنا أمام هذا البيت وأمامك لأن اسمك في هذا البيت وصرخنا إليك من ضيقنا فإنك تسمع وتخلص؟ ١٠والآن هوذا بنو عمون وموآب وجبل ساعير الذين لم تدع إسرائيل يدخلون إليهم حين جاءوا من أرض مصر بل مالوا عنهم ولم يهلكوهم ١١فهوذا هم يكافئوننا بمجيئهم لطردنا من ملكك الذي ملكتنا إياه. ١٢يا إلهنا أما تقضي عليهم لأنه ليس فينا قوة أمام هذا الجمهور الكثير الآتي علينا ونحن لا نعلم ماذا نعمل ولكن نحوك أعيننا)[4].

وفيما يتعلق بالخصائص الأخرى المتعلقة بكيفية مباشرة شعب الرب للحروب، نجد أن شعب الرب قد مارس وطبق كل الأساليب الحربية التي كانت تمارسها وتطبقها بقية

(١) سفر صموئيل الأول، أصحاح (٧).

(٢) سفر صموئيل الأول، أصحاح (١٣).

(٣) انظر قاموس الكتاب المقدس، (٢٩٦).

(٤) سفر أخبار الملوك الثاني،أصحاح (٢٠).

الشعوب والأمم المجاورة له، فقد أرسل الجواسيس لمعرفة حالة الأمم المعادية وجيوشها، وبنى الحصون والقلاع وحصنها بالمتاريس، ليصد هجوم الجيوش المعادية، وصنع آلات القتال المعروفة في العصور التي حارب فيها، ووضع الخطط الحربية لبدايات القتال والانسحاب الخادع للعدو، ووضع الكمائن للإجهاز على العدو، وقاتل بشراسة في ميدان المعركة، وطارد أعداءه ولحق بفلول الجيوش الهاربة، وعند انتصاره على العدو، قضى على حي من البهائم البشر وأحرق كل شي في دياره -وهو التحريم- وغنم الأسلاب والغنائم.....الخ، كل ذلك وغيره أثبته العهد القديم وبينه بيانا واضحا، أظهر وجود الحرب بخصائص كثيرة منها ما وافق بقية الأمم المجاورة ومنها ما انفرد به شعب الرب وهو كون هذه الحروب حروبا للرب نفسه.

ويمكن تحديد هذه الخصائص والأساليب المتعلقة بالحروب في الآتي:

١- إرسال الجواسيس وتحديد مهامهم واستشارة الأنبياء والعرافين:

كما فعل موسى حيث أرسل الجواسيس بأمر الرب لاستكشاف أرض كنعان قبل دخولها، جاء في سفر العدد:

(١ثم قال الرب لموسى: ٢أرسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل. رجلا واحدا لكل سبط من آبائه ترسلون. كل واحد رئيس فيهم. ٣فأرسلهم موسى من برية فاران حسب قول الرب. كلهم رجال هم رؤساء بني إسرائيل ١٧فأرسلهم موسى ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم: اصعدوا من هنا إلى الجنوب واطلعوا إلى الجبل ١٨وانظروا الأرض ما هي؟ والشعب الساكن فيها أقوي هو أم ضعيف؟ قليل أم كثير؟ ١٩وكيف هي الأرض التي هو ساكن فيها أجيدة أم رديئة؟ وما هي المدن التي هو ساكن فيها أمخيمات أم حصون؟ ٢٠وكيف هي الأرض أسمينة أم هزيلة؟ أفيها شجر أم لا؟ وتشددوا فخذوا من ثمر الأرض.

ثم جاء الجواسيس بتقرير استكشاف الأرض:

٢٧وقالوا: قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها وحقا إنها تفيض لبنا وعسلا وهذا ثمرها. ٢٨غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جدا. وأيضا قد رأينا بني عناق هناك. ٢٩العمالقة ساكنون في أرض الجنوب والحثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون في الجبل والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن)[١].

وفي سفر التثنية أفصح موسى ارتياحه لإرسال الجواسيس لأرض كنعان قبل دخولها، لمعرفة حالة الأرض، وكان بعد أن أشار عليه شعب الرب بذلك:(٢٢فتقدمتم إلي جميعكم وقلتم: دعنا نرسل رجالا قدامنا ليتجسسوا لنا الأرض ويردوا إلينا خبرا عن الطريق التي نصعد فيها والمدن التي نأتي إليها. ٢٣فحسن الكلام لدي فأخذت منكم اثني عشر رجلا. رجلا واحدا من كل سبط. ٢٤فانصرفوا وصعدوا إلى الجبل وأتوا إلى وادي أشكول وتجسسوه ٢٥وأخذوا في أيديهم من أثمار الأرض ونزلوا به إلينا وردوا لنا خبرا وقالوا: جيدة هي الأرض التي أعطانا الرب إلهنا)[٢].

وكذلك فعل النبي يشوع وأرسل الجواسيس قبل دخوله أريحا فاتحا لها، جاء في سفر يشوع:(١فأرسل يشوع بن نون من شطيم رجلين جاسوسين سرا، قائلا: اذهبا انظرا الأرض وأريحا.

وتطور الأمر إلى حد استعانة الجاسوسين بامرأة زانية اسمها راحاب:

فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب واضطجعا هناك. ٢فقيل لملك أريحا: هوذا قد دخل إلى هنا الليلة رجلان من بني إسرائيل ليتجسسا الأرض...

(١) سفر العدد، أصحاح(١٠).

(٢) سفر التثنية، أصحاح (١).

ثم توالت الأحداث وخبأت الزانية الجاسوسين من الملك وأخذت الزانية منهما العهد عند انتصار شعب الرب أن لا يقتلوها:

٩قالت: علمت أن الرب قد أعطاكم الأرض، وأن رعبكم قد وقع علينا، وأن جميع سكان الأرض ذابوا من أجلكم، ١٠لأننا قد سمعنا كيف يبس الرب مياه بحر سوف قدامكم عند خروجكم من مصر، وما عملتموه بملكي الأموريين اللذين في عبر الأردن: سيحون وعوج، اللذين حرمتموهما. ١١سمعنا فذابت قلوبنا ولم تبق بعد روح في إنسان بسببكم، لأن الرب إلهكم هو الله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت. ١٢فالآن احلفا لي بالرب وأعطياني علامة أمانة. لأني قد عملت معكما معروفا. بأن تعملا أنتما أيضا مع بيت أبي معروفا)[١].

وبعد موت يشوع وتقسيم أرض كنعان بين أسباط بني إسرائيل، وتكليف كل سبط أن يطهر أرضه من أيدي العدو، قام سبطي يهوذا وشمعون بما أمر به الرب وهاجموا أهل أرض كنعان، وأرسلوا قبل الغزو رسلا للتجسس واستكشاف مناطق العدو التي يجب الاستيلاء عليها، جاء في سفر القضاة:(٢٢وصعد بيت يوسف أيضا إلى بيت إيل والرب معهم. ٢٣واستكشف بيت يوسف عن بيت إيل (وكان اسم المدينة قبلا لوز). ٢٤فرأى المراقبون رجلا خارجا من المدينة، فقالوا له: «أرنا مدخل المدينة فنعمل معك معروفا». ٢٥فأراهم مدخل المدينة، فضربوا المدينة بحد السيف، وأما الرجل وكل عشيرته فأطلقوهم. ٢٦فانطلق الرجل إلى أرض الحثيين وبنى مدينة ودعا اسمها »لوز» وهو اسمها إلى هذا اليوم)[٢].

---

(١) سفر يشوع، أصحاح (٢).

(٢) سفر القضاة، أصحاح(١).

وعندما تلبس روح الرب بجدعون بعد أن جاءه ملاك الرب فأصبح محاربا جبارا؛ واختار ثلاث مئة مقاتل للقتال، أمره الرب بالتجسس على معسكر المديانيين إن كان خائفا لكي يستمع إلى حديثه فتشتد عزيمته، جاء في سفر القضاة:(٩وكان في تلك الليلة أن الرب قال له: «قم انزل إلى المحلة – وهاجم المعسكر –، لأني قد دفعتها – مزمع أن أسلمه – إلى يدك. ١٠وإن كنت خائفا من النزول–مهاجمة المعسكر–، فانزل– فتسلل– أنت وفورة غلامك إلى المحلة، ١١ وتسمع ما يتكلمون به، وبعد تتشدد يداك–عزيمتك– وتنزل إلى المحلة–وتهجم عللى المعسكر–. فنزل –فتسلل –هو وفورة غلامه إلى آخر المتجهزين الذين في المحلة – وكمن عند طرف المعسكر قريبا من مقر آخر المتجندين–)[1].

وعندما أراد أبناء سبط دان البحث عن مكان يستوطنون فيه، لأنهم لم يقاتلوا لانتزاع أرض ميراثهم ونصيبهم مثلما فعل بقية أسباط إسرائيل، أرسلوا رسلا ليتجسسوا على مدينة لايش قبل الهجوم عليها، جاء في سفر القضاة أيضا:(١ وفي تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل. وفي تلك الأيام كان سبط الدانيين يطلب له ملكا للسكنى. لأنه إلى ذلك اليوم لم يقع له نصيب في وسط أسباط إسرائيل. ٢ فأرسل بنو دان من عشيرتهم خمسة رجال منهم رجالا بني بأس من صرعة ومن أشتأول لتجسس الأرض وفحصها. وقالوا لهم اذهبوا افحصوا الأرض. فجاءوا إلى جبل أفرايم إلى بيت ميخا وباتوا هناك...

التجسس على لايش:

٧ فذهب الخمسة الرجال وجاءوا إلى لايش ورأوا الشعب الذين فيها ساكنين بطمأنينة كعادة الصيدونيين مستريحين مطمئنين وليس في الأرض مؤذ بأمر وارث رياسة وهم بعيدون عن الصيدونيين وليس لهم أمر مع إنسان.)[2].

(١) سفر القضاة، أصحاح ٧.

(٢) سفر القضاة، أصحاح ١٨.

٢- استشارة الأنبياء قبل الحروب:

سواء أكانوا أنبياء كذبة- بحسب عقيدة شعب الرب- أو أنبياء صادقين كـ" ميخا " النبي الذي تنبأ بهزيمة التحالف الذي تم بين ملك يهوذا يهوشافاط وملك إسرائيل أخاب، وذلك بعد أن تنبأ الأنبياء الكذبة[١] بنصرهما وتنبأ هو بالهزيمة لهذا التحالف، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(٤ثم قال يهوشافاط لملك إسرائيل: اسأل اليوم عن كلام الرب]. ٥فجمع ملك إسرائيل الأنبياء أربع مئة رجل وقال لهم: أنذهب إلى راموت جلعاد للقتال أم أمتنع؟] فقالوا: اصعد فيدفعها الله ليد الملك]. ٦فقال يهوشافاط: أليس هنا أيضا نبي للرب فنسأل منه؟] ٧فقال ملك إسرائيل ليهوشافاط: بعد رجل واحد لسؤال الرب به ولكنني أبغضه لأنه لا يتنبأ علي خيرا بل شرا كل أيامه وهو ميخا بن يملة]. فقال يهوشافاط: لا يقل الملك هكذا]. ٨فدعا ملك إسرائيل خصيا وقال: أسرع بميخا بن يملة]. ٩وكان ملك إسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا جالسين كل واحد على كرسيه لابسين ثيابهما وجالسين في ساحة عند مدخل باب السامرة وجميع الأنبياء يتنبأون أمامهما. ١٠وعمل صدقيا بن كنعنة لنفسه قرون حديد وقال: هكذا قال الرب: بهذه تنطح الأراميين حتى يفنوا]. ١١وتنبأ جميع الأنبياء هكذا قائلين: اصعد إلى راموت جلعاد وأفلح فيدفعها الرب ليد الملك.

نبوءة ميخا الصادقة:

١٢وقال الرسول الذي ذهب ليدعو ميخا: هوذا كلام جميع الأنبياء بفم واحد خير للملك. فليكن كلامك كواحد منهم وتكلم بخير]. ١٣فقال ميخا: حي هو الرب إن ما يقوله إلهي فبه أتكلم]. ١٤ولما جاء إلى الملك قال له الملك: يا ميخا أنذهب إلى راموت

(١) يعتقد أهل الكتاب وجود أنبياء كذبة لم يرسلهم الله ولم ينطقوا برسالة من الله بل ينطقون بالكذب من عندهم، انظر على سيل المثال: تث ١٨ : ٢٠، أش: ٩:١٥، حز ١٣ : ٣، ومت ٧: ١٥، وانظر قاموس الكتاب المقدس، مادة نبي، أنبياء.

جلعاد للقتال أم أمتنع؟] فقال: اصعدوا وأفلحوا فيدفعوا ليدكم]. ١٥فقال له الملك: كم مرة أستحلفك أن لا تقول لي إلا الحق باسم الرب!

١٦فقال: رأيت كل إسرائيل مشتتين على الجبال كخراف لا راعي لها. فقال الرب: ليس لهؤلاء أصحاب فليرجعوا كل واحد إلى بيته بسلام].

١٧فقال ملك إسرائيل ليهوشافاط: أما قلت لك إنه لا يتنبأ علي خيرا بل شرا؟

١٨وقال: فاسمع إذا كلام الرب. قد رأيت الرب جالسا على كرسيه وكل جند السماء وقوف عن يمينه وعن يساره. ١٩فقال الرب: من يغوي أخآب ملك إسرائيل فيصعد ويسقط في راموت جلعاد؟ فقال هذا هكذا وقال ذاك هكذا. ٢٠ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال: أنا أغويه. فسأله الرب: بماذا؟] ٢١فقال: أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه]. فقال: إنك تغويه وتقتدر. فاخرج وافعل هكذا.

٢٢والآن هوذا قد جعل الرب روح كذب في أفواه أنبيائك هؤلاء والرب تكلم عليك بشر].

٢٣فتقدم صدقيا بن كنعنة وضرب ميخا على الفك وقال: من أي طريق عبر روح الرب مني ليكلمك؟].

٢٤فقال ميخا: إنك سترى في ذلك اليوم الذي تدخل فيه من مخدع إلى مخدع لتختبئ].

٢٥فقال ملك إسرائيل: خذوا ميخا وردوه إلى أمون رئيس المدينة وإلى يوآش ابن الملك ٢٦وقولوا هكذا يقول الملك: ضعوا هذا في السجن وأطعموه خبز الضيق وماء الضيق حتى أرجع بسلام]. ٢٧فقال ميخا: إن رجعت رجوعا بسلام فلم يتكلم الرب بي]. وقال: اسمعوا أيها الشعوب أجمعون)[1].

---

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(١٨).

٣- استشارة العرافين والسحرة:

كما فعل الملك شاول عندما لجأ إلى عرافة عين دور فقد جاء في سفر صموئيل الأول:(٣ومات صموئيل وندبه كل إسرائيل ودفنوه في الرامة في مدينته. وكان شاول قد نفى أصحاب الجان والتوابع من الأرض. ٤فاجتمع الفلسطينيون وجاءوا ونزلوا في شونم وجمع شاول جميع إسرائيل ونزل في جلبوع. ٥ولما رأى شاول جيش الفلسطينيين خاف واضطرب قلبه جدا.

شاول يسأل الرب والرب لا يجيبه فيلجأ إلى العرافة:

٦فسأل شاول من الرب، فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم – التمائم – ولا بالأنبياء.

٧فقال شاول لعبيده: «فتشوا لي على امرأة صاحبة جان فأذهب إليها وأسألها». فقال له عبيده: «هوذا امرأة صاحبة جان في عين دور». ٨فتنكر شاول ولبس ثيابا أخرى، وذهب هو ورجلان معه وجاءوا إلى المرأة ليلا. وقال: «اعرفي لي بالجان وأصعدي لي من أقول لك». ٩فقالت له المرأة: «هوذا أنت تعلم ما فعل شاول، كيف قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض. فلماذا تضع شركا لنفسي لتميتها؟» ١٠فحلف لها شاول بالرب: «حي هو الرب، إنه لا يلحقك إثم في هذا الأمر». ١١فقالت المرأة: «من أصعد لك؟» فقال: «أصعدي لي صموئيل». ١٢فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم، وقالت لشاول: «لماذا خدعتني وأنت شاول؟» ١٣فقال لها الملك: «لا تخافي. فماذا رأيت؟» فقالت المرأة لشاول: «رأيت آلهة يصعدون من الأرض». ١٤فقال لها: «ما هي صورته؟» فقالت: «رجل شيخ صاعد وهو مغطى بجبة». فعلم شاول أنه صموئيل، فخر على وجهه إلى الأرض وسجد. ١٥فقال صموئيل لشاول: «لماذا أقلقتني بإصعادك إياي؟» فقال شاول: «قد ضاق بي الأمر جدا. الفلسطينيون يحاربونني، والرب فارقني ولم يعد يجيبني لا

بالأنبياء ولا بالأحلام. فدعوتك لتعلمني ماذا أصنع». ١٦فقال صموئيل: «ولماذا تسألني والرب قد فارقك وصار عدوك؟ ١٧وقد فعل الرب لنفسه كما تكلم عن يدي، وقد شق الرب المملكة من يدك وأعطاها لقريبك داود. ١٨لأنك لم تسمع لصوت الرب ولم تفعل حمو غضبه في عماليق، لذلك قد فعل الرب بك هذا الأمر اليوم. ١٩ويدفع الرب إسرائيل أيضا معك ليد الفلسطينيين. وغدا أنت وبنوك تكونون معي، ويدفع الرب جيش إسرائيل أيضا ليد الفلسطينيين.

انهيار شاول:

٢٠فأسرع شاول وسقط على طوله إلى الأرض وخاف جدا من كلام صموئيل، وأيضا لم تكن فيه قوة، لأنه لم يأكل طعاما النهار كله والليل. ٢١ثم جاءت المرأة إلى شاول ورأت أنه مرتاع جدا، فقالت له: «هوذا قد سمعت جاريتك لصوتك فوضعت نفسي في كفي وسمعت لكلامك الذي كلمتني به. ٢٢والآن اسمع أنت أيضا لصوت جاريتك فأضع قدامك كسرة خبز وكل، فتكون فيك قوة إذ تسير في الطريق». ٢٣فأبى وقال: «لا آكل». فألح عليه عبداه والمرأة أيضا، فسمع لصوتهم وقام عن الأرض وجلس على السرير. ٢٤وكان للمرأة عجل مسمن في البيت، فأسرعت وذبحته وأخذت دقيقا وعجنته وخبزت فطيرا، ٢٥ثم قدمته أمام شاول وأمام عبديه فأكلوا. وقاموا وذهبوا في تلك الليلة)[١].

٤- بناء الحصون والمتاريس والمعسكرات (المحلات):

كان من أهم لوازم الحرب، وجود المحلة أو المعسكر، وكانت ترفع بالمعسكر الرايات التي كان يتجمع حولها الأسباط، كل ثلاثة أسباط تحت راية السبط القائد. وكان المعسكر يحاط - في وقت الحرب - بمتراس قد يكون في صورة عربات مصطفة كما في وادي

(١) صموئيل الأول أصحاح (٢٨).

البطم[1]، جاء في سفر صموئيل الأول:(٢٠فبكر داود صباحا وترك الغنم مع حارس وحمل وذهب كما أمره يسى، وأتى إلى المتراس[2] والجيش خارج إلى الاصطفاف وهتفوا للحرب)[3]. وبجانب مثل هذا المتراس، رقد الملك شاول في برية زيف يحيط به رجاله، حين فاجأه داود وأخذ رمحه[4]، جاء في سفر صموئيل الأول:(٥فقام داود وجاء إلى المكان الذي نزل فيه شاول، ونظر داود المكان الذي اضطجع فيه شاول وأبنير بن نير رئيس جيشه. وكان شاول مضطجعا عند المتراس والشعب نزول حواليه)[5].

وكانت الخيام تستخدم لإقامة الجنود. وكانت تعين مخافر لحراسة المعسكرات، كما كانت تتغير نوبات الحراسة ثلاث مرات خلال الليل[6]، جاء في سفر القضاة: (١٩فجاء جدعون والمئة الرجل الذين معه إلى طرف المحلة في أول الهزيع الأوسط، وكانوا إذ ذاك قد أقاموا الحراس...)[7].

وكان من المعتاد ترك جنود لحراسة المعسكر عند ذهاب القوات للحرب أو إلى إحدى الغزوات، كما فعل داود عندما أراد أن يغير على نابال، جاء في سفر صموئيل الأول:(١٣فقال داود لرجاله: «ليتقلد كل واحد منكم سيفه». فتقلد كل واحد سيفه. وتقلد داود أيضا سيفه. وصعد وراء داود نحو أربع مئة رجل، ومكث مئتان مع الأمتعة)[8].

---

(١) انظر دائرة المعارف الكتابية، مادة حرب ٣ / ٥٢.

(٢) المتراس: الترس هو كل ما يتوقى به من سلاح، دائرة المعارف الكتابية، مادة ترس.

(٣) سفر صموئيل الأول، أصحاح(١٧).

(٤) انظر المرجع السابق.

(٥) سفر صموئيل الأول، أصحاح(٢٦).

(٦) انظر المرجع السابق.

(٧) سفر القضاة، أصحاح(٧).

(٨) سفر صموئيل الأول، أصحاح(٣٠).

وكان الجنود يتمركزون في الحصون والمواقع الاستراتيجية كما فعل يهوشافاط متبعا سنة أبيه داود، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(٢وجعل جيشا في جميع مدن يهوذا الحصينة وجعل وكلاء في أرض يهوذا وفي مدن أفرايم التي أخذها آسا أبوه)[١].

و كانت أفضل الأماكن لحماية الحصون الكهوف التي على جوانب التلال والمناطق الصخرية، كما فعل شاول في مخماس وفي جبل أيل عندما تمترس هو وألفا رجل من جيشه فيهما[٢]، جاء في سفر صموئيل الأول:(٢واختار شاول لنفسه ثلاثة آلاف من إسرائيل، فكان ألفان مع شاول في مخماس وفي جبل بيت إيل)[٣].

وكان داود يضع القوات الحامية في المدن التي يفتحها ويهزم جيشها، لتكون مواقع عسكرية حامية لظهره أثناء توجهه لاحتلال المزيد من المدن الأخرى، جاء في سفر صموئيل الثاني:(٦وجعل داود محافظين-وأقام داود حاميات عسكرية- في أرام دمشق وصار الأراميون لداود عبيدا يقدمون هدايا. وكان الرب يخلص داود حيثما توجه...

١٤وجعل في أدوم محافظين- حاميات عسكرية-. وضع محافظين في أدوم كلها. وكان جميع الأدوميين عبيدا لداود. وكان الرب يخلص داود حيثما توجه)[٤].

وأمر الرب شعبه بالمحافظة على الطهارة الحسية للمعسكر والطهارة البدنية والنفسية للجندي المحارب أثناء الحرب وتشدد في ذلك وفصل لهم، جافي سفر التثنية:(٩إذا خرجت في جيش على أعدائك فاحترز من كل شيء رديء. ١٠إن كان فيك رجل غير طاهر من عارض الليل يخرج إلى خارج المحلة. لا يدخل إلى داخل المحلة. ١١ونحو إقبال المساء يغتسل بماء وعند غروب الشمس يدخل إلى داخل المحلة. ١٢ويكون لك موضع

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(١٧).

(٢) انظر المرجع السابق.

(٣) سفر صموئيل الأول، أصحاح(١٣).

(٤) سفر صموئيل الثاني، أصحاح(٨).

خارج المحلة لتخرج إليه خارجا. ١٣ويكون لك وتد مع عدتك لتحفر به عندما تجلس خارجا وترجع وتغطي برازك. ١٤ لأن الرب إلهك سائر في وسط محلتك لينقذك ويدفع أعداءك أمامك. فلتكن محلتك مقدسة لئلا يرى فيك قذر شيء فيرجع عنك)[1].

وجاء في سفر العدد أمر الرب لموسى بهذه الطهارة،:(١وأمر الرب موسى: ٢«أوص بني إسرائيل أن ينفوا من المحلة كل أبرص وكل ذي سيل وكل متنجس لميت. ٣الذكر والأنثى تنفون. إلى خارج المحلة تنفونهم لكيلا ينجسوا محلاتهم حيث أنا ساكن في وسطهم». ٤ففعل هكذا بنو إسرائيل ونفوهم إلى خارج المحلة. كما كلم الرب موسى هكذا فعل بنو إسرائيل)[2].

وعندما أعاد سليمان بناء المدن التي أعطاها إياه الملك حورام، وقام بفتح المدن وبناءها، وحصن بعضها بحصون منيعة وأسوار وأبواب وعوارض لصد هجوم المعتدين، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(وبعد نهاية عشرين سنة بعد أن بنى سليمان بيت الرب وبيته ٢بنى سليمان المدن التي أعطاها حورام لسليمان وأسكن فيها بني إسرائيل. ٣وذهب سليمان إلى حماة صوبة وقوي عليها. ٤وبنى تدمر في البرية وجميع مدن المخازن التي بناها في حماة. ٥وبنى بيت حورون العليا وبيت حورون السفلى مدنا حصينة بأسوار وأبواب وعوارض. ٦وبعلة وكل مدن المخازن التي كانت لسليمان وجميع مدن المركبات ومدن الفرسان وكل مرغوب سليمان الذي رغب أن يبنيه في أورشليم وفي لبنان وفي كل أرض سلطانه)[3].

وعندما أراد رحبعام ملك يهوذا -المملكة الجنوبية- أن يغزو مملكة يربعام ملك إسرائيل-المملكة الشمالية- وحشد جيشا ضخما لهذه الحرب، قام يربعام ببناء حصون

(١) سفر التثنية، أصحاح(٢٣).

(٢) سفر العدد، أصحاح(٥).

(٣) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٨).

منيعة في مدن مملكته ليصد هجوم رحبعام الظالم، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(٥وأقام رحبعام في أورشليم وبنى مدنا للحصار في يهوذا. ٦فبنى بيت لحم وعيطام وتقوع ٧وبيت صور وسوكو وعدلام ٨وجت ومريشة وزيف ٩وأدورايم ولخيش وعزيقة ١٠وصرعة وأيلون وحبرون التي في يهوذا وبنيامين مدنا حصينة. ١١وشدد الحصون وجعل فيها قوادا وخزائن مأكل وزيت وخمر ١٢وأتراسا في كل مدينة ورماحا وشددها كثيرا جدا وكان له يهوذا وبنيامين)[١].

وكذلك الملك آسا عندما توج ملكا على يهوذا بعد أبيه قام بتحصين المدن وبناء الأسوار والأبراج والعوارض، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(٦وبنى مدنا حصينة في يهوذا لأن الأرض استراحت ولم تكن عليه حرب في تلك السنين لأن الرب أراحه. ٧وقال ليهوذا: لنبن هذه المدن ونحوطها بأسوار وأبراج وأبواب وعوارض ما دامت الأرض أمامنا لأننا قد طلبنا الرب إلهنا. طلبناه فأراحنا من كل جهة]. فبنوا ونجحوا.)[٢].

ولما عاد منسى ملك يهوذا من سبيه من بابل بعد أن أذله جنود ملك أشور، وتضرع إلى ربه وابتهل إليه، فاستجاب له ورده إلى ملكه، عند ذلك شرع في تحصين مدينة داود و بناء سور خارجها غرب نهر الأردن، جاء في سفر أخبار الأيام الأول:(١٤وبعد ذلك بنى سورا خارج مدينة داود غربا إلى جيحون في الوادي وإلى مدخل باب السمك وحوط الأكمة بسور وعلاه جدا. ووضع رؤساء جيوش في جميع المدن الحصينة في يهوذا.)[٣].

وكذلك بنى يهوشافاط ملك يهوذا الحصون عندما تولى الملك بعد وفاة أبيه بالرغم من الهيبة التي كانت له بين الأمم المجاورة، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(١٢وكان يهوشافاط يتعظم جدا وبنى في يهوذا حصونا ومدن مخازن)[٤].

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(١١).

(٢) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(١٤).

(٣) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٣٣).

(٤) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(١٧).

وعندما خلف عزيا أباه في الملك على يهوذا وحارب باسم الرب وأعانه الرب وكانت له انتصارات على الفلسطينيين، وصارت له شوكة عظيمة بين الأمم ومع ذلك عزز الحصون على مداخل أورشليم وقام ببناء الأبراج، جاء في سفر أخبار الأيام الأول: (٩وبنى عزيا أبراجا في أورشليم عند باب الزاوية وعند باب الوادي وعند الزاوية وحصنها.١٠وبنى أبراجا في البرية...)[١].

وقام يوثام ملك يهوذا أيضا ببناء القلاع والأبراج في الغابات عندما توج ملكا، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(كان يوثام ابن خمس وعشرين سنة حين ملك وملك ست عشرة سنة في أورشليم واسم أمه يروشة بنت صادوق... ٣هو بنى الباب الأعلى لبيت الرب وبنى كثيرا على سور الأكمة. ٤وبنى مدنا في جبل يهوذا وبنى في الغابات قلعا وأبراجا)[٢].

وعندما زحف سنحاريب ملك أشور بجيشه إلى يهوذا، صنع حزقيا ملك يهوذا إجراءات دفاعية، كان منها بناء الأسوار والأبراج، جاء في سفر أخبار الأيام الأول:(وبعد هذه الأمور وهذه الأمانة أتى سنحاريب ملك أشور ودخل يهوذا ونزل على المدن الحصينة وطمع بإخضاعها لنفسه. ٢ولما رأى حزقيا أن سنحاريب قد أتى ووجهه على محاربة أورشليم ٣تشاور هو ورؤساؤه وجبابرته على طم مياه العيون التي هي خارج المدينة فساعدوه. ٤فتجمع شعب كثير وطموا جميع الينابيع والنهر الجاري في وسط الأرض قائلين: لماذا يأتي ملوك أشور ويجدون مياها غزيرة؟] ٥وتشدد وبنى كل السور المنهدم وأعلاه إلى الأبراج وسورا آخر خارجا وحصن القلعة مدينة داود وعمل سلاحا بكثرة وأتراسا)[٣].

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٢٦).

(٢) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٢٧).

(٣) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٣٢).

٥- صفات الجند المحاربين وأعدادهم:

جعل رب الجنود لجنوده صفات يجب أن تتوفر فيهم ليكونوا جندا له ويكون الرب المحارب لهم، وتفسر لنا هذه الصبغة الدينية للحرب تلك المحظورات والنواهي المرتبطة بهذه الصفات[1]، وكان من هذه الصفات التي يجب أن تتوفر عدم الخوف من العدو، فقد كان رؤساء الجنود يعفون من الخدمة الخائفين، والذين بنوا بيوتا لم يسكنوها، أو غرسوا كرما ولم يتمتعوا بثمرة، أو خطبوا نساء ولم يتزوجوهن[2]، جاء في سفر التثنية:(٥ثم يقول العرفاء للشعب: من هو الرجل الذي بنى بيتا جديدا ولم يدشنه؟ ليذهب ويرجع إلى بيته لئلا يموت في الحرب فيدشنه رجل آخر. ٦ومن هو الرجل الذي غرس كرما ولم يبتكره؟ ليذهب ويرجع إلى بيته لئلا يموت في الحرب فيبتكره رجل آخر. ٧ومن هو الرجل الذي خطب امرأة ولم يأخذها؟ ليذهب ويرجع إلى بيته لئلا يموت في الحرب فيأخذها رجل آخر. ٨ثم يعود العرفاء يخاطبون الشعب: من هو الرجل الخائف والضعيف القلب؟ ليذهب ويرجع إلى بيته لئلا تذوب قلوب إخوته مثل قلبه.)[3].

وجاء فيه أيضا:(١٠إن كان فيك رجل غير طاهر من عارض الليل يخرج إلى خارج المحلة. لا يدخل إلى داخل المحلة)[4].

وجاء في سفر صموئيل الثاني:(١١فقال أوريا لداود: «إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي! وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر)[5].

---

(١) انظر دائرة المعارف الكتابية (٣/ ٥٢).

(٢) انظر قاموس الكتاب المقدس، (٢٩٦).

(٣) سفر التثنية، أصحاح (٢٠).

(٤) سفر التثنية، أصحاح (٢٣).

(٥) سفر صموئيل الثاني، أصحاح (١١).

وعن أعداد الجنود في عهد موسى،جاء في سفر يشوع:(١١وكان لما انتهى كل الشعب من العبور أنه عبر تابوت الرب والكهنة في حضرة الشعب.١٢وعبر بنو رأوبين وبنو جاد ونصف سبط منسى متجهزين أمام بني إسرائيل كما كلمهم موسى.١٣نحو أربعين ألفا متجردين للجند عبروا أمام الرب للحرب إلى عربات أريحا)[١].

وفي عهد الملك داود جاء وصف عجيب ودقيق لأحوال الجيوش والقادة وأعداد الجنود والأفراد على مدار العام ليكون مستعدا لأي طارئ، وهو يشبه مايسمى اليوم التعبئة العامة المسبوقة بإعلان حالة الطوارئ، جاء في سفر أخبار الأيام الأول:(١وبنو إسرائيل حسب عددهم من رؤوس الآباء ورؤساء الألوف والمئات وعرفاؤهم الذين يخدمون الملك في كل أمور الفرق الداخلين والخارجين شهرا فشهرا لكل شهور السنة، كل فرقة كانت أربعة وعشرين ألفا.

٢على الفرقة الأولى للشهر الأول يشبعام بن زبديئيل، وفي فرقته أربعة وعشرون ألفا.
٣من بني فارص كان رأس جميع رؤساء الجيوش للشهر الأول.

٤وعلى فرقة الشهر الثاني دوداي الأخوخي، ومن فرقته مقلوث الرئيس. وفي فرقته أربعة وعشرون ألفا. ٥رئيس الجيش الثالث للشهر الثالث بنايا بن يهوياداع الكاهن الرأس، وفي فرقته أربعة وعشرون ألفا. ٦هو بنايا جبار الثلاثين، وعلى الثلاثين ومن فرقته عميزاباد ابنه.

٧الرابع للشهر الرابع عسائيل أخو يوآب وزبديا ابنه بعده، وفي فرقته أربعة وعشرون ألفا. ٨الخامس للشهر الخامس الرئيس شمحوث اليزراحي، وفي فرقته أربعة وعشرون ألفا.

٩السادس للشهر السادس عيرا بن عقيش التقوعي، وفي فرقته أربعة وعشرون ألفا.

---

(١) سفر يشوع، أصحاح(٤).

١٠السابع للشهر السابع حالص الفلوني من بني أفرايم، وفي فرقته أربعة وعشرون ألفا.

١١الثامن للشهر الثامن سبكاي الحوشاتي من الزارحيين، وفي فرقته أربعة وعشرون ألفا.

١٢التاسع للشهر التاسع أبيعزر العناثوثي من بنيامين، وفي فرقته أربعة وعشرون ألفا.

١٣العاشر للشهر العاشر مهراي النطوفاتي من الزارحيين، وفي فرقته أربعة وعشرون ألفا.

١٤الحادي عشر للشهر الحادي عشر بنايا الفرعتوني من بني أفرايم، وفي فرقته أربعة وعشرون ألفا. ١٥الثاني عشر للشهر الثاني عشر خلداي النطوفاتي من عثنيئيل، وفي فرقته أربعة وعشرون ألفا)(١).

وفي سفر أخبار الأيام الثاني جاء الإخبار عن عتاد سليمان الحربي وأعداد جنوده: (٢٥وكان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل ومركبات واثنا عشر ألف فارس فجعلها في مدن المركبات ومع الملك في أورشليم)(٢).

وجاء في نفس السفر الإخبار عن قوة يهوشافاط ملك يهوذا الحربية:(١٠وكانت هيبة الرب على جميع ممالك الأراضي التي حول يهوذا فلم يحاربوا يهوشافاط...١٣وكان له شغل كثير في مدن يهوذا ورجال حرب جبابرة بأس في أورشليم. ١٤وهذا عددهم حسب بيوت آبائهم من يهوذا رؤساء ألوف: عدنة الرئيس ومعه جبابرة بأس ثلاث مئة ألف. ١٥وبجانبه يهوناثان الرئيس ومعه مئتان وثمانون ألفا. ١٦وبجانبه عمسيا بن زكري المنتدب للرب ومعه مئتا ألف جبار بأس. ١٧ومن بنيامين ألياداع جبار بأس ومعه من

(١) سفر أخبار الأيام الأول، أصحاح(٢٧).

(٢) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٩).

المتسلحين بالقسي والأتراس مئتا ألف. ١٨وبجانبه يهوزاباد ومعه مئة وثمانون ألفا متجردون للحرب. ١٩هؤلاء خدام الملك فضلا عن الذين جعلهم الملك في المدن الحصينة في كل يهوذا)(١).

وكان للملك عزيا ملك يهوذا جيش المقاتلين المتحزبين، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(١١وكان لعزيا جيش من المقاتلين يخرجون للحرب أحزابا حسب عدد إحصائهم عن يد يعيئيل الكاتب ومعسيا العريف تحت يد حننيا واحد من رؤساء الملك. ١٢كل عدد رؤوس الآباء من جبابرة البأس ألفان وست مئة. ١٣وتحت يدهم جيش جنود ثلاث مئة ألف وسبعة آلاف وخمس مئة من المقاتلين بقوة شديدة لمساعدة الملك على العدو)(٢).

وكان الرب يرفض أحيانا العدد الكبير للجيش حتى لا يفتخر عليه بنو إسرائيل، كما حصل مع جدعون عندما دعاه الرب لإنقاذ شعبه الذي أذله المديانيون، جاء في سفر القضاة:(٢وقال الرب لجدعون: «إن الشعب الذي معك كثير علي لأدفع المديانيين بيدهم، لئلا يفتخر علي إسرائيل قائلا: يدي خلصتني.

رجوع اثنان وعشرون ألف بسبب الخوف من الحرب:

٣والآن ناد في آذان الشعب: من كان خائفا ومرتعدا فليرجع وينصرف من جبل جلعاد». فرجع من الشعب اثنان وعشرون ألفا. وبقي عشرة آلاف.

الرب يستكثر العدد المتبقي من الجيش أيضا:

٤وقال الرب لجدعون: «لم يزل الشعب كثيرا. انزل بهم إلى الماء فأنقيهم لك هناك. ويكون أن الذي أقول لك عنه: هذا يذهب معك فهو يذهب معك. وكل من أقول لك عنه: هذا لا يذهب معك فهو لا يذهب».

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(١٧).

(٢) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٢٦).

اصطفاء ثلاث مئة مقاتل من الجيش:

٥فنزل بالشعب إلى الماء. وقال الرب لجدعون: «كل من يلغ بلسانه من الماء كما يلغ الكلب فأوقفه وحده. وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب. ٦وكان عدد الذين ولغوا بيدهم إلى فمهم ثلاث مئة رجل. وأما باقي الشعب جميعا فجثوا على ركبهم لشرب الماء.

اختيار الرب من ولغ بيده إلى فمه فقط:

٧فقال الرب لجدعون: بالثلاث مئة الرجل الذين ولغوا أخلصكم وأدفع المديانيين ليدك. وأما سائر الشعب فليذهبوا كل واحد إلى مكانه».

٨فأخذ الشعب زادا بيدهم مع أبواقهم. وأرسل سائر رجال إسرائيل كل واحد إلى خيمته، وأمسك الثلاث مئة الرجل. وكانت محلة المديانيين تحته في الوادي)[1].

٦- الأسلحة والمعدات الحربية وآلات الحرب:

جاء ذكر لأوصاف الأسلحة الحربية المستعملة في حروب شعب الرب المقدسة، كالتي صنعها آسا ملك يهوذا وجاء وصفها في سفر أخبار الأيام الثاني: (٨وكان لآسا جيش يحملون أتراسا ورماحا من يهوذا ثلاث مئة ألف ومن بنيامين من الذين يحملون الأتراس ويشدون القسي مئتان وثمانون ألفا. كل هؤلاء جبابرة بأس)[2].

وأيضا كتلك الأسلحة التي صنعها عزيا ملك يهوذا عندما حقق انتصارات عديدة، جاء في نفس السفر السابق:(١٤وهيأ لهم عزيا لكل الجيش أتراسا ورماحا وخوذا ودروعا وقسيا وحجارة مقاليع. ١٥وعمل في أورشليم منجنيقات[3] اختراع مخترعين لتكون على الأبراج وعلى الزوايا لترمى بها السهام والحجارة العظيمة)[4].

---

(١) سفر القضاة، أصحاح(٧).

(٢) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح١٤.

(٣) المنجنيق: آلة حرب كانت تستعمل لهدم الأسور والحصون للمدينة المحاصرة. قاموس الكتاب المقدس، مادة منجانيق مجانق.

(٤) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٢٦).

ومثل ذلك الأسلحة التي صنعها واستعد بها حزقيا ملك يهوذا عندما زحف عليه سنحاريب ملك أشور بجيشه، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(٥وتشدد وبنى كل السور المنهدم وأعلاه إلى الأبراج وسورا آخر خارجا وحصن القلعة مدينة داود وعمل سلاحا بكثرة وأتراسا)(١).

وجاء في نفس السفر أيضا وصف لأسطول سليمان البحري الحربي: (١٧حينئذ ذهب سليمان إلى عصيون جابر وإلى أيلة على شاطئ البحر في أرض أدوم. ١٨وأرسل له حورام بيد عبيده سفنا وعبيدا يعرفون البحر فأتوا مع عبيد سليمان إلى أوفير وأخذوا من هناك أربع مئة وخمسين وزنة ذهب وأتوا بها إلى الملك سليمان)(٢).

وجاء أيضا وصف للأسلحة المستعملة في ذلك الوقت في نفس السفر عندما أراد الرب أن يعاقب شعبه على أيدي أعدائهم فقال لهم:(٢٢لأجل ذلك يا أهوليبة، هكذا قال السيد الرب: هئنذا أهيج عليك عشاقك الذين جفتهم نفسك، وآتي بهم عليك من كل جهة: ٢٣بني بابل وكل الكلدانيين، فقود وشوع وقوع، ومعهم كل بني أشور، شبان شهوة، ولاة وشحن كلهم رؤساء مركبات وشهراء. كلهم راكبون الخيل. ٢٤فيأتون عليك بأسلحة: مركبات وعجلات، وبجماعة شعوب يقيمون عليك الترس والمجن والخوذة من حولك، وأسلم لهم الحكم فيحكمون عليك بأحك-امهم)(٣).

ونظرا للخراب والهول الذي تجره الحروب والمذابح التي يقتل فيها الرجال، كان السيف أحد "الأحكام الأربعة الرديئة"، التي أرسلها الله. أما الثلاثة الآخرى فهي المجاعة والوحوش الرديئة والوبأ. جاء في سفر حزقيال:(٢١لأنه هكذا قال السيد الرب:

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٣٢).

(٢) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٨).

(٣) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٢٣).

كم بالحري إن أرسلت أحكامي الرديئة على أورشليم سيفا وجوعا ووحشا رديئا ووبأ، لأقطع منها الإنسان والحيوان)[1].

ونظرا لما يتميز به السيف من قوة فتاكة، فإنه كان عاملا مشتركا في كل العمليات الحربية، جاء في سفر صموئيل الثاني:(٢٦فنادى أبنير يوآب: «هل إلى الأبد يأكل السيف؟ ألم تعلم أنها تكون مرارة في الأخير؟ فحتى متى لا تقول للشعب أن يرجعوا من وراء إخوتهم؟)[2].

وجاء في سفر إرميا:(٢٩لماذا تخاصمونني؟ كلكم عصيتموني يقول الرب. ٣٠لباطل ضربت بنيكم. لم يقبلوا تأديبا. أكل سيفكم أنبياءكم كأسد مهلك)[3].

٧- الخطط والكمائن والخدع الحربية:

كان شعب الرب يستعمل خططا حربية متعددة، مثل المباغتة، والكمين، والتظاهر بالفرار، والمخادعة.

فقد باغت إبرام كدرلعمور والملوك الذين معه عندما سبوا إبن أخيه لوطا وأهله، واسترجعهم بعد أن هجم على جيش العدو بليل، جاء في سفر التكوين:(١٤فلما سمع أبرام أن أخاه سبي جر غلمانه المتمرنين ولدان بيته ثلاث مئة وثمانية عشر وتبعهم إلى دان. ١٥وانقسم عليهم ليلا هو وعبيده فكسرهم وتبعهم إلى حوبة التي عن شمال دمشق. ١٦واسترجع كل الأملاك واسترجع لوطا أخاه أيضا وأملاكه والنساء أيضا والشعب)[4].

---

(١) سفر حزقيال، أصحاح (١٤).

(٢) سفر صموئيل الثاني، أصحاح(٢).

(٣) سفر إرميا،أصحاح(٢). وانظر دائرة المعارف الكتابية (٣/ ٥٢).

(٤) سفر التكوين، أصحاح(١٤).

واستعمل يشوع أسلوب المباغتة الذي وجه به ضربة ناجحة للكنعانيين عند مياه ميروم حيث كانوا يحتشدون تحت قيادة يابين[1]، جاء في سفر يشوع:(٧فجاء يشوع وجميع رجال الحرب معه عليهم عند مياه ميروم بغتة وسقطوا عليهم. ٨فدفعهم الرب بيد إسرائيل، فضربوهم وطردوهم إلى صيدون العظيمة وإلى مسرفوت مايم وإلى بقعة مصفاة شرقا. فضربوهم حتى لم يبق لهم شارد. ٩ففعل يشوع بهم كما قال له الرب. عرقب خيلهم وأحرق مركباتهم بالنار)[2].

وصنع كمينا يشوع عندما وضع خطة حربية للهجوم على مدينة "عاي"،جاء في سفر يشوع:(١فقال الرب ليشوع:لا تخف ولا ترتعب. خذ معك جميع رجال الحرب، وقم اصعد إلى عاي. انظر. قد دفعت بيدك ملك عاي وشعبه ومدينته وأرضه...

اجعل كمينا للمدينة من ورائها». ٣فقام يشوع وجميع رجال الحرب للصعود إلى عاي. وانتخب يشوع ثلاثين ألف رجل جبابرة البأس وأرسلهم ليلا، ٤وأوصاهم: «انظروا! أنتم تكمنون للمدينة من وراء المدينة. لا تبتعدوا من المدينة كثيرا، وكونوا كلكم مستعدين.

تظاهر يشوع وجيشه بالفرار:

٥وأما أنا وجميع الشعب الذي معي فنقترب إلى المدينة. ويكون حينما يخرجون للقائنا كما في الأول أننا نهرب قدامهم، ٦فيخرجون وراءنا حتى نجذبهم عن المدينة. لأنهم يقولون إنهم هاربون أمامنا كما في الأول. فنهرب قدامهم. ٧وأنتم تقومون من المكمن وتملكون المدينة، ويدفعها الرب إلهكم بيدكم. ٨ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار. كقول الرب تفعلون. انظروا. قد أوصيتكم».

(١) انظر دائرة المعارف الكتابية، مادة حرب (٣/ ٥٣).

(٢) سفر يشوع، أصحاح(١١).

نتيجة المعركة:

١٩فقام الكمين بسرعة من مكانه وركضوا عندما مد يده، ودخلوا المدينة وأخذوها، وأسرعوا وأحرقوا المدينة بالنار. ٢٠فالتفت رجال عاي إلى ورائهم ونظروا وإذا دخان المدينة قد صعد إلى السماء. فلم يكن لهم مكان للهرب هنا أو هناك. والشعب الهارب إلى البرية انقلب على الطارد. ٢١ولما رأى يشوع وجميع إسرائيل أن الكمين قد أخذ المدينة، وأن دخان المدينة قد صعد، انثنوا وضربوا رجال عاي. ٢٢وهؤلاء خرجوا من المدينة للقائهم، فكانوا في وسط إسرائيل، هؤلاء من هنا وأولئك من هناك. وضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت)[١].

وكانت الخدع الحربية أمر معهودا عن شعب الرب، كالتي اتبعها الإسرائيليون ضد سبط بنيامين عند ارتكب جماعة منهم الفاحشة في سرية اللاوي، جاء في سفر القضاة:(٢٩ ووضع إسرائيل كمينا على جبعة محيطا. ٣٠ وصعد بنو إسرائيل على بني بنيامين في اليوم الثالث واصطفوا عند جبعة كالمرة الأولى والثانية. ٣١ فخرج بنو بنيامين للقاء الشعب وانجذبوا عن المدينة وأخذوا يضربون من الشعب قتلى كالمرة الأولى والثانية في السكك التي إحداها تصعد إلى بيت إيل والأخرى إلى جبعة في الحقل نحو ثلاثين رجلا من إسرائيل. ٣٢ وقال بنو بنيامين منهزمون أمامنا كما في الأول. وأما بنو إسرائيل فقالوا لنهرب ونجذبهم عن المدينة إلى السكك. ٣٣ وقام جميع رجال إسرائيل من أماكنهم واصطفوا في بعل تامار وثار كمين إسرائيل من مكانه من عراء جبعة. ٣٤ وجاء من مقابل جبعة عشرة آلاف رجل منتخبون من كل إسرائيل وكانت الحرب شديدة وهم يعلمون أن الشر قد مسهم)[٢].

---

(١) سفر يشوع، أصحاح(٨).

(٢) سفر القضاة، أصحاح(٢٠).

ومن الخدع الحربية التي كانت تمارس في حروبهم الدوران من الخلف كما فعل داود في وادي الرفائيين ليوقع بالفلسطينيين[1]، جاء في سفر صموئيل الثاني:(٢٢ثم عاد الفلسطينيون فصعدوا أيضا وانتشروا في وادي الرفائيين. ٢٣فسأل داود من الرب فقال: «لا تصعد، بل در من ورائهم وهلم عليهم مقابل أشجار البكا ٢٤وعندما تسمع صوت خطوات في رؤوس أشجار البكا حينئذ احترص، لأنه إذ ذاك يخرج الرب أمامك لضرب محلة الفلسطينيين». ٢٥ففعل داود كذلك كما أمره الرب، وضرب الفلسطينيين من جبع إلى مدخل جازر)[2].

وسجل العهد القديم قصة إهود بن جيرا البنياميني الذي خلص شعب الرب من الموآبيين بخدعة قتل فيها ملكهم ثم أجهز بنو إسرائيل على الموآبيين، جاء في سفر القضاة:(١٥وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب، فأقام لهم الرب مخلصا إهود بن جيرا البنياميني، رجلا أعسر. فأرسل بنو إسرائيل بيده هدية لعجلون ملك موآب.

١٦فعمل إهود لنفسه سيفا ذا حدين طوله ذراع، وتقلده تحت ثيابه على فخذه اليمنى. ١٧وقدم الهدية لعجلون ملك موآب. وكان عجلون رجلا سمينا جدا. ١٨وكان لما انتهى من تقديم الهدية صرف القوم حاملي الهدية، ١٩وأما هو فرجع من عند المنحوتات التي لدى الجلجال وقال: «لي كلام سر إليك أيها الملك». فقال: «اسكت». وخرج من عنده جميع الواقفين لديه.

٢٠فدخل إليه إهود وهو جالس في غرفة صيفية كانت له وحده. وقال إهود: «عندي كلام الله إليك». فقام عن الكرسي. ٢١فمد إهود يده اليسرى وأخذ السيف عن فخذه اليمنى وضربه في بطنه. ٢٢فدخل المقبض أيضا وراء النصل، وطبق الشحم وراء النصل لأنه لم يجذب السيف من بطنه. وخرج من الحتار. ٢٣فخرج إهود من الرواق وأغلق

(١) انظر دائرة المعرف الكتابية، مادة حرب (٣/ ٥٣).

(٢) انظر سفر صموئيل الثاني، أصحاح(٥).

أبواب العلية وراءه وأقفلها. ٢٤ولما خرج، جاء عبيده ونظروا وإذا أبواب العلية مقفلة، فقالوا: «إنه مغط رجليه في الغرفة الصيفية». ٢٥فلبثوا حتى خجلوا وإذا هو لا يفتح أبواب العلية. فأخذوا المفتاح وفتحوا وإذا سيدهم ساقط على الأرض ميتا. ٢٦وأما إهود فنجا إذ هم مبهوتون، وعبر المنحوتات ونجا إلى سعيرة.

٢٧وكان عند مجيئه أنه ضرب بالبوق في جبل أفرايم، فنزل معه بنو إسرائيل عن الجبل وهو قدامهم. ٢٨وقال لهم: «اتبعوني لأن الرب قد دفع أعداءكم الموآبيين ليدكم». فنزلوا وراءه وأخذوا مخاوض الأردن إلى موآب، ولم يدعوا أحدا يعبر. ٢٩فضربوا من موآب في ذلك الوقت نحو عشرة آلاف رجل، كل نشيط وكل ذي بأس، ولم ينج أحد. ٣٠فذل الموآبيون في ذلك اليوم تحت يد إسرائيل. واستراحت الأرض ثمانين سنة)[(١)].

٨- الاستعداد العسكري والتأهب للقتال:

جاء في العهد القديم ذكر لاستعدادات عسكرية كثيرة تبين دربة شعب الرب على القتال بتعليمات حربية دقيقة، كتعليمات يشوع الحربية للشعب عندما أراد غزو أرض كنعان بأمر الرب.

أ- حمل تابوت العهد في المعارك:

جاء في سفر يشوع:(١فبكر يشوع في الغد وارتحلوا من شطيم وأتوا إلى الأردن، هو وكل بني إسرائيل، وباتوا هناك قبل أن عبروا. ٢وكان بعد ثلاثة أيام أن العرفاء جازوا في وسط المحلة ٣وأمروا الشعب: «عندما ترون تابوت عهد الرب إلهكم والكهنة اللاويين حاملين إياه، فارتحلوا من أماكنكم وسيروا وراءه. ٤ولكن يكون بينكم وبينه مسافة نحو ألفي ذراع بالقياس.لا تقربوا منه لكي تعرفوا الطريق الذي تسيرون فيه.لأنكم لم تعبروا هذا الطريق من قبل)[(٢)].

---

(١) سفر القضاة، أصحاح(٣).

(٢) سفر يشوع، أصحاح(٣).

وكان حمل تابوت العهد من الاستعدادات اللازمة في كثير من الأحيان لخوض المعارك الحربية المقدسة، جاء في سفر يشوع:(وقال يشوع للشعب: «تقدسوا لأن الرب يعمل غدا في وسطكم عجائب». ٦وقال يشوع للكهنة: «احملوا تابوت العهد واعبروا أمام الشعب». فحملوا تابوت العهد وساروا أمام الشعب)[١].

وكانت لتابوت طقوس محددة من قبل الرب، كما يشوع بمثل تلك الطقوس يوم أن أراد يفتح أريحا،(٤وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام التابوت. وفي اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات، والكهنة يضربون بالأبواق. ٥ويكون عند امتداد صوت قرن الهتاف عند استماعكم صوت البوق، أن جميع الشعب يهتف هتافا عظيما، فيسقط سور المدينة في مكانه، ويصعد الشعب كل رجل مع وجهه). ٦فدعا يشوع بن نون الكهنة وقال لهم: «احملوا تابوت العهد. وليحمل سبعة كهنة سبعة أبواق هتاف أمام تابوت الرب». ٧وقالوا للشعب اجتازوا ودوروا دائرة المدينة وليجتز المتجرد أمام تابوت الرب)[٢].

وحمل شعب الرب تابوت العهد لمحاربة الفلسطينيين،جاء في سفر صموئيل الأول:(٥وكان عند دخول تابوت عهد الرب إلى المحلة أن جميع إسرائيل هتفوا هتافا عظيما حتى ارتجت الأرض. ٦فسمع الفلسطينيون صوت الهتاف فقالوا: «ما هو صوت هذا الهتاف العظيم في محلة العبرانيين؟» وعلموا أن تابوت الرب جاء إلى المحلة. ٧فخاف الفلسطينيون لأنهم قالوا: «قد جاء الله إلى المحلة». وقالوا: «ويل لنا لأنه لم يكن مثل هذا منذ أمس ولا ما قبله! ٨ويل لنا! من ينقذنا من يد هؤلاء الآلهة القادرين؟ هؤلاء هم الآلهة الذين ضربوا مصر بجميع الضربات في البرية. ٩تشددوا وكونوا رجالا أيها الفلسطينيون لئلا تستعبدوا للعبرانيين كما استعبدوا هم لكم. فكونوا رجالا وحاربوا)[٣].

---

(١) سفر يشوع، أصحاح(٣).

(٢) سفر يشوع،أصحاح(٦).

(٣) سفر صموئيل الأول، أصحاح(٤).

وجاء في سفر صموئيل الثاني ذكر قصة تبين مكانة تابوت العهد في حروب شعب الرب، وذلك عن ذكر قصة إصعاد داود لتابوت العهد من بيت أبيناداب في قرية يعاريم، جاء في سفر صموئيل الثاني:(١ وجمع داود أيضا جميع المنتخبين في إسرائيل، ثلاثين ألفا. ٢وقام داود وذهب هو وجميع الشعب الذي معه من بعلة يهوذا ليصعدوا من هناك تابوت الله الذي يدعى عليه باسم رب الجنود الجالس على الكروبيم[(١)]. ٣فأركبوا تابوت الله على عجلة جديدة، وحملوه من بيت أبيناداب الذي في الأكمة. وكان عزة وأخيو ابنا أبيناداب يسوقان العجلة الجديدة. ٤فأخذوها من بيت أبيناداب الذي في الأكمة مع تابوت الله. وكان أخيو يسير أمام التابوت.

داود يلعب أمام التابوت:

٥ وداود وكل بيت إسرائيل يلعبون أمام الرب بكل أنواع الآلات من خشب السرو بالعيدان وبالرباب وبالدفوف وبالجنوك وبالصنوج. ٦ولما انتهوا إلى بيدر ناخون مد عزة يده إلى تابوت الله وأمسكه، لأن الثيران تعثرت.

٧فحمي غضب الرب على عزة وضربه الله هناك لأجل غفله، فمات هناك لدى تابوت الله.

٨فاغتاظ داود لأن الرب اقتحم عزة اقتحاما، وسمى ذلك الموضع «فارص عزة» إلى هذا اليوم.

٩وخاف داود من الرب في ذلك اليوم وقال: «كيف يأتي إلي تابوت الرب؟» ١٠ولم يشأ داود أن ينقل تابوت الرب إليه إلى مدينة داود، فمال به داود إلى بيت عوبيد أدوم الجتي. ١١وبقي تابوت الرب في بيت عوبيد أدوم الجتي ثلاثة أشهر. وبارك الرب عوبيد أدوم وكل بيته.

---

(١) مرت ترجمتهم ص (١١٠).

نقل تابوت العهد إلى الخيمة:

١٢فأخبر الملك داود: «قد بارك الرب بيت عوبيد أدوم وكل ما له بسبب تابوت الله». فذهب داود وأصعد تابوت الله من بيت عوبيد أدوم إلى مدينة داود بفرح. ١٣وكان كلما خطا حاملو تابوت الرب ست خطوات يذبح ثورا وعجلا معلوفا. ١٤وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب. وكان داود متنطقا بأفود من كتان. ١٥فأصعد داود وجميع بيت إسرائيل تابوت الرب بالهتاف وبصوت البوق.

استياء ميكال وعقمها:

١٦ولما دخل تابوت الرب مدينة داود، أشرفت ميكال بنت شاول من الكوة ورأت الملك داود يطفر ويرقص أمام الرب، فاحتقرته في قلبها.....

٢٠ورجع داود ليبارك بيته. فخرجت ميكال بنت شاول لاستقبال داود، وقالت: «ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم حيث تكشف اليوم في أعين إماء عبيده كما يتكشف أحد السفهاء!» ٢١فقال داود لميكال: «إنما أمام الرب الذي اختارني دون أبيك ودون كل بيته ليقيمني رئيسا على شعب الرب إسرائيل، فلعبت أمام الرب. ٢٢وإني أتصاغر دون ذلك وأكون وضيعا في عيني نفسي. وأما عند الإماء التي ذكرت فأتمجد». ٢٣ولم يكن لميكال بنت شاول ولد إلى يوم موتها)[(١)].

وسجل لنا العهد القديم قصة أخرى تدل على قداسة تابوت العهد، جاء في سفر أخبار الأول:(١وشاور داود قواد الألوف والمئات وكل رئيس ٢وقال داود لكل جماعة إسرائيل: «إن حسن عندكم وكان ذلك من الرب إلهنا، فلنرسل إلى كل جهة إلى إخوتنا الباقين في كل أراضي إسرائيل ومعهم الكهنة واللاويون في مدن مراعيهم ليجتمعوا إلينا، ٣فنرجع تابوت إلهنا إلينا لأننا لم نسأل به في أيام شاول». ٤فقال كل الجماعة بأن يفعلوا

(١) سفر صموئيل الثاني، أصحاح(٦).

ذلك، لأن الأمر حسن في أعين جميع الشعب. ٥وجمع داود كل إسرائيل من شيحور مصر إلى مدخل حماة ليأتوا بتابوت الله من قرية يعاريم. ٦وصعد داود وكل إسرائيل إلى بعلة، إلى قرية يعاريم التي ليهوذا، ليصعدوا من هناك تابوت الله الرب الجالس على الكروبيم الذي دعي بالاسم. ٧وأركبوا تابوت الله على عجلة جديدة من بيت أبيناداب، وكان عزة وأخيو يسوقان العجلة، ٨وداود وكل إسرائيل يلعبون أمام الله بكل عز وبأغاني وعيدان ورباب ودفوف وصنوج وأبواق.

موت عزة لأنه لمس التابوت:

٩ولما انتهوا إلى بيدر كيدون مد عزة يده ليمسك التابوت، لأن الثيران انشمصت. ١٠فحمي غضب الرب على عزة وضربه من أجل أنه مد يده إلى التابوت، فمات هناك أمام الله. ١١فاغتاظ داود لأن الرب اقتحم عزة اقتحاما، وسمى ذلك الموضع «فارص عزة» إلى هذا اليوم. ١٢وخاف داود الله في ذلك اليوم قائلا: «كيف آتي بتابوت الله إلي؟.

وضع التابوت في عوبيد:

١٣ولم ينقل داود التابوت إليه إلى مدينة داود، بل مال به إلى بيت عوبيد أدوم الجتي. ١٤وبقي تابوت الله عند بيت عوبيد أدوم في بيته ثلاثة أشهر. وبارك الرب بيت عوبيد أدوم وكل ما له)[(١)].

ب- الضرب بالبوق قبل الذهاب إلى أرض العدو:

ومن الاستعدادات العسكرية الممهدة لتأهب جيش شعب الرب للقتال الضرب بالبوق هتافا حتى يتذكر الرب ويشرع في تخليصهم من أيدي أعدائهم، فقدكان البوق يضرب في كل مكان لاستدعاء المحاربين بحسب أمر الرب لموسى قبل دخول شعب الرب إلى أرض الموعد،جاء في سفر العدد:(٩وإذا ذهبتم إلى حرب في أرضكم على عدو

(١) سفر أخبار الأيام الأول، أصحاح(١٣).

يضر بكم تهتفون–فاضربوا– بالأبواق فتذكرون أمام الرب إلهكم وتخلصون من أعدائكم–فأذكركم وأخلصكم من أعدائكم–)[1].

وكما كان البوق يضرب للدعوة للحرب، كذلك كان يضرب إيذانا بوقف القتال، كما فعل يوآب قائد جيش داود ملك يهوذا عندما كف عن مطاردة أبنير قائد قوات إيشبوشث ملك إسرائيل، جاء في سفر صموئيل الثاني:(٢٨وضرب يوآب بالبوق فوقف جميع الشعب ولم يسعوا بعد وراء إسرائيل ولا عادوا إلى المحاربة)[2].

وقد استخدم يشوع عند فتحه لأريحا الأبواق بأمر الرب، في مشهد عملي يوضح أهمية الأبواق في حروب شعب الرب، فقد يأمر جيشه بحسب أمر ربه له، جاء في سفر يشوع:(٤وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام التابوت. وفي اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات، والكهنة يضربون بالأبواق.

٥ويكون عند امتداد صوت قرن الهتاف عند استماعكم صوت البوق، أن جميع الشعب يهتف هتافا عظيما، فيسقط سور المدينة في مكانه، ويصعد الشعب كل رجل مع وجهه».

٦فدعا يشوع بن نون الكهنة وقال لهم: «احملوا تابوت العهد. وليحمل سبعة كهنة سبعة أبواق هتاف أمام تابوت الرب»...

٨وكان كما قال يشوع للشعب. اجتاز السبعة الكهنة حاملين أبواق الهتاف السبعة أمام الرب، وضربوا بالأبواق. وتابوت عهد الرب سائر وراءهم، ٩وكل متجرد سائر أمام الكهنة الضاربين بالأبواق. والبقية سائرة وراء التابوت. كانوا يسيرون ويضربون بالأبواق.

---

(١) سفر العدد، أصحاح(١٠).

(٢) سفر صموئيل الثاني، أصحاح(٢).

١٠وأمر يشوع الشعب: لا تهتفوا ولا تسمعوا صوتكم، ولا تخرج من أفواهكم كلمة حتى يوم أقول لكم: اهتفوا. فتهتفون...

١٣والسبعة الكهنة الحاملون أبواق الهتاف السبعة أمام تابوت الرب سائرون سيرا وضاربون بالأبواق، والمتجردون سائرون أمامهم، والبقية سائرة وراء تابوت الرب. كانوا يسيرون ويضربون بالأبواق...

١٦وكان في المرة السابعة عندما ضرب الكهنة بالأبواق أن يشوع قال للشعب: «اهتفوا، لأن الرب قد أعطاكم المدينة)[١].

وعندما حل روح الرب على إهودا لتخليص شعب الرب وخدع ملك الموآبيين وقتله، قفل راجعا ونفخ بالبوق من قمة جبل إفرايم، جاء في سفر القضاة:(٢٧وكان عند مجيئه أنه ضرب بالبوق في جبل أفرايم، فنزل معه بنو إسرائيل عن الجبل وهو قدامهم. ٢٨وقال لهم: «اتبعوني لأن الرب قد دفع أعداءكم الموآبيين ليدكم...)[٢].

وكذلك فعل جدعون عندما تحالفت جيوش المديانيين والعمالقة وبني المشرق لحرب شعب الرب، فقد حل فيه روح الرب ونفخ في البوق فانضم إليه رجال جيش الرب، جاء في سفر القضاة:(٣٤ولبس روح الرب جدعون فضرب بالبوق، فاجتمع أبيعزر وراءه)[٣].

وعندما أمر الرب جدعون بمهاجمة المديانيين، أمر جيشه الصغير بالضرب بالأبواق وفق طريقة محددة، جاء في سفر القضاة:(١٦وقسم الثلاث مئة الرجل إلى ثلاث فرق، وجعل أبواقا في أيديهم كلهم، وجرارا فارغة ومصابيح في وسط الجرار. ١٧وقال لهم: «انظروا إلي وافعلوا كذلك. وها أنا آت إلى طرف المحلة، فيكون كما أفعل أنكم هكذا

(١) سفر يشوع، أصحاح(٦).

(٢) سفر القضاة، أصحاح(٣).

(٣) سفر القضاة، أصحاح(٦).

تفعلون. ١٨ومتى ضربت بالبوق أنا وكل الذين معي فاضربوا أنتم أيضا بالأبواق حول كل المحلة، وقولوا: للرب ولجدعون.

دور الأبواق في هزيمة المديانيين:

١٩فجاء جدعون والمئة الرجل الذين معه إلى طرف المحلة في أول الهزيع الأوسط، وكانوا إذ ذاك قد أقاموا الحراس، فضربوا بالأبواق وكسروا الجرار التي بأيديهم. ٢٠فضربت الفرق الثلاث بالأبواق وكسروا الجرار، وأمسكوا المصابيح بأيديهم اليسرى والأبواق بأيديهم اليمنى ليضربوا بها، وصرخوا: «سيف للرب ولجدعون». ٢١ووقفوا كل واحد في مكانه حول المحلة. فركض كل الجيش وصرخوا وهربوا. ٢٢وضرب الثلاث المئين بالأبواق، وجعل الرب سيف كل واحد بصاحبه وبكل الجيش. فهرب الجيش إلى بيت شطة إلى صردة حتى إلى حافة آبل محولة إلى طباة)[1].

وكذلك فعل الملك شاول عند محاربته للفلسطينيين وجمع جيشه، جاء في صموئيل الأول:(٣وضرب يوناثان نصب الفلسطينيين الذي في جبع. فسمع الفلسطينيون. وضرب شاول بالبوق في جميع الأرض قائلا: «ليسمع العبرانيون».٤فسمع جميع إسرائيل قولا: «قد ضرب شاول نصب الفلسطينيين، وأيضا قد أنتن إسرائيل لدى الفلسطينيين».فاجتمع الشعب وراء شاول إلى الجلجال)[2].

وكان الكهنة هم الذين يضربون بالأبواق إيذانا بالحرب[3]، جاء في سفر أخبار الأم الثاني:(١٢وهوذا معنا الله رئيسا وكهنته وأبواق الهتاف للهتاف عليكم. فيا بني إسرائيل لا تحاربوا الرب إله آبائكم لأنكم لا تفلحون]. ١٣ولكن يربعام جعل الكمين يدور ليأتي

(١) سفر القضاة، أصحاح(٧).

(٢) سفر صموئيل الأول، أصحاح(١٣).

(٣) دائرة المعارف الكتابية، مادة حرب،(٣/ ٥٣).

من خلفهم. فكانوا أمام يهوذا والكمين خلفهم. ١٤فالتفت يهوذا وإذا الحرب عليهم من قدام ومن خلف. فصرخوا إلى الرب وبوق الكهنة بالأبواق ١٥وهتف رجال يهوذا. ولما هتف رجال يهوذا ضرب الله يربعام وكل إسرائيل أمام أبيا ويهوذا)[١].

٩- ميدان المعركة وما يحدث فيه من تحميس للجيش الكر والفر:

مارس بنو إسرائيل كثيرا من وسائل تحميس الجيش في ميدان المعركة، وأيضا مارسوا فنونا عديدة للقتال، وفي بعض الأحيان كان الملك يخاطب الجيش قبل الالتحام مع العدو، كما فعل يهوشافاط ملك يهوذا عند محاربته للعمونيين والموآبيين،كما أقام يهوشافاط مغنيين للرب يرافقون الجيش إلى المعركة زيادة في تحميس الجيش[٢]، جاء في العهد القديم:(٢٠وبكروا صباحا وخرجوا إلى برية تقوع. وعند خروجهم وقف يهوشافاط وقال: اسمعوا يا يهوذا وسكان أورشليم آمنوا بالرب إلهكم فتأمنوا. آمنوا بأنبيائه فتفلحوا].٢١ولما استشار الشعب أقام مغنين للرب ومسبحين في زينة مقدسة عند خروجهم أمام المتجردين وقائلين: احمدوا الرب لأن إلى الأبد رحمته].٢٢ولما ابتدأوا في الغناء والتسبيح جعل الرب أكمنة على بني عمون وموآب وجبل ساعير الآتين على يهوذا فانكسروا)[٣]. وهكذا فعل يهوذا المكابي وصلى للرب مرات عديدة[٤].

ونجد في أسفار الأنبياء وصفا لبدء القتال، كاستلال السيف من غمده، وذلك عندما أمر الرب حزقيال بالتنبأ لأرض إسرائيل، جاء في سفر حزقيال:(٣وقل لأرض إسرائيل: هكذا قال الرب: هئنذا عليك، وأستل سيفي من غمده فأقطع منك الصديق والشرير)[٥].

---

(١) سفر أخبار الأيام الثاني،أصحاح(١٢).

(٢) انظر دائرة المعارف الكتابية، (٣/ ٥١).

(٣) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح (٢٠).

(٤) انظر دائرة المعارف الكتابية، (٣/ ٥١).

(٥) سفر حزقيال، أصحاح(٢١).

ونجد صورة لتحريك القوات سواء للدفاع أو للهجوم وكشف المجن – الدروع – كما جاءت به نبوءة إشعياء، جاء في سفر إشعياء: (٥إن للسيد رب الجنود في وادي الرؤيا يوم شغب ودوس وارتباك. نقب سور وصراخ إلى الجبل ٦فعيلام قد حملت الجعبة بمركبات رجال فرسان. وقير قد كشفت المجن. ٧فتكون أفضل أوديتك ملآنة مركبات والفرسان تصطف اصطفافا نحو الباب. ٨ويكشف ستر يهوذا فتنظر في ذلك اليوم إلى أسلحة بيت الوعر)[1].

وصورة أخرى لتحريك الجيوش، جاءت في نبوءة ناحوم عن نينوى الظالمة، جاء في سفر ناحوم:(١قد ارتفعت المقمعة على وجهك.-قد زحف عليك المهاجم يانينوى- احرس الحصن. راقب الطريق. شدد الحقوين. مكن القوة جدا. ٢فإن الرب يرد عظمة يعقوب كعظمة إسرائيل لأن السالبين قد سلبوهم وأتلفوا قضبان كرومهم)[2].

وكانت الحرب تنشب عادة في الربيع بعد أن يكون القتال قد توقف في الشتاء، جاء في سفر صموئيل الثاني:(١وكان عند تمام السنة -وفي ربيع العام التالي- في وقت خروج الملوك أن داود أرسل يوآب وعبيده معه وجميع إسرائيل، فأخربوا بني عمون وحاصروا ربة. وأما داود فأقام في أورشليم)[3].

وأمر الرب أخاب أن يستعد لملاقاة جيوش الأعداء التي هزمها، لأنهم سيعودون للانتقام منه عند تمام السنة:(٢٢فتقدم النبي إلى ملك إسرائيل وقال له: [اذهب تشدد، واعلم وانظر ما تفعل. لأنه عند تمام السنة يصعد عليك ملك أرام)[4].

---

(١) سفر إشعياء،أصحاح(٢٢).

(٢) سفر ناحوم، أصحاح(٢).

(٣) سفر صموئيل الثاني، أصحاح(١١).

(٤) سفر الملوك الأول، أصحاح(٢٠). وانظر دائرة المعارف الكتابية، (٣/ ٥١).

وكان تنظيم المعركة يعبر عن عقلية حربية تقليدية، فكان الجنود يصطفون إما صفا واحدا أو ينقسمون إلى ثلاث فرق تمثل القلب والجناحين. وكانت هناك المؤخرة أو الساقة لحماية المسيرة، كما فعل ذلك جدعون عندما حارب المديانيين، جاء في سفر القضاة: (١٦وقسم الثلاث مئة الرجل إلى ثلاث فرق، وجعل أبواقا في أيديهم كلهم، وجرارا فارغة ومصابيح في وسط الجرار)[١].

وفعل ذلك أيضا وقسم الجيش شاول عندما حارب العمونيين،جاء في سفر صموئيل الأول:(١١وكان في الغد أن شاول جعل الشعب ثلاث فرق، ودخلوا في وسط المحلة عند سحر الصبح وضربوا العمونيين حتى حمي النهار. والذين بقوا تشتتوا حتى لم يبق منهم اثنان معا)[٢].

وكذلك قسم داود جيشه عندما ثار عليه أبنه أبشالوم، جاء في سفر صموئيل الثاني:(٢وأرسل داود الشعب ثلثا بيد يوآب وثلثا بيد أبيشاي ابن صروية أخي يوآب وثلثا بيد إتاي الجتي. وقال الملك للشعب: «إني أنا أيضا أخرج معكم)[٣].

وجاء في سفر العدد:(. ٢٥ثم ارتحلت راية محلة بني دان ساقة جميع المحلات حسب أجنادهم وعلى جنده أخيعزر بن عميشداي)[٤].

وكانت نتيجة المعركة تتوقف على الشجاعة الشخصية وثبات المقاتلين، إذا كانوا يقاتلون رجلا ضد رجل من الأعداء، ولكن في بعض الحالات كانت النتيجة تتوقف على شجاعة مقاتل واحد كما حدث في قتال داود الغلام الصغير لجليات الجبار العملاق، وجاء في سفر صموئيل الأول وصف كامل لأحداث بطولة فذة من أبطال العهد القديم الملك داود، في معركة حربية تجسد مكانة أبطال الجيوش في النصر والهزيمة:

(١) سفر القضاة، أصحاح(٧).

(٢) سفر صموئيل الأول، أصحاح(١١).

(٣) سفر صموئيل الثاني، أصحاح(١٨).

(٤) سفر العدد، أصحاح(١٠).

جليات يتحدى جيش شاول:

(١وجمع الفلسطينيون جيوشهم للحرب فاجتمعوا في سوكوه التي ليهوذا، ونزلوا بين سوكوه وعزيقة في أفس دميم. ٢واجتمع شاول ورجال إسرائيل ونزلوا في وادي البطم، واصطفوا للحرب للقاء الفلسطينيين. ٣وكان الفلسطينيون وقوفا على جبل من هنا وإسرائيل وقوفا على جبل من هناك، والوادي بينهم. ٤فخرج رجل مبارز من جيوش الفلسطينيين اسمه جليات، من جت، طوله ست أذرع وشبر، ٥وعلى رأسه خوذة من نحاس، وكان لابسا درعا حرشفيا وزنه خمسة آلاف شاقل نحاس. ٦وجرموقا نحاس على رجليه، وحربة نحاس بين كتفيه. ٧وقناة رمحه كنول النساجين، وسنان رمحه ست مئة شاقل حديد، وحامل الترس كان يمشي قدامه. ٨فوقف ونادى صفوف إسرائيل: «لماذا تخرجون لتصطفوا للحرب؟ أما أنا الفلسطيني، وأنتم عبيد لشاول؟ اختاروا لأنفسكم رجلا ولينزل إلي. ٩فإن قدر أن يحاربني ويقتلني نصير لكم عبيدا. وإن قدرت أنا عليه وقتلته تصيرون أنتم لنا عبيدا وتخدموننا». ١٠وقال الفلسطيني: «أنا عيرت صفوف إسرائيل هذا اليوم. أعطوني رجلا فنتحارب معا». ١١ولما سمع شاول وجميع إسرائيل كلام الفلسطيني هذا ارتاعوا وخافوا جدا...

داود في ميدان المعركة، ويتأهب لملاقاة جليات:

٣٢فقال داود لشاول: «لا يسقط قلب أحد بسببه. عبدك يذهب ويحارب هذا الفلسطيني». ٣٣فقال شاول لداود: «لا تستطيع أن تذهب إلى هذا الفلسطيني لتحاربه لأنك غلام وهو رجل حرب منذ صباه». ٣٤فقال داود لشاول: «كان عبدك يرعى لأبيه غنما، فجاء أسد مع دب وأخذ شاة من القطيع. ٣٥فخرجت وراءه وقتلته وأنقذتها من فمه. ولما قام علي أمسكته من ذقنه وضربته فقتلته. ٣٦قتل عبدك الأسد والدب جميعا. وهذا الفلسطيني الأغلف يكون كواحد منهما لأنه قد عير صفوف الله الحي».

داود يتوكل على الله:

٣٧وقال داود: «الرب الذي أنقذني من يد الأسد ومن يد الدب هو ينقذني من يد هذا الفلسطيني». فقال شاول لداود: «اذهب وليكن الرب معك». ٣٨وألبس شاول داود ثيابه، وجعل خوذة من نحاس على رأسه وألبسه درعا. ٣٩فتقلد داود بسيفه فوق ثيابه وعزم أن يمشي لأنه لم يكن قد جرب. فقال داود لشاول: «لا أقدر أن أمشي بهذه لأني لم أجربها». ونزعها داود عنه. ٤٠وأخذ عصاه بيده، وانتخب له خمسة حجارة ملس من الوادي وجعلها في كنف الرعاة الذي له (أي في الجراب) ومقلاعه بيده وتقدم نحو الفلسطيني.

جليات يستهزأ بداود وداود يتحداه ويحاربه باسم رب الجنود إله إسرائيل:

٤١واقترب الفلسطيني إلى داود وحامل الترس أمامه. ٤٢ولما رأى داود استحقره لأنه كان غلاما وأشقر جميل المنظر. ٤٣فقال لداود: «ألعلي أنا كلب حتى تأتي إلي بعصي». ولعن داود بآلهته. ٤٤وقال الفلسطيني لداود: «تعال إلي فأعطي لحمك لطيور السماء ووحوش البرية». ٤٥فقال داود: «أنت تأتي إلي بسيف وبرمح وبترس. وأنا آتي إليك باسم رب الجنود إله صفوف إسرائيل الذين عيرتهم.

٤٦هذا اليوم يحبسك الرب في يدي فأقتلك وأقطع رأسك. وأعطي جثث جيش الفلسطينيين هذا اليوم لطيور السماء وحيوانات الأرض، فتعلم كل الأرض أنه يوجد إله لإسرائيل.

٤٧وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلص الرب، لأن الحرب للرب وهو يدفعكم ليدنا».

داود يقتل جليات:

٤٨وركض نحو الصف للقاء الفلسطيني. ٤٩ومد داود يده إلى الكنف وأخذ منه حجرا ورماه بالمقلاع، وضرب الفلسطيني في جبهته، فانغزر الحجر في جبهته وسقط على وجهه إلى الأرض. ٥٠فتمكن داود من الفلسطيني بالمقلاع والحجر، وضرب الفلسطيني

وقتله. ولم يكن سيف بيد داود. ٥١فركض داود ووقف على الفلسطيني وأخذ سيفه واخترطه من غمده وقتله وقطع به رأسه.

هزيمة الفلسطينيين:

فلما رأى الفلسطينيون أن جبارهم قد مات هربوا. ٥٢فقام رجال إسرائيل ويهوذا وهتفوا ولحقوا الفلسطينيين حتى مجيئك إلى الوادي وحتى أبواب عقرون. فسقطت قتلى الفلسطينيين في طريق شعرايم إلى جت وإلى عقرون. ٥٣ثم رجع بنو إسرائيل من الاحتماء وراء الفلسطينيين ونهبوا محلتهم. ٥٤وأخذ داود رأس الفلسطيني وأتى به إلى أورشليم، ووضع أدواته في خيمته)[١].

ومن البطولات التي سجلها العهد القديم، القتال الذي حدث في جبعون بين اثني عشر من رجال بنيامين أتباع ايشبوشث، واثني عشر من عبيد داود، حين أمسك كل واحد بصاحبه وضرب سيفه في جنب صاحبه، وسقطوا جميعا. وكان هذا إيذنا "بقتال شديد جدا" انكسر فيه أبنير ورجال إسرائيل أمام رجال داود، جاء في سفر صموئيل الثاني:(١٢وخرج أبنير بن نير وعبيد إيشبوشث بن شاول من محنايم إلى جبعون. ١٣وخرج يوآب بن صروية وعبيد داود، فالتقوا جميعا على بركة جبعون. وجلسوا هؤلاء على البركة من هنا وهؤلاء على البركة من هناك. ١٤فقال أبنير ليوآب: «ليقم الغلمان ويتكافحوا أمامنا». فقال يوآب: «ليقوموا». ١٥فقاموا وعبروا بالعدد، اثنا عشر لأجل بنيامين وإيشبوشث بن شاول، واثنا عشر من عبيد داود. ١٦وأمسك كل واحد برأس صاحبه وضرب سيفه في جنب صاحبه وسقطوا جميعا. فدعي ذلك الموضع «حلقث هصوريم» التي هي في جبعون. ١٧وكان القتال شديدا جدا في ذلك اليوم، وانكسر أبنير ورجال إسرائيل أمام عبيد داود)[٢].

(١) سفر صموئيل الأول، أصحاح(١٧).

(٢) سفر صموئيل الثاني، أصحاح(٢).

وكانت هناك عمليات حربية صغيرة في صورة غارات كتلك التي قام بها الفلسطينيون في وادي الرفائيين وتصدى لها داود بعد أن استأذن الرب، جاء في سفر أخبار الأيام الأول: (٨وسمع الفلسطينيون أن داود قد مسح ملكا على كل إسرائيل، فصعد كل الفلسطينيين ليفتشوا على داود. ولما سمع داود خرج لاستقبالهم. ٩فجاء الفلسطينيون وانتشروا في وادي الرفائيين. ١٠فسأل داود من الله: «أأصعد على الفلسطينيين فتدفعهم ليدي؟» فقال له الرب: «اصعد فأدفعهم ليدك». ١١فصعدوا إلى بعل فراصيم وضربهم داود هناك. وقال داود: «قد اقتحم الله أعدائي بيدي كاقتحام المياه». لذلك دعوا اسم ذلك الموضع «بعل فراصيم». ١٢وتركوا هناك آلهتهم، فأمر داود فأحرقت بالنار. ١٣ثم عاد الفلسطينيون أيضا وانتشروا في الوادي. ١٤فسأل أيضا داود من الله، فقال له الله: «لا تصعد وراءهم، تحول عنهم وهلم عليهم مقابل أشجار البكا. ١٥وعندما تسمع صوت خطوات في رؤوس أشجار البكا فاخرج حينئذ للحرب، لأن الله يخرج أمامك لضرب محلة الفلسطينيين». ١٦ففعل داود كما أمره الله، وضربوا محلة الفلسطينيين من جبعون إلى جازر. ١٧وخرج اسم داود إلى جميع الأراضي، وجعل الرب هيبته على جميع الأمم)(١).

كما كانت هناك عمليات عسكرية في صورة غزوات بهدف السلب والنهب كما فعل عبيد داود، جاء في سفر صموئيل الثاني:(٢٢وإذا بعبيد داود ويوآب قد جاءوا من الغزو وأتوا بغنيمة كثيرة معهم، ولم يكن أبنير مع داود في حبرون، لأنه كان قد أرسله فذهب بسلام)(٢).

أو بهدف تأمين الإمدادات، كما فعل شممة أحد أبطال داود، عندما فر الجيش وثبت وسط الحقل المزروع بالعدس وخلصه من أيدي الفلسطينيين، جاء في سفر صموئيل الثاني:(١١وبعده شمة بن أجي الهراري. فاجتمع الفلسطينيون جيشا وكانت هناك قطعة

(١) سفر أخبار الأيام الأول، أصحاح(١٤).

(٢) سفر صموئيل الثاني، أصحاح(٣).

حقل مملوءة عدسا، فهرب الشعب من أمام الفلسطينيين. ١٢فوقف في وسط القطعة وأنقذها، وضرب الفلسطينيين فصنع الرب خلاصا عظيما)[(١)].

وسجل لنا العهد القديم بعض الخصائص الرئيسية للحروب وما كان يصاحبها من الجلبة والهتافات مما يشبه مايعرف في عصرنا بالتأثير المعنوي عى الخصم، جاء في سفر صموئيل الأول: (٦فسمع الفلسطينيون صوت الهتاف فقالوا: «ما هو صوت هذا الهتاف العظيم في محلة العبرانيين؟» وعلموا أن تابوت الرب جاء إلى المحلة)[(٢)].

وجاء فيه أيضا:(١٩وفيما كان شاول يتكلم بعد مع الكاهن، تزايد الضجيج الذي في محلة الفلسطينيين وكثر. فقال شاول للكاهن: «كف يدك»)[(٣)].

ووصف الأنبياء ما تحدثه الحرب من رعب وذعر وخراب في صور مجازية مثيرة، فنجد إرميا يصف الجيش الزاحف وصفا مخيفا، جاء في سفر إرميا:(١٦من دان سمعت حمحمة خيله. عند صوت صهيل جياده ارتجفت كل الأرض. فأتوا وأكلوا الأرض وملأها المدينة والساكنين فيها)[(٤)].

وصورة أخرى في سفر ناحوم جاء ت في نبوءة ناحوم عن نينوى والمصير الذي ستلقاه:(٢صوت السوط–فرقعة السياط– وصوت رعشة البكر وخيل تخب ومركبات تقفز–وصلصلة المركبات– ٣وفرسان تنهض ولهيب السيف وبريق الرمح وكثرة جرحى ووفرة قتلى ولا نهاية للجثث. يعثرون بجثثهم)[(٥)].

---

(١) سفر صموئيل الثاني، أصحاح(٢٣).

(٢) سفر صموئيل الأول، أصحاح(٤).

(٣) سفر صموئيل الأول، أصحاح(١٤).

(٤) سفر إرميا، أصحاح(٨).

(٥) سفر ناحوم، أصحاح(٣).

كما يتنبأ ناحوم أيضا في سفره:(٣ترس أبطاله محمر. رجال الجيش قرمزيون. المركبات بنار الفولاذ في يوم إعداده. والسرو يهتز. ٤تهيج المركبات في الأزقة. تتراكض في الساحات. منظرها كمصابيح. تجري كـ-البروق. ٥يذكر عظماءه. يتعثرون في مشيهم. يسرعون إلى سورها وقد أقيمت المترسة)(١).

ومن الخصائص الميدانية، أن إشهار السيف علامة على بدء القتال، فإن رده إلى غمده أو إلى جرابه كان علامة على إعلان السلام، جاء في سفر إرميا:(٦آه يا سيف الرب حتى متى لا تستريح؟ انضم إلى غمدك! اهدأ واسكن)(٢).

١٠- حصار مدن الأعداء:

ومن الطرق الحربية التي مارسها شعب الرب وأثبتها العهد القديم، حصار مدن الأعداء، فعندما كانت تحاصر مدينة ما، كان المحاصرون يحصنون معسكرهم ضد الهجوم، وإذا أمكن فإنهم كانوا يقطعون الماء عن المدينة، ولكي يدفعوا آلاتهم الحربية إلى العمل كانوا يقيمون المتاريس من أكوام التراب في اتجاه المدينة كما حصل من يوآب قائد قوات داود عندما حاصر آبل بيت معكة طلبا للمتمرد على الملك دواد شبع بن بكري، جاء في سفر صموئيل الثاني:(١٥وجاءوا وحاصروه في آبل بيت معكة وأقاموا مترسة حول المدينة فأقامت في الحصار، وجميع الشعب الذين مع يوآب كانوا يخربون لأجل إسقاط السور)(٣).

وتنبأ حزقيال بالنبوءة التي رمزت بحصار أورشليم وسبي أهلها،جاء في سفر حزقيال:(١وأنت يا ابن آدم فخذ لنفسك لبنة وضعها أمامك، وارسم عليها مدينة أورشليم. ٢واجعل عليها حصارا، وابن عليها برجا، وأقم عليها مترسة، واجعل عليها

(١) سفر ناحوم، أصحاح(٢).

(٢) سفر إرميا، أصحاح(٤٧). وانظر قاموس الكتاب المقدس، مادة حرب، ٢٩٦، ٢٩٧.

(٣) سفر صموئيل الأول، أصحاح(٢٠).

جيوشا، وأقم عليها مجانق حولها. ٣وخذ أنت لنفسك صاجا من حديد وانصبه سورا من حديد بينك وبين المدينة، وثبت وجهك عليها فتكون في حصار وتحاصرها. تلك آية لبيت إسرائيل)[١].

وكان المتراس يزداد في الارتفاع بالتدريج حتى كان أحيانا يصل إلى نصف ارتفاع سور المدينة، وفوق هذا المستوى المائل كان يسير الكبش، وهو آلة حربية لهدم الأسوار، حتى يصل إلى موقع مناسب، ثم أعلاه ومن المتراس كان رماة النبال والمسلحون بالمقاليع يطلقون قذائفهم، وكانت توضع سلالم التسلق على قمة المتراس للتسلق على السور[٢].

وأحيانا كان يوضع الوقود على الأبواب وتشعل فيه النار لكي تحترق ثم تفتح فيه ثغرة للدخول للمدينة، كما حاصر أبيمالك ملك أورشليم بج مدينة تاباص- المنشقة عليه- والذي تحصن فيه أهلها، جاء في سفر القضاة:(٥٢فجاء-فحاصر- أبيمالك إلى البرج وحاربه، واقترب إلى باب البرج ليحرقه بالنار)[٣].

وأحيانا كان رماة النبال يهاجمون المدافعين عن السور، وكان هؤلاء الرماة يقفون عند قاعدة السور وليس على المتراس[٤].

وكان المحاصرون يستعدون للمحاصرة بحماية مصادر مياههم، وترميم تحصيناتهم وتقويتها، كما صنع حزقيا عندما زحفت جيوش سنحاريب الأشوري عليه، جاء في سفرأخبار الأيام الثاني:(٢ولما رأى حزقيا أن سنحاريب قد أتى ووجهه على محاربة أورشليم ٣تشاور هو ورؤساؤه وجبابرته على طم مياه العيون التي هي خارج المدينة فساعدوه. ٤فتجمع شعب كثير وطموا جميع الينابيع والنهر الجاري في وسط الأرض

(١) سفر حزقيال، أصحاح(٤).

(٢) انظر قاموس الكتاب المقدس، مادة حرب، (٢٩٦/ ٢٩٧).

(٣) سفر القضاة،أصحاح(٩).

(٤) انظر قاموس الكتاب المقدس، مادة حرب، (٢٩٧).

قائلين: [لماذا يأتي ملوك أشور ويجدون مياها غزيرة؟] ٥وتشدد وبنى كل السور المنهدم وأعلاه إلى الأبراج وسورا آخر خارجا وحصن القلعة مدينة داود وعمل سلاحا بكثرة وأتراسا. ٦وجعل رؤساء قتال على الشعب وجمعهم إليه إلى ساحة باب المدينة وطيب قلوبهم قائلا: ٧[تشددوا وتشجعوا. لا تخافوا ولا ترتاعوا من ملك أشور ومن كل الجمهور الذي معه لأن معنا أكثر مما معه. ٨معه ذراع بشر ومعنا الرب إلهنا ليساعدنا ويحارب حروبنا]. فاستند الشعب على كلام حزقيا ملك يهوذا)[١].

وكانوا يزعجون العدو المحاصر ويحاولون أن يضرونه للخروج لمهاجمتهم، وكانوا يصدون الهجوم ويعوقون المحاصرين في عملياتهم العدوانية بإطلاق الرماح والحجارة ورميهم بالسهام من الأسوار، وكانوا يتلفون أو يحاولون أن يتلفوا الآلات الحربية بواسطة رمي شعلات محترقة عليها، وبواسطة تقويض الأكوام التي كانت تقوم عليها الكباش، كما حصل عندما قتل أوريا الحثي عند أسوار المدينة المحصارة من قبل يوآب،جاء في سفر صموئيل الثاني:(٢٣وقال الرسول لداود: «قد تجبر علينا القوم وخرجوا إلينا إلى الحقل فكنا عليهم إلى مدخل الباب. ٢٤فرمى الرماة عبيدك من على السور، فمات البعض من عبيد الملك، ومات عبدك أوريا الحثي أيضا)[٢].

وكان من تعزيزات الملك عزيا ملك يهوذا، وضع مناجق لتكون على الأبراج والزوايا لحماية الحصون، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(١٤وهيأ لهم عزيا لكل الجيش أتراسا ورماحا وخوذا ودروعا وقسيا وحجارة مقاليع. ١٥وعمل في أورشليم منجنيقات اختراع مخترعين لتكون على الأبراج وعلى الزوايا لترمى بها السهام والحجارة العظيمة. وامتد اسمه إلى بعيد إذ عجبت مساعدته حتى تشدد)[٣].

---

(١) سفر أخبار الأيام الثاني،أصحاح (٣٢).

(٢) سفر صموئيل الثاني، أصحاح (١١). وانظر قاموس الكتاب المقدس، مادة حرب، (٢٩٧).

(٣) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٢٦).

وقد حاصر يشوع مدينة أريحا حتى سقطت في يده، جاء في سفر يشوع:(١وكانت أريحا مغلقة مقفلة بسبب بني إسرائيل. لا أحد يخرج ولا أحد يدخل. ٢فقال الرب ليشوع: «انظر. قد دفعت بيدك أريحا وملكها جبابرة البأس. ٣تدورون دائرة المدينة، جميع رجال الحرب. حول المدينة مرة واحدة. هكذا تفعلون ستة أيام. ٤وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام التابوت. وفي اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات، والكهنة يضربون بالأبواق. ٥ويكون عند امتداد صوت قرن الهتاف عند استماعكم صوت البوق، أن جميع الشعب يهتف هتافا عظيما، فيسقط سور المدينة في مكانه، ويصعد الشعب كل رجل مع وجهه. لا ينجو من المدينة سوى راحاب الزانية

١٧فتكون المدينة وكل ما فيها محرما للرب. راحاب الزانية فقط تحيا هي وكل من معها في البيت، لأنها قد خبأت المرسلين اللذين أرسلناهما)[(١)].

شرائع حصار وفتح مدن غير أرض الموعد:

من شرائع حصار وفتح مدن البعيدة – غير مدن أرض الموعد – عرض الصلح على الأمم قبل الشروع في الحرب على أن يكونوا عبيدا لبني إسرائيل:

١٠«حين تقرب من مدينة لتحاربها استدعها للصلح ١١فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. ١٢وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها.

شرائع حصار وفتح مدن أرض الموعد:

١٦وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما ١٧بل تحرمها تحريما: الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما

(١) سفر يشوع، أصحاح(٦).

أمرك الرب إلهك ١٨لكي لا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التي عملوا لآلهتهم فتخطئوا إلى الرب إلهكم.

شريعة إتلاف الأشجار حتى سقوط المدينة المحاصرة:

١٩«إذا حاصرت مدينة أياما كثيرة محاربا إياها لتأخذها فلا تتلف شجرها بوضع فأس عليه. إنك منه تأكل. فلا تقطعه. لأنه هل شجرة الحقل إنسان حتى يذهب قدامك في الحصار؟ ٢٠وأما الشجر الذي تعرف أنه ليس شجرا يؤكل منه فإياه تتلف وتقطع وتبني حصنا على المدينة التي تعمل معك حربا حتى تسقط»(١).

١١- حال شعب الرب مع الأمم عند النصر:

سجل العهد القديم عن شعب الرب عند انتصارهم على أعدائهم حالات عديدة منها:

أ- القسوة على الأمم المهزومة:

عند استقراء نصوص النصر لشعب الرب في العهد القديم، نجد أمثلة بشعة للإفراط في القسوة على الأسرى والمهزومين والتخريب للمدن المهزومة، فكثيرا ما كانت المدن المسبية تخرب ويذبح سكانها، ولا يستبقى منها أحد لا بالنسبة لسنه و لا بالنسبة لجنسه وهو ما يسمى بالتحريم وهو الإبادة الكاملة لكل حي من البشر والدواب(٢)، كما فعل موسى عندما رجع جيشه منتصرا على المديانيين بعدما أمر الرب بالانتقام منهم،ومع ذلك غضب غضبا شديدا لأنه استبقى أحياء من النساء والأطفال، جاء في سفر العدد:(١وأمر الرب موسى.٢«انتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين ثم تضم إلى قومك». ٣فقال موسى للشعب: «جردوا منكم رجالا للجند فيكونوا على مديان ليجعلوا نقمة الرب على

(١) سفر التثنية، أصحاح (٢٠).

(٢) انظر قاموس الكتاب المقدس، مادة حرب، (٢٩٧).

مديان. ٤ألفا واحدا من كل سبط من جميع أسباط إسرائيل ترسلون للحرب». ٥فاختير من ألوف إسرائيل ألف من كل سبط. اثنا عشر ألفا مجردون للحرب.

٦فأرسلهم موسى ألفا من كل سبط إلى الحرب هم وفينحاس بن ألعازار الكاهن إلى الحرب وأمتعة القدس وأبواق الهتاف في يده. ٧فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر. ٨وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم. أوي وراقم وصور وحور ورابع. خمسة ملوك مديان. وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف.

٩وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم. ١٠وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار. ١١وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم ١٢وأتوا إلى موسى وألعازار الكاهن وإلى جماعة بني إسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة إلى المحلة إلى عربات موآب التي على أردن أريحا.

غضب موسى ورؤساء شعب الرب لعدم تحريم كامل المدن:

١٣فخرج موسى وألعازار الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحلة. ١٤فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب. ١٥وقال لهم موسى: «هل أبقيتم كل أنثى حية؟ ١٦إن هؤلاء كن لبني إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب في أمر فغور فكان الوبأ في جماعة الرب.

أمر موسى بإبقاء الأبكار من النساء فقط:

١٧فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال. وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها. ١٨لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات)[(١)].

وكما فعل يشوع في أريحا، جاء في سفر يشوع:(٢٠فهتف الشعب وضربوا بالأبواق. وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافا عظيما، فسقط السور في

(١) سفر العدد، أصحاح(٣١).

مكانه، وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه، وأخذوا المدينة. ٢١وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ - حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف)[١].

وكما فعل يشوع أيضا مع أهل عاي، جاء في سفر يشوع:(٢١ولما رأى يشوع وجميع إسرائيل أن الكمين قد أخذ المدينة، وأن دخان المدينة قد صعد، انثنوا وضربوا رجال عاي. ٢٢وهؤلاء خرجوا من المدينة للقائهم، فكانوا في وسط إسرائيل، هؤلاء من هنا وأولئك من هناك. وضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت.

٢٣وأما ملك عاي فأمسكوه حيا وتقدموا به إلى يشوع. ٢٤وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث لحقوهم، وسقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا أن جميع إسرائيل رجع إلى عاي وضربوها بحد السيف.

٢٥فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفا، جميع أهل عاي. ٢٦ويشوع لم يرد يده التي مدها بالحربة حتى حرم جميع سكان عاي.

استثناء بهائم مدينة عاي وغنائمها بأمر الرب:

٢٧لكن البهائم وغنيمة تلك المدينة نهبها إسرائيل لأنفسهم حسب قول الرب الذي أمر به يشوع. ٢٨وأحرق يشوع عاي وجعلها تلا أبديا خرابا إلى هذا اليوم.

التمثيل بملك عاي وصلبه:

٢٩وملك عاي علقه على الخشبة إلى وقت المساء. وعند غروب الشمس أمر يشوع فأنزلوا جثته عن الخشبة وطرحوها عند مدخل باب المدينة، وأقاموا عليها رجمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم)[٢].

وكذلك ما فعله يشوع أيضا مع الملوك الخمسة المتحالفين ضده، فقد قتلهم وصلبهم ومثل بهم، وحرم -أباد-جميع سكان مدنهم، وجعل ذلك عاقبة كل من يحارب شعب

(١) سفر يشوع، أصحاح(٦).

(٢) سفر يشوع، أصحاح(٨).

الرب، جاء في سفر يشوع:(٢٤وكان لما أخرجوا أولئك الملوك إلى يشوع أن يشوع دعا كل رجال إسرائيل وقال لقواد رجال الحرب الذين ساروا معه: «تقدموا وضعوا أرجلكم على أعناق هؤلاء الملوك». فتقدموا ووضعوا أرجلهم على أعناقهم.

الرب يفعل بأعداء شعبه كما فعل بالملوك الخمسة:

٢٥فقال لهم يشوع: «لا تخافوا ولا ترتعبوا. تشددوا وتشجعوا. لأنه هكذا يفعل الرب بجميع أعدائكم الذين تحاربونهم».

٢٦وضربهم يشوع بعد ذلك وقتلهم وعلقهم على خمس خشب، وبقوا معلقين على الخشب حتى المساء. ٢٧وكان عند غروب الشمس أن يشوع أمر فأنزلوهم عن الخشب وطرحوهم في المغارة التي اختبأوا فيها، ووضعوا حجارة كبيرة على فم المغارة حتى إلى هذا اليوم عينه)[(١)].

وكما فعل داود بالأسرى الموآبين، جاء في سفر صموئيل الثاني:(١ وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذللهم، وأخذ داود «زمام القصبة» من يد الفلسطينيين. ٢وضرب الموآبيين وقاسهم بالحبل. أضجعهم على الأرض، فقاس بحبلين للقتل وبحبل للاستحياء. وصار الموآبيون عبيدا لداود يقدمون هدايا)[(٢)].

وفعل داود ذلك أيضا مع بني عمون الذي أسرهم في ربة، جاء في سفر صموئيل الثاني: (٣١وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم في أتون الآجر، وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون. ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم)[(٣)].

---

(١) سفر يشوع، أصحاح(١٠).

(٢) سفر صموئيل الثاني، أصحاح(٨).

(٣) سفر صموئيل الثاني، أصحاح(١٢).

وكذلك فعل منحيم بن جادي القائد العام لقوات يربعام الثاني قبل أن يتوج ملكا على يهوذا، حيث قضى على كل حي، وشق بطون الحوامل، عندما هجم على مدينة تفصح وضواحيها، جاء في سفر الملوك الثاني:(١٦حينئذ ضرب منحيم تفصح وكل ما بها وتخومها من ترصة. لأنهم لم يفتحوا له. ضربها وشق جميع حواملها)[١].

ب- استقبال الغزاة بالترحاب والتهليل والأغاني والترانيم:

كان المنتصرون يستقبلون بالترحاب والتهليل وأغاني الابتهاج والفرح،كما حصل لداود عند رجوعه منتصرا على الفلسطينيين، جاء في سفر صموئيل الأول:(٦وكان عند مجيئهم حين رجع داود من قتل الفلسطيني أن النساء خرجت من جميع مدن إسرائيل بالغناء والرقص للقاء شاول الملك بدفوف وبفرح وبمثلثات)[٢].

وكانت ترنم الأناشيد الجماعية احتفالا بالنصر، كما حصل لموسى عندما انتصر على فرعون، جاء في سفر الخروج:(١حينئذ رنم موسى وبنو إسرائيل هذه التسبيحة للرب: «أرنم للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر. ٢الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي.هذا إلهي فأمجده إله أبي فأرفعه.٣الرب رجل الحرب. الرب اسمه)[٣].

وجاء في سفر القضاة ترنيم دبورة القاضية عندما هزم شعب الرب يابين ملك كنعان، جاء في سفر القضاة:(١فترنمت دبورة وباراق بن أبينوعم في ذلك اليوم قائلين: ٢«لأجل قيادة القواد في إسرائيل، لأجل طاعة الشعب، باركوا الرب. ٣اسمعوا أيها الملوك واصغوا أيها العظماء. أنا، أنا للرب أترنم. أزمر للرب إله إسرائيل)[٤].

(١) سفر الملوك الثاني، أصحاح(١٥). وانظر قاموس الكتاب المقدس،مادة حرب، (٢٩٧).

(٢) سفر صموئيل الأول، أصحاح(١٨).

(٣) سفر الخروج، أصحاح (١٥).

(٤) سفر القضاة، أصحاح (٥).

ج- تقديم ذبائح السلام شكرا للرب على تخليصه:

وفي حالة نصرهم وهم ضعفاء،كان المنتصرون يقدمون ذبائح سلام شكرا للرب على تخليصه ونصره، كما حصل من شاول قبل توليه الملك عندما هدد ناحاش العموني قائد جيش العمونيين شعب الرب وحاصر مدينة يابيش جلعاد، وعرض عليه الشعب توقيع معاهدة يكونون عبيدا له فيها، فأجابهم على طلبهم بشرط أن يقلع العين اليمنى لكل رجل منهم، عند ذلك ثار شاول واستنفر الشعب للحرب وهددهم بأن يقتل ويذبح ويبقر بطن كل من لم يخرج معه، ثم انتصر على ناحش وجيشه، جاء في سفر صموئيل الأول: (١٥فذهب كل الشعب إلى الجلجال وملكوا هناك شاول أمام الرب في الجلجال، وذبحوا هناك ذبائح سلامة أمام الرب. وفرح هناك شاول وجميع رجال إسرائيل جدا)(١).

د- فرض الجزية والسخرة على الأمم المهزومة:

كما فعل داود مع الفلسطينيين والموآبيين عندما هزمهم وقهرهم واستعبدهم، جاء في سفر أخبار الأيام الأول:(١وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذللهم، وأخذ جت وقراها من يد الفلسطينيين. ٢وضرب موآب، فصار الموآبيون عبيدا لداود يقدمون هدايا-يؤدون له الجزية-)(٢).

وكما فعل ذلك سليمان، فرض الجزية على الممالك التي كانت تهابه وتخشى قوته، جاء في سفر الملوك الأول:(٢١وكان سليمان متسلطا على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر. كانوا يقدمون الهدايا ويخدمون سليمان كل أيام حياته)(٣).

---

(١) سفر صموئيل الأول، أصحاح(١١).

(٢) سفر أخبار الأيام الأول، أصحاح(١٨).

(٣) سفر الملوك الأول، أصحاح(٤).

وفرض سليمان السخرة على الأمم،جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(٧أما جميع الشعب الباقي من الحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين الذين ليسوا من إسرائيل ٨من بينهم الذين بقوا بعدهم في الأرض الذين لم يفنهم بنو إسرائيل فجعل سليمان عليهم سخرة إلى هذا اليوم-سخرهم سليمان للخدمة إلى هذا اليوم)[1].

وفي عهد القضاة فرض أسباط شعب الرب على الكنعانيين الجزية، جاء في سفر القضاة:(٢٧ولم يطرد منسى أهل بيت شان وقراها، ولا أهل تعنك وقراها، ولا سكان دور وقراها، ولا سكان يبلعام وقراها، ولا سكان مجدو وقراها. فعزم الكنعانيون على السكن في تلك الأرض. ٢٨وكان لما تشدد إسرائيل أنه وضع الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردهم طردا.

٢٩وأفرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في جازر، فسكن الكنعانيون في وسطه في جازر. ٣٠زبولون لم يطرد سكان قطرون ولا سكان نهلول، فسكن الكنعانيون في وسطه وكانوا تحت الجزية...

٣٣ونفتالي لم يطرد سكان بيت شمس ولا سكان بيت عناة، بل سكن في وسط الكنعانيين سكان الأرض. فكان سكان بيت شمس وبيت عناة تحت الجزية لهم.

٣٤وحصر الأموريون بني دان في الجبل لأنهم لم يدعوهم ينزلون إلى الوادي.٣٥ فعزم الأموريون على السكن في جبل حارس في أيلون وفي شعلبيم.وقويت يد بيت يوسف فكانوا تحت الجزية)[2].

ودفع العمونيون الجزية لملك يهوذا عزيا،جاء في سفر أخبار الأيام الثاني: (٨وأعطى العمونيون عزيا هدايا -ودفع العمونيون له الجزية-وامتد اسمه إلى مدخل مصر لأنه تشدد جدا)[3].

---

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٨).

(٢) سفر القضاة، أصحاح(١).

(٣) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٢٦).

واستمر دفع العمونيين للجزية في عهد ملك يهوذا يوثام بعد هزيمته لملك عمون،جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(٥وهو حارب ملك بني عمون وقوي عليهم–وهزمه– فأعطاه بنو عمون في تلك السنة–فدفعوا له الجزية في تلك السنة– مئة وزنة من الفضة وعشرة آلاف كر قمح وعشرة آلاف من الشعير. هذا ما أداه له بنو عمون وكذلك في السنة الثانية والثالثة.٦وتشدد يوثام لأنه هيأ طرقه أمام الرب إلهه)[1].

هـ– تطهير المحاربين:

ومن الشرائع التي فرضها الرب على جيشه المنتصر، تطهير المحاربين، كما أمر موسى المحاربين الذين قضوا على المديانيين بذلك، جاء في سفر العدد:(جاء في سفر العدد:(١٩وأما أنتم فانزلوا خارج المحلة سبعة أيام. وتطهروا كل من قتل نفسا وكل من مس قتيلا في اليوم الثالث وفي السابع أنتم وسبيكم. ٢٠وكل ثوب وكل متاع من جلد وكل مصنوع من شعر معز وكل متاع من خشب تطهرونه». ٢١وقال ألعازار الكاهن لرجال الجند الذين ذهبوا للحرب: «هذه فريضة الشريعة التي أمر بها الرب موسى. ٢٢الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص ٢٣كل ما يدخل النار تجيزونه في النار فيكون طاهرا غير أنه يتطهر بماء النجاسة. وأما كل ما لا يدخل النار فتجيزونه في الماء.٢٤وتغسلون ثيابكم في اليوم السابع فتكونون طاهرين وبعد ذلك تدخلون المحلة–المعسكر–)[2].

١٢– حال شعب الرب مع الأمم عند الضعف والخور و الهزيمة:

كغيرهم من الأمم عند الهزائم كان شعب الرب يذل عند الهزيمة ويدفع الجزية ويحاول أن يتخلص من إذلال عدوه القاهر له، وقد سجل لنا العهد القديم أحوالا كثيرة تصف حال بني إسرائيل عند الضعف والخور الهزائم، ومن هذه الحالات الآتي:

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٢٧).

(٢) سفر العدد، أصحاح(٣١).

أ- التخاذل وإشاعة الخوف و إرجاف الشعب:

كما فعل الجواسيس الذين أرسلهم موسى لأرض كنعان، جاء في سفر العدد: (٣١وأما الرجال الذين صعدوا معه فقالوا: «لا نقدر أن نصعد إلى الشعب لأنهم أشد منا». ٣٢فأشاعوا مذمة الأرض التي تجسسوها في بني إسرائيل قائلين: «الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها هي أرض تأكل سكانها. وجميع الشعب الذي رأينا فيها أناس طوال القامة. ٣٣وقد رأينا هناك الجبابرة (بني عناق من الجبابرة). فكنا في أعيننا كالجراد وهكذا كنا في أعينهم)[1].

وكما فعل شعب الرب من خوف وندم على خروجهم من أرض مصر وسماع لقول المرجفين:

جاء في نفس السفر:(١فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت. وبكى الشعب تلك الليلة. ٢وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بني إسرائيل وقال لهما كل الجماعة: «ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا متنا في هذا القفر! ٣ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف؟ تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة. أليس خيرا لنا أن نرجع إلى مصر؟» ٤فقال بعضهم لبعض: «نقيم رئيسا ونرجع إلى مصر)[2].

ب- عدم خوض حرب الرب بسبب حب الزرع والضرع:

كما فعل بعض أسباط الشعب مع موسى ورفضهم القتال وتثبيطهم لبقية الأسباط، جاء في سفر العدد:(١وأما بنو رأوبين وبنو جاد فكان لهم مواش كثيرة وافرة جدا. فلما رأوا أرض يعزير وأرض جلعاد وإذا المكان مكان مواش ٢أتى بنو جاد وبنو رأوبين وقالوا لموسى وألعازار الكاهن ورؤساء الجماعة: ٣«عطاروت وديبون ويعزير ونمرة وحشبون وألعالة وشبام ونبو وبعون ٤الأرض التي ضربها الرب قدام بني إسرائيل هي

(١) سفر العدد، أصحاح(١٣).

(٢) سفر العدد، أصحاح(١٤).

أرض مواش ولعبيدك مواش». ٥ثم قالوا: «إن وجدنا نعمة في عينيك فلتعط هذه الأرض لعبيدك ملكا ولا تعبرنا الأردن. ٦فقال موسى لبني جاد وبني رأوبين: «هل ينطلق إخوتكم إلى الحرب وأنتم تقعدون ههنا؟ ٧فلماذا تصدون قلوب بني إسرائيل عن العبور إلى الأرض التي أعطاهم الرب؟ ٨هكذا فعل آباؤكم حين أرسلتهم من قادش برنيع لينظروا الأرض.

٩صعدوا إلى وادي أشكول ونظروا الأرض وصدوا قلوب بني إسرائيل عن دخول الأرض التي أعطاهم الرب)[(١)].

ج.الرعب والنياحة ولوم الرب وعتابه:

كما حصل من يشوع وشعب الرب بعد هزيمتهم من أهل عاي بسبب الغلول الذي غله أحد الشعب، جاء في سفر يشوع:(٤فصعد من الشعب إلى هناك نحو ثلاثة آلاف رجل. وهربوا أمام أهل عاي. ٥فضرب منهم أهل عاي نحو ستة وثلاثين رجلا، ولحقوهم من أمام الباب إلى شباريم وضربوهم في المنحدر.

دخول الرعب في قلوب شعب الرب من أهل عاي ونياحتهم:

فذاب قلب الشعب وصار مثل الماء. ٦فمزق يشوع ثيابه وسقط على وجهه إلى الأرض أمام تابوت الرب إلى المساء، هو وشيوخ إسرائيل، ووضعوا ترابا على رؤوسهم.

يشوع يعاتب الرب ويلومه:

٧وقال يشوع: «آه يا سيد الرب! لماذا عبرت هذا الشعب الأردن تعبيرا لكي تدفعنا إلى يد الأموريين ليبيدونا؟ ليتنا ارتضينا وسكنا في عبر الأردن. ٨أسألك يا سيد: ماذا أقول بعدما حول إسرائيل قفاه أمام أعدائه؟ ٩فيسمع الكنعانيون وجميع سكان الأرض ويحيطون بنا ويقرضون اسمنا من الأرض. وماذا تصنع لاسمك العظيم؟)[(٢)].

---

(١) سفر العدد، أصحاح(٣٢).

(٢) سفر يشوع، أصحاح(٧).

د- الاختباء في الكهوف والمغائر وترك الزرع والمواشي والأموال للأعداء:

كما حدث في عهد القضاة قبل ظهور المخلص جدعون، جاء في سفر القضاة: (١وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين. ٢فاعتزت يد مديان على إسرائيل. بسبب المديانيين عمل بنو إسرائيل لأنفسهم الكهوف التي في الجبال والمغاير والحصون.-حتى لجأ الإسرائيليون إلى الجبال ليعيشوا في الكهوف والمغائر- ٣وإذا زرع إسرائيل كان المديانيون والعمالقة وبنو المشرق يصعدون عليهم ٤وينزلون عليهم ويتلفون غلة الأرض إلى مجيئك إلى غزة، ولا يتركون لإسرائيل قوت الحياة، ولا غنما ولا بقرا ولا حميرا. ٥لأنهم كانوا يصعدون بمواشيهم وخيامهم ويجيئون كالجراد في الكثرة وليس لهم ولجمالهم عدد، ودخلوا الأرض ليخربوها. ٦فذل إسرائيل جدا من قبل المديانيين)[١].

هـ- الهروب من ميدان المعركة بسبب الخوف من الحرب:

كما حصل عند رجوع اثنان وعشرون ألف محارب من جيش شعب الرب بقيادة جدعون المخلص بسبب الخوف من خوض الحرب، جاء في القضاة:(٣والآن ناد في آذان الشعب: من كان خائفا ومرتعدا فليرجع وينصرف من جبل جلعاد». فرجع من الشعب اثنان وعشرون ألفا. وبقي عشرة آلاف)[٢].

وكما حصل من هروب الشعب عندما انتحر الملك شاول قائد الجيش عند حربهم مع الفلسطينيين، جاء في سفر صموئيل الأول:(١وحارب الفلسطينيون إسرائيل، فهرب رجال إسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جبل جلبوع.

(١) سفر القضاة، أصحاح(٦).

(٢) سفر القضاة، أصحاح(٧).

مطاردة الملك شاول وإصابته وقتل أبنائه:

٢فشد الفلسطينيون وراء شاول وبنيه، وضرب الفلسطينيون يوناثان وأبيناداب وملكيشوع أبناء شاول. ٣واشتدت الحرب على شاول فأصابه الرماة رجال القسي، فانجرح جدا من الرماة.

الملك شاول ينتحر:

٤فقال شاول لحامل سلاحه: «استل سيفك واطعني به لئلا يأتي هؤلاء الغلف ويطعنوني ويقبحوني». فلم يشأ حامل سلاحه لأنه خاف جدا. فأخذ شاول السيف وسقط عليه. ٥ولما رأى حامل سلاحه أنه قد مات شاول، سقط هو أيضا على سيفه ومات معه. ٦فمات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم معا.

هروب بقية جيش شعب الرب وترك مدنهم للأعداء:

٧ولما رأى رجال إسرائيل الذين في عبر الوادي والذين في عبر الأردن أن رجال إسرائيل قد هربوا، وأن شاول وبنيه قد ماتوا، تركوا المدن وهربوا، فأتى الفلسطينيون وسكنوا بها)[١].

و- طلب العون من كل شخص- حتى لو كان قاطع طريق أو ابن زانية-:

كما فعل الشعب عندما استنجد بيفتاح الجلعادي ابن الزانية عندما زحف عليهم جيش العمونيين، فوافق على قيادة جيشهم بشرط أن يكون رأسهم إن انتصر فأجابوه لطلبه، جاء في سفر القضاة:(١ وكان يفتاح الجلعادي جبار بأس، وهو ابن امرأة زانية... وجلعاد ولد يفتاح. ٢ثم ولدت امرأة جلعاد له بنين. فلما كبر بنو المرأة طردوا يفتاح، وقالوا له: «لا ترث في بيت أبينا لأنك أنت ابن امرأة أخرى». ٣فهرب يفتاح من وجه إخوته وأقام في أرض طوب. فاجتمع إلى يفتاح رجال بطالون وكانوا يخرجون معه.

(١) سفر صموئيل الأول، أصحاح (٣١).

٤وكان بعد أيام أن بني عمون حاربوا إسرائيل. ٥ولما حارب بنو عمون إسرائيل ذهب شيوخ جلعاد ليأتوا بيفتاح من أرض طوب. ٦وقالوا ليفتاح: «تعال وكن لنا قائدا فنحارب بني عمون». ٧فقال يفتاح لشيوخ جلعاد: «أما أبغضتموني أنتم وطردتموني من بيت أبي؟ فلماذا أتيتم إلي الآن إذ تضايقتم؟» ٨فقال شيوخ جلعاد ليفتاح: «لذلك قد رجعنا الآن إليك لتذهب معنا وتحارب بني عمون، وتكون لنا رأسا لكل سكان جلعاد».

يفتاح يشترط أن يكون رأسا لهم ويوافقون على ذلك:

٩فقال يفتاح لشيوخ جلعاد: «إذا أرجعتموني لمحاربة بني عمون ودفعهم الرب أمامي فأنا أكون لكم رأسا». ١٠فقال شيوخ جلعاد ليفتاح: «الرب يكون سامعا بيننا إن كنا لا نفعل هكذا حسب كلامك». ١١فذهب يفتاح مع شيوخ جلعاد، وجعله الشعب عليهم رأسا وقائدا. فتكلم يفتاح بجميع كلامه أمام الرب في المصفاة.

روح الرب تحل في يفتاح وينذر للرب نذرا:

٢٩فكان روح الرب على يفتاح، فعبر جلعاد ومنسى وعبر مصفاة جلعاد، ومن مصفاة جلعاد عبر إلى بني عمون. ٣٠ونذر يفتاح نذرا للرب قائلا: «إن دفعت بني عمون ليدي ٣١فالخارج الذي يخرج من أبواب بيتي للقائي عند رجوعي بالسلامة من عند بني عمون يكون للرب، وأصعده محرقة». ٣٢ثم عبر يفتاح إلى بني عمون لمحاربتهم. فدفعهم الرب ليده. ٣٣فضربهم من عروعير إلى مجيئك إلى منيت (عشرين مدينة) وإلى آبل الكروم ضربة عظيمة جدا. فذل بنو عمون أمام بني إسرائيل.

التضحية بابنة يفتاح:

٣٤ثم أتى يفتاح إلى المصفاة إلى بيته، وإذا بابنته خارجة للقائه بدفوف ورقص. وهي وحيدة. لم يكن له ابن ولا ابنة غيرها. ٣٥وكان لما رآها أنه مزق ثيابه وقال: «آه يا ابنتي! قد أحزنتني حزنا وصرت بين مكدري، لأني قد فتحت فمي إلى الرب ولا يمكنني الرجوع». ٣٦فقالت له: «يا أبي، هل فتحت فاك إلى الرب؟ فافعل بي كما خرج من فيك،

بما أن الرب قد انتقم لك من أعدائك بني عمون». ٣٧ثم قالت لأبيها: «فليفعل لي هذا الأمر: اتركني شهرين فأذهب وأنزل على الجبال وأبكي عذراويتي أنا وصاحباتي». ٣٨فقال: «اذهبي». وأرسلها إلى شهرين. فذهبت هي وصاحباتها وبكت عذراويتها على الجبال. ٣٩وكان عند نهاية الشهرين أنها رجعت إلى أبيها، ففعل بها نذره الذي نذر. وهي لم تعرف رجلا. فصارت عادة في إسرائيل ٤٠أن بنات إسرائيل يذهبن من سنة إلى سنة لينحن على بنت يفتاح الجلعادي أربعة أيام في السنة)[1].

١٣- أحوال شعب الرب مع الغنائم والأسلاب:

شرع الرب يهوه للغنائم التي يحصل عليها شعبه شرائع، فالغنائم والأسلاب من الحروب ملك له وتوضع في خزانة بيته، وتوزع الغنائم من الحروب بحسب قسمة محددة، للرب فيها نصيب، فقد كانت الغنيمة تقسم إلى قسمين:

نصف للمحاربين، ويخرج منه نصيب زكاة الرب، ومقداره واحد من خمس مئة من الأسرى ومن البهائم والأغنام، وتعطى زكاتهم للكهنة، واعتبرت هذه الزكاة رفيعة للرب لأنها مقدمة لكهنته.

ونصف للشعب، ويخرج منه الشعب نصيب زكاة للرب، ومقداره واحد من خمسين من كل الأسرى والحيوانات، وتدفع هذه الزكاة إلى اللاويين خدام الرب[2].

فقد كان الإسرائيليون ينظرون إلى الغنائم على أنها ملك للرب، وأظهر مثال لذلك ما حدث عند سقوط أريحا حيث غنم شعب الرب بقيادة يشوع الفضة والذهب وآنية النحاس ووضعها في بيت الرب، جاء في سفر يشوع:(٢٤وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها. إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب)[3].

---

(١) سفر القضاة، أصحاح (١١).

(٢) انظر تفسير الكتاب المقدس، نجيب جرجس،سفر العدد، (٥٤١-٥٤٢).

(٣) انظر سفر يشوع، أصحاح(٦).وانظر قاموس الكتاب المقدس، مادة حرب،(٢٩٧).

دفع الزكاة للرب:

وكان يعطى جزء من هذه الغنائم للاويين، ويرفع جزء آخر " زكاة للرب " قبل البدء في تقسيم الغنائم التي جمعوها، كما فعل موسى يوم نصر على المديانيين،جاء في سفر العدد:(٢٥وقال الرب لموسى: ٢٦«أحص النهب المسبي من الناس والبهائم أنت وألعازار الكاهن ورؤوس آباء الجماعة.

٢٧ونصف النهب بين الذين باشروا القتال الخارجين إلى الحرب وبين كل الجماعة.٢٨وارفع زكاة للرب. من رجال الحرب الخارجين إلى القتال واحدة. نفسا من كل خمس مئة من الناس والبقر والحمير والغنم.

٢٩من نصفهم تأخذونها وتعطونها لألعازار الكاهن رفيعة للرب.

٣٠ومن نصف بني إسرائيل تأخذ واحدة مأخوذة من كل خمسين من الناس والبقر والحمير والغنم من جميع البهائم وتعطيها للاويين الحافظين شعائر مسكن الرب».

تفصيل الغنائم ونصيب أصحاب الفروض فيها:

٣١ففعل موسى وألعازار الكاهن كما أمر الرب موسى.نصيب رجال الجند:٣٢وكان النهب فضلة الغنيمة التي اغتنمها رجال الجند من الغنم ست مئة وخمسة وسبعين ألفا. ٣٣ومن البقر اثنين وسبعين ألفا. ٣٤ومن الحمير واحدا وستين ألفا. ٣٥ومن نفوس الناس من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر جميع النفوس اثنين وثلاثين ألفا.

أعداد رجال الجند:

٣٦وكان النصف نصيب الخارجين إلى الحرب: عدد الغنم ثلاث مئة وسبعة وثلاثين ألفا وخمس مئة.

مقدار زكاة الرب:

٣٧وكانت الزكاة للرب من الغنم ست مئة وخمسة وسبعين. ٣٨والبقر ستة وثلاثين

ألفا وزكاتها للرب اثنين وسبعين. ٣٩والحمير ثلاثين ألفا وخمس مئة وزكاتها للرب واحدا وستين. ٤٠ونفوس الناس ستة عشر ألفا وزكاتها للرب اثنين وثلاثين نفسا.

٤١فأعطى موسى الزكاة رفيعة الرب لألعازار الكاهن كما أمر الرب موسى.

نصيب بقية الشعب:

٤٢وأما نصف إسرائيل الذي قسمه موسى من الرجال المتجندين ٤٣فكان نصف الجماعة من الغنم ثلاث مئة وسبعة وثلاثين ألفا وخمس مئة. ٤٤ومن البقر ستة وثلاثين ألفا. ٤٥ومن الحمير ثلاثين ألفا وخمس مئة. ٤٦ومن نفوس الناس ستة عشر ألفا.

٤٧فأخذ موسى من نصف بني إسرائيل المأخوذ واحدا من كل خمسين من الناس ومن البهائم وأعطاها للاويين الحافظين شعائر مسكن الرب كما أمر الرب موسى.

قرابين خاصة للوكلاء –القادة والرؤساء– للرب:

٤٨ثم تقدم إلى موسى الوكلاء[(١)] الذين على ألوف الجند رؤساء الألوف ورؤساء المئات.

٤٩وقالوا لموسى: «عبيدك قد أخذوا عدد رجال الحرب الذين في أيدينا فلم يفقد منا إنسان.

٥٠فقد قدمنا قربان الرب كل واحد ما وجده أمتعة ذهب حجولا وأساور وخواتم وأقراطا وقلائد للتكفير عن أنفسنا أمام الرب».

٥١فأخذ موسى وألعازار الكاهن الذهب منهم كل أمتعة مصنوعة.

---

(١) المقصود بالوكلاء الذين على ألوف الجيش، الرؤساء الممتازين من ألوف المقاتلين ليكونوا رؤساء ألوف ورؤساء مئات، وقد تقدم هؤلاء إلى موسى بقلب سموح ليقدموا للرب تقدمة إضافية علاوة على الزكاة التي قدموها من الغنيمة. تفسير الكتاب المقدس، نجيب جرجس، سفر العدد،(٥٤١).

٥٢وكان كل ذهب الرفيعة التي رفعوها للرب ستة عشر ألفا وسبع مئة وخمسين شاقلا من عند رؤساء الألوف ورؤساء المئات.

٥٣(أما رجال الجند فاغتنموا كل واحد لنفسه).

٥٤فأخذ موسى وألعازار الكاهن الذهب من رؤساء الألوف والمئات وأتيا به إلى خيمة الاجتماع تذكارا لبني إسرائيل أمام الرب)[١].

وبعدما حقق يشوع الانتصارات وحصل على الغنائم بارك الشعب وأمرهم بنفس الشريعة، جاء في سفر يشوع:(... وعندما صرفهم يشوع أيضا إلى خيامهم باركهم ٨وقال لهم: «بمال كثير ارجعوا إلى خيامكم، وبمواش كثيرة جدا بفضة وذهب ونحاس وحديد وملابس كثيرة جدا. اقسموا غنيمة أعدائكم مع إخوتكم)[٢].

وعاتب داود رجاله عندما أرادوا تغيير هذه الشريعة عندما انتصروا على العمالقة، وأثبتها ووزع الغنائم بحسب أمر الرب، جاء في سفر صموئيل الأول:(٢١وجاء داود إلى مئتي الرجل الذين أعيوا عن الذهاب وراء داود، فأرجعوهم في وادي البسور، فخرجوا للقاء داود ولقاء الشعب الذين معه. فتقدم داود إلى القوم وسأل عن سلامتهم.

٢٢فقال كل رجل شرير ولئيم من الرجال الذين ساروا مع داود: «لأجل أنهم لم يذهبوا معنا لا نعطيهم من الغنيمة التي استخلصناها، بل لكل رجل امرأته وبنيه، فليقتادوهم وينطلقوا».

٢٣فقال داود: «لا تفعلوا هكذا يا إخوتي، لأن الرب قد أعطانا وحفظنا ودفع ليدنا الغزاة الذين جاءوا علينا.

---

(١) سفر العدد، أصحاح(٣١).

(٢) سفر يشوع، أصحاح(٢٢).

داود يبن لهم الشريعة في توزيع الغنائم:

٢٤ومن يسمع لكم في هذا الأمر؟ لأنه كنصيب النازل إلى الحرب نصيب الذي يقيم عند الأمتعة، فإنهم يقتسمون بالسوية». ٢٥وكان من ذلك اليوم فصاعدا أنه جعلها فريضة وقضاء لإسرائيل إلى هذا اليوم.

داود يوزع الغنيمة بين أسباط بني إسرائيل حسب أمر الرب:

٢٦ولما جاء داود إلى صقلغ أرسل من الغنيمة إلى شيوخ يهوذا إلى أصحابه قائلا: «هذه لكم بركة من غنيمة أعداء الرب». ٢٧إلى الذين في بيت إيل، والذين في راموت الجنوب، والذين في يتير، ٢٨وإلى الذين في عروعير، والذين في سفموث، والذين في أشتموع، ٢٩وإلى الذين في راخال والذين في مدن اليرحمئيليين والذين في مدن القينيين ٣٠وإلى الذين في حرمة والذين في كور عاشان والذين في عتاك ٣١وإلى الذين في حبرون وإلى جميع الأماكن التي تردد فيها داود ورجاله)[١].

وكان سلاح المغلوب يوضع أحيانا – تذكارا للنصر – أو يحفظ بالقرب من تابوت عهد الرب، جاء في سفر صموئيل الأول:(٨وقال داود لأخيمالك: «أفما يوجد هنا تحت يدك رمح أو سيف، لأني لم آخذ بيدي سيفي ولا سلاحي لأن أمر الملك كان معجلا؟» ٩فقال الكاهن: «إن سيف جليات الفلسطيني الذي قتلته في وادي البطم ها هو ملفوف في ثوب خلف الأفود، فإن شئت أن تأخذه فخذه، لأنه ليس آخر سواه هنا». فقال داود: «لا يوجد مثله. أعطني إياه)[٢].

١٤– معاهدات السلام والأحلاف الحربية:

سجل العهد القديم منع شريعة الرب يهوة تحالف شعب الرب مع سكان الأرض

(١) سفر صموئيل الأول، أصحاح(٣٠).

(٢) سفر صموئيل الأول، أصحاح(٢١).

لئلا يغووهم بعبادة الأوثان، ومع ذلك نجد عند استقراء أسفاره شواهد كثيرة على وجود الأحلاف على مدى تاريخ شعب الرب.

ففي عهد الآباء تحالف إبراهيم مع بعض الكنعانين، جاء في سفر التكوين:(١٣فأتى من نجا وأخبر أبرام العبراني. وكان ساكنا عند بلوطات ممرا الأموري أخي أشكول وأخي عانر. وكانوا أصحاب عهد مع أبرام)(١).

كما تحالف إبراهيم مع أبيمالك ملك جرار وأعطى كل منهما الآخر ميثاقا، جاء في سفر التكوين: (٢٢وحدث في ذلك الزمان أن أبيمالك وفيكول رئيس جيشه قالا لإبراهيم: «الله معك في كل ما أنت صانع. ٢٣فالآن احلف لي بالله ههنا أنك لا تغدر بي ولا بنسلي وذريتي. كالمعروف الذي صنعت إليك تصنع إلي وإلى الأرض التي تغربت فيها». ٢٤فقال إبراهيم: «أنا أحلف».

٢٥وعاتب إبراهيم أبيمالك لسبب بئر الماء التي اغتصبها عبيد أبيمالك. ٢٦فقال أبيمالك: «لم أعلم من فعل هذا الأمر. أنت لم تخبرني ولا أنا سمعت سوى اليوم». ٢٧فأخذ إبراهيم غنما وبقرا وأعطى أبيمالك فقطعا كلاهما ميثاقا.

٢٨وأقام إبراهيم سبع نعاج من الغنم وحدها. ٢٩فقال أبيمالك لإبراهيم: «ما هي هذه السبع النعاج التي أقمتها وحدها؟» ٣٠فقال: «إنك سبع نعاج تأخذ من يدي لكي تكون لي شهادة بأني حفرت هذه البئر». ٣١لذلك دعا ذلك الموضع بئر سبع. لأنهما هناك حلفا كلاهما.

٣٢فقطعا ميثاقا في بئر سبع.ثم قام أبيمالك وفيكول رئيس جيشه ورجعا إلى أرض الفلسطينيين)(٢).

---

(١) سفر التكوين، أصحاح(١٤).

(٢) سفر التكوين، أصحاح(٢١).

كما عقد إسحاق حلفا مع أبيمالك أيضا، جاء في سفر التكوين:(٢٦وذهب إليه من جرار أبيمالك وأحزات من أصحابه وفيكول رئيس جيشه. ٢٧فقال لهم إسحاق: «ما بالكم أتيتم إلي وأنتم قد أبغضتموني وصرفتموني من عندكم؟» ٢٨فقالوا: «إننا قد رأينا أن الرب كان معك فقلنا: ليكن بيننا حلف بيننا وبينك ونقطع معك عهدا)[١].

وعقد يعقوب حلفا مع لابان الأرامي، وأقاموا رجمة "جلعيد" لتكون شاهدة على ذلك العهد، ولتكون خطأ فاصلا بين إسرائيل وأرام،جاء في سفر التكوين أيضا:(٤٤فالآن هلم نقطع عهدا أنا وأنت فيكون شاهدا بيني وبينك». ٤٥فأخذ يعقوب حجرا وأوقفه عمودا ٤٦وقال يعقوب لإخوته: «التقطوا حجارة». فأخذوا حجارة وعملوا رجمة وأكلوا هناك على الرجمة. ٤٧ودعاها لابان «يجر سهدوثا» وأما يعقوب فدعاها «جلعيد» ٤٨وقال لابان: «هذه الرجمة هي شاهدة بيني وبينك اليوم». لذلك دعي اسمها «جلعيد» ٤٩و «المصفاة» لأنه قال: «ليراقب الرب بيني وبينك حينما نتوارى بعضنا عن بعض. ٥٠إنك لا تذل بناتي ولا تأخذ نساء على بناتي. ليس إنسان معنا. انظر. الله شاهد بيني وبينك». ٥١وقال لابان ليعقوب: «هوذا هذه الرجمة وهوذا العمود الذي وضعت بيني وبينك. ٥٢شاهدة هذه الرجمة وشاهد العمود أني لا أتجاوز هذه الرجمة إليك وأنك لا تتجاوز هذه الرجمة وهذا العمود إلي للشر. ٥٣إله إبراهيم وآلهة ناحور آلهة أبيهما يقضون بيننا». وحلف يعقوب بهيبة أبيه إسحاق. ٥٤وذبح يعقوب ذبيحة في الجبل ودعا إخوته ليأكلوا طعاما. فأكلوا طعاما وباتوا في الجبل. ٥٥ثم بكر لابان صباحا وقبل بنيه وبناته وباركهم ومضى. ورجع لابان إلى مكانه)[٢].

وقبل دخول بنو إسرائيل إلى أرض كنعان كان هناك حلف بين شعب الرب والقينيين في جنوب سيناء، حيث كان موسى صهرا لهم، جاء في سفر القضاة:(١٦وبنو القيني حمي

(١) سفر التكوين، أصحاح(٢٦).

(٢) سفر التكوين، أصحاح(٣١).

موسى صعدوا من مدينة النخل مع بني يهوذا إلى برية يهوذا التي في جنوب عراد، وذهبوا وسكنوا مع الشعب)[١].

وفي أثناء فترة الدخول إلى أرض كنعان، كان هنا تحالف بين يشوع والجبعونيين، جاء في سفر يشوع:(١٥فعمل يشوع لهم صلحا وقطع لهم عهدا لاستحيائهم، وحلف لهم رؤساء الجماعة)[٢].

وفي آخر عهد القضاة،عقد شعب الرب معاهدة بقيادة صموئيل صلحا مع الأموريين، جا ءفي سفر صموئيل الأول:(وكان صلح بين إسرائيل والأموريين-كما عقد بنو إسرائيل معاهدة صلح مع الأموريين)[٣].

وفي عهد الملوك تحالف داود مع أخيش ملك جت وأقام في أرضه خوفا من مطاردة شاول له لقتله، وحارب معه جاء في سفر صموئيل الأول:(٢فقام داود وعبر هو والست مئة الرجل الذين معه إلى أخيش بن معوك ملك جت ٣وأقام داود عند أخيش في جت هو ورجاله، كل واحد وبيته، داود وامرأتاه أخينوعم اليزرعيلية وأبيجايل امرأة نابال الكرملية.

٤فأخبر شاول أن داود قد هرب إلى جت فلم يعد أيضا يفتش عليه.

٥فقال داود لأخيش: «إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فليعطوني مكانا في إحدى قرى الحقل فأسكن هناك. ولماذا يسكن عبدك في مدينة المملكة معك؟».

٦فأعطاه أخيش في ذلك اليوم صقلغ. لذلك صارت صقلغ لملوك يهوذا إلى هذا اليوم.

---

(١) سفر القضاة، أصحاح(١).وانظر أيضا أصحاح(٤: ١١).

(٢) سفر يشوع، أصحاح(٩).

(٣) سفر صموئيل الأول، أصحاح(٧).

٧وكان عدد الأيام التي سكن فيها داود في بلاد الفلسطينيين سنة وأربعة أشهر.

٨وصعد داود ورجاله وغزوا الجشوريين والجرزيين والعمالقة لأن هؤلاء من قديم سكان الأرض من عند شور إلى أرض مصر.

٩وضرب داود الأرض، ولم يستبق رجلا ولا امرأة، وأخذ غنما وبقرا وحميرا وجمالا وثيابا ورجع وجاء إلى أخيش.

١٠فقال أخيش: «إذا لم تغزوا اليوم». فقال داود: «بلى. على جنوبي يهوذا وجنوبي اليرحمئيليين وجنوبي القينيين».

١١فلم يستبق داود رجلا ولا امرأة حتى يأتي إلى جت إذ قال: «لئلا يخبروا عنا قائلين: هكذا فعل داود». وهكذا عادته كل أيام إقامته في بلاد الفلسطينيين.

١٢فصدق أخيش داود قائلا: «قد صار مكروها لدى شعبه إسرائيل، فيكون لي عبدا إلى الأبد)[1].

وعقد سليمان مع حيرام معاهدة سلام وصداقة، جاء في سفر الملوك الأول: (١٢والرب أعطى سليمان حكمة كما كلمه. وكان صلح بين حيرام وسليمان، وقطعا كلاهما عهدا- وعقد سليمان مع حيرام معاهدة سلام وصداقة-)[2].

وكما كان الرسل يوفدون لإعلان الحرب، كما جاء في نبؤة إرميا:(١٤ قد سمعت خبرا من قبل الرب وأرسل رسول إلى الأمم قائلا: [تجمعوا وتعالوا عليها وقوموا للحرب)[3].

أو لمحاولة الإقناع بالعدول عنها،كما فعل نخو ملك مصر عندما بعث رسلا إلى يوشيا ملك يهوذا، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:(٢٠بعد كل هذا حين هيأ يوشيا البيت

(١) سفر صموئيل الأول، أصحاح(٢٧).

(٢) سفر الملوك الأول، أصحاح(٥).

(٣) سفر إرميا، أصحاح(٤٩).

صعد-زحف- نخو ملك مصر إلى كركميش ليحارب عند الفرات. فخرج يوشيا للقائه- لقتاله-. ٢١فأرسل إليه رسلا يقول: [ما لي ولك يا ملك يهوذا! لست عليك أنت اليوم ولكن على بيت آخر أحاربه والله أمر بإسراعي. فكف عن الله الذي معي فلا يهلكك])[١].

فإنهم كانوا يوفدون للتفاوض من أجل السلام،كما في نبوءة إشعياء، جاء في سفر إشعياء:(٧هوذا أبطالهم قد صرخوا خارجا. رسل السلام يبكون بمرارة)[٢].

وكانت تعقد أحيانا معاهدات سلام بين الجانبين المتقاتلين كما حدث بين أخآب ملك إسرائيل وبنهدد الثاني ملك أرام بعد هزيمته، وكان من حسن حظه أن نجا بحياته من يد أخآب، فقد هزمه أخاب مرتين، وكان أخاب قد قبل العفو عنه بعد أن تقدم رسل بنهدد إلى إليه ملتمسين منه أن يبقي على حياته، وفي مقابل ذلك ضمن لأخآب ملك يهوذا حقه في أن تكون له أسواق للتجارة في دمشق كما كان لأبيه أسواق في السامرة، فأجابه لطلبه،جاء في سفر الملوك الأول:(٢٦وعند تمام السنة عد بنهدد الأراميين وصعد إلى أفيق ليحارب إسرائيل. ٢٧وأحصي بنو إسرائيل وتزودوا وساروا للقائهم. فنزل بنو إسرائيل مقابلهم نظير قطيعين صغيرين من المعزى. وأما الأراميون فملأوا الأرض.

النبوءة الثانية بانتصار أخاب:

٢٨فتقدم رجل الله وقال لملك إسرائيل: [هكذا قال الرب: من أجل أن الأراميين قالوا إن الرب إله جبال وليس إله أودية، أدفع كل هذا الجمهور العظيم ليدك، فتعلمون أني أنا الرب].

٢٩فنزل هؤلاء مقابل أولئك سبعة أيام. وفي اليوم السابع اشتبكت الحرب، فضرب بنو إسرائيل من الأراميين مئة ألف راجل في يوم واحد.

---

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، أصحاح(٢٥).

(٢) سفر إشعياء، أصحاح(٣٣).

٣٠وهرب الباقون إلى أفيق إلى المدينة، وسقط السور على السبعة والعشرين ألف رجل الباقين. وهرب بنهدد ودخل المدينة من مخدع إلى مخدع.

العفو عن بنهدد:

٣١فقال له عبيده: [إننا قد سمعنا أن ملوك بيت إسرائيل هم ملوك حليمون، فلنضع مسوحا على أحقائنا وحبالا على رؤوسنا ونخرج إلى ملك إسرائيل لعله يحيي نفسك].

٣٢فشدوا مسوحا على أحقائهم وحبالا على رؤوسهم وأتوا إلى ملك إسرائيل وقالوا: [يقول عبدك بنهدد: لتحي نفسي]. فقال: [أهو حي بعد؟ هو أخي].

٣٣فتفاءل الرجال وأسرعوا ولجوا هل هو منه. وقالوا: [أخوك بنهدد]. فقال: [ادخلوا خذوه] فخرج إليه بنهدد فأصعده إلى المركبة.

٣٤وقال له: [إني أرد المدن التي أخذها أبي من أبيك، وتجعل لنفسك أسواقا في دمشق كما جعل أبي في السامرة]. فقال: [وأنا أطلقك بهذا العهد]. فقطع له عهدا وأطلقه)(1).

وكان من الشائع وجود محالفات هجومية أو دفاعية، مثل التحالف الذي قام بين أخآب ملك إسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا ضد آرام، جاء في سفر الملك الأول:(٢وفي السنة الثالثة نزل يهوشافاط ملك يهوذا إلى ملك إسرائيل. ٣فقال ملك إسرائيل لعبيده: [أتعلمون أن راموت جلعاد لنا ونحن ساكتون عن أخذها من يد ملك أرام؟] ٤وقال ليهوشافاط: [أتذهب معي للحرب إلى راموت جلعاد؟] فقال يهوشافاط لملك إسرائيل: [مثلي مثلك. شعبي كشعبك وخيلي كخيلك)(2).

والحلف الثلاثي بين يهورام ويهوشافاط وملك أدوم ضد موآب عندما عصى ملك موآب على ملك إسرائيل وأبى أن يدفع الجزية، جاء في سفر الملوك الثاني:(٥وعند موت

(١) سفر الملوك الأول، أصحاح(٢٠).

(٢) سفر الملوك الأول، أصحاح(٢٢).

أخآب عصى ملك موآب على ملك إسرائيل. ٦وخرج الملك يورام في ذلك اليوم من السامرة وعد كل إسرائيل، ٧وذهب وأرسل إلى يهوشافاط ملك يهوذا يقول: [قد عصى علي ملك موآب. فهل تذهب معي إلى موآب للحرب؟] فقال: [أصعد. مثلي مثلك. شعبي كشعبك وخيلي كخيلك]. ٨فقال: [من أي طريق نصعد؟]. فقال: [من طريق برية أدوم]. ٩فذهب ملك إسرائيل وملك يهوذا وملك أدوم وداروا مسيرة سبعة أيام. ولم يكن ماء للجيش والبهائم التي تبعتهم)[(١)].

وحلف ملوك الغرب بما فيهم أخآب وهدد عزر ملك دمشق للوقوف في وجه شلمنآسر الثاني ملك أشور الذي أستطاع أن يهزم أولئك المتحالفين في معركة كركر في ٨٥٤ ق.م.[(٢)].

١٥- النبوءة بالسلام في الأيام الأخيرة:

ومن أعمال الرب يهوه العظيمة في الأيام الأخيرة، أنه مسكن الحروب إلى أقصى الأرض، يكسر القوس ويقطع الرمح، المركبات يحرقها بالنار، جاء في سفر المزامير: (٨هلموا انظروا أعمال الله كيف جعل خربا في الأرض. ٩مسكن الحروب إلى أقصى الأرض. يكسر القوس ويقطع الرمح. المركبات يحرقها بالنار)[(٣)].

ويصور لنا الأنبياء السلام الذي سيسود في الأيام الأخيرة بأن الرب سيكسر القوس والسيف والحرب من الأرض، جاء في سفر هوشع:(١٨وأقطع لهم عهدا في ذلك اليوم مع حيوان البرية وطيور السماء ودبابات الأرض وأكسر القوس والسيف والحرب من الأرض وأجعلهم يضطجعون آمنين)[(٤)].

(١) سفر الملوك الثاني، أصحاح(٣).

(٢) دائرة المعارف الكتابية،مادة حرب، (٣/ ٥٤).

(٣) سفر المزامير، أصحاح(٤٦).

(٤) سفر هوشع، أصحاح(٢).

فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل، جاء في سفر إشعياء:(... لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب. ٤فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب في ما بعد)[(١)].

وجاء في سفر ميخا:(٣فيقضي بين شعوب كثيرين. ينصف لأمم قوية بعيدة فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب في ما بعد. ٤بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته ولا يكون من يرعب لأن فم رب الجنود تكلم)[(٢)].

وبعد فإن الخصائص السابقة للحرب والسلام والمستقاة من العهد القديم ما هي إلا محاولة لاستقراء بعض نصوصه لاستنباطها، ولو أمعن الباحث النظر في هذه النصوص بدقة لاستخراج المزيد منها لكان أمرا سهلا، وليس المقصود في هذا المطلب إحصاء جميع هذه الخصائص، وإنما إثبات وجود حديث مفصل عن الحرب والسلام وإبراز أهم الخصائص المتعلقة به، لدرجة لو أطلقنا على العهد القديم أنه كتاب الحرب المقدسة أو تاريخ حروب بني إسرائيل المقدسة أو تاريخ حروب الرب، لكان لنا العذر في ذلك لكثرة النصوص الحربية المفصلة لدقائق حروب الرب التي قام بها شعب الرب.

فإن خصائص الحرب والسلام التي تحدث عنها العهد القديم تبين بوضوح مكانة الحرب في تاريخ الشعب المختار، وإن السلام لم يكن موجودا في نفسية هذا الشعب إلا على سبيل الاستثناء، وذلك حين يكون هذا الشعب على حالة من الضعف أو الخوف من العدو، وأنه متى سنحت الفرصة للانفراد بالسيطرة المطلقة على الأمم وإخضاعها فعل ذلك واستبد وحرم–أباد– الأمم.

(١) سفر إشعياء، أصحاح(٢).

(٢) سفر ميخا، أصحاح(٤).

ومن ناحية أخرى فإن تحليل هذه الخصائص يشرح ويظهر ويفسر واقع اليهود الحربي المعاصر، الذي يتسم بالإصرار على السيطرة اليهودية العسكرية على أرض الموعد، فلا تكاد تشذ خصيصة من هذه الخصائص عن تفسير لها في الواقع المعاصر مع الاختلاف الذي تفرضه طبيعة هذا العصر في النظام العالمي الجديد، فيمكن تحوير بعض هذه الخصائص ذات الجذور العقدية العميقة، لكي تتناسب مع هذه الطبيعية العالمية الجديدة، ولكن المهم هو أن تبقى السيطرة المطلقة والإخضاع التام بيد شعب الرب.

"فطبيعة مفاوضات السلام الإسرائيلية المعاصرة تبدأ بالمناداة بالبعد عن عقد التاريخ وأن تتناسى كل دول المنطقة خلافاتها لمواجهة الخطر الأكبر(الاتحاد السوفيتي- الإسلام...الخ)، نقطة البداية لابد أن تكون الأمر الواقع، وهذا المفهوم يفترض أن إسرائيل ليست التهديد الأكبر، مع أن الأمر الواقع الذي يطلب منا أن نبدأ منه يقول عكس ذلك، فهو أمر واقع مؤسس على العنف ويؤدي إلى الظلم والقمع وهو ليس ابن اللحظة وإنما هو نتيجة ظلم تاريخ ممتد من الماضي إلى الحاضر، وهذا الظلم والقمع هو مصدر الصراع والحروب والاشتباك، فالمسألة ليست عقدا آنية أو تاريخية، وإنما بنية الظلم التي تشكلت في الواقع ولا يمكن تأسيس سلام حقيقي إلا إذا تم فكها.

بعد تناسي عقد التاريخ يطالب الصهاينة بوقف المقاومة واستسلام الفدائيين مقابل تسليم بعض المدن والقرى التي لا تنسحب منها القوات الإسرائيلية الغازية، وإنما يعاد نشرها، وهذا الذي يسمونه"الأرض مقابل السلام". والقوات الإسرائيلية لا تنسحب، لأن أرض فلسطين هي أرض الشعب اليهودي، والقوات الوطنية لا تنسحب من أرض الوطن وإنما يعاد نشرها فيه وحسب. ولذا فرغم اتخاذ هذه الخطوة الرمزية الإعلامية فإن الاستيطان سيستمر على قدم وساق(تحدث شامير عن استمرار التفاوض في مدريد لمدة عشر سنوات والمضي أثناء ذلك في الاستيطان) والقدس ستظل عاصمة إسرائيل الأبدية.

وتصور إسرائيل لمستقبل المنطقة ناشئ من هذا المنطلق، فمركز المنطقة هو إسرائيل، وهي التي تمسك بكل الخيوط، أما بقية المنطقة فهي مساحات وأسواق. وإسقاط عقد

التاريخ هنا يعني إسقاط الهوية التاريخية والثقافية، بحيث يتحول العرب إلى كائنات اقتصادية، تحركها الدوافع الاقتصادية التي لا هوية لها ولا خصوصية. هنا تظهر سنغافورة الاقتصادية أحدى بلاد النمور الآسيوية الاقتصادية كصورة أساسية للمنطقة وكمثل أعلى: بلد ليس له هوية واضحة ولا تاريخ واضح، نشاطه الأساسي هو نشاط اقتصادي محض. وحينما يتحول العالم العربي إلى سنغافورات مفتتنة متصارعة فإن الإستراتيجية الاستعمارية والصهيونية للسلام تكون قد تحققت دون مواجهة ومن خلال "التفاوض" المستمر !

جاء في مجلة نيوزيك الأمريكية أنه بعد أن قبل الرئيس السادات توقيع اتفاقية كامب ديفد طلب تخصيص رقعة ما في القدس ترفع فيها الأعلام العربية، فاقترح أعضاء الوفد الإسرائيلي أن ترفع الأعلام على المقابر العربية، أي أنه اقتراح"سلام المقابر". أما ديان فارتفع عن هذا قليلا ووصف طلب الرئيس السادات بأنه"بقشيش"، أي أنه اقترح سلام السادة والعبيد. ومابين المقابر والبقشيش يقع المفهوم الإسرائيلي للسلام"[1].

* * *

(١) الصهيونية والعنف، د.عبدالوهاب المسيري، ١٦٢دار الشروق، الطبعة الأولى.

المبحث الثاني

أثر عقيدة الحرب والسلام في واقع اليهود النفسي والاجتماعي

تمهيـــــد:

يقرر كثير من علماء الأديان معتمدين على استقراء نصوص أسفار العهد القديم ونصوص التلمود، أن العقيدة اليهودية تسيطر عليها ثلاثة جوانب متصلة ومتداخلة هي:

أولا: الاختيار أو الاصطفاء والتفضيل على العالمين.

ثانيا: النفي والشتات أو الدياسبورا[1].

---

(١) تحمل الدياسبورا في الكتابات اليهودية والصهيونية، معاني متناقضة، فبعضها يعتبر أن اليهودي الموجود خارج فلسطين أو «إرتس يسرائيل» أو «صهيون» (في المصطلح الديني) أو «الوطن القومي» (في المصطلح السياسي) موجود خارج وطنه رغم أنفه، وبالتالي فهو في المنفى.

وتميز هذه الكتابات بين المنفى الاختياري والمنفى القسري. ويتجلى هذا التناقض في اللغة العبرية على وجه الخصوص إذ توجد فيها كلمة «جولا» بمعنى المنفى القسري، كما حدث ليهود المملكة الجنوبية حينما هجروا إلى بابل.

وتوجد فيها كلمة «تيفوتسوت» بمعنى «المنفى الاختياري أو الطوعي»، وهي تشير إلى اليهودي الذي يترك فلسطين بمحض إرادته ليستوطن بلدا آخر، وإلى الجماعات اليهودية التي ترفض العودة إلى فلسطين رغم وجود سلطة سياسية يهودية مستقلة أو سلطة شبه مستقلة، كما حدث ليهود بابل أيضا بعد عودة نحميا وعزرا، وكما هو حادث ليهود العالم الغربي بل ويهود العالم بأسره الآن.

وقد ظهر استخدام جديد لكلمة «دياسبورا». فكثير من يهود الولايات المتحدة يرفضون استخدام الكلمة بمعنى «المنفى المؤقت»، فالولايات المتحدة أو كندا هي وطنهم النهائي وليس المؤقت. ولذا نجد في كتاب اليهودي "هوارد ساخار" "الدياسبورا " والذي صدر عام ١٩٨٥م، أنه لا توجد فيه أية إشارة إلى الجماعات اليهودية في إسرائيل أو أمريكا الشمالية -الولايات المتحدة أو كندا- باعتبار أنهما لا يشكلان «منفى»، وبالتالي لا يمكن الحديث عنهم باعتبارهما دياسبورا. فكأن كلمة «دياسبورا» عنده تستبعد كلا من فلسطين والولايات المتحدة وكندا!

=

=

وتؤكد موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية على أن مصطلح الدياسبورا يشير إلى عدة معان:

١- **الدياسبورا الثانية**: وهو مصطلح يتواتر في الخطاب الصهيوني للإشارة إلى هجرة اليهود السوفييت إلى الولايات المتحدة بدلا من إسرائيل، باعتبار أنهم ينتقلون من دياسبورا أولى (الاتحاد السوفيتي) إلى دياسبورا ثانية (الولايات المتحدة). وقد قال أحد المتحدثين الصهاينة إن اليهود السوفييت حولوا الوكالة اليهودية والدولة الصهيونية إلى ما يشبه شركة رحلات سياحية متخصصة في نقل المسافرين اليهود السوفييت من منفى إلى آخر.

٢- **الدياسبورا الإسرائيلية**: عبارة تستخدم للإشارة إلى المستوطنين الصهاينة الذين ينزحون عن إسرائيل ويستوطنون خارجها، في الولايات المتحدة عادة. وهذا المصطلح ينطوي على تناقض عميق. فكلمة «دياسبورا» تشير عادة إلى اليهود الموجودين خارج فلسطين برغم إرادتهم، ولذا فهم «منفيون». ولكن أن تكون الدياسبورا إسرائيلية، أي مجموعة بشرية يهودية كانت تقطن في أرض الميعاد ذاتها، في ظل ما يمكن أن يطلق عليه الكومنولث اليهودي الثالث، أي : الدولة الصهيونية الجديدة، وتقرر بكامل إرادتها أن تهاجر (بحثا عن الرزق والحراك الاجتماعي غالبا)، فهذا أمر صعب، إذ كيف يمكن الحديث عن «دياسبورا» أو عن «منفى» إذا لم يكن هناك قسر؟ ويمكن أن نقول (لذلك) إن كلمة دياسبورا مستخدمة هنا بمعناها المحايد أي مجرد الانتشار.

والواقع أن الدياسبورا الإسرائيلية تتحدى نظامنا التصنيفي، فالمهاجرون الإسرائيليون ليسوا صهاينة استيطانيين بطبيعة الحال؛ إذ أنهم تخلوا عن المشروع الصهيوني. كما أنهم ليسوا بصهاينة توطينيين، إذ ليس من المحتمل أن يقوموا بتشجيع الآخرين على الاستيطان. ومجرد وجودهم في البلد الذهبي (جولدن مدينا)، أي الولايات المتحدة، يقف دليلا على عدم جاذبية الدولة الصهيونية. وهم يسببون كثيرا من الحرج ليهود الولايات المتحدة وللصهاينة التوطينيين حين يطرح هذا السؤال: هل من الواجب إغاثة هؤلاء اللاجئين باعتبارهم « يهودا » أم يجب مقاطعتهم باعتبارهم مرتدين أو هابطين تركوا أرض الميعاد ونكصوا على أعقابهم؟ ويبلغ عدد أعضاء الدياسبورا الإسرائيلية في الولايات المتحدة حوالي ٥٠٠ ألف حسب التقديرات الرسمية. وحسب التقديرات غير الرسمية، يبلغ العدد ٧٥٠ ألفا، ولكنه يبلغ مليونا إن حسبنا أبناء المهاجرين. وقد أشارت إحدى الصحف الإسرائيلية إلى هذه الظاهرة باعتبارها «خروج صهيون». كما ذكرت صحيفة أخرى للإسرائيليين أن عدد سكان الدولة الصهيونية (عند إنشائها في عام ١٩٤٨) كان لا يتجاوز ٧٠٠ ألف، أي أقل من عدد المهاجرين منها، وهو ما يفقدها كثيرا من الشرعية.

=

ثالثا: العودة إلى الأرض المقدسة مرة أخرى.

وهذه العقيدة الثلاثية الأبعاد هي التي شكلت تاريخ اليهود أو تاريخ الجماعات اليهودية منذ البدء وإلى اليوم[١]، ومن جملة ما شكلت من الأبعاد علاقتهم بالأمم الأخرى في الحرب والسلم.

فعن الجانب الأول نجد أن اصطفاء الله تعالى واختياره لبني إسرائيل قد انحرف مفهومه لديهم وتطور حتى أصبح الإله ذاته إلها خاصا بهم، والدين الذي يدينون الله به دينا خاصا لبني إسرائيل وحدهم دون غيرهم، فإله إسرائيل -كما تصوره التوراة- لم يكن الله كما تفهمه البشرية في الديانات المعاصرة[٢]، وهذه الفكرة تتناسق تناسقا كاملا مع سياق النظام الإسرائيلي عامة، لأن الدين الخاص لشعب خاص لا بد وأن يكون له إله

=

٣- **الدياسبورا الدائمة** : مصطلح قمنا بصكه لنصف وضع أعضاء الجماعات اليهودية في العالم، فرغم كل الادعاءات الصهيونية، ورغم استخدام مصطلح «الدياسبورا» لوصف وضعهم، إلا أن غالبيتهم تؤثر البقاء خارج فلسطين في المنفى. فالدياسبورا أو الشتات اليهودي مسألة طوعية، وليست مسألة مرتبطة بعملية قسر خارجية. وحالة الدياسبورا أو الانتشار هي حالة دائمة بغض النظر عما يحدث في فلسطين. بل إن اتجاه بعض أعضاء الجماعات اليهودية إلى فلسطين للاستقرار فيها أحيانا، ينبع من حركيات لا علاقة لها بصهيون.

٤- **الدياسبورا الإلكترونية**: مصطلح صهيوني جديد ظهر مؤخرا يعبر عن أن المؤسسة الصهيونية قد قبلت الدياسبورا كحالة نهائية، ولذا بدلا من مطالبة أعضاء الجماعات اليهودية في العالم بأن يهاجروا إلى إسرائيل ويستوطنوا فيها، وبدلا من النظر إليهم باعتبارهم "خونة " لعدم "عودتهم" إلى إسرائيل، تقبل الحركة الصهيونية بقاء يهود العالم في أوطانهم وتحاول أن تربط الخبراء والفنيين منهم بمستقبل إسرائيل بحيث يساهمون في تقدم إسرائيل العلمي بخاصة في مجال الإلكترونيات، وعلى أن تطور إسرائيل شبكة للتعاون الإلكتروني يتحكم فيها يهود العالم تحت إشراف إسرائيل.

وهذا التصور تعبير عن اليأس الصهيوني من "عودة" اليهود، ولعل هذا يفسر نغمته البروتوكولية (يهود العالم -الدولة الصهيونية- شبكة إلكترونية يهودية... إلخ). موسوعة اليهود واليهودية. د.عبدالوهاب المسيري ٢/ ٩٨. ط.الأولى، دار الشروق، بتصرفات يسيرة.

(١) انظر الكنز المرصود في فضائح التلمود، د. عبدالله الشرقاوي، ص (٨٤).

(٢) التراث اليهودي الصهيوني، صبري جرجس، ٥٢ – نقلا عن (بنو إسرائيل)، د. محمد مهران، ٤٠١.

خاص، وهذه الخصوصية مهمة جدا في عقيدة هذا الشعب[1]؛ إذ اعتبروا أن كرامة الله مرتبطة بكرامة الأمة، وانطلاقا من هذا فقد دعوا الله رب الجنود معتقدين بأن هذا معناه رب جنود إسرائيل، مما جعلهم يعتقدون كذلك بأن الله ملزم بأن يحامي عنهم؛ لأن حمايتهم إنما هي حماية لكرامته هو، وإذا حدث أن سقطت الأمة فمعنى هذا – في نظرهم – أن الله نفسه قد سقط[2]، وهو لذلك يحارب إلى جانبهم، أو يحارب بدلا عنهم، أو يطرد من أمامهم أعداءهم وييسر لهم قتلهم، ويحل لهم نهبهم[3]، وهو في سبيل انتصار شعبه مستعد أن يرتكب من ضروب الوحشية ما تشمئز منه نفوسنا اشمئزازا لا يعادله إلا رضاء أخلاق ذلك العصر عنها، ويأمر شعبه بأن يرتكبوا هم هذه الوحشية، فهو يذبح أمما بأكملها راضيا مسرورا عن عمله[4].

أما الجانبان الثاني والثالث، فما أن دخل اليهود الأرض المقدسة ومكن الله لهم في الأرض وكانت لهم الدولة حتى بدلوا وغيروا ما كانوا عليه؛ فابتلاهم الله تعالى بمن يسومهم سوء العذاب ويشردهم خلال تاريخهم الطويل، فكان لكل مرحلة من مراحل التشريد خصيصة معينة أثرت في الواقع النفسي المرحلي لديهم وفي نظرتهم إلى أرض الميعاد، ونجد أن ما تعرض له اليهود خلال تاريخهم من حروب وتدمير لدولتهم وتشريد لأمتهم قد أثر تأثيرا كبيرا في بناء عقيدتهم ونفسيتهم وشخصيتهم في السلم والحرب.

إذ تشكل عقيدة المنفى والعودة إحدى النقاط المحورية في الرؤية اليهودية إلى التاريخ والكون، وهي ترتبط مثل كل العقائد الدينية اليهودية بعقائد أخرى مثل عقيدة المسيا المنتظر والاصطفاء والاختيار للشعب المقدس، وحسب هذه العقيدة فإن إله اليهود حكم على شعبه المختار بالنفي والتشتت في بقاع الأرض لسبب يختلف الحاخامات اليهود في

---

(١) الشخصية الإسرائيلية، عبده الراجحي، ٤٧ –نقلا عن المرجع السابق–.

(٢) دراسة في عاموس، القس عاموس عبد المسيح، ١٨ –نقلا عن المرجع السابق–.

(٣) سفر التثنية، ٩ : ٣ ، الشخصية الإسرائيلية، ٤٧ –نقلا عن المرجع السابق–.

(٤) بنو إسرائيل، د. محمد مهران، (٤٠١).

تحديده، وستستمر حالة المنفى هذه إلى أن يعود الماشيح المخلص[1].

وسيتضح كيف انتهى بهم الحال عندما عادوا إلى الأرض المقدسة مرة أخرى وأقاموا دولتهم المعاصرة فيها، وكيف أضحت عقيدة ضرورة الحرب مكونا أساسيا في الواقع الاجتماعي اليهودي، فقد أقيمت دولة إسرائيل تحت أوار الحرب، و استمرت حالة الحرب فيها عشرات السنين، و اعتبر الصراع مع العدو العربي من بدايته صراعا من أجل الوجود، فلقد كان أبناء المجتمع الإسرائيلي على قناعة بأنه في أية مواجهة لا يوضع استقلال الدولة فحسب على كفة الميزان؛ وإنما الوجود الفعلي لمواطنيها، ولمنع تنفيذ هذا التهديد تبرز الضرورة لتعبئة كل الموارد المتاحة أمام المجتمع تعبئة كاملة وشاملة، ومع انتهاء المعارك لابد من إعلان حالة الاستعداد الدائم تحسبا لأي هجوم مباغت وتدعيم التشكيلات الحربية الموسعة لضمان سلامة الحدود وأمن المواطنين، من هنا كان المجتمع الإسرائيلي ومازال "مجتمعا مجندا" والإسرائيلي جندي بشكل دائم[2].

* * *

---

(١) انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. د.عبدالوهاب المسيري ٢/ ٩٥.

(٢) المجتمع الإسرائيلي، د. أفيفا أفيف، (١٥١)، بتصرف يسير.

المطلب الأول

عقيدة الاختيار والاصطفاء وأثرها في الحرب والسلام

تمهيـــد:

قبل عرض عقيدة الاختيار والاصطفاء عند اليهود وأثرها في الحرب والسلام، لا بد من توضيح أمر مهم جدا قد لا يظهره كثير من علماء الأديان والمؤرخين بشكل واضح، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(١). فكيف لو كان الأمر يتعلق بتقرير مسألة أثبتها الله تعالى؟!! لا شك في أن إظهارها أمر من الأهمية بمكان، بل ويجب هذا الإظهار إذا لزم الأمر، وهذه المسألة هي قضية الاختيار الإلهي لبني إسرائيل وأنهم كانوا بالفعل أمة مختارة اصطفاها الله تعالى من العالمين وقد أثبت الله تعالى هذا الاصطفاء بقوله: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾(٢). وفي تفسير هذه الآية يقول العلامة **ابن سعدي** رحمه الله: "أي اصطفيناهم وانتقيناهم على علم منا بهم، وباستحقاقهم لذلك الفضل قبلهم وبعدهم حتى أتى الله بأمة محمد ﷺ ففضلوا على العالمين كلهم، وجعلهم الله خير أمة أخرجت للناس، وامتن عليهم بما لم يمتن به على غيرهم"(٣).

وهذه الأمة التي اصطفاها الله تعالى في مرحلة من الزمن قد قامت بها أمر الله تعالى به من شريعة لها لما تم فضل الله عليها الذي أراده لهم، كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾(٤). قال ذلك تعالى بعد أن أراد أن يمن على بني إسرائيل

---

(١) المائدة: ٨.

(٢) الدخان: ٣٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٧٧٣.

(٤) الأعراف: ١٣٧.

بوراثة أرض مصر و الشام مجتمعة -كما هو رأي جمع من المفسرين[1]-، وأن يجعلهم أئمة للمؤمنين فقال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾[2].

وبعد أن مكن الله تعالى لبني إسرائيل في الأرض أقام رسل الله تعالى وأنبياؤه صلوات ربي وسلامه عليهم فيهم حكم الله الذي هو الإسلام؛ لأنه دين الله تعالى الذي لا يقبل دينا سواه فقد قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[4].

وقد أمرنا -نحن المسلمين- بالإيمان بما أنزل على جميع الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم فقال تعالى: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[5].

وأخبرنا الله تعالى أنه أوصى الأنبياء بإقامة الدين وعدم التفرق فيه فقال تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ... ﴾ الآية[6].

وأنبياء بني إسرائيل من جملة الأنبياء والرسل الذين طبقوا شرع الله تعالى في أقوامهم كما قال تعالى حكاية عن يعقوب -إسرائيل- عليه السلام: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ

(١) انظر معالم التنزيل، البغوي، ٣/ ٢٧٣، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤/ ٢٤٥.

(٢) القصص: ٥.

(٣) آل عمران: ١٩.

(٤) آل عمران: ٨٥.

(٥) البقرة: ١٣٦.

(٦) الشورى: ١٣.

يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ ...﴾ الآية[2].

فاستجاب لهذا الهدى والنور خلق كثير من بني إسرائيل ممن حفظوا الكتاب وكانوا عليه شهداء، حتى ظن رسول ﷺ يوم عرضت عليه الأمم أن السواد الكثير الذي رآه من المؤمنين أنه أمته ﷺ فقال له جبريل عليه السلام: (هذا موسى وقومه)[3].

ثم غير بنو إسرائيل هذه الاستقامة ونقضوا ما أبرموا من عهود ومواثيق، وعلى أدبارهم نكصوا، وحرفوا ما أنزل الله عليهم، فبدل الله تعالى ذلك الاصطفاء والاختيار إلى لعنة وطرد من رحمته إلا من عصمه الله منهم، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾[5]. وقال تعالى عنهم: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ

---

(١) البقرة: ١٣٣.

(٢) المائدة: ٤٤.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، (١١/ ٤١٥)، دار الريان، ط. الثانية.

(٤) المائدة: ١٣.

(٥) المائدة: ٧٨– ٧٩.

بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلًا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾(١).

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نلج هذا المطلب ونصل إلى حقيقة عقيدة الحرب عند اليهود، فمن أراد أن يعرف هذه الحقيقة، لا بد أن يقف على أصل عقيدة الاختيار والاصطفاء والنقاء العرقي عندهم، وكيف أثر على نظرتهم للحرب والسلام مع أمم الأغيار أو الجوييم.

فمشكلة اليهود النفسية قائمة على اعتبار أنفسهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم جبلة خاصة تمتاز على سائر أمم الأرض، وأن سائر الأمم بالنسبة إليهم بمنزلة البهائم التي ينبغي أن تكون مسخرة لهم، فلذلك فلا حرج عندهم أن يبيدوا ويقتلوا ويفتكوا بالشعوب الأممية؛ لأن دماءهم مهدرة في عقيدتهم، وهم يحقدون على سائر الأمم والشعوب؛ لأنهم لا يعترفون لهم بهذا الحق الذي يرونه لأنفسهم من دون الناس زورا وبهتانا، وظلما وعدوانا، ولأن شعوب الأرض لا تمنحهم مقام السيادة المطلقة، مع أن الله قد ضرب عليهم الذلة والمسكنة بذنوبهم الكثيرة وجرائمهم الخطيرة وبشهادة كتبهم المقدسة عليهم أيضا.

فهم يرون أنفسهم ذرية الأنبياء الذين تتصل أصولهم بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، ويعتبرون هذه النسبة كافية في تفضيلهم على الناس، مهما تنكروا بعقائدهم وأعمالهم لأنبيائهم ورسلهم، وما تزال أحلام استعادة الملك العظيم الذي حباه الله لداود وسليمان عليهما السلام تسيطر على أوهامهم، وتتحكم في كل ما يدبرون ويخططون من مكر وكيد وبكل ما يدسون من دسائس تعمل على تقويض دعائم شرائع ربانية، ودول كبرى وحضارات نافعة، فلم يحافظوا على الميراث الرباني الذي جاءهم، ولم يرعوا حقه، بل أفسدوا في الأرض وطغوا وتجبروا، وقست قلوبهم، فنقضوا العهد الذي بينهم وبين

(١) البقرة: ٨٨.

الله تعالى ربهم، الذي هو عماد ملكهم[1].

عقيدة الاختيار الإلهي لليهود:

يعتقد اليهود أنهم شعب خاص للإله، اختاره الرب واصطفاه من سائر أمم الأرض، وله علاقة بالإله ليس كعلاقة البشر معه، بل هي علاقة ابن بوالده، فهم أبناؤه الذين ليس له غيرهم، فهم يصرحون بأن الرب أبوهم كما قالوا له: (١٦فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم وإن لم يدرنا إسرائيل. أنت يا رب أبونا ولينا منذ الأبد اسمك)[2]، والرب يهوه يصرح بذلك أيضا كما قال: (١أنتم أولاد للرب إلهكم...)[3]، أو علاقة زوجة بزوجها – وهو ما يعبر عنه بالشخيناه أو التجسيد الأنثوي للحضرة الإلهية، والتي تجلس إلى جوار الإله على العرش وتشاركه السلطة– (ومن الذي يتجاسر على رمي ردائه، بين أسد ولبؤة أثناء جماعهما)[4].

فعقيدة الشعب المختار أو شعب الإرث أو الشعب الكنز، عقيدة أساسية في الدين اليهودي، وتعبير آخر عن حلول الإله في الشعب المقدس، والتي تشكل منها التركيب الثالوثي الحلولي المكون من الإله والأرض والشعب، فيحل الإله في الأرض، لتصبح أرضا مقدسة ومركزا للكون، ويحل في الشعب ليصبح شعبا مختارا، ومقدسا وأزليا، ولهذا السبب، يشار إلى الشعب اليهودي بأنه الشعب المقدس أو الشعب الأزلي، أو الشعب الأبدي، وقد جاء في سفر التثنية (٦لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار

---

(١) انظر مكايد يهودية عبر التاريخ، عبدالرحمن الميداني، (١٢)، دار القلم، ط. السادسة.

(٢) سفر أشعياء، أصحاح (٦٣).

(٣) سفر التثنية، أصحاح (١٤).

(٤) التلمود، سفر سنهدرين، نقلا عن "بنو إسرائيل،" د.محمد مهران، (٣/ ٣٦٣)، وانظر موسوعة اليهود واليهودية، د.المسيري(٥/ ٧٦)، تعالى الله عما يقوله الكافرون علوا كبيرا..

الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض)[1]، والعقيدة نفسها تتواتر في سفر اللاويين: (٢٤... أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب...٢٦ وتكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي)[2].

ويشكر اليهودي إلهه في كل الصلوات لاختياره الشعب اليهودي، وحينما يقع الاختيار على أحد المصلين لقراءة التوراة عليه أن يحمد الإله لاختياره هذا الشعب دون الشعوب الأخرى، ولمنحه التوراة علامة على التميز[3].

---

(١) سفر التثنية، أصحاح (٧).

(٢) سفر اللاويين، أصحاح (٢٠).

(٣) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د.عبدالوهاب المسيري،(٥/ ٧٢) بتصرف. "وقد حاول كثير من حاخامات اليهود وكثير من فقهائهم ومفكريهم تفسير فكرة الاختيار، فجاءوا بتفسيرات كثيرة. ولكن وبغض النظر عن مضمون التفسير، فإن فكرة الاختيار على وجه العموم تؤكد فكرة الانفصال والانعزال عن الآخرين (تعبير عن القداسة الناجمة عن الحلول الإلهي في الشعب).

وقد جاء في التلمود أن جماعة يسرائيل يشبهون بحبة الزيتون لأن الزيتون لا يمكن خلطه مع المواد الأخرى، وكذلك أعضاء جماعة يسرائيل يستحيل اختلاطهم مع الشعوب الأخرى. وقد كانت عملية التفسير هذه ضرورية، في الواقع، لأن أعضاء الشعب المختار المقدس، الذي يفترض أن الإله قد حل فيه، وجدوا أنهم من أصغر الشعوب في الشرق الأدنى القديم وأضعفها، ولم يكونوا بأية حال أكثرها رقيا أو تفوقا، كما حاقت بهم عدة هزائم انتهت بالسبي البابلي.

وقد وردت تفسيرات عدة للاختيار الإلهي، هي في نهاية الأمر تعبير عن درجات متفاوتة من الحلول، فإن ازدادت النزعة الحلولية زادت القداسة في الشعب، ومن ثم زادت عزلته واختياره ونورد فيما يلي بعض هذه التفسيرات للاختيار:

١ – الاختيار كعلامة على التفوق:

أ– لم يختر الإله اليهود بوصفهم شعبا وحسب، بل اختارهم كجماعة دينية قومية توحدها أفكارها وعقائدها، وقد عرضت الرسالة على شعوب الأرض قاطبة، فرفضت هذه الشعوب حملها، وحملها الشعب اليهودي

وحده. وقد حولهم هذا الاختيار إلى مملكة من الكهنة والقديسين، وإلى أمة مقدسة تتداخل العناصر الدينية والقومية فيها. واختيار الإله لليهود هو جوهر العهد أو الميثاق المبرم بينه وبين إبراهيم.

ب – يدل الاختيار على تفوق اليهود عرقيا، فقد اختير إبراهيم لنقائه، واختير اليهود لأنهم من نسله. وقد جاء في التلمود ما يلي: "كل اليهود مقدسون.. كل اليهود أمراء.. لم تخلق الدنيا إلا لجماعة يسرائيل.. لا يدعى أحد أبناء الإله إلا جماعة يسرائيل.. لا يحب الإله أحدا إلا جماعة يسرائيل".

ج – ويدل الاختيار على تفوق اليهود الأخلاقي، فقد اختار الإله الشعب اليهودي لأنه أول شعب يعبده وحده، أي أنه اختار الشعب لأن الشعب اختاره. وقد جاء في التلمود هذه الكلمات: "لماذا اختار الواحد القدوس تبارك اسمه جماعة يسرائيل، لأن أعضاء جماعة يسرائيل اختاروا الواحد القدوس تبارك اسمه وتوراته".

ويمكن أن تنحسر النزعة الحلولية قليلا بحيث يصبح الاختيار علامة على التفرد وحسب (لا على التفوق). وقد قلص أحد المفكرين الإسرائيليين نطاق فكرة الاختيار بحيث جعلها تنصرف إلى علاقة الشعب بالإله وحسب، لا إلى علاقة اليهود بكل البشر.

٢- الاختيار كتكليف ديني:

اختار الإله الشعب اليهودي حتى يكون خادما له بين الشعوب، وليكون أداته التي يصلح بها العالم ويوحد بها بين الشعوب. وهذا يعني أن الاختيار ليس ميزة وإنما هو تكليف إلهي يعني زيادة المسئوليات والأعباء: "إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم" (عاموس٣/ ٢)، وبالتالي يصبح اليهود "خدام الإله الطيعين". وكثيرا ما يلاحظ أن الأنبياء كانوا يعنفون الشعب لفساده الأخلاقي ولاتباعه طرق الشعوب الوثنية الأخرى، وفي هذا تأكيد للفكر التوحيدي. ومع هذا، يلاحظ أن الأنبياء، حتى في لحظات نقدهم للشعب اليهودي، كانوا ينطلقون من مقولة اصطفاء الشعب (وفي هذا تأكيد للرؤية الحلولية).

٣- الاختيار كأمر رباني وسر من الأسرار:

وأكثر التفسيرات تواترا –على الأقل على المستوى النفس– هو أن الاختيار غيرمبرر وغير مشروط ولا سبب له، فهو من إرادة الإله التي لا ينبغي أن يتساءل عنها أي بشر، الإله الذي اختار الشعب ووعده بالأرض، وليس لأي إنسان أن يتدخل في هذا. وهذا هو تفسير الحاخام رابي شلومو بن يتسحاق المشهور بـ "راشي" الذي كان متأثرا بالفكر الإقطاعي الغربي الوسيط والفكر المسيحي–وهو من أشهر المعلقين والمفسرين الإشكناز للتلمود–، فالاختيار هنا أمر ملكي، على العبد الإذعان له، وهو سر من الأسرار يشبه

=

الأسرار المسيحية.

والاختيار –حسب هذا التفسير– لا علاقة له بالخير أو الشر، ولا بالطاعة أو المعصية، فهو لا يسقط عن الشعب اليهودي، حتى ولو أتى هذا الشعب بالمعصية، إذ أن حب الإله للشعب المختار يغلب على عدالته، ولذلك لن يرفض الإله شعبه كلية، في أي وقت من الأوقات مهما تكن شرور هذا الشعب. بل يدعي أحد المفسرين:

بأنه مادام الإله هو الذي اختار الشعب اليهودي، فالاختيار ملزم له هو وحده وليس ملزما للشعب (وهذا بخلاف المفهوم الإسلامي للاختيار حيث جعل الاختيار مشروطا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أنه ليس اختيارا عنصريا أو عرقيا بل هو اختيار أخلاقي غير مقصور على أمة بعينها).

ورغم أن أتباع كل جماعة دينية يرون أن ثمة علاقة خاصة تربطهم بالإله، وأنهم مختارون بشكل ما، فإن هذا التيار قد تعمق في اليهودية بشكل متطرف، وفقد الاختيار أي مضمون أخلاقي واكتسب أبعادا عرقية قومية، وتحولت التجربة الدينية عند اليهود من تجربة فردية عمادها الضمير الفردي إلى تجربة جماعية عمادها الوعي القومي. ثم هيمنت القبالاه (التراث الصوفي اليهودي) بالتدريج بحيث حولت الشعب اليهودي من مجرد شعب مختار إلى شعب يعد جزءا عضويا من الذات الإلهية، فهو الشخيناه (التجسيد الأنثوي للحضرة الإلهية) التي تجلس إلى جواره على العرش وتشاركه السلطة.

وقد كانت النزعة الحلولية كامنة في داخل النسق الديني اليهودي، ولكن تحول اليهود إلى جماعة وظيفية تعمل بالتجارة والربا زاد إحساسهم باختيارهم. فالجماعات الوظيفية، بسبب وضعها، يكون لديها دائما إحساس بما يسمى «مركب الشعب المختار» لتبرر وضعها غير الإنساني كجماعة بشرية توجد داخل مجتمع ما ولا تنتمي إليه، فهي فيه وليست منه، تتعامل مع جماهير تكن لها البغض والكراهية، لأنها تمثل مصالح النخبة الحاكمة. كما أن إحساس الجماعة الوظيفية بأنهم مقدسون وأن الآخر مدنس مباح يعمق الإحساس بالاختيار. وقد عبر التلمود عن هذا الوضع بمقارنة جماعة يسرائيل بخدم الملك. وهناك الكثيرون ممن يكرهون الملك، ولكنهم عاجزون عن الهجوم عليه، ولذا فهم يلومون خادم الملك ويهجمون عليه. فقد اختار الإله جماعة يسرائيل خادما له، ولذا أصبحت محط حقد الأغيار الذين يهجمون عليها.

ولقد عززت أسطورة الشعب المختار من النزعة المشيحانية في الفكر الديني اليهودي، فكل عضو في أمة الكهنة والقديسين هو تجسيد حي للإله، وصوته من صوت هذا الإله، أي إنه نبي أو شبه نبي بالضرورة. وقد عززت فكرة الاختيار أيضا الإحساس الزائف لأعضاء الجماعات اليهودية بوجودهم خارج التاريخ، وبأن =

وهذا الاختيار لا سبب له؛ حيث لا علاقة له بالطاعة أو المعصية، فهو لا يسقط عن =

القوانين التاريخية التي تسري على الجميع لا تسري عليهم. ومن الملاحظ أنه كلما كانت تزداد حال الجماعات اليهودية سوءا، كان أعضاؤها يزدادون إصرارا على فكرة الاختيار. وفي العصر الحديث، حاول بعض المفكرين اليهود التخفيف من حدة مفهوم الشعب المختار. فقال ليو بايك إن كل شعب يتم اختياره ليكون له نصيب من تاريخ البشرية، ولكن حظ اليهود من هذا التاريخ أكبر من أي نصيب آخر. وقد تمرد دعاة حركة التنوير اليهودية، واليهودية الإصلاحية، على مفهوم الاختيار بمعناه العنصري والأخلاقي، وأحلوا محله فكرة الرسالة، ومفادها أن الإله شتت اليهود في أنحاء الأرض لا عقابا لهم، وإنما لينشروا رسالته وليصبحوا أداته في تحقيق السلام والخلاص. وقد تخلى التجديديون تماما عن فكرة الاختيار. أما اليهودية المحافظة واليهودية الأرثوذكسية، فأبقت هذا المفهوم الديني وعمقته. وتسيطر فكرة الشعب المختار، بعد علمنتها، على الفكر الصهيوني بجميع اتجاهاته. وقد أكد آحاد هعام، منطلقا من مفاهيم الفيلسوف اليهودي نيتشه الخاصة بالسوبرمان –الرجل الخارق–، أن اليهود أمة متفوقة "سوبر أمة".

وتحدث المفكر الصهيوني الاشتراكي نحمان سيركين عن اليهودي بوصفه البروليتاري الأزلي. أما المفكر لويس برانديز، فقد تحدث عنه بوصفه الديموقراطي الأزلي، أي أن اليهودي قد اختير منذ القدم ليؤدي رسالة أزلية اشتراكية عند الصهيوني الاشتراكي، وأزلية ديموقراطية ليبرالية عند الصهيوني الديموقراطي الليبرالي.

وقد صرح الرئيس اليهودي السابق بن جوريون أن دولة إسرائيل تضم الشعب الكنز، ولهذا فإن بوسعها أن تصبح منارة لكل الأمم. وبإمكان المرء –حسب تصور بن جوريون– أن يشير إلى ثلاثة عناصر فعالة في الدولة الصهيونية تلمح إلى المقدرة الأخلاقية والفكرية الكامنة في اليهود:

أ – الاستيطان العمالي للأرض.

ب– جيش الدفاع الإسرائيلي.

ج – رجال العلم والفن والأدب، أي العبقرية اليهودية.

وبطبيعة الحال، لم يذكر بن جوريون شيئا عن اغتصاب الصهاينة للأرض الفلسطينية، ولا عن الإرهاب الصهيوني لأهلها. بل إن فلسفة "بوبر" الحوارية هي تعبير مصقول عن فكرة الاختيار، فالحوار الحق ممكن بين الإله واليهود، أساسا بسبب التشابه بينهما، وهو أمر ليس متاحا لكل الأمم.

وقد ظهر مؤخرا لاهوت التحرير الذي يقلص النزوع الحلولي. وبالتالي، يتحول مفهوم الاختيار من مفهوم مطلق وسر من الأسرار إلى عملية تكليف ديني وإلزام خلقي". موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د.عبدالوهاب المسيري ٥/ ٧٢-٧٤ بتصرف.

الشعب اليهودي مهما بلغت شرور هذا الشعب، ومهما تقادم الزمن؛ لأنها إرادة الله التي لا ينبغي أن يتساءل عنها أي بشر، فهو قد اختار الشعب ووعده بالأرض وليس لأي إنسان أن يتدخل في هذا! فقد جاء في العهد القديم[1]: (٦...ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة)[2].

فهذا الاختيار نهائي وغير مشروط بزمن، ولا بسبب؛ لأنه لا يقوم على أية مزية دينية أو خلقية، فكأن الاختيار على هذا ملزم لله وحده وليس ملزما للشعب اليهودي[3].

والنصوص المثبتة لهذه العقيدة كثيرة متعددة ومن ذلك أمر يهوه لموسى أن يذكر آلاءه

(١) انظر موسوعة المفاهيم،(٢٣١)، - نقلا عن العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، د. أحمد الزغيبي (١/ ١)-.

(٢) سفر التثنية أصحاح (٩).

(٣) العنصرية اليهودية، د. أحمد الزغيبي، (١/ ١٤٢).وفي المصدر نفسه يقول الدكتور الزغيبي: "وحين رأى أفراد الشعب المختار تناقض هذا الاختيار مع واقعهم السيىء، المتمثل في كونهم أقل الشعوب وأضعفها، حاول كثير من مفكريهم إيراد الأسباب في معنى الاختيار، ولذلك تفاوتت الآراء من مفكر ديني لآخر، ومن أهم تلك الآراء ما يأتي:

١ - أن الله تعالى اختار الشعب اليهودي لأنه من نسل إبراهيم عليه السلام المختار لنقائه.

٢ - أن الله تعالى اختار من الشعب اليهودي أكثر أنبيائه ورسله.

٣- أن الله تعالى اختار الشعب اليهودي لحمله التوراة وحده، بعد أن رفضت حملها شعوب الأرض قاطبة.

٤ - أن الله تعالى اختار الشعب اليهودي؛ لأنه اختار الله تعالى بكونه أول شعب يعبد الله وحده؛ فقد جاء في العهد القديم: (فقال يشوع أنتم شهود على أنفسكم قد اخترتم لأنفسكم الرب لتعبدوه فقالوا نحن شهود)، وجاء في التلمود: (لماذا اختار الواحد القدوس تبارك اسمه بني إسرائيل، لأن بني إسرائيل اختاروا الواحد القدوس تبارك اسمه وتوراته).

٥ - أن الله تعالى اختار الشعب اليهودي ليكون خادما له بين الشعوب، وأداته التي يصلح بها العالم، ويوحد بها بين الشعوب، فقد جاء في العهد القديم: (فقد جعلتك نورا للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض).

٦ - أن الله تعالى اختار الشعب اليهودي ليس إكراما له فحسب، بل إكراما للجنس البشري كله".

ومنحه لشعبه الذي اختاره، فقد جاء في العهد القديم: (٦لذلك قل لبني إسرائيل: أنا الرب. وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم وأخلصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة ٧وأ تخذكم لي شعبا وأكون لكم إلها. فتعلمون أني أنا الرب إلهكم الذي يخرجكم من تحت أثقال المصريين)[1]، وهذا واحد من أوضح الإعلانات عن العلاقة المتبادلة الناجمة عن العهد الذي قطعه الرب مع إسرائيل[2].

ومن هذه النصوص ترنيمة موسى بعد أن خلصه يهوه من فرعون وجنوده، فقد جاء في العهد القديم: (١٣ترشد برأفتك الشعب الذي فديته. تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك... بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر حتى يعبر شعبك يا رب. حتى يعبر الشعب الذي اقتنيته.)[3]، فالرب يفتدي هذا الشعب الذي قطع معه العهد، والرب يقتني هذا الشعب، والكلمة -أي نص العهد القديم- تعني "يحصل على" وعادة يكون الاقتناء بالمال، فالرب يفتدي الشعب الذي ملكه[4].

ومن هذه النصوص ما قاله يهوه لموسى أيضا في البرية بعد الخروج من أرض مصر بثلاثة أشهر وفي معرض إظهار نعمة الرب عليهم، ما جاء في العهد القديم: (٥فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فإن لي كل الأرض. ٦وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة. هذه هي الكلمات التي تكلم بها بني إسرائيل)[5]، فالرب قد قرر أنهم إن سمعوا لصوته وحفظوا عهده فإنهم يكونون من خاصته، والكلمة تعني كنزا خاصا بأحد الملوك، كملكية خاصة له، وهذا يدل على قيمة

---

(١) سفر الخروج، أصحاح (٦).

(٢) التفسير الحديث للكتاب المقدس، مجموعة من المفسرين،خروج، (٩٧)، دار الثقافة، ط. الأولى.

(٣) سفر الخروج، أصحاح (١٥).

(٤) التفسير الحديث للكتاب المقدس، مجموعة من المفسرين، خروج (١٤٣،١٤٢).

(٥) سفر الخروج، أصحاح (١٩).

خاصة، وعلاقة خاصة أيضا، فقوله مملكة كهنة تشير بكل تأكيد إلى ملك، وإلى أن هذا الملك لا يمكن أن يكون إلا يهوه، فهذا الجماعة خصصت بصورة خاصة كي تكون خاصة الرب وفي خدمته، ويكون لها حق الاقتراب من محضره، وقوله أمة مقدسة، يعني بصفة رئيسية تخصيص أمة بعينها من دون الأمم لتكون خاصته[1].

عند ذلك بلغ موسى أمر الرب لشعبه فقبلوه فاكتمل العهد: (٧فجاء موسى ودعا شيوخ الشعب ووضع قدامهم كل هذه الكلمات التي أوصاه بها الرب. ٨فأجاب جميع الشعب معا: «كل ما تكلم به الرب نفعل». فرد موسى كلام الشعب إلى الرب)[2]، فأجابه الرب بعلامة القبول المتبادل لهذا العهد فجاء ظلام سحاب: (٩فقال الرب لموسى: «ها أنا آت إليك في ظلام السحاب ليسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمنوا بك أيضا إلى الأبد)[3]، وأخبره بعد ذلك بأنه سينزل لشعبه حتى يروه، وأمرهم بالاستعداد لملاقاته: (وأخبر موسى الرب بكلام الشعب. ١٠فقال الرب لموسى: «اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغدا وليغسلوا ثيابهم ١١ويكونوا مستعدين لليوم الثالث. لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء)[4]، ثم أمره الرب بأمور محددة حتى ينزل لشعبه).

ومن هذه النصوص ما جاء في العهد القديم: (٢٧وقال الرب لموسى: «اكتب لنفسك هذه الكلمات لأنني بحسب هذه الكلمات قطعت عهدا -ميثاقا- معك ومع إسرائيل)[5].

(١) انظر التفسير الحديث للكتاب المقدس، مجموعة من المفسرين، خروج، (١٦٤).

(٢) سفر الخروج، أصحاح (١٩).

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) سفر الخروج، أصحاح (٣٤).

ومن هذه النصوص ما جاء في العهد القديم: (٧فتتقدسون وتكونون قديسين لأني أنا الرب إلهكم ٨وتحفظون فرائضي وتعملونها. أنا الرب مقدسكم)[١].

ومن هذه النصوص خطاب يهوه لموسى فقد جاء في العهد القديم: (٣٢ فاسأل عن الأيام الأولى التي كانت قبلك من اليوم الذي خلق الله فيه الإنسان على الأرض ومن أقصاء السماء إلى أقصائها. هل جرى مثل هذا الأمر العظيم أو هل سمع نظيره؟ ٣٣هل سمع شعب صوت الله يتكلم من وسط النار كما سمعت أنت وعاش؟ ٣٤أو هل شرع الله أن يأتي ويأخذ لنفسه شعبا من وسط شعب بتجارب وآيات وعجائب وحرب ويد شديدة وذراع رفيعة ومخاوف عظيمة مثل كل ما فعل لكم الرب إلهكم في مصر أمام أعينكم؟ ٣٥إنك قد أريت لتعلم أن الرب هو الإله. ليس آخر سواه. ٣٦من السماء أسمعك صوته لينذرك وعلى الأرض أراك ناره العظيمة وسمعت كلامه من وسط النار. ٣٧ولأجل أنه أحب آباءك واختار نسلهم من بعدهم أخرجك بحضرته بقوته العظيمة من مصر)[٢].

ومن هذه النصوص ما جاء في العهد القديم: (٧ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب. ٨بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر)[٣].

ومن هذه النصوص تذكير الرب لموسى بأنه صلى له وهو يعبر أرض الأردن فقبل الرب صلاته، فقد جاء في العهد القديم: (٢٦ وصليت للرب: يا سيد الرب لا تهلك شعبك وميراثك الذي فديته بعظمتك الذي أخرجته من مصر بيد شديدة. ٢٧اذكر

(١) سفر اللاويين، أصحاح (٢٠).

(٢) سفر التثنية، أصحاح (٤).

(٣) سفر التثنية، أصحاح (٧).

عبيدك إبراهيم وإسحاق ويعقوب...٢٩وهم شعبك وميراثك الذي أخرجته بقوتك العظيمة وبذراعك الرفيعة)[١] .

ومن هذه النصوص ما جاء في العهد القديم: (١٢«فالآن يا إسرائيل ماذا يطلب منك الرب إلهك إلا أن تتقي الرب إلهك لتسلك في كل طرقه وتحبه وتعبد الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ١٣وتحفظ وصايا الرب وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم لخيرك.١٤هوذا للرب إلهك السماوات وسماء السماوات والأرض وكل ما فيها. ١٥ولكن الرب إنما التصق بآبائك ليحبهم فاختار من بعدهم نسلهم الذي هو أنتم فوق جميع الشعوب كما في هذا اليوم)[٢].

ومن هذه النصوص ما جاء في العهد القديم: (١ أنتم أولاد للرب إلهكم. لا تخمشوا أجسامكم ولا تجعلوا قرعة بين أعينكم لأجل ميت. ٢لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك الرب لتكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض)[٣].

ومن هذه النصوص ما جاء في العهد القديم: (٦... أليس هو أباك ومقتنيك هو عملك وأنشأك؟ ٧اذكر أيام القدم وتأملوا سني دور فدور. اسأل أباك فيخبرك وشيوخك فيقولوا لك)[٤] .

ومن هذه النصوص ما جاء في العهد القديم: (٢١ فقال الشعب ليشوع: «لا. بل الرب نعبد». ٢٢فقال يشوع للشعب: «أنتم شهود على أنفسكم أنكم قد اخترتم لأنفسكم الرب لتعبدوه». فقالوا: نحن شهود)[٥].

(١) سفر التثنية، أصحاح (٩).

(٢) سفر التثنية، أصحاح (١٠).

(٣) سفر التثنية أصحاح (١٤).

(٤) سفر التثنية، أصحاح (٣٢).

(٥) سفر يشوع، أصحاح (٢٤).

ومن هذه النصوص ما جاء في العهد القديم: (١١ويكون متى كملت أيامك لتذهب مع آبائك أني أقيم بعدك نسلك الذي يكون من بنيك وأثبت مملكته. ١٢هو يبني لي بيتا وأنا أثبت كرسيه إلى الأبد. ١٣أنا أكون له أبا وهو يكون لي ابنا، ولا أنزع رحمتي عنه كما نزعتها عن الذي كان قبلك. ١٤وأقيمه في بيتي وملكوتي إلى الأبد، ويكون كرسيه ثابتا إلى الأبد»...٢١وأية أمة على الأرض مثل شعبك إسرائيل الذي سار الله ليفتديه لنفسه شعبا، لتجعل لك اسم عظائم ومخاوف بطردك أمما من أمام شعبك الذي افتديته من مصر. ٢٢وقد جعلت شعبك إسرائيل لنفسك شعبا إلى الأبد، وأنت أيها الرب صرت لهم إلها)[(١)].

ومن هذه النصوص ما جاء في العهد القديم: (١ اسمعوا هذا القول الذي تكلم به الرب عليكم يا بني إسرائيل على كل القبيلة التي أصعدتها من أرض مصر قائلا: ٢«إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم)[(٢)].

ومن هذه النصوص ما جاء في العهد القديم: (١ اسمعي لي أيتها الجزائر واصغوا أيها الأمم من بعيد: الرب من البطن دعاني. من أحشاء أمي ذكر اسمي ٢وجعل فمي كسيف حاد. في ظل يده خبأني وجعلني سهما مبريا. في كنانته أخفاني. ٣وقال لي: «أنت عبدي إسرائيل الذي به أتمجد»...٦فقال: قليل أن تكون لي عبدا لإقامة أسباط يعقوب ورد محفوظي إسرائيل. فقد جعلتك نورا للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض». ٧هكذا قال الرب فادي إسرائيل قدوسه للمهان النفس لمكروه الأمة لعبد المتسلطين: «ينظر ملوك فيقومون. رؤساء فيسجدون. لأجل الرب الذي هو أمين وقدوس إسرائيل الذي قد اختارك».٨ هكذا قال الرب: «في وقت القبول استجبتك وفي يوم الخلاص أعنتك. فأحفظك وأجعلك عهدا للشعب لإقامة الأرض لتمليك أملاك البراري...١٣ترنمي

(١) سفر أخبار الأيام الأول، أصحاح (١٧).

(٢) سفر عاموس، أصحاح (٣).

أيتها السماوات وابتهجي أيتها الأرض. لتشد الجبال بالترنم لأن الرب قد عزى شعبه وعلى بائسيه يترحم. ١٤وقالت صهيون: «قد تركني الرب وسيدي نسيني». ١٥هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك)[(١)].

ومن هذه النصوص ما جاء في العهد القديم: (٨لأني أنا الرب محب العدل مبغض المختلس بالظلم.وأجعل أجرتهم أمينة وأقطع لهم عهدا أبديا. ٩ويعرف بين الأمم نسلهم وذريتهم في وسط الشعوب. كل الذين يرونهم يعرفونهم أنهم نسل باركه الرب. ١٠فرحا أفرح بالرب. تبتهج نفسي بإلهي لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص. كساني رداء البر مثل عريس يتزين بعمامة ومثل عروس تتزين بحليها. ١١لأنه كما أن الأرض تخرج نباتها وكما أن الجنة تنبت مزروعاتها هكذا السيد الرب ينبت برا وتسبيحا أمام كل الأمم)[(٢)].

ومن هذه النصوص ما جاء في العهد القديم: (١٣... هكذا قدت شعبك لتصنع لنفسك اسم مجد. ١٥تطلع من السماوات وانظر من مسكن قدسك ومجدك. أين غيرتك وجبروتك؟ زفير أحشائك ومراحمك نحوي امتنعت. ١٦فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم وإن لم يدرنا إسرائيل. أنت يا رب أبونا ولينا منذ الأبد اسمك ١٧ لماذا أضللتنا يا رب عن طرقك قسيت قلوبنا عن مخافتك؟ ارجع من أجل عبيدك أسباط ميراثك. ١٨إلى قليل امتلك شعب قدسك. مضايقونا داسوا مقدسك. ١٩قد كنا منذ زمان كالذين لم تحكم عليهم ولم يدع عليهم باسمك)[(٣)].

هذه بعض النصوص التي تحويها أسفار اليهود أكتفي بها؛ إذ ليس المقصود إحصاء النصوص من أسفارهم، ولكن التأكيد على أن العقيدة اليهودية تدور في مجملها حول العهود التي قطعها الإله على نفسه، وهي عهود متكررة عبر التاريخ المقدس الذي يحل فيه

(١) سفر إشعياء، أصحاح (٤٩).

(٢) سفر إشعياء، أصحاح (٦١).

(٣) سفر إشعياء، أصحاح (٦٣).

الإله ويوجهه حسب الرؤية الدينية اليهودية، فهذا التاريخ يبدأ بالعهد الذي قطعه الإله على نفسه لإبراهيم بأن يصطفيه دون العالمين وأن يورث نسله أرض كنعان (فلسطين)، وقد تم تأكيد العهد لإسحاق ويعقوب، ثم جدد هذا العهد مع الشعب ككل أي مع جماعة إسرائيل في سيناء، وذلك بعد الخروج من مصر، حيث يعلن الإله لأفراد الشعب أنه أخرجهم من مصر واختارهم شعبا له، وبذا حول العهد جماعة إسرائيل ككل إلى شعب مختار من الكهنة، وأصبحت ممثلة للإله بين الشعوب، وأصبحت وظيفتها إنقاذ الجنس البشري من الخطايا والذنوب التي يرتكبها الناس. وقد كان العهد مع إبراهيم منحة ملكية وليس عقدا بين طرفين، ولكن تحت تأثير الأنبياء، ظهرت فكرة العقد المتبادل، وهو أن الشعب يطيع الإله ويتبع الشريعة، وأن الإله لذلك سيرعاه ويحميه، أي أن الاختيار يصبح هنا مشروطا بفعل الخير. لكن هذا الموقف تآكل وأصبح العهد مرة أخرى عهدا أبديا مطلقا، فقد يخطئ هذا الشعب وقد يزل، وقد يعصي ويفسد، بل قد يعاقبه الإله، ولكنه سيظل مع هذا شعبا مختارا.

وتشبه المشناه هذه العلاقة بأنها مثل علاقة رجل بزوجته العاهرة، فرغم عهرها الواضح لا يمكنه التخلي عنها، لأنها أم أولاده[1]، وقد استخدم هوشع هذا التشبيه من قبل فهو قد اتخذ بأمر الرب زوجة من الداعرات ليبرهن للشعب المقدس بشكل تجسيدي من خلال قصة شخصية أنه على الرغم من انحرافه عن طريق الرب فإن الإله تمسك به. ويتصور بعض مفكري اليهود أن العهد بين الإله والشعب ملزم له وحده، وليس ملزما للشعب، فهو الذي قطع العهد على نفسه، وهم بذلك يسقطون مرة أخرى، البعد الأخلاقي الذي أضافه الأنبياء[2].

---

(١) فسحيم (١٢ـ ب)، – نقلا عن موسوعة اليهود واليهودية– د.المسيري،(٥/ ٧٦).

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. المسيري،(٥/ ٧٦). بتصرف يسير.

أثر عقيدة الاختيار الإلهي في نظرة اليهود للحرب والسلام:

أثرت عقيدة الاختيار والاصطفاء الإلهي لليهود من دون البشر تأثيرا مباشرا في حربهم وسلمهم مع أمم الأغيار، فنتيجة لذلك كانت وما تزال حروبهم بأمر الرب، بل هي حروب الرب نفسه، يتقدمها ويباشرها بذاته، يدافع عن شعبه هو وملائكته ويحارب عنهم، حتى يخضع ويذل بقية الأمم لهم، فيتحقق مراده ومبتغاه واصطفاؤه لشعبه المقدس لأنه هو فقط المستحق لأن يعلو فوق الأغيار، فمن استحق أن يميز ويقدس من دون البشر، استحق أيضا أن تكون له سلطة عليهم بموجب هذا التمييز، وإن لم تقبل أمم الأرض هذه الدعوى، عاقبها الرب بأن يسلمها ويذلها لشعبه.

فباستقراء نصوص العهد القديم تبرز سمة أساسية في نظرة الرب "يهوه" للحرب والسلام، وهي العنصرية التامة لبني إسرائيل، فهو يحارب من أجل شعبه، ويقاتل معهم ويتقدمهم في المعارك الحربية حتى أسماه موسى بعد أن أنجاه وقومه من فرعون بـ"رجل الحرب": (حينئذ رنم موسى وبنو إسرائيل هذه التسبيحة للرب: أرنم للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر. ٢الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي. هذا إلهي فأمجده إله أبي فأرفعه. ٣الرب رجل الحرب. الرب اسمه. ٤مركبات فرعون وجيشه ألقاهما في البحر فغرق أفضل جنوده المركبية في بحر سوف)[(١)].

ورجل الحرب هذا الذي يعبده اليهود لا يحارب إلا مع شعبه الذي اختاره فقط، والسلام الذي يقبله هو السلام الذي تستعبد وتسخر الأمم فيه لشعبه، سلام يقتل فيه الذكور بحد السيف، ويستحيا فيه النساء والأطفال والبهائم، وتستحل فيه الممتلكات، كما أكدت ذلك شرائع حصار وفتح المدن البعيدة التي وردت في العهد القديم، وهي عرض الصلح على الأمم قبل الشروع في الحرب على أن يكونوا عبيدا لبني إسرائيل إذ

---

(١) سفر الخروج أصحاح (١٥)، وبحر "سوف" هو البحر الأحمر كما ذكر قاموس الكتاب المقدس، (١٦٢).

يقول يهوه: (١٠حين تقرب من مدينة لتحاربها استدعها للصلح ١١فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. ١٢وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها. ١٣وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. ١٤وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك. ١٥هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا)[(١)].

فربهم رب الجنود هو الذي يأمرهم بقتل وتدمير ونهب أموال الأمم والشعوب وممتلكاتهم، وإبادة من سواهم وحرق مدنهم وحصونهم بالنار، وسبي ذراريهم ونسائهم، كما أمر رب الجنود موسى بالقضاء على المديانيين، وأن يفعل بهم كل تلك الفظائع، فقد جاء في العهد القديم: (١ وأمر الرب موسى: ٢انتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين ثم تضم إلى قومك. ٣فقال موسى للشعب: جردوا منكم رجالا للجند فيكونوا على مديان ليجعلوا نقمة الرب على مديان. ٤ ألفا واحدا من كل سبط من جميع أسباط إسرائيل ترسلون للحرب. ٥فاختير من ألوف إسرائيل ألف من كل سبط. اثنا عشر ألفا مجردون للحرب. ٦فأرسلهم موسى ألفا من كل سبط إلى الحرب هم وفينحاس بن ألعازار الكاهن إلى الحرب وأمتعة القدس وأبواق الهتاف في يده. ٧ فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر. ٨وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم. أوي وراقم وصور وحور ورابع. خمسة ملوك مديان. وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف. ٩وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم. ١٠وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار. ١١وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم ١٢وأتوا إلى موسى وألعازار الكاهن وإلى جماعة بني إسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة إلى المحلة إلى عربات موآب التي على أردن أريحا)[(٢)].

(١) سفر التثنية، أصحاح (٢٠).

(٢) سفر العدد، أصحاح (٣١).

واحتدم غضب موسى عندما عاد المحاربون وقد بقي من المديانيين حيا، حتى ولو كان هذا الحي من النساء والأطفال، وأمرهم بأن يقتلوا الأطفال والأسيرات من النساء واستثنى منهن العذارى فقط – ليكتمل الاصطفاء –، دل على ذلك نص العهد القديم الذي جاء فيه: (١٣فخرج موسى وألعازار الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحلة. ١٤فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب. ١٥وقال لهم موسى: هل أبقيتم كل أنثى حية؟ ١٦إن هؤلاء كن لبني إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب في أمر فغور فكان الوبأ في جماعة الرب. ١٧فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال. وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها. ١٨لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات)[١].

ويأمر يهوه موسى بعدم الخوف من كثرة عدد وعدة الأعداء؛ لأنه هو الذي يحارب ويدافع عنه بنفسه أوبملائكته، فيقول له: (١إذا خرجت للحرب على عدوك ورأيت خيلا ومراكب قوما أكثر منك فلا تخف منهم لأن معك الرب إلهك الذي أصعدك من أرض مصر)[٢]، ثم يأمرهم بعدم الضعف؛ لأنه يحارب عنهم، ويسير معهم فيقول: (٢ وعندما تقربون من الحرب يتقدم الكاهن ويقول للشعب ٣ اسمع يا إسرائيل: أنتم قربتم اليوم من الحرب على أعدائكم. لا تضعف قلوبكم. لا تخافوا ولا ترتعدوا ولا ترهبوا وجوههم ٤ لأن الرب إلهكم سائر معكم ليحارب عنكم أعداءكم ليخلصكم)[٣].

ويرفض أن يقدم شعبه تنازلات عن حقهم المكتسب كأمة مختارة ومصطفاة من البشر، أمة قطع الرب على نفسه عهودا بفعل عجائب لها لم تخلق لأحد في الأرض، ومنحها بركة مطلقة في كل شيء؛ في النسل والزرع والضرع، ووعدها بالنصر على أعدائها

(١) سفر العدد، أصحاح (٣١).

(٢) سفر التثنية، أصحاح (٢٠).

(٣) سفر التثنية، أصحاح (٢٠).

وتعهد بمنحها الكرامات في ساحات القتال، وأن يقاتل هو بنفسه معها أو بإرسال ملائكته، يقول يهوه: (٣إذا سلكتم في فرائضي وحفظتم وصاياي وعملتم بها ٤أعطي مطركم في حينه وتعطي الأرض غلتها وتعطي أشجار الحقل أثمارها ٥ويلحق دراسكم بالقطاف ويلحق القطاف بالزرع فتأكلون خبزكم للشبع وتسكنون في أرضكم آمنين. ٦وأجعل سلاما في الأرض فتنامون وليس من يزعجكم. وأبيد الوحوش الرديئة من الأرض ولا يعبر سيف في أرضكم. ٧وتطردون أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف. ٨يطرد خمسة منكم مئة ومئة منكم يطردون ربوة -عشرة آلاف- ويسقط أعداؤكم أمامكم بالسيف. ٩وألتفت إليكم وأثمركم وأكثركم وأفي ميثاقي معكم ١٠فتأكلون العتيق المعتق وتخرجون العتيق من وجه الجديد. ١١وأجعل مسكني في وسطكم ولا ترذلكم نفسي. ١٢وأسير بينكم وأكون لكم إلها وأنتم تكونون لي شعبا. ١٣أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر من كونكم لهم عبيدا وقطع قيود نيركم وسيركم قياما)[١].

وكذلك يخبره بأنه هو الذي يفني الأمم ويطردها أمامهم فيقول: (٥والرب إلهكم هو ينفيهم من أمامكم ويطردهم من قدامكم، فتملكون أرضهم كما كلمكم الرب إلهكم..... ٩قد طرد الرب من أمامكم شعوبا عظيمة وقوية. وأما أنتم فلم يقف أحد قدامكم إلى هذا اليوم)[٢]، وطمأن الرب شعبه بأن الرجل من بني إسرائيل بألف رجل ممن سواه لأن الرب هو المحارب عنهم: (١٠رجل واحد منكم يطرد ألفا، لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم كما كلمكم)[٣]، ويبين الرب أن له حربا مستمرة بين أجيال العماليق جيلا بعد جيل فيقول: (١٦وقال:إن اليد على كرسي الرب. للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور)[٤].

(١) سفر اللاويين، أصحاح (٢٦).

(٢) سفر يشوع، أصحاح (٢٣).

(٣) سفر يشوع، أصحاح (٢٣).

(٤) سفر الخروج، أصحاح (١٧).

حتى النبي يشوع عندما شاخ وتقدمت به الأيام أراد أن يؤكد عقيدة محاربة الرب معهم فقال لهم: (٣وأنتم قد رأيتم كل ما عمل الرب إلهكم بجميع أولئك الشعوب من أجلكم، لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم)[١].

وكذلك النبي نحميا يؤكد أن الرب يحارب عن اليهود فيقول: (٢٠فالمكان الذي تسمعون منه صوت البوق هناك تجتمعون إلينا. إلهنا يحارب عنا)[٢].

ويخبرهم يهوه عن السبب الذي جعله لا يستعجل في إفناء الأمم دفعة واحدة، بل شيئا فشيئا يهلك الرب الأمم أمامهم ريثما يكثرون ويملكون الأرض فقول: (٢٩لا أطردهم من أمامك في سنة واحدة لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية. ٣٠قليلا قليلا أطردهم من أمامك إلى أن تثمر وتملك الأرض. ٣١وأجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر. فإني أدفع إلى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك)[٣]، إذن فيهوه يخشى عليهم كثرة وحوش البرية فيطرد الأمم أمامهم تدريجا.

ويأمرهم بعدم قطع عهود ومواثيق مع الغير؛ حتى لا يجرونهم إلى الخطيئة وعبادة الأصنام، فيكون ذلك فخا كما أمر موسى بعدم قطع عهود مع بقية الأمم فقال له: (٣٢لا تقطع معهم ولا مع آلهتهم عهدا. ٣٣لا يسكنوا في أرضك لئلا يجعلوك تخطئ إلي. إذا عبدت آلهتهم فإنه يكون لك فخا)[٤]، أي لا تجعل شروط السلام بينك وبينهم بأن تجعل لهم بعض الأرض وبعضها لنفسك، ومعنى العهد مع آلهتهم التسليم بأنها حقة، فإن المتحالفين في ذلك الزمان كان يعترف كل منهم بآلهة الآخر[٥].

---

(١) سفر يشوع، أصحاح (٢٣).

(٢) سفر نحميا، أصحاح (٤).

(٣) سفر الخروج، أصحاح (٢٣).

(٤) سفر الخروج، أصحاح (٢٣).

(٥) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم (١/ ٤٣٢) وليم مارش، مجمع الكنائس في الشرق الأدني،

بل وحتى عندما يغضب عليهم يندم على غضبه، ويتذكر العهود التي قطعها فيعود ويعوضهم عن كل ما بدر من قسوة وتعنت، ويمنحهم مزيدا من العهود والوعود بالتسلط على الأمم والاستعلاء في الأرض، فيقول لموسى: (٤٢أذكر ميثاقي مع يعقوب وأذكر أيضا ميثاقي مع إسحاق وميثاقي مع إبراهيم وأذكر الأرض. ٤٣والأرض تترك منهم وتستوفي سبوتها في وحشتها منهم وهم يستوفون عن ذنوبهم لأنهم قد أبوا أحكامي وكرهت أنفسهم فرائضي. ٤٤ولكن مع ذلك أيضا متى كانوا في أرض أعدائهم ما أبيتهم ولا كرهتهم حتى أبيدهم وأنكث ميثاقي معهم لأني أنا الرب إلههم. ٤٥بل أذكر لهم الميثاق مع الأولين الذين أخرجتهم من أرض مصر أمام أعين الشعوب لأكون لهم إلها. أنا الرب». ٤٦هذه هي الفرائض والأحكام والشرائع التي وضعها الرب بينه وبين بني إسرائيل في جبل سيناء بيد موسى)[1].

ومن النصوص الموضحة لحماية الرب لشعبه وإرشاده وهدايته لهم، وتدخله بقوة ذرعه حتى ينجو شعبه، قصة موسى مع فرعون، جاء في العهد القديم: (١٣ترشد برأفتك الشعب الذي فديته. تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك... بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر حتى يعبر شعبك يا رب. حتى يعبر الشعب الذي اقتنيته -افتديته- ويبين الرب سبب ذلك التدخل، وهو أن يقع الرب في قلوب سكان فلسطين، فيخافون منهم:

(١٤يسمع الشعوب فيرتعدون. تأخذ الرعدة سكان فلسطين. ١٥حينئذ يندهش أمراء أدوم. أقوياء موآب تأخذهم الرجفة. يذوب جميع سكان كنعان. ١٦تقع عليهم الهيبة والرعب. بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر حتى يعبر شعبك يا رب. حتى يعبر الشعب الذي اقتنيته.

ويبين أيضا كيف سخر البحر لنصرتهم:

= ________

بيروت، ١٩٧٣.

(١) سفر اللاويين، أصحاح (٢٦).

(١٩فإن خيل فرعون دخلت بمركباته وفرسانه إلى البحر ورد الرب عليهم ماء البحر. وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر...وأجابتهم مريم: «رنموا للرب فإنه قد تعظم! الفرس وراكبه طرحهما في البحر!..)[١].

ويخبر الرب بأنه ينتقم لشعبه انتقاما بشعا، فيوضح كيف ينتقم من الأمم التي عملت على إهانة شعبه، وكانت تتشفى فيهم، وتجدف على الرب إلههم وتظن أنها بقدرتها سحقت شعب الله[٢]، فيقول: (٤١إذا سننت سيفي البارق وأمسكت بالقضاء يدي أرد نقمة على أضدادي وأجازي مبغضي)[٣]، والمعنى أنكم سترون قوتي وجبروتي في الانتقام من هذه الشعوب ومجازاتها حسب أعمالها، متى شحذت سيف غضبي ونقمتي وتهيأت لأحاكم هذه الشعوب بعدلي وأنتقم منهم أشد الانتقام، والسيف البارق هو السيف الجديد اللامع الحاد، وهذه كناية عن غضب الله وشدة انتقامه، فمتى ينتصب الرب لمقاضاة هذه الشعوب وإدانتها فإنها كما وقفت هذه الشعوب ضدي وتشفت من شعبي، أنتقم منها إزاء ما عملته وأجازيها عن أعمالها وعن بغضهم وعنادهم لي[٤].

ثم يستطرد الرب قائلا: (٤٢أسكر سهامي بدم ويأكل سيفي لحما. بدم القتلى والسبايا ومن رؤوس قواد العدو. ٤٣«تهللوا أيها الأمم شعبه لأنه ينتقم بدم عبيده ويرد نقمة على أضداده ويصفح عن أرضه عن شعبه)[٥]، يعبر الرب بهذه الاستعارات عن انتقامه من أعدائه الذين طالما سبوا شعبه وسفكوا دماءه وقطعوا رؤوس الكثيرين منه،

---

(١) سفر الخروج، أصحاح (١٥).

(٢) تفسير الكتاب المقدس، نجيب جرجس (٣١٥).

(٣) سفر التثنية، أصحاح (٣٢).

(٤) تفسير الكتاب المقدس، نجيب جرجس (٣١٥).

(٥) سفر التثنية، أصحاح (٣٢).

فإن سهام الرب ستضرب الكثيرين من الشعوب حتى وكأنها سكرى من دمائهم التي سفكتها وشربتها، فتعمل وتعمل فيهم دون أن تتأنى أو تفكر، يقول الرب هذا بلغة البيان ليعبر عن كثرة القتلى من أعدائه[1].

ومن النصوص الدالة على مباشرة الرب لطرد وهزيمة أعداء شعبه، ما جاء في العهد القديم: (٣٨ليطرد من أمامك شعوبا أكبر وأعظم منك ويأتي بك ويعطيك أرضهم نصيبا كما في هذا اليوم)[2].

ومن النصوص المبينة لمباشرة الرب للحرب، وانتقامه لشعبه بسفك دماء أعدائهم، ما جاء في العهد القديم: (٣٩ انظروا الآن! أنا أنا هو وليس إله معي... ٤١إذا سننت سيفي البارق وأمسكت بالقضاء يدي أرد نقمة على أضدادي وأجازي مبغضي. ٤٢أسكر سهامي بدم ويأكل سيفي لحما. بدم القتلى والسبايا ومن رؤوس قواد العدو. ٤٣تهللوا أيها الأمم شعبه لأنه ينتقم بدم عبيده ويرد نقمة على أضداده ويصفح عن أرضه عن شعبه)[3].

ومن هذه النصوص أيضا، ما جاء في العهد القديم: (٧والآن فهكذا تقول لعبدي داود: هكذا قال رب الجنود...٨وكنت معك حيثما توجهت، وقرضت -أفنيت- جميع أعدائك من أمامك، وعملت لك اسما كاسم العظماء الذين في الأرض...

١٠ومنذ الأيام التي فيها أقمت قضاة على شعبي إسرائيل، وأذللت -قهرت- جميع أعدائك، وأخبرك أن الرب يبني لك بيتا...١٩يا رب من أجل عبدك وحسب قلبك قد فعلت كل هذه العظائم، لتظهر جميع العظائم...٢١ وأية أمة على الأرض مثل شعبك إسرائيل الذي سار الله ليفتديه لنفسه شعبا، لتجعل لك اسم عظائم ومخاوف بطردك أمما

---

(١) تفسير الكتاب المقدس، نجيب جرجس (٣١٦).

(٢) سفر التثنية، أصحاح (٤).

(٣) سفر التثنية أصحاح (٣٢).

من أمام شعبك الذي افتديته من مصر. ٢٢وقد جعلت شعبك إسرائيل لنفسك شعبا إلى الأبد، وأنت أيها الرب صرت لهم إلها... ٢٤وليثبت ويتعظم اسمك إلى الأبد، فيقال: رب الجنود إله إسرائيل)(١).

ومن نصوص إخضاع الأمم لشعبه المختار بأمر وحكم الرب، ما جاء في العهد القديم: (٢٢هكذا قال السيد الرب: ها إني أرفع إلى الأمم يدي وإلى الشعوب أقيم رايتي فيأتون بأولادك في الأحضان وبناتك على الأكتاف يحملن. ٢٣ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك. بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك ويلحسون غبار رجليك فتعلمين أني أنا الرب الذي لا يخزى منتظروه. ٢٤هل تسلب من الجبار غنيمة وهل يفلت سبي المنصور؟ ٢٥فإنه هكذا قال الرب: حتى سبي الجبار يسلب وغنيمة العاتي تفلت. وأنا أخاصم مخاصمك وأخلص أولادك ٢٦وأطعم -وأجعل- ظالميك -يأكلون- لحم أنفسهم ويسكرون بدمهم كما من سلاف -خمر- فيعلم كل بشر أني أنا الرب مخلصك وفاديك عزيز يعقوب)(٢).

ومن النصوص الدالة على حلول روح قدس الإله في شعبه ونصرته لهم بقوته، ما جاء في العهد القديم: (١١ثم ذكر الأيام القديمة: موسى وشعبه. أين الذي أصعدهم من البحر مع راعي غنمه؟ أين الذي جعل في وسطهم روح قدسه -روحه القدوس- ١٢الذي سير ليمين موسى ذراع مجده -قوته المجيدة- الذي شق المياه قدامهم ليصنع لنفسه اسما أبديا ١٣الذي سيرهم في اللجج كفرس في البرية فلم يعثروا؟ ١٤كبهائم تنزل إلى وطاء روح الرب أراحهم)(٣).

ويظهر جليا في هذه النصوص المقدسة عندهم أثر عقيدة الاختيار والاصطفاء في علاقة اليهود بغيرهم من الأمم، ومدى محاباة الرب "يهوه" لليهود، ونظرته العنصرية

(١) أخبار الأيام الأول، أصحاح (١٧).

(٢) سفر إشعياء، أصحاح (٤٩).

(٣) سفر إشعياء، أصحاح (٦٣).

لهم، وظهر أيضا أنه يعادي كل من سوى شعبه الخاص به إذا لم يخضع له ويقدسه، فهو رجل الحرب لهم ورب جنودهم الذي يحارب عنهم ويفتديهم بنفسه، وتحل روحه المقدسة وتسكن وتسير في وسطهم، وحروبه مستمرة من أجلهم، ويأمرهم بعدم الخوف من أعدائهم؛ لأنه يبارك مقاتليهم فالرجل من شعبه يقتل ألفا من غيره، ويرفض أن يقدموا تنازلات لأعدائهم، أو أن يقطعوا عهدا معهم، وأن السلام الذي يقبله لهم هو أن يقبل الأمميون الاستعباد والتسخير لشعبه، أو الإبادة لكل حي باستثناء العذارى، وحتى عندما يغضب عليهم، لا يتركهم ولا يبتعد عنهم، بل يندم على غضبه ويتذكر العهود التي قطعها على نفسه، ويمنحهم مزيدا من العهود والوعود.

والذي يبدو أن عقيدة الاصطفاء والاختيار التي انبثقت منها نظرة اليهود للأغيار، تطورت وتبلورت حتى أصبحت عقيدة مؤصلة أثناء السبي البابلي، نتيجة لازدراء الأمم التي حاربت اليهود ثم هزمتهم وأسرتهم واضطهدتهم، ورفضت ما ادعوه من اصطفاء واختيار وتمييز؛ وبرزت عقيدة حرب الرب للأمميين انتقاما لشعبه بموجب هذا الاصطفاء، كعقيدة جديدة ركبت من إحساس اليهود بالذل والهوان بين الأمم نتيجة الهزيمة من ناحية، والتباكي على الماضي وعلى المنح الربانية والاختيار الذي فقدوه بسبب ذنوبهم من ناحية أخرى، وحتى تكون مؤثرة في الواقع النفسي والاجتماعي عند اليهود، أبرز الحاخامات ورجال الدين نصوصا مقدسة نسبت للعهد القديم والتلمود تؤكد أحقية الشعب اليهودي بأن يكون شعب الله الأوحد المقدس المختار المميز، الذي له سلطة مقدسة على بقية الأمم، وأن من يعارض هذا الأمر الرباني -كما هو الواقع على مر العصور- فإنه مباح الدم والبيضة والمال بأمر الرب وإرادته، مستحق للإبادة والزوال عن وجه الأرض، فإن ما يجوز لهذا الشعب من القتل والنهب والسبي لا يجوز لغيره من أمم الأرض قاطبة، بل وتجاوز الأمر بأن الرب "يهوه" هو الذي يتولى الدفاع عن شعبه، ومحاربة كل من رفض اصطفاءه واختياره له، فكانت "حروب الرب" التي سنسوق نصوصا مقدسة لإثباتها في المبحث القادم.

المطلب الثاني

عقيدة أرض الموعد وأثرها في الحرب والسلام

لعقيدة أرض الموعد جذور في التراث الديني اليهودي، وتقرر هذه العقيدة أن الرب دعا إبرام -الذي دعي فيما بعد إبراهيم- للخروج من أرضه ومن أرض عشيرته وبيته وبيت أبيه إلى أرض سيريها إياه فقال له: (١وقال الرب لأبرام: «اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك)[١]، وهو أول نص يسجل مولد فكرة "الأرض الموعودة"[٢]، ولم يخبر الرب إبرام أنها أرض كنعان إلا بعد أن وصل إليها، لكي يظهر إيمانه وطاعته[٣].

وبدأت البشرية بهذه الدعوة مرحلة جديدة في تاريخها الروحي[٤]، وظهر لها أثر فعلي في حياة إبرام وأبيه تارح[٥] وابن أخيه لوط فخرجوا من أرض أور الكلدانيين إلى أرض كنعان، كما جاء في العهد القديم: (٣١وأخذ تارح أبرام ابنه ولوطا بن هاران ابن ابنه وساراي كنته امرأة أبرام ابنه فخرجوا معا من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان.

---

(١) سفر التكوين، أصحاح (١٢).

(٢) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أبكار السقاف،(٦٨)، مكتبة مدبولي، ط.الثانية ١٩٩٧م.

(٣) تفسير الكتاب المقدس، سفر التكوين،(١٤١)، نجيب جرجس، بيت مدارس الأحد القبطي، ط.الرابعة.

(٤) المرجع السابق، بتصرف يسير.

(٥) هناك خلاف كبير في حقيقة اسم أبي إبراهيم عليه السلام، وخلاصة القول فيه أن الاسم الصحيح له "آزر" لقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ سورة الأنعام آية (٧٤)، ولقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام البخاري: (يلقي إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني، فيقول أبوه: اليوم لا أعصيك....الحديث)، كتب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ النساء: ١٢٥﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ النحل: ١٢٠ ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ التوبة: ١١٤. حديث رقم ٣٣٥٠، طبعة دار السلام، الرياض، انظر "بنو إسرائيل، د. محمد مهران،١/ ٦٣".

فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك. ٣٢وكانت أيام تارح مئتين وخمس سنين. ومات تارح في حاران)[١].

ثم وعد الرب إبرام بأن يكون أمة عظيمة ومباركة، ومن يلعنها فهو ملعون فقال له: (٢فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة. ٣وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض)[٢].

ثم أطاع إبرام الله، وخرج من حاران ومعه ساراي زوجته، ولوط ابن أخيه هاران الذي مات من قبل، إلى أرض لم يعرفها، وكان عليهم أن يعبروا الضفة الغربية للفرات ويرحلوا غربا إلى أرض كنعان[٣]، فقد جاء في العهد القديم: (٤فذهب أبرام كما قال له الرب وذهب معه لوط. وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران. ٥فأخذ أبرام ساراي امرأته ولوطا ابن أخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران. وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى أرض كنعان. ٦واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة. وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض)[٤].

ثم تجاوز الوعد إبرام إلى نسله وذريته، فظهر الرب لإبرام وقال له: (٧وظهر الرب

---

(١) سفر التكوين، أصحاح (١١)، وانظر شرح الكتاب المقدس، تشارلس ماكنتوش، سفر التكوين، ص (٧٧). وجاء أيضا في نفس هذا الأصحاح: (٢٦وعاش تارح سبعين سنة وولد أبرام وناحور وهاران. ٢٧وهذه مواليد تارح: ولد تارح أبرام وناحور وهاران. وولد هاران لوطا. ٢٨ومات هاران قبل تارح أبيه في أرض ميلاده في أور الكلدانيين. ٢٩واتخذ أبرام وناحور لهما امرأتين: اسم امرأة أبرام ساراي واسم امرأة ناحور ملكة بنت هاران أبي ملكة وأبي يسكة. ٣٠وكانت ساراي عاقرا ليس لها ولد).

(٢) سفر التكوين، أصحاح (١٢).

(٣) انظر تفسير الكتاب المقدس، سفر التكوين، نجيب جرجس، ص (١٤٢).

(٤) سفر التكوين، أصحاح (١٢).

لأبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض. فبنى هناك مذبحا للرب الذي ظهر له)[1].

ثم تعددت ارتحالات إبرام وانتقل من مرعى إلى مرعى، فخرج من شكيم وحل بين "بيت إيل"[2] من الشرق، و"عاي"[3] من الغرب حيث نصب خيمته، وبنى مذبحا ثانيا للرب، ثم كان ارتحاله الثاني تجاه الجنوب[4]، جاء في العهد القديم: (٨ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته. وله بيت إيل من المغرب وعاي من المشرق. فبنى هناك مذبحا للرب ودعا باسم الرب. ٩ثم ارتحل أبرام ارتحالا متواليا نحو الجنوب)[5].

ثم حدث جوع في أرض كنعان ربما لعدم نزول المطر الذي تعتمد عليه الزراعة؛ ويعمل على وفرة العشب في المرعى، ولم يفكر إبرام في العودة إلى ما بين النهرين لأن الله أمره بتركها، فلجأ إلى مصر لوفرة خيراتها[6]، فحدثت له ولزوجته ساراي القصة المشهورة مع فرعون مصر، التي انتهت بأن أغدق فرعون على إبرام العطايا فصار غنيا جدا، وعاد إبرام بكل هذه الثروة هو وزوجته وابن أخيه إلى أرض كنعان مرة أخرى، جاء في العهد القديم: (١٠وحدث جوع في الأرض فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديدا. ١١وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته: «إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر. ١٢فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته.

(١) سفر التكوين، أصحاح (١٢).

(٢) اسم عبري معناه بيت الله، وهي تقع شرق أورشليم إلى نابلس على بعد واحد من المدينتين، قاموس الكتاب المقدس(٢٠٠).

(٣) اسم عبري معناه خراب، والمقصود هنا بلدة كنعانيةإلى الشرق من بيت إيل تعرف اليوم باسم التل، قاموس الكتاب المقدس (٥٩١).

(٤) انظر تفسير الكتاب المقدس، سفر التكوين، نجيب جرجس، (١٤٣) والمجموعة الكتابية(٢) أسفار الشريعة(١)، سفر التكوين، ٢٠٢، الخوري بولس الفغالي، منشورات المكتبة البولسية، ط. الأولى.

(٥) سفر التكوين، أصحاح (١٢).

(٦) تفسير الكتاب المقدس، سفر التكوين، نجيب جرجس، (١٤٤).

فيقتلونني ويستبقونك. ١٣قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك». ١٤فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا. ١٥ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى بيت فرعون ١٦فصنع إلى أبرام خيرا بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال. ١٧فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام. ١٨فدعا فرعون أبرام وقال: «ما هذا الذي صنعت بي؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ ١٩لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي؟ والآن هوذا امرأتك! خذها واذهب! ٢٠فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامرأته وكل ما كان له)[(١)].

وعن عودة إبرام إلى أرض كنعان جاء في العهد القديم: (١فصعد أبرام من مصر هو وامرأته وكل ما كان له ولوط معه إلى الجنوب. ٢وكان أبرام غنيا جدا في المواشي والفضة والذهب. ٣وسار في رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل إلى المكان الذي كانت خيمته فيه في البداءة بين بيت إيل وعاي ٤إلى مكان المذبح الذي عمله هناك أولا. ودعا هناك أبرام باسم الرب)[(٢)].

ثم افترق إبرام ولوط ابن أخيه بسبب الرعاة، فاختار لوط كل دائرة الأردن، وأما إبرام فقد أراه الرب حدود أرضه وأرض نسله مد بصره شمالا وجنوبا شرقا وغربا، وباركه وجعل نسله كتراب الأرض، كما جاء في نفس الأصحاح: (٥ ولوط السائر مع أبرام كان له أيضا غنم وبقر وخيام. ٦ولم تحتملهما الأرض أن يسكنا معا إذ كانت أملاكهما كثيرة فلم يقدرا أن يسكنا معا. ٧فحدثت مخاصمة بين رعاة مواشي أبرام ورعاة مواشي لوط. وكان الكنعانيون والفرزيون حينئذ ساكنين في الأرض. ٨فقال أبرام للوط: «لا تكن مخاصمة بيني وبينك وبين رعاتي ورعاتك لأننا نحن أخوان. ٩أليست كل الأرض

(١) سفر التكوين، أصحاح (١٢).

(٢) سفر التكوين، أصحاح (١٣).

أمامك؟ اعتزل عني. إن ذهبت شمالا فأنا يمينا وإن يمينا فأنا شمالا. ١٠فرفع لوط عينيه ورأى كل دائرة الأردن أن جميعها سقي قبلما أخرب الرب سدوم وعمورة كجنة الرب كأرض مصر. حينما تجيء إلى صوغر. ١١فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن وارتحل لوط شرقا. فاعتزل الواحد عن الآخر. ١٢أبرام سكن في أرض كنعان ولوط سكن في مدن الدائرة ونقل خيامه إلى سدوم. ١٣وكان أهل سدوم أشرارا وخطاة لدى الرب جدا. ١٤وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه: «ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ١٥لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد. ١٦وأجعل نسلك كتراب الأرض حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضا يعد. ١٧قم امش في الأرض طولها وعرضها لأني لك أعطيها». ١٨فنقل أبرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون وبنى هناك مذبحا للرب)[١].

وكان في زمن إبرام ملك جبار يدعى "كدرلعمور" استعبد خمسة ممالك يدفعون له الجزية اثنا عشر سنة، ثم تحالف ملوك هذه المدن ضده، فحمل عليهم "كدرلعمور" هو وحلفاؤه وهزموهم، ثم هاجموا بقيه الممالك المجاورة لهم فهزموا بلاد العمالقة والأموريين، عند ذلك ثارت عليهم حفيظة أربعة ملوك آخرين من المدن المجاورة أيضا، فحاربوا "كدرلعمور" وحلفاءه فهزمهم كدرلعمور، وانتصر عليهم وهزمهم وغنم أموالهم وسبى ذراريهم، وكان من جملة المسبيين لوط ابن أخ إبرام وعائلته، وعندما سمع إبرام بذلك ثارت حميته وكون جيشا من ثلاث مئة مقاتل، وطارد "كدرلعمور" وحلفاءه وهجم عليهم بالقرب من دمشق وهزمهم بمعونة الله، واسترد لوطا وعائلته وممتلكاته وجميع الأسرى، فجاء الملوك المنهزمون أمام "كدرلعمور" من قبل يباركون لإبراهيم هذا النصر على عدوهم الغاشم، وكان على رأسهم الكاهن ملكي صادق الملقب بملك السلام – شاليم– فبارك إبرام، وأعطاه إبرام العشر من كل شيء غنمه في هذه المعركة، وهو كامل

(١) سفر التكوين، أصحاح (١٣).

نصيبه من الغنائم[1]، وأما ملك سدوم فقال له: أعطني الأسرى وخذ الغنائم وكل ما بقي لك، عند ذلك رفض إبرام أن يأخذ شيئا منهم حتى لا يقال أنهم السبب في أن يكون رجلا غنيا، جاء في العهد القديم: (١وحدث في ايام امرافل ملك شنعار واريوك ملك الاسار وكدرلعومر ملك عيلام وتدعال ملك جوييم ٢ان هؤلاء صنعوا حربا مع بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشناب ملك ادمة وشمئيبر ملك صبوييم وملك بالع (التي هي صوغر). ٣جميع هؤلاء اجتمعوا متعاهدين الى عمق السديم (الذي هو بحر الملح). ٤اثنتي عشرة سنة استعبدوا لكدرلعومر والسنة الثالثة عشرة عصوا عليه. ٥وفي السنة الرابعة عشرة اتى كدرلعومر والملوك الذين معه وضربوا الرفائيين في عشتاروث قرنايم والزوزيين في هام والايميين في شوى قريتايم ٦والحوريين في جبلهم سعير الى بطمة فاران التي عند البرية. ٧ثم رجعوا وجاءوا الى عين مشفاط (التي هي قادش). وضربوا كل بلاد العمالقة وايضا الاموريين الساكنين في حصون تامار. ٨فخرج ملك سدوم وملك عمورة وملك ادمة وملك صبوييم وملك بالع (التي هي صوغر) ونظموا حربا معهم في عمق السديم. ٩مع كدرلعومر ملك عيلام وتدعال ملك جوييم وامرافل ملك شنعار واريوك ملك الاسار. اربعة ملوك على خمسة. ١٠وعمق السديم كان فيه ابار حمر كثيرة. فهرب ملكا سدوم وعمورة وسقطا هناك والباقون هربوا الى الجبل. ١١فاخذوا جميع املاك سدوم وعمورة وجميع اطعمتهم ومضوا. ١٢واخذوا لوطا ابن اخي ابرام واملاكه ومضوا اذ كان ساكنا في سدوم. ١٣فاتى من نجا واخبر ابرام العبراني. وكان ساكنا عند بلوطات ممرا الاموري اخي اشكول واخي عانر. وكانوا اصحاب عهد مع ابرام. في اجيالهم)[2].

---

(١) انظر الكتاب المقدس يتكلم اليوم، سفر التكوين،(٦١)، جويس بالدوين، ترجمة نكلس نسيم، دار النشر الأسقفية، ط.الأولى.

(٢) سفر التكوين، أصحاح (١٤).

وعن حرب إبرام وإنقاذ لوط من الأسر جاء في السفر نفسه: (١٤فلما سمع أبرام أن أخاه سبي جر غلمانه المتمرنين ولدان بيته ثلاث مئة وثمانية عشر وتبعهم إلى دان. ١٥وانقسم عليهم ليلا هو وعبيده فكسرهم وتبعهم إلى حوبة التي عن شمال دمشق. ١٦واسترجع كل الأملاك واسترجع لوطا أخاه أيضا وأملاكه والنساء أيضا والشعب[١]).

وعن بركة الكاهن ملك شاليم لإبرام، وعرض ملك سدوم جاء في نفس الأصحاح: (١فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسرة كدرلعومر والملوك الذين معه الى عمق شوى (الذي هو عمق الملك). ١٨وملكي صادق ملك شاليم اخرج خبزا وخمرا. وكان كاهنا لله العلي. ١٩وباركه وقال: «مبارك ابرام من الله العلي مالك السماوات والارض ٢٠ومبارك الله العلي الذي اسلم اعداءك في يدك». فاعطاه عشرا من كل شيء. ٢١وقال ملك سدوم لابرام: «اعطني النفوس واما الاملاك فخذها لنفسك)[٢].

وعن جواب إبرام القوي لملك سدوم جاء في العهد القديم: (٢٢فقال ابرام لملك سدوم: رفعت يدي الى الرب الإله العلي مالك السماء والارض ٢٣لا آخذن لا خيطا ولا شراك نعل ولا من كل ما هو لك فلا تقول: أنا أغنيت إبرام. ٢٤ليس لي غير الذي أكله الغلمان. واما نصيب الرجال الذين ذهبوا معي: عانر وأشكول وممرا فهم يأخذون نصيبهم)[٣].

ثم بعد جاءت نهاية مطاف أساس عقيدة أرض الموعد، وذلك بعد أن حارب إبرام الملوك وانتصر عليهم، فخاف من انتقام الملوك الذين هزمهم وثأرهم منه، فكان جواب الرب له أنه هو الذي يدافع عنه ويحميه من أعدائه، ووعده بأجر كبير وكثير، ولقد كان إبرام في حاجة إلى أن يؤكد الرب وعده الذي وعده من قبل، فكان له ذلك، وكان هذا التأكيد يشتمل على أمرين؛ الأول: هبة نسل كثير لإبرام، والثاني: استيلاء نسله على أرض

(١) سفر التكوين، أصحاح (١٤).

(٢) سفر التكوين، أصحاح (١٤).

(٣) سفر التكوين، أصحاح (١٤).

كنعان[1]، جاء العهد القديم: (١بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا:لا تخف يا أبرام. أنا ترس لك. أجرك كثير جدا)[2]، لقد رفض إبرام الغنيمة، ولكن الله لم يسمح أن يكون إبرام هو الخاسر[3].

ثم اشتكى إبرام للرب، كيف يكون أجري كثيرا ولا عقب لي، والذي سيرثني هو عبدي..؟ وبهذا يعني أن الأجر لا يكون عظيما ما لم يكن له وارث منه[4]، فجاءه الرد من الرب، يبشره بأن الذي سيرثه هو ابنه من صلبه وأحشائه، ووعده بأن تكون ذريته كعدد نجوم السماء، جاء في العهد القديم: (٢فقال أبرام: «أيها السيد الرب ماذا تعطيني وأنا ماض عقيما ومالك بيتي هو أليعازر الدمشقي؟» ٣وقال أبرام أيضا: «إنك لم تعطني نسلا وهوذا ابن بيتي وارث لي». ٤فإذا كلام الرب إليه: «لا يرثك هذا. بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك». ٥ثم أخرجه إلى خارج وقال: انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعدها. وقال له: هكذا يكون نسلك. ٦فآمن بالرب فحسبه له برا)[5].

وفيما بعد جاء بيان قصد الرب من إخراج إبرام من أور الكلدانيين[6]، وقال له: (٧ أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها)[7]، وقوله أنا الرب فيه توكيد أنه لا بد من أن يتم وعده لأن الرب صادق وقادر[8].

(١) السنن القويم في تفسير العهد القديم، (١/ ١٢٤)، وقد اعتبر الدكتور الخوري الفغالي أن الأجر العظيم الذي وعد الرب إبرام به هو أرض الميعاد فقط، انظر المجموعة الكتابية، سفر التكوين، (٢٢٤).

(٢) سفر التكوين، أصحاح (١٤).

(٣) تفسير الكتاب المقدس، د.فرنسس دافسن وآخرون، (١/ ١٧٤) ترجمة د.توفيق صالح وآخرون، دار منشورات النفير.

(٤) المرجع السابق.

(٥) سفر التكوين، أصحاح (١٥).

(٦) السنن القويم في تفسير العهد القديم، (١/ ١٢٥).

(٧) سفر التكوين، أصحاح (١٥).

(٨) السنن القويم في تفسير العهد القديم، (١/ ١٢٥).

ثم طلب إبرام من الرب علامة تؤكد له هذا الإرث فقال: (٨ أيها السيد الرب بماذا أعلم أني أرثها؟٩فقال له: خذ لي عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشا ثلاثيا ويمامة وحمامة. ١٠فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه. وأما الطير فلم يشقه. ١١فنزلت الجوارح على الجثث وكان أبرام يزجرها)(١)، ويؤكد هذا النص إن الله يرتبط بما يعد به، ويؤكد لإبرام أنه سيتملك أرض كنعان، فيقيم معه عهدا تختمه ذبيحة تعبر بطقوسها عن طابع هذا الالتزام المقدس الذي يلتزمه الرب، فيأخذ إبرام عجلة وعنزا وكبشا ويمامه وحمامه ويشطرها، ويجعل كل شطر قبالة صاحبه، فلقد كان المتعاهدان يمران بين شطري الحيوانات، ليعلنا أنهما مستعدان لتقبل أي عقاب إن هما خالفا شروط العهد، وفي هذا النص يمر الله وحده بين الحيوانات؛ لأنه وحده يوقع العهد، ويعبر الكاتب عن مرور الله بعمود النار والدخان اللذين يمران بين الحيوانات المشطورة، الله يلتزم كلامه تجاه إبرام، وإبرام يعلن إيمانه بكلام الرب(٢).

وقد تنازل الرب بنعمته ليؤكد وعده لإبرام عن طريق الموافقة على تلك العادة المتبعة، إذن فهذا الجزء يصف قطع العهد بين يهوه وبين إبرام، نرى هنا علامة واحدة فقط تمر بين القطعتين، -وهي العلامة الدالة على الرب فقط- جاء في العهد القديم: (وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع) وهذه إشارة إلى أن يهوه وحده هو الذي التزم بتنفيذ كل الشروط المتعلقة بالعهد، فعهد النعمة ليس كأنه اتفاق بين اثنين، ولكنه وعد مثبت بعلامات العهد(٣).

---

(١) سفر التكوين، أصحاح (١٥).

(٢) المجموعة الكتابية (٢)أسفار الشريعة (١)، سفر التكوين، د.الخوري بولس الفغالي،(٢٠٢)، منشورات المكتبة البولسية، ط.الأولى، بتصرف يسير.

(٣) تفسير الكتاب المقدس، د.فرنسس دافسن وآخرون، (١/ ١٧٤) ترجمة د.توفيق صالح وآخرون، بتصرف يسير.

ثم ختم الرب في ذلك اليوم بميثاق قطعه مع إبرام حدد له فيها حدود أرض نسله، جاء في العهد القديم: (١٨في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات. ١٩القينيين والقنزيين والقدمونيين ٢٠والحثيين والفرزيين والرفائيين ٢١والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين)[1].

وفي نهاية قصة الذبيحة تعهد الله أن يعطي سلالة إبرام أرض كنعان بكاملها من النيل إلى الفرات، ولم تصل حدود بني إسرائيل يوما إلى النيل، ولكن يبدو أنها وصلت إلى الفرات في عهد سليمان، وفي الواقع تمتد حدود إسرائيل الحقيقية من دان إلى بئر السبع، وقرأ الشراح هذه الآية فرأوا أن في الأمر مبالغة، فاقترحوا تبديل سيل وادي العريش بدل النيل وحذف كلمة الفرات، ولن نتوقف عند المعنى الحرفي بل نصل إلى المعنى الروحي، وهو أن الله يعطي شعبه أرضا وعده بها، وهو لا يعطي إلا بسخاء، فكيف نريد أن يكون لعطائه حدود؟[2].

ولقد تضافرت النصوص المقدسة في تأصيل هذه العقيدة وبيان عهد الرب ووعده بالأرض المقدسة ومن ذلك ما جاء في العهد القديم: (١ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له: أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملا ٢فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيرا جدا. ٣فسقط أبرام على وجهه. وقال الله له:٤«أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم ٥فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم. ٦وأثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما وملوك منك يخرجون. ٧وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك. ٨وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض

---

(١) سفر التكوين، أصحاح (١٥).

(٢) المجموعة الكتابية (٢)أسفار الشريعة (١)، سفر التكوين، د.الخوري بولس الفغالي،(٢٢٧)، منشورات المكتبة البولسية، ط.الأولى.

كنعان ملكا أبديا. وأكون إلههم)[1]، ويظهر من هذا النص تغيير اسم إبرام إلى إبراهيم، فإبرام معناه أبا ساميا وعظيما، وإبراهيم معناه أبا لجمهور[2].

ومن تلك النصوص أيضا أمر إسحاق ليعقوب أن يتغرب في أرض الموعد، وبشره بمباركة الرب له ولنسله ما جاء في العهد القديم: (١وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي كان في أيام إبراهيم فذهب إسحاق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين إلى جرار. ٢وظهر له الرب وقال: «لاتنزل إلى مصر. اسكن في الأرض التي أقول لك. ٣تغرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك. ٤وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطي نسلك جميع هذه البلاد وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض ٥من أجل أن إبراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي: أوامري وفرائضي وشرائعي. ٦فأقام إسحاق في جرار)[3].

ومن هذه النصوص التي تؤكد إرث نسل إبراهيم، دعاء إسحاق بأن يأخذ يعقوب ابنه بركة جده إبرهيم: (١فدعا إسحاق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له: «لا تأخذ زوجة من بنات كنعان. ٢قم اذهب إلى فدان أرام إلى بيت بتوئيل أبي أمك وخذ لنفسك زوجة من هناك من بنات لابان أخي أمك. ٣والله القدير يباركك ويجعلك مثمرا ويكثرك فتكون جمهورا من الشعوب. ٤ ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم..... ١٢ورأى حلما وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها ١٣وهوذا الرب واقف عليها فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق. الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك)[4].

---

(١) سفر التكوين، أصحاح (١٧).

(٢) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، (١/ ١٣٣).

(٣) سفر التكوين، أصحاح (٢٦).

(٤) سفر التكوين، أصحاح (٢٨).

والنصوص في تقرير عقيدة أرض الموعد كثيرة جدا، والمقصود بيان أصل هذه العقيدة لدى اليهود، لقد كانت ومازالت هذه العقيدة صادرة عن الرب، ولذلك هي أمر لا يمكن المزايدة عليه، أو التشكيك فيه عند كثير منهم.

ولكننا نجد أن من مشاهير علماء الكتاب المقدس المنصفين من دحضوا الدعاوي اليهودية في أصل عقيدة أرض الموعد، ومن هؤلاء الدكتور الفرد غيوم (Alfred guillaume) أستاذ الدراسات التوراتية في جامعة لندن، ومؤلف آثار متنوعة من العهد القديم، وتضمن إنكاره لهذه العقيدة النقاط التالية:

١ -كان الوعد الأول الواضح بإعطاء فلسطين إلى أحفاد إبراهيم في شكيم(نابلس)، وذلك في سفر التكوين "أصحاح١٢": (٧ وظهر الرب لأبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض....).

٢ -وفي بيت إيل تكرر الوعد: (١٥لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد) تكوين أصحاح "١٣"، ولم يكن آنذاك لإبراهيم نسل بعد.

٣ -وفي وعد لاحق أكثر تحديدا: (لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات. ١٩القينيين والقنزيين والقدمونيين ٢٠والحثيين والفرزيين والرفائيين ٢١والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين). تكوين أصحاح"١٣".

ويشرح الأستاذ غيوم ضلال هذه المزاعم المغلوطة المبنية على أسس مخالفة لمنهج البحث العلمي، بأن الوعود المبذولة في الكتاب المقدس مقصورة فقط على اليهود، ويشير إلى أن ما يقوله العهد القديم ليس كذلك، فإن كلمات "إلى نسلك" تشمل بدون شك العرب المسلمين منهم والنصارى الذين هم من ذرية إبراهيم عن طريق ابنه إسماعيل، وإسماعيل هو الأب المعروف لعدد كبير من القبائل العربية، وسفر التكوين يسجل أن إبراهيم أب لكثير من القبائل العربية الشمالية عن طريق زوجته الثانية "قطورة" بنص

سفر التكوين: (١وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة ٢فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا) أصحاح"٢".

ويضيف الأستاذ غيوم قائلا: ولا يمكن الجدال في أن ما ورد في سفر التكوين "٢١: ٨-١٢" يلغي بالضرورة الوعد المبذول لنسل إبراهيم ككل، ونصه: (... وصنع إبراهيم وليمة عظيمة يوم فطام إسحاق. ٩ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح ١٠فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق. ١١فقبح الكلام جدا في عيني إبراهيم لسبب ابنه. ١٢فقال الله لإبراهيم: لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك. في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه بإسحاق يدعى لك نسل. ١٣وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك).

وتجدر الإشارة إلى أن إبراهيم حين تم عقد الميثاق بينه وبين الرب عند ختان ابنه إسماعيل من زوجته هاجر كانت المناسبة بأرض كنعان: (٨وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا. وأكون إلههم) تكوين "١٧: ٨"، فقد كان إسماعيل هو الذي جرى اختتانه ولم يكن إسحاق -الذي يدعي الصهاينة انحدارهم من نسله- وقد ولد بعد زمن الوعد المذكور: (٤ أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم ٥فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم. ٦وأثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما وملوك منك يخرجون. ٧وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك. ٨وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا. وأكون إلههم)تكوين"١٧".

ويستطرد الأستاذ غيوم في ملاحظاته فيقول: "صحيح أنه من الآن فصاعدا، تؤخذ عبارة "نسل إبراهيم" لتعني بني إسحاق "اليهود"، ولكن في البداية لم يكن الأمر كذلك، فقد كان لنسل إسماعيل الحق في أن يعتبروا أنفسهم أنهم من ذرية إبراهيم، وحين أزيح

السبي الآشوري -على يد سرجون الثاني- سكان السامرة، وأزيح الأسر البابلي -على يد نبوخذنصر- سكان يهوذا، رأى الأنبياء اليهود في هذه النكبات تحقيقا للعدالة الإلهية بالاقتصاص من شعب عاص ومتمرد على الناموس، ولكنهم علموا شعبهم أن بقية منهم سوف تعود، وعادت بقية منهم، وأعادت بناء الهيكل وبناء أسوار للقدس، وبعد العودة مارسوا لفترة قصيرة الاستقلال السياسي، وتمكنوا من التوسع في عهد المكابيين، وبذلك تكون نبوءات العودة قد تحققت، ولا يمكن أن تتحقق مرة ثانية، وليس في التوراة أية إيماءة بعودة ثانية بعد الرجوع من بابل الآن.

ويتبين مما تقدم:

١ أن الميثاق أعطي لإبراهيم قبل أن يولد له بنون.

٢ أن الميثاق الأول كان عند اختتان إسماعيل يوم لم يكن إسحاق قد ولدته سارة.

٣ أن لميثاق كان مشروطا، وأن مخالفته تلغيه، وهذا الذي حدث بالفعل.

٤ أن النبوءات تحققت بعودة اليهود من السبي البابلي، ولم تظهر نبوة جديدة تنبئ بعودة أخرى بعد دمار الهيكل والتشتت عام ٧٠م.

٥ أن الميثاق المتضمن الوعد بأرض الميعاد كان لكافة ذرية إبراهيم وليس مقصورا على اليهود وحدهم، (لنسلك أعطي هذه الأرض)، والأرض المقصودة أرض كنعان غير المحددة التخوم. وبركة الرب لم تكن مقصورة على أمة بل على أمم (وتتبارك فيك جميع -قبائل- أمم الأرض) "[١].

ويقول الحاخام الأرثوذكسي "إلمر برجر": "عندما طرح الأنبياء فكرة استعادة صهيون، لم تكن للأرض في حد ذاتها صفة القداسة، فقد كان المعيار المطلق والحاسم في

(١) Israel According to the holy Scripture،Alfred Guillaume. نقلا عن هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، يوسف حداد، دار بيسان، ط. الأولى، (٢/ ١١٧) بتصرف.

المفهوم النبوي لفكرة الخلاص، هو استعادة العهد مع الرب، في وقت كان الملك وشعبه قد نقضوا هذا العهد، وقد وضح النبي ميخا هذا الأمر بجلاء: (لهذا من جراء أعمالكم ستحرث صهيون كالحقل وتصبح أورشليم كومة من الخرائب...) "ميخا ٣: ٩-١٢"، ولن تكون صهيون مقدسة إذن إلا إذا سادت فيها شريعة الله، ولا يعني ذلك أن أي قانون يسن في أورشليم قانون مقدس"[١].

لقد مكن الله تعالى لبني إسرائيل في الأرض المباركة، وهذا التمكين لم يكن لأنهم أبناء إسرائيل عليه السلام، فالله سبحانه وتعالى لا يتفضل على أحد من العالمين من أجل حسبه أو نسبه أو شكله أو لونه، بل أكرم الناس على الله تعالى أتقاهم له، فقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[٢]، وقد تفضل الله عليهم ومكن لهم؛ لأنهم كانوا أصلح الناس في زمانهم، وكانوا أهل توحيد وعبادة لله تعالى وسط أقوام وقبائل من المشركين والكافرين، ومن سنن الله في الأرض أنه يورث الأرض لعباده الصالحين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[٣]. وكان بقاء بني إسرائيل في الأرض المباركة مرتبطا بطاعتهم لله تعالى، فلما سرى فيهم الكفر والشرك والبعد عن صراط الله المستقيم، من قتل وتكذيب الأنبياء، كتب الله عليهم الطرد من الأرض المباركة، ونكل بهم أعداؤهم من الوثنيين، وحصل لهم السبي والمهانة[٤].

---

(١) النبوءة والصهيونية ودولة إسرائيل، إلمر برجر، محاضرة ألقيت عام١٩٦٨، نشرتها منظمة بدائل أمريكية يهودية للصهيونية، نقلا عن الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، روجيه جارودي، دار الشروق، ط.الخامسة، (٤٩). بتصرف.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) الأنبياء:١٠٥.

(٤) انظر عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين عرض ونقد، محمد آل عامر، ٣٥مجلة البيان (رسالة ماجستير)، ط.الأولى.

والحاصل الذي نستخلصه من كل سبق، أن عقيدة أرض الموعد راسخة في صدور اليهود، نبعت وتغلغلت نتيجة نصوص من العهد القديم، صبغتها صبغة مقدسة، فكان لها أثر في طبيعة علاقتهم بالأمم الأخرى، وهو ما سندلف إليه في الصفحات القادمة.

أثر عقيدة أرض الموعد في نظرة اليهود للحرب والسلام:

تبيح عقيدة أرض الموعد لليهود محاربة سكانها، وتجعل هذه الحروب مقدسة؛ لأن الرب قد أمر بها، وإن المتأمل في النصوص المقدسة عند اليهود والخاصة بأرض الموعد، يجد أن هذه النصوص تحمل البيان الكافي لخطة عسكرية دموية لا يتردد في وصفها بأنها حرب وحشية؛ يجب على بني إسرائيل أن يسلكوها مع أهل هذه البلاد الموروثة لهم، وخلاصة هذه الخطة هي إبادة سكان هذه الأرض والحلول محلهم[1].

ومصدر أثر هذه العقيدة -كالعادة- نصوص مقدسة، منها ما جعله الرب شرائع خاصة لحصار وفتح مدن أرض الموعد، فقال في سفر التثنية ما نصه: (١٦وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما ١٧بل تحرمها تحريما: الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك.

ويبن الرب السبب في ذلك: (١٨لكي لا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التي عملوا لآلهتهم فتخطئوا إلى الرب إلهكم)[2].

يقول نجيب جرجس وهو يفسر هذا النص: يحدثهم الرب هنا عن الشعوب الكنعانية المحرمة، والتي قضى الرب بإبادة كل نسمة فيها من الناس ومن البهائم، وحتى الغنيمة والأملاك التي فيها كانت تحرق بالنار؛ لأن شرور هذه المدن قد تفاقمت، وكمل مكيال إثمها، وقد ذكر الرب هذه الشعوب لأبينا إبراهيم ووعده بأن يعطي أراضيهم نصيبا

(١) انظر إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أبكار السقاف،(٢٦٤).

(٢) سفر التثنية، أصحاح(٢٠).

لنسله[1]، وكان حقا على بني إسرائيل أن ينفذوا على هذه المدن حكم الرب، كما نفذ الرب ما وعدهم به[2].

ويقول أيضا عند تفسيره لما جاء في السفر نفسه أن الرب يقول: (متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوبا كثيرة من أمامك: الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك).

١ -يأمرهم الرب في هذه الأعداد بما يجب أن يتصرفوا به إزاء الشعوب الوثنية التي يطردها من أمامهم ويملكهم أراضيها، ويذكر لهم هذه الشعوب بالذات لكي يحرموها (يبيدوها) وهي سبعة شعوب كلها أكثر عددا وأعظم شأنا منهم.

٢ -وكان الرب قد وعد إبراهيم بأن يعطيه أراضي عشرة شعوب كانت تسكن كلها في أيامه في كنعان(تك١٥ : ١٩-٢١) من بينها السبعة التي ذكرها لموسى هنا بالإضافة إلى (القينيين والقنزيين والقدمونيين).

(ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم. لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم).

٣ -متى أعطاكم الرب نصرة على هذه الشعوب الشريرة (ودفعهم أمامك) أي هزمهم، فيجب عليك:

أ) أن (تحرمهم): أي تبيدهم.

ب) (وألا تقطع لهم عهدا): أي لا تعقد معهم معاهدات أو اتفاقات من أي

(١) تفسير الكتاب المقدس، نجيب جرجس، سفر التثنية، (٢٠٠).

(٢) انظر السنن القويم في تفسير أسفر العهد القويم، وليم مارش،(٢/ ٤٤٢).

نوع كانت؛ لأنها من الشعوب التي لا يسمح لك الرب بمعاهدتها، لأنها واقعة تحت حكم الغضب الإلهي، وفي التعاهد معها خطورة عليك، فلا يجب أن تكونوا: (تحت نير مع غير المؤمنين، ٢كو ١٤:٦).

ج) (ولا تشفق عليهم) لأن الرب قد قضى بنفسه بهلاكهم لأنه رأى ذلك بحكمته وعدالته.

د) كما أمرهم الرب بأمور أخرى من هذا القبيل نراها في الأعداد التالية.

٤ -مسألة تحريم بعض الأشخاص أو الأشياء أو الشعوب من المسائل التي تسترعي النظر، وتحتاج إلى شيء من التوضيح، وقد ذكرت في مواضع متنوعة من العهد القديم مثل: (٢٨ أما كل محرم يحرمه إنسان للرب من كل ما له من الناس والبهائم ومن حقول ملكه فلا يباع ولا يفك. إن كل محرم هو قدس أقداس للرب. ٢٩ كل محرم يحرم من الناس لا يفدى -بل- يقتل قتلا - حتما -) "لاويين"، ولنا أن نتأمل في هذه المسالة التي تتعلق بهذا الموضوع.

ثم يقسم جرجس هذه المسألة إلى ثلاث مسائل، الأولى منها تتعلق بمعنى التحريم، فقال إن معناه: تقديس شخص أو شيء أو جماعة من الأشخاص للرب لتنفيذ مقاصد خاصة فيه، فهي بمنزلة (قدس أقدس) لا يجوز التصرف فيها بغير ما عنيه الرب لها.

أما تحريم الأشخاص أو الشعوب فيعني إبادتها وإهلاكها، وقد يكون هذا إما بناء على نذر أو قسم أو لعن رضي الله به كما هو الحال مع عراد ملك الكنعانيين الذي اعتدى على بني إسرائيل، فنذروا للرب أن يحرموه (يهلكوه) هو وقومه إذا أعطاهم الرب النصرة عليه(عد٢١: ١-٢)، وإما أن يكون بناء على أمر الرب نفسه لحكمة إلهية خاصة مثل أمره تعالى بتحريم ملك الأموريين وملك باشان وشعبيهما (عد٢١: ٢١-٣٥)، وبتحريم الشعوب الكنعانية السبعة المذكورة هنا، ومثله أمره ليشوع بتحريم أجاج ملك عماليق هو وشعبه (١صم ١٥: ١-٣).

إذن فإن إهلاك أمم أرض الموعد جاء بنص مقدس هو أمر الرب بتحريمهم...!

ثم يضيف جرجس مسألة ثانية تتعلق بشرعية هذا التحريم، لخصها في نقطتين:

الأولى: قرر فيها أن التحريم ليس فيه ظلم من قبل الله؛ لأنه من يصر على معصية الله فهو محارب لله ومقاوم لمشيئته، بل هو يهين مجد الرب وكرامته. وفيها أيضا خطورة على المجتمع وبالأخص شعب الله.

والثانية: أن تحريم سكان أرض الموعد على أيدي العبرانيين -اليهود- لم يكن فيه وحشية ولا قسوة، وذلك لعدة اعتبارات:

١- إن هذا تكليف إلهي كلف به الرب أنبياءه أو شعبه لكي ينفذوه في هذه الشعوب أو الأشخاص، ومثلهم كمثل رجل الأمن أو الشرطة الذين تكلفهم الدولة بتنفيذ أي حكم عادل حكم به القضاة.

٢- أن الرب بحكمته يختار الطريق الذي ينفذ به أحكامه، فقد ينفذها بنفسه، أو عن طريق أناس يعينهم ليكونوا مجرد أداة للتنفيذ، مثلما عين شعب الله هنا لإبادة الشعوب المعادية له.

وكل الطرق والوسائل التي يختارها الرب عادلة وكل الحق وكل الحكمة، كما أنها ملائمة كل الملاءمة للظروف التي وقعت فيها وللغاية التي جعلت لأجلها.

ثم أضاف جرجس مسألة ثالثة، تتعلق بقيود التحريم وحدوده فذكر منها:

أولا: أن هذا التكليف الإلهي بالتحريم لأنبيائه أو لشعبه أو لبعض الذين يختارهم لتنفيذ أحكامه تفويضا وقتيا لحالات خاصة لا تتكرر إلا بإذن إلهي، وموجه ضد شعوب أو أشخاص معينين بالذات، مثل السبعة شعوب المذكورة.

ثانيا: إن هذه التحريمات لم تكن حروبا دينية يثيرها اليهود على باقي الشعوب ليجبروها على التهود، وإنما كانت حروبا سياسية، وإجراءات مدنية، وأحكاما قضى الرب بها على هذه الشعوب..[(١)].

ويؤكد صاحب السنن القويم في تفسير العهد القديم أ ن التحريم هو القتل والإفناء، وأن الله أراد أن يهلك أولئك الأمم بواسطة إسرائيل، وأن علة أمر الرب بعدم قطع العهود معهم، أنه لو اختلط الإسرائيليون بالوثنيين وحصل التزاوج بين الفريقين لانتهى امتياز اليهود على سائر الأمم، وفسد الدين الحق، وفقد شعب الله البركات وكونهم آل الرب، وصار الموحدون وثنيين[(٢)].

وأكد الرب على موسى مرارا بألا يقطع عهدا مع سكان أرض الموعد، فقد جاء في العهد القديم: (١٢احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا يصيروا فخا في وسطك ١٣بل تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم. ١٤فإنك لا تسجد لإله آخر لأن الرب اسمه غيور. إله غيور هو. ١٥احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم)[(٣)].

ويرجع ديريك كدنر السبب في أمر الرب موسى بعدم قطع العهود هو أن العهد مع الله ينسخ أي عهد مع الكنعانيين[(٤)]، فكانت نتيجة هذه العقيدة أن اليهود لم يمنحوا أحدا السلام عندما رفعت رايات الحرب بأمر الرب[(٥)].

---

(١) تفسير الكتاب المقدس، نجيب جرجس، سفر التثنية، (٨٧-٩٠) بتصرف.

(٢) السنن القويم في تفسير العهد القديم، وليم مارش، (٢/ ٣٨٩).

(٣) سفر الخروج، الأصحاح (٣٤).

(٤) التفسير الحديث للكتاب المقدس، ديريك كدنر سفر الخروج، ترجمة نكلس نسيم (٢٦٢)، دار الثقافة، مصر.

(٥) واستثني من ذلك مدينة واحدة وهي جبعون، كما جاء في سفؤ يشوع: (١٩لم تكن مدينة صالحت بني إسرائيل

لقد كانت الحرب والإبادة لكل من وجدوه أمامهم من الأمم الأخرى، بل ويخبرهم الرب أنه يحارب عنهم ويسير أمامهم في حروبهم، وهم في طريقهم إلى أرض الموعد فيقول لهم: (٣٠الرب إلهكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم حسب كل ما فعل معكم في مصر أمام أعينكم ٣١وفي البرية حيث رأيت كيف حملك الرب إلهك كما يحمل الإنسان ابنه في كل الطريق التي سلكتموها حتى جئتم إلى هذا المكان. ٣٢ولكن في هذا الأمر لستم واثقين بالرب إلهكم ٣٣السائر أمامكم في الطريق ليلتمس لكم مكانا لنزولكم في نار ليلا ليريكم الطريق التي تسيرون فيها وفي سحاب نهارا)[١].

ويبشر موسى بأنه سينتصر على كل من يواجهه ويؤكد عليه بعدم الشفقة عليهم فيقول له: (١٦وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك. لا تشفق عيناك عليهم ولا تعبد آلهتهم لأن ذلك شرك لك)[٢].

ويبشر أيضا يشوع بالنصر على جميع الممالك التي في طريقه، فيقول: (٢١وأمرت يشوع في ذلك الوقت قائلا: عيناك قد أبصرتا كل ما فعل الرب إلهكم بهذين الملكين. هكذا يفعل الرب بجميع الممالك التي أنت عابر إليها. ٢٢لا تخافوا منهم لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم)[٣].

ويأمره بعدم الخوف والرهبة من كثرة الأعداء ويذكره كيف أهلك من عاداه وناوأه من قبل فيقول له: (١٧إن قلت في قلبك: هؤلاء الشعوب أكثر مني. كيف أقدر أن أطردهم؟ ١٨فلا تخف منهم. اذكر ما فعله الرب إلهك بفرعون وبجميع المصريين.

=

إلا الحويين سكان جبعون، بل أخذوا الجميع بالحرب)، فكانت المدينة الوحيدة التي صالحت بني إسرائيل وكان ذلك بخدعة ودفع ضريبة ذلك أن أصبحوا عبيدا أرقاء لهم أبد الدهر. سفر يشوع أصحاح(١١).

(١) سفر التثنية أصحاح (١).

(٢) سفر التثنية أصحاح (٧).

(٣) سفر التثنية أصحاح (٣).

١٩التجارب العظيمة التي أبصرتها عيناك والآيات والعجائب واليد الشديدة والذراع الرفيعة التي بها أخرجك الرب إلهك. هكذا يفعل الرب إلهك بجميع الشعوب التي أنت خائف من وجهها)[1].

ويعده بأن يرسل الزنابير لإبادة أعدائه فيقول له: (٢٠«والزنابير أيضا يرسلها الرب إلهك عليهم حتى يفنى الباقون والمختفون من أمامك)[2].

ثم يعود ويؤكد وجوده في وسط شعبه الذي اختاره يدافع عنهم ويفني الأمم أمامهم ويملكهم رقابهم وملوكهم فيقول له: (٢١لا ترهب وجوههم لأن الرب إلهك في وسطك إله عظيم ومخوف. ٢٢ولكن الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلا قليلا. لا تستطيع أن تفنيهم سريعا لئلا تكثر عليك وحوش البرية. ٢٣ويدفعهم الرب إلهك أمامك ويوقع بهم اضطرابا عظيما حتى يفنوا. ٢٤ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء. لا يقف إنسان في وجهك حتى تفنيهم)[3].

ويركب الرب السماء من أجل معونة شعبه فيهزم الأعداء ويطردهم ويقول لشعبه أهلكوهم: (٢٦ ليس مثل الله يا يشورون. يركب السماء في معونتك والغمام في عظمته. ٢٧الإله القديم ملجأ والأذرع الأبدية من تحت. فطرد من قدامك العدو وقال: أهلك. ٢٨فيسكن إسرائيل آمنا وحده. تكون عين يعقوب إلى أرض حنطة وخمر وسماؤه تقطر ندى. ٢٩طوباك يا إسرائيل! من مثلك يا شعبا منصورا بالرب ترس عونك وسيف عظمتك! فيتذلل لك أعداؤك وأنت تطأ مرتفعاتهم)[4].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) سفر التثنية أصحاح (٣٣).

ويبين الرب كيفية طرده للأعداء أمام شعبه وأولاده وهم يسيرون في طريقهم إلى أرض التي وعدهم بها، فيرسل لهم ملاكا يحرسهم ويحفظهم فيقول: (٢٠(ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته -الأرض التي أعددتها لك-[١].

ويحذره من عدم الإنصات له والتمرد عليه فيقول: (٢١احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن اسمي فيه)[٢]، لأن التمرد على رسول الله[٣] يعتبر تمردا على الله نفسه[٤]، ثم يبين بركة الاستماع لصوت هذا الملاك فيقول: (٢٢ولكن إن سمعت لصوته وفعلت كل ما أتكلم به أعادي أعداءك وأضايق مضايقيك)، وهذا تحقيق لوعد الله لإبراهيم[٥]، ثم يوضح كيفية سير هذا الملاك وكيفية إهلاكه للأمم التي تقف في طرق الوصول لأرض الموعد، فيقول: (٢٣فإن ملاكي يسير أمامك ويجيء بك إلى الأموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين. فأبيدهم)[٦].

(١) سفر الخروج أصحاح (٢٣).

(٢) المرجع السابق.

(٣) هناك عدة تفسيرات للملاك المرسل منها: ١) أنه ملاك حقيقي. ٢) أنهم الرسل والأنبياء.٣) أنه عمود السحاب أو النار اللذان قادا إسرائيل. ٤) أنه تابوت عهد الرب. انظر التفسير الحديث للكتاب المقدس، مجموعة من العلماء خروج، (٢٠٦)، تفسير الكتاب المقدس، نجيب جرجس، سفر الخروج، (١٨٩).

(٤) التفسير الحديث للكتاب المقدس، المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) تعددت طرق تفسير هذه الإبادة، فيرى نجيب جرجس -تفسير الكتاب المقدس- أنها كلية لبعض الشعوب بتحريم جميع أفرادها أي قتلهم، وكانت أحيانا بإنهاء أمر بعضها كشعوب وأمم قائمة، فيبقى منها أفراد وجماعات لا شأن لها، وأحيانا بطردها من أراضيها بحسب توغلها في الوثنية وتفاقم شرورها، بحسب حكمة الله المتسلط على خلائقه والمدبر لأمورها، خروج (٢٠٦)، وفي السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم معنى الإبادة، أي إبطال أن يصيروا أمة، (١/ ٤٢١).

ويأمره بعدم السجود لآلهتهم: (٢٤لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها ولا تعمل كأعمالهم بل تبيدهم وتكسر أنصابهم. ٢٥وتعبدون الرب إلهكم فيبارك خبزك وماءك وأزيل المرض من بينكم. ٢٦لا تكون مسقطة ولا عاقر في أرضك. وأكمل عدد أيامك. ٢٧أرسل هيبتي أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين. ٢٨وأرسل أمامك الزنابير فتطرد الحويين والكنعانيين والحثيين من أمامك. ٢٩لا أطردهم من أمامك في سنة واحدة لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية. ٣٠قليلا قليلا أطردهم من أمامك إلى أن تثمر وتملك الأرض. ٣١وأجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر. فإني أدفع إلى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك)[1].

وبعد فإن من يتأمل ما سبق من نصوص العهد القديم -وغيرها- يجد رسوخ عقيدة أحقية الشعب اليهودي في أن يعيش على أرض موعده، والتي انطلقت من نصوص مقدسة عند اليهود عقدت ميثاقا قطعه الرب على نفسه بأن يرث بنو إسرائيل -فقط - أرض الموعد، وأن لهم أن يحاربوا كل من يمنعهم من تحقيق وعد الرب لهم، فكل من يقف وراء تحقيق الوعد هو عدو يقف في طريق تحقيق وعد الله المقدس.

وهذه العقيدة هي التي طبقت بالفعل على أرض الموعد في الماضي الغابر عندما دخلوها بقيادة النبي يشوع خليفة موسى عليهما السلام، إلى أن خرجوا من أرض الموعد، وهى العقيدة التي طبقت عند دخلوهم إليها في أواسط القرن الماضي.

وعلى الرغم من وجود بعض من يرفض العودة إلى الأرض المقدسة قبل عودة الماشيح -كالتيار الأرثوذكسي اليهودي- إلا إنه وانطلاقا من الوعد الإلهي يذهب حتى الملحدين منهم - بالإضافة إلى أحباء صهيون- إلى القول: إن الرب وهبنا أرض فلسطين، وذلك

(١) سفر الخروج، أصحاح(٢٣).

دون التساؤل عن طبيعة هذا الوعد، أو ما ينطوي عليه الميثاق المعقود مع الرب أو إذا كانت هناك شروط لذلك الاختيار الإلهي[1].

قال موشيه ديان عندما دخل المدينة القديمة لأول مرة "لقد عدنا إلى كل ما هو مقدس في أرضنا، لقد عدنا إليها كي لا نفارقها أبدا مرة أخرى"[2].

ولقد تحدث ديان عن الأحلام المقدسة للصهيونيين وعن عودة الشعب اليهودي إلى الضفة الغربية، التي لها في رأيه هذه الارتباطات المقدسة فقال عندما خطب في الجيش: "أيها الأخوة يا من قاتلتم في حرب الاستقلال! إننا لم نتخل عن حلمنا، ولم ننس الدرس الذي علمتمونا إياه... لقد عدنا إلى الجبل، مهد تاريخ أمتنا، إلى أرض آبائنا وأجدادنا، إلى أرض القضاة وإلى حصن سلالة داود، لقد عدنا إلى حبرون (الخليل)، وشكيم(نابلس)، وبيت لحم، وعناتوث؛ وإلى أريحا ومخاضة الأردن، أيها الإخوة ! إننا نحمل درسكم معنا... ونعلم أنه لكي نهب أورشليم الحياة، يجب أن ننشر جنود ودروع جيش الدفاع الإسرائيلي فوق جبال شكيم وعند الجسور على نهر الأردن"[3].

ولقد جاءت الممارسات الحربية للدولة اليهودي المعاصرة متطابقة تماما مع تصرفات النبي يشوع التي مفادها: "استولوا على الأرض، واطردوا السكان".

ويعبر "بن جوريون" عن رأيه المطابق لهذه العقيدة فيقول: "نحن بحاجة إلى دولة حركية مهيأة للتوسع"[4].

---

(١) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، روجيه جارودي، (٢٢٣).

(٢) انظر الحرب المقدسة، كارين آرمسترونغ، ترجمة سامي الكعكي، (٣٤٧- ٣٤٨)، دار الكتاب العربي، بيروت،٢٠٠٤.

(٣) انظر الحرب المقدسة، كارين آرمسترونغ، ترجمة سامي الكعكي، (٣٤٧- ٣٤٨)، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤.

(٤) انظر المرجع السابق، (٢٢٦).

وأما مناحيم بيجن الذي تشرب بالتراث التوراتي فيقول دون مواربة: "سوف تعود أرض إسرائيل الكبرى إلى شعب إسرائيل كاملة إلى الأبد"[(١)].

وكان الأسلوب الذي استخدم لتحقيق هذا الهدف هو نفس الأسلوب الكامن في عقيدة بيجن، الإبادة الكاملة لسكان هذه الأرض بأمر الرب الذي حرمها لحكمة منه، ففي ٩ أبريل عام ١٩٤٨م، أقدمت قوات منظمة "أرجون" التي كان بيجن يتزعمها على إبادة سكان قرية دير ياسين، كما فعل يشوع بأريحا، وقد اعترف بيجن في كتابه التمرد إن دولة إسرائيل ما كانت لتوجد لولا الانتصار في دير ياسين، وقال: "نفذت قوات الهجاناه -وهي منظمة قتالية- هجمات ناجحة على جبهات أخرى، وكان العرب يلوذون بالفرار مذعورين وهم يصرخون: دير ياسين "[(٢)].

وقد أنشأ اليهود منظمات -جيوش- عسكرية تقوم بدور الإبادة لسكان أرض الموعد مثل منظمة "الهجاناه" ومنظمة الهاشومير "فرق الحراس" ومنظمة "فرق العمل" ومنظمة "البالمخ" ومنظمة "شتيرن أوليجي" ومنظمة" أرغون تسفاي لئومي" وشعارها يد تمسك بندقية كتب تحتها هكذا فقط[(٣)].

وليس المقصود هنا إحصاء مثل هذه المنظمات، إنما المقصود بيان الأثر السلوكي لعقيدة أرض الموعد في نفوس اليهود، والتي يجسدها قول الشاب اليهودي عندما سئل في الكيبوتز: كيف ترى المشكلة العربية؟ فأجاب: من خلال فوهة البندقية[(٤)].

ومهما يكن من أمر فإن هذه المجازر لا تعد سوى علامات ممهدة لما سيفعله الماشيح الذي ينتظره اليهود؛ ليقتل ويبيد كل من اضطهد شعب الله في الموقعة الكبرى "هار

(١) انظر المرجع السابق، (٢٢٧).

(٢) انظر المرجع السابق، (٢٢٨).

(٣) انظر المرجع السابق، (٢٢٩).

(٤) انظر المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني، عبد المجيد همو، دار الأوائل، ١٢. ط.الأولى.

مجيدو"، أو جبل مجيدو، والتي سنفرد لها مطلبا خاصا وهو حروب المسيا المنتظر، حتى نقف على حقيقة عقيدة حرب الأغيار عند اليهود، بمشيئة الله تعالى.

❋ ❋ ❋

المطلب الثالث

عقيدة النفي والشتات وأثرها في الحرب والسلام

تعتبر عقيدة نفي الإله لليهود من أرض الموعد وتشتيتهم بين أمم الأغيار-الأمميين- أحد الدعائم الرئيسية التي تكونت منها العقيدة اليهودية- كما قد أشرنا في تمهيد هذا المبحث-، وهي من جملة العقائد التي حار مفسرون اليهود في تفسيرها، ذلك لأنها لا تتفق مع كونهم شعبا مقدسا مختارا اصطفاه الرب وقطع على نفسه العهد بأنه سيورثهم هذه الأرض التي لا يمكن أن تكون عبادة شعبه وأبنائه إلا فيها، فالإله حل في الشعب أولا، وفي الأرض ثانيا، فنتج عن ذلك؛ الثالوث المركب من الإله والشعب والأرض والذي لا يمكن أن ينفك، ومن ثم نشأت تلك القداسة الأبدية للشعب وللأرض التي هي مركز الكون، وهي عقيدة ترتبط - مثل كل العقائد الدينية اليهودية- ارتباطا وثيقا بعقائد أخرى مثل عقيدة الماشيح والشعب المختار.

التفسيرات المختلفة لوقوع الشتات لليهود:

هناك تفسيرات مختلفة عن أسباب وقوع الشتات عند شعب الرب عند علماء اليهود ومفكريهم، منها:

أولا: ما ذهب إليه بعض الحاخامات إلى أن النفي والشتات عقاب حل على اليهود بسبب تركهم طرق الرب و ارتكاب الذنوب والمعاصي وفعل رجاسات الأمم الوثنية - كما سنفصله-، ومع ذلك فإن غضب الرب لا يدوم طويلا حتى يتلاشى ويضمحل، وعلى هذا فإنه وإن حكم عليهم بالنفي والشتات، فإنهم سيعودون مرة أخرى لأرض موعدهم ، ولكن بقيادة ماشيح سيرسله الرب ليعاقب كل من عذب شعبه واعتدى عليه واضطهده.

ثانيا: فسر بعض علماء اليهود - وهم يحاولون المحافظة على قدسية شعبهم -معنى النفي بأنه إحدى علامات التميز والاختيار، فالنفي الذي وقع على الشعب وقع أيضا على الإله الكامن فيه، فإن الإله قد حل فيهم، وهم بدورهم يحلون في الأغيار، ولذلك فهم لا يحملون أوزارهم وحدهم، وإنما يحملون أيضا أوزار الأمم كافة، ولذلك فإنهم بمثابة المشحاء -جمع ماشيح- المصلوبين من اجل البشر، وهكذا يصبح النفي عقوبة على الذنوب وعلامة من علامات التميز في آن واحد، وحينما يحل اليوم الموعود سيأتي الماشيح ويقود شعبه ويعود به إلى الأرض المقدسة، وستستمر حالة المنفى هذه إلى أن يعود الماشيح المخلص.

وقد أحاط علماء اليهود بهذه العقيدة ضربا من القداسة والخصوصية، ونتج عن ذلك ما سموه التاريخ اليهودي الذي يعتبر النفي من الأرض المقدسة والشتات بين الأمم نمطا يتكرر- كما سنبينه- ، وكل ذلك لتأكيد علاقتهم المقدسة بالأرض وأنهم بها مع الإله قد كونوا ثالوثا مقدسا، أي أنهم يجعلون المنفى سمة أساسية وخاصية مقصورة على التاريخ اليهودي[١].

ثالثا: يعتقد جمهور اليهود أن نشأة عقيدة النفي والشتات والعودة كانت بأمر الرب وحكمه على نسل أبرام – إبراهيم- به، فقد جاء أول نص في تأصيل هذه العقيدة وأنها أمر قضاه الله لحكمة منه و لابد من وقوعه في سفر التكوين إذ جاء فيه :(١٣فقال لأبرام: «اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم أربع مئة سنة. ١٤ثم الأمة التي يستعبدون لها أنا أدينها. وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة)[٢]، فلقد سأل إبرام بماذا أعلم..؟ فأجابه الرب "اعلم يقينا " دون أي ظل من الشك. ولم يتلق

(١) حول هذه المقدمة انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. المسيري، (٢/ ٩٨). ويذهب النصارى إلى أن الشتات عقاب لليهود على إنكارهم المسيح عيسى بن مريم.

(٢) سفر التكوين، أصحاح(١٥).

أبرام إجابة مباشرة على سؤاله، وبدلا من ذلك، أعطي مخططا للأحداث التي يتعين وقوعها قبل أن يرث نسله الأرض[1].

يقول نجيب جرجس عند تفسير هذه الفقرة: " فالله هنا ينبئ أبرام بالأمور الآتية:

أ- تغرب نسله في أرض ليست لهم، ويعني بذلك أرض مصر، ولم يعرفه الله عن الأرض لئلا يرفض الشعب التوجه إلى مصر في مستقبل الأيام أي على يد يعقوب ويوسف.

ب- استعبادهم- على يد المصريين- لمدة أربعمائة سنة وهي بالتحديد أربعمائة وثلاثون سنة.

ج- إدانة الأمة التي تستعبد نسله، ويقصد بذلك انتقام الله من فرعون وقومه على يد موسى.

د- خروج الشعب بأملاك جزيلة من الأغنام والأبقار والحلي وغيرها ، وقد أعطاهم الله ذلك كأجر لتسخيرهم وعبوديتهم وانتقاما من مسخريهم.

هـ- موت أبرام بسلام بشيبة صالحة.

وفي الجيل الرابع يرجعون إلى هنا، أي في القرن الرابع أي بعد تمام الأربعمائة سنة لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملا، يقصد بالأموريين هنا جميع الشعوب التي تسكن كنعان لأن الأموريين كانوا أشهر هذه الشعوب وأشرها ، المعنى أن الله سيترك لهم فرصة طويلة لكي تكون أعمالهم شاهدة عليهم ويظهر مدى تماديهم في الخطية وحينئذ يسلم أرضهم لنسل أبرام، وهكذا الخطية تسبب للشعوب الدمار والبوار"[2].

---

(١) الكتاب المقدس يتحدث اليوم، سفر التكوين الجزء الثاني، جويس بالدوين، (٦٥)، دار الأسقفية، مصر.

(٢) تفسير الكتاب المقدس، سفر التكوين، نجيب جرجس،(١٦٢).

والسبب الذي جعل الرب يقبل استعباد شعبه هذه المدة الطويلة، هو أن نسله سيحتاج إلى إيمان قوي ورجاء واثق يعلمهم فيه أهمية الانتظار فالله سوف يعاقب ظالميهم...ويتساءل إبراهيم في قلبه لماذا يتأخر الله في تحقيق وعده له؟ ويأتيه الجواب : إن الرب ينتظر أن يصل إثم الأموريين إلى كماله، حينئذ يعاقبهم الله عقابا استحقوه، فيمحوهم من الأرض ويتصرف بأراضيهم وخيراتها كما يشاء، بهذه الطريق البدائية والسريعة عبر الكاتب عن عدالة الله ليبرر امتلاك أرض كنعان، وهي عدالة لا تحسب للفرد أي حساب، بل تتوقف على المسئولية الجماعية التي تتمثل بالملك ، فوقع القصاص بالشعب كله ،...وفي هذا الكلام إنذار لشعوب كنعان إن هم بقوا على شرهم ، وفيه أيضا إنذار لشعب الله الذي سيخسر أرضه ويذهب إلى المنفى بسبب شره المتزايد، رحمه الله يوم استحق الرحمة ، وعاقبه يوم استحق العقاب ، فما عليه الآن إلا أن يرجع إلى ربه فيرأف به ويرده إلى أرضه(١).

وبعد أن تغرب بنو إسرائيل واستعبدوا في مصر خرجوا بقيادة موسى، ودخلوا أرض الموعد بقيادة يشوع وتحقق وعد الرب لإبرام ودخل نسله الأرض التي وعده بها، وبدأ عهد يشوع (١١٨٠- ١١٥٣ ق.م)، ثم تلاه عهد القضاة (١١٥٣-١٠٣٠ ق.م)، ثم تلاه عهد الملوك (١٠٣٠-٩٣٠ ق.م) ، ثم بعد وفاة سليمان بدأ عهد الانقسام (٩٣٠-٥٨٦ ق.م) - مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا - وعقب سقوط مملكة إسرائيل تحت أقدام الآشوريين بقيادة سرجون الثاني(٢)، تفرق سكانها اليهود ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة، ولم

(١) المجموعة الكتابية (٢)، سفر التكوين، الخوري الفغالي، (٢٢٧).

(٢) يذكر المؤرخون أن مملكة إسرائيل سقطت على يد سرجون الثاني ملك أشور في عام ٧٢١ ق.م ، واعتقل هوشع بن أيله آخر ملوكها، ونفاه مع عدد من رجاله إلى مملكته، وأقام عليها واليا يحكم باسمه، وفي سنة ٦٠٨ ق.م زحف فرعون مصر على مملكة يهوذا فاحتلها ، واستمر في زحفه فاحتل مملكة إسرائيل التي كانت قد سقطت تحت سلطة الآشوريين، فأثار ذلك ملك بابل نبوخذنصر الذي آل له السلطان على أشور وزحف على فلسطين ، فهزم فرعون مصر واستعاد مملكة إسرائيل، ثم احتل مملكة يهوذا ، وقتل صدقيا بن بواقيم آخر =

يعد لهم في التاريخ ذكر(١)، وهذا ما يسمى بالسبي البابلي الصغير تمييزا له عن السبي الجماعي الكبير الذي حصل لشعب مملكة يهوذا على يد ملك بابل نبوخذ نصر(٢)، أما

=

ملوك يهوذا ونهب أورشليم ودمرها ودمر معبد سليمان وسبى أكثر السكان إلى بابل ، وفر بعضهم إلى مصر وغيرها من الأقطار، وأقام نبوخذنصر على فلسطين واليا من قبله، وانتهى بذلك ملك اليهود بفلسطين ، ويعرف هذا بالأسر البابلي الكبير، وهذا هو التدمير الأول للمدينة والمعبد. انظر مقارنة الأديان ، اليهودية، د.أحمد شلبي، (٩٣).

(١) انظر مقارنة الأديان ، اليهودية، د.أحمد شلبي، (٩٨).

(٢) العنصرية اليهودية وأثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، د. أحمد الزغيبي، (١/٢٠٦). ويذكر المؤرخون أنه في عام ٥٣٨ ق.م احتل قورش ملك فارس بلاد فارس، ومن ثم أصبح له السلطان على أرض فلسطين ؛ وأطلق الفرس على بني إسرائيل اسم اليهود، وأطلقوا على عقيدتهم اسم اليهودية، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت كلمة اليهود تعني من اعتنق اليهودية، وإن لم يكن من بني إسرائيل...، وسمح قورش لليهود بالعودة إلى فلسطين واستئناف عهد الحرية في ظله ، ولكن أكثر اليهود كانوا قد ألفوا الحياة البابلية وامتدت بها أعراقهم...، ولم تقبل العودة على فلسطين إلا قلة بدأت رحلتها بعد سنتين من مجيء قورش، وقد أعاد هؤلاء بناء المدينة المقدسة ، كما بنوا بها معبدا صغيرا مكان الهيكل بتصريح قورش وكانت عودة اليهود من المنفى عودة أشخاص وليست عودة الدولة ، فإن بعض بني إسرائيل عادوا ولكن دولتهم لم تعد ، فقد صاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي وخاضعة له، وكانت المناوشات لا تنقطع بينهم وبين حكامهم الفرس، ومن أجل ذلك رحبوا بالإسكندر الأكبر عندما زحف على فلسطين عام ٣٢٠ق.م وقد آل حكم فلسطين إلى البطالسة بعد الإسكندر.

ثورات المكابيين:

ولم يستقر اليهود في ظلال الحكم الجديد، كما لم يعرفوا الاستقرار قط ، ومن أبرز ثوراتهم في هذا العهد الثورة التي قاموا بها سنة ١٦٧ق.م بقيادة الكاهن ماتياس، وهزم فيها ماتياس وهرب ومات في العام التالي، فتولى ابنه مكابياس قيادة الثائرين، وقتل سنة ١٦١ق.م نتيجة لعصيانه، وإلى هذا الكاهن تنسب أسرة المكابيين التي حاولت أن تحقق– دون جدوى– أي لون من ألوان الاستقلال لليهود ، وقد قتل كثير من قادة هذه الأسرة بيد الأمراء السوريين، وفي سنة ١٠٤ق.م استطاع القائد المكابي أرستبولس أن يأخذ لقب الملك، ولكن عهده لم يطل، وقد أدى طول الاحتكاك بين المكابيين والسوريين إلى أن يصطنع المكابيون تقاليد السوريين وعادات =

الأمراء المجاورين، وكانت أسرة المكابيين أقرب إلى القادة العسكريين منها إلى أسرة الحكام.

الرومان والتدمير الثاني لأورشليم:

وفي هذه الأثناء كانت الدولة الرومانية ترقب هذا الصراع لتنتهز فرصة للتدخل، وحانت لها الفرصة عندما هب صراع داخلي بين قائدين متنافسين من اليهود، فاكتسح الرومان فلسطين سنة ٦٣ ق.م ، واستولوا على القدس، بقيادة القائد الروماني بامبيوس. وفي عهد الرومان حلت أسرة هيرودوس محل المكابيين ، وقد استطاع هيرودوس الكبير (٧٢-٤ ق.م) القضاء على آخر ملوك المكابيين ليثأر لأبيه الذي كان ضحية عدوانهم، وحاول هيرودوس أن يرضي اليهود فبنى هيكلا على نسق هيكل سليمان سنة ٢٠ ق.م ، وقد ظل هذا الهيكل حتى سنة ٧٠م حيث دمر الإمبراطور تيطس الروماني مدينة أورشليم وأحرق الهيكل على أثر ثورة قام بها اليهود، وهذا هو التدمير الثاني للمدينة والمعبد بعد التدمير الأول الذي أحدثه نبوخذنصر.

وإذا كان تيطس قد اكتفى بتدمير المدينة والهيكل وأبقى الحطام مكانه فإن أدريانوس أزال معالم المدينة والهيكل تماما سنة ١٣٠م، إذ حرث الأرض وسواها وزرعها، و تخلص تماما من اليهود الساكنين فيها بين قتل وتشريد، فلم يبقى فيها يهودي واحد. ورحل من استطاع الهرب منهم إلى مصر وشمالي إفريقيا وأسبانيا وأوربا.

انظرفي تفصيل تاريخ شتات بني إسرائيل، مقارنة الأديان، اليهودية، د.أحمد شلبي، (٩١ وما بعدها). بنو إسرائيل، د. محمد مهران، (٢/ ٨٨٩ وما بعدها)، و(٤/ ٤٩٤). الملل المعاصرة في الدين اليهودي، د. إسماعيل الفاروقي، (٧ وما بعدها)، مكتبة وهبه، مصر. أصول الصهيونية في الدين اليهودي، د.إسماعيل الفاروقي، (٦٩ ومابعدها) مكتبة وهبه، مصر. بنو إسرائيل في ميزان القرآن، البهي الخولي، (٣٨)، دار القلم، ط.الأولى. التاريخ اليهودي العام، صابر طعيمة، (١/ ١٤٧ وما بعدها)، دار الجيل، ط.الثالثة. العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، د.سعد الدين صالح، (٧٣ وما بعدها)، مكتبة التابعين، ط الثانية. اليهود واليهودية، د.علي وافي، (١١٦ وما بعدها)، نهضة مصر، ط.الثالثة. اليهود ودولتهم، د.حمدي الطاهري،(١٣٤)، مكتبة الآداب، ط.الأولى. الحقيقة بين النبوءة والسياسة، محمد الحافظ، (١٤٤)، دار الأوائل، ط.الثانية. هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، يوسف حداد، (١/ ١٣٨)، دار بيسان، ط.الأولى. تاريخ إسرائيل، الأب متى المسكين، (١٤٩)، مطبعة دير القديس أنبا مقار- وادي النطرون، ط. الثانية. العنصرية اليهودية وأثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، د. أحمد الزغيبي، (١/ ٢٠٥ وما بعدها)، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أبكار السقاف، مكتبة مدبولي، (٢٩٦ وما بعدها)، ط. الثانية.

اليهود الذين سيقوا إلى بابل عقب سقوط دولة يهوذا على يد نبوخذنصر فهم الذين عاد بعضهم إلى بيت المقدس في عهد قورش ، ثم جاء بعض اليهود الذين عاصروا الأحداث عقب ذلك، ، وقد خضع هؤلاء اليهود لمصر وبابل والفرس واليونان والبطالسة والرومان، وكانوا يعادون الجميع وينتهزون الفرص للثورة عليهم، من أجل ذلك أنزل بهم هؤلاء ألونا من التدمير والتعذيب ، وكانت سنة ١٣٥م نهاية حياة اليهود بفلسطين ، فقد قضى أدريانوس في هذا العام على كل المعالم اليهودية ببيت المقدس وأدرك اليهود آنذاك ألا مقام لهم بهذه البلاد، فساحوا في الأرض ، وأقاموا هنا وهناك، وبدأ لهم عصر تشرد طويل[1].

وقد أثارت قصة السبي عند اليهود مشكلة عدالة الإله وكيف تخلى عن شعبه[2]، وكيف يخرج نسل إبرام من الأرض الذي وعده أن يعطيه إياها ولنسله من بعده..؟ ولكن نصوص العهد القديم بينت السبب في ذلك، ولماذا انقسمت مملكة بني إسرائيل..؟ فجعلت ذلك بسبب معصية الملك سليمان، فلم يكد أن يمت، حتى حقت عليه وعلى نسله نقمة الرب، ولم ينفذ هذا الوعيد في حياته إكراما لأبيه داود، فأنفذ وعيده ومزق مملكته بين رحبعام ولده ويربعام عبده، فلقد عصى سليمان الرب ونكث بعهده ولم يطع فرائضه وأغضبه، وقد تحدث سفر الملوك الأول بالتفصيل عن هذه المعاصي:

فعن انسياق سليمان خلف شهوته وعدد زوجاته وسرياته:

(١وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون: موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات ٢من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. ٣وكانت له سبع مئة من النساء السيدات، وثلاث مئة من

(١) انظر مقارنة الأديان ، اليهودية، د.أحمد شلبي، (٩٨). وأيضا انظر المراجع السابقة.

(٢) انظر موسوعة ليهود واليهودية،(٤/ ١٩٠-١٩١).

السراري. فأمالت نساؤه قلبه).

وفي شيخوخته أمال نساؤه قلبه وراء آلهة أخرى:

(٤وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. ٥فذهب سليمان وراء عشتورث إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين).

وكان عمله هذا مثل عمل أبيه داود:

(٦وعمل سليمان الشر في عيني الرب، ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه).

وبنى المرتفعات التي يقام فيها الرجس-الشرك-:

(٧حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم، ولمولك رجس بني عمون).

وتكرر هذا الفعل مع كل نسائه:

(٨وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن).

وعند ذلك حل عليه غضب الرب:

(٩فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين).

وعندما وعظه الرب لم يتعظ وأصر على الشرك الذي حذره الرب منه:

(١٠وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به الرب).

وبعد هذا الإصرار حكم الرب على سليمان بأن يمزق ملكه ولكن ليس في حياته وإنما بعد مماته:

(١١فقال الرب لسليمان: من أجل أن ذلك عندك، ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي

أوصيتك بها، فإني أمزق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعبدك. ١٢إلا إني لا أفعل ذلك في أيامك، من أجل داود أبيك، بل من يد ابنك أمزقها. ١٣على أني لا أمزق منك المملكة كلها، بل أعطي سبطا واحدا لابنك، لأجل داود عبدي ، ولأجل أورشليم التي اخترتها)[(١)].

ويظهر في هذا الأصحاح المقدس – وغيره – تناقضا واضحا غريبا، فيخبر الرب بأنه من أجل داود لن يمزق ملك سليمان أبنه في حياته، وقد أخبر في نفس الأصحاح أن سليمان فعل مثل أبيه داود وعمل الشر في عيني الرب، وقد جاء في سفر أخبار الأيام أصحاح (٢٢: ٦ – ١٠) أن داود قد عصى الرب ، وفي السفر ذاته أيضا مدح الرب سليمان لدرجة وصفه بأنه أبن الله(٢٨ :٩)، وعلى أية حال فقد وقع غضب الرب ومزقت مملكة سليمان وتقسمت، وكانت مقدمة النفي والشتات بين الأمم.

وأكد بعض الأنبياء، مثل إرميا وحزقيال– كما سيأتي– ، على أن النفي أو السبي تعبير عن غضب الإله على الشعب نظرا لعصيانه وانحرافه عن عبادته، وأن آشور وبابل ليستا سوى أداة غضب وعذاب، ثم تطور الأمر وتحدث النبي حزقيال عن يسرائيل الجديدة التي سيتم تشييدها والتي ستكون مفعمة بروح الإله إن عاد الشعب إلى طريقه[(٢)].

والنصوص المقدسة التي في تقرير عقيدة النفي والشتات والعودة كثيرة، وغالبا ما تكون مجتمعة في سياق واحد، ومن ذلك ما جاء في سفر اللاويين، فبعد أن حذر الرب بني إسرائيل من عصيانه جاء في آخره:

(٢٧ وإن كنتم بذلك لا تسمعون لي بل سلكتم معي بالخلاف ٢٨فأنا أسلك معكم بالخلاف ساخطا وأؤدبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم ٢٩فتأكلون لحم بنيكم ولحم بناتكم تأكلون. ٣٠وأخرب مرتفعاتكم وأقطع شمساتكم وألقي جثثكم على جثث

(١) سفر الملوك الأول، أصحاح (١١).

(٢) انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (٤/ ١٩٠-١٩١).

أصنامكم وترذلكم نفسي. ٣١وأصير مدنكم خربة ومقادسكم موحشة ولا أشتم رائحة سروركم. ٣٢وأوحش الأرض فيستوحش منها أعداؤكم الساكنون فيها).

ثم بعد ذلك يعاقبهم بالشتات بين الشعوب والذل والهزيمة والذوبان بين الأمم:

(٣٣وأذريكم بين الأمم- وأشتتكم بين الشعوب - وأجرد وراءكم السيف فتصير أرضكم موحشة ومدنكم تصير خربة. ٣٤حينئذ تستوفي الأرض سبوتها كل أيام وحشتها وأنتم في أرض أعدائكم. حينئذ تسبت الأرض وتستوفي سبوتها. ٣٥كل أيام وحشتها تسبت ما لم تسبته من سبوتكم في سكنكم عليها. ٣٦والباقون منكم ألقي الجبانة في قلوبهم في أراضي أعدائهم فيهزمهم صوت ورقة مندفعة فيهربون كالهرب من السيف ويسقطون وليس طارد. ٣٧ويعثر بعضهم ببعض كما من أمام السيف وليس طارد ولا يكون لكم قيام أمام أعدائكم ٣٨فتهلكون بين الشعوب وتأكلكم أرض أعدائكم. ٣٩والباقون منكم يفنون بذنوبهم في أراضي أعدائكم. وأيضا بذنوب آبائهم معهم يفنون).

ولأنهم شعبه وهو أبوهم يجدد العهد الذي قطعه مع آبائهم إن هم تابوا وأقروا بذنوبهم وأطاعوه واتبعوا أوامره ، فيأتي بهم مرة أخرى إلى أرض ميراثهم:

(٤٠لكن إن أقروا بذنوبهم وذنوب آبائهم في خيانتهم التي خانوني بها وسلوكهم معي الذي سلكوا بالخلاف ٤١وإني أيضا سلكت معهم بالخلاف وأتيت بهم إلى أرض أعدائهم. إلا أن تخضع حينئذ قلوبهم الغلف ويستوفوا حينئذ عن ذنوبهم).

وحتى وهم في أرض غربتهم لم يتخل الرب عنهم:

(٤٤ولكن مع ذلك أيضا متى كانوا في أرض أعدائهم ما أبيتهم ولا كرهتهم حتى أبيدهم وأنكث ميثاقي معهم لأني أنا الرب إلههم. ٤٥بل أذكر لهم الميثاق مع الأولين

الذين أخرجتهم من أرض مصر أمام أعين الشعوب لأكون لهم إلها. أنا الرب)[1].

وبين موسى في سفر التثنية أن عقوبة الشرك هي النفي من أرض الموعد والشتات والتبديد بين الأمم ويكونون أقلية بينهم:

(٢٤لأن الرب إلهك هو نار آكلة إله غيور. ٢٥ إذا ولدتم أولادا وأحفادا وأطلتم الزمان في الأرض وفسدتم وصنعتم تمثالا منحوتا صورة شيء ما وفعلتم الشر في عيني الرب إلهكم لإغاظته ٢٦أشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعا عن الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها. لا تطيلون الأيام عليها بل تهلكون لا محالة. ٢٧ويبددكم الرب في الشعوب فتبقون عددا قليلا بين الأمم التي يسوقكم الرب إليها. ٢٨وتصنعون هناك آلهة صنعة أيدي الناس من خشب وحجر مما لا يبصر ولا يسمع ولا يأكل ولا يشم).

وعندما يكتنفهم الضيق في آخر الأيام ويرجعون إلى الله ويطيعونه فإنه يرحمهم ولا ينبذهم ولا يفنيهم:

(٢٩ثم إن طلبت من هناك الرب إلهك تجده إذا التمسته بكل قلبك وبكل نفسك. ٣٠عندما ضيق عليك وأصابتك كل هذه الأمور في آخر الأيام ترجع إلى الرب إلهك وتسمع لقوله ٣١لأن الرب إلهك إله رحيم لا يتركك ولا يهلكك ولا ينسى عهد آبائك الذي أقسم لهم عليه)...

الرب يفرض شروطه الخاصة بالبقاء في أرض الموعد وعدم نفيه لهم منها:

(٤٠واحفظ فرائضه ووصاياه التي أنا أوصيك بها اليوم ليحسن إليك وإلى أولادك

---

(١) سفر اللاويين، أصحاح (٢٦).

من بعدك ولتطيل أيامك على الأرض التي الرب إلهك يعطيك إلى الأبد)[1].

وجاء في السفر نفسه أن الشتات والتبديد بين الأمم و سبي الذرية بسبب لعنات المعاصي:

(٣٢يسلم بنوك وبناتك لشعب آخر وعيناك تنظران إليهم طول النهار فتكلان وليس في يدك طائلة).

والهوان بين الأمم والاستهزاء بهم:

(٣٧وتكون دهشا ومثلا وهزأة في جميع الشعوب الذين يسوقك الرب إليهم).

وسبي من يولد من الذرية:

(٤١بنين وبنات تلد ولا يكونون لك لأنهم إلى السبي يذهبون).

استعلاء الغريب عليهم:

(٤٣الغريب الذي في وسطك يستعلي عليك متصاعدا وأنت تنحط متنازلا. ٤٤هو يقرضك وأنت لا تقرضه. هو يكون رأسا وأنت تكون ذنبا).

والاستعباد للعدو:

(٤٨تستعبد لأعدائك الذين يرسلهم الرب عليك في جوع وعطش وعري وعوز كل شيء. فيجعل نير حديد على عنقك حتى يهلكك).

التبديد والشتات بين الأمم وعدم الاستقرار والذل والمهانة:

٦٤ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها وتعبد هناك آلهة

(١) سفر التثنية، أصحاح (٤).

أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من خشب وحجر. ٦٥وفي تلك الأمم لا تطمئن ولا يكون قرار لقدمك بل يعطيك الرب هناك قلبا مرتجفا وكلال العينين وذبول النفس. ٦٦وتكون حياتك معلقة قدامك وترتعب ليلا ونهارا ولا تأمن على حياتك. ٦٧في الصباح تقول: يا ليته المساء! وفي المساء تقول: يا ليته الصباح! من ارتعاب قلبك الذي ترتعب ومن منظر عينيك الذي تنظر)[١].

وبين الرب أيضا في نفس السفر أن المعصية ستقع من بعض أسباط بني إسرائيل وأن آيات غضب الرب ستظهر وسيعاقب الشعب كله بسببها:

(٢٠مثل هذا لا يشاء الرب أن يرفق به بل يدخن حينئذ غضب الرب وغيرته على ذلك الرجل فتحل عليه كل اللعنات المكتوبة في هذا الكتاب ويمحو الرب اسمه من تحت السماء. ٢١ويفرزه الرب للشر من جميع أسباط إسرائيل حسب جميع لعنات العهد المكتوبة في كتاب الشريعة هذا).

ولشدة عقوبة الرب ستتساءل أجيال شعب الله الأخير عن سبب هذه الشدة :

(٢٢فيقول الجيل الأخير بنوكم الذين يقومون بعدكم والأجنبي الذي يأتي من أرض بعيدة حين يرون ضربات تلك الأرض وأمراضها التي يمرضها بها الرب ـ ٢٣كبريت وملح كل أرضها حريق لا تزرع ولا تنبت ولا يطلع فيها عشب ما كانقلاب سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم التي قلبها الرب بغضبه وسخطه. ٢٤ويقول جميع الأمم: لماذا فعل الرب هكذا بهذه الأرض؟ لماذا حمو هذا الغضب العظيم؟)فيأتيهم الجواب... إنها الذنوب والمعاصي وترك عهد الرب والسجود للإلهة الأخرى: (٢٥فيقولون: لأنهم تركوا عهد الرب إله آبائهم الذي قطعه معهم حين أخرجهم من أرض مصر ٢٦وذهبوا وعبدوا آلهة أخرى وسجدوا لها. آلهة لم يعرفوها ولا قسمت لهم. ٢٧فاشتعل غضب الرب على

---

(١) سفر التثنية، أصحاح (٢٨).

تلك الأرض حتى جلب عليها كل اللعنات المكتوبة في هذا السفر. ٢٨واستأصلهم الرب من أرضهم بغضب وسخط وغيظ عظيم وألقاهم إلى أرض أخرى كما في هذا اليوم)[(١)].

وبعد ذلك بين الرب أنهم إن تابوا وأنابوا بعد لعنهم وطردهم أنه سيرجعهم بعد شتاتهم:

(ومتى أتت عليك كل هذه الأمور البركة واللعنة اللتان جعلتهما قدامك فإن رددت في قلبك بين جميع الأمم الذين طردك الرب إلهك إليهم ٢ورجعت إلى الرب إلهك وسمعت لصوته حسب كل ما أنا أوصيك به اليوم أنت وبنوك بكل قلبك وبكل نفسك ٣يرد الرب إلهك سبيك ويرحمك ويعود فيجمعك من جميع الشعوب الذين بددك إليهم الرب إلهك. ٤إن يكن قد بددك إلى أقصاء السماوات فمن هناك يجمعك الرب إلهك ومن هناك يأخذك. ٥ويأتي بك الرب إلهك إلى الأرض التي امتلكها آباؤك فتمتلكها ويحسن إليك ويكثرك أكثر من آبائك. ٦ويختن الرب إلهك قلبك وقلب نسلك لكي تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك لتحيا)[(٢)].

والمعنى أن الرب يقول لبني إسرائيل أن رددتم لي سبيي أي الطاعة لي التي سبيتموها مني، وفعلتم ذلك بإخلاص منكم، فإنه يرد عليهم سبيهم ونفيهم بين الأمم، وهذا يستلزم أنهم لابد من أن يسبوا لمعصيتهم وأن الله يرد سبيهم برحمته إذا رجعوا إليه، ولا يعني ذلك أن الله يرد سبيهم في حال رجوعهم إليه مباشرة، بل إن السكينة تبقى على إسرائيل مدة الضيق في سبيهم ، ثم يفديهم الرب ويرجع معهم، يوم جمع السبي العظيم الذي تحف به المصاعب ، والرب نفسه يكون هناك ويأخذ كل فرد من شعبه بيده من

---

(١) سفر التثنية، أصحاح (٢٩).

(٢) سفر التثنية، أصحاح(٣٠).

شتاته ، فقد قال الرب (وأنتم تلقطون واحدا وحدا يا بني إسرائيل)،"أش ٢٧ : ١٢"[(١)].

ثم بين الرب أنه سيصرف عذابه ونقمته على أعداء شعبه:

(٧ويجعل الرب إلهك كل هذه اللعنات على أعدائك وعلى مبغضيك الذين طردوك).

أما شعب الله فسيعود إليه، وستحل البركة عليه في ذلك اليوم: (٨وأما أنت فتعود تسمع لصوت الرب وتعمل بجميع وصاياه التي أنا أوصيك بها اليوم ٩فيزيدك الرب إلهك خيرا في كل عمل يدك في ثمرة بطنك وثمرة بهائمك وثمرة أرضك. لأن الرب يرجع ليفرح لك بالخير كما فرح لآبائك)[(٢)].

ومن النصوص المقدسة المبينة لسبب الشتات بين الأمم ماجاء في سفر نحميا: (٨اذكر الكلام الذي أمرت به موسى عبدك قائلا: إن خنتم فإني أفرقكم في الشعوب).

وبين الرب سبب العودة من النفي:

٩وإن رجعتم إلي وحفظتم وصاياي وعملتموها ـ إن كان المنفيون منكم في أقصاء السماوات فمن هناك أجمعهم وآتي بهم إلى المكان الذي اخترت لإسكان اسمي فيه. ١٠فهم عبيدك وشعبك الذي افتديت بقوتك العظيمة ويدك الشديدة)[(٣)].

ومن هذه النصوص ما قاله عزرا أن سبب السبي لبابل الذنوب التي وقع فيها بنو إسرائيل ، فقد جاء في السفر المسمى باسمه:(٧منذ أيام آبائنا نحن في إثم عظيم إلى هذا اليوم. ولأجل ذنوبنا قد دفعنا نحن وملوكنا وكهنتنا ليد ملوك الأراضي للسيف والسبي والنهب وخزي الوجوه كهذا اليوم).

(١) انظر السنن القويم في تفسير العهد القديم، (٢/ ٤٨٤)، وجاء في تفسير نهاية هذه الفقرة "وأقل ما يترتب على هذا أن اليهود يرون هذه النبوءة من النبوءات التي لم تتم بعد".

(٢) سفر التثنية، أصحاح(٣٠).

(٣) سفر نحميا، أصحاح (١).

وفي لحظة رأفة ينجي الرب بقية من شعبة:

٨والآن كلحيظة كانت رأفة من لدن الرب إلهنا ليبقي لنا نجاة ويعطينا وتدا في مكان قدسه لينير إلهنا أعيننا ويعطينا حياة قليلة في عبوديتنا. ٩لأننا عبيد نحن وفي عبوديتنا لم يتركنا إلهنا بل بسط علينا رحمة أمام ملوك فارس ليعطينا حياة لنرفع بيت إلهنا ونقيم خرائبه وليعطينا حائطا في يهوذا وفي أورشليم)[1].

ومن النصوص المثبتة لأسباب عقيدة النفي والشتات ما جاء في سفر نحميا على لسانه مبينا أنها معصية الرب:

(٢٦ وعصوا وتمردوا عليك وطرحوا شريعتك وراء ظهورهم وقتلوا أنبياءك الذين أشهدوا عليهم ليردوهم إليك وعملوا إهانة عظيمة. ٢٧فدفعتهم ليد مضايقيهم فضايقوهم).

ثم بعد معصيتهم تابوا واستنجدوا الرب فخلصهم من يد عدوهم:

(وفي وقت ضيقهم صرخوا إليك وأنت من السماء سمعت وحسب مراحمك الكثيرة أعطيتهم مخلصين خلصوهم من يد مضايقيهم).

ثم بعد أن أراحهم ربهم عادوا لفعل الشر في عينيه فسلط عليهم عدوهم مرة أخرى:

(٢٨ولكن لما استراحوا رجعوا إلى عمل الشر قدامك فتركتهم بيد أعدائهم فتسلطوا عليهم).

ثم عادوا للتوبة واللجوء إلى الله فرحمهم وأنقذهم مرة ثانية:

(ثم رجعوا وصرخوا إليك. وأنت من السماء سمعت وأنقذتهم حسب مراحمك الكثيرة أحيانا كثيرة...).

---

(١) سفر عزرا، أصحاح (٩).

ثم عادوا للمعصية مرة بعد مرات فأسلمهم الرب لعدوهم أيضا:

(٣٠فاحتملتهم سنين كثيرة وأشهدت عليهم بروحك عن يد أنبيائك فلم يصغوا فدفعتهم ليد شعوب الأراضي...

ويطلب النبي نحميا من الرب أن يكرر توبته عليهم مرة أخرى :

٣٥وهم لم يعبدوك في مملكتهم وفي خيرك الكثير الذي أعطيتهم وفي الأرض الواسعة السمينة التي جعلتها أمامهم ولم يرجعوا عن أعمالهم الرديئة. ٣٦ها نحن اليوم عبيد والأرض التي أعطيت لآبائنا ليأكلوا أثمارها وخيرها ها نحن عبيد فيها)[١].

ومن نصوص النفي من الأرض المقدسة وجعلها خرابا بلا سكان، ماجاء في سفر إرميا:(١١وأجعل أورشليم رجما ومأوى بنات آوى ومدن يهوذا أجعلها خرابا بلا ساكن).

ويبين الرب السبب في ذلك الخزي الذي أدى إلى تشتيتهم في أواسط أمم لا يعرفونهم:

(١٢من هو الإنسان الحكيم الذي يفهم هذه والذي كلمه فم الرب فيخبر بها؟ لماذا بادت الأرض واحترقت كبرية بلا عابر؟ ١٣فقال الرب: على تركهم شريعتي التي جعلتها أمامهم ولم يسمعوا لصوتي ولم يسلكوا بها. ١٤بل سلكوا وراء عناد قلوبهم ووراء البعليم التي علمهم إياها آباؤهم. ١٥لذلك هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل: هئنذا أطعم هذا الشعب أفسنتينا وأسقيهم ماء العلقم.١٦وأبددهم في أمم لم يعرفوها هم ولا آباؤهم وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم)[٢].

ومن النصوص المؤكدة لهذه العقيدة والتي تجعل الإحساس بالسبي جزءا من نمط

(١) سفر نحميا، أصحاح (٩).

(٢) سفر إرميا، أصحاح (٩).

متكرر، دعوة النبي إرميا للمسبيين أن يخدموا ملك بابل وأنها بأمر الرب وتبشر بالعودة إلى أرض الموعد ما جاء في نفس السفر على لسان إرميا:(١٢وكلمت صدقيا ملك يهوذا بكل هذا الكلام قائلا: أدخلوا أعناقكم تحت نير ملك بابل واخدموه وشعبه واحيوا. ١٣لماذا تموتون أنت وشعبك بالسيف بالجوع والوبإ كما تكلم الرب عن الأمة التي لا تخدم ملك بابل؟ ١٤فلا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يقولون لكم: لا تخدموا ملك بابل لأنهم إنما يتنبأون لكم بالكذب. ١٥لأني لم أرسلهم يقول الرب بل هم يتنبأون باسمي بالكذب لأطردكم فتهلكوا أنتم والأنبياء الذين يتنبأون لكم).

ويبشرهم بالرجوع إلى أرض ميراثهم برجوع آنية الرب إلى أرض الموعد:

(١٦وكلمت الكهنة وكل هذا الشعب: هكذا قال الرب: لا تسمعوا لكلام أنبيائكم الذين يتنبأون لكم قائلين: ها آنية بيت الرب سترد سريعا من بابل. لأنهم إنما يتنبأون لكم بالكذب).

ويبين الرب أنه سيعيد آنية بيت الرب عند يشعر أنه أفتقدها رمزا لرجوع شعبه إلى أرضه:

(٢١إنه هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل عن الآنية الباقية في بيت الرب وبيت ملك يهوذا وفي أورشليم: ٢٢يؤتى بها إلى بابل وتكون هناك إلى يوم افتقادي إياها يقول الرب فأصعدها وأردها إلى هذا الموضع)[(١)].

ومن النصوص التي بينت مدة السبي في بابل، وأسباب العودة إلى أرض الموعد ماجاء في نفس السفر :(١٠لأنه هكذا قال الرب. إني عند تمام سبعين سنة لبابل أتعهدكم وأقيم لكم كلامي الصالح بردكم إلى هذا الموضع).

ويخبر الرب أنه بسبب دعائهم وصلاتهم سيردهم من سبيهم:

(١) سفر إرميا، أصحاح(٢٧).

(١١لأني عرفت الأفكار التي أنا مفتكر بها عنكم يقول الرب أفكار سلام لا شر لأعطيكم آخرة ورجاء. ١٢فتدعونني وتذهبون وتصلون إلي فأسمع لكم. ١٣وتطلبونني فتجدونني إذ تطلبونني بكل قلبكم. ١٤فأوجد لكم يقول الرب وأرد سبيكم وأجمعكم من كل الأمم ومن كل المواضع التي طردتكم إليها يقول الرب وأردكم إلى الموضع الذي سبيتكم منه. ١٥لأنكم قلتم: قد أقام لنا الرب أنبياء في بابل).

ويصف حاله معهم وحالهم في شتاتهم:

(١٨وألحقهم بالسيف والجوع والوبإ وأجعلهم قلقا لكل ممالك الأرض حلفا ودهشا وصفيرا وعارا في جميع الأمم الذين طردتهم إليهم ١٩من أجل أنهم لم يسمعوا لكلامي يقول الرب إذ أرسلت إليهم عبيدي الأنبياء مبكرا ومرسلا ولم تسمعوا يقول الرب).

ويبين الرب أنه هو الذي أرسل السبي إلى بابل من أورشليم:

(٢٠ وأنتم فاسمعوا كلمة الرب يا جميع السبي الذين أرسلتهم من أورشليم إلى بابل)[١].

ومن نصوص التنبؤ برجوع المسبيين ماجاء في نفس السفر:(١الكلام الذي صار إلى إرميا من الرب: ٢هكذا تكلم الرب إله إسرائيل: اكتب كل الكلام الذي تكلمت به إليك في سفر ٣لأنه ها أيام تأتي وأرد سبي شعبي إسرائيل ويهوذا وأرجعهم إلى الأرض التي أعطيت آباءهم إياها فيمتلكونها).

ويعد الرب بأنه هو الذي يخلصهم من شتاتهم وتبديدهم ويعيدهم إلى أرض ميراثهم بعد إفناء أعدائهم وتأديبه وتبرئته لشعبه:

(١٠أما أنت يا عبدي يعقوب فلا تخف يقول الرب ولا ترتعب يا إسرائيل لأني هئنذا

---

(١) سفر إرميا، أصحاح (٢٩).

أخلصك من بعيد ونسلك من أرض سبيه فيرجع يعقوب ويطمئن ويستريح ولا مزعج. ١١لأني أنا معك يقول الرب لأخلصك. وإن أفنيت جميع الأمم الذين بددتك إليهم فأنت لا أفنيك بل أؤدبك بالحق ولا أبرئك تبرئة).

ويبين الرب أنه لا أحد غيره يستطيع جمع شتاتهم وجبر كسرهم ويعاقب أعدائهم:

(١٢لأنه هكذا قال الرب: كسرك عديم الجبر وجرحك عضال. ١٣ليس من يقضي حاجتك للعصر. ليس لك عقاقير رفادة. ١٤قد نسيك كل محبيك. إياك لم يطلبوا لأني ضربتك ضربة عدو تأديب قاس لأن إثمك قد كثر وخطاياك تعاظمت. ١٥ما بالك تصرخين بسبب كسرك؟ جرحك عديم البرء لأن إثمك قد كثر وخطاياك تعاظمت قد صنعت هذه بك. ١٦لذلك يؤكل كل آكليك ويذهب كل أعدائك قاطبة إلى السبي ويكون كل سالبيك سلبا وأدفع كل ناهبيك للنهب. ١٧لأني أرفدك وأشفيك من جروحك يقول الرب. لأنهم قد دعوك منفية صهيون التي لا سائل عنها).

ولكنه يكرر الوعد باسترداد الميراث ويعاقب كل من آذاهم وعذبهم:

(١٨هكذا قال الرب: هئنذا أرد سبي خيام يعقوب وأرحم مساكنه وتبنى المدينة على تلها والقصر يسكن على عادته. ١٩ويخرج منهم الحمد وصوت اللاعبين وأكثرهم ولا يقلون وأعظمهم ولا يصغرون. ٢٠ويكون بنوهم كما في القديم وجماعتهم تثبت أمامي وأعاقب كل مضايقيهم. ٢١ويكون حاكمهم منهم ويخرج واليهم من وسطهم وأقربه فيدنو إلي لأنه من هو هذا الذي أرهن قلبه ليدنو إلي يقول الرب؟ ٢٢وتكونون لي شعبا وأنا أكون لكم إلها).

ويصف الرب حالته حين ثأره من أعدائهم، و يشير إلى أنه يريد ذلك الشتات لهم لأمر سيعرفونه في آخر الأيام:

(٢٣هوذا زوبعة الرب تخرج بغضب نوء جارف. على رأس الأشرار يثور. ٢٤لا

يرتد حمو غضب الرب حتى يفعل وحتى يقيم مقاصد قلبه. في آخر الأيام تفهمونها)[1].

ومن النصوص ا لجامعة لأسباب النفي والشتات والعودة ماجاء في نفس السفر أيضا، فعن جمع شتات عشائر بني إسرائيل يقول الرب:

(١ في ذلك الزمان يقول الرب أكون إلها لكل عشائر إسرائيل وهم يكونون لي شعبا. ٢هكذا قال الرب: قد وجد نعمة في البرية الشعب الباقي عن السيف إسرائيل حين سرت لأريحه. ٣تراءى لي الرب من بعيد: ومحبة أبدية أحببتك من أجل ذلك أدمت لك الرحمة).

ثم يصف الرب حال شعبه عند عودتهم وكيفيه إعمارهم لأرض ميراثهم:

٤سأبنيك بعد فتبنين يا عذراء إسرائيل. تتزينين بعد بدفوفك وتخرجين في رقص اللاعبين. ٥تغرسين بعد كروما في جبال السامرة. يغرس الغارسون ويبتكرون. ٦لأنه يكون يوم ينادي فيه النواطير في جبال أفرايم: قوموا فنصعد إلى صهيون إلى الرب إلهنا. ٧لأنه هكذا قال الرب: رنموا ليعقوب فرحا واهتفوا برأس الشعوب. سمعوا سبحوا وقولوا: خلص يا رب شعبك بقية إسرائيل. ٨هئنذا آتي بهم من أرض الشمال وأجمعهم من أطراف الأرض. بينهم الأعمى والأعرج الحبلى والماخض معا. جمع عظيم يرجع إلى هنا. ٩بالبكاء يأتون وبالتضرعات أقودهم. أسيرهم إلى أنهار ماء في طريق مستقيمة لا يعثرون فيها. لأني صرت لإسرائيل أبا وأفرايم هو بكري.

ويذيع النبي إرميا البشرى ، بأن إلهم الذي بددهم وشتتهم هو الذي سيتولى إعادتهم كراع يجمع قطيعه ويراعاه:

١٠ اسمعوا كلمة الرب أيها الأمم وأخبروا في الجزائر البعيدة وقولوا: مبدد إسرائيل يجمعه ويحرسه كراع قطيعه. ١١لأن الرب فدى يعقوب وفكه من يد الذي هو أقوى منه.

ويصف الرب كيفية رجوع أفريم وكيف يتذكره وكيف يحن حنينا إليه:

(١) سفر إرميا، أصحاح(٣٠).

(... فيرجعون من أرض العدو. ١٧ويوجد رجاء لآخرتك يقول الرب. فيرجع الأبناء إلى تخمهم. ١٨سمعا سمعت أفرايم ينتحب: أدبتني فتأدبت كعجل غير مروض. توبني فأتوب لأنك أنت الرب إلهي. ١٩لأني بعد رجوعي ندمت وبعد تعلمي صفقت على فخذي. خزيت وخجلت لأني قد حملت عار صباي. ٢٠هل أفرايم ابن عزيز لدي أو ولد مسر؟ لأني كلما تكلمت به أذكره بعد ذكرا. من أجل ذلك حنت أحشائي إليه. رحمة أرحمه يقول الرب).

الرب يأمر شعبه بالفرح وإقامة النصب:

(٢١ انصبي لنفسك صوى. اجعلي لنفسك أنصابا. اجعلي قلبك نحو السكة الطريق التي ذهبت فيها. ارجعي يا عذراء إسرائيل. ارجعي إلى مدنك هذه).

الرب يصف حال شعبه معه بالبنت مع أبيها:

(٢٢حتى متى تطوفين أيتها البنت المرتدة؟ لأن الرب قد خلق شيئا حديثا في الأرض. أنثى تحيط- تحمي- برجل).

الرب يبين كيفية رجوع يهوذا:

(٢٣هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل: سيقولون بعد هذه الكلمة في أرض يهوذا وفي مدنها عندما أرد سبيهم: يباركك الرب يا مسكن البر يا أيها الجبل المقدس. ٢٤فيسكن فيه يهوذا وكل مدنه معا الفلاحون والذين يسرحون القطعان).

وكما سهر على قلعهم من أرضهم وتشتيتهم فإنه سيسهر عليهم عند عودتهم:

(٢٨ يكون كما سهرت عليهم للاقتلاع والهدم والقرض والإهلاك والأذى كذلك أسهر عليهم للبناء والغرس يقول الرب)

الرب يبشرهم العهد الجديد ويبين كيفية توثيق هذا العهد من داخلهم دون عناء تعليم

الشريعة لأبنائهم:

(٣١ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا. ٣٢ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب. ٣٣بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب: أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلها وهم يكونون لي شعبا. ٣٤ولا يعلمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين: اعرفوا الرب لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم يقول الرب. لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد)[١].

ومن نصوص الجمع بعد الشتات بين الأمم ما قاله الرب لإرميا فقد جاء السفر نفسه:(٣٦والآن لذلك هكذا قال الرب إله إسرائيل عن هذه المدينة التي تقولون إنها قد دفعت ليد ملك بابل بالسيف والجوع والوبإ. ٣٧هئنذا أجمعهم من كل الأراضي التي طردتهم إليها بغضبي وغيظي وبسخط عظيم وأردهم إلى هذا الموضع وأسكنهم آمنين.

الرب يصف حاله معهم وحالهم مع بعضهم:

(٣٨ويكونون لي شعبا وأنا أكون لهم إلها. ٣٩وأعطيهم قلبا واحدا وطريقا واحدا ليخافوني كل الأيام لخيرهم وخير أولادهم بعدهم).

الرب يقطع عهدا أبديا أنه لا يرجع عن شعبه ويجعل مخافته مركوزة في قلوبهم:

(٤٠وأقطع لهم عهدا أبديا أني لا أرجع عنهم لأحسن إليهم وأجعل مخافتي في قلوبهم فلا يحيدون عني. ٤١وأفرح بهم لأحسن إليهم وأغرسهم في هذه الأرض بالأمانة بكل قلبي وبكل نفسي).

الرب يتعهد لهم كما أنه جلب الشر لهم فإنه يجلب الخير لهم أيضا:

(١) سفر إرميا، أصحاح (٣١).

(٤٢لأنه هكذا قال الرب. كما جلبت على هذا الشعب كل هذا الشر العظيم هكذا أجلب أنا عليهم كل الخير الذي تكلمت به إليهم...لأني أرد سبيهم يقول الرب)[١].

ومن النصوص التي بينت أن الرب يكسيهم ويشفيهم ويطهرهم استعدادا لعودتهم لأرض موعدهم:

(٦هئنذا أضع عليها رفادة وعلاجا وأشفيهم وأعلن لهم كثرة السلام والأمانة. ٧وأرد سبي يهوذا وسبي إسرائيل وأبنيهم كالأول. ٨وأطهرهم من كل إثمهم الذي أخطأوا به إلي وأغفر كل ذنوبهم التي أخطأوا بها إلي والتي عصوا بها علي).

الرب يبشر بإعادة بناء أورشليم التي خربت:

(١٠هكذا قال الرب: سيسمع بعد في هذا الموضع الذي تقولون إنه خرب بلا إنسان وبلا حيوان في مدن يهوذا وفي شوارع أورشليم الخربة بلا إنسان ولا ساكن ولا بهيمة ١١صوت الطرب وصوت الفرح صوت العريس وصوت العروس صوت القائلين: احمدوا رب الجنود لأن الرب صالح لأن إلى الأبد رحمته. صوت الذين يأتون بذبيحة الشكر إلى بيت الرب لأني أرد سبي الأرض كالأول يقول الرب).

ويبشر الرب أيضا بإقامة ملوك وكهنة من جديد:

(١٤ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم الكلمة الصالحة التي تكلمت بها إلى بيت إسرائيل وإلى بيت يهوذا. ١٥في تلك الأيام وفي ذلك الزمان أنبت لداود غصن البر فيجري عدلا وبرا في الأرض. ١٦في تلك الأيام يخلص يهوذا وتسكن أورشليم آمنة وهذا ما تتسمى به الرب برنا. ١٧لأنه هكذا قال الرب: لا ينقطع لداود إنسان يجلس على كرسي بيت إسرائيل ١٨ولا ينقطع للكهنة اللاويين إنسان من أمامي يصعد محرقة ويحرق تقدمة

(١) سفر إرميا، أصحاح (٣٢).

ويهيئ ذبيحة كل الأيام)[1].

ومن النصوص الجامعة لأسباب الشتات والعودة ما جاء في حزقيال في تبكيت بني إسرائيل:

(٨قد فزعتم من السيف، فالسيف أجلبه عليكم يقول السيد الرب. ٩وأخرجكم من وسطها وأسلمكم إلى أيدي الغرباء، وأجري فيكم أحكاما. ١٠بالسيف تسقطون. في تخم إسرائيل أقضي عليكم فتعلمون أني أنا الرب).

ولكن يبقى الرجاء لبقية بني إسرائيل الباقية:

(١٤وكان إلي كلام الرب: ١٥يا ابن آدم، إخوتك ذوو قرابتك، وكل بيت إسرائيل بأجمعه، هم الذين قال لهم سكان أورشليم: ابتعدوا عن الرب. لنا أعطيت هذه الأرض ميراثا. ١٦لذلك قل: هكذا قال السيد الرب: وإن كنت قد أبعدتهم بين الأمم، وإن كنت قد بددتهم في الأراضي، فإني أكون لهم مقدسا صغيرا في الأراضي التي يأتون إليها. ١٧لذلك قل: هكذا قال السيد الرب: إني أجمعكم من بين الشعوب، وأحشركم من الأراضي التي تبددتم فيها، وأعطيكم أرض إسرائيل).

ويجعل الرب لهم قلوبا غير قلوبهم بعد عودتهم:

(١٨فيأتون إلى هناك ويزيلون جميع مكرهاتها وجميع رجاساتها منها. ١٩وأعطيهم قلبا واحدا، وأجعل في داخلكم روحا جديدا، وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم)[1].

ومن النصوص التي يشبه الرب فيها بني إسرائيل الغنم الضالة التي تتفرق وتبتعد عن الراعي ثم تعود إليه ما جاء في سفر حزقيال:

(١) سفر إرميا، أصحاح (٣٣).

(١) سفر حزقيال، أصحاح (١١).

(٦ضلت غنمي في كل الجبال وعلى كل تل عال وعلى كل وجه الأرض. تشتتت غنمي ولم يكن من يسأل أو يفتش. ٧[فلذلك أيها الرعاة اسمعوا كلام الرب: ٨حي أنا يقول السيد الرب، من حيث إن غنمي صارت غنيمة ومأكلا لكل وحش الحقل، إذ لم يكن راع ولا سأل رعاتي عن غنمي، ورعى الرعاة أنفسهم ولم يرعوا غنمي).

الرب يعلن أنه سيخلص شعبه- غنمه- من أيدي - أعدائهم - الرعاة:

(٩فلذلك أيها الرعاة اسمعوا كلام الرب. ١٠هكذا قال السيد الرب: هئنذا على الرعاة وأطلب غنمي من يدهم، وأكفهم عن رعي الغنم، ولا يرعى الرعاة أنفسهم بعد، فأخلص غنمي من أفواههم فلا تكون لهم مأكلا).

ويبين كيفية افتقاده لغنمه-شعبه- وكيف يخلصها ويجمعها في أرض موعدها:

(١١لأنه هكذا قال السيد الرب: هئنذا أسأل عن غنمي وأفتقدها. ١٢كما يفتقد الراعي قطيعه يوم يكون في وسط غنمه المشتتة، هكذا أفتقد غنمي وأخلصها من جميع الأماكن التي تشتتت إليها في يوم الغيم والضباب. ١٣وأخرجها من الشعوب وأجمعها من الأراضي، وآتي بها إلى أرضها وأرعاها على جبال إسرائيل وفي الأودية وفي جميع مساكن الأرض. ١٤أرعاها في مرعى جيد، ويكون مراحها على جبال إسرائيل العالية. هنالك تربض في مراح حسن، وفي مرعى دسم يرعون على جبال إسرائيل)...

ويقيم الرب عليهم راعيا واحدا ويقطع معهم عهد سلام وينزع أعدائهم من أرضهم ولا تعيرهم الأمم:

(٢٣وأقيم عليها راعيا واحدا فيرعاه عبدي داود. هو يرعاها وهو يكون لها راعيا. ٢٤وأنا الرب أكون لهم إلها، وعبدي داود رئيسا في وسطهم. أنا الرب تكلمت. ٢٥وأقطع معهم عهد سلام، وأنزع الوحوش الرديئة من الأرض، فيسكنون في البرية مطمئنين وينامون في الوعور...وإذا أنقذتهم من يد الذين استعبدوهم. ٢٨فلا يكونون

بعد غنيمة للأمم، ولا يأكلهم وحش الأرض. بل يسكنون آمنين ولا مخيف. ٢٩وأقيم لهم غرسا لصيت فلا يكونون بعد مفنيي الجوع في الأرض، ولا يحملون بعد تعيير الأمم. ٣٠فيعلمون أني أنا الرب إلههم معهم، وهم شعبي بيت إسرائيل يقول السيد الرب. ٣١وأنتم يا غنمي، غنم مرعاي، أناس أنتم. أنا إلهكم يقول السيد الرب)[(١)].

ومن النصوص التي تبين أن الشتات نتيجة المعصية ماجاء في نفس السفر:(١٦وكان إلي كلام الرب: ١٧يا ابن آدم، إن بيت إسرائيل لما سكنوا أرضهم نجسوها بطريقهم وأفعالهم. كانت طريقهم أمامي كنجاسة الطامث، ١٨فسكبت غضبي عليهم لأجل الدم الذي سفكوه على الأرض، وبأصنامهم نجسوها. ١٩فبددتهم في الأمم فتذروا في الأراضي. كطريقهم وأفعالهم دنتهم).

الرب ينتصر لشعبه من أجل شماتة الأمم وتعييرهم لهم بالشتات والخروج من أرضهم، ويتحنن لاسمه القدوس:

(٢٠فلما جاءوا إلى الأمم حيث جاءوا نجسوا اسمي القدوس، إذ قالوا لهم: هؤلاء شعب الرب وقد خرجوا من أرضه. ٢١فتحننت على اسمي القدوس الذي نجسه بيت إسرائيل في الأمم حيث جاءوا).

ولأن الرب يحل في الشعب والشعب قد نفي بالإله، فإن الرب يجمعهم حتى لا يتنجس اسمه القدوس:

(٢٢لذلك فقل لبيت إسرائيل. هكذا قال السيد الرب: ليس لأجلكم أنا صانع يا بيت إسرائيل، بل لأجل اسمي القدوس الذي نجستموه في الأمم حيث جئتم. ٢٣فأقدس اسمي العظيم المنجس في الأمم الذي نجستموه في وسطهم، فتعلم الأمم أني أنا الرب يقول السيد الرب حين أتقدس فيكم قدام أعينهم. ٢٤وآخذكم من بين الأمم

(١) سفر حزقيال، أصحاح(٣٤).

وأجمعكم من جميع الأراضي وآتي بكم إلى أرضكم).

ويطهرهم الرب ويجعل لهم قلبا جديدا وروحا جديده فتكون يسرائيل الجديدة:

(٢٥وأرش عليكم ماء طاهرا فتطهرون. من كل نجاستكم ومن كل أصنامكم أطهركم. ٢٦وأعطيكم قلبا جديدا، وأجعل روحا جديدة في داخلكم، وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم. ٢٧وأجعل روحي في داخلكم، وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي وتعملون بها.٢٨وتسكنون الأرض التي أعطيت آباءكم إياها، وتكونون لي شعبا وأنا أكون لكم إلها. ٢٩وأخلصكم من كل نجاساتكم. وأدعو الحنطة وأكثرها ولا أضع عليكم جوعا. ٣٠وأكثر ثمر الشجر وغلة الحقل لكيلا تنالوا بعد عار الجوع بين الأمم)(١).

ومن النصوص التي تؤكد عقيدة حلول الإله في شعبه والشعب في إلهه، يبين الرب سبب رد السبي إلى أرض الموعد فقد جاء في نفس السفر:(٢٥لذلك هكذا قال السيد الرب: الآن أرد سبي يعقوب وأرحم كل بيت إسرائيل وأغار على اسمي القدوس.٢٦فيحملون خزيهم وكل خيانتهم التي خانوني إياها عند سكنهم في أرضهم مطمئنين ولا مخيف. ٢٧عند إرجاعي إياهم من الشعوب وجمعي إياهم من أراضي أعدائهم، وتقديسي فيهم أمام عيون أمم كثيرين، ٢٨يعلمون أني أنا الرب إلههم بإجلائي إياهم إلى الأمم، ثم جمعهم إلى أرضهم. ولا أترك بعد هناك أحدا منهم، ٢٩ولا أحجب وجهي عنهم بعد، لأني سكبت روحي على بيت إسرائيل يقول السيد الرب)(٢).

ومن النصوص الدالة على أن عقيدة السبي والشتات بأمر الرب ما جاء في سفر عاموس:

(١) سفر حزقيال، أصحاح(٣٦).

(٢) سفر حزقيال، أصحاح(٣٩).

(٨هوذا عينا السيد الرب على المملكة الخاطئة وأبيدها عن وجه الأرض).

ولكنه وإن غضب عليهم فإنه لا يتركهم في شتاتهم ويأتي بهم فردا فردا:

(غير أني لا أبيد بيت يعقوب تماما يقول الرب. ٩لأنه هئنذا آمر فأغربل بيت إسرائيل بين جميع الأمم كما يغربل في الغربال وحبة لا تقع إلى الأرض. ١٠بالسيف يموت كل خاطئي شعبي القائلين: لا يقترب الشر ولا يأتي بيننا).

الرب يصف حال شعبه أثناء ردهم لأرضهم من بعد سبيهم وشتاتهم:

١١«في ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة وأحصن شقوقها وأقيم ردمها وأبنيها كأيام الدهر. ١٢ليرثوا بقية أدوم وجميع الأمم الذين دعي اسمي عليهم يقول الرب الصانع هذا. ١٣«ها أيام تأتي يقول الرب يدرك الحارث الحاصد ودائس العنب باذر الزرع وتقطر الجبال عصيرا وتسيل جميع التلال. ١٤وأرد سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدنا خربة ويسكنون ويغرسون كروما ويشربون خمرها ويصنعون جنات ويأكلون أثمارها. ١٥وأغرسهم في أرضهم ولن يقلعوا بعد من أرضهم التي أعطيتهم» قال الرب إلهك)[(١)].

والنصوص الدالة على تأصيل عقيدة النفي من أرض الموعد والشتات بين الأمم ومن ثم العود إليها عند اليهود كثيرة جدا وما سبق اختياره محدود منها، وانهما حصلا لبني إسرائيل بسبب الذنوب وفعل الشر في عيني الرب، وأن العودة كائنة لا محالة، وقد دل على ذلك -كما سبق إيضاحه- أقوال أنبياء بني إسرائيل سواء أكانوا قبل السبي أم في أثنائه أم بعده[(٢)].

---

(١) سفر عاموس، أصحاح(٩).

(٢) ينقسم الأنبياء بحسب الترتيب الزمني إلى ثلاثة أقسام: الأول : ما قبل السبي وهم : عوبديا، يوئيل، يونان، هوشع، عاموس، إشعيا، ميخا، ناحوم، صفنيا ، إرميا، حبقوق. القسم الثاني: أنبياء السبي وهم : دانيال،

وقد أخذت هذا العقيدة في التبلور والنضوج حتى أصبح السبي أو النفي إلى بابل ثم الخروج منها والعودة إلى فلسطين، مثله مثل العبودية في مصر ثم الخروج منها والدخول إلى كنعان والاستيلاء عليها، نمطا متكررا يعيد نفسه في التاريخ المقدس وأن النفي من القدس بعد تحطيم الهيكل في عام ٧٠م على يد تيطس، ثم العودة إلى القدس، ثم التدمير التام وإزالة الحطام وحرث الأرض على يد أدريانوس عام ١٣٥م، ثم الشتات والتفريق بين الأمم؛ شكل من أشكال العبودية يتبعه خروج من الشتات ثم الدخول إلى فلسطين، جزء من نمط متكرر.

وقد طرحت اليهودية في شكلها الصهيونية رؤية للتاريخ تصدر عن تصور أن اليهود في حالة نفي قسرية فعلية منذ هدم الهيكل، وأنهم لو تركوا وشأنهم لعادوا إلى فلسطين بدون تردد، بل إن التواريخ الصهيونية تسمي هذا النمط المتكررالتاريخ اليهودي "نفي من فلسطين ثم عودة إليها"، نفي إلى مصر ثم عودة إلى فلسطين، ونفي إلى بابل ثم عودة إلى فلسطين، وأخيرا نفي إلى أرجاء العالم بأسره ثم عودة نهائية إلى إسرائيل أي فلسطين[(١)].

وهكذا نكون قد عالجنا في المطلب أصل عقيدة النفي والشتات عند اليهود من خلال عرض بعض نصوص العهد القديم، واتضح منها أنها عقيدة مغروزة في صلب القلب اليهودي، وأما أثر هذه العقيدة في الحرب والسلام مع الأمم فهذا ما سيأتي في تتمة هذا المطلب في الصفحات التالية.

أثر عقيدة النفي والشتات في نظرة اليهود للحرب والسلام:

تركت عقيدة النفي والشتات والعودة إلى الأرض المقدسة أثرا عميقا في واقع اليهود

=

حزقيال. القسم الثالث: ما بعد السبي: حجي، زكريا، ملاخي. انظر النبوة والأنبياء، الأب متى المسكين، (١٦١)، وانظر موسوعة اليهود واليهودية، د.المسيري، (٥/ ١١٣).

(١) انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د.المسيري، (٢/ ٩٨).

النفسي والاجتماعي، فقد أضعفت إحساسهم بالزمان والمكان، وأضفت طابعا مؤقتا على كل شيء، وربما ساعد اضطلاع اليهود بدور الجماعة الوظيفية- التي توجد في المجتمع ولكنها لا تصبح منه واشتغالهم المستمر بالتجارة والأعمال المالية والربا، وانتقالهم من مكان إلى مكان دون الانتماء الكامل لأي مكان، ربما ساعد كل هذا على استمرار اكتساب هذه العقيدة هذه المركزية(١).

فبعد أن تفرق اليهود في كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية، فتبعوا الرومان إلى إيطاليا وأسبانيا وفرنسا وألمانيا حتى الراين، الذي وصلوا إليه منذ القرن الثالث الميلادي، حتى تحولت "فرانكونيا" بالذات إلى قاعدة رئيسية ونواة لهم، وكادت عاصمتها "فرانكفورت"أن تكون عاصمة يهود الشتات الجديدة، ومنذ ذلك الحين نشأت علاقة تاريخية وثيقة بين مدينة فرانكفورت واليهود ظلت حتى يومنا هذا ، وكان اليهود في أنحاء

(١) انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، د.المسيري (٤/ ١٩٠)، وتشير الموسوعة إلى أن بعض الباحثين يرى أن الموقف الديني التقليدي من المنفى والعودة ليس واضحا ولا قاطعا. فعلى سبيل المثال، أكد الحاخامات أن محاولة العودة الفردية والفعلية، دون انتظار مقدم الماشيح، هو من قبيل التجديف والهرطقة، ومن قبيل "دحيكات هاكتس" أي "التعجيل بالنهاية"، أو من قبيل تحدي الإرادة الإلهية، وقد عارض بعض اليهود الأرثوذكس الحركة الصهيونية بالفعل لأنها عودة مشيحانية دون ماشيح. بل إن هناك أوامر قاطعة في التلمود بألا يترك اليهودي بلده أو منفاه ليعود إلى بابل، لأنه من يعيش في بابل كأنه يعيش في أرض يسرائيل. وجاء في موضع آخر: « صلوا لسلامة الدولة، فلولا خوف الناس منها لابتلع بعضهم بعضا ». وقد أكد أحد الحاخامات أن مبدأ أو عقيدة العودة إلى فلسطين لا توجد أية إشارة إليها في كافة المحاولات التي تمت في العصور الوسطى لصياغة عقيدة يهودية. وقد نادى دعاة حركة التنوير اليهودية بأن المنفى واقع مؤلم ومؤقت يجب أن يزول عن طريق الاندماج، أما العودة إلى صهيون، فهي مجرد فكرة روحية وليست رغبة حرفية، وقد حذفت اليهودية الإصلاحية الصلوات التي تذكر اليهود بصهيون.

ولكن توجد في اليهودية الحاخامية، وفي التلمود، نصوص ومواقف يفهم منها أن هناك ضربا من التقبل أو التأييد لفكرة إنهاء المنفى والعودة. وقد ذكر بعض الحاخامات أن كل يهودي يتعين عليه أن يود (في قلبه) العودة إلى الأرض، فإن لم يتمكن من العودة فعليه أن يساعد على الأقل في إرسال يهودي آخر.

العالم يلاقون النجاح والاضطهاد والتسامح والتفرقة بدرجات متفاوتة من عصر إلى عصر ومن مكان إلى آخر وفي كل هذا بقي اليهود طوال هذه العصور يهودا ينظرون إلى الماضي بأسى، يشكون في كل ما هو غير يهودي كما كان غير اليهود من أقوام ينظرون إليهم دائما وأبدا على أنهم غرباء[١]، وتولى الحاخامات الغربيون تطويع الشريعة والأعياد لحياة الشتات بعيدا عن القدس، وتضمنت تعاليمهم أن اليهودي يمكنه أن يؤدي فرائضه في كل مكان، وليس لزاما عليه أن يحج إلى القدس وإنما يكفيه أن يتذكرها ويتذكر الهيكل[٢]، و قد قبل اليهود وجودهم في الأوطان التي كانوا يعيشون فيها مكرهين لامتداد زمن شتاتهم ونفيهم، وأصبح الحديث عن المنفى جزءا من الخطاب الديني، لاسيما وأن أنبياء السبي كانوا يؤكدون على ضرورة الانخراط في مجتمعات الأغيار، وأصبحت العودة تطلعا دينيا وتعبيرا عن حب صهيون، أي تعبيرا عن التعلق الديني بالأرض المقدسة.

وعلى الرغم من تأقلمهم في ظروفهم الجديدة إلا أنهم كانوا يترقبون زوال غضب الله عنهم، ويرجعون إلى أرض الميعاد ، ولهذا كانت التقاليد المعمارية تقتضي على يهودي الشتات إذا بنى بيتا أو قصرا أن يترك فيه قطعا مكشوفة أو مهدمة من الحجارة تذكره بخراب الهيكل وتدعوه دائما إلى ألا يسكن في دار كاملة العمران حتى يتم عمران المدينة المقدسة، لذلك امتزج الحنين الديني بهذه العقيدة النضالية النابعة من الغيبيات التي تأولوها، لدرجة أن المتشددين منهم كانوا يرفضون الصهيونية الحديثة عند ظهورها ، لما تضمنته من تمرد على غضب الرب الذي به كتبت عليهم الذلة والمسكنة، ولم تنحل هذه العقدة إلا عندما اقتنع بعض الحاخامات بالصهيونية الحديثة في أوائل القرن الماضي، فبدأ

---

(١) U.S.A،The Middle East Today،Don Peretz نقلا عن "بنو إسرائيل"، د.محمد مهران، (٢/ ١٠٢٥-١٠٢٦).

(٢) التطرف الإسرائيلي، طاهر شاش، (٢١)، دار الشروق، ط.الأولى.

المتدينون المثقفون يقبلونها بدون حرج[1].

وقد كون اليهود في المناطق التي هاجروا إليها في كل دول العالم أحياء يهودية مغلقة تسمى بـ "الغيتو" أو "الجيتو"، وقاموا بممارسة التجارة والعمليات الربوية، وتدخلوا في القضايا السياسية التي تخدم مصالحهم بشكل أو بآخر ، ولذا فهي تؤيد هذا التيار السياسي أو ذاك ، وتنضم إلى ذلك الزعيم الذي يتعهد برعاية مصالحهم أكثر من غيره[1].

وهكذا غدى حنين العودة إلى أرض الموعد عند المثقفين اليهود في العصور الوسطى وسطا بين الرضا بالعقاب الإلهي الذي أنبأهم به أنبياؤهم ؛ وانتظار عفو الرب عنهم ، والذي لا يكون إلا بوجود حاكم لهم–المسيا أو الماشيح–في الأراضي المقدسة بالقرب من جبل صهيون، فهي إذن صهيونية روحية قوامها التسليم بالإرادة الإلهية، تنافي مفهوم الصهيونية الحديثة– صهيونية هرتسل كما سيأتي– فهي صهيونية عاطفية لا تتخطى عالم المال والأعمال، وكذلك كانت سلبية لم تفكر في ترجمة هذه العاطفة الصهيونية إلى مشروع عملي واجب التنفيذ، وكان اليهود في أثناء عيشهم في أحياء "الغيتو" محافظين على عنصريتهم اليهودية دون الاندماج في المجتمعات، فهيأ لهم ذلك أن يظلوا شديدي الالتصاق بكتبهم المقدسة وبكهنتهم ، فاكتمل تعصبهم الديني ، واختمرت مقومات الصهيونية الحديثة ، وبدأت خيالاتهم في السيطرة على العالم تنتظر من يترجمها واقعا ملموسا[2].

ونتيجة لذلك تعددت الآثار السيئة لعقيدة النفي والشتات، وإن كان الجامع لهذا الأثر هو نظرة اليهود للأمميين الأغيار، فلم يستطع اليهود التخلص من دائهم القديم ، وهو التعصب العنصري الذي لم يكتف بالقول بامتياز قومهم على غيرهم من الأمم

(١) انظر دراسات في الصهيونية وجذورها،د.سيد راشد، ٦١، دار المريخ، ط.١٤١٢.

(١) موسوعة تاريخ اليهودية،محمود شاكر، (٢٣٥)، دار أسامة، الأردن.

(٢) انظر دراسات في الصهيونية وجذورها، د.سيد راشد، (٦١/ ٦٤).

بالإيمان بالله وتوحيده ، بل قلبوا هذا إلى نيران حقد مشتعلة باستمرار ضد الأمم الأخرى مدعين أنهم يتربعون على القمة في ترتيب شعوب الأرض(١).

وعند بحثنا عن حقيقة عقيدة اليهود تجاه الأغيار وتصوره حق التصور، قد لا نجد أفضل من نص مقدس جاء في سفر إشعياء واصفا حال الشعب المختار وهو في المنفى والشتات: (١ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص ولم تثقل أذنه عن أن تسمع. ٢بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع. ٣لأن أيديكم قد تنجست بالدم وأصابعكم بالإثم. شفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر. ٤ليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق. يتكلون على الباطل ويتكلمون بالكذب. قد حبلوا بتعب وولدوا إثما. ٥فقسوا بيض أفعى ونسجوا خيوط العنكبوت. الآكل من بيضهم يموت والتي تكسر تخرج أفعى. ٦خيوطهم لا تصير ثوبا ولا يكتسون بأعمالهم. أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم في أيديهم. ٧أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الزكي. أفكارهم أفكار إثم. في طرقهم اغتصاب وسحق. ٨طريق السلام لم يعرفوه وليس في مسالكهم عدل. جعلوا لأنفسهم سبلا معوجة. كل من يسير فيها لا يعرف سلاما. ٩من أجل ذلك ابتعد الحق عنا ولم يدركنا العدل. ننتظر نورا فإذا ظلام. ضياء فنسير في ظلام دامس. ١٠نتلمس الحائط كعمي وكالذي بلا أعين نتجسس. قد عثرنا في الظهر كما في العتمة في الضباب كموتى. ١١نزأر كلنا كدبة وكحمام هدرا نهدر. ننتظر عدلا وليس هو وخلاصا فيبتعد عنا. ١٢لأن معاصينا كثرت أمامك وخطايانا تشهد علينا لأن معاصينا معنا وآثامنا نعرفها. ١٣تعدينا وكذبنا على الرب وحدنا من وراء إلهنا. تكلمنا بالظلم والمعصية. حبلنا ولهجنا من القلب بكلام الكذب. ١٤وقد ارتد الحق إلى الوراء والعدل يقف بعيدا. لأن الصدق سقط في الشارع

(١) انظر دراسات في الصهيونية وجذورها،د.سيد راشد، (٥٨).

والاستقامة لا تستطيع الدخول. ١٥وصار الصدق معدوما والحائد عن الشر يسلب. فرأى الرب وساء في عينيه أنه ليس عدل) [١].

ولم يشذ اليهود عن هذه الأوصاف التي وصفهم بها الرب، بل وزاد الأمر مع طول مدة النفي والشتات فكانت آثاره كثيرة متنوعة ومن أهمها إثارة وبث الفتن في أواسط الأمم التي يعيشون فيها، فقد قرر الباحثون أن الدور الذي قام به اليهود في بث روح الثورة وإنشاء الجمعيات السرية وإثارة الحركات الهدامة عظيم جدا، ومؤكد جدا، فهم دعاة الثورة، وقادة التقويض، وعنهم يقول الكاتب"برنارد لازار:(اليهودي يضطرم بروح ثوري، وهو داعية للثورة سواء شعر بذلك أو لم يشعر)، ومما يؤكد نسبة أكثر الحركات الهدامة السرية لليهود، أنه تظهر دائما في هذه ا لحركات آثار التعاليم اليهودية الفلسفية[١].

ويعترف اليهود بذلك، فقد ورد في مجلة الجامعة الإسرائيلية نص يؤكد هذا المعنى ، اقتطفه لويس داست فوضعه على غلاف كتاب عن " اليهود والجمعيات السرية" وفيما يلي هذا النص:

(نصادف في كل التغيرات الفكرية الكبرى تقريبا عملا يهوديا، سواء كان ظاهرا واضحا أو خفيا سريا، وعلى هذا فإن التاريخ اليهودي يمتد بامتداد التاريخ العالمي بجميع مجالاته، حيث تغلغل فيه بآلاف الدسائس)[٢].

ويقرر علماء الغرب أن حركات الهدم والحروب التي اجتاحت أوربا واشتعلت بها

---

(١) سفر إشعياء، أصحاح(٥٩).

(١) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة محمد عنان، (١١٦/ ١١٧)، نقلا عن مقارنة الأديان، اليهودية، د.أحمد شلبي،ص(٣٠٩)، بتصرف يسير.

(٢) مجلة الجامعة الإسرائيلية، ٢٦ يوليو سنة ١٩٠٧م، ٥٨٥، اليهود والجمعيات السرية لـ Louis Daste نقلا عن المصدر السابق أيضا.

مدى قرون ثلاثة لم تكن سوى أثر للجهود السرية التي تأكد أن اليهود يبذلونها منذ ظهور النصرانية في سبيل هدم المسيحية انتقاما لليهودية(١).

ولعل أبرز ما يؤكد إدانة علماء الغرب لليهود الوثائق السرية المسماة "بروتوكولات حكماء صهيون"(١)، والتي أكد فيها حكماؤهم طغيان سلطة الذهب على الحكام المتحررين، ومضي الزمن الذي كانت الديانة فيه هي الحاكمة، وأنه يكفي أن تعطى الشعوب الحكم الذاتي فترة وجيزة ، لكي تصبح هذه الشعوب رعايا بلا تمييز،فتبدأ المنازعات والاختلافات التي سرعان ما تتفاقم ، فتصير معارك اجتماعية ، وتندلع النيران في الدول ويزول أثرها كل زوال، وأنه سواء أنهكت هذه الدول الفتن الداخلية، أم أسلمت للحروب الأهلية أو إلى عدو خارجي ، فإنها في كلتا الحالتين تعد قد خربت نهائيا كل الخراب، وستقع في قبضتهم، ذلك لأنهم يملكون في أيديهم الذهب والمال الذي سيعد عودا لا مفر للحكام من التمسك والتعلق به وإن لم يفعلوا سيغرقون في لجة هذه الثورات والحروب لا محالة(٢). ويرى كثير من علماء المسلمين هذا الرأي فيما يتعلق بدعوات الهدم

---

(١) انظر المصدر السابق، (٣١٠).

(١) حاول بعض العلماء التشكيك في نسبة هذه البروتوكولات إلى اليهود، وثارت حول هذه المسألة تساؤلات كثيرة، ولعل الفاصل في المسألة، أن القرآن الكريم أيد ما ذهب إليه كل من نسبها إلى اليهود، فقد فضح نفسية اليهود وبينها أوضح بيان، وقد ذاق المسلمون على مر التاريخ من اليهود الأمرين، وبنفس أساليب المكر والتمويه، مما يؤكد صحة مذهب من نسبها إليهم.

(٢) انظر الخطر اليهودي أو بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة محمد خليفة التونسي، ١٠٤ وكامل الكتاب، دار الكتاب العربي، ط. السابعة. وانظر للمزيد من آثار عقيدة النفي والشتات بين الأمم والدور اليهودي المشبوه على مدى التاريخ على سبيل المثال: التاريخ اليهودي العام، صابر طعيمة،٦٠ وكامل الكتاب، دار الجيل، ط. الثالثة. أحجار على رقعة الشطرنج، وليم غاي كار، ترجمة سعيد جزائرلي، دار النفائس، ط. الثالث عشر، كامل الكتاب. حكومة العالم الخفية، شيريب وفيتش، دار النفائس، ط. العاشرة، كامل الكتاب. العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، د.سعد الدين السيد صالح، ٢١٠، دار التابعين، ط.الثانية. موسوعة تاريخ

ضد الإسلام منذ ظهوره، ولا سيما دعوة عبدالله بن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، والتي أسفرت عن التمهيد لأعظم حركات هدامة عرفها الإسلام، فحين سمع عن الخلافات التي بدأت تظهر في المسلمين، أخذ ينتقل من قطر إلى آخر، محاولا إضلالهم ببث الشبه الهدامة، و العقائد الفاسدة، بين الدهماء من الناس، وإذكاء الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان رضي الله عنه، بل وتطور الأمر إلى الوقيعة بين علي رضي الله عنه وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الذي أدى إلى إشعال الحرب التي وقعت بين الجيشين في موقعة الجمل[1].

ثم بدأت بعد ذلك الحركات الباطنية التي بذر بذورها الخبيثة تنمو شيئا فشيئا حتى جاءت دعوة ميمون بن ديصان القداح اليهودي وابنه عبدالله الذي ادعى النبوة ، وكان له نشاط واسع ودعاة منتشرون في فارس وأنحاء البصرة وخراسان، وكان هو نفسه ينتقل من مكان إلى آخر ، حتى وصلت دعوته إلى حمدان بن قرمط فتبناها فنمت وأثمرت حركة =

اليهود، محمود شاكر، ٢٣٥، دار أسامة، ط.الأولى. الصهيونية المسيحية، عبدالله الحسن، ٧٨ وما بعدها، مركز الدراسات الفلسطينية، ٧٨، ط. الأولى. اليهود ودولتهم، د.حمدي الطاهري، ١/ ٢٣٢ وما بعدها، مكتبة الآداب، ط.الأولى. الأهداف المعلنة والأسرار الخفية لأندية الروتاري والماسونية، محمد أمين، ٣٣ وما بعدها، دار الفكر العربي. دراسات في الصهيونية وجذورها، د.سيد راشد، ٥٨. اليهودي العالمي، هنري فورد، ترجمة بدر الرفاعي، ٢/ ٤١ وما بعدها، مكتبة الشروق الدولية، ط.الأولى. الجمعيات السرية، نورمان ماكنزي، ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم، ١٤٨ وما بعدها، دار الشروق، ط.الأولى. تاريخ الإمبراطورية العثمانية، وديع أبو زيدون، ٣٥١ ما بعدها، الأهلية للنشر والتوزيع، ط. الأولى. التطرف الإسرائيلي، طاهر شاش، ١٤ومابعدها، دار الشروق، ط.الأولى. حقيقة يهود الدونمة تركيا،د.هدى درويش، ٥ وما بعدها، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.ط الأولى. العنصرية اليهودية، د.أحمد الزغيبي، ٢/ ٥٩٣ وما بعدها، مكتبة العبيكان، ط.الأولى. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د.سعود الخلف، ٩٣ وما بعدها، مكتبة العلوم والحكم، ط.الأولى. الصهيونية وخطرها على البشرية، د.حمود الرحيلي، ٩٣ وما بعدها، دار العاصمة، ط. الأولى.

(١) انظر العنصرية اليهودية، د.أحمد الزغبي، (٢/ ٥٣٨).

القرامطة- العسكرية الدموية-، وكان عبدالله يدعو للإمام المستور من نسل إسماعيل بن جعفر ولما توفي خلفه بعد وفاته ابنه محمد بن عبدالله ، وبعد وفاة محمد حدث اختلاف حول من يلي الأمر بعده، وانتهى بأن تولى الأمر سعيد بن الحسن بن عبدالله، الذي تقمص شخصية عبيدالله المهدي وأطلقها على نفسه وادعى الانتساب إلى محمد بن إسماعيل، وانتقل من سلمية إلى اليمن ، ومنها إلى مصر وشمال أفريقية حيث سبقته الدعوة هناك ونجح في تأسيس الدولة الفاطمية العبيدية[1] التي تنسب نفسها لآل البيت بهتانا وزورا، وكانت تعمل سرا على بث الإلحاد والكفر لهدم الإسلام بتحريض وتعضيد من دعاة اليهود.

وقد سجل التاريخ الإسلامي بعض الحركات الدموية لليهود ومحاولات منهم للاستيلاء على بيت المقدس والعودة باليهود إلى أرض الموعد، ومن ذلك، حركة أبي عيسى" عوبديا" الأصفهاني، الذي ظهر في أصفهان في بلاد فارس في أواخر عهد الدولة الأموية وادعى أنه المسيا المنتظر، وأعد جيشا قوامه (١٠,٠٠٠) مقاتل، وتمكنت الدولة العباسية من القضاء على حركته وفر أبو عيسى ولم يقتل[2].

ومن ذلك أيضا حركة داود الرائي الذي ظهر في"آمد" في إقليم كردستان حوالي عام (٥٥٨هـ)، وادعى نفس الدعوى وأنه الماشيح، وثار معه كثير من يهود أذربيجان، وقاد جيشا من اليهود،ولكنه هزم وقتل من جملة من قتلوا في نفس المعركة[3].

وجاءت الفرصة مجددا لليهود مع بدايات العصر الحديث والحركة الإمبريالية الاستعمارية، وظهور التيارات الفكرية المختلفة، وتوافقت مصالح الصهيونية مع الدول الاستعمارية.

(١) انظر دراسة في تاريخ الفرق وتاريخ المسلمين"الخوارج والشيعة"،د.أحمد جلي،(٢٧٠).

(٢) انظر الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه.د.حسن ظاظا، (٢٤٤)، دار القلم، ط. الثالثة، ومقارنة الأديان، د.أحمد شلبي،(٢٢٤).

(٣) انظر الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه.د.حسن ظاظا،(١١٦)، دار القلم، ط. الثالثة.

وقد أفرزت عقيدة النفي والشتات عدة مصطلحات منها ما يلي:

– إحساس اليهودي الدائم بالنفي الأزلي ورغبته الثابتة في العودة: وهي عبارة تبلور النموذج الكامن وراء كثير من الدراسات التي تتناول الجماعات اليهودية في العالم، إذ يتم رصد أعضاء الجماعات اليهودية وتحركاتهم وكأن عندهم إحساسا بالنفي الأزلي ورغبة دائمة في العودة، وكأن هذا الإحساس وهذه الرغبة هما جزء من جوهر يهودي ثابت ومن المكونات الأساسية لطبيعة اليهود البشرية.

واليهودي حسب هذا النموذج التفسيري هو غريب ينتقل من مكان لآخر (ومن هنا صورة اليهودي المتجول)، الذي يحس بأنه في المنفى، ومن ثم فعنده رغبة عارمة دائمة في إنهاء حالة النفي هذه والعودة إلى « وطنه الأصلي » فلسطين.

ولذا أصبحت عبارات مثل «المنفى» و«الشتات» و«الدياسبورا» و«العودة»كلمات متواترة مألوفة في الأدبيات الخاصة باليهود واليهودية ، وتم تطبيعها تماما، وكأنها مجرد وصف موضوعي ومحايد لأعضاء الجماعات اليهودية ولسلوكه.

– **المنفى والعودة**: تشير كلمة «جالوت»، أو «جولا» إلى المنفى،والمنفى القهري بالذات خارج إرتس يسرائيل أي فلسطين (مقابل المنفى الطوعي أي«تيفوتسوت»)، ولذا فهي تترجم عادة إلى العربية بكلمة «المنفى».

كما تستخدم كلمة «دياسبورا» أي «الشتات» للإشارة إلى الجماعات اليهودية التي تعيش مشتتة بين الشعوب الأخرى. وأحيانا تستخدم كلمة «دياسبورا» بشكل محايد بحيث تعني «الانتشار»بوصفه ظاهرة إنسانية عادية طبيعية. ويستخدم اليهود الإصلاحيون والاندماجيون المصطلح بهذا المعنى. وفي اللغة العربية، تستخدم كلمتا «الشتات» و«المهجر» للإشارة إلى المكان الذي هاجر إليه اليهود أو هجروا إليه. وتعني الكلمات السابقة «المنفى» و«الدياسبورا» و«الشتات» و«المهجر») وجود أعضاء الجماعات اليهودية المؤقت خارج إرتس يسرائيل (أي فلسطين) حتى تتحقق لهم الحالة الأصلية

العادية والطبيعية بعودتهم إليها أما العودة فيشار إليها في المصطلح الديني بكلمة «تشوفاه» (بمعنى التوبة أيضا، على عكس «حزره» وهي عودة بالمعنى الدنيوي)، كما توجد عبارة «كيبوتس جاليوت» أي «تجميع المنفيين».

- **المنفى القسري** (الجالوت أواجولا): «المنفى القسري» ترجمة للكلمة العبرية «الجالوت» أو«الجولا»، وهي مقابل كلمة «تيفوتسوت» أو «المنفى الطوعي». وكلمة «جالوت» ترجمة عبرية غير دقيقة لكلمة «دياسبورا» ذات المعنى المحايد إلى حد ما، فهي تعني كلا من التشتت والانتشار. والانتشار يمكن أن يكون تلقائيا ويمكن كذلك أن يكون إراديا، أما «الجالوت» فليس كذلك بل حالة يخضع لها الإنسان وتفرض عليه فرضا.

- **المنفى الطوعي** (تيفوتسوت): المنفى الطوعي» ترجمة للكلمة العبرية «تيفوتسوت» المشتقة من فعل «هفيتس»، بمعنى «نثر» أو «بعثر» أو «فرق»، وهي مقابل كلمة «جالوت»، أي «المنفى القسري»، وهما المقابل العبري غير الدقيق لكلمة «دياسبورا» اليونانية. فكلمة «دياسبورا» محايدة نوعا، وتصف واقعا قائما، أي انتشار بعض الجماعات اليونانية خارج اليونان في مدن حوض البحر الأبيض المتوسط، وهو انتشار لم يتم قسرا. أما «تيفوتسوت» و«الجالوت» فهما يدخلان في الاعتبار عنصر الإرادة والحالة العقلية. وعلى أية حال، فإن كلمة «تيفوتسوت» أقرب في المعنى إلى كلمة «دياسبورا»

- **تجميـــع المنفـــين**: وهو مصطلح ديني تبنته الصهيونية يشير إلى فكرة عودة كل أعضاء الجماعات اليهودية المنفيين أو المنتشرين في أنحاء العالم إلى فلسطين وتجميعهم هناك. لكن تجميع المنفيين (حسب التصور اليهودي الأرثوذكسي التقليدي) هو مثل أعلى ديني لا يتحقق إلا بعد عودة الماشيح كما لا يتحقق إلا بإرادة الإله، وعلى المؤمن أن ينتظر بصبر وأناة إلى أن يأذن الإله بذلك. ولكن الصهيونية، كعادتها، فهمت الفكرة فهما حرفيا وجعلتها أساس عقيدتها السياسية، وجعلت من واجب اليهودي ألا ينتظر الإرادة الإلهية

بل يعمل من أجل هذا الهدف بنفسه، وهو ما يسمى «التعجيل بالنهاية». وأصبحت العبارة تعني استيطان اليهود في فلسطين إسرائيل. ورغم كل المحاولات الصهيوينة الدائبة، لم يتحقق هذا الهدف حتى الآن، إذ تظل غالبية من يقال لهم المنفيين من أعضاء الشعب اليهودي لا تشعر بحالة النفي الافتراضية. ومن ثم، فإنهم يؤثرون البقاء في أوطانهم على العودة إلى أرض الميعاد.

– **الشتات السامري أو انتشار السامريين**: يشار إلى «الشتات السامري» أحيانا بمصطلح «الدياسبورا السامرية». ويتمثل الشتات السامري في واقعة هجرة بعض السامريين من فلسطين وانتشارهم في مدن وبلاد مختلفة واستيطانهم فيها بشكل نهائي ودائم، ثم تأسيس جماعات سامرية مختلفة، وقد تأسست جماعات سامرية في كل من: سالونيكا وروما وحلب ودمشق وغزة وعسقلان ومصر. وقد بدأ انتشار السامريين من فلسطين مع الفتح اليوناني للمنطقة في عام ٣٢٣ ق.م.

– **الشتات الخزري أو انتشار يهود الخزر**:وهي عبارة تستخدم للإشارة إلى شتات أو هجرة سكان إمبراطورية الخزر اليهودية منها بعد سقوطها إلى أماكن متفرقة من أهمها المجر ثم بولندا. وثمة نظرية تذهب إلى أن تزايد عدد يهود بولندا ابتداء من القرن الثاني عشر لا يعود إلى هجرة يهود أوربا إليها أثناء حروب الفرنجة، كما تقول معظم الدراسات التاريخية، وإنما يعود إلى الشتات الخزري واستيطان بقايا يهود الخزر فيها. ولو صدقت هذه المقولة، فإن أصل معظم يهود العالم خزري تركي وليس ساميا. وعلى كل، لم تعد هذه نقطة مهمة في الأدبيات الصهيونية، باعتبار أن الصهاينة يؤسسون نظريتهم في الحقوق لا على أساس عرقي وإنما على أساس إثني وعلى أساس الأمر الواقع، الإرهاب والقوة.

– **التعجيل بالنهاية**: ومعناها الضغط على الإله لإجبار الماشيح على المجيء»، ويشار إلى المعجلين بالنهاية على أنهم «دوحاكي هاكتس». فاليهودية الحاخامية، في أحد جوانبها، تؤمن بأن العودة إلى أرض الميعاد ستتم في الوقت الذي يحدده الإله وبالطريقة التي

يقررها، وأن العودة ليست فعلا يحدث بمشيئة البشر. وقد جاء في التلمود (سفر الكتبوت): "لا تعودوا ولا تحاولوا أن ترغموا الإله. وقد اتهم الحاخامات الصهيونية بأنها تسعى إلى التعجيل بالنهاية وتحدي مشيئة الإله. والصهيونية ذاتها واعية بأن موقفها من العودة مختلف عن الموقف الديني التقليدي الذي انتقده بن جوريون ووصفه بالسلبية والاتكالية.

- **بداية الخلاص**: وهي محاولة تستهدف تجاوز المفهوم التلمودي الذي يحرم على اليهود العودة إلى أرض الميعاد، ويفرض عليهم انتظار وصول الماشيح بمشيئة الإله. وقد وصف من يحاول أن يأخذ الأمور في يديه بأنه يستعجل النهاية (دوحاكي هاكتس). وقد كانت متتالية الخلاص كما يلي: نفي ـ انتظار ـ عودة الماشيح ـ عودة اليهود معه أو تحت قيادته.

ويتواتر في الكتب الدينية الحديث عن العودة وعن الحنين إلى صهيون وعن البكاء من أجلها. ومع هذا، طالب إرميا المنفيين بأن يبنوا بيوتهم ويزرعوا حدائقهم ويستقروا في وطنهم الجديد، ففي سلامته سلامتهم (إرميا ٢٩/ ٧ وما بعده).

ولكن كلمة «بابل»أصبحت تحمل إيحاءات أخرى، ذلك أن كثيرا من المنفيين رفضوا العودة واستعذبوا الحياة في بابل. ومن ثم، فإن الأدبيات الصهيونية تشير إلى الولايات المتحدة باعتبارها بابل(أو قدور اللحم الشهية)، كما يشار إلى اليهود الذين يؤثرون الحياة خارج فلسطين على الاستيطان فيها بأنهم سكان بابل.

ونجد أيضا أن الشخيناه- التجسيد الأنثوي للإله- قد نفيت مع الشعب خارج الأرض المقدسة، ولم يبق منها إلا جزء في حائط المبكى يذرف الدموع كل عام في ذكرى خراب أو هدم الهيكل[١].

(١) انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د.عبدالوهاب المسيري، (٤/ ١٩٠).

وبدأت تظهر بقوة في صفوف المسيحيين البروتستانت تفسيرات حرفية للعهد القديم؛ فترك ذلك أثرا عميقا في الجماعات اليهودية في أوربا، وبدأت تظهر حركات مشيحانية في أوساطهم تهدف إلى تحويل فكرة العودة من تطلع ديني لا يمكن أن يقوم إلا بعد مجيء الماشيح إلى عودة فعلية، أو محاولة الضغط على الإله لإجبار الماشيح على القدوم[1]، وأضحى التعبير القديم عن الحنين إلى أرض الموعد و المركوز في نفوسهم ممهدا للصهيونية السياسية الحديثة ، وقام هرتسل بتحويل الحركة الصهيونية من حركة فكرية إلى حركة سياسية بإرساء منهجها العام سنة ١٨٩٦م في كتابه الشهير "الدولة اليهودية"، وصور هذه الدولة وسخرها للوصول إلى خدمة أغراضه السياسية وأهدافه القومية، فكانت صهيونية القرن العشرين استمرارا لتلك العقدة القديمة في الواقع النفسي اليهودي، التي نشأت في عصور الشتات وما عانوا فيه من الاضطهاد من أعدائهم، فكان دأب مفكريهم الأول هو زرع الأمل في أولئك البائسين[2]، ولكن يبدو أن قادة الصهيونية الحديثة لم يقرأوا إلا النصوص العدوانية والعنصرية في كتبهم الدينية، التي اختارها لهم كهنتهم فانتفخوا وطغوا[3].

وقد بينت نصوص العهد القديم أن أنبياء بني إسرائيل تحدثوا عن العودة إلى أرض الموعد وأن الرب لن يتخلى عن شعبه في المستقبل ، وأنه سيرسل المسيا أو الماشيح ليقيم ملك داود على أرض الإرث والعهد التي وعد آباءه بها ، فالنبي إليا[4] (النصف الأول من

---

(١) انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د.عبدالوهاب المسيري، (٤/ ١٩٠).

(٢) ومن هنا ولدت الصراعات الفكرية والقومية عند مفكري الصهيونية ذوي الاتجاهات المختلفة.

(٣) انظر دراسات في الصهيونية وجذورها،د.سيد راشد، (٥٨).

(٤) إلياهو أو «إليا») اسم عبري معناه «إلهي هو يهوه»، والصيغة اليونانية للاسم هي «إلياس» التي تستعمل أحيانا في العربية. وإلياهو نبي في المملكة الشمالية أثناء حكم كل من أخاب وأحازيا. جاء أصلا من جلعاد. ويمكن اعتباره أول الأنبياء الكبار. كان يعمل راعي أغنام، وسعى إلى استرجاع العبادة الأصلية ليهوه، وخصوصا بعد أن قامت إيزابيل بإدخال عبادة بعل، فعارض البلاط الملكي دعوته لأسباب سياسية، بل شجع عبادات =

القرن التاسع ق.م)- على سبيل المثال - لم يمت وإنما صعد إلى السماء في عربة نارية تجرها خيول نارية، وهو يعد المبشر بالماشيح وأهم علامة مؤكدة تبشر بمقدمه، وسينفخ في البوق (الشوفار) معلنا قدومه، وسيلعب دورا أساسيا في العصر المشيحاني، فسيقوم بتطهير النفوس مما علق بها من فساد ويهيئ اليهود لهذا العصر، وهو كذلك سيضع الحلول لجميع المشاكل، وسيجلو الغموض الذي يتعلق بالدين والقضاء والشريعة، كما سيقوم ببعث الموتى[1].

وبعد أن هزم قورش الأخميني بابل، سمح لليهود بالعودة (٥٣٨ ق.م)، ولذا تحول قورش عند اليهود إلى المخلص بل والماشيح، وبشر كل من أشعياء الثاني وحجاي بالعودة، وقد عاد الاثنان بالفعل واشتركا في عملية إعادة تشييد الهيكل بناء على أمر قورش.

ونجد أن النبي أشعياء[2]- حوالي(٧٣٤ـ٦٨٠ ق٠م) - أيضا بدأ من الأصحاح

=

الشعوب المجاورة. واضطر إليا إلى الهرب، ولجأ إلى الصحراء، ولكنه قاد الشعب، وذبح كهنة بعل. ومن المعروف أن ثورة إليا التوحيدية كانت ثورة ضد الظلم الاجتماعي أيضا. وقد انضم إليه في دعوته صديقه النبي إليشع. وفي احتفالات عيد الفصح، تصب له كأس، ويعد له كرسي عند احتفالات الختان يسمى «كرسي إليا». ويأخذ إليا في الوجدان الشعبي اليهودي في شرق أوربا هيئة النبي الجوال على الأرض الذي لا يعرف شخصيته أحد، يرتدي ملابس بدوي، ويقدم العون في لحظات الخطر والضيق، ويظهر للمتصوفة والعلماء ليعلمهم الحقائق الخفية. وقد وردت قصة إليا في سفر الملوك الأول (الإصحاحان ١٦- ١٩)،(وفي سفر الملوك الثاني (الإصحاحات ١ - ٢).

(١) موسوعة اليهود واليهودية، د. المسيري، (٥/ ١١٧).

(٢) أشعياء أو يشعياهو اسم عبري معناه الإله يخلص، وأشعياء اسم نبي من أهم أنبياء اليهود، بل هو أعظم أنبياء العهد القديم قاطبة. كان من أسرة نبيلة، أو ربما من دم ملكي، كما كان ذا ثروة طائلة. ولذا، كان أشعياء مقربا من البلاط الملكي. ويقال إن منسى أعدمه. ويشكل صعود القوة الآشورية، التي تهددت العبرانيين القدامى، الخلفية التاريخية لنبوءات أشعياء. وربما كان أهم حدثين تاريخيين في نبوءات أشعياء هما: الأول رفض آحاز

=

(٤٠) إلى (٦٦) ينشغل بما هو فوق التاريخ والزمن ،وخصص نبوته ليتكلم عن سر دعوة إسرائيل وسر رفضها وسر خلاص الأمم ، وسر المجيء الثاني للرب وسر النهاية، وكل الأسرار تعلو فوق الزمن في حركات السماء[1].

وكان أشعياء يرى يد الإله وراء كل الحوادث التاريخية، فكان يؤكد أن آشور هي أداة عقابه (١٠/ ٥)، وأن شعب الإله يجب ألا يثق إلا به، وألا يعتمد إلا عليه، فالإله وحده هو سند الشعب، وقد أكد أن الخلاص لا يتأتى إلا بتنفيذ مطالب الإله الأخلاقية، فالشفقة والبر بالفقراء أكثر أهمية عند الإله من تقديم القرابين.

وقد أعلن أشعياء بوضوح أن للعالم كله إلها واحدا، الإله الحي الحقيقي الذي ستعترف به كل الأمم في النهاية، ويعود الجميع إليه، ويتوحدون فيما بينهم «وفي ذلك اليوم تكون سكة من مصر إلى آشور فيجيء الآشوريون إلى مصر والمصريون إلى آشور ويعبد المصريون مع الآشوريين، في ذلك اليوم يكون يسرائيل ثلثا لمصر ولآشور بركة في الأرض. بها يبارك رب الجنود قائلا: مبارك شعبي مصر وعمل يدي آشور وميراثي يسرائيل» (١٩/ ٢٣ ـ ٢٥). ثم تصل الأمور ذروتها في آخر الأيام حين تتوقف الحروب ويأتي الماشيح ملكا من نسل داود.

= ملك المملكة الجنوبية الانضمام إلى ملوك المملكة الشمالية في الحلف المضاد لآشور، وقد أيد أشعياء هذه السياسة المحايدة.

والثاني أن حزقيال (ملك المملكة الجنوبية) تحدى آشور، وقد أدى هذا إلى حصار القدس. وحتى عندما انسحب الجيش الآشوري فجأة (٧٠١ ق.م)، استمر أشعياء في التحذير من المصير النهائي. وقد كان حسه التاريخي والسياسي دقيقا إذ تنبأ بامتداد سلطان الآشوريين على الشرق الأدنى، ورأى في المستقبل البعيد الخطر المحدق من قبل بابل على المملكة الجنوبية، وعارض اعتمادها على مصر وتعاونها معها ضد آشور. انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،د.المسيري، (٥/ ١٩٠).

(١) النبوة والأنبياء في العهد القديم، الأب متى المسكين، (١٨٢)، دير القديس أنبا مقار، ط. الأولى.

وفي السفر المسمى باسمه يتحدث أشعياء عن العذراء التي ستحمل وتلد ابنا اسمه عمانوئيل (٧/ ١٤)، وعن حلم السلام العام تحت رئاسة «أمير السلام»، فتعم سلطته العالم، ويطبع الناس سيوفهم سككا ورماحهم مناجل ويسكن الذئب مع الحمل[١].

وكذلك النبي ميخا[٢]-حوالي ٧٣٠-٧٠١ ق٠م - كان أول من أنذر بدمار البلد والنفي إلى بابل (٣/ ١٢)، كما تنبأ بملك من نسل داود سيأتي بالخير للعالم، وبذلك تتضح النزعتان العالمية والقومية في نبوءاته[٣].

وكذلك النبي صفنياه[٤] -حوالي ٦٣٠ ق.م - كانت نبوءاته ذات طابع أخروي، فهو يصف يوم الإله، وكيف سيعاقب الأشرار. ويؤكد في سفره أن الفقراء سيرثون الأرض، وأن كل الأمم ستعود إلى الإله وستعتمد عليه بقية جماعة يسرائيل وتصبح مقدسة، فسيجمعهم ويصيرهم تسبيحة في الأرض كلها، ويحكم وسطهم ملكا في وسط شعبه[٥].

وكذلك النبي إرميا[٦]- حوالي ٦٢٦- ٥٨٦ ق.م- تنبأ بالعهد الجديد، حين يكون

(١) انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د.المسيري، (٥/ ١٩٠).

(٢) «ميخا»: اسم عبري معناه: «من مثل يهوه». وميخا نبي من المملكة الجنوبية من أصل فلاحي، نشر تعاليمه بين عامي ٧٣٠ و٧٢٢ ق.م، وكان معاصرا لإشعياء، كما كان يشبهه في أسلوبه ونهج كتابته. وقد دافع ميخا عن الفقراء، وتحدث عن الشعب واضطهاد الطبقات الحاكمة له، انظر المرجع السابق (٣/ ١ - ٣).

(٣) انظر موسوعة اليهود واليهودية ، د. المسيري، (٥/ ١١٩).

(٤) صفنياه اسم عبري معناه «يهوه يستر» أو «يهوه يكنز». وصفنياه نبي من أسرة نبيلة في المملكة الجنوبية. تنبأ في السنين الأولى من حكم يوشيا. المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق، (٥/ ١٢٠)، وانظر النبوة والأنبياء ، متى المسكين،ص (٣٥١).

(٦) «إرميا» أو «إيرمياهو»، وهي عبارة عبرية تعني «الإله يؤسس» أو «الإله يثبت» أو «الإله يعلي». وإرميا ثاني الأنبياء الكبار، وكان من أسرة من الكهنة ناصبته العداء بسبب موقفه. بدأ في التنبؤ عام ٦٢٧ ق.م أثناء ملك يوشيا، فأعلن أن القدس ستسقط في يد البابليين، وحذر من الثورة ضدها. وقد اتهمه الكهنة بمحاولة الانضمام إلى العدو وسجنوه في قبو ليموت جوعا، ولكن الملك رأف بحاله ونقله إلى سجن آخر وقدم له فيه =

للشعب قلب جديد، وتكتب شريعة الرب في هذا القلب (٢٤/ ٧)، وتنبأ أيضا عن استعادة أرض الموعد وتوصيف اليهود الراجعين بعمل رمزي (٣٢ : ١-٤٤)[(١)].

وأما النبي دانيال[(٢)]-حوالي ٦٠٥ـ٥٣٧ ق٠م- فقد اعتبرت نبوءآته أصلا لمقدم

=

الطعام. وظل إرميا على هذه الحال إلى أن سقطت القدس في يد البابليين على يد نبوختنصر، وتحولت بعدها الدولة الجنوبية إلى دويلة تابعة. وبعد سقوط القدس، قام الموظفون البابليون بحمايته، بسبب موقفه الممالئ لبابل. ولكن بعد مقتل جداليا، وبعد أن نال الذعر من الثوار العبرانيين، فر العبرانيون إلى مصر واضطر إرميا إلى الفرار معهم، حيث استمر في التنبؤ هناك. وكانت آخر نبوءاته أن اللعنة ستحل على يهود مصر لعبادتهم الأوثان (٤٣، ٤٤).

(١) انظر النبوة والأنبياء، الأب متى المسكين،(٢٢٠)، وانظر موسوعة اليهود واليهودية، د. المسيري، (٥/ ١٢٠).

(٢) «دانيال» كلمة عبرية معناها «الإله قضى». ودانيال أحد الأنبياء الأربعة الكبار. كان دانيال من عائلة شريفة، ويظن أنه ولد في القدس. والسفر المسمى باسمه ينقسم إلى قسمين، يضم القسم الأول والمعروف باسم دانيال (الإصحاحات من ١ إلى ٦)، وتضم ست قصص عن محن دانيال وانتصاراته هو ورفاقه الثلاثة. وقد جاء في هذا القسم أن دانيال ورفاقه جاءوا إلى بابل بأمر من نبوختنصر، فتعلموا الكلدانية، وأبوا أن يأكلوا من طعام الملك أو أن يشربوا من خمره حتى لا يتنجسوا. ومع هذا، وجدهم الملك عند نهاية فترة التعليم أكثر ذكاء وبهاء من الآخرين. وقد فسر دانيال حلما لنبوختنصر، وسر الملك بتفسيره، وعينه ورفاقه مديرين لكل مقاطعة بابل. وكان الملك قد طلب إليهم أن يسجدوا للتمثال الذي نصبه، وحينما رفضوا ألقى برفاق دانيال الثلاثة في النار، ولكنهم لم يلحق بهم أي أذى، فعبر الملك عن إعجابه بإله اليهود. وقد فسر دانيال حلم الملك عن الشجرة العظيمة التي قطعت، وأخيرا فسر الكتابة على الحائط في الوليمة التي أقامها بيلشاصر، والتي كان ينوي أن يستخدم فيها الأوعية التي أحضرها البابليون من الهيكل، وأخبره دانيال بأن نهايته قد دنت. وبعد ذلك رفعه دارا الميدي إلى أسمى المناصب فأثار هذا حسد أعدائه فكادوا له، وألقي به فيجب الأسود ولكن الإله نجاه.

أما القسم الثاني (دانيال)فيضم الإصحاحات من ٧ إلى١٢. وهنا تتغير شخصية دانيال، ويتحول من حكيم يفسر الأحلام، والإشارات للملوك، ومن وزير يقع ضحية دس منافسيه إلى صاحب رؤى (أبوكاليبس). فدانيال هو نفسه الذي يرى الأحلام المفزعة هذه المرة، ويقوم ملاك بتفسيرها له. أما الرؤيا الأولى، فهي تمثل قوى العالم الأربع العظمى الطاغية (بابل ميديا وفارس واليونان) على شكل أربعة حيوانات، ثم تزول هذه القوى وتسود من بعدها "مملكة شعب قديس العلا"، أي اليهود.

=

=

أما الرؤيا الثانية، فيرى فيها القوة التي يمثلها تيس المعز الذي له قرن كبير ينكسر وينبت بدلا منه أربعة قرون أخرى (الإمبراطورية اليونانية تحت حكم الإسكندر ثم خلفائه من بعده)، وينبت قرن أصغر (وهو أنطيوخوس إبيفانيس)، ويحارب تيس المعز ضد كبش له قرنان أحدهما أطول من الآخر (الأسرة المالكة الإيرانية: الميديون والفرس).

أما الرؤيا الثالثة، فهي رسالة حملها إلى دانيال الملك جبرائيل تتعلق بالمملكة المشيحانية التي ستأتي بعد تسعة وأربعين عاما، بعد أن يكفر اليهود عن خطاياهم.

أما الرؤيا الرابعة، وهي أطول الرؤى، فتأخذ شكل رسائل من الإله تؤكد محبته للمؤمنين الأمناء في شعبه، وهي تخبره عما سيحدث من وقت السفر الافتراضي (ثالث عام من حكم قورش) حتى خلاص جماعة يسرائيل. فسيأتي بعد قورش ثلاثة ملوك فرس، ولكن اليونان سيحلون مكانهم، أولهم ملك عظيم (الإسكندر الأكبر). ثم يستمر السفر في سرد تفاصيل الحروب والزيجات الملكية المختلفة بين ملوك الممالك اليونانية، إلى أن يصل إلى التدخل الروماني الذي اضطر أنطيوخوس الرابع (إيبفانيس) إلى الانسحاب من مصر عام ١٦٨ ق.م، ثم اضطهاده لليهودية. ويتناول بقية السفر ما سيحدث بعد ذلك.

والجزء الثاني من سفر دانيال يعد من كتب الرؤى (أبوكاليبس)، والتي تختلف اختلافا جوهريا عن كتب الأنبياء. فبينما تركز كتب الرؤى على تفسير التاريخ تفسيرا عجائبيا غير أخلاقي، حيث يأتي الخلاص ويصبح كل ما يحدث في التاريخ الإنساني مصيرا محتوما، تركز كتب الأنبياء على الخلاص التدريجي،ومن خلال الإرادة الإنسانية. وقد أصبح السفر أساسا لكثير من التأملات الرؤياوية والصوفية، وخصوصا تلك المتعلقة بحسابات مقدم الماشيح. والواقع أن هذا السفر في عداد القسم المسمى بالكتب في العهد القديم، وقد كتب بعضه بالعبرية وبعضه بالآرامية. وكان بعض الباحثين يرى أن هذا السفر كتبه علماء المجمع الكبير. ولكن معظم العلماء يرون الآن أن الجزء الأكبر كتب عام ٣٠٠ ق.م، أما الثاني، فكتب في عهد أنطيوخوس الرابع في وقت كانت اليهودية تتعرض فيه للاضطهاد الشديد على يد هذا الحاكم السلوقي، ولذا فإن رسالة الأمل التي يحملها السفر مناسبة للعصر. وسفر دانيال أول سفر ترد فيه إشارة صريحة وواضحة إلى حياة ما بعد الموت والبعث، وهي حياة مقصورة على كل من الأخيار والموغلين في الشر (١٢/ ٢). وترد في السفر أيضا إشارات عديدة إلى الملائكة، وأن لكل أمة ملاكها، وميخائيل هو ملاك جماعة يسرائيل. ويقال إن شخصية دانيال رسمت على طراز «دانيال» الذي أشير إليه في حزقيال (١٤/ ١٣ ـ١٤)، وهو شخص معروف بحكمته، يظهر في بعض النصوص الأوجاريتية. ويثير سفر دانيال كثيرا من الجدل، فهو أولا لا يرد

=

الماشيح الذي ينتظره اليهود ليعود بهم إلى أرض الموعد[1].

وأما النبي حزقيال[2]-حوالي ٥٩٣-٥٧٠ق.م- فقد تصور التاريخ الإسرائيلي منذ الاختيار مارا بأربعة مراحل تشتمل كل مرحلة على أربعة أفعال أساسية : الوحي الإلهي – المعصية الإسرائيلية – الغضب الإلهي – العفو الإلهي القائم على الرغبة الإلهية في حفظ الاسم الإلهي طاهرا بين الأمم[3].

=

ضمن كتب الأنبياء في النسخة العبرية من العهد القديم، وإنما يرد ضمن كتب الحكمة. أما الترجمة السبعينية، فتورده في القسم الخاص بالأنبياء، ولعل هذا يعود إلى أن نص السفر كتب متأخرا كما أنه كتب بالعبرية والآرامية. وقد اقتبس كتاب «رؤيا يوحنا اللاهوتي» كثيرا من أفكار وتصويرات ورؤى سفر دانيال عن الممالك الكونية وسقوطها. ويمثل سفر دانيال المعين الذي لا ينضب لتفسيرات كنائس تسمى: كنائس السبتيين المسيحية (الأدفنتست) الذين يتبنون رؤيته للتاريخ الكوني. انظر موسوعة اليهود واليهودية، د. المسيري، (٥/ ١٢١).

(١) انظر النبوة والأنبياء، الأب متى المسكين،(٢٣٩)، وانظر لقراءة نبوءاته قراءة شرعية إسلامية ، يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب، د.سفر الحوالي، (٦٩).

(٢) «حزقيال» أو «يحزقئيل» كلمة عبرية معناها «الإله يقوي». وحزقيال نبي من أسرة صادوق الكهنوتية ومن قبيلة إفرايم، وهو معاصر لإرميا، وقد كان على دراية تامة بتعاليمه وصوره المجازية الإيضاحية. أطلق حزقيال نبوءاته في القدس، ثم في بابل حيث هجر مع اليهود الذين هجروا إلى هناك، واستمر في التنبؤ لسنوات طويلة (٥٩٣ ـ ٥٧٠ق.م). ويبدو أنه نفي قبل التدمير النهائي للقدس (٥٨٦ ق.م)، فقد تنبأ بدمارها، وألقى باللوم على اليهود الذين بقوا في المملكة الجنوبية لاتباعهم طرق الشر، ولثقتهم البالغة في نجاتهم من التهجير البابلي. وقد استخدم حزقيال «الزنى» كصورة مجازية، وهي الصورة التي استخدمها هوشع من قبل، ولكنه طورها. كما أنه كان يرى أن تاريخ الشعب كله، منذ الخروج، تاريخ عصيان (٢٠/ ١ ـ ٣٨). ويتميز حزقيال بتأكيده المسئولية الفردية بشكل أوضح (١٨، ٣٣/ ١ ـ ٢٠)، وسفر حزقيال ثالث الأسفار في كتب الأنبياء العظام، وهو مكتوب بضمير المتكلم، وأسلوبه شعري ويحوي صورا مجازية ورموزا عديدة. انظر موسوعة اليهود واليهودية، د. المسيري،(٥/ ١٢٢).

(٣) ظاهرة النبوة الإسرائيلية،د.محمد خليفة أحمد، ٢٦٨، دار الزهراء،١٩٩١.

فبعد تحطيم القدس أدخل العزاء على قلب المتقين برؤى الخلاص ونبوءات الخراب التي ستلحق بالأغيار. وقد فسر حزقيال الغرض الإلهي من شتات اليهود بأنه نشر العدالة في العالم، وبشر بفكرة أورشليم المستقبل حينما يغفر الإله للشعب. وبين لهم أن خطايا الجيل السابق لا تمنع الجيل الحالي من أن يقرر إن شاء العودة إلى الإله. وثمة أمل في أن يعود الشعب إلى أرضه، ليعيش في سلام وطمأنينة يسوس أموره حكامه، ويكون الإله هو راعيه الصالح. وسيقوم الشعب ببناء الهيكل الجديد. ويبشر حزقيال كذلك بطبيعة الشعب التي ستخلق من جديد، فجماعة الإله الجديدة هي موضوع رجاء شعبه (٣٦/ ٢٤ -٣٠)[١].

ويتضح أثر عقيدة النفي والشتات في الحرب والسلام في اعتقادهم الجازم أنه لا تكون العودة إلى أرض الموعد إلا بالمسيا-الماشيح- المخلص الذي سيحرر اليهود من العبودية لمضطهديهم ، ويعيدهم من المنفى ، فيحكم بالشريعة، فيعم العدل ، ويسود السلم وتخصب الأرض[٢].

جاء في التلمود :(لما يأتي المسيح ، تطرح الأرض فطيرا وملابس من الصوف،وقمحا حبه بقدر كلاوي الثيران الكبيرة ، في ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود، وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له، وفي ذلك الوقت يكون لكل يهودي ألفان وثمان مئة عبد يخدمونه، وثلاث مئة وعشرة أكوان تحت سلطته.

ولكن لا يأتي المسيح إلا بعد القضاء على حكم الأشرار (الخارجين عن دين بني إسرائيل). ولذلك يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع امتلاك باقي الأمم في الأرض، كي تظل السلطة لليهود وحدهم، لأنه من الضروري أن تكون لهم السلطة أينما حلوا فإن

(١) انظر موسوعة اليهود واليهودية، د.المسيري،(٥/ ١٢٢).

(٢) حاشية الكنز المرصود في فضائح التلمود، تحقيق د.محمد الشرقاوي، (١٨٢).

لم يتيسر لهم ذلك اعتبروا منفيين وأسارى، وإذا تسلط غير اليهود على وطن اليهود حق لهؤلاء أن يندبوا عليه ،ويقولوا ياللعار وياللخراب.

ويستمر ضرب الذل والمسكنة على بني إسرائيل حتى ينتهي حكم الأجانب ، وقبل أن يحكم اليهود نهائيا باقي الأمم يجب أن تقوم الحرب على قدم وساق ، ويهلك ثلثا العالم ويبقى اليهود سبع سنوات متواليات يحرقون الأسلحة التي كسبوها بعد النصر.

وحينئذ تنبت أسنان أعداء بني إسرائيل خارج أفواههم، ويكون طولها اثنين وعشرين ذراعا.

ويعيش اليهود في حرب طاحنة مع باقي الشعوب في انتظار ذلك اليوم، وسيأتي المسيح الحقيقي ويحقق النصر المنتظر، ويقبل المسيح إذ ذاك هدايا جميع الشعوب ولكنه يرفض هدايا المسيحيين، وتكون الأمة اليهودية يومئذ في غاية الثراء ، لأنها تكون قد ملكت كل أموال العالم.

وقد ذكر في التلمود أن هذه الكنوز ستملأ بيوتا كبيرة لا يمكن حمل مفاتيحها وأقفالها إلا على ثلاث مئة حمار، وترى الناس كلهم حينئذ يدخلون في دين اليهود أفواجا، ويقبلون جميعا عدا المسيحيين، فإنهم يهلكون لأنهم من نسل الشيطان، ويتحقق أمل الأمة اليهودية بمجيء إسرائيل، وتكون هي الأمة المتسلطة على باقي الأمم عند مجيء المسيح)[1].

ويحذر التلمود–في سفر سنهدرين–الأمم من الوقوف في سبيل تجمع إسرائيل (ويل للأمة التي ستحاول عرقلة السبيل عندما يقوم الواحد القدوس تبارك اسمه بتحقيق

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود، د.روهلنج شارل لوران، ترجمة د. يوسف نصر الله، دراسة وتقديم، د.أحمد السقا، (١٣٣).

خلاص أبنائه ومن الذي يتجاسر على رمي ردائه، بين أسد ولبؤة أثناء جماعهما)[1].

وبذا يتضح أثر هذه العقيدة في نظرة اليهود لبقية الأمم، وهي ولاشك متممة لمجمل أثر عقائد اليهود على الحرب والسلام مع الأغيار، وسيأتي مزيد إيضاح عن طبيعة الحروب التي سيقودها المسيا مع الأمم والتي ستبدأ وتنطلق من بعد عودتهم من النفي والشتات إلى أرض الموعد.

* * *

(١) سبق تخريجه.

الفصل الثاني

الحرب والسلام عند النصارى

المبحث الأول: عقيدة الحرب والسلام في العهد الجديد

المبحث الثاني: أثر عقيدة الحرب والسلام في واقع النصارى النفسي والاجتماعي

المبحث الأول

عقيدة الحرب والسلام في العهد الجديد

تمهيـــد:

جاء الحديث عن الحرب والسلام في نصوص العهد الجديد حاملا التناقض -كعادته- معه في تحرير ما يجب على النصارى من اعتقاد تجاه الأمم الأخرى، فالمشهور عن عقيدة النصارى، أن المسيح جاء بالسلام ولم يجيء بالحرب، وأنه إله السلام و رئيس السلام وإله المحبة ، وأنه جاء بالتسامح مع الناس جميعا وأنه أمر بمحبة الأعداء.

وبالرغم من وجود النصوص الدالة في ظاهرها على أن دعوة المسيح دعوة سلام وتسامح مع الأمم-كما سيأتي-، إلا أنه توجد نصوص أخرى-مقدسة- تدعوا إلى الحروب معهم أيضا، وتدعو إلى الانقسام والقطيعة بين الأهل والأقارب، وأن دعوة المسيح ما جاءت إلا بالسيف لإقامة دينونة الرب على الأمم .

وقد أدى هذا التناقض إلى اضطراب علماء النصارى عند تفسيرهم لهذه النصوص المقدسة التي تتحدث عن الحرب المقدسة التى دعى إليها المسيح الرب يسوع، وانتهى الأمر إلى اتجاهين-في الغالب-:

الأول منها: هو ا تخاذ المنهج الرمزي في تفسير النصوص الداعية إلى الحروب وقتل أعداء الرب وإقامة الدينونة عليهم، وأن الحرب التي جاء بها المسيح هي الحرب مع النفس والشهوات والشيطان، وكذلك النار التي جاء بها هي نار الحرب الروحية على المؤمنين بدعوته، وأجابوا عن الحروب التي قام بها النصارى في حملاتهم الصليبية المقدسة بأنها مخالفة لتعاليم المسيح.

إلا إنهم في نهاية مطاف التأويلات وقعوا في التناقضات و ظهر فيهم من يقرر وجود الحرب المقدسة والحرب العادلة المبررة، وهو منهج الفرق القديمة ومن أبرزها الكاثوليك والأرثوذكس.

وقد أدى إصرار بعض علماء النصارى على المنهج الرمزي في تفسير نصوص الكتاب المقدس إلى أن يجعلوا تحرير عقيدتهم وتقريرها أمرا مستحيلا؛ هو أقرب إلى السفسطة الإغريقية منه إلى التفسير لمراد ربهم يسوع، فهم يتخذون منهجا باطنيا فلسفيا لتفسير النصوص المقدسة ، وإخراج دلالة الألفاظ الواردة فيه عن المعنى الظاهر إلى معاني أخرى، بحجج عقلية خدعت جماهير الأمم النصرانية لدهور طويلة، فلم يجد علماؤهم من البابوات والأساقفة وبقية رجال الدين فيهم من سبيل لجعل السلطة العليا للكنيسة سوى احتكار فهم نصوص الكتاب المقدس وتفسيره عليهم[١].

---

(١) أرى أنه من المناسب في هذا المبحث أن نتطرق بشيء من الاختصار على مناهج التفسير وأصولها عند النصارى، حتى نستطيع الوقوف على حقيقة تفسير النصوص المتعلقة بالحرب والسلام في العهد الجديد، وحقيقة نفسية وطبيعة النصارى.

وأنقل فيما يلي تلخيصا واختصارا من كتاب "علم التفسير" للدكتور القس فهيم عزيز، ففيه نظرة مجملة جيدة لتاريخ علم التفسير وتطوره بحسب العقيدة النصرانية.

وهو يرى "ضرورة التمييز بين تاريخ علم التفسير كعلم مستقل له قواعده وقوانينه، وبين ظهور بعض المبادىء التفسيرية. فالأول بدأ سنة ١٥٦٧م عندما حاول فلاشيس اليريكوس أن يصيغ هذا الفن في طريقة علمية ليصبح علما له أصوله، أما المبادىء التفسيرية فقد ظهرت منذ بدء التاريخ المسيحي بل وقبل ذلك.

ولهذا السبب يجب ان نرجع إلى الوراء، إلى أصول المسيحية نفسها لنتتبع نمو هذا العلم. ولكن المسيحية لم تولد في فراغ أو من فراغ، بل جاء ت وسط وبعد اليهودية ، وأخذت عنها بعض المبادىء التفسيرية للكتاب المقدس...

وكان أغلب من كتبوا العهد الجديد من المسيحيين الذين لهم اصل يهودي، أي الذين نشأوا وتربوا يهودا وفي بيئة يهودية حتى تبعوا المسيح. وكانت عقيدتهم الراسخة هى أن تلك الأحداث التي مرت بهم ومروا فيها وغيرت حياتهم لم تكن دخيلة على العهد القديم بل كانت متأصلة فيه، بل كانت في الحقيقة إمتدادا للعهد القديم بطريقة =

خاصة، ولهذا ففي تبشيرهم وكتاباتهم عبروا عن هذا الرباط العضوي الذي يربط مضمون كرازتهم وإنجيلهم بالعهد القديم أو "المكتوب"، وكان أول من اتخذ هذه الخطوة يسوع نفسه ثم الرسول بولس وكاتب العبرانيين، وإنجيل متى وبقية كتاب العهد الجديد...

وقد يسلك يسوع نفسه في تفسيره لقصص العهد القديم مسلكا لم يعرفه معلم يهودي من قبل، فهم كانوا يفسرون القصة على أنها حدث تاريخي مضى وانتهى، قد يكون لهم فيها دروسا خاصة، أما يسوع فكان يجد فيها الحقائق الروحية الإلهية الثابتة، فمثلا : اعتبر اليهود قصة داود عندما جاع فأكل من خبز الوجوه الذي لا يحل أكله إلا للكهنة حادثة تاريخية انتهت ، أما يسوع فقد رأى فيها حرية الإنسان وقيمته التي تفوق حتى الوصايا والفرائض الإلهية (مرقس ٢: ٢٥-٢٨). وفي هذا التفسير يضع لنا السيد قاعدة هامة وهي أن التفسير الروحي ينبني على الحادثة التاريخية، وهو أعمق من التفسير الحرفي (متى ٩: ١٣، ١٢: ٧)...

ولكن قمة تفسير المسيح للناموس وتاجه ، الذي ما كان يخطر على بال أعظم معلمي الناموس من قبله ومن بعده، هو أن العهد القديم بناموسه ونبواته وكتبه قد تم فيه وفي رسالته. فإذا كان العهد القديم قد تطلع إلى الأمام إلى ملكوت الله . فقد جاء يسوع يحقق ظهور هذا الملكوت في شخصه (مرقس ١:١٥ ، لوقا ١١: ٢٠) .وإن كان إشعياء قد تطلع إلى عبد الرب (إشعياء ٤٢، ٥١،٥٣) فقد تتم يسوع رسالة هذا العبد (متى ٩: ١١ ، لوقا ١٦:٤-٢١). وهو كذلك إبن الإنسان (دانيال ٧ :١٣، مرقس ١٤:٦٢).

من هذا نرى أن يسوع استخدم أحيانا طريقة معاصريه في موقفه من العهد القديم وتفسيره إياه. فقد اتخذه مرجعا له في أحاديثه ومناقشاته، في تثبيته لبعض العقائد كالقيامة من الأموات(خروج ٣: ٢٦ ، مرقس ١٢: ٢٦-٢٧ وفي السلوك (متى ٥: ٣٣-٣٧)، وبذلك كان يفسر تفسيرا تاريخيا ظاهريا، ولكنه كان يفترق عنهم في أنه لم يكن مثلهم يتمسك بالتفسير المسمى ATOMISTIC أي أن يعطي لكل حرف أو نقطة أو كلمة معنى خاصا بها. لقد فسر يسوع العهدالقديم تفسيرا أسخاتولوجيا ، أي في ضوء ماهو آت ، وما هو آت قد بدأ اتمامه في مجيئه هو : في شخصه ورسالته وبذلك كان تفسير المسيح للناموس تفسيرا انتقائيا حرا لإنه يعرف الهدف الأسمى للناموس...

دور بولس في ادخال المجاز في التفسير:

إنه يبرز اصطلاحات فنية تفسيريه في معالجته للعهد القديم وأهم هذه الاصطلاحات إثنان :

الأول هو كلمة "مثال" TYPE، وقد عبر الرسول بهذه الكلمة عن مفهومه لتاريخ اسرائيل في العهد القديم ، فهذا التاريخ هو مثال للعهد الجديد ، أي لتاريخ الكنيسة التي تتعتبر بدورها اسرائيل الجديدة...

والكلمة الثانية كلمة "مجاز" ALLEGORY ، فقد ادخل بولس المجاز ولم يهتم بالمعنى الظاهري التاريخي ، بل

يرى فيه معنى أعمق ، كما سبق الرسول ورأى في الصخرة المسيح ، وفي سارة وهاجر رمز للعهدين القديم والجديد .

كذلك أعلن الرسول بولس في تفسيره للعهد القديم أن لله قصدا واحدا يسير به في التاريخ ليحققه (أفسس ١ :٩). وقد اتضح هذا القصد الالهي في أزمات وحوادث تاريخية محددة يظهرها الرسول في أربع حوادث حاسمة هي: سقوط آدم (رومية٥: ١٢)، وأمانة إبراهيم و إيمانه(غلاطية ٣: ٦) ، وعطية الناموس(غلاطية ٣: ١٩).وأخيرا تجلى هذا القصد السامي في مجيء المسيح وحياته ورسالته وموته وقيامته وصعوده وجلوسه عن يمين الآب ومجيئه الثاني ليدين الأحياء والأموات .ولكن هذه الحوادث المذكورة الموجوده في العهد القديم ليس فقط في خط مستقيم ، بل تسير في نفس الوقت في تواز مع العهد الجديد. فهذه الحوادث تعد في مضمونها أعمالا فدائية عظيمة فهي مثال TYPE للآتي. أي الفداء الآتي في المسيح (كورنثوس١٠ : ٦-١١) ، (رومية٤ : ٢٣-٢٥، ١٠ : ٤).

ومما يثبت قصد الله الحي في التاريخ أن هذه الحوادث ليست مجرد حوادث وقعت في الماضي وانتهت وانقطعت صلتها بالحاضر، بل كتبت لأجلنا نحن. فآدم والمسيح لأجلنا (كورنثوس١٥: ٢٢) ، وإبراهيم وإيمانه لنا (غلاطية ٣: ٦) . والناموس أيضا لأجلنا (غلاطيه٣: ٢٤) ، ثم موت المسيح وقيامته لنا (رومية ٦: ٣-٤ ، كولوسي ٣: ١-٤).

قرر أن الخط الفاصل بين المفهوم المسيحي للعهد القديم والمفهوم اليهودي له يتلخص في كلمة واحدة هي عدم إيمان اليهود.

وخلاصة موقف الرسول بولس من العهد القديم ، هو موقف اليهودي الذي ارتفع البرقع عن وجه وقلبه فعرف النور الحقيقي ، فتحول من شاول الطرطوسي إلى بولس عبد ورسول يسوع المسيح ...

المسيرة التاريخية لتفسير العهد الجديد:

الكتاب المقدس في القرن الثاني:

يظهر من العهد الجديد أن الكنيسة الأولى قد اتخذت من العهد القديم كتابها المقدس، ولم يشذ عن اجماعها شخص واحد لإن يسوع نفسه هو الذي بدأ هذا الموقف وتبعه الرسل وكل قادة الكنيسة...

ولم يحدث تغيير يذكر في بداية القرن الثاني الميلادي سوى أن كتب العهد الجديد بدأت تجمع وأصبحت كتبا قانونية ، بمعنى أنها وضعت في مصاف الكتب المقدسة. بل أضحت بدورها الكتب المقدسة للكنيسة وبدأ آباء الكنيسة الأوائل يقتبسون منها على هذا الأساس..

وينبغي أن نلاحظ هنا أن العهد القديم الذي استخدمته الكنيسة في ذلك العصر لم يكن الأصل العبري بل الترجمة السبعينية.

وسبب ذلك أن اللغة اليونانية هي اللغة السائدة في العالم، ولأن الآباء أيضا كانوا يجهلون اللغة العبرية ولا يفهمونها.وقد لا نستغرب إذا عرفنا أن الآباء الذين اتخذوا من العهد القديم كتابا مقدسا قد استخدموه بكل حرية حتى أنهم كانو يخطئون في الاقتباس ، بل ويقتبسون من الذاكرة ويربطون أجزاء منه لا صلة بينها ، مستشهدين بالخرافات اليهودية المأخوذة من الأبوكريفا وغيرها ...

وتتلخص معالم التفسير في القرن الثاني المسيحي في الآتي:

اتخذ العهد الجديد طريقا ثابتا في وقوفه في صف العهد القديم باعتباره كتابا مقدسا يعبر عنه بالمكتوب ...

كانت الكنيسة في ذلك الوقت منهمكة في الدفاع عن الحق المسيحي عن الغنوسية والفلسفة اليونانية مما دفعها إلى تفسير العهد القديم تفسيرا مجازيا لأنها اعتبرته مكتوبا في ألغاز ومجاز ورموز ، وأعلنت أن المسيح نفسه ووحده دون غيره في حياته ورسالته وعمله هو المفسر الوحيد والنور الساطع الذي يعطي المعنى الحقيقي له.هذا كله مهد الطريق لقيام المدارس الكبيرة في علم التفسير وهي مدرسة الاسكندرية ، مدرسة انطاكية وبعدهما المدرسة الغربية...

عصر المدارس التفسيرية الكبرى القديمة:

مدرسة الإسكندرية :

تعتبر مدرسة الإسكندرية التفسيرية الوارثة الحقيقية للثقافة الهلينية والفكر اليوناني. وقد تربى كبار مفكري المسيحية في جوها، وتشبعوا بالفلسفة اليونانية، ولهذا حاولوا ربط الكتاب المقدس بهذه الفلسفة، مما جعلهم يتبنون التفسير الرمزي حتى يمكن أن يوفقوا ما بين الإثنين ، ويجعلوا الكتاب المقدس يوافق الفلسفة ولا يناقضها ، ومن هنا نستطيع أن نرى أن العامل الأساسي في التقارب الفكري الكبير بين علماء هذه المدرسة من المسيحيين وبين الفيلسوف اليهودي الاسكندري فيلو، حتى أن كثيرا منهم اقتفوا أثره في التفسير الكتابي.

ولعله من المناسب هنا أن نعيد إلى الاذهان أن أبطال التفسير الرمزي المغالى فيه هم الغنوسيون الذين بنوا تفسيرهم على مبدئهم الثنائي في الكون وانقسام العالم بحسب تفكيرهم إلى عنصري الخير والشر، ولقد فسروا الكتاب المقدس (العهد القديم) تفسيرا حرفيا مبالغا فيه أظهروه في قالب شاذ غير مقبول لدى أي إنسان. وكان غرضهم في ذلك أن يعلنوا أن المعنى الحقيقي للكتاب لا يمكن أن يستخرج بهذه الكيفية من التفسير بل تفسيره تفسيرا مجازيا لكي يتوافق مع مبادئهم وتعاليمهم الروحية الغنوسية ، وهكذا في تفسيره تفسيرا مجازيا مبالغا فيه أيضا. ولعل أشهر مثل في تفسيرهم هو أن أسماء الله ظهرت في الكتاب مثل "أدوناي وشداي" وغيرها ليست

=

أسماء لإله واحد بل هي أسماء لألهة كثيرة أقل مقاما من الإله الأعظم إله المحبة الذي أعلنه يسوع المسيح .

ولكن ليس كل الغنوسيين هراطقة وليس كل من استخدم التفسير المجازي يعتبر شاردا ضالا، بل هناك من العلماء المسيحيين المشهود لهم في كل التاريخ بالإستقامة والعلم الغزير الحقيقي من أطلقوا على أنفسهم لقب الغنوسي وهم الذين تبنوا التفسير الرمزي المجازي للعهد القديم والجديد أيضا ، ولعل أشهر من يمثلهم من مدرسة الإسكندرية إكليمندس الإسكندري وأوريجانوس.

إكليمندس الإسكندري: (١٥٠-٢١٣م)

يتلخص موقفه من التفسير في أنه كان يعتقد أن كتاب العهدين القديم والجديد كانوا يكتبون ألغازا ورموزا تماما كما كان يفعل المصريون واليونانيون والبرابرة...

إوريجانوس: (١٨٥-٢٥١م):

هو تلميذ أكليمندس الذي أصبح من بعده رئيسا للمدرسة الشهيرة - الاسكندرية- ، ويتلخص موقفه من التفسير:

أ .أن هناك بعض الجمل والمعاني والكلمات التي لا يمكن أن تؤخذ حرفيا وإلا لشوهت المعنى...

ب. أن هناك أمرا آخرا، وهو أن الهدف الأسمى من الكتاب المقدس ليس هو سرد الحوادث التاريخية بل إعلان الحقائق الأبدية . ولأجل ذلك لا تهتم الكتب المقدسة بتاريخية هذه الحوادث ، فقد تذكر حوادث لم تحدث أبدا وأخرى لا يمكن أن تحدث أبدا وثالثة كان يجب أن تحدث ولكنها لم تحدث، ولكن الوحي يذكرها لكي يعلن فيها الحقلئق العقلية الخالدة ليعلمنا نحن.

هذه الأمور المذكورة آنفا والتي يبرر بها أوريجانوس تفسيره يسميها بالمستحيلات ، ولهذا فهو ينصح القارئ بأن يفتش بكل تدقيق في أية حادثة يذكرها الكتاب المقدس لكي يرى هل يمكن أن تحدث، وهل حدثت فعلا فتحمل معنى حرفيا؟ أو أنها من ضمن المستحيلات هذه؟..فإذا كانت كذلك فعليه أن يحاول جاهدا حتى يستكشف المعنى العقلي الخفي وراء هذه الحوادث ثم يقتفي أثر هذه الحقائق أو المعاني العقلية في كل الكتاب المقدس وفي كل المستحيلات التي فيه.

ج. وهنا يوجه أوريجانوس النصح للمفسر ويذكره بأن الكتاب المقدس كله يحتوي على المعاني الروحية ولكنه لا يفهم كله حرفيا . وعلى الدارس أن يوقن أنه ليس في إمكانه أن يستجلي كل معاني الكتاب. ولن يصل إلى المعنى النهائي أو الهدف الكامل من بحثه لإنه كتب في لغة رمزيةSymbolic ولذلك فهي قد تفهم في ضوء الأقسام الثلاثة التي يوردها الرسول بولس في (١تسالونيكي ٥: ٢٣) للإنسان : أي الجسد ، والنفس والروح . فالجسد

=

هو المعنى الحرفي والنفس هو المعنى الأخلاقي الأدبي أما الروح فهو المعنى الروحي أو المجازي ...

أثر المدرسة الإسكندرية :

كانت كتب هذه المدرسة التفسيرية تعتبر المثل الأعلى والمصدر الغني لكل المفسرين اليونانين واللاتين من بعدهم ، وقد مهدت حركة ترجمة الكثير من الأعمال التفسيرية لهذه المدرسة من اليونانية إلى اللاتنية للتأثير الضخم الذي كان لمدرسة الإسكندرية في الغرب رغم معارضتهم لأوريجانوس وأعماله اللاهوتية . فقد رأوا في هذا النظام التفسيري أصالة ، وفي نفس الوقت كان يكفل للمفسر الحرية التامة لكي يعطي رأيه...

معارضة مدرسة الإسكندرية :

لم تسلم هذه المدرسة من الهجوم فقد هاجمها أسقف مصري أسمه نيبوس في السنوات الأولى من القرن الثالث ثم هاجمها جيروم بعد أن هجرها واعتنق مباديء مدرسة أنطاكية في التفسير التي اتخذت منهج التفسير الظاهري التاريخي أو اللفظي للكتاب المقدس، فكان الأساس الذي اعتمد عليه معارضوا المدرسة الإسكندرية هو منهج مدرسة انطاكية في التفسير...

وقد دافعت مدرسة الإسكندرية عن نفسها فإنها اقتفت آثار الرسول بولس في التفسير المجازي كما يظهر في (غلاطية٤)، إلا أن المنتقدين أجابوا بأنه إذا كان الرسول قد استخدم الكلمة نفسها Allegory لكنه لم يقصد بها ما قصده مفسرو الإسكندرية، فبينما يتمسك الرسول بتاريخية هؤلاء الأشخاص وتلك الأحداث فإن مدرسة الإسكندرية تنكرها، وكان جل قصد الرسول هو ان يذكر هذه الحوادث والشخصيات القديمة لتكون مثالا لنا نحتذيه وإلا فلو أنكر الرسول تاريخية آدم وحواء والحية فكيف تكون هناك المعصية التي هي في صلب تفكيره اللاهوتي...

مدرسة أنطاكية :

لم تكن مدرسة أنطاكية مدرسة بالمعنى المفهوم كمدرسة الإسكندرية لها مبان خاصة تقدم فيها الدروس والمحاضرات ؛ ولكنها بالأكثر كانت تعني تيارا خاصا من الدراسات اللاهوتية ارتبط اسمها بأنطاكية. بدأ نشاط هذه المدرسة غالبا بنشاط لوسيون الشهيد (٢٥٥-٣١٢م) الذي صحح الترجمة السبعينية بحسب النص العبراني ، واستمرت إلى ما بعد قطع نسطور من الكنيسة سنة٤٣٣م . ولقد تأثر أساتذة هذه المدرسة بالمجمع اليهودي الفلسطيني، ولذلك تبنوا التفسير التاريخي الظاهري للكتاب المقدس، وفي هذا كانوا على طرفي نقيض مع مدرسة الإسكندرية ...

المدرسة الغربية :

يقصد بالمدرسة الغربية الآباء الغربيون الذين كانوا يتكلمون اللاتنية ويتبعون القسم الغربي من الكنيسة العامة

التي سميت الكنيسة الكاثوليكية أو كنيسة روما فيما بعد. وهذه المدرسة اشتهرت بأنها ربطت ما بين مبادىء مدرسة الإسكندرية ومبادىء مدرسة أنطاكية أي أنها أخذت بالتفسير المجازي ثم بالتفسير الظاهري التاريخي...

ولكننا نسرع هنا لنقول أن ربط المدرستين لا يعني المزج بينهما ثم استنباط طريقة تفسيرية جديدة لا هي بالمجازية الخالصة ولا الحرفية الخالصة بل يصبح نوعا ثالثا مكونا من الاثنين معا ، كلا ولكنه يعني التأرجح بين المدرستين فتارة يتبعون الطريقة المجازية وتارة أخرى يتمسكون بالطريق الحرفية مع الفصل بين الطريقتين. فهناك كتب مملوءة بالتفسير المجازي لآباء الكنيسة وأخرى مملوءة بالتفسير الظاهري التاريخي، لكن هذه المدرسة استخدمت عنصرا جديدا في التاريخ لم يكن قد تثبتت دعائمه بعد. هو السلطان الكنسي أو سلطان الإيمان ، فقد أصبح أكثر استخداما وأكثر حسما في أمور التفسير...

تفسير الكتاب المقدس من القرون الوسطى إلى الإصلاح:

اتسمت القرون الوسطى بتثبيت دعائم سلطان اللاهوت الكنسي في تفسير الكتاب المقدس، نعم، فلقد اعتبرت الكتب المقدسة كافية لكل شي ولكنها قد تتعرض لأن تفسر تفسيرات متنوعة ومختلفة تبعا لمزاج كل مفسر . ولهذا فلا يمكن أن تفهم على حقيقتها ، ولكن لا يمكن أن ينقذها من براثن المتخبطين سوى معيار واحد وسلطة واحدة يقاس بها كل تفسير ، هذا المعيار هو المعيار الإكليريكي للكنيسة الكاثوليكية. وهكذا تثبت سلطان الإكليروس وعلى رأسه البابا وعرف أنه السلطان الأعلى في تفسير الكتب المقدسة .

ولم تشهد القرون الوسطى تجديدا يذكر، بل وكانت الأصالة فيها على أضيق نطاق؛ بل كان كل مفسر يعتمد اعتمادا كليا على التفسيرات القديمة ...

وأضحى التفسير المجازي هاما جدا إلى جانب التفسير الظاهري التاريخي، بل لعله أكثر أهمية، ولقد درج المفسرون على قراءة أربع معان في الكلمة الواحدة هي : المعنى التاريخي الظاهري والمعنى المجازي، والأخلاقي، والتصوفي .

وتقسم العصور الوسطى إلى أربع حقبات على أساس ما ساد هذه الفترة من فكر واتجاهات :

١) عصر التفسير المجازي-عصر "جريجوري"(٥٤٠-٦٤٠م)، و "بيد" (٦٧٣-٧٣٥م)-:

ويبدأ هذا العصر من القرن السادس إلى الثامن، وهو عصر جيريجوري الأول ويدعى "أبو البابوية"(٥٤٠-٦٤٠م). قد اختار التفسير المجازي بدلا من الحرفي ، ولم يكن يقصد التفسير المجازي لذاته بل استخدمه في اشباع نفس الإنسان والارتفاع بها. أما "بيد"(٦٧٣-٧٣٥) فقد كان راهبا إنجليزيا، ولم يتوقف عند حد

الاقتباس بل تعداه إلى إصدار الحكم وإبداء رأيه...

٢) **عصر تطور المجاز:** أي عصر أليكون (٧٣٥-٨٠٤م) ومدرسة شارلمان (من القرن الثامن إلى القرن العاشر).

يمثل أليكون مدرسة تفسيرية تقتصر في تفسيرها للكتب المقدسة على الاقتباس من الآباء فقط. ويقول أن أصالة المفسر تظهر في طريقة اختياره للكتب التي يقتبس منها. وقد تبعه رامبانوس تلميذه العظيم الذي عمل جاهدا في اختيار التفاسير الروحية التي تساند عقائد الكنيسة المقدسة . ولعل هذا هو أهم مظهر في تطور مفهوم المجاز، فصار يشمل الأسفار المقدسة كلها على أنها تعمل على نصرة الكنيسة وتثبيت سلطانها...

٣) عصر التحول إلى التفسير التاريخي :

في أواخر الفترة السالفة ظهر تيار آخر كان من أهم ظواهره رفض التفسير الظاهري والتخلي عنه . ثم هجرت عادة الاعتماد الكلي على الآباء .

وكان أريجينا وهو رجل أيرلندي مات سنة (٨٧٧م) من ألمع علماء هذا التيار الفكري. وقد ندد هذا العالم بالتفسير المجازي وقال إنه لا يعتمد بتاتا على المعنى الحقيقي لكلمة الله بل هو يختلف عنها تماما . أما التفسير الصحيح فهو التفسير الظاهري ومحاولة فهم النص فهما لغويا عقليا. وقد كان من أهم آثار هذا الرجل أنه مارس النقد النصي للكتاب المقدس ، وتبعه على هذا المنهج علماء كثيرون ...

٤) العصر المدرسي :

في القرون العاشر و الحادي عشر والثاني عشر بدأ التفسيران المجازي ثم الظاهري التاريخي يسيران طورا في تواز ؛ وآخر في تناحر، إلى أن جاء العصر المدرسي من بدأ النصف الثاني من القرن الثالث عشر . وقد سمي كذلك لأن الدراسة فيه تركزت في الجامعات والمدارس وليس في الأديرة والكنائس، ويعتبر توما الأكويني الدومينيكاني(١٢٢٤-١٢٧٤م) أبرز شخصية ظهرت في ذلك العصر .

ويعتقد الأكويني هذا أن الله هو خالق الكتاب المقدس وقد أعطى المعنى ليس فقط في الكلمات بل في الأشياء التي تشير إليها هذه الكلمات ولهذا فهذه الأشياء تعبر بدورها عن شيء آخر. فالمعنى الأول هو المعنى التاريخي، أما المعنى أو التعبير الثاني فهو التفسير الروحي وهذا المعنى الأخير له ثلاثة معان ، المجازي، والأخلاقي، والتصوفي. وعندما كتب كتاب الكتاب المقدس الأصليون فإنهم كانوا يقصدون المعنى التاريخي لأنهم لم يعرفوا سوى الكلمات أما الله نفسه فقد كان يقصد المعاني الثلاثة الأخرى المتضمنة في المعنى الروحي ...

فترة ما بين العصور الوسطى ونهاية القرن التاسع عشر :

كان لا بد أن تحدث حركات فكرية ودينية واسعة كرد فعل لما رأيناه في القرون الوسطى من عقم وتزمت، وإلى

جانب هذه الاستجابة لبعض التيارات الجديدة التي بدأت تظهر في القرون الأخيرة من هذه الفترة قبل ظهور المدارس والجامعات واجتذابها للفكر الديني .

ولعل أهم حركة شهدتها هذه القرون الاخيرة هي ما يطلق عليها المؤرخون عادة اسم "عصر النهضة" Renaissance ...

وقد ظهرت حركة النهضة في إيطاليا نظرا لعوامل عديد منها انتشار التجارة على أثر الحروب الصليبية. وتميزت حركة النهضة بإحياء التراث القديم ، والثورة على السلطات القائمة ، وأهمها سلطة الكنيسة، كانت مقدمة وعاملا أساسا في قيام حركات أخرى لها أثر كبير في دراسات الكتاب المقدس في مفهوم جديد...

ولعل أهم هذه الحركات : حركة الإصلاح الديني ثم حركة سيطرة العقل أو ما يسمى بالعقلانية Rationalism ، ثم حركة المدرسة الليبرالية في اللاهوت Liberal Theology ...

الإصلاح الديني:

جاءت حركة الإصلاح الديني بعد حركة النهضة وإلى حد ما اعتبرت نتيجة لها.وأهم ما ميز هذه الحركة ما يأتي:

عقيدة المصلحين في الكتاب المقدس : وتتلخص في أن الكتاب المقدس ليس مجرد سلطة من بين السلطات حتى ولو اعتبر اعظمها ، لكنه السلطه النهائية التي تحكم على كل سلطان ...

وكان من أهم ما قدم الإصلاح لتفسير الكتاب المقدس هو إحياء الفكرة التاريخية في الدراسة الكتابية. ومن قاموا بالإصلاح لم يدركوا ذلك بل عرفته الأجيال اللاحقة للإصلاح واعترفوا بفضل رجال الإصلاح في هذه الدراسة لأنهم بدأوا ذلك...

أما القاعدة المشتركة بين كل المصلحين في التفسير ، فكان مضمونها أن الكتب المقدسة تفسر بعضها البعض ، فإن أضمن وأصح تفسير للكتاب، هو ذلك الذي يوافق مضمون الإيمان ومقياس الإيمان هذا هو الكتاب المقدس نفسه . ففي الكتاب المقدس نجد تفسير الكتاب.

إلا أن هناك عنصرا آخرا هاما في فهم المصلحين للتفسير ، وهو حق كل شخص في أن يبدى رأيه في تفسير الكتاب ومعناه . أو كما يقول جرانت "إن الروح البروتستانتية لا تأخذ الكتاب المقدس على أنه كتاب ناموس أو مجلد قانون تفسره مجالس قضائية لها سلطات حاسمة يخضع لها الجميع ، لكنه كتاب حياة الذي فيه يتكلم الله مباشرة إلى روح الإنسان"...

لقد أدى موقف المصلحين إلى هذه المعرفة معرفة البعد التاريخي أو المسافة التاريخية التي تفصل بين النص وبين

المفسر الحديث، مع أنهم لم يستطيعوا هم أن يصلوا إلى هذا البعد ولكنهم وضعوا أرجلهم على الطريق إليه ، فوصلت إليه الدراسات اللاحقة وازدهرت الدراسات التاريخية إلى أن وصلت إلى أوجها في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ولعل لوثر وكلفن كانا الممثلين القويين لهذه الحقبة من التاريخ الديني للحياة البشرية...

ما بعد الإصلاح إلى العصر الحاضر :

عصر العقلانية :

وهو عصر الحركة العقلانية التي رأت أن السلطة الحقيقية التي يجب أن تكون معيارا للتفسير الكتابي الصحيح هو العقل. فالكتاب يجب أن يتوافق مع العقل، والعقل هو الذي يحكم على الكتاب. ولعل أهم من مثل هذه الحركة في القرن السابع عشر وكان لهما رأيهما في تفسير الكتاب هما توماس هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩م) وبندكت إسبينوزا (١٦٣٢-١٦٦٧م) .

الاتجاهات العامة في دراسة الكتاب المقدس قي القرن العشرين :

المدرسة الإسخاتولوجية (الأمور النهائية) :

ظهرت هذه المدرسة كرد فعل للدراسات التاريخية التي حاولت أن تكتب تاريخ يسوع من واقع الأناجيل ، فظهر سيل منها من كل اتجاه ولون.

ومصطلح الإسخاتولوجي وضعه العالم "ألبرت شويتزر" كحل يراه لقضية يسوع التاريخي، ويظن "استيفن نيل" إن اختيار شويتزر لهذا الاصطلاح كان اختيارا غير موفق ، فالاسخاتولوجي يعني أمور النهاية: الموت وما بعده.

ويظن أنه كان بالأولى به أن يختار الإصطلاح "رؤوي" Apocalyptic لكن سواء كان هذا أم ذاك فلقد أضحى الاصطلاح "إسخاتولوجي" هو السائد والمعترف به في الأوساط العلمية...

لكن العالم الانجليزي "س.دود" ألف مؤلفات عارض فيها نظرية شويتزر، ونادى بنظرية الإسخاتولوجي التي تحققت Realized Eschatology أي أن الإسخاتولوجية أو ملكوت الله ليس في المستقبل لكنه ظهر في المسيح يسوع وتحقق في التاريخ ...

ولكن بين هذين الرأيين المتطرفين جاء رأي آخر يمثله جيش كبير من العلماء مثل "يواقيم بريمايس "و "د.فولر" وهذا الرأي يقول أن يسوع رأى أن ملكوت الله يرتبط به وبعمله وأنه قد جسم هذا الملكوت. ولكن هذا التجسيم ليس هو الوجه النهائية للملكوت، ففي أقوال يسوع نجد أن هناك وجهة أخرى مستقبيلة (مرقس ٩: ١) وكذلك في الصلاة الربانية:(ليأتي ملكوتك) (ص٦: ١٠،لوقا١١: ٢). وبهذا يكون ملكوت الله حاضرا

ومستقبلا ويكون العنصر الإسخاتولوجي في تعاليم يسوع واضحا ظاهراً وليس كما ادعت المدرسة العصرية في القرن التاسع عشر...

التطورات الحديثة :

علم التفسير الحديث :

وهو ليس شرحا لكلمات النص لتبيان ما غمض منها بل هو أعمق من ذلك. فهو يقوم على عدة معطيات حاسمة أولية بالنسبة له ينبغي أن نعرفها لكي نعرف مداه واتجاهه :

أولا : طبيعة الإنسان وصلتها باللغة .

مع أن التفسير الحديث ليس فقط شرحا للنص لكنه لا ينكر ذلك بل يبدأ به مستخدما كل ما وصل إليه نقد النص من وسائل وطرق متعددة ومع ذلك فهو لا يقف عند هذا الحد بل يعتبره نقطة بداية أولية له . فليس هدفه الأساسي شرحا للنص مهما كان عمقه أو اتجاهه العلمي بل له هدف هو تفسير الطبيعة البشرية أو الإنسان نفسه، سواء أكان ذلك الإنسان هو المفسر أو الكاتب الأصلي نفسه...

ثانيا : هو أن الإنسان يكون دائما تحت المساءلة والدينونة .

ولا يستطيع أن يستريح عندما يعيش في ماضيه لأن المستقبل يكون دائم الدينونة على الماضي لكنه في استجابته له يعده بالنصرة.

ثالثا : إن الإنسان في حقيقته مدعو لكي يستجيب لهذا المستقبل، فهو يعيش بين الدعوة الدائمة والإستجابة الدائمة ، وهذا يعنى أن قرار الإنسان في مواجهة الحوادث العظمى هو الذي يحدد علاقة الإنسان بهذا العالم ، لأن الأنسان يبني حياته في تلك اللحظة على قراره الذي يتخذه ...

لقد وضع علم التفسير الحديث حدودا للمفسر الذي ظن أنه يستطيع أن يفسر النص ويحلله، ويقول كلمته فيه وعلمه كيف يتواضع أمام كلمة الله في المسيح يسوع . علمه كيف يقف أمامها لا ليفسرها بل لتفسره هي. فيعرف نفسه في ضوئها ويحاول أن يغير موقفه كما تعلمه...

ولم يقف إلى حد التفسير التاريخي الحرفي ولكنه جعل علم التفسير جزءا من علم اللاهوت ، وتاريخ الكنيسة وعلم اللاهوت العملي أي أنه علم شامل يكلم الإنسان ويخاطبه في كل مواقفه .

ومن المآخذ على علم التفسير الحديث من وجهة نظر الدكتور فهيم عزيز :

ليست نظرته للعهد الجديد نظرة شاملة بل نظرة ضيقة .

أنه لم يخلق للذين لم يعرفوا المسيح ، بل خلق للمؤمنين به .

والاتجاه الثاني: هو التفسير الحرفي لهذه النصوص المقدسة، وأن طبيعة عمل المسيح الذي أرسله به الآب هو ظاهر هذه النصوص، وعلى هذا فإن نصوص الحروب والانقسامات الدموية؛ التي تنبأ بها المسيح حقيقة، وهى مشيئة الآب لتقوم الدينونة على الأمم الشريرة الكافرة، وهو منهج الأصوليين من فرقة البروتستانت ومن سار على نهجهم.

وسنقف – بإذن الله – من خلال ذكر بعض نصوص الحرب والسلام الواردة في العهد الجديد على حقيقة عقيدة النصارى المستمدة من كتابهم المقدس.

* * *

=

أنه غير شامل وضيق فيما يتعلق باللغة .

أنه يغالي في أمر تفسير الذات. ويلوح أنه خطوة أمام الشعار "كل ما أوافق عليه أنا فهو صحيح".

أنه ينكر الحقائق الموضوعية التاريخية ويعتبرها مناقضة للإيمان". مختصر لعلم التفسير.د. القس فهيم عزيز ، ٢٣-١١٨.

ويتضح مما سبق عمق الإشكال الذي يلف تفسير النصوص المقدسة عند النصارى، والتي تناقض مقتضياته الواقع الحربي التوسعي النصراني. والحق أن التفسير الحرفي هو الذي يقرر عقيدة الحرب الموافقة للواقع النصراني.

المطلب الأول

نصوص السلام الواردة في العهد الجديد

جاءت النصوص الداعية للسلام في العهد الجديد، بمعنى واضح ومحدد، وهو سلام خاص بالمسيح، فكل من يتبع تعاليم المسيح؛ يدخل في هذا السلام، وكل من يرفض تعاليم المسيح؛ لا يستحق هذا السلام، ولا يمكن أن نفهم التناقض الظاهر بين نصوص العهد الجديد إلا في ضوء هذه القراءة.

ولئن كانت نصوص السلام تدعو إلى السلام الكامل كما يقول أغسطنيوس: "الكمال في السلام حيث كل شيء مقبول"[١]، فإن هذا السلام لا بد أن يكون كما أراد المسيح كما قال جيروم: "يأمرنا الكتاب المقدس بطاعة والدينا. نعم ولكن من يحبهم أكثر من المسيح يخسر نفسه. هوذا العدو يحمل سيفا ليقتلني، فهل أفكر في دموع أمي؟ أو هل أحتقر خدمة المسيح لأجل أب.."[٢]، هذه الحقيقة هي التي تفسر التناقض بين نصوص العهد الجديد.

ولعل مقالة الأنبا غريغوريوس - أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي والثقافة القبطية- تبين لنا هذا الحقيقة بمنهج علمي عملي، وهو يفسر النصوص المقدسة ليضع أيدينا على طبيعة السلام الذي ينادي به النصارى، فيقول:

---

(١) تفسير إنجيل متى، القمص تادرس ملطي، كنسية مارجرجس باسبورتنج بالاسكندرية، ١٩٨٣، ص (١٠٦).

(٢) المرجع السابق، (٢٤٣).

"إن المسيح له المجد وإن كانت رسالته رسالة سلام، وهو يوصف بأنه ملك السلام، وقد هتفت الملائكة يوم ميلاده بالجسد قائلة: (المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام)(١)، لكن دعوته وتعاليمه ومبادئه، من شأنها أن ينقسم الناس بإزائها على فريقين: فريق يتقبلها، وفريق يرفضها، ولا بد أن تقوم بين الفريقين حرب فكرية تحتدم بين المؤمنين وبين الرافضين، نارا قوية تؤدي إلى حرب وقتال بالتصفية الجسدية، وهذا ما حدث بالفعل للشهداء والقديسين الذين أثار عليهم الرافضون لمبادئ المسيح حربا شرسة ذهب ضحيتها عشرات الألوف والملايين من المؤمنين بالمسيح.

وعلى ذلك فإن قول السيد المسيح: (لقد جئت لألقي على الأرض نارا)(٢)، مفاده أن دعوة المسيح ومبادءها لا بد أن تحدث بين الناس ثورة نارية، لكنها ثورة الحق على الباطل، ثم ثورة الشر على الخير، ولا مفر من أن يكون لهذه الحرب ضحايا هم المؤمنون، لأن غير المؤمنين والرافضين، سيمقتونهم ويكرهونهم. وقد قال المسيح في موضع آخر لتلاميذه والمؤمنين: (سيسلمونكم لمن يعذبونكم ويقتلونكم، وتكونون مكروهين من جميع الأمم لأجل أسمي، ولكن الذي يصمد إلى النهاية هو الذي يخلص)(٣).

وأشرع الآن في سوق نصوص السلام والإيثار والمحبة والإخاء، وهي نصوص كثيرة متضافرة ومن ذلك ما جاء في إنجيل متى:

احتمال الآلام في سبيل الكرازة بالإنجيل والدعوة إليه:

(٩طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون.

١٠طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السماوات.

(١) إنجيل لوقا، (٢: ١٤).

(٢) إنجيل لوقا،(١٢: ٥١)، وسيأتي شرح هذا النص بالتفصيل قريبا.

(٣) إنجيل متى (٢٤: ٩، ١٠: ٢٢)، إنجيل مرقس (١٣: ١٣).

١١طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين.

١٢اْفرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السماوات فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم... ٣٨سمعتم أنه قيل: عين بعين وسن بسن. ٣٩ وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا. ٤٠ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا.

٤١ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين.

٤٢من سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده.

٤٣سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك. ٤٤وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم. ٤٥ لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين.

٤٦لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأي أجر لكم؟ أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك؟.

٤٧وإن سلمتم على إخوتكم فقط فأي فضل تصنعون؟ أليس العشارون أيضا يفعلون هكذا؟ ٤٨فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل)[(١)].

وجاء في إنجيل لوقا: (٢٧لكني أقول لكم أيها السامعون: أحبوا أعداءكم أحسنوا إلى مبغضيكم.

٢٨باركوا لاعنيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم.

---

(١) إنجيل متى، أصحاح(٥).

٢٩من ضربك على خدك فاعرض له الآخر أيضا ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضا. ٣٠وكل من سألك فأعطه ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه.

٣١وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضا بهم هكذا.

٣٢وإن أحببتم الذين يحبونكم فأي فضل لكم؟ فإن الخطاة أيضا يحبون الذين يحبونهم.

٣٣وإذا أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم فأي فضل لكم؟ فإن الخطاة أيضا يفعلون هكذا.

٣٤وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم فأي فضل لكم؟ فإن الخطاة أيضا يقرضون الخطاة لكي يستردوا منهم المثل.

٣٥بل أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئا فيكون أجركم عظيما وتكونوا بني العلي فإنه منعم على غير الشاكرين والأشرار.

٣٦فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضا رحيم)[1].

وجاء في الرسالة إلى مؤمني روما: (٩المحبة فلتكن بلا رياء. كونوا كارهين الشر ملتصقين بالخير...

١٤باركوا على الذين يضطهدونكم. باركوا ولا تلعنوا.

١٧لا تجازوا أحدا عن شر بشر. معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس.

(١) إنجيل لوقا، إصحاح(٦).

١٨إن كان ممكنا فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس.-عيشوا في سلام مع جميع الناس-.

١٩لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل أعطوا مكانا للغضب لأنه مكتوب: «لي النقمة أنا أجازي يقول الرب.

٢٠فإن جاع عدوك فأطعمه. وإن عطش فاسقه. لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على **رأسه**». ٢١لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير)[١].

وجاء في الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس: (٧فالآن فيكم عيب مطلقا لأن عندكم محاكمات بعضكم مع بعض. لماذا لا تظلمون بالحري؟ لماذا لا تسلبون بالحري؟-والواقع أنه من العيب على الإطلاق أن يقاضي بعضكم بعضا.أما كان أحرى بكم أن تتحملوا الظلم وأحرى بكم أن تتقبلوا السلب-)[٢].

وجاء في إنجيل متى: (١٦ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام.

١٧ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم.

١٨وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم وللأمم.

١٩فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به ٢٠لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم.

٢١وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والأب ولده ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم.

---

(١) الرسالة إلى مؤمني روما، أصحاح(١٢).

(٢) الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس، أصحاح(٦).

٢٢وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي. ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص. ٢٣ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى. فإني الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان)[1].

وجاء في رسالة بطرس الأولى: (٨ والنهاية، كونوا جميعا متحدي الرأي بحس واحد، ذوي محبة أخوية، مشفقين، لطفاء.

٩ غير مجازين عن شر بشر-لا تبادلوا الشر بالشر- أو عن -ولا-شتيمة بشتيمة، بل بالعكس مباركين، عالمين أنكم لهذا دعيتم لكي ترثوا بركة.-باركوا فترثوا البركة، لأنه لهذا دعاكم الله-.

١٠ لأن من أراد أن يحب الحياة ويرى أياما صالحة، فليكفف لسانه عن الشر وشفتيه أن تتكلما بالمكر.

١١ ليعرض عن الشر ويصنع الخير، ليطلب السلام ويجد في أثره.-ويسع للوصول إليه-.

١٢ لأن عيني الرب على الأبرار وأذنيه إلى طلبتهم، ولكن وجه الرب ضد فاعلي الشر.

١٣ فمن يؤذيكم إن كنتم متمثلين بالخير؟

١٤ولكن وإن تألمتم من أجل البر فطوباكم. وأما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا- إن كان لا بد أن تتألموا في سبيل البر فطوبى لكم! لا تخافوا من تهديد الذين يضطهدونكم، ولا تقلقوا)[2].

(١) إنجيل متى، أصحاح(١٠).

(٢) رسالة بطرس الأولى، أصحاح(٣).

التطبيق العملي من المسيح مع الأعداء:

جاء في أنجيل لوقا: (٤٧وبينما هو يتكلم إذا جمع والذي يدعى يهوذا ـ أحد الاثني عشر ـ يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبله.

٤٨فقال له يسوع: «يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الإنسان؟».

٤٩فلما رأى الذين حوله ما يكون قالوا: «يا رب أنضرب بالسيف؟».

٥٠وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى.

٥١فقال يسوع: دعوا إلى هذا! ولمس أذنه وأبرأها)[1].

وجاء في إنجيل يوحنا: (٤٦أنا قد جئت نورا إلى العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة.

٤٧وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم)[2].

وجاء فيه أيضا: (٢٧«سلاما أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب.

٢٨سمعتم أني قلت لكم أنا أذهب ثم آتي إليكم. لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت أمضي إلى الآب لأن أبي أعظم مني.

٣٠لا أتكلم أيضا معكم كثيرا لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء. ٣١ولكن ليفهم العالم أني أحب الآب وكما أوصاني الآب هكذا أفعل. قوموا ننطلق من ههنا)[3].

(١) إنجيل لوقا، إصحاح(٢٢).

(٢) إنجيل يوحنا، أصحاح(١٢).

(٣) إنجيل يوحنا، أصحاح(١٤).

وجاء فيه أيضا: (١٨«إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم.

١٩لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم.

٢٠اذكروا الكلام الذي قلته لكم: ليس عبد أعظم من سيده. إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم وإن كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم)[١].

وجاء في إنجيل يوحنا أيضا: (١ قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا. ٢سيخرجونكم من المجامع بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله...

٣٣قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام. في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا: أنا قد غلبت العالم)[٢].

وجاء فيه أيضا: (١٠ثم إن سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى. وكان اسم العبد ملخس.

١١فقال يسوع لبطرس: «اجعل سيفك في الغمد. الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها؟)[٣].

وجاء في إنجيل لوقا: (١٤المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة)[٤].

تبشير بطرس بالسلام بواسطة المسيح:

(١) إنجيل يوحنا، أصحاح(١٥).

(٢) إنجيل يوحنا، أصحاح(١٦).

(٣) إنجيل يوحنا، أصحاح (١٨).

(٤) إنجيل لوقا، إصحاح (٢).

جاء في أعمال الرسل: (٣٤فقال بطرس: «بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه.

٣٥بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده.

٣٦الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح. هذا هو رب الكل)[(١)].

وجاء في الرسالة إلى مؤمني روما (١٢الجميع زاغوا وفسدوا معا. ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد.

١٣حنجرتهم قبر مفتوح. بألسنتهم قد مكروا. سم الأصلال تحت شفاههم.

١٤وفمهم مملوء لعنة ومرارة. ١٥أرجلهم سريعة إلى سفك الدم.

١٦في طرقهم اغتصاب وسحق. ١٧وطريق السلام لم يعرفوه.

١٨ليس خوف الله قدام عيونهم».

١٩ونحن نعلم أن كل ما يقوله الناموس فهو يكلم به الذين في الناموس لكي يستد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله)[(٢)].

وجاء في نفس الرسالة: (٨ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا.

٩فبالأولى كثيرا ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب.

١٠أنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيرا ونحن مصالحون نخلص بحياته.

١١وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضا بالله بربنا يسوع المسيح الذي نلنا به الآن

(١) أعمال الرسل، أصحاح (١٠).

(٢) الرسالة إلى مؤمني روما، أصحاح (٣).

المصالحة)[1].

وجاء فيها أيضا: (٨لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلا بأن يحب بعضكم بعضا لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس.

٩لأن «لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته» وإن كانت وصية أخرى هي مجموعة في هذه الكلمة: «أن تحب قريبك كنفسك».

١٠المحبة لا تصنع شرا للقريب فالمحبة هي تكميل الناموس)[2].

وجاء فيها أيضا: (١٧لأن ليس ملكوت الله أكلا وشربا بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس.

١٨لأن من خدم المسيح في هذه فهو مرضي عند الله ومزكى عند الناس.

١٩فلنعكف إذا على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض)[3].

وجاء فيها أيضا: (١فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء ولا نرضي أنفسنا. ٢فليرض كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان.

٣لأن المسيح أيضا لم يرض نفسه بل كما هو مكتوب: «تعييرات معيريك وقعت علي».

٤لأن كل ما سبق فكتب كتب لأجل تعليمنا حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء. ٥وليعطكم إله الصبر والتعزية أن تهتموا اهتماما واحدا فيما بينكم بحسب المسيح يسوع.

---

(١) الرسالة إلى مؤمني روما، أصحاح (٥).

(٢) الرسالة إلى مؤمني روما، أصحاح (١٣).

(٣) الرسالة إلى مؤمني روما، أصحاح (١٤).

٦لكي تمجدوا الله أبا ربنا يسوع المسيح بنفس واحدة وفم واحد.

٧لذلك اقبلوا بعضكم بعضا كما أن المسيح أيضا قبلنا لمجد الله.

٨وأقول: إن يسوع المسيح قد صار خادم الختان من أجل صدق الله حتى يثبت مواعيد الآباء. ٩وأما الأمم فمجدوا الله من أجل الرحمة كما هو مكتوب: «من أجل ذلك سأحمدك في الأمم وأرتل لاسمك».

١٣وليملأكم إله الرجاء كل سرور وسلام في الإيمان لتزدادوا في الرجاء بقوة الروح القدس...

٣٣إله السلام معكم أجمعين. آمين)[(١)].

وجاء فيها أيضا: (٢٠وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعا. نعمة ربنا يسوع المسيح معكم. آمين)[(٢)].

وجاء في الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس: (١٥ولكن إن فارق غير المؤمن فليفارق. ليس الأخ أو الأخت مستعبدا في مثل هذه الأحوال. ولكن الله قد دعانا في السلام...

٢٠أيها الإخوة لا تكونوا أولادا في أذهانكم بل كونوا أولادا في الشر وأما في الأذهان فكونوا كاملين...

٣٣لأن الله ليس إله تشويش بل إله سلام كما في جميع كنائس القديسين)[(٣)].

وجاء في رسالة غلاطية: (١٤لأن كل الناموس في كلمة واحدة يكمل: «تحب

(١) الرسالة إلى مؤمني روما، أصحاح (١٥).

(٢) الرسالة إلى مؤمني روما، أصحاح (١٦).

(٣) الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس، أصحاح (٧).

قريبك كنفسك.١٥فإذا كنتم تنهشون وتأكلون بعضكم بعضا، فانظروا لئلا تفنوا بعضكم بعضا...

٢٠عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة.

٢١حسد قتل سكر بطر، وأمثال هذه التي أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضا: إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله.

٢٢وأما ثمر الروح فهو: محبة فرح سلام، طول أناة لطف صلاح، إيمان.

٢٣وداعة تعفف. ضد أمثال هذه ليس ناموس.

٢٤ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات.

٢٥إن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضا بحسب الروح.

٢٦لا نكن معجبين نغاضب بعضنا بعضا، ونحسد بعضنا بعضا)[(١)].

وجاء في رسالة أفسس: (١٣ولكن الآن في المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح.

١٤لأنه هو سلامنا، الذي جعل الاثنين واحدا، ونقض حائط السياج المتوسط. ١٥ أي العداوة. مبطلا بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنسانا واحدا جديدا، صانعا سلاما.

١٦ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب، قاتلا العداوة به.

١٧فجاء وبشركم بسلام، أنتم البعيدين والقريبين.

---

(١) رسالة غلاطية، أصحاح (٥).

١٨لأن به لنا كلينا قدوما في روح واحد إلى الآب)[١].

وجاء في نفس الرسالة أيضا: (١فأطلب إليكم، أنا الأسير في الرب، أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دعيتم بها.

٢بكل تواضع، ووداعة، وبطول أناة، محتملين بعضكم بعضا في المحبة.

٣مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام.

٤جسد واحد، وروح واحد، كما دعيتم أيضا في رجاء دعوتكم الواحد.

٥رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة.

٦إله وآب واحد للكل، الذي على الكل وبالكل وفي كلكم...

٣١ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث.

٣٢وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضا في المسيح)[٢].

ودعا بولس الرسول أهل أفسس إلى التسلح بسلاح الله الكامل: (١٠أخيرا يا إخوتي تقووا في الرب وفي شدة قوته.

١١البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس.

١٢فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم، على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات.

١٣من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير،

(١) رسالة أفسس، أصحاح (٢).

(٢) رسالة أفسس، أصحاح (٤).

وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا.

١٤فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق، ولابسين درع البر.

١٥وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام.

١٦حاملين فوق الكل ترس الإيمان، الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة. ١٧وخذوا خوذة الخلاص، وسيف الروح الذي هو كلمة الله)[(١)].

وجاء في رسالة فيلبي: (٧وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع.

٨أخيرا أيها الإخوة كل ما هو حق، كل ما هو جليل، كل ما هو عادل، كل ما هو طاهر، كل ما هو مسر، كل ما صيته حسن ـ إن كانت فضيلة وإن كان مدح، ففي هذه افتكروا.

٩وما تعلمتموه، وتسلمتموه، وسمعتموه، ورأيتموه في، فهذا افعلوا، وإله السلام يكون معكم)[(٢)].

وجاء في رسالة بولس إلى كولوسي: (٢٠وأن يصالح به الكل لنفسه، عاملا الصلح بدم صليبه، بواسطته، سواء كان ما على الأرض أم ما في السماوات.

٢١وأنتم الذين كنتم قبلا أجنبيين وأعداء في الفكر، في الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن)[(٣)].

---

(١) رسالة أفسس، أصحاح(٦).

(٢) رسالة فيلبي، أصحاح(٤).

(٣) رسالة بولس إلى كولوسي، أصحاح(١).

وجاء في نفس الرسالة: (١٥وليملك في قلوبكم سلام الله الذي إليه دعيتم في جسد واحد، وكونوا شاكرين)[١].

وجاء في الرسالة الأولى إلى تسالونيكي: (١٤فإنكم أيها الإخوة صرتم متمثلين بكنائس الله التي هي في اليهودية في المسيح يسوع، لأنكم تألمتم أنتم أيضا من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها كما هم أيضا من اليهود.

١٥الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم، واضطهدونا نحن. وهم غير مرضين لله وأضداد لجميع الناس.

١٦يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكي يخلصوا حتى يتمموا خطاياهم كل حين. ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية)[٢].

وجاء في نفس الرسالة: (٢٣وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام)[٣].

وجاء في الرسالة الثانية إلى تسالونيكي: (١٦ورب السلام نفسه يعطيكم السلام دائما من كل وجه. الرب مع جميعكم)[٤].

وجاء في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس: (٩عالما هذا: أن الناموس لم يوضع للبار، بل للأثمة والمتمردين، للفجار والخطاة، للدنسين والمستبيحين، لقاتلي الآباء وقاتلي الأمهات، لقاتلي الناس،

١٠للزناة، لمضاجعي الذكور، لسارقي الناس، للكذابين، للحانثين، وإن كان شيء

(١) رسالة بولس إلى كولوسي، أصحاح(٣).

(٢) الرسالة الأولى إلى تسالونيكي، أصحاح (٢).

(٣) الرسالة الأولى إلى تسالونيكي، أصحاح (٥).

(٤) الرسالة الثانية إلى تسالونيكي، أصحاح (٣).

آخر يقاوم التعليم الصحيح.

١١حسب إنجيل مجد الله المبارك الذي اؤتمنت أنا عليه.

١٢وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذي قواني، إنه حسبني أمينا، إذ جعلني للخدمة.

١٣أنا الذي كنت قبلا مجدفا ومضطهدا ومفتريا. ولكنني رحمت، لأني فعلت بجهل في عدم إيمان.

١٤وتفاضلت نعمة ربنا جدا مع الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع.

١٥صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول: أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا.

١٦لكنني لهذا رحمت: ليظهر يسوع المسيح في أنا أولا كل أناة، مثالا للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية.

١٧وملك الدهور الذي لا يفنى ولا يرى، الإله الحكيم وحده، له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور. آمين.

المحاربة الحسنة:

١٨هذه الوصية أيها الابن تيموثاوس أستودعك إياها حسب النبوات التي سبقت عليك، لكي تحارب فيها المحاربة الحسنة)[(١)].

وجاء في نفس الرسالة: (١١وأما أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا، واتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة.

١٢جاهد جهاد الإيمان الحسن، وأمسك بالحياة الأبدية التي إليها دعيت أيضا،

(١) الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، أصحاح(١).

واعترفت الاعتراف الحسن أمام شهود كثيرين)[1].

وجاء في الرسالة الثانية إلى أهل تيموثاوس: (٣فاشترك أنت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح.

٤ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكي يرضي من جنده.

٥وأيضا إن كان أحد يجاهد لا يكلل إن لم يجاهد قانونيا...

٢٢أما الشهوات الشبابية فاهرب منها، واتبع البر والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقي)[2].

وجاء في نفس الرسالة: (٦فإني أنا الآن أسكب سكيبا، ووقت انحلالي قد حضر.

٧قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، ٨وأخيرا قد وضع لي إكليل البر، الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل، وليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضا)[3].

وجاء في الرسالة إلى تيطس: (١ذكرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا، ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح.

٢ولا يطعنوا في أحد، ويكونوا غير مخاصمين، حلماء، مظهرين كل وداعة لجميع الناس.

٣لأننا كنا نحن أيضا قبلا أغبياء، غير طائعين، ضالين، مستعبدين لشهوات ولذات

(١) الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، أصحاح(٦).

(٢) الرسالة الثانية إلى تيموثاوس، أصحاح(٢).

(٣) الرسالة الثانية إلى تيموثاوس، أصحاح(٤).

مختلفة، عائشين في الخبث والحسد، ممقوتين، مبغضين بعضنا بعضا)[1].

وجاء في الرسالة للعبرانيين: (١لأن ملكي صادق هذا، ملك ساليم، كاهن الله العلي، الذي استقبل إبراهيم راجعا من كسرة الملوك وباركه.

٢الذي قسم له إبراهيم عشرا من كل شيء. المترجم أولا «ملك البر» ثم أيضا «ملك ساليم» أي ملك السلام.

٣بلا أب بلا أم بلا نسب. لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة. بل هو مشبه بابن الله. هذا يبقى كاهنا إلى الأبد.

٤ثم انظروا ما أعظم هذا الذي أعطاه إبراهيم رئيس الآباء عشرا أيضا من رأس الغنائم.

٥وأما الذين هم من بني لاوي، الذين يأخذون الكهنوت، فلهم وصية أن يعشروا الشعب بمقتضى الناموس ـ أي إخوتهم، مع أنهم قد خرجوا من صلب إبراهيم.

٦ولكن الذي ليس له نسب منهم قد عشر إبراهيم، وبارك الذي له المواعيد!

٧وبدون كل مشاجرة: الأكبر يبارك الأصغر.

٨وهنا أناس مائتون يأخذون عشرا، وأما هناك فالمشهود له بأنه حي.

٩حتى أقول كلمة: إن لاوي أيضا الآخذ الأعشار قد عشر بإبراهيم!

١٠لأنه كان بعد في صلب أبيه حين استقبله ملكي صادق...

١٥وذلك أكثر وضوحا أيضا إن كان على شبه ملكي صادق يقوم كاهن آخر.

١٦قد صار ليس بحسب ناموس وصية جسدية، بل بحسب قوة حياة لا تزول.

---

(١) الرسالة إلى تيطس، أصحاح(٣).

١٧لأنه يشهد أنك «كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق)[1].

وجاء في نفس الرسالة: (٢٠وإله السلام الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم، ربنا يسوع، بدم العهد الأبدي)[2].

وجاء في رسالة يعقوب: (١يا إخوتي، لا يكن لكم إيمان ربنا يسوع المسيح، رب المجد، في المحاباة...

٨فإن كنتم تكملون الناموس الملوكي حسب الكتاب «تحب قريبك كنفسك». فحسنا تفعلون. ٩ولكن إن كنتم تحابون تفعلون خطية، موبخين من الناموس كمتعدين.

١٠لأن من حفظ كل الناموس، وإنما عثر في واحدة، فقد صار مجرما في الكل.

١١لأن الذي قال: «لا تزن» قال أيضا: «لا تقتل». فإن لم تزن ولكن قتلت، فقد صرت متعديا الناموس.

١٢هكذا تكلموا وهكذا افعلوا كعتيدين أن تحاكموا بناموس الحرية.

١٣لأن الحكم هو بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة، والرحمة تفتخر على الحكم)[3].

وجاء في نفس الرسالة: (١٨وثمر البر يزرع في السلام من الذين يفعلون السلام)[4].

وجاء في نفس الرسالة: (١ربة في أعضائكم؟ ٢تشتهون ولستم تمتلكون. تقتلون وتحسدون ولستم تقدرون أن تنالوا. تخاصمون وتحاربون ولستم تمتلكون، لأنكم لا تطلبون.

(١) الرسالة إلى العبرانيين، أصحاح (٧).

(٢) الرسالة إلى العبرانيين، أصحاح (١٣).

(٣) رسالة يعقوب، أصحاح(٢).

(٤) رسالة يعقوب، أصحاح(٣).

٣تطلبون ولستم تأخذون، لأنكم تطلبون رديا لكي تنفقوا في لذاتكم.

٤أيها الزناة والزواني، أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله؟ فمن أراد أن يكون محبا للعالم فقد صار عدوا لله.

٥أم تظنون أن الكتاب يقول باطلا: الروح الذي حل فينا يشتاق إلى الحسد؟

٦ولكنه يعطي نعمة أعظم. لذلك يقول: «يقاوم الله المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة». ٧فاخضعوا لله. قاوموا إبليس فيهرب منكم.

٨اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم. نقوا أيديكم أيها الخطاة، وطهروا قلوبكم يا ذوي الرأيين.

٩اكتئبوا ونوحوا وابكوا. ليتحول ضحككم إلى نوح وفرحكم إلى غم.

١٠اتضعوا قدام الرب فيرفعكم. ١١لا يذم بعضكم بعضا أيها الإخوة. الذي يذم أخاه ويدين أخاه يذم الناموس ويدين الناموس. وإن كنت تدين الناموس فلست عاملا بالناموس، بل ديانا له.

١٢واحد هو واضع الناموس، القادر أن يخلص ويهلك. فمن أنت يا من تدين غيرك؟

١٣هلم الآن أيها القائلون: «نذهب اليوم أو غدا إلى هذه المدينة أو تلك، وهناك نصرف سنة واحدة ونتجر ونربح)[(١)].

التناقض النفسي مع الواقع:

جاء في رسالة بطرس الأولى: (١١ أيها الأحباء، أطلب إليكم كغرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التي تحارب النفس.

---

(١) رسالة يعقوب، أصحاح (٤).

١٢ وأن تكون سيرتكم بين الأمم حسنة، لكي يكونوا في ما يفترون عليكم كفاعلي شر يمجدون الله في يوم الافتقاد، من أجل أعمالكم الحسنة التي يلاحظونها.

١٣ فاخضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب. إن كان للملك فكمن هو فوق الكل.

١٤ أو للولاة فكمرسلين منه للانتقام من فاعلي الشر، وللمدح لفاعلي الخير.

١٥ لأن هكذا هي مشيئة الله أن تفعلوا الخير فتسكتوا جهالة الناس الأغبياء.

١٦ كأحرار، وليس كالذين الحرية عندهم سترة للشر، بل كعبيد الله.

١٧ أكرموا الجميع. أحبوا الإخوة. خافوا الله. أكرموا الملك)[(١)].

وجاء في نفس الرسالة: (٨ والنهاية، كونوا جميعا متحدي الرأي بحس واحد، ذوي محبة أخوية، مشفقين، لطفاء.

٩ غير مجازين عن شر بشر أو عن شتيمة بشتيمة، بل بالعكس مباركين، عالمين أنكم لهذا دعيتم لكي ترثوا بركة.

١٠ لأن من أراد أن يحب الحياة ويرى أياما صالحة، فليكفف لسانه عن الشر وشفتيه أن تتكلما بالمكر.

١١ ليعرض عن الشر ويصنع الخير، ليطلب السلام ويجد في أثره...

كيفية انتظار المسيح:

جاء في رسالة بطرس الثانية: (١٤لذلك أيها الأحباء، إذ أنتم منتظرون هذه، اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس ولا عيب، في سلام)[(٢)].

هذه جملة من النصوص التي تظهر في غالبها الميول إلى نبذ العنف والمسالمة، وهي كما

(١) رسالة بطرس الأولى، أصحاح (٢).

(٢) رسالة بطرس الثانية، أصحاح (٣).

ذكرت في مقدمة المطلب تدور في مجملها حول سلام خاص بالمسيح وأتباعه، وليست نصوصا للسلام مع عامة الأمم، يوضح ذلك النصوص الإنجيلية المقدسة الداعية لحرب كل من يرفض دعوة المسيح ويناهضها، وهذه النصوص هي ما سيأتي في الصفحات التالية.

المطلب الثاني

نصوص الحرب الواردة في العهد الجديد

جاءت النصوص المثبتة لوجود الحروب والانقسام بسبب دعوة المسيح كثيرة في العهد الجديد، وأنه من يموت في سبيل المسيح هو الذي ينجو، وهو الذي يجد نفسه في الحقيقة، فقد جاء في إنجيل متى على لسان المسيح: (٣٤لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض. ما جئت لألقي سلاما بل سيفا.

٣٥فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها.

٣٦وأعداء الإنسان أهل بيته.٣٧من أحب أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني ٣٨ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني.٣٩من وجد حياته يضيعها ومن أضاع حياته من أجلي يجدها)[1].

وجاء نص مقدس آخر بنفس المعنى في إنجيل لوقا: (٤٩جئت لألقي نارا على الأرض فماذا أريد لو اضطرمت؟ ٥٠ولي صبغة أصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل؟ ٥١أتظنون أني جئت لأعطي سلاما على الأرض؟ كلا أقول لكم! بل انقساما. ٥٢لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين: ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة. ٥٣ينقسم الأب على الابن والابن على الأب والأم على البنت والبنت على الأم والحماة على كنتها والكنة على حماتها)[2].

---

(١) إنجيل متى، أصحاح (١٠).

(٢) إنجيل لوقا، أصحاح (١٢).

وأسوق فيما يلي عدة نماذج من التفسير لهذا النص المقدس حتى تظهر كيفية تعامل النصارى مع نصوص العهد الجديد المقدسة بمنهج رمزي مضطرب تارة، ومنهج حرفي تاريخي موافق لواقعهم تارة أخرى:

يقول مؤلفو التفسير الحديث للكتاب المقدس عند تفسير هذا النص:

"كل من يرى في إرسالية المسيا قد يعتقد أنه جاء ليلقي سلاما على الأرض، وذلك تأسيسا على ماجاء في سفر إش ٩: ٥ـ٧[١]، زك ٩: ٩ـ١٠ إلخ[٢].

فتلك كانت رسالته حسبما أعلن في لو٢: ١٤[٣]، وكما تضمنت ذلك إرسالية تلاميذه

---

(١) يشير إلى سفر إشعياء، أصحاح (٩) عدد (٥)، ونص العدد:((٥ لأن كل سلاح المتسلح في الوغى وكل رداء مدحرج في الدماء يكون للحريق مأكلا للنار. ٦لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام. ٧لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا).

(٢) يشير إلى سفر زكريا، أصحاح (٩) عدد(٩)، ونص العدد:(٩ ابتهجي جدا يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك. هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان. ١٠وأقطع المركبة من أفرايم والفرس من أورشليم وتقطع قوس الحرب. ويتكلم بالسلام للأمم وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض. ١١وأنت أيضا فإني بدم عهدك قد أطلقت أسراك من الجب الذي ليس فيه ماء. ١٢ارجعوا إلى الحصن يا أسرى الرجاء. اليوم أيضا أصرح أني أرد عليك ضعفين. ١٣[لأني أوترت يهوذا لنفسي وملأت القوس أفرايم وأنهضت أبناءك يا صهيون على بنيك يا ياوان وجعلتك كسيف جبار]. ١٤ويرى الرب فوقهم وسهمه يخرج كالبرق والسيد الرب ينفخ في البوق ويسير في زوابع الجنوب. ١٥رب الجنود يحامي عنهم فيأكلون ويدوسون حجارة المقلاع ويشربون ويضجون كما من الخمر ويمتلئون كالمنضح وكزوايا المذبح. ١٦ويخلصهم الرب إلههم في ذلك اليوم. كقطيع شعبه بل كحجارة التاج مرفوعة على أرضه. ١٧ما أجوده وما أجمله! الحنطة تنمي الفتيان والمسطار العذارى).

(٣) يشير إلى سفر لوقا، أصحاح (٢) عدد(١٤)، ونص العدد:(١٤«المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة).

في مت١٠: ١٣[١][٢].

ثم يردف مبينا نوع السلام الذي أتى به المسيح فيقول: "بيد أن السلام الذي يأتي به المسيا يفوق بدرجة كبيرة مجرد عدم القتال أو الحرب، الحالة التي يطلق عليها الناس السلام، بل هو إعادة العلاقة مع الله. وتحقيق مثل هذا السلام لا بد وأن يؤدي إلى التفرقة (وهو ما يبدو متناقضا)؛ وذلك لأن هذا السلام لن يكون مقبولا من الجميع. والسيف الذي سيلقي به يسوع هو انقسام اجتماعي حاد، قد يصل إلى حد قطع أوثق الروابط العائلية. ولاستعمال السيف كلغة رمزية، بالمقارنة مع لو ٢: ٣٥[٣]، ٢٢: ٣٦[٤]، والفقرة المناظرة في لو ١٢: ٥١[٥]، فتستخدم كلمة انقسام بدلا من كلمة سيف. والتوقعات اليهودية بالنسبة للمسيا كانت تتضمن غالبا فترة من الصراع تسبق انتصار المسيا، لكن يسوع يتحدث هنا كما في الآيات السابقة واللاحقة عن انقسام من ناحية الاستجابة الشخصية للناس فيما يتعلق برسالته. وطالما رفض بعض الناس سيادة الله عليهم، فإن اتباع رئيس السلام سيكون دائما سببا للنزاع والانقسامات"[٦].

أما وليم باركلي فقد كان أكثر صراحة ووضوحا فقال:" لا نجد في أحاديث المسيح،

(١) يشير إلى إنجيل متى، أصحاح (١٠) عدد(١٣)، ونص العدد: (١٣فإن كان البيت مستحقا فليأت سلامكم عليه ولكن إن لم يكن مستحقا فليرجع سلامكم إليكم).

(٢) التفسير الحديث للكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، ص(٢٠٥).

(٣) يشير إلى إنجيل لوقا أصحاح (٢) عدد (٣٥)، ونص العدد:((٣٥وأنت أيضا يجوز في نفسك سيف لتعلن أفكار من قلوب كثيرة).

(٤) يشير إلى إنجيل لوقا أيضا، أصحاح(٢٢) عدد (٣٦)، ونص العدد:(٣٦فقال لهم: «لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك. ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفا).

(٥) يشير إلى إنجيل لوقا أيضا، أصحاح(١٢) عدد(٥١)، ونص العدد:(:٥١أتظنون أني جئت لأعطي سلاما على الأرض؟ كلا أقول لكم! بل انقساما).

(٦) التفسير الحديث للكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، (٢٠٥).

حديثا يدل بوضوح على أمانة السيد وصراحته مثلما نجده في هذه الفقرة فهو هنا يتحدث بصراحة ووضوح عما ينبغي أن يتوقعه رسول له هنا على الأرض، إذا قبل أن يحمل رسالته، وكيف أن هذا الرسول يتحتم عليه أن يدفع ثمن قبوله هذه الرسالة السامية.

ماذا يقدم المسيح للذين يحملون رسالته؟[1]، ثم عدد في نقاط مختصرة ومحددة بدقة حقيقة دعوة المسيح، فقال:

١ -"إنه يقدم لهم صراعا وحربا. وفي هذا الصراع، يكون أعداء الإنسان هم أهل بيته. والسيد وهو يضع هذه الصورة أمام سامعيه؛ إنما يردد كلاما معروفا عندهم؛ فقد كان اليهود يعتقدون أنه عندما يأتي "يوم الرب"، اليوم الذي يخترق فيه الله التاريخ ويحضر المسيا إلى العالم، فتحدث انقسامات خطيرة في العائلات. ومن بين أقوال المعلمين اليهود (الربيين) المشهورة: "عندما يأتي ابن داوود ستقوم الابنة على أمها، والكنة على حماتها، ويحتقر الابن أباه، ويصير أعداء الانسان هم أهل بيته"، وكأنما أراد يسوع أن يقول لجماعة اليهود: (إن يوم الرب الذي ينتظرونه قد أتى، وقد تدخل الله في التاريخ. وهكذا تنقسم العائلات والجماعات إلى قسمين. وليس هذا بغريب، فعندما يظهر مبدأ عظيم، فمن الطبيعي أن يحدث خلاف بين الناس، فالبعض يقبلونه ويتحمسون له، والبعض الآخر يرفضونه ويتحمسون ضده، وعندما يواجهنا يسوع، نجد أنفسنا أمام أحد أمرين لا ثالث لهما: أن نقبله ملكا على حياتنا، أو نرفضه. والعالم دائما ينقسم إلى قوم يقبلون المسيح، وآخرين يرفضونه.

٢ -وهو يقدم لهم امتحانا عسيرا في الاختيار؛ ذلك لأنه اختيار بين أقوى الروابط على الأرض، وبين الولاء ليسوع المسيح. لقد عرف "يوحنا بنيان" هذا الامتحان وجاز فيه، فإن أشد ما أقلقه عندما كان يفكر في السجن الذي كان يهدده، هو تأثير ذلك على

(١) تفسير العهد الجديد، وليم باركلي، (١/ ٢٢٨)، دار الثقافة، ط.الأولى.

زوجته وأولاده وما قد يتعرضون له، وماذا سيحدث لهم عندما لا يستطيع أن لا يعولهم ويهتم بهم.لقد كتب يقول: "إن افتراقي عن زوجتي وأولادي، كان بالنسبة لي مثل انتزاع اللحم من العظم"، وليس هذا بسبب عاطفته فحسب، ولكنني كثيرا ما فكرت في الصعوبات والبؤس والحاجة التي قد تتعرض لها أسرتي المسكينة عندما افترق عنهم، خاصة طفلي الأعمى المسكين الذي هو أقرب الناس إلى قلبي.. قلبي يتمزق ويتحطم كلما فكرت في ما قد يجتازه هذا الطفل الأعمى من صعوبات.. ولكنني أعود إلى نفسي وأقول، ينبغي أن أخاطر من أجل الله.. ورغم أن هذا كان شاقا علي، حتى كأنني أهدم بيتى بيدي على رأس زوجتي وأولادي، لكني كنت أفكر أنه كان ينبغي أن أفعل هذا أيضا". إنه لمن أصعب المواقف أن يختار الإنسان بين عواطفه نحو أعز الناس إليه، وبين ولائه للمسيح.. ومن رحمة الله أننا قد لا نواجه مثل هذا الموقف إلا نادرا، وكثيرون منا لا يواجهونه أبدا.. لكن الحقيقة لا تزال باقية وساطعة، وهي أنه إذا تعقدت الأمور، فيجب أن يكون ولاؤنا للمسيح في المقدمة وفوق كل عاطفة أخرى.

٣ -وهو يقدم لهم حمل الصليب. لقد كان أهل الجليل يعرفون معنى الصليب جيدا. فعندما أخمد فارس القائد الروماني ثورة يهوذا الجليلي، صلب ألفين من اليهود، وجعل صلبانهم على جانبي الطريق في الجليل. وفي تلك الأيام كان على المجرم أن يحمل خشبة الصليب بنفسه إلى مكان الصلب. ولا شك أن الذين استمعوا إلى حديث المسيح، قد رأوا بعيونهم كثيرين يحملون على كواهلهم الصلبان الثقيلة، ويسيرون بها إلى المكان الذي يتجرعون فيه كأس الألم والموت عليها. إن عظماء الرجال الذين دون التاريخ أسماءهم في قائمة الشرف بسبب إيمانهم ساروا بطريق التضحية بالنفس حتى الموت، وهم يعلمون طريقهم جيد المعرفة. وكثيرون أمثال جورج فوكس ويوحنا بنيان علموا أن الطاعة للسيد قد تقتضي منهم أن يحملوا الصليب، ويسيروا في طريق الموت. وقد يتطلب الأمر من المسيحي أن يضحي

بطموحه الشخصي وبراحته، وبمستقبله الذي يتطلع إليه، وأحلامه، التي يتمناها، في سبيل طاعته مبادئ المسيح، بل أن يضحي بإرادته الشخصية، لأن المسيحي لا يحيا ليحقق مايريده هو ويحبه، بل ما يحبه المسيح.. ففي المسيحية نجد الصليب دائما، لأنها ديانة الصليب.

٤ -وهو يقدم لهم المخاطرة؛ فقد ذكر أن من وجد حياته يضيعها، ومن يضيع حياته يجدها، هذه هي الحقيقة التي تتم حرفيا في بعض الأحيان، فالذين بذلوا حياتهم في سبيل المبادئ السامية صاروا من الخالدين، فلو أنهم تخلوا عن مبادئهم في سبيل الاحتفاظ بالحياة، لما سمع أحد في التاريخ عنهم. وقد قيل عن سقراط الفيلسوف المشهور عندما رفض أن يهرب من السجن في سبيل تمسكه بمبادئه "إنه وهو يموت قد أحيا نفسه لأنه لم يهرب". فلو أنه هرب، لمات سقراط الحقيقي وظل نسيا منسيا لم يسمع عنه أحد. فليس في المسيحية مكان لفلسفة (الأمان أولا) فالإنسان الذي يبحث عن الأمان والراحة والسلامة أولا، قد يجد هذه الأشياء، لكنه لن يجد السعادة الحقيقية؛ لأن رسالة الإنسان في الحياة هي أن يخدم إلهه وبني جنسه.. والطريق إلى ذلك هو بذل الإنسان كل مافي استطاعته.. فعندما نبذل حياتنا نجدها في هذه الحياة الأخرى[1].

وأما الخوري بولس الفغالي فقد استخدم المنهج الحرفي في تفسيره فيقول عند تفسيره لنفس الأعداد السابقة:

"في هذا المقطع يندد يسوع بسوء تفاهم حول السلام الذي يقدمه. فالسلام الذي يقدمه هو في الواقع سيف وحرب وخلاف. ويلتقي متى هنا مع لو ١٢:٥١-٥٣: (أتظنون أني جئت لأنشر السلام على الأرض؟ أقول لكم: لا، بل الشقاق)"[2].

(١) تفسير العهد الجديد، وليم باركلي، (١/ ٢٢٨).

(٢) دراسات بيبلية-١٦- إنجيل متى، سر الملكوت، الخوري بولس الفغالي، الجزء الثاني، (١٢٩)، الرابطة =

ثم يردف قائلا:" نحن هنا في القسم الرابع من تعليمات يسوع إلى رسله. انتهى القسم الأول في آ ١٥: (إن أرض سدوم وعمورة ستكون يوم الدين أهون مصيرا من الممدين). وبدأ القسم الثاني بالحديث عن الآلام والاضطهادات التي تصيب التلاميذ: (ها أنا أرسلكم كخراف بين ذئاب). وبدأ القسم الثالث في آ ٢٦: (لا تخافوهم). وها نحن في القسم الرابع فيشدد بالاحرى على وجهة مجهولة من رسالة يسوع. رسالة وضع الخلاف والانشقاق بين الابن وأبيه والأم وابنتها. هذا مايبدو في الظاهر. ولكن في الواقع ليس الأمر كذلك. فكلمات المسيح المتاوي تتوخى حث التلاميذ على شهادة للمسيح بدون خوف. غير أن النص يعبر عن هذا التحريض على أساس تعليم حول رسالة المسيح نفسه. إذن الفكرة الجوهرية هي هي في الأقسام الأربعة: إذا أراد المؤمن أن يشهد فيتألم عندما يؤدي شهادته، فينبغي عليه لا أن يتسلح بالشجاعة فحسب، بل بفهم دقيق لمصير يسوع نفسه (ليس تلميذ أفضل من معلمه)"[(١)].

ثم عقب محاولا تبرير التناقض بين العهد الجديد نفسه، وبينه وبين العهد القديم أيضا، فقال: "في العهد القديم، لفظة "ش ل و م"(سلام) غنية بحيث لا تعني فقط ما يعاكس الحرب. فهي تدل على الازدهار والنجاح والسعادة من أجل الشعب. وهي تصف العلاقات الشخصية والظروف الاجتماعية (يش ٩: ١٥[(٢)]؛١مل ٥: ١٥[(٣)]؛ سي ٢٦: ٢٢[(٤)])، وتصف بشكل خاص العلاقات مع الله. في الأيام الأخيرة يقيم الله السلام =

الكتابية، مؤسسة دكاش للطباعة، ط الأولى.

(١) المرجع السابق.

(٢) يشير إلى سفر يشوع، أصحاح(٩)عدد(١٥)، ونص العدد:(١٥فعمل يشوع لهم صلحا وقطع لهم عهدا لاستحيائهم، وحلف لهم رؤساء الجماعة).

(٣) يشير إلى سفر الملوك الأول، أصحاح(٥) عدد(١٥)، ونص العدد:(١٥وكان لسليمان سبعون ألفا يحملون أحمالا، وثمانون ألفا يقطعون في الجبل).

(٤) يشير إلى يشوع بن سيراخ، بحسب قائمة المختصرات في الكتاب، ولم أقف عليه.

في هذا المعنى الاسكاتولوجي -المرتبط بالأزمنة الأخيرة-.

تدل اللفظة على مجمل الخلاص المنتظر وعلى جوهر الخلاص (أش ٦:٩[١]؛ زك ٩: ٩[٢]؛ حز ٣٤: ٢٥[٣]. في مت ١٠: ١٣= لو ١٠: ٥)[٤]، على التلاميذ أن يحملوا السلام إلى الناس الذين يذهبون إليهم. ونعرف من لدى قراءتنا الرسائل أن التلاميذ الأولين كانوا أمناء في هذا المجال: (ليكن إله السلام معكم أجمعين)روم ١٥: ٣٣. (الله ليس إله تشويش، بل إله سلام) ١كور١٤: ٣٣."لأن هو (أي المسيح)سلامنا، هو الذي جعل من الشعبين شعبا واحدا" (أف٢: ١٤)[٥].

ثم زاد في توضيح معنى السلام الذي جاء به المسيح قائلا:

"إذن ندهش حين نرى المسيح في إنجيل متى يحذر تلاميذه من مسيح "مسالم"، من مسيح "يحمل السلام" (ذاك كان عمل الأنبياء الكذبة الذين يقولون سلام ولا سلام، (رج إر ٦: ١٤؛ ٨: ١١[٦]؛ حز ١٠:١٣، ١٦[١]). لا شك في أننا نعرف أن "أيام المسيح"

---

(١) يشير إلى سفر إشعياء، أصحاح(٩)عدد(٦)، ونص العدد:(٦لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام).

(٢) يشير إلى سفر زكريا، أصحاح(٩)عدد(٩)، ونص العدد:([ابتهجي جدا يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك. هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان).

(٣) نص العدد: (٢٥وأقطع معهم عهد سلام، وأنزع الوحوش الرديئة من الأرض، فيسكنون في البرية مطمئنين ويناموون في الوعور).

(٤) يشير إلى تساوي العددين في إنجيل متى أصحاح(١٠):(١٣فإن كان البيت مستحقا فليأت سلامكم عليه ولكن إن لم يكن مستحقا فليرجع سلامكم إليكم)، وفي إنجيل لوقا أصحاح(١٠):(٥وأي بيت دخلتموه فقولوا أولا: سلام لهذا البيت).

(٥) دراسات بيبلية-١٦- إنجيل متى، سر الملكوت، الخوري بولس الفغالي، الجزء الثاني، (١٣١).

(٦) يشير إلى مراجعة سفر إرمياء، أصحاح(٦)عدد(١٤)، ونص العدد:(١٤ويشفون كسر بنت شعبي على عثم قائلين: سلام سلام ولا سلام)، وأصحاح(٨)عدد(١١)المكرر، ونص العدد:(. ١١ويشفون كسر بنت شعبي

كما تخيلتها مزامير سليمان دونت في مناخ فريسي-مناخ فرقة الفريسيين المتشدد- أو كتابات قمران الأسيانية[2]، ستكون أيام حرب عنيفة. غير أن هذا النص الإنجيلي الذي نفهمه في سياقه، يوجهنا في اتجاه آخر كما تدل على ذلك آ ١٣ ب[3]، ١٦، ١٧-٢٣[4]. إن يسوع لن يقيم السلام في إسرائيل ساحقا أعداءه، جامعا الأمم تحت سلطة صهيون التي أعيد بناؤها. ولن يقيم السلام الهلنستي (كما فعل الاسكندر الكبير) جامعا كل الشعوب تحت سلطة إنسان يعامل الناس بلا رحمة. ولسنا هنا أمام السلام النهائي وسط بشرية تصالحت مع الله. بل أمام السلام أو الحرب اللذين يسببهما شخص يسوع وشهادة

=

على عثم قائلين: سلام سلام! ولا سلام).

(١) يشير إلى سفر حزقيال، أصحاح(١٣)عدد (١٠)، ونص العدد:(١٠من أجل أنهم أضلوا شعبي قائلين: سلام وليس سلام، وواحد منهم يبني حائطا وها هم يملطونه بـالطفال)، وعدد(١٦) من الأصحاح نفسه، ونصه: (١٦(أي أنبياء إسرائيل الذين يتنبأون لأورشليم ويرون لها رؤى سلام، ولا سلام) يقول السيد الرب!).

(٢) كتابات قمران الاسيانية نسبة إلى اكتشاف لفائف البحر الميت التي تمت في وادي قمران عام ١٩٤٨م ومنها كتاب قانون الجماعة أو كتاب النظام الذي يعتقد أنه خاص بفرقة الأسينيين التي تعد من الجماعات اليهودية التي ازدهرت في القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول بعد الميلاد. وكانت هذه الجماعة تكون إحدى المدارس الثلاث الرئيسية للفكر اليهودي في زمن المسيح مع الفريسيين والصدوقيين.انظر دائرة المعارف الكتابية(١/ ٢٩٥-٣٠٣ مادة "الأسينيون"، ٦/ ٣٢١ مادة "الكتاب المقدس والنقد"٠.

(٣) يشير إلى العدد-الآية-١٣ من إنجيل متى أصحاح(١٠) ونص العدد:(١٣فإن كان البيت مستحقا فليأت سلامكم عليه ولكن إن لم يكن مستحقا فليرجع سلامكم إليكم).

(٤) يشير إلى الأعداد من١٦حتى ٢٣ من إنجيل متى أصحاح (١٠)، ونص العدد:(١٦«ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام. ١٧ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم. ١٨وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم وللأمم. ١٩فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به ٢٠لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم. ٢١وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والأب ولده ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم ٢٢وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي. ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص. ٢٣ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى. فإني الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان).

تلاميذه[1].

ثم بين المقصود الأهم في هذا النص المقدس فقال:

"فالفكرة الجوهرية في النص تقول إن البشر سينقسمون على بعضهم البعض في جو من العنف. فيسوع لا يحمل السيف (ما خايرا، ٢٦: ٤٧ ي[2]؛ رؤ ١٣: ١٠[3]) الحربي الطويل، بل السيف القصير الذي يستطيع كل واحد أن يستعمله ليهاجم قريبه. فيقوم الناس بعضهم على بعض بالنظر إلى السلام الذي يحمله يسوع ويجمله في شخصه. فتلاميذه المفروض فيهم أن يكونوا من أبناء السلام (٥: ٩[4]) سيزرعون العنف أيضا في وسط البشر.

ثم اختتم تفسيره للأعداد (٣٤-٣٥-٣٦-٣٧) من الأصحاح العاشر لإنجيل متى قائلا: "تلك هي الأفكار الرئيسية في هذا المقطع الذي يدعونا أن ننبذ كل خلاف رغم الصعوبات والاضطهادات التي تهددنا. لماذا إخفاء الأمور، ولماذا الاختباء في الأحكام. منذ البداية جعل يسوع تلاميذه أمام الواقع الذي ينتظرهم. ولكنه نبههم أنهم لن يكونوا وحدهم. فالآب حاضر معهم. لا بعنايته الخافية فقط، بل بشخصه وعمله من أجلهم. ثم مهما فعل الناس، فهم لا يصلون إلا إلى الجسد. أما النفس التي هي مبدأ كل علاقة مع إله الحياة، فهم لا يستطيعون أن يسببوا لها أي ضرر. حياتهم هي في يد الله الذي يهتم بالعصفور الصغير الذي "لا قيمة له" في عين البشر. أتراه لا يهتم بأبنائه الذين يموتون من أجل قضية سامية، هي الإنجيل. يموتون من أجل يسوع. وهكذا يعرف الرسل أن الحرب تنتظرهم. وسوف يقول يسوع هذا الكلام بشكل واضح جدا في خطبة

(١) دراسات بيبلية-١٦- إنجيل متى، سر الملكوت، الخوري بولس الفغالي، الجزء الثاني، (١٣٢).

(٢) لم أقف عليه، ولم يشر إليه في هوامش الكتاب.

(٣) يشير إلى العدد(١٠) من الأصحاح(١٣) من سفر الرؤيا، ونص العدد:(١٠إن كان أحد يجمع سبيا فإلى السبي يذهب. وإن كان أحد يقتل بالسيف فينبغي أن يقتل بالسيف. هنا صبر القديسين وإيمانهم).

(٤) يشير إلى العدد(٩) من الأصحاح(٥)، ونص العدد: (٩طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون).

"نهاية العالم"[1].

وعند تفسيره للأعداد (٣٧-٣٨-٣٩) من نفس الأصحاح، استخدم الفغالي التفسير الرمزي لتفسير نص لا يدل على العنف في ظاهره، وقرر أن المعنى المراد من أخذ الصليب في العدد (٣٨) أنه الموت في سبيل المسيح، فقال: "يتطلع النص هنا إلى الأهمية الحاسمة لشخص يسوع كما في آ٣٢-٣٣[2]. هو أن يمر قبل الوالدين والأولاد. فالذي لا يعترف بهذاه الأولوية المطلقة، لا يستطيع أن يكون تلميذ يسوع (٨: ١٩-٢٢= ٩: ٥٧-٦٠[3]).

ثم يستطرد مقررا جدية الأمر وحسم نتيجة القضية، فقال: "لماذا هذه القساوة بالنسبة إلى شعورنا البشري؟ الجواب: نحن أمام قضية الله. أمام شخص الله. وأمام هذه القضية تمحى سائر القيم، وأمام هذا الشخص يختفي سائر الأشخاص. هذه هي لغة الأنجيل، لغة المقطع الذي ندرس.

وتشكل الآياتان -العددان- (آ٣٨-٣٩) ذروة كل الخطبة الاسكاتولوجية -المرتبطة بالأزمنة الأخيرة للحياة- وملخصها في متى. يعتبر هذان القولان منفصلين الواحد عن الآخر في الأصل. ولكنهما يتكاملان في التأليف الحالي.

يتحدث القول الأول عن حمل الصليب. نحن هنا أمام عبارة رمزية تعني أن نكون مستعدين لنذهب إلى الموت. ويرتبط هذا الاستعداد للموت بفكرة "تبع"، ومشى وراء. فعلى الذي التزم في هذه الطريق، فالذي مشى "على خطى يسوع" أن يكون مستعدا كل الاستعداد، للتخلي عن حياته.مقابل هذا نقول: من وجد نفسه في هذا الاستعداد يستطيع أن يمشي وراء يسوع، أن يتبع يسوع. فكلاهما يترافقان معا. وحده ذاك الذي يقبل

---

(١) دراسات بيبلية-١٦- إنجيل متى، سر الملكوت، الخوري بولس الفغالي، الجزء الثاني، (١٣٢).

(٢) نص العدد -الآية- من الأصحاح العاشر: (٣٢فكل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضا به قدام أبي الذي في السماوات ٣٣ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضا قدام أبي الذي في السماوات).

(٣) يشير إلى تساوي معنى الأعداد ١٩-٢٢ من الأصحاح (٨) في إنجيل متى، مع إنجيل لوقا أصحاح (٩)، -أعداد ٥٧-٦٠.

الشرطين ويعمل على تحقيقهما، (يستحق) المعلم"[1].

ثم يستمر في استطراده في تفسير وتحليل هذه الأسفار قائلا: "تتكرر هنا ثلاث مرات عبارة (لا يستحقني) (في آ ٣٧، ٣٨). يكون الحديث أولا عن الأب والأم "آ ٣٧أ".ثم عن الابن والابنة"آ٣٧ب". ثم عن الحياة الشخصية"آ٣٨". هكذا نصل إلى قمة التدرج: أمام أولوية يسوع، أمام متطلباته المطلقة، تبدو الحياة وكأنها تتلاشى كقيمة مستقلة في ذاتها.إذا إردنا أن نفهم هذا التخفي التام تجاه كل خير بالنسبة إلى الله وحده. ومع ذلك، يبدو صعبا بل مستحيلا على عقلنا البشري أن يفهم هذا القول. إذن هو يحتاج إلى شرح سوف يعطى لنا في (آ٣٩)[2].

ثم يبين بوضوح معنى عبارة حمل الصليب فيقول:"ولكن قبل ذلك. نعود إلى عبارة "حمل صليبه" هذه العبارة نجدها خمس مرات في الأناجيل الازائية[3]. في مر ٨: ٣٤: (من أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه وليحمل صليبه ويتبعني)، إن حياة التلميذ الحقيقي تتجدد بحياة يسوع: نتبعه في التخلي عن ذاتنا، فنخاطر بحياتنا من أجل قضية سامية، من أجل يسوع والإنجيل. ونقرأ في متى ١٦: ٢٤ العبارة عينها كما في مر ٨: ٤٣. فاتباع يسوع لا يعني عملا خارجيا وسطحيا. بل التخلي عن الذات وحمل الصليب. وأورد لو ٩: ٢٣ هذا القول وحدد(كل يوم). التلميذ يحمل صليبه كل يوم. نحن هنا أمام شريعة مستمرة في

(١) دراسات بيبلية-١٦- إنجيل متى، سر الملكوت، الخوري بولس الفغالي، الجزء الثاني، (١٣٥).

(٢) دراسات بيبلية-١٦- إنجيل متى، سر الملكوت، الخوري بولس الفغالي، الجزء الثاني، (١٣٥).

(٣) معنى الأناجيل الإزائية أي المتوافقة وهي إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا، أما أنجيل يوحنا فيختلف اختلافا جذريا عنها في سرد الوقائع والأحداث وذكر بعض الأفكار والعقائد المبالغ فيها لدرجة أن عديدا من الدارسين من المسيحيين اضطروا على القول بأن الأناجيل الثلاثة الأولى إن صحت نصوصها، فإن نصوص الإنجيل الرابع لا تصل إلى درجة الصحة. انظر المسيحية، ساجد مير، (٢٤٨)، دار السلام، الرياض، ط.الأولى. وعن وجهة انظر النصرانية، انظر الأناجيل الإزائية، الخوري الفغالي، (٢٦٦و ٢٨٦)، الرابطة الكتابية، ١٩٩٣م.

حياة المسيحي (رج مت ١١: ٣[1]) الذي يتخلى كل يوم عن ذاته. وقد بدأ القول اللوقاوي بهذه العبارة: (قال الجميع). فهذا القول الإلهي لا يتوجه فقط إلى الاثني عشر، بل إلى جميع تلاميذ المسيح"[2].

إذن هو يقرر أن معنى حمل الصليب أنه يجب أن يكون المسيحي مستعدا للذهاب إلى الموت، وأنه يجب على كل مسيحي أن يحمل صليبه كل يوم، وأن ذلك شريعة مستمرة في حياة المسيحي، فالنتيجة هي أن يكون كل مسيحي مستعدا للموت في سبيل يسوع في كل يوم.

ثم يستمر في تفسيره مقررا وجود الشهادة والموت في سبيل المسيح، فيقول: "ونقرأ الآن في متى ١٠: ٣٨: (من لا يأخذ صليبه ويتبعني، فلا يستطيع أن يكون لي تلميذا). لسنا فقط على مستوى الشهادة والموت من أجل المسيح، بل التخلي عن الذات الذي يقوده إلى الموت.

ونعود إلى متى ١٠:٣٩: (من وجد نفسه أضاعها، ومن أضاع نفسه من أجلي وجدها). النفس هي الحياة. فعلى التلميذ أن يتخلى عن حياته، لأن لا قيمة لها "الحياة ليست طلبا لمجهود على مثال الرواقيين". وهو لا يتخلى عن حياته في احتقار وكبرياء على ما تقول بعض الأناشيد الوطنية. إن آ ٣٩ تقول عكس ذلك. علينا أن نخسر الحياة لكي نستطيع أن نربحها. ومقابل هذا من وجد حياته، وتملكها وتعلق بها، واعتبرها الحياة الحقيقة، فهو يخسرها، يضعيها.

لا منطق (ولا أخلاقية) في هذا العالم يساعدنا على فهم هذا الأمر. نحن هنا أمام خبرة وجودية تبدأ في وضاعة الحياة اليومية، وتتم بشكل رائع في ذبيحة الشهيد. ليست كلمة يسوع هذه صورة بلاغية، وليست جدلية على مستوى العقل أو الوجود. فنحن لا نعرف

(١) يشير إلى إنجيل متى، أصحاح(١١)عدد(٣)، ونص العدد:(٣وقال له: «أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟).

(٢) دراسات بيبلية-١٦- إنجيل متى، سر الملكوت، الخوري بولس الفغالي، الجزء الثاني، (١٣٥).

عمقها ولا نستطيع أن نعيشه إلا في الإيمان. والكافل الوحيد لحقيقة هذه الكلمة، والذي عليه نستطيع أن نرتكز مرة أخرى، هو الله الذي منه الحياة والموت. إنه من يفرض الموت (آ ٣٨) ويهب الحياة.

تضمن تدوين النص الذي ندرس لفظة (من أجلي). ق-قابل- لو١٧: ٣٣: (من طلب أن يحفظ نفسه يهلكها. ومن أهلكها يحفظها)، هناك شهود يقولون: (يخلص) بدل (يحفظ)، تمشيا مع لو ٩: ٢٤[١]. المعنى: يحفظها في قيد الحياة (يش ٦: ١٧[٢]؛ مز ٧٩: ١١[٣]؛ حز ١٣: ١٨-١٩[٤]).

إن تأكيد لو ١٧: ٣٣ ببعده الشامل، ينحصر هنا " مر ٨: ٣٥ = مت ١٦:٢٥ = لو ٩: ٢٤[٥] " في مجموعة التلاميذ الذين هم في خدمة يسوع، وبالتالي يتعرضون للعداوة والموت. لا شك في أنه كان من السهل أن نعطي عبارة يسوع العامة، هذا المعنى الخاص.

---

(١) نص العدد: (٢٤فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي فهذا يخلصها).

(٢) نص العدد:(١٧فتكون المدينة وكل ما فيها محرما للرب. راحاب الزانية فقط تحيا هي وكل من معها في البيت، لأنها قد خبأت المرسلين اللذين أرسلناهما).

(٣) نص العدد:(١١ليدخل قدامك أنين الأسير. كعظمة ذراعك استبق بني الموت).

(٤) نص العددين:(١٨وقل: هكذا قال السيد الرب: ويل للواتي يخطن وسائد لكل أوصال الأيدي، ويصنعن مخدات لرأس كل قامة لاصطياد النفوس. أفتصطدن نفوس شعبي وتستحيين أنفسكن، ١٩وتنجسنني عند شعبي لأجل حفنة شعير ولأجل فتات من الخبز، لإماتة نفوس لا ينبغي أن تموت، واستحياء نفوس لا ينبغي أن تحيا، بكذبكن على شعبي السامعين للكذب؟

(٥) يشير إلى تطابق معاني الأعداد المذكورة.

ونص عدد إنجيل مرقس:(٣٥فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها).

ونص عدد إنجيل متى:(٢٥فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها).

ونص عدد إنجيل لوقا:(٢٤فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي فهذا يخلصها).

ولكن أما نستطيع القول أيضا إننا نجد هنا تعبيرا عن فكرة تلهم كل مت ١٠: ٢٦-٣٩[١] في التدوين المتاوي. نجد وصع يسوع المشرف ودوره الحاسم كشخص حي في حياتنا.

ودينونة التلميذ تتم حسب الطريقة التي بها تصرف تجاه معلمه، وردة فعل المعلم على موقف التلميذ متى ١٠: ٣٢-٣٣. فعلى التلميذ أن يعترف في حياته بأولوية يسوع. عليه أن يفضله على الأقارب الأقربين١٠: ٣٥-٣٧. عليه أن يتبعه هو حتى لوضحى بحياته. ففي النهاية، نحن نضحي بحياتنا من أجل يسوع. وهكذا نرى الله يتراءى في شخص يسوع.

إن عبارة (من أجلي) تعني: من أجل ملكوت الله وبره متى ٥: ١٠[٢]؛ متى ٦: ٣٣[٣]"[١].

(١) نص الأعداد:(٢٦فلا تخافوهم. لأن ليس مكتوم لن يستعلن ولا خفي لن يعرف. ٢٧الذي أقوله لكم في الظلمة قولوه في النور والذي تسمعونه في الأذن نادوا به على السطوح ٢٨ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم. ٢٩أليس عصفوران يباعان بفلس؟ وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم. ٣٠وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة. ٣١فلا تخافوا. أنتم أفضل من عصافير كثيرة. ٣٢فكل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضا به قدام أبي الذي في السماوات ٣٣ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضا قدام أبي الذي في السماوات.

٣٤«لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض. ما جئت لألقي سلاما بل سيفا. ٣٥فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها. ٣٦وأعداء الإنسان أهل بيته. ٣٧من أحب أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني ٣٨ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني. ٣٩من وجد حياته يضيعها ومن أضاع حياته من أجلي يجدها. ٤٠من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني.

(٢) نص العدد:(١٠طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السماوات).

(٣) نص العدد:(٣٣لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم).

وأما متى هنري فقد استخدم المنهج الرمزي عند تفسيره لهذا النص فقال:

"وتصور هذه الآلام هنا بأنها سيف وانقسام ع-عدد- ٣٤و٣٥: (لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما) سلاما وقتيا وراحة خارجية. فقد ظنوا أن المسيح أتى ليهب كل أتباعه ثروة وقوة في هذا العالم. أما المسيح فيقول لهم:كلا، فإني ما جئت لألقي سلاما أرضيا، أما السلام السماوي فتيقنوا أنه يوهب لكم. جاء المسيح ليهبنا سلاما مع الله، سلاما في ضمائرنا، سلاما مع إخوتنا، ولكن: (في العالم سيكون لكم ضيق)"[٢].

ثم استمر في تفسيره قائلا: "لا تتوقعوا (سلاما بل سيفا)، جاء المسيح لكي يعطي سيف الكلمة الذي به يحارب تلاميذه العالم، ولهذا السيف أعطيت قوة الغلبة رؤ ٦: ٤، ١٩: ٢١[٣]، ولكي يعطي أيضا سيف الاضطهاد، الذيبه يحارب العالم تلاميذه إذ يمتلئ قلبه حقدا بسبب سيف الكلمة أع ٧: ٤٥[٤] ويشتد عذابه بسبب شهادة شهود المسيح رؤ ١١: ١٠[٥] ولهذا السيف أعطيت قوة البطش والقسوة. لقد أرسل المسيح الإنجيل الذي يعطي الفرصة لإشهار هذا السلاح، ولذلك يحق أن يقال بأنه أرسل هذا السلاح. وهو سمح لكنيسته بالآلام لامتحان شعبه وتزكية إيمانهم ولملء مكيال إثم أعدائهم.

لا تتوقعوا سلاما بل إنقساما ع -عدد- ٥٣: (جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها). ليست نتيجة الكرازة بالإنجيل هذه غلطة الإنجيل، بل غلطة الذين لا يقبلونه. حينما يصدق البعض كلامكم والبعض الآخر لا يصدقون فإن

=

(١) دراسات بيبلية- ١٦- إنجيل متى، سر الملكوت، الخوري بولس الفغالي، الجزء الثاني، (١٣٧) بتصرف يسير.

(٢) تفسير إنجيل متى، متى هنري، ترجمة القمص مرقس داود، (٣٣٦)، مكتبة المحبة، القاهرة.

(٣) نص الأصحاح (٦):(٤فخرج فرس آخر أحمر، وأعطي للجالس عليه أن ينزع السلام من الأرض، وأن يقتل بعضهم بعضا، وأعطي سيفا عظيما).

(٤) نص العدد:(٤٥التي أدخلها أيضا آباؤنا إذ تخلفوا عليها مع يشوع في ملك الأمم الذين طردهم الله من وجه آبائنا إلى أيام داود).

(٥) نص العدد:(١٠وكان هذا على ثلاث مرات ثم انتشل الجميع إلى السماء أيضا).

إيمان الذين يصدقون يدين من لايصدقون فيصبح هؤلاء أعداء لمن يصدقون[1].

ثم عقب بملاحظة قائلا: "ملاحظة، إن أشد العداوات التي قامت بين البشرية هي التي نشأت بسبب الخلافات الدينية. لم تظهر عداوة أشد من عداوة المضطهدين الظالمين، ولم يظهر ثبات كثبات المضطهدين المظلومين.

هكذا يخبر المسيح تلاميذه أية آلام يتحملون، وكانت هذه كلمات أليمة الوقع؛ لأنهم إن تحملوا استطاعوا تحمل أي شيء آخر"[2].

ثم استطرد في تفسيره لهذه الأعداد مبتدءا بنص مقدس: ": (لا تخافوهم)ع ٢٦، لأنهم لا يستطيعون إلا أن (يقتلوا الجسد)ع ٢٨. ملاحظة، ليس واجبا على تلاميذ المسيح فحسب، بل مما يعزيهم، أن يخافوا من أقل خطيئة لا يليق بهم أن يخافوا أقوى خصومهم. والذين يخافون الله بالحق لا يليق بهم أن يخافوا الإنسان. والذين يخافون من أقل خطية لا يليق بهم أن يخافوا من أشد المتاعب. (خشية "خوف" الإنسان تضع شركا) أم ٢٩: ٢٥ شركا مركبا ومزعجا، يهدد سلامنا، شركا مغريا، نجذب به البشر. لذلك يجب أن نحرص منه كل الحرص، ونجاهد ضده، ونصلي لكي لا نقع فيه. ومهما تحرجت الأوقات، واشتدت الأزمات، وعظمت الضيقات، وثار الأعداء، فلا مبرر للخوف: (لذلك لا نخشى ولو تزعزعت الأرض) مز ٤٦: ٢ طالما كان لنا إله صالح كهذا، وحق صالح كهذا: (ورجاء صالح بالنعمة)، كهذا ٢تس ٢: ١٦[3].

ثم عدد في نقاط على من يجب أن يفضل المسيح، فقال: "... يجب أن يفضل على كل شخص وعلى كل شيء.

(أولا) على أقرب وأعز الأقرباء: (من أحب أبا أو أما.. ابنا أو ابنة أكثر مني فلا

---

(١) تفسير إنجيل متى، متى هنري، ترجمة القمص مرقس داود، (٣٣٦).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، (٣٤٢).

يستحقني) بين هؤلاء الأقرباء لا يوجد مجال كبير للحسد، بل المجال للمحبة، ولذا فقد ذكر المسيح هذه القرابات كأكثر ما يكون تأثيرا علينا. فالأبناء يجب أن يحبوا أباءهم، والآباء يجب أن يحبوا أبناءهم، ولكن إن أحبوهم أكثر من المسيح فإنهم لا يستحقونه. وكما أننا ينبغي أن لا يعوقنا عن المسيح بعض أقربائنا، الأمر الذي حدثنا عنه في ع ٢١، ٣٥، ٣٦ كذلك ينبغي أن لا نرتد عنه بسبب محبتنا لهم. ينبغي أن يكون المسيحيون كاللاوي (الذي قال عن أبيه وأمه لم أرهما) تث٣٣: ٩.

(ثانيا) على راحتنا وسلامتنا (ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني) لاحظ هنا.(١) على الذين يريدون أن يتبعوا المسيح أن يتوقعوا الصليب ويحملوه (٢) وفي حمل الصليب ينبغي أن نتبع المسيح ونتمثل به، ونحمله كما حمله هو (٣) ومن أكبر المشجعات حينما نلتقي بالصليب أن نذكر أننا بحمله نتبع المسيح الذي أرانا الطريق، وأننا إذا تبعناه بأمانة فإنه يقودنا وسط الآلام، لكي نتمجد معه.

(ثالثا) على الحياة نفسها (من وجد حياته يضيعها) ع ٣٠، من يظن أنه (وجد حياته) حينما ينقذها ويحفظها بإنكار المسيح فإنه (يضيعها) بالموت الأبدي. ولكن (من أضاع حياته من أجلي) من يفضل بأن يضحيها عن أن ينكر المسيح فإنه (يجدها) في حياة أبدية. إن أكثر الناس احتقارا لهذا العالم الحاضر هم أكثرهم استعدادا للعالم الآخر"[١].

ويقول القمص تاردس ملطي عند تفسيره للنص نفسه: "يعلق القديس يوحنا الذهبي على هذه الحرب القاسية، بقوله: (ليس فقط الأصدقاء والزملاء يقفون ضد الإنسان بل حتى الأقرباء، فتنقسم الطبيعة على ذاتها... ولا تقف الحرب على من هم في بيت واحد أيا كانوا وإنما تقوم حتى بين الذين هم أكثر حبا لبعضهم البعض، بين الأقرباء جدا)[٢].

(١) المرجع السابق، (٣٥٢).

(٢) تفسير إنجيل متى، القمص تاردس يعقوب ملطي، (٢٤٢-٢٤٣)، كنيسة ماجرجيس باسبورتنج، ١٩٨٣.

ثم يردف قائلا عند تفسير العدد التالي: "هنا يقدم الله أولويته على الجميع، فلا يتربع في القلب غيره، ولا يسمح لأحد بدخول القلب إلا من خلاله، إذ يقول: (من أحب أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني. من وجد حياته يضيعها، ومن أضاع حياته من أجلي يجدها) ع ٣٧-٣٩. حقا إن الله الذي أوصانا بالحب، بل جاء إلينا لكي يهبنا طبيعة الحب نحوه ونحو الناس حتى الأعداء لا يقبل أن نحب أحدا حتى حياتنا الزمنية هنا إلا من خلاله، إنه يغير علينا كعريس يطلب قلب عروسه..[(١)].

ثم ساق قولا للقديس جيروم يقول فيه: "يأمرنا الكتاب المقدس بطاعة والدينا.نعم ولكن من يحبهم أكثر من المسيح يخسر نفسه. هوذا العدو يحمل سيفا ليقتلني، فهل أفكر في دموع أمي؟ أو هل أحتقر خدمة المسيح لأجل أب؟ هذا الذي لا أرتبط بدفنه إن كنت خادما للمسيح "لو ٩: ٥٩، ٦٠"[(٢)]."[(٣)].

وقد وقع البابا شنودة وهو يفسر هذه الآية في المنهج المضطرب للتفسير، فبعد أن قرر بأن الآية الواحدة من الكتاب المقدس لا تكون عقيدة، قال:

"فحينما نتحدث عن آية من الكتاب المقدس، لا نستطيع أن نفصلها عن روح الكتاب كله، لأننا قد لا نفهمها مستقلة عنه. فلنضع أمامنا إذن روح الإنجيل، رسالة المسيح التي ثبتت في أذهان الناس، ثم نفهم تفسير الآية في ظل المفهوم العام الراسخ في قلوبنا...

وكان أول من انقسم على المسيح ثم تلاميذه اليهود وقادتهم، ليس بسبب المسيح، بل

---

(١) المرجع السابق.

(٢) نص العدد:(٥٩وقال لآخر: «أتبعني». فقال: «يا سيد ائذن لي أن أمضي أولا وأدفن أبي». ٦٠فقال له يسوع: «دع الموتى يدفنون موتاهم وأما أنت فاذهب وناد بملكوت الله).

(٣) تفسير إنجيل متى، القمص تاردس يعقوب ملطي، (٢٤٣).

بسبب تمسك اليهود بملك أرضي، وبسبب تفسيرهم الحرفي للكتاب...

وانقسم اليهود على المسيح، لأنهم كانوا يريدون ملكا أرضيا ينقذهم من حكم الرومان، أما هو فقال لهم: (مملكتي ليس من هذا العالم)[1]، فلم يعجبهم حديثه عن ملكوت الله، ولا قوله: (أعطوا ما لقيصر لقيصر..)[2].

وهكذا قام ضد المسيح كل من كهنة اليهود وشيوخهم والكتبة والفريسيون وغيرهم من الشيع السياسية.

أكان يمكن للمسيح أن يمنع هذا الانقسام بأن يجامل اليهود في عقيدتهم عن الشعب المختار، ورفضهم لإيمان الأمم الأخرى، ورغبتهم في الملك الأرضي، وحرفيتهم في تفسير وصايا الله؟! أم كان لا بد أن ينشر الحق ولا يبالي بالانقسام؟!

كذلك واجه السيد المسيح العبادات القديمة بكل تعدد آلهتها: آلهة الرومان الكثيرة، تحت قيادة جوبتر، والآلهة اليونانية الكثيرة، تحت قيادة زيوس، والآلهة المصرية الكثيرة تحت قيادة رع آمون، وباقي العبادات، وكذلك الفلسفات الوثنية، وكان لا بد من صراع بين عبادة الله والعبادات الأخرى.

أكان المسيح يترك رسالته لا ينادي بها خوفا من الانقسام؟! تاركا الوثنيين في عبادة الأصنام، لكي يحيا في سلام معهم؟! ألا يكون هذا سلاما باطلا؟!

أم كان لا بد أن ينادي لهم بالإيمان السليم، ولا خوف من الانقسام، لأنه ظاهرة طبيعية، فطبيعي أن ينقسم الكفر على الإيمان، وطبيعي أن النور لا يتحد مع الظلام.

ولم يكن الانقسام صادرا من السيد المسيح، بل كان صادر من رفض الوثنية للإيمان الذي نادى به المسيح. وهكذا أنذر السيد المسيح تلاميذه، بأن انقساما لا بد سيحدث،

(١) إنجيل يوحنا، (١٨: ٣٦).

(٢) إنجيل متى، (٢٢: ٢١).

وأنهم في حملهم لرسالته، لا يدعوهم إلى الرفاهية والهدوء، بل إلى الصدام مع أصحاب الانقسام وأهل الشر والخصام.

لذلك قال لهم: (في العالم سيكون لكم ضيق)[(١)]: (وتأتي ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله)[(٢)]: (إن كان العالم يبغضكم، فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم)[(٣)].

لقد وقف السيف ضد المسيحية، لم يكن منها وإنما عليها، وعندما رفع بطرس سيفه ليدافع عن المسيح وقت القبض عليه، انتهره ومنعه قائلا: (٥٢فقال له يسوع: «رد سيفك إلى مكانه. لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون!)[(٤)].

وكانت نتيجة السيف الذي تحمله المسيحيون الألم. ونتيجة انقسام الوثنيين في درجة الإيمان، انتشر الإيمان المسيحي وبادت الوثنية، وفي وقت من الأوقات، ظن تلاميذ المسيح كيهوذا أن المسيح سيملك، لذلك اشتهى بعضهم أن يجلس عن يمينه وعن شماله في ملكه. فشرح لهم السيد أن حملهم لبشارته سوف لا يجلب لهم سلاما ورفاهية، وإنما انقساما وحروبا من أعداء الإيمان، بل سيحدث هذا حتى في مجال الأسرة في البيت الواحد، إذ قد يؤمن ابن الله، فيثور عليه الوثني ويجبره على العودة إلى وثنيته ويقتله، وهكذا مع باقي أفراد الأسرة التي تنقسم بسبب الإيمان سواء الزوجة أو الزوج. فهل يرفض هؤلاء الإيمان حرصا على عدم الانقسام؟! كلا. فلانقسام هنا ليس شرا، وإنما ظاهرة طبيعية، وكل ديانة انتشرت على الأرض، واجهت مثل هذا الانقسام في بادئ الأمر، إلى أن استقرت الأمور"[(٥)].

---

(١) إنجيل يوحنا، (١٦: ٢٣).

(٢) إنجيل يوحنا، (١٦: ٢).

(٣) إنجيل يوحنا، (١٥: ١٨-٢٠).

(٤) إنجيل متى، (٢٦: ٥٢).

(٥) السلام في تعاليم السيد المسيح، د.ميخائيل إسكندر، (١٤-٢٦)، مكتبة المحبة، ٢٠٠٠.

لقد حاول البابا شنودة أن يجد مخرجا من صراحة النص المقدس الذي يريد إخراجه عن دلالاته، لكنه لم يفلح فأثبت في نهاية المطاف، شرعية الانقسام وضرورة وجود من يستحق العقاب، وأن الصدام بين الحق والباطل لا بد أن يقع، وأنه ظاهرة طبيعية في التاريخ، وبالتالي فإن الحروب والانقسامات وما يصاحبها من تضحيات بالأنفس والأموال في سبيل المسيح أمر شرعي، وبالتالي أثبت أنه يريد سلاما خاصا بالمسيح وأتباعه فقط، وأما من سواهم فإنهم يستحقون ما أوجبه المسيح من الدينونة.

ولعلي أكتفي بالنقل عن مفسري النصارى، فالمقصود من سوق هذه التفاسير قد حصل وظهرت حقيقة العقيدة التي جاء بها المسيح، وكونها عقيدة تدعو إلى الحرب والموت من أجلها والانقسام بين أقرب الناس. وظهر أيضا أن من اتخذ المنهج الرمزي في تفسيره أمثال متى هنري لم يستطيعوا إنكار هذه الحقيقة، ولكنهم أوقعوا اللوم على من لم يقبل دعوة المسيح، وسأسوق فيما يلي نصوصا أخرى تثبت هذه العقيدة.

من نصوص العهد الجديد الداعية لاتباع المسيح والموت في سبيله:

سجل العهد الجديد العديد من النصوص المقدسة المثبتة لدعوة المسيح لاتباعه وترك من سواه، حتى ينالوا الخلاص الذي دعى إليه، ومن ذلك ما جاء في إنجيل متى: (٢٥فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها.

٢٦لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه؟)[1].

وجاء في إنجيل مرقس: (٣٥فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها.

٣٦لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟.

(١) إنجيل متى، أصحاح (١٦).

٣٧أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه؟)[(١)].

وجاء في إنجيل لوقا: (٢٣وقال للجميع: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني.

٢٤فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي فهذا يخلصها.

٢٥لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وأهلك نفسه أو خسرها؟)[(٢)].

وجاء في إنجيل لوقا أيضا: (٣٣من طلب أن يخلص نفسه يهلكها ومن أهلكها يحييها)[(٣)].

وجاء في إنجيل يوحنا: (٢٤الحق الحق أقول لكم: إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير.

٢٥من يحب نفسه يهلكها ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية.-من يتمسك بحياته، يخسرها.ومن نبذها في هذا العالم يوفرها للحياة الأبدية-)[(٤)].

وجاء في إعمال الرسل نص مقدس يثبت موت القديس استفانوس في سبيل المسيح: (٥٩فكانوا يرجمون استفانوس وهو يدعو ويقول: «أيها الرب يسوع اقبل روحي». ٦٠ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم: «يا رب لا تقم لهم هذه الخطية». وإذ قال هذا رقد)[(٥)].

وجاء في رسالة الرسول بولس إلى مؤمني روما: (٧لأن ليس أحد منا يعيش لذاته ولا أحد يموت لذاته. ٨لأننا إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت. فإن عشنا وإن

(١) إنجيل مرقس، إصحاح(٨).

(٢) إنجيل لوقا، أصحاح (٩).

(٣) إنجيل لوقا، أصحاح (١٧).

(٤) إنجيل يوحنا، أصحاح (١٢).

(٥) أعمال الرسل، أصحاح (٧).

متنا فللرب نحن)[1].

وجاء في رسالة الرسول بولس الثانية إلى مؤمني تيموثاوس (١١صادقة هي الكلمة: أنه إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضا معه. ١٢إن كنا نصبر فسنملك أيضا معه. إن كنا ننكره فهو أيضا سينكرنا. ١٣إن كنا غير أمناء فهو يبقى أمينا، لن يقدر أن ينكر نفسه)[2].

وجاء في سفر الرؤيا: (١٠لا تخف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به. هوذا إبليس مزمع أن يلقي بعضا منكم في السجن لكي تجربوا، ويكون لكم ضيق عشرة أيام. كن أمينا إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة-فابق أمينا حتى الموت فأمنحك إكليل الحياة-.

١١من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس. من يغلب فلا يؤذيه الموت الثاني ـ كل من ينتصر لن يلحق به أذى الموت الثاني ـ)[3].

وجاء في سفر الرؤيا أيضا: (٩ولما فتح الختم الخامس، رأيت تحت المذبح نفوس الذين قتلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التي كانت عندهم.

١٠وصرخوا بصوت عظيم قائلين: «حتى متى أيها السيد القدوس والحق، لا تقضي وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض؟)[4].

وجاء في سفر الرؤيا أيضا: (١٣وسألني واحد من الشيوخ: «هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض، من هم ومن أين أتوا؟».

١٤فقلت له: «يا سيد أنت تعلم». فقال لي: «هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة، وقد غسلوا ثيابهم وبيضوها في دم الحمل.

---

(١) الرسالة إلى مؤمني روما، أصحاح (١٤).

(٢) الرسالة الثانية إلى مؤمني تيموثاوس، أصحاح (٢).

(٣) سفر الرؤيا، أصحاح (٢).

(٤) سفر الرؤيا، أصحاح (٦).

١٥من أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهارا وليلا في هيكله، والجالس على العرش يحل فوقهم.

١٦لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر.

١٧لأن الحمل الذي في وسط العرش يرعاهم، ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية، ويمسح الله كل دمعة من عيونهم)[١].

وجاء في سفر الرؤيا أيضا: (١١وهم غلبوه بدم الحمل وبكلمة شهادتهم، ولم يحبوا حياتهم حتى الموت.–وهم قد انتصروا عليه بدم الحمل وبالكلمة التي شهدوا لها، فلم تكن حياتهم عزيزة لديهم، حتى أنهم ماتوا–)[٢].

وجاء في سفر الرؤيا أيضا: (١٣وسمعت صوتا من السماء قائلا لي: «اكتب. طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن ـ نعم يقول الروح، لكي يستريحوا من أتعابهم، وأعمالهم تتبعهم)[٣].

وجاء في سفر الرؤيا أيضا: (٤... ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله)[٤].

نصوص وطء الأعداء بالأقدام والتنكيل بهم وذبحهم ويوم الرب القادم ودينونة الأمم وانتصار المسيح:

دعت النصوص المقدسة إلى سحق الأعداء، ووطئهم بالأقدام والتنكيل بهم، ومن هذه النصوص ما جاء في إنجيل لوقا: (٢٧أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك

(١) سفر الرؤيا، أصحاح (٧).

(٢) سفر الرؤيا، أصحاح (١٢).

(٣) الرؤياء، أصحاح(١٤).

(٤) الرؤياء، أصحاح(٢٠).

عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي)[1].

وجاء في إنجيل لوقا: (٤١وقال لهم: «كيف يقولون إن المسيح ابن داود ٤٢وداود نفسه يقول في كتاب المزامير: قال الرب لربي: اجلس عن يميني.

٤٣حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. ٤٤فإذا داود يدعوه ربا. فكيف يكون ابنه؟)[2].

وجاء في سفر مرقس: (٣٥ثم سأل يسوع وهو يعلم في الهيكل: «كيف يقول الكتبة إن المسيح ابن داود؟.

٣٦لأن داود نفسه قال بالروح القدس: قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك.

٣٧فداود نفسه يدعوه ربا. فمن أين هو ابنه؟» وكان الجمع الكثير يسمعه بسرور)[3].

وجاء في أعمال الرسل: (١٧يقول الله: ويكون في الأيام الأخيرة أني أسكب من روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاما.١٨وعلى عبيدي أيضا وإمائي أسكب من روحي في تلك الأيام فيتنبأون.١٩وأعطي عجائب في السماء من فوق وآيات على الأرض من أسفل: دما ونارا وبخار دخان.٢٠تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم قبل أن يجيء يوم الرب العظيم الشهير.٢١ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص...

٣٣وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه.

---

(١) إنجيل لوقا، أصحاح (١٩).

(٢) إنجيل لوقا، أصحاح (٢٠).

(٣) إنجيل مرقس، أصحاح (١٢).

٣٤لأن داود لم يصعد إلى السماوات. وهو نفسه يقول: قال الرب لربي اجلس عن يميني.٣٥حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك)[(١)].

وجاء في الرسالة للعبرانيين: (١٣ثم لمن من الملائكة قال قط: «اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك؟».

١٤أليس جميعهم أرواحا خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص!)[(٢)].

وجاء في نفس الرسالة أيضا: (١٢وأما هذا فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة، جلس إلى الأبد عن يمين الله، ١٣منتظرا بعد ذلك حتى توضع أعداؤه موطئا لقدميه)[(٣)].

وجاء في رسالة يوحنا الأولى نص مقدس يتنبأ بانتصار المسيح على العالم: (٤لأن كل من ولد من الله يغلب العالم. وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا.

٥من هو الذي يغلب العالم، إلا الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله؟.

٦هذا هو الذي أتى بماء ودم، يسوع المسيح. لا بالماء فقط، بل بالماء والدم. والروح هو الذي يشهد، لأن الروح هو الحق)[(٤)].

وهذا نص مقدس يبشر بما سيناله أتباع المسيح من القوة عندما يحل عليهم الروح القدس، جاء في أعمال الرسل: (٦أما هم المجتمعون فسألوه: «يا رب هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل؟».

٧فقال لهم: «ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه.

---

(١) أعمال الرسل، أصحاح (٢).

(٢) الرسالة إلى العبرانيين، أصحاح (١).

(٣) الرسالة إلى العبرانيين، أصحاح (١٠).

(٤) رسالة يوحنا الأولى، أصحاح (٥).

٨لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهودا في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض)[١].

ومما يثبت انتظار النصارى للدينونة التي سيصنعها المسيح عندما يأتي، ما جاء في رسالة يهوذا: (١٤وتنبأ عن هؤلاء أيضا أخنوخ السابع من آدم قائلا: «هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه.

١٥ليصنع دينونة على الجميع، ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها، وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطاة فجار)[٢].

وأيد هذه العقيدة ما جاء في الرسالة إلى العبرانيين: (١٤لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين...

٢٦فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا.

٢٧بل قبول دينونة مخيف، وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين.

٢٨من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة.

٢٩فكم عقابا أشر تظنون أنه يحسب مستحقا من داس ابن الله، وحسب دم العهد الذي قدس به دنسا، وازدرى بروح النعمة؟

٣٠فإننا نعرف الذي قال: «لي الانتقام، أنا أجازي، يقول الرب». وأيضا: «الرب يدين شعبه)[٣].

وجاءت نصوص مقدسة تثبت عقيدة أن جزاء من ينتصر ويغلب في سبيل المسيح

(١) أعمال الرسل، أصحاح (١).

(٢) رسالة يهوذا، أصحاح (١).

(٣) الرسالة إلى العبرانيين، أصحاح (١٠).

الحياة الأبدية في الملكوت الأعلى ومنها ما جاء في سفر الرؤيا الذي يعد كله من أوله إلى آخره مقررا لهذه العقيدة، فقد جاء فيه:

(٧من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس. من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله...

رسالة إلى سميرنا:

١٧من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس. من يغلب فسأعطيه أن يأكل من المن المخفى، وأعطيه حصاة بيضاء، وعلى الحصاة اسم جديد مكتوب لا يعرفه أحد غير الذي يأخذ».

رسالة إلى ثياتيرا:

١٨واكتب إلى ملاك الكنيسة التي في ثياتيرا: «هذا يقوله ابن الله، الذي له عينان كلهيب نار، ورجلاه مثل النحاس النقي.

٢٤ولكنني أقول لكم وللباقين في ثياتيرا، كل الذين ليس لهم هذا التعليم، والذين لم يعرفوا أعماق الشيطان، كما يقولون، إني لا ألقي عليكم ثقلا آخر، ٢٥وإنما الذي عندكم تمسكوا به إلى أن أجيء.

٢٦ومن يغلب ويحفظ أعمالي إلى النهاية فسأعطيه سلطانا على الأمم.

٢٧فيرعاهم بقضيب من حديد، كما تكسر آنية من خزف، كما أخذت أنا أيضا من عند أبي، ٢٨وأعطيه كوكب الصبح.

٢٩من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس)(١).

---

(١) سفر الرؤيا، أصحاح (٢).

رسالة إلى ساردس:

(٥من يغلب فذلك سيلبس ثيابا بيضا، ولن أمحو اسمه من سفر الحياة، وسأعترف باسمه أمام أبي وأمام ملائكته. ٦من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس...

رسالة إلى فيلادلفيا:

١١ها أنا آتي سريعا. تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك.

١٢من يغلب فسأجعله عمودا في هيكل إلهي، ولا يعود يخرج إلى خارج، وأكتب عليه اسم إلهي، واسم مدينة إلهي أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند إلهي، واسمي الجديد.

رسالة إلى لاودكية:

٢٠هئنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي. ٢١من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي، كما غلبت أنا أيضا وجلست مع أبي في **عرشه**. ٢٢من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس)[١].

وجاء فيه انتصار الأسد الذي من سبط يهوذا أصل داود:

إذ يرى مفسرو النصارى أن المسيح هو الأسد الذي من سبط يهوذا أصل داود الذي سينتصر على الأمم، وجاء ذكره في سفر الرؤياء: (٥فقال لي واحد من الشيوخ: «لا تبك. هوذا قد غلب الأسد الذي من سبط يهوذا، أصل داود، ليفتح السفر ويفك ختومه السبعة)[٢].

وجاء فيه أيضا الفارس الذي خرج لكي ينتصر وهو يحمل قوسه:

(١) الرؤيا، أصحاح (٣).

(٢) سفر الرؤيا، (٥).

إذ يري المفسرون أنه الحمل والفارس الذي سينزع السلام من الأرض، فقد جاء في سفر الرؤيا أيضا: (١ونظرت لما فتح الحمل واحدا من الختوم السبعة، وسمعت واحدا من الأربعة الحيوانات قائلا كصوت رعد: «هلم وانظر!».

٢فنظرت، وإذا فرس أبيض، والجالس عليه معه قوس، وقد أعطي إكليلا، وخرج غالبا ولكي يغلب.

الفارس الذي يحمل سلطة نزع السلام وبجعل الناس يقتل بعضهم بعضا:

(٣ولما فتح الختم الثاني، سمعت الحيوان الثاني قائلا: «هلم وانظر!» ٤فخرج فرس آخر أحمر، وأعطي للجالس عليه أن ينزع السلام من الأرض، وأن يقتل بعضهم بعضا- وجعل الناس يقتل بعضهم بعضا-، وأعطي سيفا عظيما.

هروب أهل الأرض إلى الكهوف خوفا من المسيح (الحمل):

١٢ونظرت لما فتح الختم السادس، وإذا زلزلة عظيمة حدثت، والشمس صارت سوداء كمسح من شعر، والقمر صار كالدم.

١٣ونجوم السماء سقطت إلى الأرض كما تطرح شجرة التين سقاطها إذا هزتها ريح عظيمة. ١٤والسماء انفلقت كدرج ملتف، وكل جبل وجزيرة تزحزحا من موضعهما.

١٥وملوك الأرض والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء وكل عبد وكل حر، أخفوا أنفسهم في المغاير وفي صخور الجبال.

١٦وهم يقولون للجبال والصخور: «اسقطي علينا وأخفينا عن وجه الجالس على العرش وعن غضب الحمل.

١٧لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم. ومن يستطيع الوقوف؟)[١].

(١) الرؤيا، أصحاح (٦).

وجاءت فيه نبوءة عن الملائكة الذين سيقودون جيشا من أتباع المسيح عددهم مئتي مليون محارب ينطلقون لقتل ثلث البشر:

(١٣ثم بوق الملاك السادس، فسمعت صوتا واحدا من أربعة قرون مذبح الذهب الذي أمام الله، ١٤قائلا للملاك السادس الذي معه البوق: «فك الأربعة الملائكة المقيدين عند النهر العظيم الفرات».

١٥فانفك الأربعة الملائكة المعدون للساعة واليوم والشهر والسنة، لكي يقتلوا ثلث الناس.

١٦وعدد جيوش الفرسان مئتا مليون. وأنا سمعت عددهم.

أوصاف المحاربين الأشداء وخيلهم المرعبة:

١٧وهكذا رأيت الخيل في الرؤيا والجالسين عليها، لهم دروع نارية وأسمانجونية وكبريتية، ورؤوس الخيل كرؤوس الأسود، ومن أفواهها يخرج نار ودخان وكبريت.

١٨من هذه الثلاثة قتل ثلث الناس من النار والدخان والكبريت الخارجة من أفواهها.

١٩فإن سلطانها هو في أفواهها وفي أذنابها، لأن أذنابها شبه الحيات ولها رؤوس وبها تضر. ٢٠وأما بقية الناس الذين لم يقتلوا بهذه الضربات فلم يتوبوا عن أعمال أيديهم، حتى لا يسجدوا للشياطين وأصنام الذهب والفضة والنحاس والحجر والخشب التي لا تستطيع أن تبصر ولا تسمع ولا تمشي.

٢١ولا تابوا عن قتلهم ولا عن سحرهم ولا عن زناهم ولا عن سرقتهم)[(١)].

---

(١) الرؤيا، أصحاح (٩).

وجاءت فيه أوصاف دقيقة عن الأحوال الأهوال التي ستكون عندما يعلن المسيح الدينونة:

ومن ذلك: (١ثم أعطيت قصبة شبه عصا، ووقف الملاك قائلا لي: «قم وقس هيكل الله والمذبح والساجدين فيه.

٢وأما الدار التي هي خارج الهيكل فاطرحها خارجا ولا تقسها، لأنها قد أعطيت للأمم، وسيدوسون المدينة المقدسة اثنين وأربعين شهرا.

٣وسأعطي لشاهدي فيتنبآن ألفا ومئتين وستين يوما، لابسين مسوحا».

٤هذان هما الزيتونتان والمنارتان القائمتان أمام رب الأرض.

٥وإن كان أحد يريد أن يؤذيهما، تخرج نار من فمهما وتأكل أعداءهما. وإن كان أحد يريد أن يؤذيهما فهكذا لا بد أنه يقتل.

٦هذان لهما السلطان أن يغلقا السماء حتى لا تمطر مطرا في أيام نبوتهما، ولهما سلطان على المياه أن يحولاها إلى دم، وأن يضربا الأرض بكل ضربة كلما أرادا.

٧ومتى تمما شهادتهما فالوحش الصاعد من الهاوية سيصنع معهما حربا ويغلبهما ويقتلهما. ٨وتكون جثتاهما على شارع المدينة العظيمة التي تدعى روحيا سدوم ومصر، حيث صلب ربنا أيضا.

٩وينظر أناس من الشعوب والقبائل والألسنة والأمم جثتيهما ثلاثة أيام ونصفا، ولا يدعون جثتيهما توضعان في قبور.

١٠ويشمت بهما الساكنون على الأرض ويتهللون، ويرسلون هدايا بعضهم لبعض لأن هذين النبيين كانا قد عذبا الساكنين على الأرض.

١١ثم بعد الثلاثة الأيام والنصف دخل فيهما روح حياة من الله، فوقفا على أرجلهما. ووقع خوف عظيم على الذين كانوا ينظرونهما.

١٢وسمعوا صوتا عظيما من السماء قائلا لهما: «اصعدا إلى ههنا». فصعدا إلى السماء في السحابة، ونظرهما أعداؤهما.

١٣وفي تلك الساعة حدثت زلزلة عظيمة، فسقط عشر المدينة، وقتل بالزلزلة أسماء من الناس: سبعة آلاف. وصار الباقون في رعبة، وأعطوا مجدا لإله السماء.

الويل القادم والملك الآتي للرب ومسيحه:

١٤الويل الثاني مضى وهوذا الويل الثالث يأتي سريعا.١٥ثم بوق الملاك السابع، فحدثت أصوات عظيمة في السماء قائلة: «قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه، فسيملك إلى أبد الآبدين».١٦والأربعة والعشرون شيخا الجالسون أمام الله على عروشهم خروا على وجوههم وسجدوا لله ١٧قائلين: «نشكرك أيها الرب الإله القادر على كل شيء، الكائن والذي كان والذي يأتي، لأنك أخذت قدرتك العظيمة وملكت.

غضب الرب:

١٨وغضبت الأمم فأتى غضبك وزمان الأموات ليدانوا، ولتعطى الأجرة لعبيدك الأنبياء والقديسين والخائفين اسمك، الصغار والكبار، وليهلك الذين كانوا يهلكون الأرض». ١٩وانفتح هيكل الله في السماء، وظهر تابوت عهده في هيكله، وحدثت بروق وأصوات ورعود وزلزلة وبرد عظيم)[(١)].

المرأة التنين:

(١وظهرت آية عظيمة في السماء: امرأة متسربلة بالشمس، والقمر تحت رجليها، وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكبا، ٢وهي حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد.

٣وظهرت آية أخرى في السماء: هوذا تنين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون، وعلى رؤوسه سبعة تيجان.

(١) الرؤياء، أصحاح(١١).

٤وذنبه يجر ثلث نجوم السماء فطرحها إلى الأرض. والتنين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يبتلع ولدها متى ولدت.

ولادة الابن الذي سيرعى الأمم بعصا من حديد:

٥فولدت ابنا ذكرا عتيدا أن يرعى جميع الأمم بعصا من حديد. واختطف ولدها إلى الله وإلى عرشه، ٦والمرأة هربت إلى البرية حيث لها موضع معد من الله لكي يعولوها هناك ألفا ومئتين وستين يوما)[1].

عقيدة السبي والقتل:

(٩من له أذن فليسمع! ١٠إن كان أحد يجمع سبيا فإلى السبي يذهب. وإن كان حد يقتل بالسيف فينبغي أن يقتل بالسيف. هنا صبر القديسين وإيمانهم)[2].

المسيح -الحمل- يقف على جبل صهيون ومعه مئة وأربعة وأربعون ألف مقاتل:

(١ثم نظرت وإذا حمل واقف على جبل صهيون، ومعه مئة وأربعة وأربعون ألفا، لهم اسم أبيه مكتوبا على جباههم.

صفات جند الرب:

٢وسمعت صوتا من السماء كصوت مياه كثيرة وكصوت رعد عظيم. وسمعت صوتا كصوت ضاربين بالقيثارة يضربون بقيثاراتهم.

٣وهم يترنمون كترنيمة جديدة أمام العرش وأمام الأربعة الحيوانات والشيوخ. ولم يستطع أحد أن يتعلم الترنيمة إلا المئة والأربعة والأربعون ألفا الذين اشتروا من الأرض.

٤هؤلاء هم الذين لم يتنجسوا مع النساء لأنهم أطهار. هؤلاء هم الذين يتبعون الحمل

(١) الرؤياء، أصحاح (١٢).

(٢) الرؤياء، أصحاح (١٣).

حيثما ذهب. هؤلاء اشتروا من بين الناس باكورة لله وللحمل. ٥وفي أفواههم لم يوجد غش، لأنهم بلا عيب قدام عرش الله.

اقتراب دينونة الرب:

٦ثم رأيت ملاكا آخر طائرا في وسط السماء معه بشارة أبدية، ليبشر الساكنين على الأرض وكل أمة وقبيلة ولسان وشعب.

٧قائلا بصوت عظيم: «خافوا الله وأعطوه مجدا، لأنه قد جاءت ساعة دينونته. واسجدوا لصانع السماء والأرض والبحر وينابيع المياه».

٨ثم تبعه ملاك آخر قائلا: «سقطت سقطت بابل المدينة العظيمة، لأنها سقت جميع الأمم من خمر غضب زناها».

من الذي يستحق غضب الرب؟:

٩ثم تبعهما ملاك ثالث قائلا بصوت عظيم: «إن كان أحد يسجد للوحش ولصورته، ويقبل سمته على جبهته أو على يده.

١٠فهو أيضا سيشرب من خمر غضب الله المصبوب صرفا في كأس غضبه، ويعذب بنار وكبريت أمام الملائكة القديسين وأمام الحمل.

١١ويصعد دخان عذابهم إلى أبد الآبدين. ولا تكون راحة نهارا وليلا للذين يسجدون للوحش ولصورته ولكل من يقبل سمة اسمه».

١٢هنا صبر القديسين. هنا الذين يحفظون وصايا الله وإيمان يسوع.

١٤ثم نظرت وإذا سحابة بيضاء، وعلى السحابة جالس شبه ابن إنسان، له على رأسه إكليل من ذهب، وفي يده منجل حاد.

١٥وخرج ملاك آخر من الهيكل، يصرخ بصوت عظيم إلى الجالس على السحابة:

«أرسل منجلك واحصد، لأنه قد جاءت الساعة للحصاد، إذ قد يبس حصيد الأرض».

١٦فألقى الجالس على السحابة منجله على الأرض، فحصدت الأرض.

١٧ثم خرج ملاك آخر من الهيكل الذي في السماء، معه أيضا منجل حاد.

١٨وخرج ملاك آخر من المذبح له سلطان على النار، وصرخ صراخا عظيما إلى الذي معه المنجل الحاد، قائلا: «أرسل منجلك الحاد واقطف عناقيد كرم الأرض، لأن عنبها قد نضج».

١٩فألقى الملاك منجله إلى الأرض وقطف كرم الأرض، فألقاه إلى معصرة غضب الله العظيمة. ٢٠وديست المعصرة خارج المدينة، فخرج دم من المعصرة حتى إلى لجم الخيل، مسافة ألف وستمئة غلوة)[1].

السبع الضربات الأخيرة:

(١ثم رأيت آية أخرى في السماء عظيمة وعجيبة: سبعة ملائكة معهم السبع الضربات الأخيرة، لأن بها أكمل غضب الله.

ترنيم المنتصرين:

٢ورأيت كبحر من زجاج مختلط بنار، والغالبين على الوحش وصورته وعلى سمته وعدد اسمه واقفين على البحر الزجاجي، معهم قيثارات الله.

٣وهم يرتلون ترنيمة موسى عبد الله وترنيمة الحمل قائلين: «عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء. عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين.

٤من لا يخافك يا رب ويمجد اسمك، لأنك وحدك قدوس، لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك، لأن أحكامك قد أظهرت».

---

(١) الرؤياء، أصحاح(١٤).

اكتمال الضربات السبع:

٥ثم بعد هذا نظرت وإذا قد انفتح هيكل خيمة الشهادة في السماء، ٦وخرجت السبعة الملائكة ومعهم السبع الضربات من الهيكل، وهم متسربلون بكتان نقي وبهي، ومتمنطقون عند صدورهم بمناطق من ذهب. ٧وواحد من الأربعة الحيوانات أعطى السبعة الملائكة سبعة جامات من ذهب، مملوة من غضب الله الحي إلى أبد الآبدين. ٨وامتلأ الهيكل دخانا من مجد الله ومن قدرته، ولم يكن أحد يقدر أن يدخل الهيكل حتى كملت سبع ضربات السبعة الملائكة)[1].

الملائكة السبع يمهدون لحرب هرمجدون التي سيقودها الرب المسيح:

(١وسمعت صوتا عظيما من الهيكل قائلا للسبعة الملائكة: «امضوا واسكبوا جامات غضب الله على الأرض».

٢فمضى الأول وسكب جامه على الأرض فحدثت دمامل خبيثة وردية على الناس الذين بهم سمة الوحش والذين يسجدون لصورته.

٣ثم سكب الملاك الثاني جامه على البحر، فصار دما كدم ميت. وكل نفس حية ماتت في البحر. ٤ثم سكب الملاك الثالث جامه على الأنهار وعلى ينابيع المياه، فصارت دما.

٥وسمعت ملاك المياه يقول: «عادل أنت أيها الكائن والذي كان والذي يكون، لأنك حكمت هكذا.

٦لأنهم سفكوا دم قديسين وأنبياء، فأعطيتهم دما ليشربوا. لأنهم مستحقون!».

٧وسمعت آخر من المذبح قائلا: «نعم أيها الرب الإله القادر على كل شيء! حق وعادلة هي أحكامك».

(١) الرؤياء، أصحاح(١٥).

٨ثم سكب الملاك الرابع جامه على الشمس فأعطيت أن تحرق الناس بنار،

٩فاحترق الناس احتراقا عظيما، وجدفوا على اسم الله الذي له سلطان على هذه الضربات، ولم يتوبوا ليعطوه مجدا.

١٠ثم سكب الملاك الخامس جامه على عرش الوحش، فصارت مملكته مظلمة. وكانوا يعضون على ألسنتهم من الوجع.

١١وجدفوا على إله السماء من أوجاعهم ومن قروحهم، ولم يتوبوا عن أعمالهم.

١٢ثم سكب الملاك السادس جامه على النهر الكبير الفرات، فنشف ماؤه لكي يعد طريق الملوك الذين من مشرق الشمس.

١٣ورأيت من فم التنين، ومن فم الوحش، ومن فم النبي الكذاب، ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع، ١٤فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات، تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم، يوم الله القادر على كل شيء.

كيفية قدوم المسيح:

١٥«ها أنا آتي كلص. طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عريانا فيروا عريته».

المكان الذي سيجمع فيه الناس لإقامة الدينونة عليهم:

١٦فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية «هرمجدون».

إتمام الدينونة:

١٧ثم سكب الملاك السابع جامه على الهواء، فخرج صوت عظيم من هيكل السماء من العرش قائلا: «قد تم!». ١٨فحدثت أصوات ورعود وبروق. وحدثت زلزلة عظيمة لم يحدث مثلها منذ صار الناس على الأرض، زلزلة بمقدارها عظيمة هكذا.

سقوط مدن الأمم بقبضة المسيح:

١٩وصارت المدينة العظيمة ثلاثة أقسام، ومدن الأمم سقطت، وبابل العظيمة ذكرت أمام الله ليعطيها كأس خمر سخط غضبه. ٢٠وكل جزيرة هربت وجبال لم توجد. ٢١وبرد عظيم، نحو ثقل وزنة، نزل من السماء على الناس. فجدف الناس على الله من ضربة البرد، لأن ضربته عظيمة جدا)[1].

محاربة الملوك السبعة والوحش للمسيح:

(١ثم جاء واحد من السبعة الملائكة الذين معهم السبعة الجامات، وتكلم معي قائلا لي: «هلم فأريك دينونة الزانية العظيمة الجالسة على المياه الكثيرة.

٢التي زنى معها ملوك الأرض، وسكر سكان الأرض من خمر زناها».

٣فمضى بي بالروح إلى برية، فرأيت امرأة جالسة على وحش قرمزي مملوء أسماء تجديف، له سبعة رؤوس وعشرة قرون.

٤والمرأة كانت متسربلة بأرجوان وقرمز، ومتحلية بذهب وحجارة كريمة ولؤلؤ، ومعها كأس من ذهب في يدها مملوة رجاسات ونجاسات زناها.

٥وعلى جبهتها اسم مكتوب: «سر. بابل العظيمة أم الزواني ورجاسات الأرض».

٦ورأيت المرأة سكرى من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع. فتعجبت لما رأيتها تعجبا عظيما!

٧ثم قال لي الملاك: «لماذا تعجبت؟ أنا أقول لك سر المرأة والوحش الحامل لها، الذي له السبعة الرؤوس والعشرة القرون:

(١) الرؤياء، أصحاح(١٦).

٨الوحش الذي رأيت، كان وليس الآن، وهو عتيد أن يصعد من الهاوية ويمضي إلى الهلاك. وسيتعجب الساكنون على الأرض الذين ليست أسماؤهم مكتوبة في سفر الحياة منذ تأسيس العالم، حينما يرون الوحش أنه كان وليس الآن، مع أنه كائن.

٩هنا الذهن الذي له حكمة! السبعة الرؤوس هي سبعة جبال عليها المرأة جالسة.

١٠وسبعة ملوك: خمسة سقطوا، وواحد موجود، والآخر لم يأت بعد. ومتى أتى ينبغي أن يبقى قليلا.

١١والوحش الذي كان وليس الآن فهو ثامن، وهو من السبعة، ويمضي إلى الهلاك.

١٢والعشرة القرون التي رأيت هي عشرة ملوك لم يأخذوا ملكا بعد، لكنهم يأخذون سلطانهم كملوك ساعة واحدة مع الوحش.

١٣هؤلاء لهم رأي واحد، ويعطون الوحش قدرتهم وسلطانهم.

انتصار المسيح عليهم:

١٤هؤلاء سيحاربون الحمل، والحمل يغلبهم، لأنه رب الأرباب وملك الملوك، والذين معه مدعوون ومختارون ومؤمنون».

١٥ثم قال لي: «المياه التي رأيت حيث الزانية جالسة هي شعوب وجموع وأمم وألسنة.

١٦وأما العشرة القرون التي رأيت على الوحش فهؤلاء سيبغضون الزانية، وسيجعلونها خربة وعريانة، ويأكلون لحمها ويحرقونها بالنار.

١٧لأن الله وضع في قلوبهم أن يصنعوا رأيه، وأن يصنعوا رأيا واحدا، ويعطوا الوحش ملكهم حتى تكمل أقوال الله.

١٨والمرأة التي رأيت هي المدينة العظيمة التي لها ملك على ملوك الأرض)[1].

أناشيد الفرح بنصر المسيح في السماء:

وجاء في سفر الرؤيا: أيضا(١وبعد هذا سمعت صوتا عظيما من جمع كثير في السماء قائلا: «هللويا! الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلهنا.

٢لأن أحكامه حق وعادلة، إذ قد دان الزانية العظيمة التي أفسدت الأرض بزناها، وانتقم لدم عبيده من يدها».

٣وقالوا ثانية: «هللويا! ودخانها يصعد إلى أبد الآبدين». ٤وخر الأربعة والعشرون شيخا والأربعة الحيوانات، وسجدوا لله الجالس على العرش قائلين: «آمين. هللويا».

٥وخرج من العرش صوت قائلا: «سبحوا لإلهنا يا جميع عبيده، الخائفيه، الصغار والكبار». ٦وسمعت كصوت جمع كثير، وكصوت مياه كثيرة، وكصوت رعود شديدة قائلة: «هللويا! فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء. ٧لنفرح ونتهلل ونعطه المجد، لأن عرس الحمل قد جاء، وامرأته هيأت نفسها.

٨وأعطيت أن تلبس بزا نقيا بهيا، لأن البز هو تبررات القديسين».

٩وقال لي: «اكتب: طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الحمل». وقال: «هذه هي أقوال الله الصادقة».

١٠فخررت أمام رجليه لأسجد له، فقال لي: «انظر لا تفعل! أنا عبد معك ومع إخوتك الذين عندهم شهادة يسوع. اسجد لله. فإن شهادة يسوع هي روح النبوة».

المسيح الأمين الصادق سيحارب وينتصر ويحكم بالعدل:

١١ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أمينا وصادقا،

(١) الرؤياء، أصحاح(١٧).

وبالعدل يحكم ويحارب.

١٢وعيناه كلهيب نار، وعلى رأسه تيجان كثيرة، وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو.

١٣وهو متسربل بثوب مغموس بدم، ويدعى اسمه «كلمة الله».

١٤والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض، لابسين بزا أبيض ونقيا.

١٥ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم. وهو سيرعاهم بعصا من حديد، وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء.

١٦وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب: «ملك الملوك ورب الأرباب».

١٧ورأيت ملاكا واحدا واقفا في الشمس، فصرخ بصوت عظيم قائلا لجميع الطيور الطائرة في وسط السماء: «هلم اجتمعي إلى عشاء الإله العظيم،

١٨لكي تأكلي لحوم ملوك، ولحوم قواد، ولحوم أقوياء، ولحوم خيل والجالسين عليها، ولحوم الكل حرا وعبدا صغيرا وكبيرا».

القبض على الوحش والنبي الدجال:

١٩ورأيت الوحش وملوك الأرض وأجنادهم مجتمعين ليصنعوا حربا مع الجالس على الفرس ومع جنده.

٢٠فقبض على الوحش والنبي الكذاب معه، الصانع قدامه الآيات التي بها أضل الذين قبلوا سمة الوحش والذين سجدوا لصورته. وطرح الاثنان حيين إلى بحيرة النار المتقدة بالكبريت.

سيف المسيح يقتل أنصار الوحش والملوك:

٢١والباقون قتلوا بسيف الجالس على الفرس الخارج من فمه، وجميع الطيور شبعت

من لحومهم)[1].

تقييد إبليس وسجنه:

وجاء في نفس السفر أيضا: (١ورأيت ملاكا نازلا من السماء معه مفتاح الهاوية، وسلسلة عظيمة على يده.

٢فقبض على التنين، الحية القديمة، الذي هو إبليس والشيطان، وقيده ألف سنة.

٣وطرحه في الهاوية وأغلق عليه، وختم عليه لكي لا يضل الأمم في ما بعد حتى تتم الألف السنة. وبعد ذلك لا بد أن يحل زمانا يسيرا.

المسيح يملك ألف سنة:

٤ورأيت عروشا فجلسوا عليها، وأعطوا حكما. ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله. والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته، ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم، فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة.

٥وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف السنة. هذه هي القيامة الأولى. ٦مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى. هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم، بل سيكونون كهنة لله والمسيح، وسيملكون معه ألف سنة.

حرب جوج وماجوج لجند الرب:

٧ثم متى تمت الألف السنة يحل الشيطان من سجنه.

٨ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض: جوج وماجوج، ليجمعهم للحرب، الذين عددهم مثل رمل البحر.

(١) الرؤياء، أصحاح(١٩).

الرب ينصر القديسين:

٩فصعدوا على عرض الأرض، وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة، فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم.

١٠وإبليس الذي كان يضلهم طرح في بحيرة النار والكبريت، حيث الوحش والنبي الكذاب. وسيعذبون نهارا وليلا إلى أبد الآبدين.

العرش ألأبيض العظيم:

١١ثم رأيت عرشا عظيما أبيض، والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء، ولم يوجد لهما موضع!

١٢ورأيت الأموات صغارا وكبارا واقفين أمام الله، وانفتحت أسفار. وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة، ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم.

١٣وسلم البحر الأموات الذين فيه، وسلم الموت والهاوية الأموات الذين فيهما. ودينوا كل واحد بحسب أعماله.

١٤وطرح الموت والهاوية في بحيرة النار. هذا هو الموت الثاني.

١٥وكل من لم يوجد مكتوبا في سفر الحياة طرح في بحيرة النار)[(١)].

السماء الجديدة والأرض الجديدة:

وجاء فيه أيضا: (١ثم رأيت سماء جديدة وأرضا جديدة، لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا، والبحر لا يوجد في ما بعد.

٢وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة

(١) الرؤياء، أصحاح(٢٠).

كعروس مزينة لرجلها.

٣وسمعت صوتا عظيما من السماء قائلا: «هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعبا. والله نفسه يكون معهم إلها لهم. ٤وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون في ما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد، لأن الأمور الأولى قد مضت».

٥وقال الجالس على العرش: «ها أنا أصنع كل شيء جديدا». وقال لي: «اكتب، فإن هذه الأقوال صادقة وأمينة».

٦ثم قال لي: «قد تم! أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية. أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانا.

نصيب المنتصر:

٧ من يغلب يرث كل شيء، وأكون له إلها وهو يكون لي ابنا. ٨وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت، الذي هو الموت الثاني».

٩ثم جاء إلي واحد من السبعة الملائكة الذين معهم السبعة الجامات المملوة من السبع الضربات الأخيرة، وتكلم معي قائلا: «هلم فأريك العروس امرأة الحمل».

١٠وذهب بي بالروح إلى جبل عظيم عال، وأراني المدينة العظيمة أورشليم المقدسة نازلة من السماء من عند الله،

١١لها مجد الله، ولمعانها شبه أكرم حجر كحجر يشب بلوري.

١٢وكان لها سور عظيم وعال، وكان لها اثنا عشر بابا، وعلى الأبواب اثنا عشر ملاكا،

وأسماء مكتوبة هي أسماء أسباط بني إسرائيل الاثني عشر)[1].

ملك المسيح-الحمل- الأبدي:

(١وأراني نهرا صافيا من ماء حياة لامعا كبلور خارجا من عرش الله والحمل...

٥ولا يكون ليل هناك، ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس، لأن الرب الإله ينير عليهم، وهم سيملكون إلى أبد الآبدين.

١٠وقال لي: «لا تختم على أقوال نبوة هذا الكتاب، لأن الوقت قريب.

١١من يظلم فليظلم بعد. ومن هو نجس فليتنجس بعد. ومن هو بار فليتبرر بعد. ومن هو مقدس فليتقدس بعد».

مجازاة كل بعمله:

١٢«وها أنا آتي سريعا وأجرتي معي لأجازي كل واحد كما يكون عمله.١٣أنا الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخر)[2].

ومن النصوص المقدسة نصوص تدعو أتباع المسيح إلى التسلح بالقوة، والمبالغة في متابعته ما جاء في إنجيل:

من ليس معنا فهو ضدنا، ومن ليس ضدنا فهو معنا:

جاء في إنجيل متى: (٢٩أم كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوي وينهب أمتعته إن لم يربط القوي أولا وحينئذ ينهب بيته؟.

٣٠من ليس معي فهو علي ومن لا يجمع معي فهو يفرق)[3].

---

(١) الرؤياء، أصحاح(٢١).

(٢) الرؤياء، أصحاح(٢٢).

(٣) إنجيل متى، أصحاح (١٢).

وجاء في إنجيل مرقس: (٣٨وقال يوحنا: «يا معلم رأينا واحدا يخرج شياطين باسمك وهو ليس يتبعنا فمنعناه لأنه ليس يتبعنا».

٣٩فقال يسوع: «لا تمنعوه لأنه ليس أحد يصنع قوة باسمي ويستطيع سريعا أن يقول علي شرا. ٤٠لأن من ليس علينا فهو معنا.

٤١لأن من سقاكم كأس ماء باسمي لأنكم للمسيح فالحق أقول لكم إنه لا يضيع أجره)[1].

وجاء في أنجيل لوقا: (٤٩فقال يوحنا: «يا معلم رأينا واحدا يخرج الشياطين باسمك فمنعناه لأنه ليس يتبع معنا».

٥٠فقال له يسوع: «لا تمنعوه لأن من ليس علينا فهو معنا)[2].

وجاء في إنجيل لوقا أيضا: (٢١حينما يحفظ القوي داره متسلحا تكون أمواله في أمان. ٢٢ولكن متى جاء من هو أقوى منه فإنه يغلبه وينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه ويوزع غنائمه. ٢٣من ليس معي فهو علي ومن لا يجمع معي فهو يفرق)[3].

وجاء في إنجيل لوقا أيضا: (٢٨فقال بطرس: «ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك».

٢٩فقال لهم: «الحق أقول لكم: إن ليس أحد ترك بيتا أو والدين أو إخوة أو امرأة أو أولادا من أجل ملكوت الله.

٣٠إلا ويأخذ في هذا الزمان أضعافا كثيرة وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية)[4].

وجاءت نصوص مقدسة تثبت أثر الإيمان والاعتقاد بألوهية المسيح في الانتصار في

(١) إنجيل مرقس، أصحاح (٣٨).

(٢) إنجيل لوقا، أصحاح (٩).

(٣) إنجيل لوقا، أصحاح (١١).

(٤) إنجيل لوقا، أصحاح (١٨).

الحروب وهزيمة الأعداء:

فقد جاء في الرسالة للعبرانيين: (٢٩بالإيمان اجتازوا في البحر الأحمر كما في اليابسة، الأمر الذي لما شرع فيه المصريون غرقوا.

٣٠بالإيمان سقطت أسوار أريحا بعدما طيف حولها سبعة أيام.

٣١بالإيمان راحاب الزانية لم تهلك مع العصاة، إذ قبلت الجاسوسين بسلام.

٣٢وماذا أقول أيضا؟ لأنه يعوزني الوقت إن أخبرت عن جدعون، وباراق، وشمشون، ويفتاح، وداود، وصموئيل، والأنبياء،

٣٣الذين بالإيمان قهروا ممالك، صنعوا برا، نالوا مواعيد، سدوا أفواه أسود.

٣٤أطفأوا قوة النار، نجوا من حد السيف، تقووا من ضعف، صاروا أشداء في الحرب، هزموا جيوش غرباء)[1].

وبعد فقد استقرأنا في الصفحات السالفة العديد من نصوص العهد الجديد المتعلقة بالحرب والسلام، ووقفنا فيها على حقيقة السلام الذي جاء به المسيح، وعالجنا التناقض الظاهر في نصوص الكتاب المقدس، ووجهنا التعارض بينها، من خلال الوقوف على آراء بعض علماء النصارى، وخلصنا إلى أن السلام الذي نادى به المسيح خاص بمن تبعه، وأنه تنبأ بالانقسام والحروب في مستقبل الدين الذي جاء به وهذا الذي حصل بالفعل، فبعد أن كان المسيح وأتباعه مضطهدون في بداية دعوته، وكان المسيح يعد أتباعه بالنصر في الآجلة، وأمرهم بقبول الاضطهاد والقتل والتشريد في سبيل دينه حتى يظهر، فمات من مات واضطهد من اضطهد، وحمل تلاميذه هم الدعوة إلى دينه وكرزوا بالإنجيل حتى عرف دينه بين الناس، ثم جاء عصر القوة في إمبراطورية قسطنطين الروماني، الإمبراطور الذي جعل الدين النصراني هو دين دولته، واستمر الشقاق بين أتباع المسيح وظهر

(١) الرسالة إلى العبرانيين، أصحاح (١١).

السيف المقدس مع كل فرق النصارى فتقاتلت من أجل المسيح، وادعت كل واحدة منها أن الحق معها، حتى نادى البابا أوربان الثاني في القرن الحادي عشر الميلادي إلى الحرب المقدسة، وتحرير الضريح المقدس من أيدي المسلمين، فقامت الحروب الصليبية المقدسة، بعد تفسير نصوص الكتاب المقدس على أساس يدعو إلى هذه الحرب، وكذلك نادى مارتن لوثر وكلفن ومن تبعهم من البروتستانت بعد ذلك بضرورة تفسير الكتاب المقدس حرفيا، فوجدوا النصوص المقدسة الداعية إلى حروب وانقسامات كبيرة، هي الدينونة التي سيقيمها المسيح لمن لم يقبل دعوته ويعترف بألوهيته، فكان هو المسيا المنتظر الذي سيحارب الكفار وسيقتلهم وينفث فيهم نار عذابه.

وسنقف في المبحثين القادمين على هذه الحروب المقدسة والحروب الداخلية التي قامت بسبب المسيح، وسنقف أيضا حقيقة على عقيدة الحروب المستقبلية التي جاء ذكر أكبر حرب فيها في العهد الجديد باسم هرمجدون -كما سبق- و التي ينتظرها النصارى لتتحقق نبوءة المسيح ويستعدون لها بعمل جاد ودؤوب.

* * *

المبحث الثاني

أثر عقيدة الحرب والسلام في واقع النصارى النفسي والاجتماعي

المطلب الأول

أثر عقيدة الحرب والسلام من عصر نشأة النصرانية حتى عصر التمكين

تمهيد:

تشكل الواقع النفسي والاجتماعي المتعلق بالحرب والسلام عند النصارى على امتداد تاريخهم الطويل بحسب الحالة السياسية العامة في الإمبراطورية الرومانية، والحديث عن هذا الواقع هو جزء من سنة سنها الله تعالى في دعوة الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم، فقد قدر تعالى أن تبدأ دعوتهم ضعيفة مستضعفة ينبذها علية أقوامهم ويحاربونها ويجدوا في اجتثاثها واقتلاعها من مجتمعاتهم، ولذلك عندما قال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: (ياليتني فيها جذع، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: (أو مخرجي هم)؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي)[1]، وقد قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾[2].

والحق الذي لا مرية فيه أن دعوة المسيح عليه السلام دعوة توحيدية إسلامية كما قال تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم (٢).

(٢) الفرقان: ٣١.

وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[1]، ولأن المسيح عليه السلام نبي من الأنبياء فقد عودي وحورب كما عودي وحورب الأنبياء والرسل الذين من قبله صلوات ربي وسلامه عليهم. وحكمة الله تعالى في ذلك، هي أن يحصل التدافع بين الناس كما قد فصلت القول فيه في مبحث سنة التدافع[2].

وقد أصابت أمة النصارى السنة الربانية التي كتبها الله على أمم أهل الكتاب، وهي المناوءة والاضطهاد والمحاربة من أعدائهم في بداية دعوة المسيح عليه السلام، والتفرق والتشرذم والاختلاف في أصول الدين فيما بينهم بعد أن رفع الله تعالى المسيح عليه السلام، ومكن لهم في الأرض، وقد بلغ هذا الخلاف مبلغه حتى كاد التوحيد أن يدرس من على وجه الأرض؛ ذلك لأن الله تعالى قد قدر وكتب في اللوح المحفوظ أن يتولى الرسل والأنبياء عليهم السلام وأتباعهم من بعدهم حفظ كتبه التي أنزلها عليهم، ولم يتكفل بحفظ كتاب من كتبه المنزلة إلا كتابا واحدا هو القرآن العظيم، واستثنى بالتكفل والحفظ والبقاء من دعوة الرسل، دعوة واحدة هي دعوة محمد ﷺ، النبي الخاتم الذي ختم به تعالى النبوة إلى أن يرث الأرض ومن عليها، فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[3].

ولهذا السبب فإن المنطلق الذي يمكن أن نعالج من خلاله حقيقة الواقع النفسي والاجتماعي للحرب والسلام عند النصارى يجب أن يكون من الوحي المعصوم والمحفوظ من عند الله تعالى وهما القرآن العظيم والسنة النبوية على صاحبها الصلاة

(١) آل عمران: ٨٤- ٨٥.

(٢) انظر صفحة ٥١.

(٣) الحجر: ٩.

والسلام، فقد أفاضا في بيان نفسية أهل الكتاب؛ بما يكفينا للحكم عليهم وعلى واقع الحرب والسلام في داخل أنفسهم وفي مجتمعاتهم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[(1)].

وقد أخرج ابن أبي حاتم من طرق عن ابن مسعود قال:قال لي رسول الله ﷺ: (يا عبدالله، قلت: لبيك يا رسول الله ثلاث مرات...إلى أن قال ﷺ: واختلف من كان قبلنا على ثنتين وسبعين فرقة، نجا منها ثلاث وهلك سائرها، فرقة وزت الملوك وقاتلتهم على دين الله وعيسى بن مريم حتى قتلوا، وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بالمقام معهم فساحوا في الجبال وترهبوا فيها وهم الذين قال الله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ الذين آمنوا بي وصدقوني ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ الذين كفروا بي وجحدوني)[(2)].

وأخرج الحديث ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم بسنده عن ابن مسعود رضي الله أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: (يا ابن مسعود، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة؟ لم ينج إلا ثلاث فرق، قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى ابن مريم عليه السلام، فدعت إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم

(١) الحديد: ٢٥– ٢٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز، ط.الأولى، ١٠/ ٣٣٤٠–٣٣٤١.

فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت فنجت، ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال فقامت بين الملوك والجبابرة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم فقتلت، وقطعت بالمناشير وحرقت بالنيران فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال، ولم تطق القيام بالقسط، فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾[(١)].

وستكون معالجتنا لهذا الموضوع ابتداء من الدعوة إلى السلام المحض الذي عاش فيه المجتمع النصراني الأول، مرورا بالأطوار المتعددة لمفهوم الحرب والسلام في مجتمعاتهم وفي نفوس رجال الدين المسيطرين على المجتمع، حتى نصل إلى كيفية تطور هذه العقيدة من السلام المحض إلى الدعوة إلى الحرب المقدسة التي تبلور مفهومها في القرن العاشر الميلادي.

تمثل هذا الواقع في نشأة النصرانية وحقيقة السلام الذي جاء به المسيح، وقوة العقيدة في نفوس حواريي المسيح ورسله وكرازتهم وتبشيرهم بالإنجيل، والذي أدى إلى انتشار الدين النصراني ودخول أمم كثيرة فيه، والاضطهاد المستمر الذي صاحب هذا الانتشار في كل موطن بشروا فيه بالدين الجديد، وحب الاستشهاد والموت في سبيل العقيدة وعدم القتال مهما كانت الأسباب.

وحقيقة نظرة مؤرخي النصارى للسلام الذي جاء به المسيح عليه السلام مضطربة

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار المعرفة، ط.الخامسة، ٤/ ٣٣٨. ولم أقف على الأثر بهذا اللفظ في نسختي من تفسير ابن إبي حاتم، ولذلك سقته من طريق ابن كثير رحم الله الجميع. وقد أخرج الحديث البيقهي في الشعب برقم ٩٥١٠، ٧/ ٦٩، والحاكم في المستدرك برقم ٣٧٩٠، ٢/ ٥٢٢. والطبراني في الكبير برقم ١٠٣٥٧، ١٠٥٣١، وقال الهيثمي في المجمع رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح، غير بكير بن معروف وثقه أحمد وغيره، وفيه ضعف.

متناقضة كما أسلفنا في أثناء عرضنا لكيفية تعامل علماء النصارى مع النصوص المقدسة في المبحث الماضي.

وسواء أكانت دعوة المسيح عليه السلام تدعو للحرب وللقتال والانقسام؛ أم تناهض الحرب وتدعو إلى السلام والمحبة؛ فإن الواقع الذي فرض نفسه على نشأة النصرانية هو واقع الاضطهاد الدموي على النصارى من الأباطرة الرومانيين، ومن كل ملك أو حاكم خارج حدود الإمبراطورية.

وكان الاضطهاد الأول الذي عانى منه النصارى في مقتبل دعوة المسيح من الأباطرة بسبب اليهود؛ فإن مناوأتهم لهذه الدعوة ومعارضتها أدت إلى تأليب الأباطرة على النصارى، فبدأت سلسلة طويلة من الاضطهادات عليهم في كل مكان وجدت فيه دعوة المسيح.

والذي يجب أن ينتبه إليه ونحن نعالج هذه القضية؛ هو دخول بولس – الذي أفسد الدين النصراني – في عداد رسل المسيح، مما يعني أن الانحراف في عقيدة الحرب والسلام في النصرانية بدأ مبكرا، ذلك أن دعوة بولس الرسول لم يكن لها صلة بأصل دعوة المسيح وإن ادعى بولس ذلك، بل دخل بولس للنصرانية بغرض إفسادها، واستطاع بالفعل أن يحقق ذلك.

والذي نريد أن نعالجه في هذا المطلب:

١ نماذج لتاريخ الاضطهاد الذي تعرضت له مجتمعات النصارى في القرون الثلاثة الأولى.

٢ مراحل البناء النفسي والاجتماعي للحرب والسلام عند النصارى في هذه الحقبة الزمنية.

١- نماذج لاضطهاد النصارى في القرون الثلاثة الأولى:

النصرانية في فلسطين:

نشأت النصرانية ضعيفة مضطهدة اهتم فيها يسوع المسيح ورسله وتلاميذه من بعده بنشر تعاليم الدين الجديد الذي جاء به. ولم يكن هذا الدين المحدث ومعتنقوه بالنسبة لملوك وأباطرة الدول آنذاك سوى أنه هرطقة لفرقة أو طائفة يهودية، وقد كانت السمة البارزة للواقع الاجتماعي في ذلك العصر الضعف المحض لأتباع النصرانية؛ مصحوبا بقوة العقيدة والرغبة في نشر الدين الجديد والتبشير والكرازة به، فكانت نتيجة ذلك الاضطهاد المستمر في كل موطن بشر فيه رسل المسيح وتلاميذه بهذه العقيدة الجديدة.

يقول موريس كروزيه: "وعندما قام يسوع يبشر العالم بالدين الجديد في عهد الإمبراطور طيباريوس، ظن كل من سمع بخبر الكرازة الجديدة بما فيهم الوالي الروماني بيلاطس البنطي الذي صادق على الحكم بالموت (هذا الحكم الذي أصدره عليه رئيس المجمع إذ ذاك قيافا) إن الأمر لا يتعدى ظهور شيعة يهودية جديدة. وهو أمر لم يأت من عندهم بشيء جديد، وطالما خبروا منه مثل هذه الدعوات، بين شعب حرص دوما على بقاء العاطفة الدينية مشبوبة بين بنيه، وحرصت كتبه المقدسة على تغذية نفوسهم بأمل مجيء المسيا، وفي أمة أطلعت على مر السنين، مثل هذا العدد من الشيع والملل. ولم تكن الشيعة الجديدة لتختلف في مناهج دعوتها وانتشارها وفي أوليات تعاليمها ظاهرا، كثيرا عما عرفنا من شؤون الشيع اليهودية الأخرى. وقد راح أولوا الأمر والمسؤولون عن شؤون الشعب اليهودي يحكمون بالصلب على المسيح، تفاديا منهم لحركة انشقاق وقيام اضطرابات بين الشعب، للحد من دعوة ناشطة رأوا فيها الخطر كل الخطر عليهم، وقد فاتهم في تصرفهم هذا أنهم يبتدعون جديدا"[1].

---

(١) تاريخ الحضارات العام، موريس كروزيه، (٢/ ٤٢٠)، وانظر مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر،١٧، مكتبة الإخوة، ط.الرابعة. وانظر المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جينبير، ترجمة د. عبدالحليم محمود، ٥٣، دار =

وكان أول اضطهاد دموي عانت منه النصرانية على يد اليهود، عندما قاموا بالوشاية والكيد للمسيح عند الحاكم الروماني مما أدى إلى صلبه وقتله بحسب العقيدة النصرانية – عام ٣٠م أو ٣٣م على اختلاف بين مؤرخي النصارى.

يقول ول ديورانت:"ومهما يكن من شيء فلم يكن أمام القانون بعد اعتراف المسيح إلا أن يدينه، وبناء على هذا أصدر بيلاطي وهو كاره حكمه بالإعدام، وكان الصلب من طرق العقاب الرومانية اليهودية، وكان الجلد يسبقه عادة، فإذا ما جلد المذنب بقسوة أصبح جسمه كتلة من اللحم المتورم الدامي. ووضع جنود الرومان تاجا من الشوك على رأس المسيح يسخرون بذلك من تلقيبه (ملك اليهود)، كما نقشوا على صليبه باللغات الآرامية واليونانية واللاتينية(عيسى الناصري ملك اليهود)[(١)].

وقد كتب مؤرخو النصرانية عن الواقع النفسي والاجتماعي للنصارى في كل مكان وجدت فيه النصرانية، داخل وخارج الإمبراطورية الرومانية، وأجمعوا على أن الاضطهاد كان السمة البارزة طوال القرون الثلاثة الأولى وبداية القرن الرابع قبيل تولي الإمبراطور قسطنطين الكبير مقاليد الحكم، وإن تخللته فترات هبوط في حدته، كانت بسبب عوامل ضعف الإمبراطورية ومواجهة الأخطار الخارجية، مما شغلها عن قمع النصرانية في الداخل.

اضطهاد المسيحيين خارج حدود الإمبراطورية الرومانية:

وقد أورد المؤرخون كتابات متفرقة عن أحوال مجتمعات النصارى كأقليات مستضعفة خارج حدود الإمبراطورية، في جزيرة العرب وفي بلاد فارس وغيرها، وما

=

المعارف، القاهرة، ط.الرابعة.

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت، (١١/ ٢٣٧)، وانظر مختصر تاريخ الكنيسة أندور ملر،(٢٧-٣٥، ٩٣). وانظر المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جينبير، ترجمة د. عبدالحليم محمود، (٦٠).

سأورده هنا يمثل شاهدا فقط ذكره المؤرخون عن الضعف العام للنصرانية، وما صاحبه من اضطهادات[1].

فعن الاضطهاد الذي عانى منه النصارى في اليمن يقول جون لوريمر: (هناك قصة أخرى عن اضطهاد جاز فيه المسيحيون في اليمن على يدي ملك يهودي اسمه مسروق في القرن السادس الميلادي كانت مدينة نجران جماعة مسيحية، فأمر الملك بقتل الرجال وحرق الكنيسة، ولما جاءت امرأة اسمها (زاروبا) لترثي الرجال أحرقوها أيضا، ثم بعد ثلاثة أيام جمع كل النساء في مكان وأمروهن أن يبصقن على الصليب وينكرن المسيح فلما رفضن قتلوهن بالسهام، وهذه هي الصلاة التي قدمنها ساعة استشهادهن:

يا الله أسرع إلى نجدتنا

أيها الرب يسوع المسيح انظر إلى مذلتنا

ولا تبعدنا عنك بل امنحنا القوة

أن نسير في طريق الاستشهاد وحتى نلحق

برجالنا الذين استشهدوا في سبيلك اغفر لنا

خطايانا واقبل حياتنا ذبيحة مرضية في عينيك[2].

انتشار النصرانية والاضطهادات الدموية داخل الإمبراطورية الرومانية:

وبعد صلب المسيح عليه السلام - كما يزعمون - قام التلاميذ والرسل بالتبشير بالنصرانية، واستمروا في دعوتهم حتى استفز ذلك اليهود، فصبوا جام غضبهم وبالغوا في

(١) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، (٢/ ١٩- ٣٩). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١١/ ٢٧٧).

(٢) المرجع السابق، (٢/ ١٩)، وربما كان هؤلاء النصارى هم أصحاب الأخدود الذين جاء ذكرهم في القرآن العظيم في سورة البروج.

اضطهاد النصارى في أورشليم، فكانوا كالبركان المتفجر الذي صب حممه عليهم، وأسفر ذلك عن قتل أعداد كبيرة من النصارى، ولجأ فريق منهم إلى مدينة السامرة فرارا بدينهم، واستمر الرسل والتلاميذ في دعوتهم حتى تأسست في أنطاكية أول جماعة نصرانية وظهرت كلمة مسيحيين، ولاقت هذه الجماعة الدعم والتأييد من رسل المسيح ومنهم برنابا وبولس -كما يزعمون – اللذان استمرا في القيام بالرحلات التبشيرية لدين المسيح حتى حكم على بولس في روما بالقتل والإعدام.

يقول دوبراتشينسكي: (صلب يسوع على الأرجح عام ٣٣ م، وفي العام ذاته تم حلول الروح القدس فنجم عن ذلك انتشار مجموعات صغيرة من الرسل والتلاميذ لممارسة العمل التبشيري في كافة أنحاء العالم. وقد كتب يوحنا الثالث والعشرون فيما بعد فقال: "أدى حلول الروح القدس فيهم إلى إكساب إرث يسوع المهلهل وغير الراسخ حتى ذلك الحين طابع الكاثوليكية الجامعة التي بفضلها تجاوز كل الحدود". وآنئذ لاحت في الأفق شخصية رسول الأمم العظيمة، الفريسي المهتدي بولس. تعد رحلة القديس بولس عملية زرع عظيمة للحقائق الإنجيلية، ولكنها ليست الوحيدة. فعلى طول ساحل المتوسط ينشط مبشرون آخرون حاملين معهم النبأ السار – الإنجيل –. وقد سمحت الحياة المزدهرة والمفعمة بالنشاط التجاري لاستفادتها من (السلم الروماني) بالسفر. تنقل المبشرون على طول الساحل المتوسطي بحرا في معظم الأحيان، وبرا في أحيان أخرى. ووصلوا إلى المدن والمستوطنات الواقعة داخل حدود الإمبراطورية، وتجاوزوا هذه الحدود. باشرت مراكز الحياة المسيحية التي أسسوها الاتصال ببعضها متبادلة الرسائل ومقدمة العون المادي. وكانت هذه الأوساط في البداية يهودية صرفة، حيث بدأ معتنقوا الدين الجديد بالنسبة للمراقب الخارجي مجرد طائفة يهودية مهرطقة في أحضان الموسوية. ولكن تأثير الديانتين كان مختلفا تماما)[1].

---

(١) أوروبا والمسيحية، الألفية الأولى، يان دوبراتشينسكي، ترجمة، د.كبرو لحدو،(٨)، وانظر المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جينبير، ترجمة د. عبدالحليم محمود، (٢١٤).

وصمد النصارى أمام هذه الاضطهادات وا تخذوا النصب على قبور الشهداء الذين قتلوا من أجل المسيح، وكانت هذه النصب تعبر عن النصر الذي حققه الأسلاف من النصارى الذين لقوا حتفهم في سبيل الكرازة والتبشير بدينهم، وتعد اضطهادات الإمبراطور فاليريان (٢٥٣-٢٦٠م) والإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) من أشد ما تحمله النصارى من الاضطهادات، ومع ذلك انتشر الدين النصراني في العالم الإغريقي والروماني بعد أن ضعفت الهجمة الرومانية على الشرق، فخلال قرن ونصف تمكنت النصرانية من بلوغ أقاصي حدود الإمبراطورية، بل تجاوزت حدودها من الجهة الشرقية.

وقد خرجت الكنيسة من مرحلة الاضطهادات الأولى ولديها الكثير من العوامل التي ساعدتها على الاستمرار في الانتشار؛ بالرغم من أن معركتها مع التناقضات الداخلية ظلت مستمرة، ولم تعد مجرد طائفة، وإنما ديانة اعتنقها أكثر من نصف سكان آسيا الصغرى، واتضح بجلاء لأباطرة روما أن مصير الإمبراطورية هو بين أيدي النصارى، وقد انتهى الأمر بعد ذلك إلى أن اعتنق الإمبراطور الروماني قسطنطين النصرانية وأصبحت فيما بعد الديانة الرسمية للدول الرومانية.

وكانت أبرز الاضطهادات داخل حدود الإمبراطورية على أيدي الأباطرة التالية أسماؤهم:

١ -نيرون ٥٤ – ٦٨ م.

٢ -دومتيان ٨١- ٩٦ م.

٣ -ترجان، هادريان ٩٨- ١١٧م.

٤ -مرقس، أوريليوس ١٨٠م.

٥ -سبتيموس سفيروس ١٩٣-٢١٠ م.

٦ -مكسيميانوس ٢٣٥- ٢٣٨ م.

٧ -ديسيوس ٢٤٩- ٢٥١ م.

٨ -فاليريان ٢٥٣- ٢٦٠ م.

٩ -أورليان ٢٧٠- ٢٧٥ م.

١٠ - دقلديانوس ٢٨٤- ٣٠٥ م[١].

اضطهاد النصارى في روما على يدي الإمبراطور " نيرون " (٥٤-٦٨ م):

بدأ الدين الجديد بالانتشار بين الأمم واستوطن النصارى عددا من البلدان ومن أهم المدن التي استوطنوها روما، وكان اليهود يعيشون في روما أيضا، وحدثت نزاعات بين الفريقين وسمي أتباع المسيح "اليهود المسيحيين"؛ في مقابل "اليهود الموسويين" الذين كانوا أقوى نفوذا في روما، فاستغلوا هذا النفوذ لاستصدار مرسوم إمبراطوري من الإمبراطور "كلوديوس" يقضي بإبعاد النصارى عن روما، وتم إبعاد أقوام منهم بالفعل، وقد مثل ذلك أول اضطهاد للنصارى في روما، غير أنه لم يكن سوى البداية لتاريخ من الاضطهادات التي ستواجه النصارى فيها.

فبعد أن رفض النصارى تأليه الإمبراطور "نيرون"، اعتبروا من الملحدين في نظر التشريع الروماني، فترصد لهم الإمبراطور وألصق بهم تهمة إشعال الحريق الهائل الذي التهم معظم أحياء المدينة روما، ذلك لأنهم اعتبروا ما حل بالمدينة نوعا من العقاب الإلهي، وأنها أحرقها كما أحرق مدينة سدوم وعمورة، نظرا للفساد الأخلاقي الذي انغمس فيه سكان روما، فكان ذلك بمثابة يوم الدينونة على أهل روما، وبدأت مرحلة الاضطهادات الدموية فقتل الإمبراطور الكثير من النصارى، وأحرق الكثير منهم بالنار[٢].

---

(١) انظر تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، (٢/ ١١٧)، دار الثقافة، ط.١٩٨٥.

(٢) انظر تاريخ الحضارات العام، موريس كروزيه،(٢/ ٤٢١،٤٢٥). وانظر أوروبا والمسيحية، الألفية الأولى، يان دوبراتشينسكي، ترجمة د.كبرو لحدو،(٨). ومختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر،(٩٨). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١١/ ٢٠٥).

اضطهاد الإمبراطور "دومتيان" (٨١-٩٦ م):

نقل أندرو ملر عن المؤرخ يوسبيوس - والذي عده أول من كتب عن تاريخ الكنيسة - أنه قال: "إن دومتيان بعد أن أظهر قسوة شديدة ووحشية ضد الكثيرين من المسيحيين بذبحه ظلما عددا ليس بقليل من أشراف ومشاهير رجال رومية ونفيه بدون سبب العدد العظيم من الأعيان ومصادرة أملاكهم مثل دور نيرون الظالم ببغضه وعداوته لله، واتبع خطته في تأليه نفسه"[١].

اضطهاد الإمبراطور سبتموس سفيروس (١٤٦-٢١١ م)[٢]:

حدث الاضطهاد في شمال أفريقيا على يد الإمبراطور سبتموس سفيروس، وكان هذا الاضطهاد هو الأول من نوعه في كمه وكيفه؛ إذ وقع على اليهود والمسيحيين معا وشمل كل العالم وامتد إلى الإسكندرية وأنطاكية وكورنثوس وروما وقرطاجنة - تونس -. فقد رفض أتباع الديانتين أن يقدموا ذبائح لتماثيل الإمبراطور، فتعرضوا للحرق والضرب وقطع الرقاب، وقد ترك هذا الاضطهاد أثرا كبيرا في مصر بالإضافة إلى شمال أفريقيا، ففي الإسكندرية كان الأحداث في المدارس معرضين لضروب العذاب الأليم بسبب

(١) مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، (١٠٠)، وانظر قصة الحضارة، (١١/ ١٤٣).

(٢) ولد الإمبراطور سبتموس سفيروس(١٤٦-٢١١) في مدينة ليبتيس ماجنا (ليبتيس العظيمة) في شمال أفريقية بالقرب من طرابلس ليبيا، وكان جنرالا في جيش روما ولكن الجنود الذين كانوا تحت إمرته انتخبوه إمبراطورا، فهزم كل من وقف في وجهه، وأرادوا اغتصاب السلطة، وبعد ذلك جرد حملة على بلاد ما بين النهرين، وفي ٢٠٢ أصدر مرسوما يمنع الرعية من الدخول في اليهودية أو المسيحية؛ لأنه كان وثنيا. وكان السبب في ذلك هو أن اليهود بدءوا ثورة تشبه ثورة باركوكبا، أما المسيحيون فقد اعتبرهم غير أهل للثقة (لأن كثيرين منهم لم يكونوا متحمسين للمعارك، لأنهم كانوا ينتظرون المجيء السريع للمسيح) وأعقب ذلك الاضطهاد والاستشهاد. تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، (٢/ ٣٠).

تعليمهم وتربيتهم تربية نصرانية، وقبض على مدرسيهم وأحرقوا بالنار[١].

ثم عاش المسيحيون في سلام مؤقت بعد المذابح التي راح ضحيتها الكثيرون منهم في عهد سبتيوس سفيروس ٢٠٢ م، فيما عدا بعض الحوادث المتفرقة. ولكن في منتصف ذلك القرن بدأ الشعور العام بالعداء نحوهم فقد استمر العامة يعتبرونهم جماعة ملحدة تثير غضب الآلهة فتصيبهم الكوارث الطبيعية. وقد بدأ ذلك سنة ٢٤٨م بحوادث متفرقة في الإسكندرية حيث كانوا يجرون المسيحيين إلى المعابد ويجبرونهم على تقديم الذبائح للأوثان، ثم سارت الغوغاء في الشوارع تحطم كل ممتلكات المسيحيين في غضب وعنف حتى أن امرأة عجوزا رفضت أن تنطق بالعقيدة الوثنية، اضطرت من شدة الضرب إلى أن تلقي بنفسها في النيران[٢].

اضطهاد الإمبراطور ديسيوس (٢٤٩-٢٥١م) الشامل للنصارى:

انتصر ديسيوس على أعدائه وارتقى العرش عام ٢٤٩م وقد عرف ملكه في تاريخ الكنيسة بالاضطهاد العام الأول، وقد أصدر أوامره إلى الولاة بتنفيذ القوانين الوثنية القديمة ضد المسيحيين، وأنهم إن لم يستأصلوا جميع المسيحيين أو يرجعوهم بأنواع من الآلام والتعذيب إلى دين آبائهم فإنهم يعرضون أنفسهم للقتل.

اضطهاد الإمبراطور فاليريان "٢٥٣-٢٦٠م" الشامل للنصارى:

عطف الإمبراطور فاليريان على النصارى في بداية حكمه ولكن كان له وزير للمالية يكره النصارى، ويسعى جاهدا لإحياء العبادة الوثنية فقد أوغر صدر الإمبراطور ضدهم، فأصدر ضدهم مراسيم يضطهدهم فيها كان آخرها عام ٢٥٨م أمر فيه بأن كل

(١) انظر مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، (١٢٨). و تاريخ الكنيسة،جون لوريمر (٢/ ٣٠)، وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٢/ ٨٨).

(٢) تاريخ الكنيسة،جون لوريمر، (٢/ ٧٤).

مسيحي لا يذعن لأمر الإمبراطور يجب أن يقتل، ويجرد مجلس الشيوخ والفرسان من رتبتهم، وتنفى السيدات الشريفات وتصادر أملاكهن. ويرسل عمال القصور الملكية إلى معسكرات العمل الشاق. ولكن بدلا من أن يذعن المسيحيون للأمر تحت هذا التهديد ثبتوا، فمات كثيرون منهم، فبعضهم قطعت رؤوسهم، وبعضهم أحرق، حتى أن ثلاث مئة منهم ألقي بهم إلى قمائن الجير المشتعلة وهنا ظهرت الرغبة العامة للاستشهاد، ويذكر يوسابيوس أن ثلاثة من المسيحيين سافروا في رحلة طويلة لكي يعترفوا بمسيحيتهم لحاكم مقاطعتهم حتى يمكنهم أن يستشهدوا[1].

الاضطهاد العظيم على يدي الإمبراطور دقلديانوس ديوكليشيان "٢٨٤ - ٣٠٥م":

صور مؤرخو النصارى اضطهاد دقلديانوس تصويرا رهيبا مرعبا، فقد استمر قرابة عشر أعوام من العذاب والتنكيل والقتل لرجال الدين ولعامة النصارى، وهدم الكنائس ومحاولة إبادة النصرانية واجتثاثها محاولة جادة، ففي عام ٣٠٣م أصدر دقلديانوس أمره بإبادة الكنيسة في نيقوميديا - نيكوميديا - بآسيا الصغرى، وأحرقت الكتب المقدسة ودمرت الكنائس ووزع أثاثها على المتربصين من الوثنيين.

وواجه النصارى صنوفا عديدة من الاضطهاد، فقد طردوا من وظائفهم وحرموا من ألقابهم ومنعوا من الشهادة في المحاكم. ويقال: إن دقلديانوس لم يكن يرغب في إراقة الدماء، ولكن ما أثاره بشدة أن أحد المسيحيين انتزع مرسومه الذي كان معلقا في ساحة المدينة ومزقه. فأمر بأن يقبض على هذا الإنسان ويحرق حيا. ومما زاد الأمر سوءا أن شبت النار في القصر فأصدر الإمبراطور أمرا أشد قسوة وبموجبه أعدم كثيرون من المسيحيين، ثم أجبر زوجته الإمبراطورة بريكسا وابنتها فاليريا النصرانيتين على تقديم ذبيحة للإمبراطور إمعانا في التأكيد أنه هو الرب لهما. وقام المسيحيون في سوريا بثورة احتجاجية

(١) انظر تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، (٢/ ٧٨).

لكنها أخمدت بكل قسوة[1].

يقول دوبراتشينسكي: (يرجح أن يكون ديوقلتيانس - دقلديانوس - قد باشر اضطهاد المسيحيين بتحريض من غاليريوس الإمبراطور الغربي - جاليريوس - السفاح، وهذا الاضطهاد هو الأفظع بين اضطهادات القرون الثلاثة الأولى، ومما زاد في وحشيته وهمجيته، انفجاره المباغت بعد أعوام من الهدوء اعتاد المسيحيون خلالها على الجهر بإيمانهم وعدم إخفائه. فقد أصدر الإمبراطور خلال عام واحد (٣٠ شباط ٣٠٣ - ٣٠٤) أربعة مراسيم خاصة مناهضة للمسيحية. حظر الأول العبادة، وطالب بمصادرة الكتب المقدسة، وهدم المعابد. وأمر الثاني بإلقاء القبض على رؤساء الكنائس. وسمح الثالث بالإفراج عن المعتقلين شريطة أن يقدموا القرابين للآلهة. وألزم الرابع جميع مواطني الإمبراطورية تحت طائلة التعذيب والموت، أو النفي إلى المناجم، الذي كان يعادل الموت، بتقديم أضاحي علنية للآلهة[2].

قادة الكنيسة يسجنون:

وقد وصف المؤرخ يوسابيوس واقع المجتمع النصراني في عهده قائلا: (في كل مدينة سجن عدد من قادة الكنيسة. والسجون التي بنيت من قبل للقتلة واللصوص والخطرين امتلأت بالأساقفة والشيوخ والشمامسة والقرائين ومخرجي الشياطين حتى لم يبق فيها مكان لوضع المحكوم عليهم بسبب الجرائم)[3].

الإعدام الجماعي:

كما وصف يوسابيوس - المؤرخ النصراني - أيضا الكثير من هذه الاضطهادات التي

(١) انظر مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، (١٣٧). وانظر تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، (٢/ ١١٣).

(٢) انظر أوربا والمسيحية، الألفية الأولى، يان دوبراتشينسكي، (٤٠).

(٣) انظر تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، (٢/ ١١٢).

رآها، وكيف وصلت ذروتها عندما كان المسيحيون يعدمون بالجملة. ففي فريجية أحاط الأعداء بالكنيسة، وأغلقوا أبوابها وأحرقوها بمن فيها. وفي نيقوميديا كان الناس يؤخذون بالجملة ويقيدون ويلقون من المراكب إلى البحر. وفي مصر تعب الجلادون من قطع رؤوس المسيحيين. وأحيانا كانوا يستبدلون عقوبة القتل ببتر أعضاء الجسم وقلع العيون أو حرق عضلات أحد الساقين فلا يستطيع الشخص أن يهرب(١).

مرض الإمبراطور جاليريوس شريك الإمبراطور دقلديانوس في الاضطهاد:

وفي عام ٣١١م أصيب جاليريوس الإمبراطور الغربي بمرض عضال، وبدأ يتساءل عما إذا كان مرضه هذا هو انتقام من إله المسيحيين. والتمس بإلحاح من النصارى أن يتضرعوا إلى الله أن يشفيه ويعيد إليه عافيته ويزيل عنه الآلام المبرحة التي يقاسي منها، وأصدر مرسوما أخبر فيه أنه يفضل التسامح مع النصارى، وأنهم بإمكانهم بعد هذا المرسوم بناء الكنائس التي يريدون، على شرط ألا يفعلوا شيئا ضد النظام العام، وطلب منهم انسجاما مع تسامحه هذا، أن يطلبوا من إلههم سلامته وسلامة الإمبراطورية، وذلك لكي يعيشوا هم أيضا في بيوتهم وهم مطمئنون(٢).

هبوط حدة الاضطهاد:

مات جاليريوس بعد إعلان المرسوم بخمسة أيام، ولكنه ظل مع ذلك ساري المفعول. لقد صدر باسم جاليريوس وقسطنطين وليسينيوس ومكسيميانوس، ولهذا فقد خضعت له كل الإمبراطورية وهبطت حدة الاضطهاد. ولكنه لم ينته تماما لأن الإمبراطور مكسيميانوس بذل جهده لإحياء العبادة الوثنية واضطهاد المسيحيين(٣).

---

(١) انظر المرجع السابق (٢/ ١١٣).

(٢) انظر تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، (٢/ ١١٥). وانظر مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، (١٤٠).

(٣) انظر المرجعين السابقين.

الاضطهاد المنظم الذي شنه مكسيميانوس:

فبعد أن أصبح مكسيميانوس ابن أخ جاليريوس إمبراطورا في الشرق سنة ٣٠٦م اتبع طريقة منتظمة في إخضاع المسيحيين، ومحاولة إحياء الديانة الوثنية القديمة واستمر في اضطهادهم كما فعل أسلافه من الأباطرة، ولكنه لم يلبث أن هزم في معركة ضد الإمبراطور ليسينيوس، وحول غضبه نحو كهنته الوثنيين الذين منوه بالانتصار على خصمه، وأنه سيصبح إمبراطورا عاما في الشرق، فانتقم منهم بسبب هزيمته في الحرب شر انتقام، وكان آخر عمل إمبراطوري له أن نشر مرسوما لصالح النصارى أقر لهم فيه التمتع بكامل حريتهم الدينية[1].

وبموت الإمبراطور مكسيميانوس انتهى الطور الأول من الواقع النفسي والاجتماعي للحرب والسلام عند النصارى، وهو طور الضعف العام للدين النصراني، وليس المقصود مما أوردته التفصيل في أنواع الاضطهادات التي تعرضت لها الأمم النصرانية في القرون الثلاثة الأولى بعد دعوة المسيح، بل تقرير وجود هذه الاضطهادات، وإثبات وجود هذا الطور.

ولن يكتمل فهم حقيقة هذا الطور وتحرير أثر عقيدة الحرب والسلام في نفسية المجتمع النصراني في تلك الحقبة الزمنية السالفة؛ إلا إذا نظرنا أيضا إلى مراحل البناء النفسي والاجتماعي، فما تمت معالجته في هذا الطور يعبر عن النتيجة العامة لذلك الواقع – وهي انتهاء زمن الاضطهاد–، فقد بينا فقط كيفية نشأة المجتمع النصراني بعد دعوة المسيح، وأنه نشأ كأقلية يهودية في نظر الأباطرة، وأن المجتمع النصراني الأول وقع تحت الاضطهاد بشكل عام.

ودعوة المسيح – ورسله وتلاميذه من بعده – حتى وإن حملت في طياتها مفهوما محددا

(١) انظر المرجعين السابقين.

للحرب والسلام لم يكن بمقدورها في القرون الثلاثة الأولى إلا قبول الاضطهاد والخضوع له دفاعا عن وجودها، وتحارب العقائد الوثنية السائدة، وتبني وتستقطب المؤمنين بهذه الدعوة، بمعنى أنها كانت تبني العقيدة - بغض النظر عن الانحرافات التي حدثت فيها - حتى انتشرت وعمت كافة أرجاء الإمبراطورية، وفرضت نفسها كعقيدة معترف بها في كثير من الأحيان، ثم نجحت هذه الدعوة - بما حملته معها من تناقضات وصراعات - في نهاية المطاف بأن تكون هي الدين الرسمي للإمبراطورية البيزنطية الرومانية، وذلك بعد أن تولى الإمبراطور قسطنطين مقاليد الحكم في الإمبراطورية - كما سيأتي بيانه -.

وحتى يكتمل فهم واقع النفسي والاجتماعي للحرب والسلام عند النصارى في القرون الثلاثة الأولى، لا بد أن نعالج تاريخ تطور عقيدة الحرب والسلام لدى رجال الدين النصراني في نفس الحقبة الزمنية السالفة وكيف أثر ذلك على مجتمعاتهم.

وقد درج مؤرخو النصارى على دمج تاريخ الاضطهاد الجسدي مع تطور عقيدة الحرب والسلام، مع أنهما - في نظري - قضيتان مختلفتان لأسباب كثيرة منها:

١ -وجود نصوص مقدسة تثبت أن عقيدة الحرب لها جذور راسخة في الدين النصراني، وهي متضمنة لعدم وجود سلام مطلق مع الأعداء، كما تدعى بعض فرق النصارى.

٢ -تناقض رجال الدين النصراني قديما وحديثا في تفسير هذه النصوص المقدسة، وتفسير بعضهم للنصوص على ظاهرها - وهو وجود الحرب المقدسة -، مما يعني إثبات وجود عقيدة الحرب المنافية للسلام المطلق المدعى، ومنذ زمن مبكر في العقيدة النصرانية.

وقد أدى هذا الدمج إلى تمييع هذه العقيدة وعدم وضوحها عند كثير من فرق النصارى، ولذلك رأيت أنه من الضروري فصل دراسة تاريخ الاضطهاد والسلام

المحض – الذي كان إجباريا على النصارى لضعفهم – عن تاريخ عقيدة الحرب والسلام، وهذا ما سنعرضه في الصفحات القادمة إن شاء الله.

٢- مراحل البناء النفسي والاجتماعي للحرب والسلام عند النصارى في القرون الثلاثة الأولى:

المرحلة الأولى:

تأسيس يسوع المسيح لعقيدة الحرب والسلام في نفوس أتباعه:

وقد عالجنا هذه العقيدة بالتفصيل في المبحث الماضي واستقرأنا الكثير من نصوص العهد الجديد المتعلقة بالحرب والسلام، وخلصنا إلى أن السلام الذي نادى به المسيح خاص بمن تبعه، وأنه تنبأ بالانقسام والحروب بين الأمم في مستقبل من أجل الدين الذي جاء به وهذا ما وقع بالفعل، فبينما كان المسيح وأتباعه يضطهدون في بداية دعوته، كان المسيح يعد أتباعه بالنصر في الآجلة، وأمرهم بقبول الاضطهاد القتل والتشريد في سبيل دينه حتى يظهر، وتم ما تنبأ به بالفعل فاضطهد من اضطهد، وقتل من قتل، وكانت بداية الاضطهادات قتل المسيح نفسه بأمر الحاكم الروماني بعد وشاية اليهود - حسب عقيدة النصارى[1].

المرحلة الثانية:

دعوة تلاميذ المسيح السلمية بين الأمم وقبول الاضطهاد وعدم قبول الحرب:

عندما حمل تلاميذه هم الدعوة إلى دينه وكرزوا بالإنجيل حتى عرف دينه بين الناس، وفي مقابل ذلك واجهوا القتل والتعذيب في سبيل دعوتهم هذه.

جنون الاستشهاد في سبيل العقيدة:

وتحت وطأة الاضطهاد الشديد للدين النصراني، استعذب النصارى العذاب، وانتشر

(١) إنني من خلال دراستي لهذه القضية، أحث الباحثين على دراسة تاريخ عقيدة الحرب في العصور المبكرة للنصرانية من خلال ما كتب مؤرخو النصارى أنفسهم، وهذا يحتاج لحملة ترجمة واسعة للمصادر الأوروبية المختلفة، فأغلب ظني أن ذلك سيفجر حقائق تاريخية، يحاول رجال الدين النصارى المعاصرين إخفاءها.

بينهم حب الموت والاستشهاد في سبيل العقيدة، حتى وصف المؤرخون هذا الحب بأوصاف تجاوزته إلى الجنون في طلب الاستشهاد، حيث كان الناس يندفعون إلى ساحات الإعدام طلبا للموت.

واعتبر "أوريجانوس" هذه الحقبة من التاريخ، فترة من الفترات المجيدة في تاريخ الكنيسة، ففي ذلك الوقت كان المؤمن يظهر على حقيقته فيذهب بشجاعة إلى الاستشهاد في الكنيسة، حتى امتلأت المدافن بجثث الشهداء، مما كان سببا قويا لوحدة الكنيسة واجتماعها، ويقرر مؤرخو النصارى أن المؤمنين – بالمسيح – الأمناء كانوا أقلية، ولكنهم كانوا أمناء يتقدمون الطريق الضيق الذي يؤدي إلى الحياة[1].

دماء الشهداء بذار الكنيسة:

ويذكر مؤرخو النصارى تضحيات كبيرة وبذلا للمهج والنفوس، حتى وصف "ترتليان ترتليانس[2]" دماء الشهداء بأنها البذار الذي ينمو بها جذع الكنيسة، وقد كان مثالا للشجاع الذي يواجه الخطر ويرحب بالموت في سبيل العقيدة، وكان يؤلب أتباعه ويحفزهم ويدفعهم للموت، ويستفز مشاعر أعدائه ويقول لهم: (احذروا من أن تكون جريمة كفر بالدين أن تحرموا الناس من حرية الدين وتمنعونهم من اختيار الإله.. ويقول

---

(١) انظر مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، (١٢٨). و تاريخ الكنيسة، جون لوريمر(٢/ ٣٠).

(٢) كان ترتليان -ترتليانس- واحدا من أبرز الشخصيات في الكنيسة المسيحية الأولى، وأول قائد عظيم في الكنيسة في شمال أفريقية. ولد في قرطاجنة-تونس- حوالي ١٦٠م، وكان والداه من الأثرياء ولكنهما لم يكونا مسيحيين وقد أرسلاه إلى روما لدراسة القانون وقد نال أعظم قسط من التعليم في الفلسفة والتاريخ، وكان يكتب باليونانية واللاتينية على حد سواء. أما عن اعتناقه للمسيحية فقد حدث حوالي ١٩٠م في روما على الأرجح، ومنذ ذلك الوقت كرس وقته وجهد لدراسة الكتابات المسيحية كما فعل من قبل مع القانون. ثم رجع إلى قرطاجنة حيث رسم شيخا، واستمر هناك إلى يوم وفاته ٢٤٠م. تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، (٢/ ٣١)، دار الثقافة، ط. ١٩٨٥. وانظر تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، كيرلس بسترس وآخرون، (٣٢٨)، المكتبة البولسية، ط. الأولى.

لهم: "نزداد عددا كلما حصدتمونا فدم المسيحيين هو بذار"، ويقول:"عندما تحكمون علينا، يبرئنا الله"[1].

وقد كتب ترتليان إلى "سكابولا" قنصل أفريقيا الذي كان قد سلم مسيحيين للوحوش وأحرق بعضهم على المحرقات.فينذره بالعقاب الإلهي، ويرى في كسوف الشمس الكامل الذي حدث في ١٤ آب سنة ٢١٢ علامة الغضب الإلهي، ونصحه بالاقتداء بحكام أكثر عدلا، ويطالب مرة أخرى بالحرية الدينية: (لا نريد أن نخيفك، نحن الذين لا نعرف الخوف، ولكننا نريد أن نخلص جميع الناس، بالتوسل إليهم بأن لا يحاربوا الله. هذه البدعة لن تموت. أنت تعلم ذلك، بل إنها تنمو بقدر ما تبدو أنها قد هلكت. إنه من حق الإنسان، ومن امتياز طبيعته، أن يعبد كل واحد بحسب اقتناعاته، فدين الواحد لا يضر بالآخر ولا يخدمه. وليس من خصائص الدين أن يفرض بالإكراه[2].

وبعد أن زادت حدة الاضطهادات استمر ترتليان في تحديه للكل وبرهن على أن المسيحيين يعظم انتصارهم بالمسيح ويقول: (إلى الأمام أيها القضاة الطيبون فإنكم سوف تنالون تهليل ومديح الجموع الهائجة عندما تقدموننا على مذبح شهواتهم، اقتلونا عذبونا، احكموا علينا اطحنوا عظامنا، ولكن كلما أردتم محونا ازددنا عددا.. نحن لسنا إلا أبناء الأسى، ولكننا قد ملأنا كل الأمكنة التي تخصكم، المدن والجزائر والحصون والبلاد الصغيرة، والثكنات العسكرية ذاتها والقبائل ومجالس الشيوخ والأسواق، إننا لم نترك إلا معابدكم)[3].

---

(١) تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة،كيرلس بسترس وآخرون، (٣٣١،٣٣٢)، المكتبة البولسية، ط. الأولى.

(٢) المرجع السابق، (٣٣٢).

(٣) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، (٢/ ٣٦).

إكليمندس (١١٥ – ٢١٥م) والاستشهاد الأبيض:

كان كل مسيحي في ذلك العصر يشعر بأنه يمكن أن يموت من أجل الإيمان، مع أن أيام الاضطهاد المروع لم تكن قد حانت. وكانت الرغبة في الاستشهاد عند البعض قوية لدرجة أنهم قاموا بأفعال غير عادية حتى يقبض عليهم ويعترفوا.

وكان إكليمندس يؤمن بأن الاستشهاد الصحيح هو الذي يتحمله الإنسان عندما لا يكون هناك مفر منه في نهاية حياة كرست بتمامها لمحبة الله. فالمحبة لله تتطلب الألم وفي نفس الوقت تتطلب حفظ وصاياه وتفهمها. ولهذا فالاستشهاد عند أكليمندس هو عمل يومي يتضمن الكلمات والحياة والسلوك، كل الإنسان. ومن السهل تماما أن ندرك أن هذه الكلمات كانت هي البذار الذي أنتج حياة الزهد والحركة الرهبانية التي أطلق عليها الاستشهاد الأبيض[1].

يقول إكليمندس: (فلندع جانبا أمثال القدامى ولنأت على ذكر المصارعين الحديثين، فلنأخذ أمثال جيلنا. فإنه بدافع الحسد والغيرة قد اضطهد من كانوا من العواميد الأكثر ارتفاعا والأكثر صلاحا وقاتلوا حتى الموت فلنلق بأنظارنا إلى الرسل الحسنين، فالرسول بطرس قد وقع ضحية لحسد باطل فاحتمل لا تعبا واحدا ولا تعبين بل أتعابا كثيرة، وإذ قد أتم استشهاده ذهب إلى مقر المجد الذي يحق له، أما بولس فإنه على أثر الحسد والخصام قد بين كيف نجني ثمر الصبر. لقد كبل بالقيود سبع مرات، ونفي ورجم، وغدا داعية في الشرق والغرب فنال من أجل إيمانه مجدا لامعا، وبعد أن علم العالم أجمع العدل، وبلغ حدود الغرب، وأتم استشهاده أمام الحكام، غادر العالم وذهب إلى المكان المقدس تاركا لنا قدوة لامعة في الصبر. ولقد انضم إلى هذين الرجلين اللذين لمعت حياتهما بالقداسة جمهور كبير من المختارين الذين من جراء الحسد احتملوا إهانات مريعة وعذابات كثيرة وتركوا

(١) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، (٢/ ٥٥).

لنا قدوة رائعة، وأن الحسد هو الذي جعل نسوة الدنايد والدرس يحتملن إهانات مريعة ووحشية فبلغن الهدف من سعيهن في الإيمان ونلن الجائزة النبيلة وهن في أجساد واهية.

وكتب لإخوانه في العقيدة في كورنثس التي كان النصارى فيها يعانون أشد الاضطهاد قائلا: (أيها الأخوة المحبوبون إن الويلات والمصائب المفاجئة التي ضربتنا ضربة تلو ضربة قد أخرت رغبتنا في أن نوجه عنايتنا إلى الأمور التي تتخاصمون فيها...نحن وأنتم في الحلبة عينها ينتظرنا القتال عينه)(١).

بداية قبول رجال الدين للحرب:

وبعد أن انتشر الدين النصراني في أنحاء الإمبراطورية الرومانية، ودخلت فئام كثيرة من الرومان فيه، واختلط النصارى مع الرومان، نشأت العلامات الأولية لقبول عقيدة الحرب مع أن الكثير من رجال الدين يزعم أنها تنافي أصول العقيدة النصرانية.

يقول جون لوريمر: (عندما بدأت الكنيسة تكبر وتنمو في العدد وتنتشر في كل مستويات المجتمع الروماني، بدأ المسيحيون كأفراد يواجهون اتخاذ قرارات حاسمة في علاقاتهم بذلك المجتمع، فكيف يتعاملون يوميا مع الناس الذين يعيشون في مملكة أرضية بينما هم يعتبرون أنفسهم رعية ملكوت سماوي؟ وقد عبر أحد الكتاب عن حالتهم فقال: (كل بلد أجنبي هو بلدهم، هو بلد أجنبي لهم)(٢).

رجال الدين النصراني لا يعارضون الالتحاق بالجيش الروماني ويعارضون الحرب والقتل:

اضطر رجال الدين النصراني إلى عدم معارضة النصارى في الالتحاق بالجيش الروماني، فقد قبل الدخول في النصرانية الكثير من جنود هذا الجيش، إضافة إلى الأعداد

(١) تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، كيرلس بسترس وآخرون، (٣٣١-٣٣٢).

(٢) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، (٢/ ٣٩).

الغفيرة من عامة الشعب، فكان ذلك من أكبر التناقضات التي استحال حلها عند رجال الدين في نهاية القرن الثاني الميلادي، فالحرب تنافي تعاليم المسيح -كما يزعم الكثير منهم- والالتحاق بالجيش أصبح أمرا لا مفر منه، ومع ذلك لم يصدر منهم ما يعارض الدخول في الجيش، مع تمسكهم بأن سفك الدماء تحت أي ظرف من الظروف شيء ممنوع مرفوض، لأنه يتعارض مع تعاليم الرب يسوع المسيح التي توصي بمحبة الأعداء.

وفي هذا الصدد قال جاست مارتر: (الكنيسة لا تعرف الحرب والمسيحيون مستعدون أن يستشهدوا ويقاسوا الآلام في سبيل شهادتهم للحق، ولكنهم لا يقتلون الآخرين). وقال ترتليان: (عندما أمر السيد بطرس أن يرد سيفه إلى غمده فإنه جرد كل جندي من سلاحه).

أما هيبوليتس – في القرن الثالث الميلادي – في كتابه "التعليم الرسولي" فقد شجب الخدمة العسكرية بقوة وقال: إن أي مسيحي معتمد، إذ دخل الخدمة العسكرية فإنه يحتقر الله، ويجب أن يطرد من الكنيسة. وإلى جانب ذلك فإن الجندي المسيحي لا يشترك في تنفيذ الإعدام في أحد، وإذا صدر إليه الأمر فيجب ألا يخضع له[1].

وتحت وطأة الواقع وصروف حياة المجتمع النصراني المتغلغل في الإمبراطورية الرومانية، واجه من التحق بالجيش الروماني من النصارى، ما يضاد العقيدة المسيحية، وهو طلب الولاء الكامل للإمبراطور الوثني، والقسم على ذلك الولاء، فالقسم العسكري كان يربط الجندي بالإمبراطور كالقائد الأعلى رباطا غير مشروط وهذا القسم كان وعدا من الجندي بألا يهرب من الجيش، وأن يطيع كل أوامر رؤسائه وأن يموت في سبيل الإمبراطورية. وكان هذا القسم يكرر في ثلاثة مواقف:

---

(١) المرجع السابق، بتصرف وهي ولا شك أقوال تنافي نصوص مقدسة تثبت ضد ما ذهبوا إليه، ولكنهم صرفوها عن ظاهرها بالتأويل.

١ -يوم التحاق الجندي رسميا بالجيش.

٢ -في أول كل سنة.

٣ -في عيد جلوس الإمبراطور على العرش.

وكان الجنود أيضا يحرصون بشدة على الحفاظ على الرسميات، وكانت هذه الرسميات ترتبط بعبادة مثرا أحب العبادات إلى الجنود، وكان النصارى يعتبرونها عبادة أصنام[١].

وقد أحجم الكثير من النصارى عن الالتحاق بالجيش الروماني، ولكن كان ذلك يؤرق الإمبراطور ويضع النصارى في مكان الريبة الدائمة، لا سيما وأن الكثير من الحاقدين على النصارى كانون يحاولون الوشاية بهم عنده، ولذلك حاول أوريجانوس أن يحرر مسألة الالتحاق بالجيش ويبرر عدم دخول معظم النصارى فيه فقال: (بينما يذهب الناس الآخرون إلى الحرب، فإننا نحن النادرون فيها، لأننا ككهنة وكعبيد لله نحفظ أيدينا نظيفة، ونصلي لله من الهدف النبيل والملك الشرعي... إننا بصلاتنا نكون جيشا حقيقا جيش التقوى الذي يقدم خدمة للإمبراطور أشرف من كل ما يقدمه له جنوده الآخرون)[٢].

وبمثل هذا الدعوات الصادقة -كما يدعي أوريجانوس- والتأسيس العقدي القائم على التأويل، كانت بدايات قبول الحرب لدى رجال الدين النصراني، فقد دخل النصارى الجيش، وحالوا أن يجمعوا بين النقيضين -القتال وعدم القتال- واضطر رجال الدين إلى إصدار أحكام خاصة بمن يقتل إنسانا داخل ساحة المعركة- كما سيأتي، وبدأ واقع قبول الحرب للحفاظ على الدين النصراني يفرض نفسه على رجال الدين، فتحركت

(١) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، (٢/ ٤٣).

(٢) انظر المرجع السابق.

العقيدة النصرانية الراسخة -كما يزعمون- من السلام المحض ومحبة الأعداء، إلى قبول وجود حرب عادلة لها ما يبررها، وكان لهذا القبول إرهاصات، هي التي أسميتها بالمرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة:

علامات الاعتراف بالحرب العادلة والتوجه لله تعالى وسؤاله بأن ينصر الأباطرة في حروبهم:

يرجع السبب الرئيس في هذه المرحلة إلى الأمان النسبي الذي حصل عليه النصارى من الأباطرة الرومانيين الذين اضطروا هم أيضا لقبول النصرانية باعتبارها واقعا فرض نفسه على تركيبة المجتمعات الرومانية، فكل من الطرفين قبل الآخر على مضض، ونتج عن ذلك ذوبان مجتمع النصارى داخل المجتمعات والمدن الرومانية، وبالتالي داخل مؤسسات الدولة، وفي المقابل حاول رجال الدين النصراني المحافظة على علاقة جيدة مع الحكام قدر الإمكان وذلك بعدم معارضة الدخول في الجيش الروماني، وأن يتعايشوا مع المجتمع الروماني الوثني ورجال الدولة، وذلك بعدم معارضة الاندماج في المجتمعات الرومانية، فأثبتوا للجميع أنهم مواطنون صالحون، ويساهمون في مصلحة الإمبراطورية، فنتج عن ذلك تخفيف الاضطهاد وبداية اعتراف رجال الدين بالحرب العادلة أو المبررة، والدخول في الجيوش مع كراهية ذلك.

فبمثل اللباقة التي خاطب أوريجانوس فيها من شكك في ولاء النصارى للدولة في نهاية المرحلة السالفة، نجد أن ترتليان قد حاول هو أيضا مع غيره من رجال الدين النصراني في تلك المرحلة، أن يعزز مفهوم إخلاص النصارى للإمبراطور وللشعب الروماني، بل حاولوا إظهار إخلاص أكثر من غيرهم من الرومانيين لأنهم أتباع للرب يسوع.

يقول ترتليان: (نحن نصلي دائما للأباطرة، نطلب لهم عمرا طويلا، وحكما آمنا، وبيتا محروسا، وجيوشا باسلة، ومجلس شيوخ مخلصا، وشعبا أمينا، وعالما هادئا، وكل ما يتمناه

القيصر أو أي إنسان آخر، إننا نعلم علم اليقين أنه لولا الإمبراطورية الرومانية لانطلقت القوى الشريرة التي تهدد العالم، ولانتهت الدنيا بما يتهددها من أخطار رهيبة، فعندما نصلي من أجل تأجيل الكوارث، فإننا نصلي من أجل بقاء روما، إن لي الحق أن أقول أن القيصر هو لنا أكثر مما لكم، وقد أقامه إلهنا في مركزه[(١)].

كذلك فعل إكليمندس، فبالرغم من دعوته للاستشهاد الأبيض وعدم المقاومة، قرر أن الحرب شيء لا بد منه حتى للنصارى ما دمنا في هذا العالم الشرير، فقد خاطب إكليمندس النصارى مطالبا إياهم، بأن يبقى كل مسيحي في الحالة التي دعي فيها، وهذا ينطبق على الجنود أيضا؛ ذلك لأن وجود المسيحيين في الجندية كان يعتبر بركة للجيش الروماني.

وقد ذكر المؤرخ يوسابيوس وغيره، أن فرقة من جيش الإمبراطور مرقس أوريليوس وقعت قرب نهر الدانوب في حصار من الألمان والسارماتيين الذين كانوا يعرفون في ذلك الوقت بالبرابرة، فصلى الجنود المسيحيون في الجيش فثارت زوبعة رعدية ممطرة، فخلع الجنود الرومانيون ليتلقوا على رؤوسهم الأمطار، فكان المطر سببا في تجديد نشاط الرومانيين، وأثار البرق الرعب في قلوب الأعداء فهربوا منهزمين أمام الجيش الروماني، وسمي هذا الجيش (بفيلق الرعد)[(٢)].

ومع بداية القرن الثالث بدأ الواقع النفسي والاجتماعي للنصارى يتغير، وأصبح لهم مكانة اجتماعية جيدة، وأصبح وجودهم داخل الإمبراطورية من الأمور المسلم بها.

وتصف الرسالة إلى (ديوجنيتس) سلوكهم وحياتهم في العالم مع أنهم ليسوا من العالم: يعيشون في بلادهم كغرباء كزائرين، لهم مائدتهم المشتركة ولكنها ليست عامة، يعيشون في

(١) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، (٢/ ٣٦).

(٢) انظر مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر(١١٦). وانظر أيضا تاريخ الكنيسة، جون لوريمر،(٢/ ٤١).

الجسد وهم لا يحيون حسب الجسد، يسيرون في العالم مع أن وطنهم في السماء. يسلكون بحسب القوانين الموضوعة ولكن في حياتهم الخاصة يسمون عليها. يحبون كل الناس رغم أن الجميع يضطهدونهم. فقراء ولكن أغنى من كثيرين، يحتاجون إلى كل شيء،و لكنهم في كل شيء أغنياء. يحتقرون ولكن مجدهم في هذا الاحتقار. يشتمون ولكنهم يباركون، يظلمون ولكنهم يبررون، يعيرون ولكنهم يشكرون[1].

وبدأ الدين النصراني في الانتشار في جميع طبقات المجتمع الروماني، ودخل الناس في النصرانية أفواجا، حتى وصل إلى بلاط الأباطرة وقصورهم، وتضاعف عدد الكنائس والأبرشيات داخل الإمبراطورية، وتم انتخاب رجال الدين النصراني في الوظائف العامة، واختار عامة الشعب قادة الكنيسة ليكونوا لسان حالهم، وحل رجل الدين النصراني محل الكاهن الوثني كقائد سياسي، واختار الرومانيون النصارى ليكونوا أعضاء البرلمان الروماني أو قادة للجيش[2].

وكانت هذه الفترة الزمنية هي نهاية عصور الاضطهاد والضعف العام للنصرانية، وبداية عصر التمكين للكنيسة، وبداية استلام مقاليد الحكم على الإمبراطورية الرومانية، والتي نقل الإمبراطور - كما سيأتي - قسطنطين عاصمتها إلى الشرق وعرفت بعد ذلك بالقسطنطينية، ونشأت الحضارة البيزنطية على إثر هذا التحول، ونشأ على إثر هذه الحضارة صراع العقائد النصرانية وهذا هو المطلب القادم.

* * *

(١) انظر تاريخ الكنيسة،جون لوريمر،(٢/ ٩٠).

(٢) انظر المرجع السابق، (٢/ ٩٢).

المطلب الثاني

أثر عقيدة الحرب والسلام في عصر التمكين

كانت هناك على امتداد القرون الثلاثة الأولى الكثير من العلامات التي تشير إلى أن انتشار النصرانية أمر لا مفر منه، وأنه سيكون لها شأن في الإمبراطورية الرومانية؛ ذلك لأن الأعداد التي قبلتها في ازدياد مضطرد، وهي لا تخرج منه إذا دخلت فيه، وازداد الأمر إحراجا لأباطرة الرومان عند دخول المقربين منهم للنصرانية، بل وتعدى الأمر مجرد الأتباع إلى دخول الأقارب من الوالدين والأزواج والأبناء.

وقد مهد هذا الانتشار لقبول النصرانية حتى لدى الأباطرة أنفسهم، فلم يعد الاضطهاد والقمع والقتل يجدي مع النصارى، فكان بعض الأباطرة يقبل وجود هذا الدين وهو على سدة الحكم الإمبراطوري، كما فعل الإمبراطور غالينوس-جالينوس- الذي خلف الإمبراطور فاليريان الذي خلع عن عرشه بعد أن أسر ثم قتل في حملته ضد الفرس سنة ٢٦٠ م، فخلفه في الحكم غالينوس الذي رأى أنه من الحكمة أن يلين الجانب مع النصارى بدلا من أن يضطهدهم. ولهذا أصدر أوامر مكتوبة يؤمن فيها العبادة في الكنائس ويعيد للنصارى مدافنهم، وقد أطلق بعض المؤرخين على تلك الفترة اسم "السلم الصغير"، ويعتبر أمر جالينوس هذا نقطة تحول كبرى في موقف الأباطرة من النصارى، مهدت للإمبراطور جاليريوس أن يقدم سنة ٣١١م مرسوما بالتسامح الديني التام مع النصارى[1].

---

(١) انظر أوربا والمسيحية، الألفية الأولى، يان دوبراتشينسكي، ترجمة د.كبرو لحدو،(٣٩). وانظر تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، (٢/ ٧٨).

واقع النصارى النفسي والاجتماعي إبان عهد الإمبراطور قسطنطين:

بدأ الموقف الرسمي للدول يتغير فعلا مع بداية القرن الرابع الميلادي، وبدأ الاعتراف بهذه الديانة يأخذ الطابع الرسمي لها، ولم يلبث أمر النصرانية أن أصبحت الدين الرسمي للدولة في عهد الإمبراطور قسطنطين.

وقد ثار جدل بين المؤرخين حول شخصية الإمبراطور الذي بدأ في عهده الاعتراف بالنصرانية كدين رسمي في الدولة، فمنهم من جعل الإمبراطور قسطنطين صاحب السبق بمقتضى مرسوم ميلان المنسوب إليه، ومنهم من يرى الإمبراطور جاليريوس هو أول من اعترف بها، بعد أن انتهج نهج التسامح مع النصارى بدلا من الاضطهاد، وذلك بعد المرض الذي ألم به، فأصدر مرسوما أعلن فيه غفران الدولة للنصارى مقاومتهم العنيدة لها، كما أعلن شرعية الدين النصراني وأنه أصبح دينا قانونيا في الدولة، ومما جاء في نص هذا المرسوم: (وعليه فبموجب هذا التسامح، الذي منحناهم إياه يمكنهم عبادة ربهم من أجل صالحنا وصالح الإمبراطورية وصالحهم الخاص)[1].

أما ما حمل المؤرخين على جعل قسطنطين أول من اعترف بالمسيحية كديانة رسمية في دولته، فهو ما تواتر في المراجع التاريخية من ظهور علامة الصليب في السماء لقسطنطين وجيشه، والتي كانت سببا لهدايته للنصرانية، وخلاصتها أنه حدث أثناء زحف الإمبراطور من فرنسا على روما لمحاربة منازعه في الملك ماكسنتيوس ابن القيصر مكسيمان[2]، أنه رأى في السماء صليبا يتألق نورا وضياء، وقد كتب تحته عبارة **"ستنتصر**

(١) تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر توفيق، (٥٣)، دار المعرفة الجامعية، ط.١٩٩٤. وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١١/ ٣٨٣).

(٢) كان من الإصلاحات السياسة للإمبراطور دقلديانوس أن قسم الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين، شرقي وغربي، حكم كلا منهما حاكم يحمل لقب أوغسطس، وتولى دقلديانوس القسم الشرقي بينما تولى مكسيمان القسم الغربي، وجعل لكل من الأوغسطسين قيصرا مساعدا لهما في الحكم، فأصبح الحكام على الإمبراطورية =

بفضل هذا !"، وبعد ذلك رأى في المنام أن المسيح -أو رأى حبرا من أحبار النصارى- جاءه ومعه الصليب نفسه، وقد أتى ليأمره بأخذ هذا الصليب شعارا لملكه يجعله على سلاح جنوده وأعلامه، والزحف على عدوه فورا، فكانت هذه الظاهرة وما تبعها من نصر حققه قسطنطين على خصمه من الدوافع الأساسية لاعترافه بالمسيحية واعتناقه لها[1].

وقد حاول تحرير هذه المسألة الدكتور عمر توفيق فقال: (ونوضح ما فعله قسطنطين بشأن المسيحية على النحو التالي: بعد سنتين من إصدار جاليريوس لمرسوم التسامح السالف الذكر، وعقب انتصار قسطنطين على خصومه واتفاقه مع الإمبراطور ليكينيوس -ليسينيوس- اجتمع مع الأخير في مدينة ميلان سنة ٣١٣م للتشاور في أمور الدولة. وكان الاعتقاد سائدا بين المؤرخين إلى وقت قريب، أن هذين الإمبراطورين قد أصدرا بمدينة ميلان ذلك المرسوم الذي يشار له بمرسوم ميلان السنة المذكورة ٣١٣م، وقد دلت الأبحاث التاريخية الحديثة على عدم سلامة هذا الرأي، كما قرر ذلك المؤرخ الألماني "سيك" في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

وتفسير التباس الأمر على المؤرخين فيما سبق وظنوه من وجود مرسوم ميلان هو أن الإمبراطورين قسطنطين وليكينيوس أثناء اجتماعهما في مدينة ميلان في سنة ٣١٣م قد لاحظا على ما يبدو أن مرسوم جاليريوس لم ينفذ بشكل مرض، ورأيا التشدد في تنفيذه. ولذا كتب كل منهما خطابا دوريا إلى عماله موجها لهم يوضح كيفية معاملة المسيحيين مع

أربعة، وكان مساعد دقلديانوس هو القيصر جاليريوس، ومساعد مكسيمان هو القيصر قسطنطيوس كلوروس -والد الإمبراطور قسطنطين الكبير الشهير-. انظر معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، د.محمود عمران، (٢٠)، دار المعرفة الجامعية، ط.٢٠٠٣.

(١) انظر الحرب المقدسة، جان فلوري، ترجمة غسان مايسو، (٣٠)، دار الثقافة والنشر، ط.الأولى. وانظر تاريخ الكنيسة القبطية، القس منسى يوحنا، (١٨١)، دار المحبة، ط. ١٩٨٣. وانظر أوربا العصور الوسطى، د.سعيد عاشور، (١/ ٥٣- ٥٤). وانظر تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، (٢/ ١١٨).

إباحة العبادة لهم. وأن ما وصل إلى أيدينا في هذا الصدد إنما هو نسخة لاتينية لكتاب أرسله الإمبراطور ليكينيوس إلى حاكم نيقوميديا. وحسب ما جاء في هذه الوثيقة منح المسيحيون وأتباع الديانات الأخرى كامل الحرية في ممارسة العقيدة التي يختارونها، كما أعلن بطلان الخطوات التي كانت قد وجهت فيما سبق ضد المسيحية والمسيحيين. كما ظن المؤرخون السابقون هذه النسخة من الخطاب الدوري مرسوما جديدا وهو الذي عرفوه خطأ باسم مرسوم ميلان)[(١)].

انتصارات قسطنطين:

كان دقلديانوس قد حدد مدة عشرين عاما لحكم الأغسطس الواحد يخلفه بعده القيصر في الحكم، وبعد انقضاء المدة تنازل دقلديانوس لجاليريوس وقد حكم الشرق، وتنازل مكسيميانوس لقسطنطيوس كلوروس وقد حكم الغرب، إلا أن النظام الدقلديانوسي الرباعي لحكم الإمبراطورية لم يستمر طويلا، وانتهى الأمر بإلغائه وانفراد الإمبراطور قسطنطين الكبير ابن قسطنطيوس كلوروس بالسلطة، وذلك بعد أن قامت حروب أهلية بين المتنازعين على السلطة.

ففي سنة ٣٠٥م مات قسطنطيوس كلوروس والد قسطنطين الكبير في إنجلترا فأعلن أنصاره ابنه قسطنطين الكبير بدلا عنه، أما في روما فقد كانت ثورة خلع فيها الثوار الإمبراطور جاليريوس ونادوا بتعيين ماكسنتيوس بن ماكسيمان كإمبراطور، وأثناء الحرب التي اندلعت مات كل من ماكسيمان وجاليريوس، وانتهز الإمبراطور قسطنطين الكبير الفرصة واتفق مع الإمبراطور الجديد ليكينيوس-ليسينيوس-، وقضى على قوات ماكسنتيوس في معركة فاصلة بقرب روما سنة ٣١٢م تعرف باسم موقعة جسر ميلفيان،

(١) انظر تاريخ الدولة البيزنطية، د.عمر توفيق، (٥٥- ٥٦). ويبدو أن علامات التسامح الديني من الأباطرة قد بدأت مبكرا كما بينت صورة من ذلك في عهد الإمبراطور جالينوس. وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١١/ ٣٨٥).

وانتهت بموت ماكسنتيوس غرقا، وتم الاجتماع بعد ذلك بين الإمبراطورين المنتصرين، إلا أن العلاقات الودية لم تستمر طويلا بينهما بعد ذلك، ونشب الخلاف بينهما، وانتهى الأمر إلى القتال، وانتصر قسطنطين على خصمه الذي قتل سنة ٣٢٤م، وبذلك انفرد قسطنطين بالحكم منذ ذلك التاريخ وحتى وفاته(١).

ظهور المسيح لقسطنطين قبل موقعة قنطرة ميلفيان كما يرويه المؤرخ يوسابيوس:

(عندما كان قسطنطين يقترب من جهة الشمال بعد أن نجح في السيطرة على تورينو وميلان وفيرونا يقال إن الأسقف هوسيوس أسقف قرطبة بأسبانيا كان يرافقه، مما يدل على أن قسطنطين كان يتعاطف فعلا مع المسيحيين إلى حد ما. ويذكر يوسابيوس في كتابه حياة قسطنطين أن الإمبراطور صلى إلى الله لأجل الإرشاد فأجابه الرب بعلامة الصليب المضيء الذي كان يلمع فوق الشمس الغاربة وقد كتب عليه (**بهذه العلامة تغلب**).

ولم يكن قسطنطين وحده هو الذي رآه، بل رآه معه كل الجيش. وفي ذات الليلة ظهر المسيح لقسطنطين ومعه صليب النور هذا في يده، وطلب منه أن يرسم الحرفين اللذين يبدأ بهما اسم المسيح في اللغة اليونانية على خوذة ودرع كل جندي في الجيش، وهكذا كتب الحرفان هكذا وهو الشكل الذي يسمى(Labarum) والذي صار شعارا على راية قسطنطين في الحرب)(٢).

قسطنطين يتنصر في المعركة:

في اليوم التالي عندما تقدم ماكسنتيوس بجيوشه لمعركة قنطرة ملفيان السالفة الذكر، رأى قسطنطين سربا من البوم واقفا على سور المدينة فرأى فيه فألا حسنا لنفسه وسيئا

(١) انظر المرجع السابق. وانظر تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، (٢/ ١١٨). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١١/ ٣٦٢).

(٢) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، (٢/ ١١٨). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١١/ ٣٨٤).

لماكسنيتوس ولذلك هاجم بجيوشه. وفي أثناء المعركة سقط ماكسنتيوس من فوق القنطرة وغرق، فانتهت المعركة وانتصر قسطنطين الذي عزى ذلك إلى إله المسيحيين(١).

الملاك يظهر لليكينيوس – ليسينيوس– ويخبره كيف يهزم مكسيميانوس:

وبينما كان قسطنطين ينتصر في معاركه بسبب الصليب كان ليكينيوس–ليسينيوس– كذلك ينتصر بسبب الصليب، فقد حاول بعض المؤرخين إرجاع انتصاره على مكسيميانوس، إلى أن الذي حصل لقسطنطين من ظهور العلامة، والرؤيا، حصل أيضا لليسينيوس، فقد ذكر (لاكتانتيوس) المؤرخ الروماني النصراني أن ملاكا ظهر لليسينيوس قبيل المعركة الحاسمة تماما كما حدث لقسطنطين(٢).

مرسوم ميلان:

لقد أوقف قسطنطين الاضطهاد، أما ليسينيوس فهو الذي كتب مرسوم ميلان بالتسامح الديني الذي وافق عليه كلاهما في ١٣ يونيو ٣١٣م: (وهكذا عندما تقابلنا معا أنا قسطنطين أغسطس، وليسينيوس أغسطس، في ميلان وتدارسنا كل هذه الأمور، اقتنعنا بأنه يجب أولا وقبل كل شيء أن تلك القواعد التي وضعت لاحترام الآلهة، يجب أن تنظم بكيفية تعطي للمسيحيين ولكل الناس الحق في أن يعتنقوا أي دين يرغبونه. نعم لقد انتهينا إلى هذه النتيجة: وهي أن نتبنى هذه السياسية التي تحتم أن نعطي كل فرد حريته في أن يعتنق المسيحية أو أي ديانة أخرى. ومن الآن نريد أن يعلم أن إرادتنا تقتضي إلغاء كل القوانين التي تضمنتها خطاباتنا السابقة بخصوص المسيحيين، نعم يجب أن تلغى من الآن يمكن لمن يرغبون في اعتناق الديانة السالفة الذكر أن يبادروا إلى ذلك بكل حرية وبدون موانع أو عقبات أو تدخل أو مضايقات، ثم أردف ذلك بقرار بإرجاع كل

(١) انظر المراجع السابقة.

(٢) انظر المراجع السابقة.

الممتلكات التي صادروها من المسيحيين إليهم، وتعويض كل من اشتراها من خزانة الدولة: حتى تنجح العناية الإلهية كل أعمالنا ويتحقق الصالح العام)[1].

وقد ثار جدل واسع أيضا حول الدوافع الحقيقية وراء اعتراف الإمبراطور قسطنطين بالنصرانية، لتكافؤ الأدلة التاريخية التي ظهرت ووصلت إليهم، والتي يثبت شق منها أنها أسباب ودوافع سياسية تتمثل في رغبته في إحكام قبضة ملكه على سائر أرجاء الإمبراطورية، بينما يثبت الشق الآخر أنها كانت لأسباب دينية، وهي أنه اقتنع فعلا بالنصرانية حتى بالرغم من تأخير تعميده بها إلى آخر حياته وهو على فراش الموت.

والمجمع عليه عندهم أن اعتراف الإمبراطور قسطنطين بالنصرانية كان سببا مباشرا لسرعة انتشار هذه الديانة داخل أوروبا، بل وأحد الأسباب القوية المباشرة التي غيرت تاريخ أوربا ووجه العالم القديم، فلم تعد روما مركزا للإمبراطورية الرومانية، ولم يعد الأباطرة هم المتصرفون الوحيدون في رقاب الأمم المحكومة بحكمهم، بل كان هذا الاعتراف بوابة التمكين لرجال الكنسية فيما بعد ليكونوا القوة الفعالة داخل الإمبراطورية العظمى، ومن الأدلة القوية التي تثبت تأثير النصرانية على قسطنطين، دعوته لعقد المجمع المسكوني التاريخي في نيقيه عام ٣٢٥م وهو أول المجامع المسكونية التي تولت تقرير وتحرير الثوابت العقدية – المحرفة والمبدلة أصلا – في الدين النصراني، وما يجب أن تسير عليه الكنيسة من نظام[2].

---

(١) المرجع السابق. وانظر ترجمة أخرى له، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، د.محمود عمران، (٢٠)، دار المعرفة الجامعية، ط.٢٠٠٣. وانظر مختصر تاريخ الكنسية، أندرو ملر، (١٤٩). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١١/ ٣٨٥).

(٢) انظر أوربا العصور الوسطى، د.سعيد عاشور، (١/ ٥٣،٥٤)، وانظر تاريخ الدولة البيزنطية، د.عمر توفيق، (٥٤)، دار المعرفة الجامعية، ط.١٩٩٤. وانظر الدولة البيزنطية، د.السيد العريني، (٢٥)، دار النهضة العربية، ط.١٩٨٢. وانظر معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د.محمود عمران،(٢٥). وانظر قصة =

بداية ظهور الصراع الطائفي بسبب الاختلافات العقدية:

وقد بلغت الخلافات العقدية بين فرق النصارى أوجها في عصر الإمبراطور قسطنطين، وكان الخلاف حول طبيعة المسيح هل هو إله أم مخلوق القضية العقدية الكبرى بين هذه الفرق، ومثل هذا النزاع الكاهن الإسكندري "أريوس" الذي يرى أن المسيح لا يمكن أن يساوي الأب، إذ إن المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن، ولما كان المسيح الابن مخلوقا للإله الأب فهو إذا دونه، ولا يمكن بأي حال أن يعادل الابن الإله الأب في المستوى والقدرة، أما الكاهن "أثناسيوس" رئيس شمامسة البابا الاكسندروس بابا الإسكندرية، فقال بأن عقيدة الثالوث المقدس تحتم بأن يكون الابن مساويا للإله الأب تماما في كل شيء بحكم أنهما من عنصر واحد بعينه، وإن كانا شخصين متميزين.

وعندما اشتد الجدل وتفاقم النزاع بين الطرفين، خشي الإمبراطور قسطنطين أن يؤثر ذلك في وحدة الإمبراطورية، فحاول أن يوفق بين المذهبين ولم يفلح، حتى انتهى به الأمر إلى الدعوة لعقد المجمع المسكوني الديني المشهور والذي عقد في مدينة نيقيه عام ٣٢٥م لحسم هذا الخلاف العقدي، وانتهى الأمر إلى إدانة المجمع لعقيدة "أريوس"، وتقرر نفيه وإعدام كتاباته وتحريم تداولها واضطهاد أتباعه من الأريوسيين، ومع ذلك فقد ثبت الأريوسيين على عقيدتهم وظلت الأريوسية قائمة في الأجزاء الشرقية من الإمبراطورية، وعن هذا الطريق انتقلت إلى الأمم الجرمانية بواسطة المبشرين ورجال الدين[1].

وقد أدى ثبات الأريوسيين على عقيدتهم في منطقة الشرق إلى تغيير موقف الإمبراطور قسطنطين من المذهب الأريوسي، فقد كان من العوامل التي ستحافظ على الاستقرار السياسي وإحكام بسط نفوذه على جميع أجزاء الإمبراطورية الرومانية تحسين =

الحضارة، ول ديورانت،(١١/ ٣٨٧).

(١) انظر تاريخ الحضارات العام، موريس كروزيه، (٢/ ٦٣١). وانظر أوربا العصور الوسطى، د.سعيد عاشور، (١/ ٥٦،٥٧)، وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت،(١١/ ٣٩٠، ٣٩٣).

أوضاع الأريوسيين، فاستدعى أريوس من منفاه عام ٣٢٧ م، واسترضى أهالي الأجزاء الشرقية من إمبراطوريته، وبلغ اهتمامه بهذا الجزء حتى وصل إلى نقل عاصمة الإمبراطورية إلى القسطنطينية عام ٣٣٠م، وعقد مجمعا مسكونيا جديدا في "صور" عام ٣٣٤م ألغى قرارات مجمع نيقيه السابق، وقرر العفو عن أريوس وأتباعه، وبذلك دارت الدوائر على أثناسيوس الذي عزل في العام التالي ونفي حتى وفاة الإمبراطور.

وكان قسطنطين قد قسم الإمبراطورية قبل وفاته بين أبنائه الثلاثة -قسطنطيوس وقسطنطين الثاني و قسطانز-، فتولى كل واحد منهم حكم جزء منها وعمل على توطيد نفوذه في بلاده عن طريق المذهب العقدي السائد فيها، وكان قسطنطيوس قد حكم الشرق فنصر العقيدة الأريوسية، وأما أخواه فنصرا العقيدة الاثناسيوسية، مما جعل الخلاف المذهبي يتطور إلى انقسام الكنيسة بين الشرق اليوناني والغرب اللاتيني، وعندما توفي قسطنطين الثاني -الذي حكم الغرب- أصبحت مهمة الذود عن العقيدة الأثناسيوسية تقع على عاتق البابوية ورجال الدين في الغرب، فصار عليهم، أن يتكاتفوا لا سيما بعد مقتل "قسطانز"- الذي تولى حكم أليريا والجزء الأوسط من شمال أفريقية- وتوحيد الإمبراطورية الرومانية تحت حكم قسطنطيوس (٣٥١م-٣٦١م)، وذلك لأن الإمبراطور قسطنطيوس عرف بولائه للمذهب الأريوسي ولاء دفعه إلى العمل إلى فرض هذا المذهب على أجزاء الإمبراطورية الغربية بعد وفاة أخيه قسطانز، مما جعل كفة العقيدة الأريوسية ترجح في الإمبراطورية الرومانية حتى وفاته سنة (٣٦١م)، على أن هذا الرجحان كان مؤقتا، إذ لم يلبث الإمبراطور ثيودسيوس ٣٧٩م - ٣٩٥م الذي خلف قسطنطيوس ونجح في توحيد العالم الروماني تحت حكمه عام ٣٩٤م، أن أعلن نهائيا عدم شرعية المذهب الأريوسي في الجمع المسكوني الثالث وهو مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م كما فرض عقوبات مشددة على أتباع المذهب الأريوسي في جميع أنحاء الإمبراطورية[١].

---

(١) انظر الدولة البيزنطية، د.السيد العريني، (٣٤). وانظر قصة الحضارة، (١١/ ٤٠٢).

وعن الأثر الذي تركه الخلاف بين أبناء قسطنطين في الوقع النفسي والاجتماعي عند النصارى، كتب الدكتور السيد العريني ملخصا فقال:

"ويعتبر النزاع المذهبي مسئولا أيضا عن ازدياد الخلاف بين أبناء قسطنطين، فضلا عن تأكيده الفرقة والانشقاق بين شطري الإمبراطورية. إذ اختص ابنه قنسطنطيوس بحكم الجزء الشرقي، ودافع عن الأريوسية، بينما تولى قسطانز حكم الجزء الغربي، وأخذ بمذهب مجمع نيقيه المسكوني، وفي خريف سنة ٣٤٣م انعقد مجمع ديني في (Sardica) – ساردكيا- على حدود شطري الإمبراطورية غير أنه لم يستطع التوفيق بين وجهتي النظر المختلفتين. على أن الإمبراطور قسطانز بلغ من القوة أنه أرغم أخاه قنسطنطيوس، على أن يفرج عن الأساقفة الأرثوذكس، الذين أمر بنفيهم، وطلب إليه أن يعيدهم إلى كراسيهم.

وهذه الحركة شطرت الأريوسية شطرين:

فريق أثبت نوعا من التشابه بين الأب والابن فقال: إن الأب والابن من مادة متماثلة وإن لم تكن نفس المادة.

أما الفريق الآخر وهو يمثل الأريوسية الخالصة، فأنكر كل نوع من أنواع التشبيه والمماثلة.

غير أن الوضع لم يلبث أن تغير بعد أن لقي قسطانز مصرعه سنة ٣٥٠ م، أثناء القتال الذي جرى بينه وبين المغتصب ماجنيتيوس، ثم انفرد قنسطنطيوس بالحكم بعد أن أنزل الهزيمة الساحقة سنة ٣٥١م بالمغتصب ماجنيتيوس.

وما أحرزه إمبراطور الشرق من النصر، كفل السيادة للشطر الشرقي من الإمبراطورية، باعتباره من أشد الناس تعلقا بالأريوسية، دفعه للقيام بحملة شعواء على الوثنية فأمر بإغلاق المعابد الوثنية، ومنع الناس من التردد إليها، وحرم تقديم القرابين في سائر أنحاء الإمبراطورية، وهدد المخالفين بمصادرة أملاكهم، والحكم بإعدامهم. ولما

قام قنسطنطيوس بزيارة روما، أمر بإزالة تمثال إله النصر من قاعة مجلس السناتو الروماني فقضى بذلك على آخر مظهر يمثل وثنية العالم القديم. وترتب على ذلك أن إرادة الإمبراطور أضحى لها السيادة في الكنيسة والدولة، على أن ما اتبعه قنسطنطيوس من سياسة أريوسية أدت إلى احتكاكه بأنصار مذهب مجمع نيقيه، لا سيما أثناسيوس، أسقف الإسكندرية، ومع ذلك فإن مجمعي سرميوم وريميني اللذين انعقدا سنة ٣٥٩م، اعترفا بالأريوسية ديانة رسمية للدولة. غير أنه حدث انشقاق بين صفوف الأريوسيين، إذ أخذ القائلون بنوع التشبيه المذكور يقتربون من مذهب نيقيه، على حين أن المتمسكين بالأريوسية الخالصة صاروا تحت لواء الإمبراطور، وأضحت لهم الكلمة النافذة والسلطان المطلق، وفي هذه الأثناء أخذ القوط يتحولون إلى المسيحية، ويعتبر هذا الحدث أكبر انتصار أحرزه الأريوسيون حتى ذلك الحين، ذلك أن أولفيلا الذي ترجم الإنجيل إلى اللغة القوطية، رسمه أسقفا سنة ٣٤١م يوسيبيوس الأريوسي، أسقف نقيوميديا. وتلا ذلك أن اعتنق المسيحية على المذهب الأريوسي قبائل جرمانية عديدة، وظلت محافظة على هذا المذهب زمنا طويلا، على الرغم من تداعي الإمبراطورية الرومانية وانهيارها[(١)]".

الحرب الداخلية المقدسة بين أصحاب العقيدة الأريوسية والعقيدة الأثناسيوسية:

بعد موت قسطنطين استطاع ابنه قسطنطيوس توحيد الإمبراطورية كما سبق، واعتنى بشئون الدين عناية أكثر جدية من عناية أبيه، فشرع يبحث بنفسه عقيدة ألوهية المسيح، وخرج من هذا البحث باعتناق مذهب أريوس، وشعر بأن واجبه الديني يحتم عليه أن يعرض هذه الآراء على جميع العالم المسيحي. وطرد أثناسيوس من كرسي الإسكندرية مرة أخرى عام ٣٣٩ م، وكان قد عاد إليه بعد موت قسطنطين. ودعيت مجالس الكنائس لعقد مجمع تحت إشراف الإمبراطور الجديد، لتأييد عقيدة أريوس، وأخرجت الكهنة الذين تمسكوا بعقائد مجمع نقية من كنائسهم.

---

(١) الدولة البيزنطية، د.السيد العريني، (٣٢-٣٤). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٢/ ٢٠).

لم يستسلم أثناسيوس وعرض قضيته على البابا يوليوس الأول، فرده يوليوس إلى كرسيه، ولكن مجمعا من أساقفة الشرق عقد في أنطاكية عام ٣٤١م وأنكر على البابا حقه في هذا الحكم، ورشح جريجوري، وهو رجل من أتباع أريوس، أسقفا لكرسي الإسكندرية. لكن جريجوري لم يكد يصل إلى تلك المدينة حتى أثارت أحزابها المتنافسة فتنة صماء قتل فيها عدد كبير من الأهلين، واضطر أثناسيوس على إثرها إلى التخلي عن كرسيه حقنا للدماء. وثارت في القسطنطينية فتنة أخرى من نوعها، كان سببها أن قسطنطينيوس أمر أن يستبدل ببولس، مقدونيوس الرجل الوطني المتمسك بعقيدة أريوس، فهب جماعة من مؤيدي بولس يقاومون جند الإمبراطور، وقتل في الاضطرابات التي أعقبت هذه المقاومة ثلاثة آلاف شخص، وكان عدد الذين قتلوا من المسيحيين على أيدي المسحيين في عامي ٣٤٢م و٣٤٣م يزيد على عدد الذين قتلوا بسبب اضطهاد الوثنيين للمسيحيين في تاريخ روما كله[١].

ثم خلف قنسطنطيوس أخوه الإمبراطور يوليان ٣٦١ - ٣٦٣م الذي ارتد إلى الوثنية وأطلق عليه ألقاب الجاحد والمرتد، إذ كان عدوا لدودا للدين المسيحي وكان اعتناقه له نفاقا، فنصر الوثنية في الإمبراطورية وأقام معابدها، ثم لم يلبث إلا وقتل نتيجة سهم أصابه في حربه مع الفرس[٢].

ثم خلف يوليان الإمبراطور يوفيان ٣٦٣،٣٦٤م الذي واصل خوض الحروب، ثم خلفه أخواه فالنتنيان ٣٦٤ - ٣٧٥، وفالنز ٣٦٤، ٣٧٨، فاقتسما حكم الإمبراطورية، فصار الشطر الغربي للإمبراطورية من نصيب فالنتنيان، من أنصار مذهب مجمع نيقيه، على حين أن فالنز من المتعصبين للأريوسية وترتب على ذلك الاختلاف الديني اتساع

---

(١) انظر قصة الحضارة، ول ديورانت،(١٢/ ٢٠،٢١).

(٢) انظر أوروبا والمسيحية، دوبراتشينسكي، الألفية الأولى، ترجمة د.كبرو لحدو،(٧٧). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٢/ ٢٤).

الشقة بين شطري الإمبراطورية، ولكن بعد أن بعد قتل فالنز في أرض معركة أدرنة سنة ٣٧٨م التي كانت ضد شعب القوط الغربيين ومن انحاز لهم من القوط الشرقيين انهارت الأريوسية.

ذلك لأن الإمبراطور تيودوسيوس الذي خلفهما وتولى الحكم سنة ٣٧٩ م، أعلن عند دخوله القسطنطينية أنه ينكر الأريوسية، واتخذ مذهب نيقيه له دينا، ثم أعلن أيضا في قراره الذي أصدره سنة ٣٨٠م أنه لا يعتبر من المسيحيين الكاثوليك، إلا من آمن بالثالوث المقدس كالأب والابن والروح القدس، وفقا لما ورد في كتابات الرسل والأناجيل، ومن سوى هؤلاء فيعتبرون هراطقة موسومين بالعار والجنون، وقد اتخذت العقيدة المسيحية في زمنه صورتها النهائية، التي تتمثل في مذهب نيقيه، وأضحت الديانة الرسمية للدولة، ولم يعد للديانات والمذاهب الأخرى ما تستند إليه في وجودها وكيانها[(١)].

حروب الأباطرة النصارى المقدسة ضد الوثنية:

كانت الوثنية قد تعرضت للقمع في حكم قسطنطين وأبنائه الثلاثة، وشنت عليها موجة عنيفة من الاضطهاد، فصادروا أراضي وممتلكات المعابد ومنعوا تقديم القرابين لآلهة الوثنيين وأغلقوها، حتى جاء الإمبراطور المرتد عن النصرانية جوليان ٢٦١ م – ٣٦٣م وأعاد الوثنية كديانة معترف بها في الإمبراطورية، وكانت هذه الصحوة التي مرت بها الوثنية صحوة الموت، إذ لم يلبث المسيحيون أن استردوا في عهد جوفيان الذي حكم مدة لا تتجاوز سبعة أشهر مكانتهم وامتيازاتهم التي حرمهم منها جوليان، ثم جاء الإمبراطور جراشيان ٣٧٥ – ٣٨٣م فتخلى عن لقب الكاهن الأعظم الذي تمسك به جميع الأباطرة السابقين، بل إن هذا الإمبراطور سرعان ما استأنف عام ٣٨٢م سياسة مصادرة ممتلكات المعابد الوثنية، حتى جاء عهد الإمبراطور ثيودسيوس الأول الذي شن حربا دموية عنيفة ضد الوثنية استمرت ثلاثين عاما أقفل فيها معابد الوثنين وأعدم كتبهم

---

(١) الدولة البيزنطية، د.السيد العريني،(٤١). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٢/ ٣٠).

ومنعهم من مباشرة طقوسهم الدينية داخل منازلهم، واستمرت الحرب عليهم في عهد الإمبراطور أركاديوس ٣٩٥ - ٤٠٨م الذي أصدر مرسوما بتحطيم معابد الوثنية لا إغلاقها فحسب واستغلال أحجارها وموادها في إقامة منشآت عامة، حتى اضطر الوثنيون إلى الفرار والالتجاء إلى مناطق نائية في إيطاليا وغاليا، وهكذا ظل الحال حتى القرن السادس الميلادي عندما أقام القديس "بندكت" ديره المشهور عام (٥٢٩م) على أنقاض آخر ما تبقى من معابد أبولو في مونت كاسينو[١].

سيطرة الكنسية على الإمبراطورية الرومانية:

أدى انتصار الدين النصراني إلى قيام تنظيم جديد للعلاقة بين الكنيسة من جهة والدولة من جهة أخرى، ذلك أن الإمبراطورية الرومانية كان لها دين رسمي وكهنة يتمتعون بمساندة الحكومة وتأيدها، وتدخلت الكنيسة في السلطة الزمنية واستطاعت أن تكسب شيئا فشيئا سلطة جديدة منافسة للسلطة العلمانية، مما أوجد نفورا بين السلطتين الزمنية والروحية، وكلما ازدادت الإمبراطورية الرومانية ضعفا ازدادت الكنيسة قوة وتمكنا، حتى آل الأمر إلى اضمحلال الإمبراطورية وحلت الكنيسة مكانها عندما غربت شمس الإمبراطورية في غرب أوربا، ومما ساعد الكنيسة على تحقيق ذلك أنها حذت حذو الإمبراطورية الرومانية في تنظيماتها حتى أصبح الأساقفة يضطلعون بعبء التنظيم الإداري في أقاليم الإمبراطورية فضلا عن نهوضهم بمهام التنظيم الكنسي[٢].

* * *

(١) انظر أوربا العصور الوسطى، سعيد عاشور، (٦٠). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٢/ ٥٤).

(٢) انظر الدولة البيزنطية، د. السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، ١٩٨٢، ٣٢-٣٣. وانظر أوربا العصور الوسطى، سعيد عاشور،٦٢. وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٢/ ١١٩).

المطلب الثالث

أثر عقيدة الحرب والسلام حتى نهاية العصور الوسطى[1]

تمهيد:

إن الحديث عن الواقع النفسي والاجتماعي للحرب والسلام عند النصارى في العصور الوسطى الذي أرخ له علماء التاريخ بمدة تجاوزت الألف عام، لهو حديث يشمل كل يوم من أيام هذه العصور؛ ذلك لأنه تاريخ كتب بدماء القتلى وعلى جثث الأموات، فكل صفحة من تاريخ الألف العام هذه مليئة بالحروب والقتال، ومن تعمق في دراسة مجتمعات هذه العصور يجد أنها شملت ثلاثة مجتمعات كبيرة بحسب ظهورها التاريخي، هي المجتمع البيزنطي الذي ورث الجانب الشرقي من أملاك الإمبراطورية الرومانية، وتضمن هذا المجتمع شعوبا مختلفة، منها ما هو آسيوي أو إغريقي أو سلافي وغير ذلك من الشعوب التي كانت تتحرك في شمال أوروبا وغربي آسيا، وقد اتخذت هذه المجتمعات الدين النصراني على المذهب الأرثوذكسي -في مجملها- ومدينة القسطنطينية عاصمة له ليحكم الأراضي التابعة له[2].

والمجتمع الأوروبي الذي عاش على أراضي الجانب الغربي للإمبراطورية الرومانية، وشمل هذا المجتمع العناصر الرومانية، هذا بالإضافة إلى العناصر التي وفدت إليه على شكل هجرات أو غزوات وهو ما يعرف عند المؤرخين باسم الغزوات الجرمانية. وقد حملت هذه العناصر معها حضارتها التي اختلطت بالحضارة الرومانية وظهر مجتمع جديد كان في بداية الأمر يعتنق غالبيته الدين النصراني على المذهب الأريوسي، ثم ما لبث أن تخلص من الأريوسية واتخذ المذهب الكاثوليكي، وقد ظلت مدينة روما مركزا وعاصمة

---

(١) وضع مصطلح العصور الوسطى مؤرخو الغرب، وكأن تاريخ العصور هو تاريخ الغرب الأوربي فقط، ومع ذلك فسوف أتعامل معه هنا كمصطلح دون التسليم بما يتضمن من مدلولات.

(٢) الملاحظ هنا أن أملاك الإمبراطورية البيزنطية قد تقلصت مع الزمان ولكن عاصمتها وهي القسطنطينية ظلت باقية طالما بقيت الإمبراطورية البيزنطية.

لهذا المجتمع في مطلع العصور الوسطى من الناحيتين السياسية والروحية، ثم تلاشى هذا المركز في مراحل لاحقة واقتصر على السيادة الروحية فقط لتواجد المركز البابوي بها.

والمجتمع الإسلامي الذي بدأ من شبه جزيرة العرب ثم ما لبث أن ورث واحتوى أملاك الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وأضاف إليها أيضا ميراث أملاك الإمبراطورية الفارسية، وقد دخلت أفواج عظيمة من أمم الإمبراطوريتين في دين الإسلام الخالد(١).

النصرانية في القرن الخامس:

بدأت النصرانية في بسط نفوذها في القرن الخامس على سائر أمم الإمبراطورية الرومانية في شرقها وغربها، وكان على النصرانية التي دب التحريف فيها مبكرا أن تحمل المجتمعات التي دانت بهذا الدين فأصبحت مجتمعات جديدة إلى حياة تأنس بالإيمان، ومستقبل يطمح للحياة الخالدة الطاهرة التي وعدهم إياها المسيح، وقد شهدت الكنيسة كل شيء ينهار حولها ويتحطم حتى البناء الإمبراطوري الذي ساعدها وحاولت أن تجد فيه ملاذا. ولكنها عاشت بعد الانهيار مدعية أن مهمتها إنقاذ النفوس. وكانت تطمح أن تقود كل البشرية إلى طريقها، وذهبت إلى أقصى حدود الإمبراطورية حيث شعوب البرابرة للتبشير بالدين النصراني(٢).

ولكن الخلافات العقدية الكامنة منذ النشأة، و التي ظهرت في النصرانية بعد نصرة

---

(١) انظر معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. محمود عمران،١٣-١٤.

وخلاصة القول إن عالم العصور الوسطى بدأ في القرن الرابع وانتهى في القرن الخامس عشر الميلادي، وأن هذا العصر لم يسر على وتيرة واحدة بل يمكن تقسيمه إلى فترات ثلاث لكل منها ما يميزها. وأن فترة العصور الوسطى أسهمت في التطور الحضاري الذي نقلنا من التاريخ القديم إلى التاريخ الحديث. انظر معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. محمود عمران،٢٤-٢٦.

(٢) انظر معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. محمود عمران، ٥٤-٥٥. وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٢/ ٧٤). وانظر تاريخ الحضارات العام، موريس كروزيه، (٣/ ١٨).

الأباطرة لها، دخلت مرحلة جديدة ظهر فيها التنافس واضحا بين البطريركيات أو الكنائس الرئيسية في العالم النصراني على من تكون لها الزعامة والصدارة، ولعبت كنيسة روما في ذلك دور هاما كالمركز الرئيسي في هذا العالم العقدي الجديد، فعمل ممثل البابا ليو الأول ٤٤٠ – ٤٦١م جاهدا ليعطي كنيسة روما من التفوق مالم تتمع به من قبل. وكان للتنافس بين الكنائس النصرانية أثره على الخلافات الدينية الأخرى)[(١)].

تمشرق الإمبراطورية في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس:

وفي أواخر القرن الخامس ظهرت الإمبراطورية في شكل ملكية شرقية. هذا وقد أصبحت الإمبراطورية الشرقية بعد سقوط نظيرتها في الغرب سنة ٤٧٦م الإمبراطورية الوحيدة في أوروبا.

وبالرغم من أن البرابرة قد اقتطعوا لأنفسهم ممالك في الغرب في غالة وأسبانيا وأفريقيا وإيطاليا، إلا أنهم اعترفوا بنوع من التبعية الاسمية للإمبراطورية، وكان واقع الأمر أن أصبحت الإمبراطورية بحكم أراضيها التابعة لها فعليا إمبراطورية شرقية شملت شبه جزيرة البلقان ماعدا الأجزاء الشمالية الغربية وشبه جزيرة الأناضول حتى أرمينية، والشام حتى الفرات كما شملت مصر وبرقة[(٢)].

وما نريد أن نعالجه في هذا المطلب أمران:

١- واقع الحرب والسلام في المجتمع النصراني في الجانب الغربي من الإمبراطورية الرومانية، حتى نهاية العصور الوسطى.

٢- واقع الحرب والسلام في المجتمع النصراني في الجانب الشرقي من الإمبراطورية

(١) انظر تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر توفيق، ٧٢، دار المعرفة الجامعية، ط. ١٩٩٤م. وانظر الدولة البيزنطية، د. السيد العريني، (٤٩)، وانظر تاريخ الحضارات العام، (٣/ ٥١). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٢/ ١٢٥).

(٢) انظر المرجع السابق.

الرومانية، في نفس الحقبة الزمنية.

أثر عقيدة الحرب والسلام في واقع المجتمعات النصرانية في الجانب الغربي من الإمبراطورية الرومانية، حتى نهاية العصور الوسطى:

الإمبراطورية الرومانية الغربية ومرحلة الغزو الأولى للبرابرة[1]:

---

(١) عندما أطلقت روما على نفسها سيدة العالم، كانت تعلم أن هذا اللقب ينطوي على مبالغة وأن حدودها ليست حدود العالم. وقد علمتها التجارب أنها لا تسيطر على أي حدود تهددها القبائل القاطنة في أقصى الشمال الأوروبي أو في الجنوب أو في الشرق.

ففي الشمال كان يوجد ثلاثة شعوب كبيرة، هي الجرمان والسلاف والأمم الآسيوية، وفي الشرق كان الفرس الذين كثيرا ما اشتبكوا في حروب مع الرومان واستمرت الحرب كثيرا من أجل بعض المدن الحدودية دون أن تكون لها نية الغزو. وفي الجنوب تواجد العرب الذين لم يكونوا قد أصبحوا مصدر خوف أو إزعاج حتى هذه المرحلة. وكانوا يتجولون في شبه الجزيرة العربية الواسعة. وفي الصحاري الأفريقية الشمالية كانت قبائل البربر الذين كانوا من الكثرة بحيث أثاروا خوف الضباط الرومان. إلا أن كثرتهم هذه لم تجعلهم يفكرون في غزو الإمبراطورية.

وفيما يتعلق بالجرمان فقد ظهر خطرهم منذ عهد الإمبراطور فالنز بعد هزيمته ومصرعه في معركة أدرنة عام ٣٧٨م. وعند وفاة خليفته الإمبراطور ثيودوسيوس عام ٣٩٥م ظهر خطرهم بشكل واضح بعدما تجمعوا على حدود الإمبراطورية الشمالية مدفوعين بالعناصر السلافية من ورائهم، وهؤلاء السلاف مدفوعين بدورهم بالقبائل الآسيوية من ضفاف نهر الفولجا. كما وصلت قبائل السويفي والآلمان إلى نهر المين، وتقدم إلى نهر الدانوب قبائل الماركوني والهيرول والقوط. وفي الغرب على طول نهر الراين الأسفل استقرت قبائل الفرنجة، أما في الشمال قبائل الوندال والبرجنديون واللمبارديون بين نهري الألب والأودر. وخلف كل هؤلاء كانت عناصر الأنجلوسكسون والجوت، أما الدانماركيون والاسكندنافيون الذين سكنوا السويد والدانمارك فلم تظهر أخطارهم إلا في القرن التاسع الميلادي.

وكان خلف هؤلاء الجرمان شعبان بربريان آخران يقومان بدفع الجرمان إلى الجنوب وهما السلاف والهون. وكان السلاف متشتتين بالقرب من نهر الدانوب والبحر الأسود وعند منبع نهر الفولجا وعلى طول بحر البلطيق حتى الألب ويحتمل امتزاجهم ببعض القبائل الجرمانية، ولم يظهروا في أماكن أخرى إلا فترات =

كان أبرز معلم ظهر على ساحة أحداث العصور الوسطى منذ بدايتها هو اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وظهور الدين النصراني في سائر أقطارها، وقد كان لنقل العاصمة من الغرب إلى الشرق أثر كبير في إضعاف الجانب الغربي للإمبراطورية، الذي تعرض لهجمات الأمم البربرية الذين تدفقوا بجماعات كبيرة، واستوطنوا داخل أراضيها[1].

=

لاحقة. وقد انقسم السلاف إلى ثلاثة فروع هم سلاف الجنوب سكان دالماشيا الجديد وهم أهل البوسنة والصرب والكروات. وسلاف الغرب بين نهر الدانوب والبحر الادرياتيكي ومنهم البولنديون والتشيك والمورافيون، أما سلاف الشمال فقد استقروا بين نهري الألب والفستولا والبلطيق وجبال الكروات. ويعرف الشماليون باسم المستقرون وقد انضم إليهم الفنلنديون وكانوا أمة روسيا البدائية.

أما الهون (هيونج – نو) الذين ينتمون إلى العنصر الفنلندي التتري فقد كانوا مصدر خوف وفزع لكل الشعوب الغربية سواء الجرمانية أو الرومانية. وكانت حياتهم رحلات متنقلة يقضونها في مركبات ضخمة أو على ظهور الجياد، وكانت عيونهم الضيقة وأنوفهم العريضة المفلطحة وآذانهم الكبيرة وبشرتهم البنية وعليها الوشم، تشكل خصائص في الطباع، وهي غريبة المظهر لأهل أوروبا، وقد أطلق عليهم المؤرخ البيزنطي أميانوس مارسيلينوس (ت بعد ٣٩١ م) بأنهم الوحوش ذات الساقين، وقارن بينهم وبين الأشكال التي ترسم على الكباري والجسور. وتحدث عنهم آخرون بأنهم أبناء الأرواح الجهنمية والساحرات المشعوذات في مراعي الاستبس المترامية الأطراف في الشمال والشرق، وهي منطقة مجهولة مثيرة للرعب تصلح أن تكون مأوى لمثل هذه الكائنات.

ومن هذه العناصر التترية جاءت عناصر أخرى إلى أوروبا فقد جاء الأفار في القرن السادس الميلادي، والبلغار والخزر في القرن السابع والمجريون في التاسع والمغول في القرن الثالث عشر والأتراك في القرن الرابع عشر. وكانت تحركات الأتراك خاتمة هذه الغزوات. معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. محمود عمران، ٥٦-٥٩-٦٠. و انظر أوروبا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور، (١/ ٧٨). وانظر تاريخ الحضارات العام، موريس كروزيه، (٣/ ١٨). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٢/ ٧٤).

(١) انظر أوروبا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور، (١/ ٧٩). وانظر معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. محمود عمران، (٦٤).

١ -الغزو القوطي الجرماني:

كانت أكثر المجموعات البربرية تأثيرا بشكل كبير وفعال ومباشر في تطور تاريخ غرب أوروبا هي مجموعة الشعوب الجرمانية، وكان دخولهم إلى الإمبراطورية على مرحلتين رئيسيتين:

المرحلة الأولى:

استمرت حتى عام ٣٧٥م، وكان ذلك نتيجة تحركات عناصر سلافية وغيرها أجبرت الجرمان على التحرك داخل الأراضي الرومانية، ونجح الرومان في التغلب على الهجوم الجرماني الأول.

ويمكن اعتبار نزول القوط في داكيا أساسا حدد قيام أول مملكة جرمانية داخل حدود الإمبراطورية وإن كان على مستوى محدود، وكان دخولهم كمزارعين للأرض وكجند ومرتزقة يخدمون تحت راية الإمبراطورية بل وكقواد ووزراء لهؤلاء الأباطرة الرومان، ومن خلال هذا الاختلاط والتزاوج والتفاعل الاجتماعي بينهم وبين الرومان والجرمان، بدأ تأثرهم بالدين النصراني حتى اعتنقه معظم أمم القوط.

المرحلة الثانية:

وقد امتدت من عام ٣٧٦م حتى عام ٥٨٦م، فقد بدأ القوط في عام ٣٧٦م ينفذون إلى داخل الإمبراطورية بأعداد كبيرة، وفي سنة ٥٦٨م دخل اللمبارديون إيطاليا. وفي المرحلة التي استمرت حوالي قرنين من الزمان تجددت الهجمات الجرمانية واتخذت طابعا جديدا يتمثل في ضخامة هجماتها التي كانت تهدف من ورائها إلى الاستقرار داخل أرضي الإمبراطورية.

وقد أثارت هذه الحروب الرعب والخوف في المجتمعات الأوروبية حتى وصف المؤرخ جيروم ٣٤٢ -٤٢٠م - الذي يعده النصارى من القديسين - الرعب والفزع

الذي أصاب المجتمع في تلك الفترة فقال: "كان المسيحيون يجري قتلهم في الكنائس، كما أصبحت الأرامل والعذارى ممن وهبن أنفسهن للسيد المسيح في جملة الغنائم التي سلبتها الوحوش المفترسة. لقد أسروا الأساقفة وقتلوهم وهدموا المذابح وعم الشقاء في كافة البلاد التي مر فيها البرابرة حيوانات مجردة من كل عاطفة، ولا تعرف سوى الفجور والسلب والنهب[1]".

٢ -**الغزو البرجندي الجرماني:**

البرجنديون من الجرمان الشرقيين الذين نفذوا إلى إقليم سيليزيا قرابة عام ١٥٠م، ثم دخلوا وادي المين بعد ذلك بقرن من الزمان، وقد اعتنقوا المسيحية على المذهب الأريوسي في بداية عهدهم بالمسيحية مما سبب الكثير من المعاناة للكنيسة الأثناسيوسية في أوروبا، كما أنهم كانوا مسالمين بطبيعتهم، ولكنه تحت ضغط هجمات الهون اضطروا لاستخدام العنف في شق طريقهم، حتى سمح لهم القائد الروماني إيتيوس بالإقامة في الجزء الشرقي من فرنسا في عهد زعيمهم جندئكار ٤١٣م.

وكانت علاقة البرجنديين بالإمبراطورية الشرقية طيبة، وتميزت بولاء الملوك البرجنديين للأباطرة الشرقيين الذين أضفوا عليهم ألقاب التشريف، بخلاف علاقتهم بالفرنجة فلم تكن علاقة سلمية خاصة في عهد كلوفس الذي دامت حروبه معهم أكثر من عشرة سنوات رغم أن زوجة كلوفس كانت برجندية.

ولم تستمر مملكة البرجنديين طويلا فقد انتهى أجلها في الربع الأول من القرن السادس الميلادي لأنها لم تكن مملكة قوية ولم تستطع الصمود أمام أحداث العصر وأخطاره[2].

---

(١) انظر معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. محمود عمران، ٦٧. وانظر أوروبا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور، ١/ ٨٦. وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٢/ ١٩٢).

(٢) معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. محمود عمران، ٧٦، بتصرف. انظر أوروبا العصور الوسطى،

٣ -**الغزو الوندالي الجرماني:**

الوندال من الشعوب الجرمانية الشرقية شأنها في ذلك شأن البرجنديين، وقد غادروا ساحل بحر البلطيق في وقت سابق لتحرك القوط، وحدث في عام ٤٠٦م أن تغيرت الأوضاع حين اضطرت الإمبراطورية لسحب قواتها من حدود نهر الراين لتواجه خطر القوط الغربيين، وكان في ذلك فرصة للوندال الاسدنجيين والآلان الذين عبروا الراين، وازدادوا عددا بفضل ما انضم إليهم من السويفي والوندال السيلينجيين في أواخر العام نفسه ٤٠٦م. وعاثت جموعهم المتناثرة من الفرسان في الجانب الأكبر من فرنسا فسادا وتدميرا طول السنتين التاليتين دون أن تواجه أية مقاومة منظمة، باستثناء مدينة تولوز التي قاومت هجماتهم بفضل أسقف المدينة الذي استبسل في الدفاع عنها. ولكن التخريب ما لبث أن توقف عندما عبر الوندال وحلفاؤهم جبال البرانس ونزلوا بإسبانيا حيث عاثوا في الأرض فسادا لمدة سنتين أيضا. ولم يتوقف هذا الفساد إلا عندما تدخلت روما وعقدت في عام ٤١٠م تسوية مؤقتة نزل بموجبها الوندال الاسدنجيون والسويفي في جاليسيا، والوندال السيلينجيون في اندلوسيا، على حين استقر الآلان في البرتغال وشمال شرق إسبانيا. ورغم ذلك فإن روما لم تنس سياستها القديمة (فرق تسد) وعهدت إلى واليا ملك القوط عام ٤١٦م بمهاجمة الوندال في إسبانيا، وكانت تهدف من وراء ذلك أن يهلك الطرفان. وقد نجح واليا في مهمته نجاحا باهرا وسحق الوندال السيلينجيين. ولما أحست روما بأن القوط الغربيين أصبحوا قوة أكثر مما ينبغي استدعتهم من إسبانيا ومنحتهم الأراضي في اكويتين. وفي الوقت نفسه لجأت روما إلى السويفي لضرب الوندال والآلان، ونجحت عناصر السويفي في مهمتها ودفعوا بالوندال والآلان إلى جنوب إسبانيا حيث أعادوا جمع شملهم مرة أخرى وصدوا جنود الرومان، كما نجحوا أيضا في إسقاط المدن الساحلية الحصينة بفضل ضرباتهم القوية التي انهالت على المدن من البر والبحر حتى سقطت أشبيلية وقرطاجنة ونهبوها[1].

= د. سعيد عاشور، ١/ ٩٤. وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٢/ ١٩٥).

(١) انظر معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. محمود عمران، ٧٦-٧٨. انظر أوروبا العصور الوسطى، =

وفي عام ٤٢٨م أصبح جيسريك ٤٢٨ – ٤٧٧م ملكا على الوندال، ويعتبر من أعظم شخصيات عصره، فقد كان سياسيا بارعا فاق كل زعماء البرابرة عدا ثيودريك وكلوفكس وقد أدار دفة غزو أفريقية، فقد كان الساحل الأفريقي غير مستقر الأحوال حيث كانت الثورة قائمة بين سكانه البربر، يضاف إلى هذه الثورة ما أضافه المذهب الدوناتي المسيحي من انشقاق.

وقاد جيسريك في عام ٤٢٩م جيش الوندال الذي كان عدده حوالي ثمانين ألفا وعبر مضيق عمودي هرقل (جبل طارق) ونزلوا بالساحل الشمالي الأفريقي وتحالفوا مع قبائل البربر وهزموا القائد الروماني بونيفاس في معركة ضارية وحاصروه في مدينة هيبو الساحلية أربعة عشر شهرا، ورفض القديس أوغسطين الذي كان أسقفا لتلك المدينة أن يغادرها وألهب شجاعة سكانها بعظاته، وأنقذته وفاته في عام ٤٣٠م من أن يكون شاهد عيان لهزيمة جديدة تلحق بالقائد الروماني بونيفاس. وأخيرا سقطت مدينة هيبو واضطر الرومان إلى التخلي عن الساحل الإفريقي عام ٤٣١م، وبعد أربع سنوات ٤٣٥م اعترف الإمبراطور فالنتيان بموجب معاهدة بقيام مملكة الوندال. وكانت هذه هي الدولة الثالثة التي يؤسسها البرابرة ولم يقدر لها أن تعمر طويلا.

وبنى الوندال السفن وشيدوا قوة بحرية واستولوا على جزر كورسيكا وسردينيا وجزر البليار، وأخذوا يغيرون على سواحل تسكانيا وبحر أيجه، وبعبارة أخرى أخذ جيسريك يتحدى القسطنطينية كما فعل مع روما وأصبح سيد البحر المتوسط.

ونتيجة الغزو الوندالي للساحل الإفريقي فقدت الإمبراطورية الرومانية جزءا هاما من أراضيها كان يمدها بالغلال فضلا عن ضياع الجزية. والمهم أن دولة الوندال قد نمت وزادت قوتها خاصة بعد بناء القوة البحرية الوندالية.

ولكن الوندال عاشوا أغرابا في هذه المنطقة لاعتناقهم المذهب الأريوسي المخالف

= د. سعيد عاشور، ١/ ٩١. وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٢/ ١٩٩).

لمذهب أهل المنطقة الذين يدنيون بالمذهب الإثناسيوسي الذي دانت به روما والمذهب الدوناتي الذي دان به جانب من سكان الشمال الإفريقي.

وقد سنحت الفرصة للوندال لاجتياح روما اجتياحا كاسحا عام ٤٥٥م، بالرغم من محاولات البابا ليو الأول ٤٤٠ - ٤٦١م إنقاذ المدينة، وأبيحت روما للنهب لمدة أربعة عشر يوما بطريقة بربرية أصبح معها اسم الوندالية يطلق على كل تخريب يتم فيه التدمير لإشباع رغبة التدمير فقط.

وقد حكم جيسريك البحر المتوسط بعد ذلك عشرين عاما متحديا الإمبراطوريتين ومات في عام ٤٧٧م وماتت معه عظمة شعبه، لأن مملكة الوندال قد مزقتها الخلافات الدينية وثورات البربر وأخيرا سقطت على يدي القائد البيزنطي بلزاريوس في عهد الإمبراطور جستنيان الأول عام ٥٣٤م[1].

٤ -**الغزو الهوني الجرماني:**

كان من سياسة جيسريك ملك الوندال تحريض شعوب البرابرة للانقضاض من كل جانب على الإمبراطورية التي كان القائد الروماني إيتيوس يحاول أن يستعيد فيها بعض السلطة والنظام. وكان من الذين لبوا هذه الدعوة في هذه المرحلة قبائل الهون تدفعهم بعض العوامل الأخرى.

والهون من القبائل البربرية الذين فاقوا في الإرهاب وبث الرعب جميع العناصر التي تعاملت مع الإمبراطورية وأثارت الخوف والاضطراب في المناطق التي مرت بها. وأثناء تحركات الهون توقفوا في وسط أوروبا زهاء نصف قرن من الزمان واضعين تحت نيرهم القوط الشرقيين والجبيدي وقبائل الماركوماني وسلاف الجنوب.

وكان يحكمهم أتيلا ٤٣٣- ٤٥٣م وقد بدا في أعين شعبه إلها مقدسا لذا سمى نفسه

(١) معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. محمود عمران، ٧٨-٨٠ بتصرف يسير. انظر أوروبا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور، ١/ ٩٢. وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٢/ ٢٠٠).

سوط الإله مضيفا إلى ذلك أن الحشائش لا تنمو في الأرض التي تطؤها فرسه، ولعل ذلك يشير إلى كثرة الدمار والخراب الذي تحدثه تحركات قواته.

وقد بدأت تحركات الهون ضد الإمبراطورية عندما قام أتيلا بهجوم مضلل ضد الجانب الشرقي من الإمبراطورية ليجبر الإمبراطور ثيودسيوس الثاني على سحب قواته التي أرسلها لمحاربة جيسريك الوندالي الذي حرضه على مثل هذا العمل. وعبر أتيلا الدانوب بالقرب من مارجوس ودمر العديد من المدن ذكر البعض أنها سبعون مدينة، ولم يجبر الإمبراطور على سحب قواته من الجبهة الوندالية فحسب، بل على زيادة قيمة الجزية التي تدفعها الإمبراطورية للهون وأن تتخلى الإمبراطورية للهون عن الضفة اليمنى لنهر الدانوب.

وقاد أتيلا حملة عسكرية إلى بلاد الغال قدرها البعض بحوالي ستمائة ألف وعبر نهر الراين وسلب ونهب ثم عبر نهر الموزل والسين وسار إلى مدينة أورليانز، ولاذ الناس بالفرار أمامه في رعب وذعر لا يوصفان، لأن أتيلا لم يترك حيثما مر لبنة على أخرى أو حجرا على حجر، ولم ينج من مدن هذه المنطقة سوى مدينة تروي بفضل مساعي أسقفها القديس أنيانوس، الذي رفع الروح المعنوية للسكان.

وعندما كان أتيلا في أورليانز شوهدت سحابة ترابية في الأفق فظن الناس أن الله قد استجاب لدعواتهم وأنها مساعدة الله، والحقيقة أن الذي أتى هو القائد الروماني إيتيوس الجرماني الأصل ومعه القوات الرومانية وحلفاؤه من القوط الغربيين بقيادة ثيودريك والسكسون والبرجنديون والفرنجة.

تراجع أتيلا في البداية أملا في أن يختار ميدانا للقتال أكثر ملاءمة لفرسانه وتوقف بالقرب من شالون حيث دارت معركة عام ٤٥١م انتهت بهزيمة الهون، وكانت هذه الهزيمة هي التي أنقذت الغرب من سيطرة قبائل الهون. وكانت معركة رهيبة انتشر في أرضها جثث مائة وستين ألف رجل على تقدير بعض المؤرخين.

وفي العام التالي ٤٥٢م عوض أتيلا نفسه عن الهزيمة بغزو إيطاليا العليا فدمر وخرب

أكويليا التي التجأ سكانها إلى البرك المجاورة حيث أنشأ أبناؤهم مدينة البندقية، وتحولت بادوا إلى رماد وخضعت له بعض المدن مثل فيرونا وبافيا وميلانو.

وقد خاطر البابا ليو الأول بحياته في سبيل إنقاذ -الإيطاليين- وذهب إلى معسكر أتيلا مع مندوبي الإمبراطور وسلم إليه كل ما طلبه من الهدايا ووعد بدفع الجزية، وعندما سمع أتيلا باقتراب إيتيوس تراجع إلى بلاده، في الوقت الذي انتشر وباء الطاعون في جيشه فأفنى منه الكثير.

وبعد بضعة أشهر مات أتيلا في قرته الملكية بالقرب من الدانوب عام ٤٣٥م، وألقت الشعوب التي أخضعها النير عن نفسها، ودخل زعماء الهون في صراع دموي من أجل الحصول على التاج مما قلل من أعدادهم وتبددت وقوتهم[(١)].

٥ -نهاية الإمبراطورية الغربية:

بعد وفاة بتروتيوس عام ٤٥٥م تولى عرش الإمبراطورية في روما أفيتوس ٤٥٥ - ٤٥٦م بتدخل من القوط الغربيين ثم تدخلت عناصر السويفي وعنيت ماجوريان خلفا له ٤٥٧-٤٦١م، وأخذ البرابرة يتصرفون في الإمبراطورية الغربية كما يشاءون ولكنهم خجلوا من تولي منصب الإمبراطور.

وبدأ مارجويان النبيل الخلق وسط هذا الفساد الذي يحيط بالإمبراطورية داخليا وخارجيا، ورأى أن يبدأ بضرب الوندال في الساحل الإفريقي فجمع أسطولا لهذا الغرض ولكن هذه الاستعدادات لم تصل إلى نهايتها فدمرت، ولعل ذلك مرجعه إلى تواطؤ بعض قواده مع الوندال، فعاد ماجوريان من أسبانيا إلى إيطاليا كسير القلب ثم ما لبث أن اغتيل.

تولى بعد ماجوريان ثلاثة أباطرة هم سفريوس ٤٦١-٤٦٥م، وأنثيموس ٤٦٧-

(١) معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. محمود عمران، ٨١-٨٢. انظر أوروبا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور، ١/ ٩٣.

٤٧٢م، وأوليبريوس ٤٧٢م، ولكنهم كانوا أشباح أباطرة، ونلاحظ أن العرش الروماني في روما ظل خاليا لبعض الوقت في هذه المرحلة، كما حكم جليسريوس لمدة عام ٤٧٣م وجوليوس نبوس لمدة عام أيضا٤٧٤م، وأخيرا أعطى أورستس البانوني صولجان الحكم لولده رومولوس أوجستولوس وهو طفل لم يناهز السادسة من عمره وقد جمع في اسمه ما بين مؤسس روما ومؤسس الإمبراطورية[1].

وإذا ألقينا نظرة عامة على الإمبراطورية الرومانية الغربية في هذه المرحلة نلاحظ أنه قد تم ضياع الكثير من أجزائها، فقد تراجع الرومان من إنجلترا وتغلب الوندال على الساحل الإفريقي وسيطر القوط الغربيون على أجزاء من غرب أوربا كما استقر البرجنديون في جانب من غالة. أما الألمان فقد اتخذوا من الراين الأعلى مستقرا لهم، واتخذ الفرنجة من الراين الأدنى موطنا. وآذنت كل هذه التطورات بنهاية الإمبراطورية في الغرب. وقد تفاقمت مظاهر الانحلال تفاقما ملحوظا في هذه المرحلة وشمل الاضطراب كافة أرجاء الإمبراطورية الغربية.

وفي هذه الأثناء ظهر أودواكر أحد زعماء قبائل الهيرول الذي منحته الإمبراطورية مستقرات في الأراضي الإيطالية. ودخل أودواكر في عام ٤٧٦م العاصمة "رافنا" وعزل الإمبراطور رومولوس ونفاه خارج إيطاليا.

وبعزل إمبراطور الغرب أصبح إمبراطور الشرق الإمبراطور البيزنطي – زينو ٤٧٤ – ٤٩١م الإمبراطور الأوحد الممثل للسلطة الرومانية التقليدية. وقد اعترفت الجماعات الجرمانية التي نزلت في الغرب الأوروبي وأسست لنفسها دولا وممالك بسلطان الإمبراطور البيزنطي وإن كان سلطة اسمية. والمهم أن الغرب الأوروبي ظل منذ عام ٤٧٦م والكرسي الإمبراطوري شاغرا حتى عام ٨٠٠م عندما ٨٠٠م عندما نصب

---

(١) انظر أوروبا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور،١/ ٩٥. وانظر معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. محمود عمران، ٨٤.

شارلمان إمبراطورا على الغرب الأوروبي[1].

بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية استوطنت الأمم الجرمانية استيطانا تاما وأسست ممالك أهمها ممالك الفرنجة والقوط الشرقيين والإنجلوسكسون، وقد اعتنقت كل هذه الممالك النصرانية، وتقلبت بين المذهب الأريوسي، والإثناسيوسي.

الدولة الميروفنجية الفرنجية:

يمثل الفرنجة حلقة هامة في تاريخ الغزوات الجرمانية للغرب الأوربي حيث كان لدولتهم بقاء طويل، ويمكن تقسيم تاريخهم إلى قسمين:

أولا: الدولة الميروفنجية نسبة إلى مروفك الجد الأكبر للفرنجة وتمتد من ٤٣١ إلى عام ٧٥١م.

ثانيا: الدولة الكارولنجية، ويلمع من بين حكامها الإمبراطور شارلمان، ويمتد عصرها من عام ٧٥١ حتى ٩١١م.

ومن أبرز ملوك دولة الميروفنجية كلوفس ٤٨٢ -٥١١م الذي تروى له أسطورة شبيهة بقصة ظهور الصليب في السماء لقسطنطين، وكانت سببا لاعتنقه الدين النصراني، فقد روى المؤرخ جريجوري التوري في كتابه تاريخ الفرنجة أن حربا نشبت بين الفرنجة والآلمان ودارت معركة رهيبة بين الطرفين كادت تهزم فيها قوات كلوفس، عند ذلك تضرع بالسؤال للمسيح، فاستجاب له ونصره على أعدائه فاعتنق النصرانية على المذهب الإثناسيوسي.

وقد كون كلوفس هذا مع ملك آخر اسمه جندوباد الذي اعتنق الدين النصراني على

(١) معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. محمود عمران، ٨٤. وانظر أوروبا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور، ١/ ٩٦.

المذهب الإثناسيوسي أيضا حلفا لحرب ملك القوط الأريك الثاني ٤٨٥– ٥٠٧م الذي يدين بالنصرانية أيضا ولكن على المذهب الأريوسي، فاجتمع جيش كبير عام ٥٠٧م لحرب جيش الأريك الثاني، وفي مدينة فوييه التحم الجيشان وأنزلت الفرنجة هزيمة ساحقة بالقوط الغربيين وقتل كلوفس الأريك في المعركة، ولم يكن أمام القوط إلا الفرار.

علاقة كلوفس بالإمبراطورية الشرقية:

أجبر كلوفس إمبراطور الشرق البيزنطي أناستاس الأول ٤٩١ – ٥١٨م على الاعتراف به وأنابه عنه في الحكم ومنحه لقب قنصل، وبارك رجال الدين النصراني هذه الخطوة، ونقل مقر حكمه من مدينة تور إلى مدينة باريس[١].

دولة القوط الشرقيين:

بعدما تحررت كل الشعوب الرازحة تحت حكم الهون بعد وفاة ملكهم أتيلا، تحرر شعب القوط الشرقيين أيضا، و استطاع الملك ثيودريك ٤٩٣ – ٥٢٦م أن يؤسس مملكة عظمى، وارتبط ثودريك بالتحالف الأسري مع معظم الملوك البرابرة، فقد تزوج شقيقة كلوفس ملك الفرنجة، ومنح يد شقيقته لملك الوندال، وابنه أخيه لملك الثورنجين، وإحدى كريماته لملك القوط الغربيين، والأخرى لملك البرجنديين، وبدا ثيودريك كما لو كان زعيم البرابرة الذين استقروا في الإمبراطورية الغربية.

ومع أن ثيودريك كان أريوسي المذهب إلا أنه احترم حقوق الكاثوليك منذ البداية، وأكد الحصانة التي تمتعت بها كنائسهم وترك للشعب ورجال الدين حرية انتخاب أسقفهم.

علاقة ثيودريك بالإمبراطورية الشرقية:

احترم ثيودريك الحضارة الرومانية وطلب من الإمبراطور الشرقي أناستاس ٤٩١–

(١) انظر أوروبا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور، (١/ ١٠٠). انظر معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د.محمود عمران، (٨٨). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٢/ ١٨٦).

٥١٨م شارة التشريف الإمبراطورية التي ردها أودواكر سلفه بازدراء إلى القسطنطينية، إلا إنه عندما قام الإمبراطور جستين الأول ٥١٨- ٥٢٧م بتعذيب الأريوسيين في الإمبراطورية الشرقية هدد بالانتقام(١).

الممالك الإنجلوسكسونية:

في الوقت الذي شهدت فيه غالة حكم كلوفس وإيطاليا حكم ثيودريك تعرضت بريطانيا للغزو من شعبين من البرابرة هما شعب الإنجلز والسكسون، واستمرت هذه الغزوات قرنا كاملا، وأسفرت عن ما يسميه المؤرخون الحكومة الإنجلوسكسونية ٤٥٥- ٥٨٤م، وهي سبع ممالك بربرية صغيرة اتحدت وكونت مملكة واحدة.

ومن أبرز الشخصيات الجرمانية في تاريخ إنجلترا الملك أثلبرت ملك كنت ٥٠٦ - ٦٠٦م وزوجته برتا. وترجع عظمة هذا الملك أنه عمل على توحيد البلاد. وا تخذ في سبيل ذلك طريق القوة حينا وطريق التفاوض حينا آخر، وكانت أهم خطوة اتخذها هو تكوين أمة تدين بالنصرانية من خلال توحيده للممالك الإنجليزية المختلفة(٢).

ويتضح مما سبق التأثير القوي لغزو الشعوب الجرمانية للجانب الغربي للإمبراطورية الرومانية، الذي أدى إلى تغيير معالم أوروبا سياسيا وحضاريا، فقد قضي على الإمبراطورية في الغرب وقامت دويلات وإمارات على أنقاضها يتولى أمرها عناصر غير رومانية وهي العناصر الجرمانية.

دور البابا جريجوري في الغزو اللمباردي الأريوسي لإيطاليا:

وقد عاصر تدفق الغزو اللمباردي تولى البابا جريجوري ٥٩٠ - ٦٠٤م منصب

(١) انظر معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د.محمود عمران، (٩٨). انظر أوروبا العصور الوسطى، د.سعيد عاشور، (١/ ١٠٣). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٢/ ١٩٧).

(٢) انظر معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د.محمود عمران، (١٠٣).وانظر أوروبا العصور الوسطى، د.سعيد عاشور، (١/ ١٠٧).

البابوية في روما، وما إن أصبح هذا البابا على رأس الكنيسة حتى كرس قوته لتدعيم البابوية ونشر المسيحية، ولم يبتعد أيضا عن الشؤون الدنيوية. فقد كانت الإمبراطورية الشرقية لا تعمل كثيرا لحماية إيطاليا لدرجة أن الجنود المكلفين بالدفاع عن روما ضد اللمبارديين لم يتقاضوا رواتبهم. فتدخل البابا ودفع لهم رواتبهم واشترك بنفسه في الدفاع عن روما وسلح رجال الدين للدفاع ضد الغزاة[1].

إحياء الإمبراطورية الرومانية عام ٨٠٠م على يدي شارلمان:

عندما توج البابا ستيفن الثالث بيبن ملكا على الفرنجة عام ٧٥٤م توج ولديه شارلمان وكارلمان كولبين للعهد، وعند وفاة بيبن عام ٧٦٨م قسمت الدولة بين ولديه، ولكن كارلمان مات بعد ثلاث أعوام، فأصبح شارلمان ملكا وحيدا على الدولة الكارولنجية بعدما ضم أملاك أخيه، وظلت كذلك حتى وفاة شارلمان عام ٨١٤م.

حرب شارلمان المقدسة ضد الأريوسية:

وقد أخذت حروب شارلمان الطابع الديني، فقد حارب آخر معاقل اللمبارديين في مدينة بافيا، التي سقطت الدولة اللمباردية بسقوطها إلى الأبد، وقضى على دولة أريوسية المذهب، وفي ذلك نصر للبابوية التي جددت تحالفها معه.

شارلمان يحارب السكسون بسبب الدين:

وفي عام ٧٧٩ نجح شالمارن في هزيمة الزعيم السكسوني فيديكند الذي اعتدى على رجال الدين المبشرين الذين أرسلهم شارلمان لنشر النصرانية بين الشعوب الوثنية[2].

شارلمان يحارب الآفار بسبب إساءتهم معاملة النصارى:

(١) معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د.محمود عمران، (١٦٠).

(٢) معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د.محمود عمران، (١٧٠).بتصرف. وانظر أوروبا العصور الوسطى، د.سعيد عاشور، (١/ ١٩٦).

أرسل شارلمان تهديدا إلى خاقان الآفار يطلب منه الانسحاب إلى بلاده وأن يتسامح مع المسيحيين الذين يقطنون الحدود، ولكن الخاقان رفض ذلك، فقام شارلمان بتقسيم جيشه إلى فرق لتهاجم الآفار من أماكن متعددة، أما شارلمان فقد توجه بنفسه على رأس فرقة وسار على امتداد الضفة الجنوبية لنهر الدانوب، بينما سارت المؤن في السفن. وعندما شاهد الآفار هذه الاستعدادات نالهم الفزع وتراجعوا ولقي الكثير منهم مصرعه أثناء الفرار وسقط عدد كبير منهم في الأسر وتقدم شارلمان على هذا النحو حتى أذعن نصف الآفار تقريبا(١).

البابا يعين شارلمان في حربه ضد البافارية النصرانية:

عندما انتهت الحرب السكسونية اكتشف شارلمان مؤامرة حاكها ضده تاسيلو دوق بافاريا الذي لجأ إلى البابوية يلتمس الوساطة، ولكن شارلمان أثبت للبابا خيانة تاسيلو، عند ذلك هدد البابا بقرار الحرمان ضد البافاريين مالم يخضعوا خضوعا تاما لشارلمان، ورفض تاسيلو الإذعان للأمر، فما كان من شارلمان إلا أن أعد قواته للحرب، عند ذلك خذل جنود تاسيلو زعيمهم وانفضوا من حوله خوفا من قرار الحرمان وجيوش شارلمان، عند ذلك أعلن تاسيلو خضوعه وحضر إلى شارلمان مستسلما وسلم دوقية بافاريا عام ٧٨٧م، واكتفى شارلمان بهذا الإذلال(٢).

شارلمان والمسلمون في إسبانيا:

يذكر المؤرخون أن السبب الذي دفع شارلمان لمحاربة المسلمين أنه كان يراقب السماء وهو في استرخاء وراحة، فإذا ببصره يتجه نحو جليقية بإسبانيا، وتعجب شارلمان لذلك

(١) معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د.محمود عمران، (١٧٢).بتصرف. وانظر أوروبا العصور الوسطى، د.سعيد عاشور، (١/ ١٩٧).

(٢) معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د.محمود عمران، (١٧٤).بتصرف. وانظر أوروبا العصور الوسطى، د.سعيد عاشور، (١/ ١٩٩).

ولم يستطع تفسيره، ثم ظهر القديس جيمس -الذي يرقد جثمانه في إسبانيا- لشارلمان في المنام وطالبه بالنهوض والاستيلاء على جليقية وتخليصها من أيدي المسلمين، وتكرر هذا الحلم ثلاث مرات.

وبالفعل كانت حروب شارلمان أول رد فعل نصراني ضد الفتح الإسلامي في إسبانيا، وحاول شارلمان الاستيلاء على مدينة سرقسطة المسلمة والقضاء على عبدالرحمن الداخل بمساعدة بعض الخونة، إلا إنه لم يفلح.

ولكنه استطاع أن يستولي على شريط ضيق في شمالي إسبانيا من الجانب الشرقي، وعمل على تأمين هذا الساحل بالإضافة إلى شواطئ أوروبا الجنوبية ضد المسلمين(١).

تتويج شارلمان الكارولنجي إمبراطورا على الجانب الغربي للإمبراطورية:

يتضح مما سبق إنه لم يكد ينته القرن الثامن إلا كان شارلمان قد قام بأعمال لم يستطع أحد غيره من المعاصرين أن يقوم بها، ذلك أنه نجح في تكوين دولة ضخمة في غرب أوروبا، ونجح في حماية البابوية ونشر النصرانية، وإحياء الكثير من مظاهر الحضارة الرومانية، وقد نالت هذه الإنجازات استحسان المعاصرين، وأعادت إلى ذاكرتهم مجد روما المندثر، ووجدوا في شارلمان الإمبراطور الذي يمكن به ملء الفراغ السياسي الكبير منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية في نهاية القرن الخامس، لا سيما وإن الإمبراطورية الشرقية كانت على خلاف عقدي كبير معهم بسبب موقفها من عبادة الأيقونات، وانتهاج سياسة معادية للبابوية في روما التي نظرت لأباطرة الشرق كجباة للضرائب.

وبعد أن ساند شارلمان البابا ليو الثالث ضد خصومه الذين تآمروا عليه، وناصره عليهم، كافأه البابا في نهاية قداس يوم عيد الميلاد بالتتويج إمبراطورا، وألبسه التاج

(١) معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د.محمود عمران، (١٧٤).بتصرف. انظر أوروبا العصور الوسطى، د.سعيد عاشور، (١/ ٢٠٨).

الإمبراطوري وهو راكع أمام المذبح، وصاح الحاضرون بالعبارات القديمة عند تنصيب الأباطرة: "إلى شارلمان أوغسطس، المتوج بأمر الله، الإمبراطور العظيم، المحب للسلام، اللهم امنحه الحياة الطويلة والنصر" ثم ألبس البابا شارلمان عباءة الإمبراطورية، وأقام شارلمان حكومة دينية اشترك فيها الأسقف والكونت اشتراكا فعليا متساويا في إدارة شئوون الدولة[(١)].

زوال دولة الكارولنجيين وظهور الإقطاع والملكية في أوروبا:

بعد موت شارلمان عام ٨١٤م ضعفت دولته من بعد على يدي ورثته، وقسمت الدولة بينهم، وجاءت غارات شعوب الشمال الأوربي، ثم لم تلبث أن انهارت الإمبراطورية، وظهر فيها الإقطاع، وفي ظل النظام الإقطاعي ارتبط نظام الحكم والنظام الاجتماعي ارتباطا وثيقا بملكية الأرض، وأصبح صاحب الأرض هو الحاكم والقاضي والقائد العسكري وجامع الضرائب، وقد لقي هذا النظام القبول في مجتمع الإمبراطورية الكارولنجية، فقد كان الإقطاعي يباشر الدفاع عن العاملين في الأرض، وكان الإقطاعي يرتبط بالملك ارتباطا وثيقا وظهر النظام الملكي في ألمانيا على يدي الأسر السكسونية والسالية وأسرة الهوهنشتاوفن، وفي فرنسا على يدي آل كابيه وفي إنجلترا على يدي الملك الفريد وخلفاؤه والملك كانوت وخلفاؤه ثم حكم بعدهم إنجلترا النورمان والبلانتاجنت[(٢)].

ولست بصدد إعداد بحث تاريخي تفصيلي عن واقع المجتمعات الأوروبية في العصور الوسطى، وما ذكرته في الصفحات السالفة ليس إلا معالم رئيسية يمكن من خلالها تصور

(١) انظر أوروبا العصور الوسطى، د.سعيد عاشور، (١/ ٢٠٧)، وانظر معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. محمود عمران، (١٧٨).

(٢) انظر أوروبا العصور الوسطى، د.سعيد عاشور، (١/ ٢١٧)، وانظر معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د.محمود عمران، ١٨٣.

واقع الحرب والسلام في تلك المجتمعات خلال العصور الوسطى، ولكي تكتمل تلك المعالم لا بد من معرفة إجمالية لحال الكنيسة في هذه العصور.

الكنيسة الغربية في العصور الوسطى:

كانت الكنيسة الغربية وعلى رأسها البابوية بعد سقوط الإمبراطورية الغربية محل إجلال وتوقير من قبل الغزاة، وكانت قوتها هي القوة الوحيدة المحترمة من كافة العناصر التي سيطرت على أوروبا بما فيهم الجرمان، وقد انتهزت الكنيسة وعلى رأسها البابوات الفرصة للقيام بدور القيادة للقارة الأوروبية، وبناء مجتمعات نصرانية تخضع لسلطانها.

وجمعت البابوية في روما حولها كل كنائس الغرب ووضع البابا نفسه على رأس هذا المجتمع الكاثوليكي ومهد الطريق لخلفائه، ليدعوا أنهم أصحاب السيطرة الوحيدة على هذا المجتمع.

وقد ساعد الكنيسة على احتلال هذه المكانة إلى جانب المكانة الروحية زوال الإمبراطورية الرومانية، وتعثر الأمم البربرية في بناء دول ذات قوة، ومن نجح منهم مثل الفرنجة كانت تنقصهم الخبرة فتعثروا في محاولاتهم.

ومع هذا الإخفاق المتلاحق للدول البربرية أخذت الكنيسة تنمو ببطء ولكنه كان نموا متينا عبر القرون، وواصلت الكنيسة النمو، واكتسبت مزيدا من القوة من حيث الاتساع والوحدة، نتيجة عوامل متعددة.

وقد ساعدت الكنيسة النظرية البطرسية Petrine Theory التي تقول: أن القديس بطرس باعتباره أمير الرسل قد عهد إليه بالسلطة العليا على الكنيسة، ولقد سلم بطرس مكان الصدارة هذا لخلفائه أساقفة روما الذين بحكم مركزهم يجب أن تكون لهم الزعامة على الكنيسة وعلى سائر الأساقفة، والفقرة التي بنيت عليها هذه النظرية توجد في إنجيل متى (الأصحاح ١٦ فقرة ١٨) التي تقول: (أنت بطرس وعلى هذه الصخرة

أبني كنيستي).

وقد انتشر الإنجيل بمواعظ الرسل وتلاميذهم في العالم الروماني، وبات المسيحيون يشكلون نوعا من المجتمع العريض داخل الإمبراطورية. وابتداء من بريطانيا حتى ضفاف الفرات كان أي مسيحي مسافر ومعه خطاب من الأسقف يجد حيثما يكون العون والحماية في الطريق. فكان يجد المساعدة المادية إن كان فقيرا، والعون إن كان مريضا، وكانت علامة الصليب تحل محل الكلمات، وتفاهم المسيحيون جميعا بصرف النظر عن اللغة أو الدولة التي ينتمون إليها؛ لأنهم جميعا أسرة واحدة وهي الأسرة المسيحية.

لقد نظم المجتمع النصراني نفسه أيام الاضطهاد الوثني على نظام صارم وتسلسل رئاسي منظم في غاية الدقة، لقد تحولت مدن الأقاليم الرومانية إلى أسقفيات حكمها الأساقفة يليهم القساوسة. وكان الأسقف في البداية يعين بمعرفة الرسل، ويكرسون بوضع الأيدي على رؤوسهم. وعندما كثر عدد الداخلين في الدين الجديد، كان يتم اختيارهم بمعرفة مسيحيي المنطقة، وينصبون بمعرفة الأساقفة في المنطقة ذاتها، ويصدق المطران على سلطانهم.

وقسمت المناطق إلى أسقفيات يتولى أمرها الأساقفة، وانقسمت الأسقفيات إلى أبرشيات، يتولى أمرها كاهن الأبرشية أو القس. وكانت الأبرشيات مجتمعة تكون الأسقفية، والأسقفيات المتحدة تؤلف كنيسة المنطقة التي يرأسها المطران. وفوق المطارنة نجد البطاركة. وكان البطاركة في العواصم الكبرى وهي القسطنطينية، والاسكندرية، وأنطاكية، وروما، والقدس، ومدينة قيصرية قبادوقية، وقرطاج في تونس، وهرقلية في تراقيا، وكانت روما تعلو هذه الكراسي الرسولية بدرجة واحدة. ومن هذه النقطة المتميزة كانت تمارس سلطة عليا اعترفت بها كل الكنائس في مراحل متفاوتة.

وواقع الأمر أن التنظيم الكنسي لم يتم دفعة واحدة، بل على مراحل متعددة وضعت خلالها سلطات واضحة ودقيقة. وفي خلال القرنين الخامس والسادس وفي ظل حكم ملوك البرابرة احتفظ الأساقفة بنفوذهم الذي اكتسبوه في ظل الإمبراطورية الرومانية في

المدن التي كثيرا ما حافظوا عليها من الدمار خلال الغزو بعلاقاتهم مع الزعماء الجرمان وعملوا على توسيع هذا النفوذ. كما عزز من مكانة رجال الدين وثقافتهم ورفع مكانتهم لدى الملوك البرابرة. وهكذا نمت الكنيسة واجتمعت خمس وعشرون جمعية دينية في بلاد الغال في القرن الخامس، وأربع وخمسون في القرن السادس. ولكن هذا النفوذ ضعف في القرن الثامن فلم يكن هناك سوى سبعة مجالس في فترة امتدت عشرين عاما. ويرى البعض أن هذا الضعف مرجعه إلى دخول بعض أشراف البرابرة في السلك الكنسي مما ترتب عليه الجهل والأغراض الدنيوية التي لا تتلاءم مع المصالح الدينية(١).

وما يهمنا في المطلب هو دور العقيدة النصرانية في واقع الحرب والسلام لدى المجتمعات الأوروبية، وقد سبق بيان كيف كانت الحروب تقوم لأسباب دينية حتى بين النصارى أنفسهم، وكان لتدخلات بعض البابوات دور في إحداث الحروب.

ولعل أهم أحداث العصور الوسطى المتعلقة بالحرب والسلام في المجتمعات النصرانية الأوروبية، هي الحروب الصليبية التي قامت بدعوة الإمبراطور إلكسيوس، يستنجد لأمراء الغرب ودعوة البابا أوربان الثاني إليها، ومع ذلك لم تكن تلك الحملات هي الحملات الأولى التي اصطبغت بصبغة الدين.

صور الحروب المقدسة في العصور الوسطى:

الحروب المقدسة في إسبانيا:

بدأ الإمبراطور شارلمان -كما سبق بيانه- غزو المسلمين في الأندلس عام ٧٧٨م، بعد أن ظهر القديس الإسباني جيمس له في المنام -حسب ما يزعم- وطالبه بمحاربة المسلمين، وتحرير الأراضي الإسبانية، وتكرر هذا الحلم ثلاث مرات، وبالفعل تولى هو قيادة الجيش الصليبي(٢).

---

(١) انظر معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د.محمود عمران، (١٥٣-١٥٦).

(٢) انظر الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، د. علي محمود، ٢٤٢، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط.الأولى.

ودعا البابا الكسندر الثاني في القرن الحادي عشر ملوك أوروبا للقيام بحرب صليبية على المسلمين في الأندلس، فاجتمع جيش كبير من إيطاليا وآخر من فرنسا وانضمت إليهما جيوش النورمانديين وحلفاؤها، وتجمعت كل هذه الحشود تحت إمرة هذا البابا لغزو الأندلس، وقد حققت هذه الحملة نجاحا في بداية ربيع سنة ١٠٦٤م غير أن المسلمين استطاعوا أن يهزموها، ثم عاد الصليبيون عام ١٠٨٥ بقيادة ألفونسو السادس واستولوا على طليطلة بمساعدة الفرنسيين، ورد المسلمون عليهم وأنزلوا بهم هزيمة منكرة في موقعة الزلاقة عام ١٠٨٦م[١].

ثم استطاع البابا أوربان الثاني أن يثير حربا ضد المسلمين في الأندلس، وكان هدف هذه الحرب الاستيلاء على وشقة في سرقسطة فاستولوا عليها وعلى غيرها بمساعدة الفرنسيين.

وقامت كنيسة روما بإلهاب حماس الفونسو المحارب ببشاراتها ومواعظها الدينية، ومساعداتها المادية ومؤازرتها له بإرسال الحملات الصليبية من أوروبا، وقد استطاع الفونسو المحارب بحماسه الديني أن يصبغ حربه للمسلمين في إسبانيا بالصبغة الصليبية عام ١١١١م، واستطاعت دولة المرابطين أن ترد هذه الحملة[٢].

وفي عام ١٢٣٦ كانت الكارثة باستيلاء الصليبيين على قرطبة وكان أول ما فعلوه هو تحويل مسجدها إلي كنيسة. وكذلك فعلوا بمسجد إشبيلية عام ١٢٤٨م[٣].

وعندما أنهى الملك فرناندو وزوجته الملكة إيزابيلا الوجود الإسلامي في الأندلس، اضطهد النصارى المسلمين وأجبروهم على التنصر، وفي عام ١٥٠٢ أصدر فرناندو مرسوما يقضي بإلغاء كل الشعائر الدينية الإسلامية من الأندلس[٤].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، سلامة الهرفي، (٢١٨)، المكتبة الفيصلية، ١٤٠٥هـ.

(٣) انظر الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، د. علي محمود،٢٤٥، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط. الأولى.

(٤) المرجع السابق(٢٤٦).

وعن قدسية الحرب في أسبانيا يقول ستيفن رنسيمان: (فما نشب من القتال ضد المسلمين في أسبانيا، اتخذ صفة الحرب المقدسة ووضعها، فلم يلبث البابوات أن صار لهم يد في توجيهها. ففي سنة ١٠٦٣، لقي راميرو الأول ملك أرجون مصرعه في جرادوس على يد أحد المسلمين عندما قام بهجوم على المسلمين. فأثار موته خيال أوربا، فبادر البابا الإسكندر الثاني إلى أن يعد ببذل الغفران لكل من قاتل من أجل الصليب في أسبانيا، وشرع البابا في تأليف جيش لمواصلة عمل راميرو.

وقام وليم مونترارى، وهو جندي نروماني بخدمة البابا بتجنيد العساكر في شمال إيطاليا، وتولى جمع العساكر بشمال فرنسا، إيلس كونت روسي شقيق فليشيا ملكة أرجوان. على أن أضخم جيش كان ذلك الذي جمعه جفري كونت أكيتانيا، الذي تولى قيادة الحملة، ومع ذلك لم يتحقق شيء يذكر. فعلى الرغم من الاستيلاء على بلدة باربسترو والحصول على غنيمة وفيرة، فإن هذه البلدة، لم تلبث أن ضاعت من جديد. غير أن الفرسان الفرنسيين أخذوا منذئذ يهرعون لاجتياز جبال البرانس، لمواصلة هذا العمل. ففي سنة ١٠٧٣م أعد إبلس كونت روسي حملة جديدة.

ودعا البابا جريجوري السابع كل أمراء المسيحية للانضمام إليها، فأعلن عند تذكيره العالم أن مملكة أسبانيا تنتمي إلى المقر المقدس، وأن المسيحيين سوف ينعمون بما يفتحون من الكفار من الأراضي.

وفي سنة ١٠٧٨م، تولى هيو الأول دوف برجنديا، قيادة جيش لمساعدة صهره الفونسو السادس ملك قشتالة. وفي سنة ١٠٨٠م أعلن البابا جريجوري السابع تأييده الشخصي للحملة التي قادها جاي جفري. وجرت الأمور على خير وجه في السنوات التالية. إذ استولى القشتاليون على طليطلة سنة ١٠٨٥، ثم تلى ذلك حركة إفاقة إسلامية بعثها المرابطون.

ومنذ سنة ١٠٨٧م اشتدت دعوة الفرسان المسيحيين للقدوم إلى إسبانيا لمقاومة

المرابطين. وبذل البابا إيربان الثاني المساعدة عن طيب خاطر، بل إنه أخطر الحجاج المتوجهين إلى فلسطين، إنه خير لهم أن ينفقوا أموالهم في عمارة المدن الإسبانية التي نجت من تخريب المسلمين. على أن الحملات الموجهة إلى إسبانيا، ظلت حتى نهاية القرن الحادي عشر، تجتذب من الشمال الفرسان المسيحيين المغامرين، فلم تنته هذه ا لحملات المستمرة إلا بعد الاستيلاء على وشقة سنة ١٠٩٦م وباربسترو في سنة ١١٠١م.

ولم ينته القرن الحادي عشر، حتى تحولت فكرة الحرب المقدسة، إلى اتجاه عملي. إذ إن الفرسان والعساكر المسيحيين لقوا التشجيع من السلطات الكنسية، بأن يتخلوا عن منازعاتهم الصغيرة، وأن يتوجهوا إلى أطراف العالم المسيحي لقتال الكفرة. وأن ما يصيبونه من المكافأة هو على ما يؤدونه من خدمة، وأن لهم أن يحوزوا ما يجري استرداده من الأراضي، وأن ينالوا مزايا روحية. أما هذه المزايا الروحية الخالصة فلم يكن مقطوعا بها؛ فالبابا إسكندر الثاني وعد فيما يبدو بالغفران لمن اشتركوا في حملة ١٠٦٤م، بينما لم يبذل البابا جريجوري السابع إلا التحلل لكل من لقي مصرعه في المعركة من أجل الصليب. وبذل هذا التحلل أيضا لكل عساكر رودلف السوابي عند قتالهم هنري الرابع إمبراطور ألمانيا، الذي تقرر قطعه من الكنيسة. فتولت البابوية توجيه الحروب المقدسة. فهي التي شنتها، وهي التي طالما رشحت قادتها. وما يفتح من البلاد لا بد أن يخضع أخيرا للسيادة البابوية[1].

الحملات الصليبية الكاثوليكية لاستعادة بيت المقدس الضريح المقدس من المسلمين:

بعد أن قرر الإمبراطور البيزنطي ميخائيل السابع في سنة ١٠٧٣م أن يستغيث بكنيسة روما وأن يطلب منها مساعدته في حروبه ضد المسلمين، انقدحت في ذهن البابا جريجوري فكرة إشعال حرب مقدسة جديدة على غرار حرب أسبانيا المقدسة، فالحرب

(١) تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، ترجمة د.السيد العريني، (١/ ١٤٦– ١٤٨)، ط. الثالثة.

المقدسة التي أحرزت نجاحا كبيرا عند اندلاعها في أسبانيا، لا بد من امتدادها إلى آسيا الصغرى، وبعد تحقيق النصر تكون السيادة للكنيسة الغربية وتخضع الكنيسة الشرقية لها وتعترف بسيادتها، ولكن صلابة البابا وشدته أوقعته في خلافات كبيرة مع حكام الغرب، ومات ولم يستطع أن يحقق أهدافه(١).

وتولى البابا أوربان الثاني مقاليد الكنيسة وكان ذكيا وصاحب مكر ودهاء، واستغل استغاثة إمبراطور بيزنطة إلكسيوس، وطلبه العون العسكري لمواجهة الأخطار الإسلامية وغيرها، فأخذ يخطط للوصول لهدفه، ويحث ملوك أوروبا ويستثيرهم للقيام بهذا العمل المقدس، ويعدهم بالغفران التام إن هم استجابوا لداعي الحرب المقدسة، واستطاع بالفعل أن يحقق الحلم الذي كان يحلم به جريرجوري السابع، ووافق ملوك وأمراء أوروبا على القيام بهذه الحرب.

يقول ديورانت: (صدر القرار النهائي من إربان نفسه، وإن كان غيره من البابوات قد طافت بعقولهم هذه الفكرة. فقد دعا جربرت، حينما أصبح البابا سلفتر الثاني العالم المسيحي لإنقاذ بيت المقدس، ونزلت حملة مخفقة في بلاد الشام (حوالي ١٠٠١م)، ولم يمنع النزاع المرير القائم بين جريجوري السابع وهنري الرابع البابا من أن يقول بأعلى صوته: "إن تعريض حياتي للخطر في سبيل تخليص الأماكن المقدسة لأفضل عندي من حكم العالم كله". وكان هذا النزاع لا يزال على أشده حين رأس إربان مجلس بياسنزا في مارس من عام ١٠٩٥، أيد البابا في هذا المجلس استغاثة إلكسيوس، لكنه أشار بتأجيل العمل حتى تعقد جمعية أكثر من المجلس تمثيلا للعالم المسيحي، وتبحث في شن الحرب على المسلمين. ولعل الذي دعاه إلى طلب هذا التأجيل ما كان يعلمه من أن النصر في مغامرة في هذا الميدان البعيد غير مؤكد، وما من شك في أنه كان يدرك أن الهزيمة ستحط من كرامة العالم المسيحي والكنيسة المسيحية إلى أبعد حد، وأكبر الظن أنه كان يتوق إلى

(١) انظر المرجع السابق، ١٥٩.

توجيه ما في طبائع أمراء الإقطاع والقراصنة النورمان من حب القتال إلى حرب مقدسة تصد جيوش المسلمين عن أوربا وبيزنطية. ولقد كان يحلم بإعادة الكنيسة الشرقية إلى حظيرة الحكم البابوي، ويرى بعين الخيال عالما مسيحيا عظيم القوة متحدا تحت حكم البابوات الديني، وعودة روما حاضرة للعالم؛ وكان هذا تفكيرا أملته رغبة في الحكم لا تعلو عليها رغبة.

وظل البابا بعدئذ بين شهري مارس وأكتوبر من عام ١٠٩٥ يطوف بشمالي إيطاليا وجنوبي فرنسا، يستطلع رأي وموقف الزعماء ويضمن المعونة لما هو مقدم عليه. واجتمع المجلس التاريخي بمدينة كليرمونت في مقاطعة أورفرني، هرع إليه آلاف الناس من مئة صقع وصقع لم يقف في سبيلهم برد نوفمبر القارس. ونصب القادمون خيامهم في الأراضي المكشوفة، وعقدوا اجتماعا كبيرا لا يتسع له بهو وامتلأت قلوبهم حماسة حين وقف على منصة في وسطهم مواطنهم إربان الفرنسي وألقى عليهم باللغة الفرنسية أقوى الخطب وأعظمها أثرا في تاريخ العصور الوسطى:

"ياشعب الفرنجة! شعب الله المحبوب المختار!... لقد جاءت تخوم فلسطين، ومن مدينة القسطنطينية أنباء محزنة تعلن أن جنسا لعينا أبعد ما يكون عن الله قد طغى وبغى في تلك البلاد بلاد المسيحيين خربها بما نشره فيها من أعمال السلب وبالحرائق، لقد ساقوا بعض الأسرى إلى بلادهم وقتلوا بعضهم الآخر بعد أن عذبوهم أشنع التعذيب. وهم يهدمون المذابح في الكنائس، بعد أن يدنسوها برجسهم، ولقد قطعوا أوصال مملكة اليونان، وانتزعوا منها أقاليم بلغ من سعتها أن المسافر فيها لا يستطيع اجتيازها في شهرين كاملين.

على من إذن تقع تبعة الانتقام لهذا المظالم، واستعادة تلك الأصقاع، إذا لم تقع عليكم أنتم، أنتم يا من حباكم الله أكثر من أي قوم آخرين بالمجد في القتال، والبسالة العظيمة، وبالقدرة على إذلال رؤوس من يقفون في وجوهكم؟ ألا فليكن من أعمال أسلافكم ما

يقوي قلوبكم، أمجاد شارلمان وعظمته، وأمجاد غيره من ملوككم وعظمتهم، فليثر همتكم ضريح المسيح المقدس ربنا ومنقذنا، الضريح الذي تمتلكه الآن أمم نجسة، وغيره من الأماكن المقدسة التي لوثت ودنست... لا تدعوا شيئا يقعد بكم من أملاككم أو من شؤون أسركم. ذلك بأن هذه الأرض التي تسكنونها الآن والتي تحيط بها من جميع جوانبها البحار وقمم الجبال، ضيقة لا تتسع لسكانها الكثيرين، تكاد تعجز عن أن تجود بما يكفيهم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضا، ويلتهم بعضكم بعضا، وتتحاربون، ويهلك الكثيرون منكم في الحروب الداخلية.

طهروا قلوبكم إذن من أدران الحقد، واقضوا على ما بينكم من نزاع، واتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس، وانتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث وتملكوها أنتم. إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها، هي فردوس المباهج. إن المدينة العظمى القائمة في وسط العالم تستغيث بكم أن تهبوا لإنقاذها، فقوموا بهذه الرحلة راغبين متحمسين تتخلصوا من ذنوبكم، وثقوا بأنكم ستنالون من أجل ذلك مجدا لا يفنى في ملكوت السماوات".

وعلت أصوات هذا الجمع الحاشد المتحمس قائلة: "تلك إرادة الله، وردد إربان هذا النداء ودعاهم إلى يجعلوه نداءهم في الحرب، وأمر الذاهبين إلى الحرب الصليبية أن يضعوا علامة الصليب على جباههم أو صدورهم، ويقول وليم مالمزبري: "وتقدم بعض النبلاء من فورهم، وخروا راكعين بين يدي البابا، ووهبوا أنفسهم وأموالهم لله"، وحذا حذوهم آلاف من عامة الشعب، وخرج الرهبان والنساك من صوامعهم ليكونوا جنود المسيح بالمعنى الحرفي لهذا اللفظ لا بمعناه المجازي، وانتقل البابا النشيط إلى مدن أخرى؛ إلى تور، وبوردو، وطولوز(طلوشة)، ومنبلييه، ونيمز، وظل تسعة أشهر يخطب داعيا إلى الحرب الصليبية. ولما بلغ رومة بعد أن غاب عنها سنتين، استقبلته بالترحاب أقدم مدن العالم المسيحي تقوى، وأخذ على عاتقه أن يحل جميع الصليبين من جميع القيود التي تعوقهم عن الانضمام إلى المقاتلين. ولم يلق في عمله هذا مقاومة جدية؛ فحرر رقيق الأرض، وحرر

التابع الإقطاعي طوال مدة الحرب مما عليه من الولاء لسيده؛ ومنح جميع الصليبيين ميزة المحاكمة أمام المحاكم الكنسية لا أمام المحاكم الإقطاعية، وضمن لهم مدة غيابهم حماية الكنيسة لأملاكهم. وأمر بوقف جميع الحروب القائمة بين المسيحيين والمسيحيين (وإن لم يقوموا على تنفيذ أمره هذا)، ووضع مبدأ للطاعة يعلو على قانون الولاء الإقطاعي؛ وهكذا توحدت أوربا كما لم تتوحد في تاريخها كله، ووجد إربان نفسه السيد المرتضى -من الوجهة النظرية على الأقل- لملوك أوربا على بكرة أبيهم. وسرت الحماسة في أوربا كما لم تسر فيها من قبل في أثناء هذا الاستعداد المحموم للحرب المقدسة)[(1)].

---

(1) قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٥/ ١٤-١٧). وقد أورد الدكتور قاسم عبده قاسم في كتابه "الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق"، روايات متعدد لخطبة البابا أوربان الثاني تبين مدى تأثيره في المجتمعات الأوروبية وهي:

رواية فوشيه الشارترى (كتبت مابين ١١٠٠ وسنة ١١٠٦م):

كان فوشيه ممن حضروا مجمع كليرمون وشارك في الحملة الصليبية حيث كان قسيسا خاصا لستيفن بلوا، ثم صار القسيس الخاص لبلدوين البولوني، وذهب معه إلى الرها، وهو الأمر الذي يفسر لنا لماذا كان المؤرخ الوحيد الذي لم يجعل خطبة إربان تتناول احتلال المسلمين للقدس كسبب للحملة الصليبية، وهو في كتابه يكشف عن إخباري ومراقب واقعي، وإن كان لم يتخلص من التأثير الديني والغيبي لعصره، وكان واحدا من اثنين من مؤرخي الحملة الصليبية الأولى، أبديا شكوكا حول قصة الحربة المقدسة التي وجدها الصليبيون في أنطاكية، ويرى بعض المؤرخين فوشيه أنه كان يمتلك نسخا لقرارات مجمع كليرمون.

"في سنة ١٠٩٥ بعد تجسد سيدنا، بينما كان هنري الإمبراطور المزعوم يحكم ألمانيا، والملك فيليب يحم فرنسا، وكانت الشرور من كل جنس ونوع تتكاثر في شتى أنحاء أوربا بسبب تأرجح العقيدة، في ذلك الحين كان البابا إربان الثاني يحكم في مدينة روما، وكان رجلا يستحق الإعجاب بحياته وعاداته، وقد ناضل بشدة وجسارة ليرفع من شأن الكنيسة المقدسة أكثر فأكثر.

وفضلا عن ذلك، فإنه رأى الجميع يتجرأون على العقيدة المسيحية بشكل متزايد سواء من الأكليروس أو العلمانيين، وانتهك السلام تماما، لأن أمراء الأرض كانوا في حال من التحارب الدائم ضد بعضهم البعض، ورأى الناس يسرقون متاع الدنيا من بعضهم لدرجة أن بعض الأسرى أخذوا ظلما وغدرا، وألقي بهم في

غياهب السجون في همجية شديدة طلبا لفدية باهظة وإلا تعرضوا في سجونهم للعذاب بشرور ثلاثة؛ هي الجوع والعطش والبرد ثم يعدمون سرا. كما أنه رأى الأماكن المقدسة تستباح، والأديرة والقصور تفترسها النيران التي لا تبقي ولا تذر، وكذلك وجد الأمور الإنسانية والإلهية محط المهانة والازدراء.

وعندما سمع أن المناطق الداخلية من رومانيا قد احتلها الأتراك وأن المسيحيين قد خضعوا لغزو مدمر ساحق. اهتز إربان كثيرا بسبب تقواه وتدينه العميق وزيادة حبه للرب، فعبر الجبال، وهبط في الغال، وأمر بعقد مجمع في أوفريني بكليرمون، كما هو اسم المدينة، وقد تم الإعلان عن هذا المجمع بطريقة سليمة من خلال الرسل الذين أرسلوا إلى كافة الأنحاء، وحضره ثلاثمئة وعشرة من الأساقفة ومقدمي الأديرة الذين يحملون العصا المعقوفة، وعندما تم إقرار هذه الأمور، وأمور غيرها كثيرة على نحو طيب شكر كل الحاضرين، سواء من رجال الكنيسة أو من الشعب، شكروا الرب بحرارة على كلمات السيد البابا، ووعدوه مخلصين بالحفاظ على قراراته ومراسيمه التي أصدرها في هذا المجمع. ولكن البابا أردف قائلا في الحال إن هناك محنة أخرى ليست أقل شأنا، وإنما هي أعظم وقعا مما ذكره؛ بل إنها من أسوأ ما عرف من محن ومصائب تمسك بخناق المسيحية الآن في جزء آخر من العالم.

قال: بما أنكم يا أبناء الرب قد وعدتموه بحفظ السلام فيما بينكم، وأن تخلصوا في الحفاظ على حق الكنيسة المقدسة أكثر من ذي قبل، فإنه ما يزال أمامكم يا من بعثتم الإصلاح المقدس حديثا، مهمة عاجلة منوطة بكم، وتتعلق بالرب أيضا ومن خلال هذه المهمة يمكنكم إظهار قوة إرادتكم وحسن نواياكم، إذ يجب أن تسارعوا بمساعدة إخوتكم المسيحيين في الشرق والذين يحتاجون مساعدتكم وطالما طلبوها.

وذلك لأن الأتراك وهم شعب فارسي كما يعلم الكثيرون منكم، توغلوا داخل الأراضي الرومانية حتى ذلك الجزء من البحر المتوسط والمعروف باسم ذراع القديس جورج. وقد استولوا على المزيد من أرض المسيحيين، وهزموهم سبع مرات وفي معارك عديدة، وقتلوا وأسروا الكثيرين ودمروا الكنائس، وخربوا مملكة الرب. وإذا سمحتم لهم بالتمادي في ذلك أكثر فإنهم سوف يهزمون شعب الرب من المؤمنين أكثر وأكثر.

ومن ثم فإنني بصلاة خاشعة، لست أنا ولكن الرب هو الذي يحثكم باعتباركم قساوسة المسيح أن تحضوا الناس من شتى الطبقات؛ من الفرسان ومن الجنود المشاة، من الأغنياء والفقراء، بأن يسارعوا لاستئصال شأفة هذا الجنس الشرير من أرضنا، وأن تساعدوا السكان المسحيين قبل فوات الأوان.

إنني أخاطب الحاضرين، وأعلن لأولئك الغائبين، فضلا عن أن المسيح يأمر بهذا أنه ستغفر ذنوب كل أولئك الذاهبين إلى هناك إذا ما انتهت حياتهم بأغلالها الدنيوية سواء في مسيرتهم على الأرض أو أثناء عبورهم البحر، أو في خضم قتالهم ضد الوثنيين. هذا الغفران أمنحه لكل من يذهب بمقتضى السلطان الذي أسبغه

الرب علي.

"يا له من عار إذا ما قام جنس مثل هذا خسيس، منحل تستعبده الشياطين، بالتغلب على شعب يتحلى بالإيمان بالرب العظيم، ويزهو ويتألق باسم المسيح، يا لها من تهم ستوجه ضدكم من الرب نفسه إذا لم تساعدوا أولئك الذين يعدون مثلكم من أتباع الديانة المسيحية.

وقال: "فليبادر أولئك الذين اعتادوا شن الحرب الخاصة ضد المؤمنين بالمسير ضد الكفار في حرب يجب أن تبدأ الآن لتنتهي بالنصر. وأولئك الذين ظلوا لصوصا لفترة طويلة ينبغي أن يتحولوا الآن إلى جنود للمسيح. وليبادر الذين حاربوا ذات مرة ضد الإخوة والأقارب فيحاربون الآن بحق ضد البرابرة. وأولئك الذين كانوا مرتزقة مأجورين من أجل حفنة من النقود الفضية يجب أن يسرعوا للحصول على مكافأة خالدة. وأولئك الذين كانوا يجهدون أنفسهم لإيذاء الجسد والروح. ينبغي أن يعملوا من أجل مجد الجسد والروح معا. بلى في ناحية سيكون الحزانى والفقراء، وفي ناحية أخرى سيكون الفرحون والأثرياء، هنا أعداء الرب، وهناك أصدقاؤه.

لا ينبغي لشيء أن يؤجل سفر الراغبين في الرحيل، فلينتهوا من تدبير شئونهم ويجمعوا الأموال، وعندما ينقضي الشتاء ويهل الربيع، فليبدءوا رحلتهم في حماسة برعاية الرب".(٧٥-٧٦).

رواية المؤرخ المجهول كتبت حوالي سنة ١١٠٠ - ١١٠١م):

وعندما حان الوقت الذي كان السيد المسيح يحدده يوميا للمؤمنين به لا سيما في الإنجيل بقوله: إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني، كانت هناك حركة هائلة تعتمل في قلوب الناس في شتى أنحاء الأرض الفرنجية بحيث إذا كان ثمة رجل بكامل قلبه وعقله مستعدا حقا لأن يتبع الرب وأن يحمل الصليب خلفه بإيمان، فإن مثل هذا الرجل لم يكن قادرا على أن يتأخر في السير على طريق الضريح المقدس بأسرع مما يمكن، لأن البابا نفسه عبر جبال الألب بأسرع مما يستطيع، ومعه كبار أساقفته، والأساقفة ومقدموا الأديرة والقساوسة وبدأ يلقي عدة خطب فصيحة قال فيها: "إذا كان هناك رجل يبتغي إنقاذ روحه فيجب ألا يتردد في أن يأخذ طريق الرب في تواضع، وإذا كان بحاجة إلى المال فإن الرحمة الإلهية سوف تعطيه ما يكفيه،" وقال السيد البابا أيضا: "أيها الإخوة، يجب أن تعانوا أمورا كثيرة في سبيل اسم الرب مثل الشر والفقر والعري والاضطهاد والحاجة والمرض والعطش وما شابه ذلك من متاعب ومصاعب؛ لأن الرب يقول لحوارييه: يجب أن تعانوا عدة أمور من أجلي"، ويقول أيضا: "لا تخجلوا من الكلام أمام الناس لأنني أنا أعطيكم فما وحكمة "، ثم قال فيها بعد: لأن أجركم عظيم في السماوات". وحينما بدأت هذه الكلمة تنتشر وتشيع في شتى أنحاء الدوقيات وكونتيات الأراضي الفرنجية، بدأ الفرنجة بمجرد سماع هذه الكلمات

خطابات إربان – الكاثوليكي – في المجتمعات الأوروبية للدعوة إلى الحملة الصليبية الأولى:

قضى البابا إربان الثاني ثمانية شهور عقب مجمع كليرمون في محاولة نشر دعوته لشن حملة صليبية في أرجاء الغرب الأوربي ولا سيما غرب وجنوب فرنسا. وقد تنوعت وسائل البابوية ما بين المجامع الدينية، والخطابات الصادرة عن البلاط البابوي، وحث رجال الكنيسة على الدعوة للحملة. وفي خطاباته جدد البابا دعوته إلى الحملة الصليبية وحدد بعض تصوراته لهذه الحملة وكيفية المساهمة فيها.

خطاب من إربان إلى كونتات بيسالوا، وامبورياس، ووسيللون، وسردانيا، وفرسانهم: (مابين يناير ١٠٩٦ إلى ٢٩ يوليو١٠٩٩ تقريبا). وهذه الرسالة موجة إلى الفرسان الذين يقاتلون ضد المسلمين في الأندلس.

(إننا نتوسل إلى سيادتكم بحرص شديد لصالح المدينة أو لصالح كنيسة تراجونا، ونأمركم أن تبذلوا جهدا حماسيا لاستعادتها بكل وسيلة ممكنة لمحو خطاياكم. لأنكم تعلمون كم ستكون دفاعا عظيما لشعب الرب، وكيف ستكون ضربة مرعبة للمسلمين إذا ما شاءت رحمة الرب، إذا ما تمت استعادة موقع هذه المدينة الشهيرة. وإذا كان الفرسان في ولاية أخرى قد أقروا جميعا أن يذهبوا لمساعدة الكنيسة الآسيوية وأن يحرروا إخوانهم من طغيان المسلمين، فكذلك يجب عليكم جميعا وبتشجيعنا أن تبذلوا قصارى جهدكم لمساعدة كنيسة قريبة منكم هكذا لمقاومة غزوات المسلمين. ولا ينبغي لأحد أن يشك في أنه لو مات في هذه الحملة حبا في الرب وفي إخوانه، فإن خطاياه سوف تغتفر، وسوف ينال بالتأكيد نصيبه في الحياة الخالدة بفضل رحمة الرب الواسعة. ولذا فإذا كان أحدكم قد قرر أن يذهب إلى آسيا، فإنه يجب أن يفي بقسمه هنا وليس هناك؛ لأنه ليس من الخير في

=

يخيطون الصليب على الكتف الأيمن لعباءاتهم قائلين إنهم جميعا سوف يقتفون أثر خطوات المسيح سويا، لأنه هو الذي خلصهم من سلطان الجحيم، لذا فإنهم انطلقوا فورا من منازلهم في أراضي الفرنجة".

شيء أن تنقذ المسيحيين من المسلمين فقط لكي تعرضهم في مكان آخر لطغيان المسلمين واضطهادهم فليوقظ الرب العظيم في قلوبكم حب إخوتكم ويكافئكم على بسالتكم بالنصر على الأعداء)[1].

خطاب البابا إربان الثاني إلى كل المؤمنين في الفلاندرز ديسمبر (١٠٩٥):

(إننا نعتقد أيها الإخوة إنكم علمتم منذ زمن طويل من مصادر عديدة بالأخبار المحزنة عن البرابرة في هياجهم، قد غزوا ونهبوا كنائس الرب في الأقاليم الشرقية، والأسوأ من ذلك أنهم استولوا على مدينة الرب المقدسة التي ازدانت بعذابه وقيامته، وأنهم (وهذا قول فيه تجديف) باعوا كنائسها في عبودية مقيتة. وإذا فكرنا بإخلاص في هذه المصيبة وحزنا بسببها، فإننا زرنا بلاد الغال وحرضنا السادة والرعايا بحماسة في هذا الإقليم على تحرير الكنائس الشرقية. وفي مجتمع عقد في "أوفرني"، كما هو معلوم، فرضنا عليهم التزامات بأن ينجزوا مثل هذا المشروع العسكري لمحو كافة خطاياهم، وعينا نائبا عنا قائدا لهذه الحملة وهذا العمل وهو ابننا العزيز أدميار أسقف لي بوي. ويترتب على هذا أن كل من يقرر أن يذهب في هذه الرحلة يجب ن يطيع أوامره كما لو كانت صادرة منا، يجب أن يخضع لسلطانه تماما في الحل والعقد في أية قرارات صادرة منه ومتصلة بعمله. وإذا نادى الرب أو رجال من بينكم لأخذ هذا العهد -الذهاب للحملة- فإنه يجب أن يعلموا أنهم سوف ينطلقون بعون الرب في عيد صعود مريم العذراء (١٥ أغسطس) وأن ينضموا إلى رفاقهم في هذا اليوم)[2].

خطاب إربان الثاني إلى أتباعه في بولونيا ١٥ سبتمبر ١٠٩٦م:

(نقدم شكرنا إلى نيافتكم؛ لأنكم على الرغم من وجودكم بين الانشقاقيين والهراطقة

---

(١) الحملة الصليبية الأولى، نصوص ووثائق، د.قاسم عبده قاسم،٩٠.

(٢) المرجع السابق.

وقف بعضكم دائما بصلابة في الدفاع عن العقيدة الكاثوليكية، على حين أن الآخرين ممن تجلت لهم الحقيقة برحمة الرب تركوا سبيل الخطأ، وهم الآن حكماء في مذاهب العقيدة الكاثوليكية. ومن ثم فإننا نشجعكم يا أحباء الرب على أن تواصلوا بشجاعة السير على درب الحقيقة، وأن تحاولوا إنهاء ما بدأتموه على هذا الشكل الطيب، في نهاية أفضل؛ لأنه ليس ذلك الذي يبدأ، وإنما ذلك الذي يواصل حتى النهاية هو الذي يواصل حتى النهاية هو الذي سينال الخلاص. وقد عينا خاصة لمحبتكم أخانا المبجل الأسقف برنارد، الذي تناسب رعايته المقدسة نيابة عنا جماعتكم كرعية. وإذا كنتم تحبون الرب، فإنكم يجب أن تظهروا هذه الحب لنائبه، لأن المسيح نفسه قال عن مثل هذا الشخص: "أن من يسمعكم يسمعني". وقد سمعنا أن كثيرين منكم قد هاجهم الشوق للذهاب إلى أورشليم، وهو ما يجب أن تفهموا أنه قد سرنا كثيرا. ويجب أن تعلموا أيضا أنه إذا ذهب أي رجال منكم إلى هناك، لا لرغبتهم في المكاسب الدنيوية، وإنما فقط لخلاص أرواحهم لتحرير الكنيسة، فإننا بمقتضى سلطتنا وسلطة كل كبار الأساقفة، وكل أساقفة بلاد الغال، بفضل رحمة الرب العظيم وصلوات الكنيسة الكاثوليكية، نعفيهم من التكفير المفروض عليهم لقاء خطاياهم التي اعترفوا بها اعترافا كاملا، لأنهم خاطروا بأملاكهم وحياتهم في حب الرب وحب جيرانهم. ولكننا لا نسمح للرهبان أو القساوسة بالذهاب ما لم يحصلوا على عدم السماح لرعايا أبرشياتهم بالذهاب بدون النصيحة وبدون علم القساوسة المسبق، كم يجب أن تراعوا أن الشباب المتزوجين لا يجب أن يندفعوا في رحلة طويلة كهذه دون موافقة زوجاتهم. وليساعدكم الرب العظيم في خشيته وفي حبه وليقودكم هو وقد تحررتم من الآثام والأخطاء. وليرشدكم إلى أن تفهموا كيف تحبونه فوق كافة الأشياء وتبدون له الإخلاص الحقيقي)[1].

(١) المرجع السابق، (٩١).

خطاب إربان الثاني إلى جماعة دير فالومبروسا (٧ أكتوبر ١٠٩٦م):

(لقد سمعنا أن بعضكم يريدون الانطلاق مع الفرسان الذاهبين إلى القدس بقصد طيب لتحرير المسيحية. وهذا نوع من التضحية الحقة، ولكن خطته جاءت من أشخاص غير مناسبين، لأننا كنا نستفز أذهان الفرسان للذهاب إلى هذه الحملة، لأنهم قد يكونون قادرين على كبح وحشية المسلمين بسلاحهم ويعيدون للمسيحيين حريتهم السابقة، ونحن لا نريد لأولئك الذين هجروا العالم ونذروا أنفسهم للحرب الروحية أن يحملوا السلاح أو يذهبوا في هذه الرحلة، بل إننا نمنعهم من عمل ذلك. كما أننا نمنع المتدينين - من القساوسة الرهبان- من أن ينطلقوا في هذه الصحبة دون إذن من أساقفتهم أو مقدمي أديرتهم وفقا لحكم القوانين الكنيسة المقدسة. فإن سلامة التقدير في مهنتكم الدينية يجب أن تمنعكم من المخاطر بإهانة الكرسي الأسقفي أو تعويض أرواحكم للخطر. وقد سمعنا أن زميلكم مقدم ديرسان ريارتو، يفكر في ترك جماعتكم وترك نظامكم الديري بأسره. وهكذا فإننا في هذا الخطاب نرسل له أمرا، وبه نعني أننا نمنعه من أن يجرؤ على حكم نفس الدير بعد ذلك دون إذن من رئيسكم العام، الذي تسمونه المقدم الأسمى، وإذا لم يمتثل بالطاعة، هو وكل من يجرؤ على ترك جماعتكم، يجب قطعه بسيف الحرمان الرسولي.

تحرر في كريمونا في السابع من أكتوبر، ونحن نريد منك قراءة هذا الخطاب على الرهبان المجتمعين والإخوة العلمانيين، لتعلم الأديرة الأخرى بمحتواه)[1].

ومما سبق يظهر جليا واضحا واقع الحرب والسلام في مجتمعات الإمبراطورية الغربية، وما سبق لا يعدو أكثر من معالم يسيرة عن الواقع الدموي الذي عاشته تلك المجتمعات.

ولكي تكتمل معالم الحرب والسلام في كامل الإمبراطورية الرومانية لا بد من الحديث عن الجانب الشرقي منها وهو سواد الصفحات التالية.

---

(١) المرجع السابق، ٩٢.

أثر عقيدة الحرب والسلام في واقع المجتمع النصراني في الجانب الشرقي من الإمبراطورية الرومانية في العصور الوسطى -الإمبراطورية البيزنطية-:

يمكن معرفة واقع الحرب والسلام في المجتمعات البيزنطية من خلال دراسة تاريخ الأباطرة، بعد أن انتهى بنا الحديث في المطلب الماضي عند حكم الإمبراطور ثيودسيوس وأسرته عام ٣٧٩- ٥١٨م، وقد خلف هذه الأسرة أسرة الإمبراطور جستنيان.

واقع الحرب والسلام النفسي والاجتماعي في عهد أسرة الإمبراطور جستنيان ٥١٨-٦١٠م:

عاش المجتمع النصراني خلال عهد جستنيان حياة حرب منذ أن تولى مقاليد الحكم، ذلك أن الإمبراطورية لم تكن تغلبت على الأزمات الكبرى التي تعرضت لها أثناء عهد خاله الإمبراطور السابق جستن، وأهم هذه الأزمات الحرب مع فارس، ولذلك فقد كان الجزء الأكبر من الجيش البيزنطي منشغلا في الحروب مع فارس في الشرق، أما واقع المجتمع الداخلي، فقد وجد حزبان أساسيان فيه وهما الزرق والخضر وكانا أصلا فرقتي سباق رياضي ثم تطورتا إلى حزبين سياسين في القسطنطينة، وقد بلغ خطر هذين الحزبين أشده في ثورة نيقية عام ٥٣٢م، لأسباب كثيرة منها العصبية الدينية؛ بسبب اضطهاد أتباع المذهب المونوفيزي، وقد قضى جستنيان على هذه الثورة بقتل ثلاثين ألف نفس، وفي نفس العام وقع معاهدة مع ملك فارس، يفع بمقتضاها جزية كبيرة مقابل إيقاف الحروب على الحدود[1].

حرب جستنيان لنصرة العقيدة الأثناسيوسية:

حاول جستنيان إعادة الإمبراطورية الرومانية في الغرب، فحارب الوندال في شمال أفريقيا، وهم يدينون بالعقيدة الأريوسية، فهزمهم وأعاد العقيدة الأثناسيوسية إليها،

(١) انظر تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر توفيق، (٨٢). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٢/ ٢٠٧). وانظر الدولة البيزنطية، د. السيد العريني، (٦٤).

وقضى على دولة الوندال تماما عام ٥٣٣م.

وقضى أيضا على العقيدة الأريوسية في إيطاليا عندما حارب القوط الشرقيين، وأزال دولتهم نهائيا عام ٥٥٤م. واستعاد الجزء الشرقي من إسبانيا حتى قرطبة عام ٥٥٤ أيضا.

وتعرضت الإمبراطورية الشرقية لهجوم من ملك فارس الجديد كسرى أنوشروان ٥٣١ -٥٧٩م الذي استغل انشغال جستنيان في الحرب من الناحية الغربية وهاجم الدولة بكل قوة واستولى على عدد من المدن وتقدمت جيوشه نحو الشام حتى أنطاكية، واستمرت الحروب سجالا بينهما زمانا طويلا.

وتعرضت أيضا الإمبراطورية الشرقية عند جبهة نهر الدانوب لغارات قبائل الهون سنة ٥٤٠م وسنة ٥٥٩م.

وكان لجستنيان دهاء سياسي استغله لمصلحته، بالإضافة إلى عمله لنشر الدين النصراني عن طريق البعثات التبشيرية التي حملت الدين النصراني إلى سواحل البحر الأسود وسهول الحبشة والواحات المتفرقة في أفريقيا، وكان ذلك من العوامل المميزة لسياسته، وقد نتج عنها نشر نفوذه إلى تلك الجهات، وتمكنت الإمبراطورية من أن تكون لنفسها عدة دويلات تابعة من العرب في الشام واليمن، والبربر في شمال أفريقيا، وقبائل لازي تزاني عند تخوم أرمينية، والهورلي وجبيداي واللمباريين والهون على الدانوب، وحتى ملوك الفرنجة البعيدين في غالة قد سمحو لأن يدعى في كنائسهم للإمبراطور الروماني[1].

وبعد موت جستنيان تداعت أعماله وسقط خلفاؤه في دوامة مقاومة الأعداء، وأصبحت الدولة في حاجة إلى بطل ينقذها من الأحوال الخطيرة التي تمر بها فكان هرقل - هرقليوس-.

(١) انظر تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر توفيق، ٧٢. وانظر الدولة البيزنطية، د. السيد العريني، (١١٥). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٢/ ٢٩٥).

الأسرة الهرقلية ٦١٠ – ٧١٧م:

اعتلى هرقل العرش وكانت الأخطار تهدد الإمبراطورية من كل حدب وصوب، فقد هجم الفرس على أملاك البيزنطيين وتوغلوا واستولوا على عدة مدن في الشام، بل واستطاعوا فتح بيت المقدس عام ٦١٤م ونهبوا المدينة وذبحوا أهلها وحرقوها، وقتلوا من النصارى ما يزيد عن خمسين ألفا، وأسروا أعدادا غفيرة منهم بطريرك بين المقدس زكريا، واستولوا كذلك على الصليب المقدس، ونقلوه إلى عاصمتهم، وأحرقوا كنيسة القيامة التي يوجد فيها الضريح المقدس.

هرقل الصليبي الأول:

حربه مع فارس:

أعد هرقل جيشا قويا بمساعدة بطريرك القسطنطينية سرجيوس الذي جمع له كنوز ونفائس كنيسته ليستعين بها، وبالفعل هاجم هرقل الفرس في عقر دارهم عام ٦٢٧م، وخاض معركة عظيمة ألحق فيها بالجيوش الفارسية هزيمة ساحقة، وكسر شوكة الفرس الذين اضطروا لعقد صلح مع البيزنطيين، وسلموهم الصليب المقدس. وقد اعتبر بعض المؤرخين هذه الحرب أول حرب مقدسة قامت بها أوروبا النصرانية؛ إذ لما صار هرقل قادرا على أن يتخذ خطة الهجوم على فارس، نذر نفسه وجيشه لله، ومضى على أنه محارب نصراني يقاتل قوى الظلمة[(١)].

حربه مع الآفار والصقالبة والبلغار والجبيد:

زحفت جحافل جيوش الآفار والصقالبة والبلغار والجبيد وعلى رأسهم خاقان الآفار لغزو القسطنطينية وحاصروها برا وبحرا، وقام بطريرك القسطنطينية سرجيوس بإثارة الحماس الديني في نفوس أهل المدينة، وألقى فيهم العظات البليغة، وبالدعوة إلى التهجد في الليل، وتنظيم المواكب الدينية، فتحمس الجيش ورد الأعداء على أعقابهم وكبدهم خسائر

(١) انظر تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر توفيق،١٠٢، وانظر الدولة البيزنطية، د. السيد العريني، ١٢٨.

فادحة، وأرغمهم على الانسحاب[1].

حربه مع المسلمين:

بعد أن أرسل له النبي محمد ﷺ يدعوه إلى الإسلام، حاربت الجيوش البيزنطية المسلمين في غزوة مؤتة وانتصر المسلمون بصعوبة عليهم، ولم تمض سنوات قليلة حتى فتح المسلمون كامل الأراضي البيزنطية التي استولى عليها هرقل في الشرق، فضلا عن فتحهم لبلاد الشام ومصر، ففي سنة ٦٣٤م فتح المسلمون حصن بصرى الواقع خلف نهر الأردن، ثم دمشق عام ٦٣٥م، وثم وقعت معركة اليرموك العظيمة عام ٦٣٦م التي ترتب عليه سقوط الشام، وقد فتح المسلمون بيت المقدس بعد استسلام أهلها، وتم الاتفاق بين الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبين البطريرك صفونيوس على تسليم المدينة.

وتتابعت الفتن والأزمات الداخلية والخارجية بعد وفاة هرقل حتى أواخر عهد الأسرة الهرقلية، ولم يتغير حال الإمبراطورية إلا في نهاية العقد الثامن الميلادي على إثر ظهور الإمبراطور ليو الأيسوري[2].

الأسرة الأيسورية ٧١٧م - ٨٠٢م:

عملت الأسرة الأيسورية على حماية الإمبراطورية من الاضمحلال والانكماش، وحاربت على كل الجبهات، وهو أبرز واقع للمجتمعات يتعلق بالحرب والسلام، وأما الحدث الأهم في هذه المجتمعات فهو ظهور الخلافات العقدية الكبرى حول عبادة الأيقونات أو الصور المقدسة، والتي أدت في نهاية الأمر إلى حدوث ثورات دموية داخل المجتمع النصراني لاضطهاد عباد الصور.

---

(١) انظر الدولة البيزنطية، د. السيد العريني،١٢٦، وانظر تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر توفيق، (١٠٠).

(٢) انظر الدولة البيزنطية، د. السيد العريني، (١٢٦). وانظر تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر توفيق، (١٠٠). وانظر السيرة النبوية الصحيحة في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي أحمد، مركز أبحاث الملك فيصل، ط. الأولى، (٥٤٤).

حرب الإمبراطور ليو الثالث مع المسلمين:

استطاع ليو الثالث أن يظهر براعة حربية أثناء محاولة المسلمين فتح القسطنطينية، وفقد أغلق مضيق البسفور بسلسلة ضخمة من الحديد، واستبسل هو وجنوده في الدفاع عن عاصمة دولته.

وتدريجا اتخذ الصراع بين المسلمين والبيزنطيين صفة الحرب المقدسة، ولم يرض كل طرف منهما بالنتائج الحربية، فلم يفتح المسلمون القسطنطينية ولم يسترد البيزنطيون بيت المقدس.

ويصور المؤرخ بارثولد حال المجتمعات النصرانية في بيزنطة، في بحث عنون له "آراء عن نهاية العالم في العصور الوسطى": (إنه نتيجة لهذه الأوضاع في الصراع بين الجانبين تطورت فكرة الدولة الظافرة إلى الدولة التائبة، وأصبح كل منهما يتوقع نهاية العالم، وبدا للناس في كل منهما أنه لا يمكن تحقيق أغراضهم إلا عندما يشرف العالم على نهايته)[(١)].

وقد سرت أسطورة في الأدب اللاتيني والأدب الإغريقي أنه قبل نهاية العالم، سيدخل حاكم نصراني القدس ويسلم تاجه العلماني للمسيح، أما المسلمون فتوقعوا أن نبوءة الرسول ﷺ بفتح القسطنطينية أوشكت على التحقق.

وقد كانت الحروب سجالا بين الفريقين، ولم يستطع المسلمون التوسع داخل الأراضي البيزنطية، فضلا عن فتح العاصمة في ذلك الوقت.

حروب قسطنطين الخامس:

وخلال تولى الأسرة الأيسورية مقاليد الحكم، استطاع قسطنطين الخامس القضاء على

---

(١) تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر توفيق، (١١٧).

الخطر البلغاري، والسلافي، وأعاد حكم بيزنطة لشبه جزيرة البلقان[1].

وقد اتجه النزاع حول الأيقونات في المجتمع النصراني البيزنطي نحو العنف المقدس والاضطهاد من قبل الإمبراطور قسطنطين الخامس؛ فبعد أن قاوم الرهبان بكل إصرار سياسته في رفض الأيقونات، قاموا بنشر عقيدتهم في أطراف الإمبراطورية، ولجأ قسطنطين للقمع بكل قوة حتى كسر شوكتهم وانتصر عليهم. ولكن النزاع حول هذه العقيدة استمر ولم ينقطع حتى نصرته الإمبراطورة ثيودورا في منتصف القرن التاسع الميلادي على إثر المجلس الديني المنعقد عام ٨٤٣م الذي اعترف بالأيقونات كجزء لعقيدة الكنيسة الأرثوذكسية[2].

الأسرة المقدونية ٨٦٧ -١٠٥٦م:

عاشت الإمبراطورية البيزنطية في حكم الأسرة المقدونية عصر حروب مستمرة حققت فيها انتصارات كبيرة ضد البلغار والروس وانتهت بدخول شعوب وملوك البلغار والروس في النصرانية، واستطاعت أن تقف في وجه الجهاد الإسلامي وتغزو المسلمين أيضا، ومن سمات عصر هذه الأسرة نمو نوع من الشعور الشعبي والولاء لها لكونها اتخذت صبغة شرعية، وكانت المجتمعات البيزنطية قد عانت من الفوضى لكثرة الثورات والانقلابات الداخلية.

الحروب الصليبية الأولى ضد المسلمين:

بعد أن كانت الإمبراطورية ملتزمة جانب الدفاع بصفة عامة خلال ثلاثة قرون، قامت في عهد الأسرة المقدونية بهجوم كبير وتمكنت جيوشها من التقدم والاستيلاء على أراض

---

(١) انظر تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر توفيق، (١١٨)، وانظر الدولة البيزنطية، د. السيد العريني، (١٤٨)، وانظر معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، د. محمود عمران، (٩٤).

(٢) انظر تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر توفيق، (١٤٢).

كانت في حوزة المسلمين وملكهم منذ فترة طويلة.

يقول المؤرخ الفرنسي رامبو عن حروب الإمبراطور قسطنطين السابع ٩١٣-٩٥٩م ضد الشرق أنه: (بدأ بأعماله هذه عصر الحروب الصليبية بالنسبة للشرق والغرب على حد سواء، أي بالنسبة للهلينستيين والفرنجة)[1]، وكان هدف هذه الحروب هو استرجاع المقدسات النصرانية من أيدي المسلمين، وهو نفس الهدف الذي قامت من أجله الحروب الصليبية مرة أخرى في القرن الحادي عشر الميلادي كما سيأتي.

وقد انتهج الأباطرة المقدونيون نهج الإمبراطور باسيل الأول ٨٦٧-٨٨٦م مؤسس هذه الأسرة التوسعية، مستغلين أوضاع المسلمين المتردية، فنجح البيزنطيون في الاستيلاء على عدة مراكز إسلامية مثل أرض روم وملطية، ثم الرها عام ٩٤٤م، في عهد قسطنطين السابع، وأحرزت مكاسب أخرى في عهد الإمبراطور رومانوس الثاني ٩٥٩-٩٦٩م، ومن تلك المكاسب استيلاؤهم على مدينة طرطوس التي كانت من أهم أربطة المسلمين، وأنطاكية وحلب، و كانت هذه الفتوحات من أعظم نتائج حروب الأسرة المقدونية.

حروب صليبية مقدسة:

ومما يبين أن حروب النصارى البيزنطيين حروب مقدسة قائمة على أسس دينية، ما فعله نقفور فوقاس قائد جيوش الإمبراطور رومانوس الثاني عند استيلائه على طرطوس، فقد نصب على مدخل المدينة علمين وناد مناديه: من أراد بلد الملك الرحيم وأحب العدل والإنصاف والأمن على المال والأهل والنفس والولد وآمن السبل وصحة الأحكام والإحسان في المعاملة وحفظ الفروج وكذا وكذا وعد أشياء جميلة، فليصر (فليسر) تحت هذا العلم ليقفل مع الملك إلى بلاد الروم، ونال من المسلمين بهتانا وزورا، دعاية للتنصير

(١) انظر تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر توفيق، (١٤٨).

والتبشير بالنصرانية.

ومما يثبت اعتقاد نقفور لقداسة الحروب التي يخوضها، تصريحه لمعاصريه قائلا: (إن جنوده يحاربون ويموتون من أجل خدمة الله، وعندما دخل نقفور إلى طرطوس وصعد منبرها قال لمن حوله: أين أنا؟!! فقالوا على منبر طرطوس. فقال: لا، ولكني على منبر بيت المقدس وهذه كانت تمنعكم). فقد كان نقفور ينظر إلى طرطوس كمجرد مقدمة لفتحه بيت المقدس، بل وكتب للخليفة العباسي يبكته ويسخر منه ويفتخر بذكر أسماء المدن الإسلامية التي استولى عليها، وهدده بالاستيلاء على مكة المكرمة وإقامة عرش المسيح بها.

ونتيجة لهذه الحملات استطاع البيزنطيون إقامة منطقة خاضعة لنفوذهم في شمال الشام قاعدتها أنطاكية التي ظلت في أيديهم حتى عام ١٠٨٤م، أي قبيل مجيء الصليبيين الغربيين بسنوات قليلة[١].

وانتهى عهد هذه الأسرة بعد أن دب الضعف فيها بعد موت الإمبراطور باسيل الثاني عام ١٠٢٥م وتولى بعده عدد من النساء والأباطرة الضعفاء حتى جاءت أسرة كومنين لتنقذ بيزنطة[٢].

الأسرة الكومنينية ١٠٨١-١٢٠٤م:

استطاعت الأسرة الكومنينية أن تعيد الحيوية لبيزنطة التي أنهكت قواها الفوضى الداخلية التي استمرت ثلاثة عقود، وقد كان عليها أن تقوم بمهمة شاقة لاستعادة توازن الإمبراطورية، فالمسلمون الأتراك كانوا قد وصلوا إلى قونية وثبتوا فيها، والأمم الصقلبية قويت شوكتها بالبلقان، والمجريون آخذون في التوسع على تأسيس دول مستقلة، وتزايد

---

(١) انظر تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر توفيق، (١٥٢ و١٦١).

(٢) انظر المرجع السابق(١٨٢).

طمع الغربيين اللاتينيين والبنادقة في الاستيلاء على أملاك بيزنطة.

وبالرغم ذلك فقد سجل آل كومنين صفحة نهائية من المجد للإمبراطورية البيزنطية، فقد تمكن الإمبراطور إلكسيوس مؤسس الأسرة ١٠٨١- ١١١٨ من صد الأعداء في الخارج وإعادة سلطة القانون والنظام داخل المجتمع البيزنطي.

ولم يختلف عنه خليفته يوحنا ١١١٨- ١١٤٢م بل استمر على سياسة والده، وقضى معظم أيامه في الحروب، وأحرز انتصارات عظيمة على البجناكيين، وخلص الإمبراطورية من عدوانهم، وانتصر على البلغار أيضا، عمل على توسيع رقعة دولته واستعادة ولاياتها المفقودة وإعادة الإمبراطورية إلى سالف عزها[١].

وفي عهد الأسرة الكومنينية بدأت الحملات الصليبية الغربية لاستعادة الأراضي المقدسة من المسلمين، بدعوة من الإمبراطور إلكسيوس نفسه والذي يعتبر أحد المسئولين عن الحملة الصليبية الأولى وكان الضعف قد أصاب هذه الأسرة كما أصاب أسلافها من قبل لعوامل عديدة، وكان من أهم الأحداث في عهد الأسرة الكومنينية الانهيار الكامل للعلاقات البيزنطية بين الشرق والغرب على السواء[٢].

وبعد انحراف مسار الحملة الصليبية الرابعة وكانت بيزنطة مرهقة ضعيفة، وقد عزل إلكسيوس الثالث أخاه اسحاق وسمل عينيه وأودعه وابنه السجن، إلا أن الابن استطاع أن يهرب ويستنجد بملوك الغرب طالبا المساعدة، واستغل الغرب هذه الفرصة وتمكنوا من الاستيلاء على القسطنطينية، وحكم المدينة ملك لاتيني هو بولدوين أمير فلاندر، وحكم الملك اللاتيني بونيفاس سلونيك، وعين أحد البنادقة بطريرك الكنيسة القسطنطينية[٣].

---

(١) انظر معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، د. محمود عمران، (٢٧٠)، وانظر تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر توفيق، (١٨٧).

(٢) انظر معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، د. محمود عمران، (٢٥٧).

(٣) انظر تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر توفيق، (٢٠٩).

وعلى إثر سقوط القسطنطينية بأيدي اللاتين قامت دول وإمارات لاتينية وبيزنطية، لكي تحكي لنا واقعا للمجتمعات النصرانية في تلك المنطقة أيضا، يثبت وجود الحروب والفتن الداخلية بين النصارى أنفسهم وبين أعدائهم، فلم يهنأ فرد نصراني بيوم واحد بحياة آمنة في تلك الفترة.

فقد أعلن بعض الأمراء البيزنطيين المنتمين لآل كومنين قيام إمبراطورية بيزنطية في نيقية سرعان ما اتسعت، وكان هناك هدف قائم لديهم هو انتزاع القسطنطينية من أيدي النصارى اللاتين، واستمرت الحروب بين أمراء وقياصرة البيزنطيين واللاتين، حتى استرد ميخائيل باليولوج ١٢٤٩-١٢٦١م القسطنطينية عام ١٢٦١م، وبقيت بعض الإمارات اللاتينية[(١)].

أسرة باليولوج ونهاية الإمبراطورية ١٢٦١-١٤٥٣م:

حاول الإمبراطور ميخائيل الثامن ١٢٦١-١٢٨٢م إعادة أملاك الإمبراطورية البيزنطية، وحقق بعض الانتصارات، ولكن دبت عوامل الضعف الداخلية في بيزنطة مجددا، فقد كان عهد آل باليولوج مليئا بالحروب والفتن والثورات الداخلية، فقد ثار أندرونيكوس الثالث على جده أندرونيكوس الثاني يحاول أن ينتزع العرش منه، استمرت الحروب بينهما عدة سنوات، وانتهى الأمر إلى انتصار الثوار وسقوط الإمبراطور.

وبعد عام ١٣٤١م انقسمت الإمبراطورية إلى جماعتين جماعة ارستقراطية وتناصر أسرة كانتاكوزين، وجماعة الشعب وتناصر أسرة باليولوج الشرعية، واستمرت الخلافات بين الأسرتين واستمرت الاضطرابات الداخلية، وحاول كل طرف الاستعانة بأطراف خارجية حتى فتح المسلمون العثمانيون القسطنطينية على يدي البطل محمد الفاتح، والذي أنهى الإمبراطورية البيزنطية وأزالها من التاريخ، وكانت آخر معاقلها إمبراطورية طرابيزون

(١) انظر تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر توفيق، (٢١٩).

التي فتحها محمد الفاتح في عام ١٤٦١م[(١)].

وبإبراز هذه المعالم التاريخية للأسر التي حكمت بيزنطة لأكثر من ألف عام، نكون قد عالجنا الجوانب الرئيسية لواقع الحرب والسلام في المجتمعات النصرانية في الجانب الشرقي من الإمبراطورية الرومانية، والتي كان أبرز خصائصها أنها متدينة متمسكة بالعقيدة النصرانية الأرثوذكسية، فقد اختار قسطنطين روما الجديدة -القسطنطينية- بأمر الرب، وحارب أعداءه وانتصر بصليب الرب، وتقلد مهمة الكاهن النصراني الأعظم في الإمبراطورية، ودعا لعقد المجامع الكنسية لتقرير العقائد النصرانية وتحريرها، وخلفه أبناؤه على ذلك، بل وقد حاربت بيزنطة باسم الدين حروبا كثيرة وفتحت بلاد كبيرة في آسيا وأفريقيا والبلقان، وتنصرت أمم هذه البلاد نتيجة للجهود العظيمة التي بذلت للتبشير بالنصرانية لقرون طويلة، وعندما جاء الفتح الإسلامي ورفض هرقل أن ينقاد لما عرفه من الحق و صدق نبوءة النبي محمد ﷺ، حاربته المجتمعات البيزنطية النصرانية المتدينة المسلمين باسم الدين، فقد كان رجال الدين ينظمون المسيرات الدينية داخل المجتمعات البيزنطية لحشد الجيوش لمقاتلة المسلمين.

وباختصار كان واقع الحرب والسلام داخل المجتمعات النصرانية البيزنطية واقعا دمويا من أجل الدين النصراني، وافقت فيه المجتمعات أن تكون تحت إمرة رجال الدين الذين تزعمهم الأباطرة على امتداد تاريخ بيزنطة الطويل.

* * *

(١) انظر المرجع السابق(٢٢٧).

المطلب الرابع
أثر عقيدة الحرب والسلام في العصر الحديث

تعد صفحة العصر الحديث لتاريخ واقع الحرب والسلام النفسي والاجتماعي في المجتمعات النصرانية من أعنف الصفحات التاريخية وأكثرها دموية عند النصارى، لا سيما في الجانب الغربي من الإمبراطورية الرومانية -وهي القارة الأوروبية -، ومن يقف على مثل هذا الواقع سيعلم أنه أمام مادة ضخمة جدا لمن أراد أن يأتي على تفاصيلها، وهي أيضا وإن كانت لا تختلف عن صفحات العصور الوسطى من حيث وجود الحروب والعنف المقدس، إلا أن نوعية هذه الحروب المقدسة ومع من تكون هو الذي اختلف في هذه المرحلة، فبعد أن كانت السمة الغالبة لتلك العصور، الحروب من أجل نصرة الصليب والصليبية، أصبحت السمة الغالبة لحروب العصور الحديثة الحرب بين الصليبين أنفسهم، فقد انقسم الصليب على نفسه انقساما ضخما تمثل في ظهور الصراع المذهبي الكبير بين الكاثوليك والبروتستانت، وهذا لا يعني عدم وجود الحروب من أجل نصرة الصليب والصليبية، بل كانت موجودة على حدود الأمم النصرانية مع المسلمين بشكل عام، وأيضا كانت موجودة بسبب ما أفرزته حركة الكشوف الجغرافية من طمع النصارى في نشر النصرانية -كما سيأتي- لكن المقصود الصراع الطائفي النصراني كان الحدث الأهم في العصور الحديثة، وهذا الصراع لم يخل أيضا من العوامل السياسية والنزاع على السلطة، بل اختلطت العوامل السياسة بالعوامل الدينية في كثير من الأحيان.

وقد أطلق المؤرخون على فترة انتقال أوربا مركز ثقل الأمم النصرانية من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة عصر النهضة أو البعث الجديد أو الولادة الجديدة، وهي من عام ١٣٠٠م إلى عام ١٥٠٠م وتمتد إلى ما يقارب عام ١٦٠٠م في بعض أجزاء أوروبا، وكان السبب الرئيس لهذه النهضة في الأمم الأوربية اطلاع هذه الأمم على الحضارة الإسلامية اطلاعا مباشرا عن طريق الشرق والغرب من عدة معابر، أهمها ثلاثة: هي شبه جزيرة أيبريا أولا، وجزيرة صقلية ثانيا، وبلاد الشرق الأدنى وما ارتبط بها من حروب

صليبية ثالثا[1].

وقد كان من أهم خصائص المجتمعات الأوروبية في عصر النهضة، أنها كانت مجتمعات علمانية، فصلت الدين عن الدولة والحياة وتمردت على الكنيسة ولم تخضع لسيطرتها الروحية ولا إلى ما تبثه من قيم أخلاقية، بخلاف مجتمعات العصور الوسطى التي اتخذت الكنسية مصدرا يوجه كافة جوانب الحياة النفسية والاجتماعية والاقتصادية والحربية وغيرها، وقد جاءت هذه النهضة بفلسفات ومذاهب فكرية جديدة في النظر للكون والإنسان والحياة، أحدثت تغيرات جذرية في طبيعة تلك المجتمعات في جمع المجالات، أهمها تمرد أفراد المجتمعات الأوروبية النصرانية على العبودية التي سبق وفرضها الإقطاع والكنيسة عليها، وانتزاعهما لحريتها منها، وأصبح كل فرد في هذه المجتمعات ينظر لنفسه أنه اللبنة التي يتكون منها بناء المجتمع.

ومن خصائصها أنها ظهرت متدرجة في المدن الأوربية فلم تظهر فجأة، بل تباعا المدينة تلو الأخرى ولكن في بطء شديد، فقد بدأت حركة النهضة في إيطاليا، وكان ذلك قبل منتصف القرن الرابع عشر، ثم انتقلت بعد ذلك إلى أصقاع المدن الأوروبية حتى انتهى التاريخ التقريبي الذي أطلقه المؤرخون لنهاية هذه النهضة في القرن السادس عشر الميلادي.

واتخذت النهضة أشكالا ومظاهر مختلفة باختلاف طبيعة البلاد التي ظهرت فيها، فكان طابعا دينا في بعض الدول الأوربية كألمانيا التي ظهر فيها مؤسس حركة الإصلاح الديني مارتن لوثر، بينما كان طابعها فنيا في إيطاليا[2].

وأما مظاهر تلك النهضة في المجتمع النصراني في تلك الحقبة الزمنية كانت تتمثل في

(١) انظر أوربا في مطلع العصور الحديثة، د.عبدالعزيز الشناوي(١٨)، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. السابعة.

(٢) انظر أوربا في مطلع العصور الحديثة، د.عبدالعزيز الشناوي(١٩). وانظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، و د.عبدالعزيز نوار، (٣١)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

الحركة العلمية الضخمة التي اهتمت ببعث الدراسات الإغريقية واللاتينية، وإنشاء الدور العلمية التخصصية، وظهور مخترعات جديدة أهمها الطباعة، واكتشاف البارود والمفرقعات في نهاية العصور الوسطى الذي نجم عنه ثورة في النظم الحربية استغلها الأوربيون ضد المسلمين استغلالا ترجم الحقد الدفين في نفوسهم تجاه الإسلام وأهله(١).

وقد تحول مقر البابوية في روما في نهاية العصور الوسطى إلى ما يمكن تسميته بـ"إمارة علمانية" ذات أطماع سياسة واسعة تعتمد على الغدر والنفاق وإشعال نار الحروب ابتغاء إخضاع شبه الجزيرة الإيطالية سياسيا للبابا، ومن ثم جمع البابا بجانب سلطته الدينية وكونه رأسا للكنيسة الغربية السلطة الزمنية والحكم الدنيوي أيضا، فأصبح جشعا شرها يطمع دائما في زيادة أملاكه، لا يختلف عن الملوك والأمراء المعاصرين له، وأصبح مقر البابوية مستنقعا للفساد والفسوق والرذائل(٢).

ولست أريد التأريخ لعصر النهضة الممهدة للعصور الحديثة، ولكن أردت الإشارة إلى واقع عام يقرب طبيعة حياة تلك المجتمعات، ولعل أهم ما يتعلق بهذا المطلب، هو ابتداع نظام الجيوش النظامية الذي غير أسلوب ملوك أوربا لطريقة حكمهم، فقد جهزت الجيوش لتكون على أهبة الاستعداد للدفاع عن الممالك في زمن الحرب والسلم، وقد ساعد ذلك في التخلص من أشراف أوربا وفرسانها الطامعين دوما في الاقتطاع من هذه الممالك، وكان اكتشاف البارود وما نتج عنه من إنتاج المفرقعات والقنابل أكبر معين للملوك ضد فروسية العصور الوسطى، فدكت معاقل الأشراف وحطمت حصونهم(٣).

وقد أخذ عصر النهضة في الاضمحلال والخبو مبتدءا بإيطاليا في نهاية القرن الخامس

---

(١) انظر أوربا في مطلع العصور الحديثة، د.عبدالعزيز الشناوي (٢٨)، وانظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، و د.عبدالعزيز نوار، (١٧).

(٢) انظر أوربا في مطلع العصور الحديثة، د.عبدالعزيز الشناوي (٢٦).

(٣) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (١٧).

عشر الميلادي، عندما بدأت ما أطلق عليه المؤرخون "الحروب الإيطالية"، والتي كانت مظهرا من مظاهر التنافس الدولي بين فرنسا وإسبانيا، فقد كانت شبه الجزيرة الإيطالية ميدانا لهذه الحروب، التي استمرت ما يقرب من خمس وستين سنة، وكان استيلاء جيوش بقايا الدولة الرومانية المقدسة على روما سنة ١٥٢٧ إيذانا بانهيار النهضة الإيطالية.

وأستطيع إجمال القول في توضيح ما له علاقة بهذا المطلب في النقاط التالية:

تأثير حركة الإصلاح الديني التي قام بها مارتن لوثر.

كان من أسباب نهاية النهضة في إيطاليا، تأثير حركة الإصلاح الديني الثورية في ألمانيا بزعامة مارتن لوثر على الإيطاليين[(١)]. فقد نظرت الثورة إلى الكنيسة في روما -باعتبارها

(١) لم تكن حركة الإصلاح الديني في أوربا ثورة مفاجئة، فالنصرانية تحمل في طياتها التناقضات الكفيلة بأن تقضي عليها من داخلها، ولكن ولحكمة يريدها الله عز وجل، جعل لرجال الدين النصارى القدرة على إغواء الأمم النصرانية، لدرجة أن يلبسوا على أممهم في جعل الدين الذي دعا إليه الرسول محمد ﷺ- ٦٥٠ - وهو متمم للدين الذي دعا إليه عيسى عليه السلام الرسول الذي أرسله الله تعالى لبني إسرائيل -أحد أهم الأسباب في تمسك الأمم النصرانية بالعقائد الشركية الفاسدة التي استقرت عليها، إلا النزر اليسير من الرهبان والقسس الذين استجابوا لربهم واتبعوا ما أنزل إليهم وما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد تعرضت أوربا الكاثوليكية على مدى العصور الوسطى والحديثة للعديد من الأخطار التي كانت تتجاوزها المرة تلو الأخرى، ويمكن تقسيم تلك الأخطار-بحسب العقيدة النصرانية- إلى قسمين: أخطار تعرضت لها في عصورها الأولى عندما كان الانقسام يدور حول مسائل عقدية معينة، وما تعرضت إليه النصرانية من خطر ظهور الإسلام وانتشاره في القرن السابع الميلادي، وما تبع ذلك من سقوط القسطنطينية في أيدي المسلمين الأتراك في القرن الخامس عشر الميلادي، وزحف المغول من الشرق على قلب أوربا. إلا أن الأخطار كانت في الواقع من عوامل تماسك الكنيسة ومقاومتها أعداء النصرانية في الخارج.

وأما أخطار القسم الثاني: فقد تجلت عندما خف الضغط الموجه من الخارج على العالم النصراني، فبعد أن بلغ النفوذ البابوي ذروته في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تعرضت البابوية لهزات عنيفة، وتغير مركز البابا عندما جمع بين صفته الدينية كرئيس للكنيسة، وصفة أخرى اكتسبها كحاكم دنيوي لا يقل عن الحكام =

مقرا للبابا- نظرة حاقدة بسبب سيطرتها المحكمة على أفراد العالم النصراني الكاثوليكي، ولذلك كانت ردة فعل الكنيسة في روما عنيفة، واعتبرت هذه الحركة الدينية الثورية نتيجة إحياء التراث الإغريقي القديم، وجد البابوات في محاربة هذه العلوم الدخيلة بقوة، واستعانوا ببعض ملوك أوربا المتعصبين للكاثوليكية(1).

ومن أهم ما يتعلق بهذا المطلب، نتيجة لحركة الإصلاح الديني، هو الثورات المسلحة بين المجتمعات الكاثوليكية الأوربية، التي قامت بها فرقة البروتستانت أو المحتجون الثائرون، ولم تكن الثورة في البداية تهدف إلى الخروج على الكنيسة، بل كانت تنادى بأن يتم الإصلاح من داخل الكنيسة، فقام كبار المصلحين في المرحلة الأولى من أمثال "روكلن" ١٤٥٥-١٥٢٢م و"إرزم" ١٤٧٧-١٥٣٦م، بإثارة المثقفين بكتاباتهم

=

والملوك، فصار يحكم ولايته زمنيا، وله بلاط ينافس بلاط الملوك والأمراء في الترف والانحراف، وفقدت البابوية هيبتها في القرن الرابع عشر وخاصة في الفترة مابين عامي ١٣٠٥ و١٣٧٧م عندما انتخب مجلس الكرادلة رئيس أساقفة بوردو بفرنسا ليعتلي عرش البابوية باسم البابا كلمنت الخامس، ورأى البابا الجديد أن يبقى في فرنسا، وتمت مراسم تولية البابا في ليون بدلا من روما، وجعل مدينة أفينون على نهر الرون مقرا جديدا للبابوية التي ظلت هناك حوالي اثنتين وسبعين سنة خاضعة للملكية الفرنسية حتى أطلق على هذه الفترة اسم "الأسر البابوي"، وبذلك فقدت البابوية الشيء الكثير من سمعتها وزعامتها العالمية، وزاد من انهيار المركز البابوي في عام ١٣٧٨م الانقسام البابوي العظيم الذي استمر حتى عام ١٤١٧م، فقد جرى انقسام بين الكرادلة نتج عنه اختيار اثنين من البابوات في آن واحد، أحدهما في أفنون، والثاني في روما، ولم تفصل القضية إلا في المجمع الكنسي في كونستانس ١٤١٤-١٤١٧م، وانتخب بابا روما مارتن الخامس، وتحدد مقر واحد وهو روما. انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، و د.عبدالعزيز نوار، (١٧).

(١) انظر أوربا في مطلع العصور الحديثة، د.عبدالعزيز الشناوي (٤٦)، وانظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، و د.عبدالعزيز نوار، (٢٣). وانظر قصة الحضارة، (٢٢/ ٨٦). وانظر تاريخ عصر النهضة الأوروبية، د. نورالدين حاطوم، (١٥٨)، دار الفكر، دمشق، ط.١٩٨٥. وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.

وانتقاداتهم للكنيسة وما توصلت إليه من انحلال وخرافات، وقام "إرزم" بترجمة الكتاب المقدس عام ١٥٢٦م، وكان لهذه الترجمة أثر بالغ في المجتمعات النصرانية، وذلك لكونه ترجمها عن النص اليوناني، وأظهر "إرزم" أن نسخة الكتاب المقدس اللاتينية التي اعتمدت عليها الكنيسة لم تكن الوثيقة الأصلية، وأن بها أخطاء في عدة مواضع، وانتشرت كتب إرزم وشروحه وتفسيراته في انجلترا بعد أن ترجمه إلى اللغة الإنجليزية[١].

وكان أثر هذين الزعيمين الدينيين وأمثالهما كبيرا في إثارة المفكرين والمثقفين الذين تبلورت في أذهانهم فكرة المعارضة العلنية للكنيسة ورجال الدين، وتهيأت المجتمعات النصرانية لقبول حركة الإصلاح الديني، وانتشرت هذه الأفكار في جميع مجتمعات أوربا، وظهر المصلح النصراني الكبير مارتن لوثر ١٤٨٣-١٥٤٦م في ألمانيا الذي أعلن احتجاجه على صكوك الغفران، وأعلن في وثيقة طويلة أن البابا لا يملك التدخل في غفران الذنوب، وأوليرخ زونجلي ١٤٨٤-١٥٣١م وجون كلفن ١٥٠٩-١٥٦٤م وكلاهما من سويسرا[٢].

وقد انبثقت هذه الثورة الدينية من واقع نفسي واجتماعي ذاقت فيه مجتمعات الأمم الأوروبية الأمرين من رجال الدين النصراني، الذين بلغوا المنتهى في الظلم والطغيان الروحي والنفسي، وابتزاز مشاعر البسطاء من الناس، وقهر وإجبار أصحاب العقول المتفتحة لقبول تناقضات الكنيسة، وقد ظلت المجتمعات الأوروبية ترزح تحت هذا الطغيان طيلة القرون الوسطى والحديثة أو ما يسمى بـ"قرون الظلام"[٣].

---

(١) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (٩٤). وانظر قصة الحضارة، ول ديورنت، (٢٢/ ٨٧). وانظر تاريخ عصر النهضة الأوروبية، د. نورالدين حاطوم، (١٦١). وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، (١/ ١٠٦).

(٢) انظر المراجع السابق، (١١٠).

(٣) من علامات التعجب الكبرى التي طرحت في التاريخ الحديث والمعاصر، لماذا لم تقبل المجتمعات النصرانية =

ومهما يكن من أمر فإن الهدف الذي نصبو إليه من هذه الفقرة هو أثر حركة الإصلاح في واقع الحرب، وهو واقع يصعب حصره، فقد كان دمويا جدا، ولم يستطع أن يصل المحتجون البروتستانت إلى ما وصلوا إليه من حقوق وإثبات وجود إلا بعد تضحيات تليها تضحيات أخرى مزجت فيها أجساد المناضلين من أجل هذه العقيدة -الضالة الفاسدة مع الأسف- بدمائهم وعرقهم، ومن أبرز معالم هذه الحروب والفتن ما يلي:

حرب الفرسان ١٥٢٣م:

الفرسان هم الذين كانوا يملكون إقطاعيات صغيرة، ومع نهاية العصور الوسطى فقدوا ما كان لهم من هيبة وسلطان بعد انحلال عهد الإقطاع، ورأوا في حركة الإصلاح فرصة لهم لاسترداد نفوذهم وثرائهم عن طريق ما نادى به لوثر من تحرير الكنيسة من أملاكها في ألمانيا، فقاموا بثورة عارمة مستغلين الإصلاح الديني وهاجموا الكنائس والأديرة ودمروا ما فيها من تماثيل ونفائس وطردوا الرهبان من الأديرة، واستطاع رجال الدين استمالة الأمراء لقمع الحركة، وبالفعل هزم الفرسان وتمكن الأمراء من دك حصونهم. وقد كان لوثر رافضا استعمال القوة لتأييد حركة الإصلاح الديني وأعلن ذلك، إلا أن الكنيسة اعتبرته مسؤولا عن هذه الحرب، ولذلك كان الأمراء يعادون ثورة لوثر، وكان ذلك إيذانا بحدوث انقسام بين طبقات الشعب الألماني(١).

=

على الإسلام، إذا كانت النصرانية تحمل في طياتها كل هذه التناقضات التي أدت في نهاية المطاف إلى هذه الثورة الكبرى والانقسام الكبير؟ ولا سيما أيضا أن النصارى قد عرفوا العقيدة الإسلامية عن قرب، واستفادوا من الإسلام في مجالات شتى منها العلوم التجريبية، التي كانت سببا للانطلاقة العظمى التي شهدوها فيما بعد!!!، وقد أجاب بعض العلماء عن هذا، أن اليهود كانوا سببا في انحراف الأمم النصرانية عن الدخول في الإسلام، ومع وجاهة هذا الرأي إلا أن اليهود ليسوا السبب الوحيد في انحراف أوروبا عن الإسلام.

(١) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (٩٨). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (٢٣/ ٧٢). وانظر تاريخ عصر النهضة الأوروبية، د. نورالدين حاطوم، (١٦٩). وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، (١/ ١٢٤).

حرب الفلاحين ١٥٢٤م:

والفلاحون هم أشد الطبقات بؤسا وظلما وهضما، فقد عانوا من ظلم الجميع لهم، ورزحوا تحت أعباء ثقيلة من حياة السخرة وفرض الضرائب من الأمراء ورجال الدين والأسياد الإقطاعيين، ومع ظهور حركة الإصلاح بدأت روح التذمر تحس بإشعاع جديد ونور حياة جديدة يحلمون فيها بأقل حقوق بني آدم، واعتقد الفلاحون أن الأوان قد آن لاستغلال مبادئ حركة الإصلاح، والتي منها حرية الإنسان، والتحرر من نير العبودية للأرض والإقطاعيين الجبابرة، وتخفيف ضريبة العشور التي تؤدى للكنيسة، ومنحهم الحق في اختيار رجل الدين الذي يريدون، وغير ذلك من الحقوق.

وقامت عدة ثورات انفجرت في نهاية عام ١٥٢٤م في معظم أرجاء ألمانيا، وكانت ذات طابع غوغائي، وطالب الفلاحون بالشيوعية في ملكية الأرض وغيرها، وبالغوا في أعمال العنف والتقتيل، وقابل الأمراء والنبلاء تلك الثورة بالمثل وقمعوها بقسوة، وتحالف الأمراء والفرسان مع القوات الإمبراطورية في تحطيم هذه الثورة فكان لهم ذلك(١).

اتحاد البروتستانت في حلف شمالكالد ١٥٣٠م:

عقد الإمبراطور شارل الخامس عدة مجالس لبحث مسألة البروتستانت وتنفيذ القرار الصادر بحق مارتن لوثر بطرده خارج القانون وإهدار دمه، ثم خفتت حدة التعامل مع البروتستانت وطلب من زعمائهم في المجالس الأخيرة الاجتماع مع نظرائهم من الكاثوليك ومحاولة الوصول إلى حل يرضي جميع الأطراف، ولم تفلح الجهود، وهددهم

(١) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (١٠٠). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (٢٣/ ٧٥). وانظر تاريخ عصر النهضة الأوروبية، د.نورالدين حاطوم، (١٧١). وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، (١/ ١٢٥).

الإمبراطور في نهاية الأمر، وأمهلهم فترة قصيرة للإقلاع عن هذه الأفكار وإلا ضربهم بيد من حديد.

عند ذلك اجتمع قادة البروتستانت في مدينة شمالكالد، وتعاهدوا على عدم الرضوخ لمطالب الإمبراطور، وعدم التنازل عن مبادئهم والدفاع عنها حتى الموت "وإن تعرض فريق منهم للعدوان في سبيل كلمة الله ومذهب الكتاب المقدس هب الجميع لنصرته بكل ما يملكونه من قوة ومساعدته على الخلاص"، وعزموا على إنشاء جيش نظامي، ووضعوا له جميع الخطط الحربية الكفيلة بانتصاره، واشترك في قيادة الجيش أمير سكسونيا وهي الولاية التي ناصرت حركة الإصلاح الديني منذ نشأتها، وكذلك ناصر هذا الجيش كثير من حكام ولايات ألمانيا، بل واستعانوا بأعداء الإمبراطور خارج ألمانيا من أمثال فرانسوا الأول ملك فرنسا الذي هزمه الإمبراطور في إيطاليا، وهنري الثامن ملك إنجلترا الذي كان يحقد على الإمبراطور[1].

حرب مهلبرج ١٥٤٧م:

حاول الإمبراطور شارل الخامس التفاوض مع البروتستانت وأرسل إليهم البابا بول الثالث إلى مجلس ديني في ترنت عام ١٥٤٥م ورفض البروتستانت الجلوس مع البابا، وعندها قرر الإمبراطور استخدام القوة ضدهم، وفي ذلك الوقت مات مارتن لوثر، وهاجم جيش الإمبراطور، الجيش البروتستانتي في موقعة مهلبرج عام ١٥٤٧م، وهزمت القوات البروتستانتية هزيمة ساحقة، ووقع قادة الجيش البروتستانتي في الأسر، وبعد ذلك حاول الإمبراطور مرة أخرى أن يوفق بين الكاثوليك والبروتستانت، ولكنه لم يفلح نظرا لعلاقته السيئة بالبابا بول الثالث الذي كان يبادله الكراهية وعدم الثقة، ولذلك

---

(١) التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (١٠٥). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (٢٣/ ١٧٠). وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، (١/ ١٢٩).

خاف البابا من أن يحفز هذا الانتصار الإمبراطور في التوسع في بسط نفوذه على إيطاليا، ومن ثم إخضاع الكنيسة له، ولذلك تحالف مع ملك فرنسا ضد الإمبراطور شارل الخامس.

صلح اوجزبرج الديني التاريخي ١٥٥٥م:

بالرغم من الهزيمة الساحقة التي لحقت بالبروتستانت، إلا أن هذه الهزيمة جعلتهم أكثر تمسكا بمذهبهم، وحرص أمراء البروتستانت على المحافظة على تمسك الجماعة البروتستانتية بعقيدتها، مما أثار عجب الإمبراطور شارل الخامس، وآثر المحاولة مرة أخرى للتوفيق بين المذهبين الكاثوليكي والبروتستانتي بدلا من الاستمرار في تحطيم هذا المذهب الجديد.

وبالفعل كلف الإمبراطور بعض علماء الكاثوليك بالاستماع إلى مطالب المحتجين، وصدر نظام مؤقت أشبه بالهدنة، إلا أنه انهار في نهاية الأمر، ولم يرض به أحد الطرفين، وعاد الصراع جذعا بين الولايات الكاثوليكية ومثيلاتها البروتستانتية التي وجدت الدعم من فرنسا، واستخدم الإمبراطور القوة وأمر القوات الأسبانية بأن تهاجم البروتستانت، ولكن هذا التصرف جعل بعض قادته الكبار يشق عصا الطاعة عليه، فقد خرج عليه موريس ناخب سكسونيا الذي انضم إليه من قبل وعاد إلى صفوف البروتستانت الذين اكتسبوا بعودته قوة جديدة، وحققوا عدة انتصارات على الإمبراطور بالاشتراك مع بعض القوات الفرنسية، وفي نهاية الأمر اضطر الإمبراطور لمغادرة ألمانيا إلى أسبانيا وترهب في أحد الأديرة وأوكل شؤون الإمبراطورية لأخيه فرديناند وابنه فيليب، الذي اضطر هو الآخر لعقد صلح مع المحتجين في مدينة اوجزبرج عام ١٥٥٥م، وكان هذا الصلح بمثابة انتصار كبير للبروتستانت، وأدى إلى تقسيم ألمانيا إلى دويلات صغيرة، وساد المذهب البروتستانتي اللوثري معظم هذه الدويلات، وكان لهذا الاستقرار آثار ضخمة في انتشار البروتستانتية خارج الحدود الألمانية إلى الدول الإسكندنافية وسويسرا ثم بعد ذلك فرنسا وانجلترا، ومعظم الدول الأوروبية.

وبهذا الصلح توقفت حرب دينية أهلية اعتقد كل فريق فيها أنه يخوض حربا مقدسة استمرت قرابة ثلاثين عاما[1].

الثورة الدينية المسلحة في سويسرا:

أشعل الزعيمان البروتستانتيان أوليرخ زونجلي ١٤٨٤-١٥٣١م وجون كلفن ١٥٠٩-١٥٦٤م الحركة الثورية الدينية في سويسرا، وكان زونجلي في مقدمة المحاربين الذي قاتلوا الكاثوليك مرتين، وفي موقعة كابل عام ١٥٣١م انتهت الحرب بهزيمة الجيش البروتستانتي، وقتل زونجلي وأحرقت جثته، ومع ذلك استمرت الثورة في نفوس المجتمع السويسري وصمدت مما اضطر الكاثوليك لقبول الصلح معهم عام ١٥٣٢م، وكانت بنود الاتفاق تنص على أحقية كل مقاطعة ومدينة في التدين بالطريقة والمذهب الديني الذي تريده[2].

الثورة الدينية تؤدي إلى حرب بين الأمم الأوروبية في البرتغال -الأراضي المنخفضة-:

كان فيليب الثاني ١٥٥٦- ١٥٩٨م ابن الإمبراطور شارل الخامس متعصبا للكاثوليكية، وتعهد للكنيسة بالدعم المطلق والكفاح المسلح للقضاء على البروتستانتية، وإعادة مجد الكاثوليكية لا في المناطق التي نصب عليها ملكا فقط ولكن في سائر مدن العالم.

وفي المقابل استطاعت البروتستانتية تحقيق مكاسب عظيمة، وانتزاع الكثير من الكنائس الكاثوليكية، بسبب اعتناق مجتمعات عديدة لهذه العقيدة، وظهور دعاة لها

(١) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (١٠٨-١١٢). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (٢٣/ ١٩٦-٢٠٤). وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، (١/ ١٣٢).

(٢) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (١٠٨-١١٢). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (٢٣/ ١١٠).

ينادون بالإصلاح في جميع الكنائس الأوروبية، وقد تعاهدوا على الصمود في وجه الهجمة الكاثوليكية المسلحة والاستعداد لها ومقاومتها باللسان والسنان[1].

وتطورت الأمور حتى أضحت الحرب مستعرة عنيفة دموية بين معظم الشعوب والأمم والدول الأوروبية التي انقسمت إلى فريقين، كل منها تعصب لمذهبه وعقيدته، وكان لمحاكم التفتيش التي كانت تتعقب البروتستانت وتحكم عليهم بالحرق وعلى كل من تحوم حوله شبهة التعرض للمذهب الكاثوليكي، الأثر البالغ في تأجيج سعير نار الحروب الدينية في أوروبا بأسرها في الأراضي المنخفضة بصفة خاصة.

وفي عام ١٥٦٦-١٥٦٧م انفجرت ثورة عارمة في البرتغال على أيدي البروتستانت، هدمت الكنائس الكاثوليكية والأديرة ونهبت ما فيها، فقدت حطمت هذه الثورة في أسبوع واحد قرابة أربع مئة كنيسة، وامتدت الثورة عبر البلاد المنخفضة بأسرها حتى وصلت أمستردام وانتورب في هولندة وغيرها، وقابل الملك فيليب الثاني هذه الثورة بعنف وأرسل أفضل قوادة لكسرها وإخمادها، وتم له ذلك بالفعل وقتل من الثوار في تلك الفترة عشرات الآلاف وهرب ثلاثة أضعافهم من البلاد المنخفضة كلها.

ثم بعد ذلك استطاعت هولندة أن تستغل انشغال الملك فيليب عنهم في حروبه الأخرى التي يحافظ بها على أملاكه الأخرى، وذلك بالإضافة إلى حربه مع إنجلترا التي دمرت أسطوله البحري عام ١٥٨٠، واضطراره إلى إرسال النجدات إلى الكاثوليك في فرنسا.

وظلت الحرب مستعرة بين الهولنديين والإسبان الذين كانوا يرزحون تحت أعباء الحروب التي يخوضونها في الميادين الأوروبية العديدة مما أضعفهم عسكريا واقتصاديا

(١) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (١١٩). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (٢٥/ ٢٤٢).

حتى اضطروا إلى عرض هدنة طويلة على الجمهورية الهولندية مدتها اثنتا عشرة سنة، بدأت عام ١٦٠٩م وكانت بمثابة اعتراف ضمني باستقلال هولندة عن إسبانيا.

ثم بعد انقضاء هذه المدة اندلعت الحرب مرة أخرى واستمرت حتى تم توقيع معاهدة وستفاليا عام ١٦٤٨م وكانت أيضا بمثابة اعتراف نهائي باستقلال هولندة.

وكان لنجاح الثورة الهولندية وانتصارها –على دولة من أعظم الأمم الأوروبية قوة– أثره البالغ في حفظ وتقوية كيان المذهب البروتستنتي الذي اجتاح الأمم الأوروبية(١).

الثورة الدينية المسلحة في فرنسا:

كان لاتفاق الملك فرنسوا الأول مع البابا ليو العاشر في عام ١٥١٦م في بولونيا، أثره الواضح في عدم تحمس ملوك فرنسا للبروتستانتية؛ ذلك لأنه بموجب هذا الاتفاق اعترف البابا بحق الملك في تعيين الأساقفة ورؤساء الأديرة في بلاده، فازدادت بذلك سلطة ملوك فرنسا تجاه الكنيسة ورجال الدين(٢).

وبعد أن ضاقت الكنيسة الكاثوليكية ذرعا بتجاوزات البروتستانتيين، بدأ في عام ١٥٣٥م بطش الملك فرنسوا الأول للمحتجين البروتستانت واضطهادهم اضطهادا شديدا، وعلى رأسهم كلفن الذي اضطر إلى الفرار إلى سويسرا التي ألف فيها كتابا أسماه "مبادئ الدين المسيحي"، وأعد رسالة وجهها إلى الملك فرانسوا الأول بعنوان "رسالة إلى

---

(١) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار،، (١٢٢-١٣٠). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (٢٣/ ٢٤٧). وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، (١/ ١٣٣).

(٢) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (١٤٦). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (٢٣/ ٢٠٥). وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، (١/ ١٣٥).

فرانسوا الأول"، وقد كان لهذين الكتابين أثرهما الكبير في سير الثورة البروتستانتية في فرنسا التي اختارت أفكار كلفن عوضا عن لوثر[1].

ثم تولى مقاليد الحكم بعد فرانسوا الأول الملك هنري الثاني ١٥٤٧- ١٥٥٩م ثم فرانسوا الثاني ١٥٥٩-١٥٦٠م، ثم شارل التاسع ١٥٦٠- ١٥٧٤م، وكانت السمة الغالبة لحكم هؤلاء الملوك هي استمرار الاضطهاد، وارتكاب مذابح رهيبة وحروب طاحنة، كان أغلب ضحاياها من الثوار البروتستانت الذين أطلق عليهم في فرنسا اسم "الهيجونوت"[2].

ثم تولى العرش الفرنسي الملك هنري الرابع ١٥٨٩-١٦١٠م، وقد اعتبر(اعتبره) المؤرخون عهد مرحلة جديدة غنم فيها البروتستانت باعتناق الملك لمذهبهم، وقد أدى ذلك لانقسام المملكة إلى قسمين.

وظل الانقسام على أشده حتى تولى الوزارة الكاردينال ريشلية الوزارة في عهد الملك لويس الثالث عشر عام ١٦٢٤، واستمر ولمدة تقرب من ثمانية عشر عاما ١٦٤٢ كان فيها الحاكم الحقيقي لفرنسا والمحرك الأكبر للسياسية الأوروبية أن يضرب بيد من حديد ثورة خطط لها البروتستانت الهيجونوت[3].

حرب الثلاثين عاما الأممية ١٦١٨-١٦٤٨:

بدأت نار الحرب الدينية بين القوتين الكبيرتين المصارعتين في التوسع بين الدول

(١) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (١٤٨-١٦٠). وانظر قصة الحضارة، ول ديورانت، (٢٣/ ٢١٠-٢١٥). وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، (١/ ١٣٦).

(٢)انظر المراجع السابقة.

(٣) انظر المراجع السابقة.

الأوربية بشكل يستحيل معه كبح جماح سعيرها، وقد اختلط مع النزعة الدينية لهذه الحروب دوافع سياسة أيضا، ففي ألمانيا استطاع أمراء الشمال والجنوب من البروتستانت عقد "الاتحاد البروتستانتي" عام ١٦٠٨م، وفي مقابل ذلك عقد الكاثوليك "الحلف الكاثوليكي" عام ١٦٠٩م ولم يعد الأمر مجرد حرب دينية بين منشقين في قطاع مملكة واحدة، بل أصبحت الحرب دولية بين أمم مختلفة، وانقسمت حرب الثلاثين عاما هذه إلى أربع مراحل:

الأولى الحرب البوهيمية ١٦١٨-١٦٢٥م، والثانية الحرب الدنمركية ١٦٢٥-١٦٢٩م، والثالثة الحرب السويدية ١٦٣٠-١٦٣٥م، والرابعة الحرب السويدية الفرنسية ١٦٣٥-١٦٤٨م، وهي حروب يصعب التفصيل فيها ولكن يجمعها التعصب الديني لكل من طرفي النزاع، ولم تنته هذه الحروب إلا بعد عقد صلح وستفاليا عام ١٦٤٨م، بعد أن شهدت ألمانيا الكاثوليكية هزائم متعددة، ورضخت الكنيسة واعترفت بالبروتستانت.

وتغيرت الأوضاع السياسية في الدول الأوروبية، فقد تركت هذه الحروب أثرا سيئا على الإمبراطورية الرومانية المقدسة -المتمثلة في الإمبراطور فرديناند الثالث ١٦٣٧-١٦٥٧م ومقره ألمانيا- فانسلخت عنها الكثير من الولايات، واعتبر المؤرخون صلح وستفاليا نهاية عصر الإصلاح الديني، فقد أصبحت معالم الدين في المجتمعات الأوربية واضحة، وفشل كل طرف من طرفي النزاع في تحطيم الآخر، فكان لا بد من بقاء المذهبين في المجتمع الأوروبي، وفرض مبدأ التسامح الديني كخيار وحيد للطرفين[1].

(١) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (١٤٨). وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، (١/ ٢٨١).

الدور البابوي في حركة الكشوف الجغرافية البرتغالية والإسبانية:

نشطت البابوية في تحريك المجتمعات النصرانية في القارة الأوروبية ضد العالم الإسلامي مجددا؛ وذلك عن طريق دعوة ملوك أوربا بسرعة مواجهة المد الإسلامي وصده عن أوربا أولا، وذلك بالقضاء عليه تماما في إسبانيا، ومن ثم مهاجمته من الجنوب، وكل ذلك بسبب ارتباك التجارة، وانهيار طرقها البرية والبحرية في آسيا وأوربا عبر البحر الأسود والمضايق والأناضول، وهنا كان لا بد من التفكير في التوجه إلى البحر من الناحية المعاكسة لهذه الطرق الشائكة التي أصبحت سدا منيعا في وجوه النصارى، فنشأت فكرة الالتفاف حول العالم الإسلامي ومهاجمته من المؤخرة، والاستيلاء على أورشليم من الخلف[1].

فقد كان التفكير التقليدي لدى الأوربيين، أن يتم اختراق العالم الإسلامي إما عبر الآستانة (القسطنطينية) أو عبر الشمال الأفريقي، ولكن ظهور الدولة العثمانية في هذه المرحلة، جعل العبور نحو المشرق أمرا يحسب له ألف حساب، فقبل ظهور العملاق الإسلامي العثماني أثناء عصر السلاجقة كان اختراق المشرق أمر ممكنا، ولذلك دعا البابا غريغريوس إلى شن حروب صليبية ضد الأتراك السلاجقة المسلمين في الشرق، وحققت الحروب التي قامت على إثرها شيئا من الانتصارات على المسلمين، فقد كانت الإمارات السلجوقية التي واجهت الجيوش الصليبية مفككة العرى مختلفة فيما بينها، أما في هذه الفترة فإن العثمانيين المسلمين قد أقاموا دولة قوية في آسيا الصغرى وفي جزء من جنوب شرق أوربا، وأشرفوا على شواطئ شرق البحر المتوسط، فظهرت دولتهم قوية مستقرة، مما دعا البابوية للتفكير مرة أخرى بالإعداد لحملة صليبية، تكون مهمتها حماية أوربا من الإسلام الذي يهددهم مجددا، وقد تبلورت الفكرة وظهرت الدعوة إلى إنشاء اتحاد دولي

(١) صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، غسان الرمال، (٢٠)، دار العلم للطباعة والنشر، جدة ١٤٠٦هـ. وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، (١/ ٢١٢).

أوربي أو إنشاء مملكة نصرانية تعمل لصالح أوربا من خلال شن هجوم على العثمانيين، وكإجراءات عملية أصدرت البابوية مجموعة من المنشورات والمشاريع ضد العثمانيين كلما اتسعت رقعة دولتهم وأحست بخطورتهم، ومن ذلك ما حدث عقب سقوط القسطنطينية، حيث تمكنت البابوية من إعداد حملة صليبية ضخمة ضد العثمانيين، لكن ملك البرتغال الفونس الخامس تمكن من توجيه هذه الحملة من الآستانة إلى المغرب حتى يتمكن الحلفاء من إرساء قاعدة بحرية في الشمال الأفريقي، تنطلق منها الأساطيل والجيوش لغزو العالم الإسلامي مستقبلا، وقد وقع الاختيار على مدينة طنجة، غير أن الفشل كان مصير هذه الحملة(١).

وفي الوقت الذي اندفع فيه البرتغاليون بأساطيلهم البحرية لكشف ساحل إفريقيا الغربي بمباركة البابوية، استطاعت البابوية الكاثوليكية أيضا إقناع الروس المسكوفيين الأرثوذكس لشن حرب صليبية ضد المسلمين، حيث تمكن إيفان الثالث الكبير عام ١٤٨٠م من مهاجمة بلاد الإسلام الواقعة على البحر الأسود وبحر قزوين وهضبة البامير، وهو يهدف الاستيلاء على القسطنطينية والمضايق وإعادتها للأرثوذكس، وكان عند استيلائه على المدن الإسلامية يذبح من استطاع من أهلها، ويجلو عنها من بقي منهم(٢).

وقد حاولت البابوية اختراق الدولة العثمانية وإذكاء نار الفتنة الداخلية بين السلطان بايزيد وأخيه جم ولم تفلح، وعملت جاهدة على عقد أحلاف متعددة ضد الخطر الإسلامي الوشيك عليها وعلى أوربا، ولذلك واجه العثمانيون في بداية العصور الحديثة خطر الأحلاف التي تمت بمباركة البابوية، والتي كان أهمها الحلف الذي عقد ضدهم بعد

---

(١) انظر صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، غسان الرمال، (٢٤). وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، (١/ ٢١٣).

(٢) انظر صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، غسان الرمال، (٢٥). وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، (١/ ٢١٥).

أن فتحوا مدينة القاهرة عام ١٥١٧م، فاستغل البابا فرصة اشتغال السلطان سليم وخروجه من عاصمته فطلب من ملوك النصارى عقد هدنة فيما بينهم لمدة خمس سنوات لمواجهة المسلمين، وتم ذلك بالفعل، ووافقت فرنسا وأسبانيا وانجلترا والبرتغال وبولونيا والدانمرك على عقد هذه الهدنة، وصادق البابا على العقد بنفسه، ولكن النزاع في أوربا كان ذا جذور عميقة، وبمجرد أن توفي إمبراطور أسبانيا مكسمليان عام ١٥١٩م، واستمر العثمانيون في فتوحاتهم حتى فتحوا بودابست ومعظم بلاد المجر، انهارت الهدنة قبل أن تنقضي مدتها بسنوات[1].

ومما يسجل للنشاط البابوي الأوروبي في العصور الحديثة، استغلال البابوية لحركة الكشوف الجغرافية في نشر الدين النصراني، ويعتبر امتثال شعوب أوربا لدعوة الكنيسة لنشر النصرانية في البلدان المكتشفة، تعبيرا واقعيا عن الروح الصليبية التي تعصبت لها المجتمعات النصرانية الأوروبية في العصور الوسطى، فقد كان الأوربيون وبالأخص الأسبان يجمعون المعلومات من خلال الرحلات الاستكشافية عن البلدان التي يمكن التبشير فيها بالدين النصراني الكاثوليكي والتوغل فيها باسم الدين، وهم يهدفون بذلك أيضا للانتقام من المسلمين، ومن دلائل ذلك أن البحار البندقي خرستوف كولومبس -مكتشف أمريكا- الذي كلفه الأسبان بالقيام برحلته غربا حتى يصل إلى الهند وأسواق الشرق، قد عزم على أن يستخدم الأموال والثروات التي سيجنيها من الشرق لتحرير بيت المقدس من المسلمين[2].

وكان البابوات قد ألهبوا حماس المغامرين من النصارى نحو الاندفاع في المزيد من الكشوف الجغرافية واحتلال المزيد من البلدان وتنصيرها، ووعدوهم بأن غفران الرب والسعادة الأبدية في الآخرة ستكون من نصيب من يسهم في اقتحام بحر الظلمات لتحقيق

(١) انظر المراجع السابقة.

(٢) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (٢٣). وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، (١/ ٢١٨).

هذا العمل المقدس، مضافا إلى ذلك الدعم المادي الذي سيناله هذا المغامر المتدين، وذلك بمنحه صكوكا بملكية الأراضي المكتشفة والتي ستكتشف، وكان من أهم وسائل الشحن النفسي والتعبئة العامة في نفوس هؤلاء المغامرين المتدينين، أنهم بهذا العمل النبيل سيسهمون في القضاء على الطاعون الأكبر وهو الإسلام، الذي يمنع انتشار الدين النصراني بين الشعوب الوثنية في الأراضي المكتشفة(١).

ومما ساهم أيضا في إلهاب حماس تلك المجتمعات المتدينة، دور البابوية في رسم صورة أسطورية يمكن تحقيقها مع المملكة النصرانية الموجودة جنوب مصر، وتمثل ذلك في إمكانية جر الحبشة إلى ساحة القتال ضد المسلمين، وفتح جبهة صليبية قوية في منطقتهم، وقادت البابوية حملة لتأليب المجتمعات النصرانية الأوربية لتحقيق هذا الهدف، وكان البرتغاليون يندفعون في صمت حول السواحل الإفريقية آملين في تحقيق حلم زعيمهم الأمير هنري بمقابلة القديس يوحنا.

ففي عام ١٤١٥م قام الأمير البرتغالي هنري ١٣٩٤- ١٤٦٠م الملقب بالملاح وهو الابن الثالث لملك البرتغال يوحنا الأول بشن حروب ضد المسلمين في شمال أفريقيا تشبه الحروب الصليبية الأولى، وكان يأمل من غزو الشمال الإفريقي أن يصل إلى أسواق الهند والشرق قاطبة، وأيضا أن يصل إلى مملكة القديس يوحنا في بلاد الحبشة، وهي المملكة النصرانية التي كان الأوروبيون يسمعون أن بها ملكا قويا يمكن أن يحالفوه لهزيمة جيوش الدول الإسلامية التي تحتكر التجارة(٢).

---

(١) انظر صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، غسان الرمال، (٢٢). وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، (١/ ٢١٩).

(٢) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، =

يقول المؤرخ فيشر: (لا يمكن القول بأن الدافع لاكتشاف العالم الجديد لا يتعدى الرغبة في الحصول على التوابل والذهب، إذ اختلطت المشاعر الدينية بالمطامع الاقتصادية. ففي الفاتيكان وخصوصا لدى الفرنسسكان الذين كانت مشروعاتهم التبشيرية تمتد إلى العالم بأسره كانت مشروعات البرتغال وإسبانيا تثير أكبر قسط من الاهتمام، لا لأنها ستكون وسيلة إلى تنصير الوثنيين فحسب، بل ستفضي أيضا إلى شن هجوم على المسلمين من ناحية الشرق، كان المعروف أن نجاشي الحبشة مسيحي، وكان المعتقد أنه لا تزال توجد في الهند نتيجة لبعثة القديس توما دولة مسيحية يحكمها عاهل يعرف بالخان الأكبر، وكان يداعب أوربا الكاثوليكية أمل كبير في أن تتلقى من هؤلاء الملوك المسيحيين الشرقيين البعيدين مساعدة فعالة في حرب صليبية ضخمة أخيرة تشنها على المسلمين. تلك هي الخطة التي رسمها البابا نقولا الخامس منذ عام ١٤٥٤م في مرسوم بابوي أرسله ملك البرتغال. وفي هذا الجو المفعم بالآمال الكبار أقلع كولمبس ليكتشف الطريق إلى الهند غربا)[1].

وقد نشب صراع عنيف بين البرتغاليين والأسبان بسبب أن كلا منهما كان يسعى لتأمين حقه في الأراضي الجديد التي اكتشفها، والطرق الملاحية التي تؤدي إليها، والثروات التي ستجنى منها، ولما بلغ الصراع ذروته قبل الطرفان اللجوء إلى البابا اسكندر السادس بورجيا، وقررا قبول حكمه، وبالفعل حكم البابا بأن تقسم كل الأراضي والجزر المكتشفة والتي سيتم اكتشافها بين الطرفين، وذلك لحرص البابا على أن لا يؤدي الخلاف بين الطرفين إلى إضعاف القوة الصليبية في شبة جزيرة أيبيريا إذا نشبت حرب كبيرة بينهما، وانتهى الأمر إلى عقد البابا معاهدة بين الطرفين في مدينة

=

(٤٦-٤٩). وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، (١/ ٢١٠).

(١) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (٦٠).

توردیسيلانس عام ١٤٩٤م[١].

وقد أثرت هذه الكشوف الجغرافية تأثيرا سيئا على تجارة الدول الإسلامية، فقد كان التجار المسلمون وسطاء ملاحة وتجارة بين الشرق المتمثل في الهند والصين والغرب المتمثل في أوروبا، ولكن بعد أن اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح (فاسكوداجاما)، وسيطروا على الموانئ الواقعة على المحيط الهندي التي كان المسلمون يستخدمونها في تجارتهم، قضي على تلك التجارة قضاء شبه تام، وحل البرتغاليون محل المسلمين في احتكار التجارة الشرقية وطردوهم من الطرق البحرية الشرقية، واستولوا على الجزر التي يستطيعون منها إغلاق البحر الأحمر والخليج العربي في وجه الملاحة الإسلامية[٢].

وتطور الأمر إلى احتلال البرتغاليين لأجزاء كثيرة من السواحل الهندية، وتهديد أمراء المسلمين في الهند الذين استنجدوا بحكام البلاد العربية الإسلامية لصد هذه الغزوات الصليبية، وبالفعل استجاب سلطان مصر المملوكي وأعد أسطولا حربيا ضخما لحرب البرتغاليين في أعالي البحار الشرقية، ووقعت معركة (ديو) البحرية عام ١٥٠٩م التي استطاع فيها القائد البرتغالي ألميدا أن يهزم الأسطول المملوكي الإسلامي[٣].

وواصل البرتغاليون سياستهم الاستعمارية واستطاعوا تكوين إمبراطورية في أجزاء من أفريقيا وآسيا وعملوا جاهدين لتنصيرها، وتطور الأمر بعد أن استطاع البرتغاليون التجول داخل البحر الأحمر، واستطاعوا الاقتراب من تحقيق أحلام أوربا في إسقاط دولة المماليك التي طالما فشلوا في إسقاطها، بل وأكثر من ذلك فقد حاولوا اقتحام الأماكن

---

(١) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (٤٩-٥٠). وانظر صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، غسان الرمال، (٢٧).

(٢) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (٥٢-٥٣). وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، (١/ ٢٢٠).

(٣) انظر المراجع السابقة.

المقدسة لدى المسلمين في الحجاز، وحاولوا تحطيم الأساطيل المصرية أو حجزها في الموانئ الجنوبية لدولة المماليك أو الدولة العثمانية في البحر الأحمر[(١)].

وقد اتصل البرتغاليون والأوروبيون بصفة عامة بالحبشة، عن طريق الرهبان ودعاة النعرة الصليبية، وقد اتسمت علاقاتهم مع الأحباش -في الغالب- بسمتين في آن واحد، اقتصادية ودينية، ومع مطلع القرن السادس عشر الميلادي كانت جبهة الحبشة مهيأة لشن حملات صليبية ضد العالم الإسلامي[(٢)].

وبالفعل فتحت في الحبشة جبهة صليبية قوية حاربت المسلمين بشراسة، بعد أن طلبت وصية العرش الحبشي الإمبراطورة هيلانة في مطلع القرن السادس عشر المعونة من البرتغاليين في حرب المسلمين، وأرسلت وفدا عام ١٥٠٩م إلى ملك البرتغال "عمانويل"ونائبه في الهند "البوكرك" معه قطعة من الخشب زعمت أنها من الصليب المقدس الأصلي، وأشارت في رسالتها أن الجيوش البرتغالية إذا اتحدت مع الجيوش الحبشية فإنهم يكونان قوة كافية؛ لأن قوة الحبشة قوة برية وقوة البرتغال قوة بحرية: (إذا كان علينا أن نحشد قواتنا فإنها ستملأ الأرض بأسرها، ولكننا ليس لدينا قوات في البحر، وإنكم لديكم قوات ضخمة في البحر)[(٣)]، وصدرت الأوامر بغزو البحر الأحمر، وافتتح البوكرك طريقا لحرب صليبية مقدسة تعود خلفاؤه فيما بعد على افتتاحه سنويا بغارات إما لتهديد الأماكن المقدسة الإسلامية أو محاولة تحطيم أساطيل الدول المسيطرة على البحر الأحمر من مماليك وعثمانيين، وكان من أبشع صور التدمير والقتل التي توضح الحقد الصليبي على المسلمين، إحراق البوكرك لمدينة زيلع عام ١٥١٣م ٩١٩هـ أثناء انسحابه

(١) انظر صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، غسان الرمال، (٧٨). وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، (١/ ٢٢٢).

(٢) انظر المراجع السابقة.

(٣) صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، غسان الرمال، (٨٩).

منها، وفي الوقت نفسه ما قام به الملك الحبشي لبنادنجل عندما هاجم مملكة عدل في منطقته وقتله لأميرها وحرق مدنها وتخريب قلاعها، حيث حصر المسلمين في مكان ضيق من الوادي بين فيتجار وعدل، وقتل منهم ما يقرب من اثني عشر ألف مسلم(١).

واقع الاحتلال الأوروبي –الإسباني– للأمريكتين:

عاش المطران النصراني برتولومي كازاس في القارة الأمريكية مدة خمسين عاما، وكان أول كاهن أسباني يعين رسميا في بلاد الهند الغربية عام ١٥١٣م، ووصف الفظائع التي ارتكبها الغزاة الأوربيون بمباركة البابوية، بأن البشر لا يمكنهم أن يصدقوا أن تقوم أمة من الأمم بمثل هذا الدمار والخراب والشرور والآثام التي لحقت بالعالم الجديد الشاسع المسمى ببلاد الهنود الحمر، وأن ذلك لا يمكن أن يقره قانون وضعي أو إلهي، وأن ما قامت به الجيوش الأوروبية من أفعال يعد من الأفعال المرذولة الملعونة، يقول وهو يصف الهنود الحمر بأنهم خراف والأسبان كأنهم ذئاب: (لقد غشي الأسبان هذه الخراف الوديعة غشيان الذئاب والنمور والأسود الوحشية التي لم تجد طعاما أياما وأياما، ومنذ أربعين سنة وهم يقطعون أوصالها ويقتلونها ويروعونها، ومنذ أربعين سنة وهم يبيدون ويفتكون بها ويعذبونها ويبيدونها. كل يوم فظاعة جديدة غريبة مختلفة لم نسمع ولم نقرأ عن مثلها من قبل...كانت هذه الفظائع شديدة لم تبق في الجزيرة الإسبانية اليوم سوى مائتي هندي من أصل ثلاثة ملايين)(٢).

وأول ما بدأ الأسبان به من الفظائع، سبي نساء وأطفال تلك الشعوب الضعيفة ليستخدمونهم كيفما يشاؤون، ثم راحوا يسرقون طعامهم وإذا استغنوا عن الطعام أفسدوه حتى لا ينتفع منه أحد، وعندما قاومهم الهنود بآلات حربية هزيلة أبادوهم عن بكرة أبيهم، وعاقبوهم بمذابح لم تعرف في تاريخ الشعوب، فقد دخلوا القرى وفعلوا

(١) انظر المرجع السابق، (١٦٠).

(٢) انظر المسيحية والسيف، المطران برتولومي كازاس، ترجمة سميرة الزين، (٢٤)، المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، ط. الأولى. وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، د.عبدالعظيم رمضان، (١/ ٢٣٤).

مثل ما فعل اليهود في تحريمهم لقرى الأمميين من سكان أرض الموعد، فلم يتركوا طفلا أو حاملا أو امرأة تلد إلا ويبقرون بطونهم ويقطعون أوصالهم كما يقطعون الخراف في الحظيرة، وكانوا يراهنون على من يشق رجلا بطعنة سكين، أو يقطع رأسه أو يدلق أحشاءه بضربة سيف. وكانوا ينتزعون الرضع من أمهاتهم ويمسكونهم من أقدامهم ويرطمون رؤوسهم بالصخور، أو يلقون بهم في الأنهار ضاحكين ساخرين، وحين يسقط في الماء يقولون: "عجبا إنه يختلج"، وكانوا يسفدون الطفل وأمه بالسيف كما تسفد قطع اللحم بالسفود، وينصبون مشانق طويلة ينظمونها مجموعة مجموعة، كل مجموعة ثلاثة عشر مشنوقا، ثم يشعلون النار ويحرقونهم أحياء، أو يربطون الأجساد بالقش اليابس ويشعلون فيها النار ويقولون: هكذا أحرقوا الهنود الحمر وهم أحياء.

أما أسياد الهنود ونبلاؤهم فكانوا يقتلون بأن تصنع لهم مشواة من القضبان يضعون فوقها المذراة، ثم يربطون بها، وتوقد تحتهم نار هادئة من أجل أن يحتضروا ببطء وسط العذاب والألم والأنين، ومن يفر من هذه الشعوب المقهورة إلى الجبال والغابات، فإن الغزاة الأوروبيين يرسلون خلفهم الكلاب السلوقية التي دربت على تمزيق أجساد الهنود الحمر[1].

حروب فرنسا بقيادة نابليون بونابرت:

واصلت فرنسا حربها ضد النمسا وانجلترا، وهاجمت ألمانيا والنمسا واستطاعت أن تستولي على عدة مدن من الإمبراطورية النمساوية، وعلى الجانب البريطاني أعدت جيشا لغزو انجلترا بالتعاون مع الثوار الأيرلنديين، وفي عام ١٧٩٦م أسندت قيادة الجيش المحارب في إيطاليا إلى القائد نابليون بونابرت، وقد أحدث تولي نابليون لجيش فرنسا تغيرا جذريا في واقع الحرب والسلام في المتجمع الأوروبي في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، فقد وجد نابليون نفسه قائدا لجيش قوي ذو نزعة قومية

(١) انظر المراجع السابقة.

شديدة يحمل كل جندي فيه في داخله إيمانا كاملا بصدق قضيته وعدالتها، ونتيجة لذلك فكل جندي فيه مستعد للتضحية بروحه في سبيل تحقيق أهدافه السامية – في نظره[1].

واستطاع نابليون أن يحقق انتصارات عديدة خاطفة في تلك السنة، أهمها انتصاراته في موقعة "موندوفي" ضد مملكة "بيدمنت"، أدت إلى فصل جيوشها عن جيوش الإمبراطورية النمساوية، وأرغم الملك على توقيع هدنة في مدينة "كيراسكو" في نفس السنة، وهزم أيضا الجيش النمساوي في موقعة "لودي" واستولى على ميلان، وتواصلت انتصاراته على الجيوش النمساوية في عدة مواقع أهمها موقعة "ريفولي" عام ١٧٩٧م التي سحق فيها القوات النمساوية، واضطرت النمسا عندها لعقد هدنة "ليوبن"، ثم وقعت بعد ذلك صلحا في "كامبوفورميو" في نفس السنة، وحصلت بموجبها فرنسا على الأراضي المنخفضة النمساوية، وتخلت فيها النمسا عن إيطاليا باستثناء البندقية، واعترفت باستقلال بعض أجزائها وانفصالها عن الإمبراطورية[2].

وأرغم نابليون البابا بيوس الثالث على عقد معاهدة "تولانتينو" في نفس العام، وفيها تنازل البابا لفرنسا عن مدينة أفنون، ودخل إيطاليا بعد وبدأ يتصرف كأنه ملك البلاد، وأخذ يتصرف في أمور الجمهوريات التي أنشأها، وأصبح نابليون رجل فرنسا الأول الذي أعطاها المجد والعزة التي كانت لا تحلم بها[3].

الحملة الفرنسية على الأراضي الإسلامية – مصر – ١٧٩٨م:

وبعد عودة نابليون إلى فرنسا طلب منه قيادة جيش كبير أعد لغزو انجلترا، ولما تبين

---

(١) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (٤٤٣). وانظر التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، د.جلال يحي، (٢/ ٣٢٩)

(٢) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (٤٤٤).

(٣) انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (٤٤٥).

له عدم جدوى مثل هذه الحرب لكون العدو يتدرع بالبحار ولديه أسطول ضخم قوي مدرب مجهز، استطاع هو وأعوانه إقناع الدولة بتحويل مسار الجيش إلى مصر لأن ذلك سيحقق مكاسب استعمارية كبيرة من ناحية، وفي مجال الصراع مع انجلترا أيضا، وبالفعل توجه على رأس أسطول بحري حربي سرا إلى صوب مصر وفي طريقه نزل إلى مالطة واستولى عليها ثم وصل إلى مصر ونزل مع جيشه في أبي قير شرقي الإسكندرية واستولى عليه، وانطلق صوب العاصمة تاركا حامية صغيرة في هذا المرفأ الهام، وانتصر على جيش المماليك في موقعة الأهرام واستقر بعد ذلك بالقاهرة، وتعقب الإنجليز الأسطول الفرنسي منذ خروجه، واستطاع القضاء على الحامية الموجودة في أبي قير، وقطع الاتصال بين الجيش في الشرق وبين فرنسا(١).

وواصل نابليون غزوه للأراضي الإسلامية مباغتا الدولة العثمانية التي بدأت في التحرك، وهاجم مدن فلسطين في عام ١٧٩٩م محرزا بعض الانتصارات إلا أنه وقف أمام أسوار عكا عاجزا عن قهرها، وقد كان الأسطول البريطاني في البحر المتوسط يمد عكا بالمؤن، ثم أصاب جيشه الطاعون وقفل راجعا إلى القاهرة مسجلا أول هزيمة له، وفي هذه الأثناء كانت الأوضاع في فرنسا آخذه في التدهور بسبب الفساد والدسائس والمؤامرات في الداخل، وفي الخارج وبسبب الهزائم التي مني بها نابليون في فلسطين، سنحت الفرصة لانجلترا لعقد تحالف دولي جديد ضد فرنسا، وضم هذا الحلف روسيا الغاضبة من احتلال نابليون لجزيرة مالطة التي تتمتع بحماية القصر الروسي، والنمسا التي رأت هزائم نابليون فرصة لاستعادة نفوذها على إيطاليا والثأر لهزائمها، وبالفعل شن التحالف حملة خاطفة عام ١٧٩٩م استولت على كل الأراضي الإيطالية التي كان نابليون قد ضمها إلى فرنسا، وعندما وصلت هذه الأخبار إلى نابليون في مصر ترك الجيش في مصر

(١) انظر التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د.عبدالعزيز نوار ود.عبدالمجيد نعنعي، دار النهضة العربية، (٧٨)، وانظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (٤٣٦).

وعاد إلى فرنسا وأذن له في الانسحاب بعد سفره ولكن بشكل مشرف[1].

(١) انظر التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د.عبدالعزيز نوار ود.عبدالمجيد نعنعي، دار النهضة العربية، (٨٠)، و انظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، ود.عبدالعزيز نوار، (٤٤٣).

المطلب الخامس

أثر عقيدة الحرب والسلام في الواقع المعاصر

أشرت في المطلب الماضي إلى صعوبة وصف أثر عقيدة الحرب والسلام في العصر الحديث وصفا تفصيليا، أما في هذا المطلب فإني أجد أن أثر هذه العقيدة في الواقع المعاصر أظهر من يتكلف باحث البحث عن خباياه، فقد خاضت الأمم النصرانية الأوروبية - مركز ثقل المجتمعات النصرانية - ومستعمراتها في هذا الواقع حروبا كادت فيه أن تفني نفسها فيه، وأن تفني الأمم الأخرى أيضا، وشهد هذا الواقع حربين عالميتين أدتا إلى تدمير الحضارة وخراب البشرية، وألقيت في إحداهما أول قنبلة ذرية، وقتل في القرن العشرين فقط بحسب بعض التقديرات المتشائمة ما يزيد عن مئة وعشرين مليون إنسان، في مئة وثلاثين حربا وهو عدد يفوق الذين قتلوا في كل حروب التاريخ قبل عام ١٩٠٠م(١).

وعلى صعيد المجتمعات في هذا الواقع كانت الثورات الشعبية الدموية في جميع أنحاء أوروبا على الحكومات التي أرادت أن تحكمهم بالطرق الرجعية القديمة في نظرهم والتي كانت سائدة خلال عصور الظلام الأوروبية، وحاولت هذه الحكومات من أباطرة وملوك وأمراء قمع هذه الثورات ولكن دون جدوى، ولاشك أن مبادئ الثورة الفرنسية قد أثرت تأثيرا بالغا في أفكار الشعوب الأوروبية وحضاراتهم، مما جعل سياسة هذه الشعوب شيئا صعبا، فبالرغم من محاولة الحكومات العمل على إيجاد توازن في القوى بعد هزيمة نابليون وقواته الفرنسية في بداية القرن التاسع عشر، ومحاولة متابعة نتائج التسويات وتقسيم التركات بين الدول المنتصرة، إلا أن الأثر النفسي العميق الذي خلفته مبادئ الثورة الفرنسية الأولى، كان عميقا في المجتمعات الأوروبية، فلذلك ظلت روح الثورة موجودة حية في نفوس الأوربيين، في فرنسا نفسها -كما سنرى- ونفوس بقية

---

(١) انظر ١٩٩٩ نصر بلا حرب، ريتشارد نيكسون، إعداد وتقديم المشير محمد أبو غزالة، (٢٣)، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط. الرابعة.

الأمم الأوروبية، ونفوس الأمم الأوروبية التي نزحت إلى المستعمرات الجديدة أو العالم الجديد.

فبعد سقوط الإمبراطور نابليون بونابرت وهزيمة فرنسا، شرع الحلفاء المنتصرون بعقد مؤتمر في مدينة فينا عام ١٨١٥م وألحقوا قراراته بمعاهدة باريس الثانية، وكان الغرض منها إعادة رسم خارطة أوربا التي أحدث فيها نابليون تغيرات جذرية، وكانت أهداف المؤتمر تتلخص في أمرين:

الأول: إعادة النظم القديمة في حكم أوربا أو ما أسموه بالشرعية التقليدية إلى أوربا، حتى لا تفكر الأمم في التطاول على مقام الحكومات والسلطات.

والثاني: عدم السماح لدولة من الدول في أوربا بالتفوق العسكري على حساب الدول الأخرى، فيحصل مثلما حصل من فرنسا[(١)].

ولضمان تحقيق أهدافهم فرضت الدول الكبرى المنتصرة وهي روسيا وبروسيا والنمسا وإنجلترا نفسها كوصية على الأمم الأوروبية أو كشرطي يقوم على تطبيق النظام ولو بالقوة، وقد اقترح القيصر الروسي إنشاء تحالف مقدس يقوم على أساس العقيدة النصرانية، مبررا هذا الاقتراح بأن الدول الأوروبية دول نصرانية، وأغلب شعوبها تدين بالنصرانية، وهو يريد بهذا الحلف المقدس التأكيد على الحق الإلهي للحكام ووجوب طاعة الأمم له، فيقضي على كل محاولة ديموقراطية أو جمهورية أو تحررية تظهر في مستقبل أوربا والعالم أجمع، ولكن انجلترا عارضت ذلك فرفضت هذا التحالف لقناعتها بأن الطريقة التي يمكن بها حكم الأمم والمجتمعات الأوربية تغيرت تماما، ولم يعد بالإمكان

---

(١) انظر التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د. عبد العزيز نوار ود. عبدالمجيد نعنعي، دار النهضة العربية، (١٤٥)، وانظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د. عبد الحميد البطريق، ود. عبد العزيز نوار(٤٨٧).

استغلال الدين -الفاسد بالطبع- كوسيلة لسياسة أوربا الثائرة كما كان في السابق، وأن عمق التغيير الذي حصل في المجتمعات الأوروبية بعد عصر النهضة لا يمكن أن يقبل تدخل الدين -المحرف المتناقض- في منح الحكام الظلمة مجددا حقا إلهيا مزعوما في قهر الشعوب، وقد حققت الشعوب المقهورة نفسيا وسياسيا واقتصاديا ودينيا نوعا من الشعور بالانتصار مع هذا التغيير منذ عهد حركة الإصلاح الديني إلى أن وصل إلى الثورة الفرنسية ونابليون[1].

ووقعت الدول الثلاث الكبرى سنة ١٨١٥م على معاهدة التحالف المقدس هذه، واقترحت إنجلترا توقيع تحالف رباعي آخر الغاية منه دعم ما توصلت إليه الدول المنتصرة إبان هزيمة فرنسا وما تمخض عنه مؤتمر فينا المشهور، والعمل على المحافظة على الوضع السياسي القائم آنذاك في أوروبا ولو بالقوة العسكرية، على أن تكون مدة الحلف عشرين سنة فقط، وأيضا يكون التحالف على منع انتشار المبادئ الاجتماعية والاقتصادية للثورة الفرنسية، وبالفعل وقعت الدول الأربع هذه المعاهدة في نفس العام، وكان توقيع الدول المنتصرة على هذه المعاهدات يهدف بالدرجة الأولى لتحقيق المصالح المشركة لهم، وكانت كل دولة منهم تبحث عن اكتساب أكبر قدر من الأملاك المصحوب بالقدرة على الحفاظ عليها قدر الإمكان، ورضي جميع الأطراف بهذه المعاهدات والتسويات -تقسيم التركات- في نهاية الأمر، وقد كان لتوقيع هذه المعاهدات أثر في واقع المجتمعات النصرانية، فقد أدى إلى توازن القوى الكبرى، وبالتالي أفرز سلاما – دوليا – نسبيا بين الدول المتناحرة في السابق حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريبا، وذلك بالرغم من التناقضات التي كانت متضمنة له، ولكنه أيضا أعاد عمليا طرق الحكم التقليدية التي

(١) انظر التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د. عبد العزيز نوار ود. عبدالمجيد نعنعي، دار النهضة العربية، (١٤٧)، وانظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د. عبد الحميد البطريق، ود. عبد العزيز نوار(٤٩١).

كانت متبعة قبل عهد الثورة ونابليون، ولذلك كانت هذه المعاهدات تعتمد على قمع أي حركات تمرد في مهدها، فعادت الشعوب تبحث عن الفرصة للثورة مجددا، وبدأت تبحث عن قادة جدد ينظمون مسيرة هذه الثورات، ونتيجة لذلك كانت الفترة ما بين ١٨١٥م حتى ١٨٤٨م فترة مليئة بالمحاولات الثورية الجزئية من أجل القومية والحرية، وكانت النمسا أكثر من واجهت مثل هذه الثورات، ولم تلبث فرنسا وفتحت أبوابها لركب الثوار مجددا – كعادتها – عام ١٨٣٠م[1].

المسألة الشرقية وحرب القرم:

وبعد أن دب الضعف في الدولة العثمانية –الباب العالي– بدأت روسيا الأرثوذكسية تطالب بحقوق أكثر للرهبان الأرثوذكس، مقارنة بالرهبان الكاثوليك الفرنسيين، وحاول الباب العالي التغافل عن هذه المسألة وعدم التدخل فيها إلا أنه في نهاية المطاف منح العديد من الامتيازات لرهبان الدولتين المتنافستين، وتطورت القضية ونشب نزاع حول بعض المقدسات، فأرسل القيصر الروسي بعثة فيها عدد من كبراء الساسة والعسكريين الروس عرفت عند المؤرخين بـ"بعثة منشكوف"، وكان منشكوف هذا رئيسا للوفد المبتعث، ذا شخصية قوية متكبرة متعالية، يهدف إلى تحقيق حلم قياصرة الروس الأرثوذكس في إعادة القوة الأرثوذكسية التي تلاشت بعد سقوط الدولة البيزنطية الأرثوذكسية على أيدي العثمانيين، وكان تعالي هذا الوفد واستهتاره بالعثمانيين وبرهبان الكاثوليك سببا في إثارة غضب السلطان العثماني وفرنسا وانجلترا اللتين اعتبرتا الامتيازات التي حصلت عليها روسيا انحيازا من العثمانيين لرهبان الأرثوذكس على حساب حقوق الرهبان الكاثوليك اللاتين، وتطور الأمر ونادى القيصر الروسي في عام

(١) انظر التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د. عبد العزيز نوار ود. عبدالمجيد نعنعي، دار النهضة العربية، (١٥٠)، وانظر التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د. عبد الحميد البطريق، ود. عبد العزيز نوار(٤٩٤).

١٨٥٣م بشن حرب صليبية ضد الإمبراطورية العثمانية ختمه "بأن على الروس أن يعتمدوا على الله في الدفاع عن الأرثوذكسي"[١]، ثم أرسل جيشا واحتل بعض الأراضي العثمانية واضعا الدول الأوروبية -ذات المصالح الكثيرة في الدولة العثمانية – في موقف حرج، وتطور الأمر وأعلن العثمانيون الحرب ضد روسيا، وبعد فشل الوساطات الأوروبية دخل الحرب كل من فرنسا وإنجلترا حفاظا على مصالحهما ورغبة في عدم زيادة النفوذ الروسي في ممتلكات الدولة العثمانية ومن ثم الانفراد بها في حالة سقوطها، ودارت معارك متفرقة، وتشابكت المصالح الأوروبية وانتهى الأمر إلى عقد صلح في أوائل عام ١٨٥٦م بقبول روسيا مذكرة أعدتها الدول الأوربية، فيها ضمانات سميت بالضمانات الأربع، ووقعت معاهدة في باريس لحل مشكلة الشرق الأدنى كان فيها الأوربيون الكاثوليك مع العثمانيين ضد مصالح روسيا الأرثوذكسية التي تحطمت قوتها البحرية، وتناست هذه المعاهدة الأماكن المقدسة وحقوق الكاثوليك عمدا في سبيل إضعاف تأثير الأرثوذكس في أرض الواقع، وأيضا لم تكن هناك مكاسب حقيقية للعثمانيين وفرض عليهم بقاء الامتيازات القديمة لنصارى الدول الكاثوليكية[٢].

ولعدة عوامل – يصعب بسطها في مثل هذا المطلب – بدا النصف الثاني من القرن التاسع عشر ذا طابع حربي بين الدول النصرانية، ومن تلك الحروب:

---

(١) تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، د. عمر عبد العزيز عمر، (١٠٠)، دار المعرفة الجامعية، ط. (٢٠٠١).

(٢) التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د. عبد العزيز نوار ود. عبدالمجيد نعنعي، (٢٣١)، وانظر تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، د. عمر عبد العزيز عمر، (١١٥)، دار المعرفة الجامعية، ط (٢٠٠١)، وانظر تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، عبدالعظيم رمضان، (٩٧)، ج الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (١٩٩٦)، وانظر موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزيدي، ج٣-٤ (٧٨٩)، دار أسامة للنشر، عمان، ط الأولى.

الدول النصرانية الأوروبية بعد عام ١٨٧٠ م:

بعد هزيمة فرنسا والنمسا وظهور عملاق الوحدة الألمانية -الإمبراطورية الألمانية- المنتصر عليهما على يد بسمارك، الذي أصيب بالغرور العنصري حتى ظهرت في عهدة مقولة تعظم الألمان وهي: "أن الله قد أعد الألمان ليحملوا رسالة الحضارة والتقدم إلى مختلف أرجاء العالم، وأن يحطموا قيود الماضي إلى مستقبل للعالم رائع ترسمه وتخطط له الأيدي الألمانية والعبقريات الألمانية، وأن الإمبراطورية الإنجليزية ستغيب عن قريب، فقد آن للألمان أن يرثوها كما ورثت روما قرطاجنة"[١]، وكانت ألمانيا تحرص على عدم منح الفرص لفرنسا في إعادة بناء جيشها لاستعادة ما استولت عليه من أراضيها وتثأر لهزيمتها، وكانت شعوب أوروبا تحقد على ألمانيا نتيجة انتصارها الحاسم على فرنسا، ومحاولتها الإمساك بزمام المبادرة في القارة الأوربية وتجاهل الدول الكبرى، حتى إن إنجلترا لم تفكر في مهاجمة فرنسا الضعيفة لتفوت فرصة توسع نفوذ ألمانيا في أوروبا، ولذلك فإن بسمارك الداهية كان يخشى من أن تتحالف عليه الدول الأوروبية، فبادر هو بالاقتراب من النمسا وروسيا، وأنشأ ما أسماه المؤرخون وفاق الإمبراطوريات الكبرى الثلاث، ليخدم مصالحه في الأراضي الفرنسية ويدعم وجوده فيها، ونشأ توازن دولي قائم على القلق من تطورات المستقبل ومن ثم كانت السياسة الدولية في حاجة لأزمة كبيرة حتى تتضح أهداف كل القوى الكبرى في العالم[٢].

---

(١) انظر التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د. عبد العزيز نوار ود. عبدالمجيد نعنعي، (٣٢٣). وانظر تاريخ أوربا المعاصر، د. إسماعيل ياغي، (١٦١)، مكتبة الرشد، السعودية، ط. الأولى.

(٢) انظر التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، د. جلال يحيى، (٢/ ٤٥١). وانظر التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د. عبد العزيز نوار ود. عبدالمجيد نعنعي، (٣٣٠). وانظر تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، د. عمر عبد العزيز عمر، (١٩٥). وانظر تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث، =

وكانت هذه الأزمة هي الأراضي الإسلامية في الدولة العثمانية المريضة أو ما أطلق عليه المؤرخون المشكلة الشرقية التي كشفت عن سياسة الدول المنافسة على زعامة العالم، فإن الصراع التقليدي بين الشرق الإسلامي وأوربا الصليبية، يجعل شعوب أوربا بجميع مذاهبها المتناحرة فيما بينها، تنتظر اليوم الذي يسحق فيه الإسلام الذي ظل عزيزا عليهم كسره سنينا طويلة، وهذه المشاعر هي التي توجه أفراد المجتمعات الأوروبية وتوجه أيضا ساستهم وملوكهم وأباطرتهم، ولم تكن الحكومات الأوروبية تتراجع عن هذه الأهداف الصليبية الكامنة في نفوسهم، إلا إذا تعارضت مع الأطماع التوسعية أو المصالح الخاصة بها، ومن هنا كان التوسع الأوروبي على حساب الدولة العثمانية المتدهورة أمرا محبوبا ومقبولا من المجتمع الأوروبي والساسة الأوروبيين لكن في حدود المصالح الخاصة لكل دولة، فكان هناك تسابق روسي نمساوي على وراثة الدولة العثمانية في البلقان التي تعددت فيها الاضطرابات منتهزة فرصة ضعف القيادة العثمانية، وظهرت فيها العداءات القومية، والخلافات المذهبية النصرانية، والعداء النصراني للإسلام، وكانت الدول الأوربية وبالأخص إنجلترا، تخاف أن تضع روسيا يدها على أي منفذ من خطوط التجارة العالمية عبر آسيا الوسطى أو عبر الشرق الأدنى إلى الهند مستغلة ضعف الدولة العثمانية والحماس الصليبي لدى نصارى روسيا، ونمو التعصب السلافي القومي النصراني في البلقان، وقد تصدت كل من إنجلترا وفرنسا والنمسا بشدة للتقدم الروسي في الأراضي العثمانية[1].

=

عبدالعظيم رمضان، (٢/ ١٤٩). وانظر موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزيدي، (٣-٤/ ٧٧٨). وانظر تاريخ أوربا المعاصر، د. إسماعيل ياغي، (١٢٩).

(١) انظر التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، د. جلال يحيى، (٢/ ٤٩٣). وانظر التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د. عبد العزيز نوار ود. عبدالمجيد نعنعي، (٢٩٣). وانظر تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، د. عمر عبد العزيز عمر، (٢٠٠). وانظر تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث، عبدالعظيم رمضان، (٢/ ١٩١). وانظر موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزيدي، (٣-٤ / ٧٩٦). وانظر تاريخ أوربا المعاصر، د. إسماعيل ياغي، (١٨٣).

وهكذا كانت الدول النصرانية الكبرى تفكر في كيفية الحصول على أكبر مصلحة ممكنة من الفريسة الإسلامية العثمانية المترنحة، وقد أدرك بسمارك أن مفتاح الموقف الدولي في الطريقة التي ستعالج بها مشكلة الشرق -المسألة الشرقية- وكان يرى أن هذه الطريقة يجب أن لا تؤدي إلى الحروب بين الدول الكبرى، فيجب ألا يراق فيها الدم الأوروبي المقدس الزكي، بل لا بد من حل القضية عن طريق التفاوض، وأنه إذا أرادت الدول الكبرى إعادة النظر في توازن القوى فليتم هذا بتسويات ودية على حساب الدولة الإسلامية العثمانية، وكان بسمارك يريد سلاما أوروبيا يجعل لألمانيا مكانتها العليا في تصريف الأمور الدولية.

ومع بداية الثورات القومية والدينية في البلقان، بدأت الأزمة الدولية وتضاربت المصالح وتعقدت القضايا، وبدأ الأكلة في التداعي والالتفاف حول القصعة العثمانية الإسلامية، وبدأت شرارة الحرب في الظهور في إقليم الهرسك بصدامات دموية عقائدية بين الأكثرية النصرانية والأقلية الإسلامية، واتسع نطاق الحرب ودخلت الصرب والجبل والأسود بجانب النصارى، وثار البلغار ضد العثمانيين المسلمين ثورة دموية عارمة، وتضاربت آراء الدول الكبرى إزاء هذه التطورات، فكانت روسيا تؤيد الثوار وأعداء الدولة العثمانية الإسلامية في البلقان، وكانت بريطانيا ضد روسيا في هذا التوجه حفاظا على مصالحها، بل وهددت بمساعدة العثمانيين، وفجأة استطاع العثمانيون المسلمون إنزال هزيمة منكرة بالجيش الصربي، وتوغلت الجيوش العثمانية المسلمة حتى وصلت لبلغراد العاصمة الصربية، وهنا استشاطت روسيا غضبا وتدخلت في الحرب بجيشها، وعبرت جيوشها الولايتين الرومانيتين "الأفلاق" و"البغداد" اللتان دخلتا الحرب أيضا ضد الدولة العثمانية، وصمد المسلمون العثمانيون صمودا قويا، وقاوموا بشراسة هذه التحالفات، وحاولت إنجلترا حصر نطاق الحرب وإيقافها، ولم يكن الأمر كما كان يوم حرب القرم فلم تستطع انجلترا الدخول في الحرب بجانب العثمانيين، وانتهى الأمر إلى أن طلب الباب العالي وقف الحرب، ووقع السلطان عبدالحميد الثاني بداية عام ١٨٧٨م مع

روسيا معاهدة مذلة أسماها المؤرخون "سان استيفانو"، التي أظهرت بلغاريا كدولة ذات شأن في قلب الدولة العثمانية الإسلامية، وذعرت إنجلترا من هذه المعاهدة، ورأت أن بلغاريا ما هي إلا حليف وذراع لروسيا تغلل إلى جوف الدولة العثمانية تستطيع من خلاله السيطرة على العثمانيين وعلى القسطنطينية فيما بعد، بل وذهبت تؤلب الرأي العام في أوربا وأشاعت أن روسيا تطمع في الدخول للعراق والخليج العربي، وأنها تسيطر على طرق التجارة العالمية عبر العراق والشام ومصر.

استغل بسمارك هذه الأحداث والغليان في الدول النصرانية والذي ينذر بالحرب بين روسيا وإنجلترا وحلفاء كل منهما، وقام بدور المنقذ للسلام العالمي، ودعا إلى عقد مؤتمر كبير تحل فيه أوربا مشاكلها على حساب الدولة العثمانية دون إراقة دماء الأوربيين، واستطاعت إنجلترا أن تلغي قرارات سان استيفانو، ومنعت ظهور بلغاريا الكبرى، واستطاع بسمارك أن يقوم بسياسة أسماها المؤرخون "المصالحة والتعويض" فقد قوى النفوذ الروسي في شرق البلقان بينما قوى النفوذ النمساوي في غربه، وحصلت إنجلترا بمعاهدة سرية مع السلطان عبدالحميد على قبرص، وبعد معرفة فرنسا بهذه الاتفاقية السرية طالبت بتعويض، فمنحتها إنجلترا حق احتلال تونس عام ١٨٨١م، ومقاسمة النفوذ معها في مصر، ثم عادت انجلترا واستأثرت بالانفراد باحتلال مصر عام ١٨٨٢م(١).

ولم تكن روسيا راضية عن بسمارك بسبب موافقته على معاهدة "سان استيفانو"،

---

(١) انظر التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، د. جلال يحيى، (٢/ ٤٩٤). وانظر التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د. عبد العزيز نوار ود. عبدالمجيد نعنعي، (٣٠٤). وانظر تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، د. عمر عبد العزيز عمر، (٢١٢). وانظر تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث، عبدالعظيم رمضان، (٢/ ١٩٣). وانظر موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزيدي، (٣-٤/ ٨٠٠). وانظر تاريخ أوربا المعاصر، د. إسماعيل ياغي، (١٨٤).

ولذلك وجدت فرنسا الفرصة وتقربت من روسيا وتحالفت معها، وكان خروج ألمانيا خالية الوفاض من التركة العثمانية من العوامل التي أدت إلى اقتراب السلطان عبدالحميد منها، وكان ذلك نواة التحالف العثماني الألماني في الحرب العالمية الأولى.

وانتهى أمر التخطيط على الإمبراطورية الإسلامية العثمانية في هذه المرحلة بمؤتمر برلين ١٨٨٤ - ١٨٨٥م الذي قسمت فيه إفريقيا بين الدول الأوروبية الاستعمارية، واطمأنت أوربا بأن شبح الحرب بين الدول الكبرى أصبح بعيدا إلى حد ما، ويكون بسمارك بذلك قد حقق السلام الذي يبحث عنه[1].

الأحلاف العسكرية التي أدت إلى الحرب العالمية الأولى:

١ - **حلف عصبة الأباطرة الثلاثة ١٨٧٣ م**: كان بسمارك -كما سبق- قد عقد حلفا عام ١٨٧٣م مع النمسا وروسيا بعد أن انتصر على فرنسا هو والقياصرة أو الأباطرة الثلاثة، وكان يريد بذلك عزل فرنسا سياسيا، لكن الموقف الدولي كان قد تبدل ولم تعد الدول الكبرى حتى المتحالفة مع ألمانيا تقبل توسعا آخرا لألمانيا، أو سحقا جديدا لفرنسا على يد العسكرية الألمانية، ولذلك استطاعت فرنسا أن تسدد الغرامة الحربية، وأن تعيد بناء جيشها تحت سمع وبصر بسمارك دون أن يكون قادرا على منعها، وكان هذا الحلف هشا جدا عندما واجه الأزمات البلقانية وما أفرزته من حرب روسية تركية، وما تمخض عنه مؤتمر برلين من نتائج جعلت القيصر الروسي يرى في هذا الحلف مؤامرة عليه وأنه تحالف أوربي ضد روسيا بزعامة بسمارك الألماني، وأن أوربا

(١) انظر التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، د. جلال يحيى، (٢/ ٥٠٠). وانظر التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د. عبد العزيز نوار ود. عبدالمجيد نعنعي، (٣١٣). وانظر تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، د. عمر عبد العزيز عمر، (٢١٥). وانظر تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث، عبدالعظيم رمضان، (٢/ ١٩٦). وانظر موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزيدي، (٣-٤/ ٨٠٥). وانظر تاريخ أوربا المعاصر، د. إسماعيل ياغي، (١٨٥).

اختارت غريمته ومنافسته الكبيرة النمسا وفضلتها عليه. ولذلك وبعد أن ثبت لبسمارك أن المشكلة البلقانية لا يمكن أن تبقيه صديقا للمتنافستين روسيا والنمسا اختار النمسا كحليف أكثر استقرارا من روسيا المتقلبة، فكان عليه أن يتحرك صوب النمسا ويوثق علاقته بها على حساب روسيا وكان التحالف الثنائي بينهما.

٢ -**التحالف الثاني النمساوي الألماني ١٨٧٩ م**: كان الشعور بأن روسيا سوف تتقارب مع فرنسا، بعد خروجها من مؤتمر برلين خالية الوفاض -كما سبق- بسبب حلف الأباطرة الثلاثة، كان هذا الشعور دافعا لعقد اتفاق ثنائي مضاد بين النمسا وألمانيا، ولم تلبث إيطاليا أن انضمت إلى هذا التحالف في عام ١٨٨٢م فأصبح ثلاثيا، وكان الدافع الرئيسي لإيطاليا هو اقتناعها بأن فرنسا التي أبعدتها عن تونس لن تسمح لها بموضع قدم في شمال إفريقيا إلا إذا كانت إيطاليا صاحبة كلمة تفرضها بقوة الجيوش والحلفاء، ورحبت ألمانيا بهذا التحالف لأنه يجعل فرنسا تحارب على عدة جبهات، وبهذا يكون بسمارك متعاقدا مع أطراف متنافرة، مع النمسا الكارهة لروسيا العضو في حلف -عصبة- الأباطرة، ومع النمسا المتنازعة على الحدود مع إيطاليا.

٣ -**التحالف الروسي الفرنسي ١٨٩١- ١٨٩٤ م**: ظل بسمارك بعد انتصاره على فرنسا يفكر في عدم منح الفرصة لها في إعادة بناء جيشها، وعند محاولتها ذلك كان عليه أن يشن حربا وقائية ضدها، ولكن صمود فرنسا في ظل الظروف الدولية المساعدة لها دفعت فرنسا للاستعداد للحرب الانتقامية ضد ألمانيا، وكان التقارب الروسي من فرنسا واضحا من عام ١٨٨٦م، وكان أكثر وضوحا في ١٨٨٨م عندما عقدت اتفاقيات مع فرنسا لتزويدها بالسلاح ومد سكك حديدية بها، ولكن بعد عزل الإمبراطور الجديد لبسمارك وسقوطه، وانتهاء مدة معاهدة الضمان الألماني الروسي عام ١٨٩٠م، ورفض الإمبراطور وليم الثاني تجديد المعاهدة اضطرت روسيا إلى البحث عن حليف آخر لها، ووقعت مع فرنسا مع معاهدة وفاق ودي عام ١٨٩١م، ثم ألحقت بهذه المعاهدة ميثاقا عسكريا عام ١٨٩٤م ينص على أن تقوم روسيا

بمساعدة فرنسا إذا هاجمتها ألمانيا أو إيطاليا بمساعدة ألمانيا، كما ينص على أن تقوم فرنسا بمساعدة روسيا إذا هوجمت من ألمانيا أو النمسا والمجر بمساعدة ألمانيا، وحددت في الاتفاقية أعداد القوات التي يجب أن تساهم كل دولة بهم في حالة وقوع الحرب، ولم يكشف عن هذا التحالف إلا عام ١٨٩٥م وأصبح الموقف العسكري في أوربا يتلخص في وجود كتلتين كبيرتين أصبحتا وجها لوجه.

٤ -**التحالف الإنجليزي الياباني ١٩٠٢م**: بإتمام التحالفات السابقة أصبح هناك نوع من توازن القوى حتى عام ١٩٠٤م، انصرفت فيه الدول الكبرى نحو الاستعمار للأمم الضعيفة في العالم خارج أوربا، لاحقة بإنجلترا التي توسعت استعماريا بشكل أسال لعاب بقية الدول الأوربية، فاتجهت روسيا لتوسيع نفوذها إلى الشرق الأقصى، ونافست ألمانيا إنجلترا في التنافس الاستعماري في إفريقيا، وبعد أن شعرت إنجلترا بهذه المنافسة الألمانية حاولت التقرب من ألمانيا، إلا أنها منيت بالفشل، وبدأت تبحث عن حليف ضد الدول الاستعمارية التي تنافسها، فوقع الاختيار على اليابان التي تخلصت من النظم الإقطاعية البالية وارتفعت بسرعة إلى حضارة الغرب في كل المجالات، وعزمت على أن يكون لها مكانها كدولة كبيرة عن طريق الحصول على إمبراطورية استعمارية، فهاجمت جارتها الصين وهزمتها وأرغمتها على توقيع معاهدة "شيمونسكي" المذلة للصين، وكان هذا الظهور الياباني الاستعماري القوي مثيرا لغضب الدول الكبرى باستثناء إنجلترا، فوجهت روسيا وألمانيا وفرنسا إنذارا لليابان باسم الحفاظ على وحدة الصين، فاضطرت اليابان للاستجابة لطلبات الدول الكبرى، وما إن سحبت اليابان قواتها من شبه جزيرة "لياوتونج" حتى وبادرت الدول الثلاث لاحتلالها وتقاسمتها دون أدنى اعتبار لوحدة الصين التي زعموا، وردت إنجلترا باحتلال على أرض صينية تدعى "واي هاي واي"، وتوالت الأحداث إلى أن انتهت إلى الوفاق الإنجليزي الياباني عام ١٩٠٢م الذي اعتبر عام نهاية العزلة الإنجليزية، والتي يئست فيه إنجلترا من التحالف مع ألمانيا، وكان من

بنود التحالف أنه إذا وقعت الحرب بين اليابان وروسيا تقف إنجلترا على الحياد، وإذا ساعدت فرنسا أو أي دولة أخرى روسيا ضد اليابان، تقدم إنجلترا المساعدة العسكرية لليابان، وبالفعل انفردت اليابان بروسيا وأنزلت بها هزيمة ساحقة عام ١٩٠٥م، واستردت ما احتلته من أراض صينية، ووقعت معاهدة "بورتسموت" بين البلدين أوائل عام ١٩٠٦م حصلت اليابان بموجبها على تفوق كبير في الشرق الأقصى، وأوقفت الأطماع الروسية تجاه الصين، كما توقفت أطماعها تجاه أفغانستان حتى لا تقع الحرب مع إنجلترا، وانتهى الأمر بين البلدين نتيجة الانتصار الياباني على الاتفاق خلال الأعوام ١٩٠٧ و١٩١٠م على تحديد نفوذهما في المناطق المختلف عليها بينهما، فهدأت حدة المنافسات الاستعمارية في الشرق الأقصى.

٥ -**التحالف الإنجليزي الفرنسي ١٩٠٤ م**: وكان هذا الوفاق بين البلدين بسبب النمو السريع في الأسطول الألماني وعزم الألمان على جعله أعظم أسطول في العالم، ومزاحمة إنجلترا في المستعمرات وفي السيطرة على الأسواق الخارجية فيما وراء البحار، وأثار هذا التوجه الألماني غضب الإنجليز، وأما فرنسا فهي العدو القديم المتربص بالفرصة السانحة لاسترداد أراضيه، وهكذا اجتمعت عداوة البلدين ضد ألمانيا، وأراد كل منهما تصفية مصالحه الاستعمارية لمواجهة العدو المشترك، وعقد الطرفان في عام ١٩٠٤م اتفاقا وديا بهذا الخصوص.

٦ -**التحالف الإنجليزي الروسي ١٩٠٧م**: كانت روسيا بعد هزيمتها من اليابان عام ١٩٠٥م في حاجة إلى أصدقاء بدلا من الأعداء، وكانت الدول الكبرى التي تكبح جماح توسعها هي انجلترا والنمسا والمجر وألمانيا، ولم يبق أمام روسيا من جهة تتوسع فيها بعد أن أغلقت اليابان الشرق الأقصى في وجهها وأغلقت إنجلترا توسعها في الدولة العثمانية في اتجاه الأناضول والعراق حتى لا تسيطر على مضايق الدردنيل والبسفور، وأغلقت النمسا والمجر توسعها البلقان، ولم يبق لها سوى إيران لكي تثبت فيه أنها لا تزال دولة كبرى، ولكن وجود انجلترا في الخليج العربي ومحاولتها

الدائمة لإبعاد روسيا عن هذه المنطقة جعل روسيا تفكر جديا في التحالف مع إنجلترا وبالفعل تم ذلك التحالف عام ١٩٠٧م، وقد نصت الاتفاقية على التحالف وتسوية المشاكل الاستعمارية خارج القارة الأوربية ولكن بطريقة أوسع من تلك التي عقدت بين فرنسا وإنجلترا، وقسمت إيران إلى منطقتي نفوذ روسية في الشمال، وإنجليزية في الجنوب، وبقي قسم مستقل في الوسط، واعترفت روسيا بمصالح إنجلترا في المنطقة[(1)].

وقد تم في الوقت نفسه عقد اتفاقية بين روسيا واليابان اعترفت فيها كل من الدولتين بمصالح الأخرى في الصين ومنشوريا، وكذلك عقدت فرنسا واليابان اتفاقية تعترفان فيها بأن الصين وحدة لا تتجزأ، وأذاعت كل من إنجلترا وأسبانيا وفرنسا وروسيا معا تصريحات بالمحافظة على الوضع الراهن في البحر المتوسط، وبهذا تمت سلسلة متواصلة من التحالفات والاتفاقيات أحكم فيها الوفاق الثلاثي فرنسا وإنجلترا وروسيا الطوق حول ألمانيا، وكان الارتباط البريطاني بروسيا وفرنسا من العوامل الجوهرية التي أعطت الثقة لهما في مواجهة الأزمات اللاحقة التي ساهمت في نشوب الحرب العالمية الأولى وتلك الأزمات هي:

١ - ضم النمسا للبوسنة والهرسك لممتلكاتها عام ١٩٠٨م وكانت النمسا تهدف من ذلك استغلال الوقت قبل أن يفيق الأتراك من ثورتهم على السلطان عبدالحميد بقيادة

---

(١) انظر التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، د. جلال يحيى، (٢/ ٥٤٢)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، وانظر التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د. عبد العزيز نوار ود. عبدالمجيد نعنعي، (٣٢١-٣٦٣)، وانظر تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، د. عمر عبد العزيز عمر، (٢٢٦-٢٣٦)، دار المعرفة الجامعية، ط (٢٠٠١)، وانظر تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث، عبدالعظيم رمضان، (٢/ ١٨١-٢٠٥)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (١٩٩٦)، وانظر موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزيدي، ج ٣-٤ (٨٩٨)، دار أسامة للنشر، عمان، ط الأولى، وانظر تاريخ أوربا المعاصر، د. إسماعيل ياغي، (١٨٥)، مكتبة الرشد، السعودية، ط الأولى.

"أتاتورك"، ومن ناحية أخرى القضاء على الأطماع الصربية المتعلقة بهاتين الولايتين.

٢ -ارتفاع حدة توتر العلاقات بين الدول الأوربية في القضية التي أسماها المؤرخون "أزمة أغادير" التي نشبت عندما بعثت فرنسا بقواتها داخل "مراكش" في المغرب العربي، واعتبرت ألمانيا أن هذا الفعل احتلال للمغرب، فأرسلت الحكومة الألمانية مدمرة لها إلى ميناء "أغادير" للسيطرة عليه بمدفعيتها للتوصل إلى تسوية جيدة مع ألمانية، ولكن على عكس ما توقعت، قابلت إنجلترا الموقف بصلابة، حتى بدا واضحا أن الحرب لو وقعت ستخوضها بريطانيا إلى جانب فرنسا، وبالفعل بدأت الاتصالات العسكرية بين فرنسا وإنجلترا لخوض المعركة المرتقبة، وفي نهاية الأمر آثرت ألمانيا التراجع بقبول قطعة فقط في الكونغو الفرنسي. وخلال هذه الأزمة حصلت إيطاليا على اعتراف من الدول الكبرى بأن تستولي على طرابلس في ليبيا وعلى بعض الجزر، وحاولت روسيا التوسع في إيران لكن منعتها إنجلترا من ذلك.

٣ -كانت دول البلقان النصرانية الأرثوذكسية هي برميل البارود الذي ينتظر الإشعال لقيادة أوربا للحرب، فقد تشكلت العصبة البلقانية من اليونان وصربيا وبلغاريا وأعلنت الحرب على الدولة العثمانية في عام ١٩١٢م، وأحرزت جيوش هذه العصبة انتصارات كبيرة وسريعة حتى سيطرت على أراضي الدولة العثمانية في البلقان فيما عدا القسطنطينية، ولكن سرعان ما اختلف الثوار المنتصرون فيما بينهم حول تقسيم مقدونيا، فرفضت بلغاريا تحكيم روسيا، وأعلنت الحرب على حلفائها، وانتهزت الدولة العثمانية ورومانيا الفرصة فأعلنتا الحرب على بلغاريا التي هزمت وطلبت الصلح، واجتمع ممثلو الدول المتحاربة في بوخارست وقعوا فيها معاهدة قضت باستحواذ اليونان على جزء من البلقان، واستقلال ألبانيا، وحصول رومانيا على إقليم من الأقاليم، واسترد العثمانيون أدرنة، وتضاعفت رقعة الصرب والجبل الأسود.

الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م[(١)]:

كانت العلاقات في المجتمعات النصرانية مضطربة مستعدة للحرب في أي لحظة فقد تجمعت فيها -كما يرى المؤرخون- أسباب غير مباشرة وهي التنافس النمساوي الروسي في البلقان، والتنافس البحري بين إنجلترا وألمانيا، والتنافس الفرنسي الألماني في المغرب، والحروب البلقانية، وسباق التسلح بين الدول الكبرى والتجنيد الإجباري للشعوب، والتنافس على المصالح الاقتصادية، ونمو الروح القومية لدى الأمم.

وأما الأسباب المباشرة التي أدت إلى اندلاع شرارة الحرب العالمية الأولى، فتتمثل في قيام طالب بوسني باغتيال ولي عهد النمسا وزوجته في سراييفو في ٢٨ يونيو عام ١٩١٤م، وبعد التحقيق معه اتضح أنه ينتمي إلى جمعية اليد السوداء الصربية التي ارتكبت عدة اغتيالات سياسة، واتهمت النمسا حكومة الصرب بأن الجمعية تلقى تأييدا من بعض موظفيها وتطمح للقضاء على النفوذ النمساوي، وكتب الإمبراطور النمساوي خطابا إلى الإمبراطور الألماني أوضح له فيه خطر الصقالبة وتوسع نفوذ الروس في البلقان، فأرسل له الإمبراطور الألماني بأنه لو نشبت حرب مع روسيا فإنه سيتحالف معه ضدها، وأنذرت النمسا الصرب بخطاب تطالبهم فيه بتقديم الجناة للعدالة وحل الجمعيات السرية التي تناهض النمسا، وأنها ترغب في إشراك عناصر نمساوية في التحقيقات، فرفض الصربيون هذا الاشتراك، فتم إرسال إنذار نهائي ثم أعقبه إعلان الحرب على الصرب في ٢٨ يوليو ١٩١٤م، وطلب الصرب العون من روسيا، فحركت جيوشها لمحاربة النمسا، وحاولت

---

(١) انظر التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، د. جلال يحيى، (٣/ ١٩). وانظر التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د. عبد العزيز نوار ود. عبدالمجيد نعنعي، (٤٥١-٤٧٠). وانظر تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، د. عمر عبد العزيز عمر، (٢٣٩-٢٥٥). وانظر تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث، عبدالعظيم رمضان، (٢/ ٢٠٩-٢٢٩). وانظر موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزيدي، (٣-٤/ ٩٢٧). وانظر تاريخ أوربا المعاصر، د. إسماعيل ياغي، (١٨٧).

إنجلترا إيقاف جيوش روسيا بالتفاوض ولكن الأخيرة تجاهلت هذا المطلب، وأرسلت ألمانيا إنذارا حربيا لروسيا تطلب فيه إيقاف زحف جيشها ولكن دون جدوى، وتوالت الأحداث واصطدمت الكتلتان الأوروبيتان المتحفزتان للحرب، وأعلنت ألمانيا في ٣أغسطس ١٩١٤م الحرب على فرنسا بسبب موقفها المريب منها، وزحفت الجيوش الألمانية في اليوم التالي نحو بلجيكا للعبور منها إلى فرنسا وأمهلتها اثنتي عشرة ساعة للسماح لها بالعبور، فرفضت بلجيكا هذا المرور واستنجدت بإنجلترا، التي طلبت من ألمانيا احترام حياد بلجيكا، ولم يلتفت الألمان لذلك فأعلنت إنجلترا في ٤ أغسطس ١٩١٤م الحرب على ألمانيا، وفي نفس اليوم الذي أعلنت فيه ألمانيا الحرب على روسيا وهو ١ أغسطس ١٩١٤م عقدت مع الحكومة العثمانية معاهدة سرية تعهدت فيها بمساعدتها ضد روسيا، وتظاهرت الدولة العثمانية بالحياد لفترة قصيرة، ولكن عندما اكتملت استعداداتها الحربية أرسلت أسطولها فضرب في ٢٩ أكتوبر عام ١٩١٤م الموانئ الروسية على البحر الأسود، فردت روسيا على الاعتداء بإعلان الحرب عليها، وفي ٥ نوفمبر أعلنت فرنسا وإنجلترا الحرب على الدولة العثمانية، وقطعت علاقاتها بها، وفي ديسمبر أعلنت إنجلترا الحماية على مصر وقطعت بذلك أي ارتباط بينها وبين الدولة العثمانية، وأصبح القتال عالميا في فترة لم تزد على ثلاثة أشهر وشمل خمسا من القارات الست، ووقفت الإمبراطورية الألمانية والنمساوية والعثمانية في جانب، وروسيا وفرنسا وإنجلترا ومستعمراتها واليابان وبلجيكا والصرب والجبل الأسود في الجانب الآخر، ودخلت إيطاليا المترددة في نهاية الأمر مع فرنسا وإنجلترا بعد وعدها بغنيمة جيدة في حالة الانتصار.

ودامت الحرب اثنين وخمسين شهرا، وكانت شديدة العنف عاصفة الفتك، استطاعت فيها الدول الصناعية الكبرى تحريك جيوشها والمؤن والمعدات بسهولة، واضطرت جميع الدول المتحاربة أن تعتصر جهد أممها بشدة ثم تزيد هذا الاعتصار اعتصارا طلبا للمزيد، لا من القوات المسلحة فحسب، بل من الجبهات المدنية أيضا.

وبعد مرور عامين من الحروب بين الأطراف المتنازعة لم يحقق الجانبان نصرا حاسما يرجح كفة أحدهما على الآخر، ولكن في عام ١٩١٧م والذي يعتبر أهم أعوام الحرب بسبب حدثين هامين وقعا فيه وغيرا توازن القوى العالمية المتصارعة وهما دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب في ٢ أبريل عام ١٩١٧م، وقيام الثورة الروسية.

فقد أعلن الرئيس الأمريكي ولسن الحرب على ألمانيا في رسالته المشهورة بتاريخ ٣ أبريل ١٩١٧م، وأعلن أن غرض الولايات المتحدة من الحرب جعل العالم مكانا آمنا للديموقراطية بالقضاء على الرق الحربي الألماني، وإنشاء نظام لإقرار السلام في العالم، وكانت تطلق على فرنسا وإنجلترا وروسيا الأصدقاء وليس الحلفاء.

وفي روسيا قامت الثورة على القيصر في ٨ مارس عام ١٩١٧م، وتنازل عن العرش بعد رفض الجيش قمع الثورة، وتولى الحكم حكومة مؤقتة أرادت استمرار الحرب، ولم تلبث أن حدث انقلاب عليها بقيادة لينين زعيم ألبلشفيك في ٦ نوفمبر ١٩١٧م، وقامت حكومة اشتراكية شيوعية برئاسته، وأعلن لينين عزمه على عقد صلح مباشر مع ألمانيا، وأبلغ هذا القرار حلفاء روسيا، وفي ٣ مارس عام ١٩١٨م وقع مع ألمانيا معاهدة "برست ليتوفسك" تنازلت فيه روسيا عن مساحات شاسعة لألمانيا والدولة العثمانية، وخرجت بذلك من الحرب.

وكان لتوقيع هذه المعاهدة أثر سيئ على الحلفاء، ففي الوقت الذي لاحت فيه بوادر النصر بدخول الولايات المتحدة الأمريكية بجانبهم، قلب خروج الروس حسابات المعركة، وفرحت ألمانيا بذلك، وأخذت تعد العدة للقيام بحملة قوية جدا تجهز فيها تماما على أعدائها قبل وصول جيوش أمريكا، وفي ١٠ مارس عام ١٩١٨م قام الألمان بهجوم كبير جدا استنفذ قدرا كبيرا من عتادهم ومؤنهم وحققوا فيه بعض التقدم، ولكن الحلفاء أعادوا تنسيق جهودهم وصدوا الهجوم الألماني، ووصل مئات الآلاف من الجيوش الأمريكية مدعومة دعما نفسيا وماليا وعسكريا، وعند ذلك أدرك الإمبراطور الألماني

ضياع أمل ألمانيا في الانتصار في هذه الحرب، وأبدى رغبته في الصلح قبل أن تهزم ألمانيا، ولكن الهزائم قد بدأت بالفعل في صفوف الجيوش الألمانية والبلغارية والنمساوية والعثمانية، في سورية والعراق واليونان وبلغاريا، وبدأت تلك الدول دولة إثر دولة تطلب الصلح وإيقاف الحرب.

وبهذه النهاية تكون دول الحلفاء قد انتصرت في الحرب، ولا شك أن سبب الانتصار الرئيسي -بعد إرادة الله تعالى- هو دخول أمريكا في الحرب التي كانت مصالحها الاقتصادية قد تضررت من الحرب، وأيضا بهذه النهاية سقطت الإمبراطورية الألمانية، وسقطت الإمبراطورية النمساوية، وسقطت الإمبراطورية العثمانية الإسلامية، وفقدت ما كان لها من ممتلكات خارج تركيا، وسقط ملك بلغاريا، وقرر الحلفاء عقد مؤتمر في باريس في يناير ١٩١٩م برئاسة "كليمنصو" رئيس فرنسا، وحضرته الدول المنتصرة الأوربية وغير الأوربية مثل اليابان والصين وبعض دول أمريكا اللاتينية والحجاز -المغدور-، وتولى العسكريون النصارى التسوية المقبلة لسلام يكون عادلا لهم فقط بغض النظر عن مطالب الآخرين المهزومين أو حتى بعض الحلفاء من أمثال العرب المخدوعين الذين ثاروا وحاربوا جنبا إلى جنب مع الحلفاء، ومع هذا لم يتورع هؤلاء النصارى عن اقتسام بلادهم فيما يعرف باتفاقية سايكس - بيكو المشؤومة التي ابتدعت خدعة الانتداب على الدول المتخلفة، وما أعقبها من وعد بلفور -الذي هو أشأم منها- بمنح اليهود أرض فلسطين، وبهذا الغدر الذي حصل للعرب والمسلمين، يصبح المسلمون من أكثر الناس خسارة في هذا الحرب الرهيبة.

وأما المجتمع الأوربي فقد تهاوت فيه الأسر الحاكمة القديمة التي خسرت المعركة، فقدت تهاوت في روسيا وألمانيا والمجر، وفي المقابل استطاعت الديموقراطية أن تصمد بعد أن ساعدتها أمريكا في الانتصار في المعركة، وكانت النتيجة أن ظهر عدو جديد كبير للديموقراطية الرأسمالية وهو النظام الشيوعي، وقد عقد الثوار البلاشفة مؤتمرا دوليا في عام ١٩١٨م بهدف إيجاد دولية جديدة وهي الدولية الشيوعية، وعقب ذلك دعا

الاشتراكيون الغربيون في مؤتمر برن إلى مؤتمر اشتراكي دولي عام ١٩١٩، وقد شجب هذا المؤتمر الذي سيطر فيه الاشتراكيون الفرنسيون والإنجليز بالأغلبية المذهب البلشفي، وأكد إخلاصه وولاءه للمبادئ الديموقراطية، وحصل انفصال بين الاشتراكيين الديموقراطيين من جهة والشيوعيين من جهة أخرى.

لقد أحدثت الحرب العالمية الأولى تغيرات جذرية متعددة داخل وخارج أوربا، وأصبحت المجتمعات الأوربية النصرانية تعيش حالة من الاضطرابات السياسية كانت ثمرة التطبيق العملي لمعاهدات الصلح التي تمت[1].

ولعل أبرز ما يتعلق بهذا المطلب من أحداث هو أنه عندما أعلنت بريطانيا وفرنسا والحلفاء الحرب على ألمانيا، انقسم الزعماء الدينيون والجميع في آرائهم حول الحرب، ولم يكن الانقسام دينيا بالمعنى المفهوم، وإنما حول أخلاقيات الحرب وتداعياتها على المدى البعيد. وقد حصل إعلان الرئيس "ويلسون" بدخول أمريكا الحرب العالمية الأولى على تأييد شبه كامل من الجماعات الدينية، حتى تلك الملتزمة عادة بمبدأ السلام -من أمثال فرقة شهود يهوه-.

ومما سهل تقبل الأمر، وصف "ويلسون" دخول أمريكا بأنه لم يكن إلا لدعم حقوق الإنسان. وحتى من أيد ألمانيا مسبقا في النزاع الأوروبي تحول عن ذلك. ونظر للحرب على أنها شر لا بد منه، وأنها الطريق الوحيد للسلام، ولذلك فهي حرب عادلة، وانشغلت المنظمات الدينية وزعماؤها بتأييد محموم لجهود الحرب، مما جعلها تبدو كحملة صليبية.

---

(١) انظر التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، د. جلال يحيى، (٣/ ١٩). وانظر التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د. عبد العزيز نوار ود. عبدالمجيد نعنعي، (٤٥١-٤٧٠). وانظر تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، د. عمر عبد العزيز عمر، (٢٣٩-٢٥٥). وانظر تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث، عبدالعظيم رمضان، (٢/ ٢٠٩- ٢٢٩). وانظر موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزيدي، (٣-٤/ ٩٢٧). وانظر تاريخ أوربا المعاصر، د. إسماعيل ياغي، (١٨٧).

فقد روج بين أمم الحلفاء وعلى رأسهم الأمريكيين أن الرب قد دعاهم لدخول المعركة؛ لإحراز النصر النهائي للحضارة المسيحية، ومجد المحاربين كأبطال الحق والخير ضد أتباع الشيطان والشر. وقامت المنظمات الدينية البروتستانتية والكاثوليكية واليهودية؛ وكذا القساوسة بتلبية حاجات العسكريين وأسرهم. وكانت الحرب العالمية الأولى هي السابقة الأولى التي تقدم فيها خدمات غير دينية للعسكريين وأسرهم. فلم تهتم المنظمات الدينية بالنواحي الروحانية فقط، وإنما عملت في المجالات الدنيوية لتلبية الاحتياجات المتعددة التي فرضتها ظروف الحرب، وقد أعفى قانون الخدمة الاختيارية لعام ١٩١٧ رجال الكنيسة وطلاب معاهد اللاهوت من الخدمات القتالية، كما أعفى أيضا أعضاء كنائس السلام التاريخية، ومما يثبت رواج صليبية الحرب وقدسيتها أنه على الرغم من منح آلاف من شهادات الإعفاء، إلا أن من استخدمها لا يمثل إلا نسبة قليلة،وغالبية من تم تجنيدهم ذهبوا إلى الحرب[1].

الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥م[2]:

ظهرت في المجتمعات النصرانية الأوروبية عقب نهاية الحرب الأولى أنظمة ديكتاتورية جديدة كان أبعدها أثرا الشيوعية في روسيا والفاشية في إيطاليا والنازية الاشتراكية في ألمانيا، ومما ساعد على ظهور الدكتاتورية الأزمة الاقتصادية التي حدثت عام ١٩٢٩ واستمرت حتى عام ١٩٣١م وعمت أوربا بخاصة والعالم بعامة.

---

(١) انظر الدين والسياسة في الولايات المتحدة، مايكل كوربت وجوليا كوربت، ١/١٢٦، مكتبة الشروق، ط الثاني.

(٢) انظر التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، د. جلال يحيى، (٣/٢٥٧-٣٣٥). وانظر التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د. عبد العزيز نوار ود. عبدالمجيد نعنعي، (٥٩٣-٦٢٨). وانظر تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث، عبدالعظيم رمضان، (٣/١٠٣-١٥٥). وانظر موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزيدي(٣- ٤/ ١٠٣٦). وانظر تاريخ أوربا المعاصر، د. إسماعيل ياغي، (٢٢٥).

وكانت جميع الأحداث السياسية التي شكلت تاريخ المجتمعات النصرانية والأحداث الدولية الهامة ما بين الفترة التي توسطت الحرب العالمية الأولى والثانية ١٩١٩ - ١٩٣٩م متعلقة تعلقا مباشرا بالتسويات أو تقسيم أسلاب الدول المهزومة بين الدول الكبرى المنتصرة، والتجاهل الذي عاملت به شركاءها الصغار في الانتصار، واستئثارها بنصيب الأسد من هذه التركة، فقد أدت سلسلة المعاهدات التي فرضت على الدول المهزومة - معاهدة فرساي ألمانيا ١٩١٩- معاهدة سان جرمان مع النمسا ومعاهدة تريانون مع المجر ومعاهدة نابيي مع بلغاريا ومعاهدة سفير مع تركيا وعدلت بمعاهدة لوزان- إلى الشعور بالحقد والبغض والقلق وظهور العنصرية القومية والبغضاء والتنابذ والاضطرابات، وخيبة الأمل وبقاء أسباب حدوث حروب أخرى جديدة بين هذه المجتمعات التي جمعها كره الدين والبعد عنه وعبادة العقل والمادة والمال، وظهور التيارات والمذاهب الفكرية المتناقضة، وانتصار النفعية البرجماتية المتأصلة في الرأسمالية التي اتخذت الديموقراطية شعارا جديدا لسياسة وخداع الشعوب النصرانية المغرر بها، ولذلك كان ظهور الدكتاتوريات الشيوعية الاشتراكية القومية السالفة أمرا طبيعيا لمواجهة هذه التيارات الفكرية بتيارات فكرية مثلها، ولمواجهة التطرف الذي عوملت به عند التسويات بتطرف مثله عندما أحس المغرر بهم بالقدرة على الانتقام ممن سلبوهم حقوقهم التي زعموا.

فبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية كان الخراب والدمار قد حل بالبلاد الأوروبية وظهرت المشكلات الاجتماعية العميقة في صفوف المجتمعات الغالبة والمغلوبة، وقامت صراعات سياسية في داخل الدول والبلدان التي تحررت من الحكم النازي، مما أدى إلى تعميق الخلاف القديم بين الطبقات حول العقائد والمذاهب الفكرية المختلفة، وحدثت تحولات أساسية في الأوضاع الدولية، فقد قضي تماما على النظم التي كانت تحكم أوربا، واحتل الحلفاء دول أوربا الوسطى، وتحولت بعض البلاد من الملكية إلى الجمهورية كإيطاليا ويوغسلافيا وبلغاريا، وتحولت بلدان أخرى إلى الملكية كبلجيكا واليونان،

وتأسست الجمهورية الرابعة في فرنسا، وتحول عدد من الدول إلى الشيوعية راغبة أو بالرغم عنها كبولونيا وتشيكوسلوفاكيا وقسم من ألمانيا والنمسا ثم يوغسلافيا وبلاد البلقان ماعدا اليونان، وأصبحت بريطانيا التي أنهكتها الحرب دولة ذات نفوذ ضعيف في العالم، ولم يعد لها القدرة على التأثير في السياسة الأوروبية أو الدولية كما كانت من قبل، وأما فرنسا التي حررها الحلفاء فبعد أن رزحت تحت الاستعمار الألماني ضاعت هيبتها كدولة كبرى، ودخلت في عداد الدول الضعيفة، وفي المقابل ظهر عملاقان كبيران متنافسان على زعامة العالم، ولهما القدرة على التحكم في السياسة الدولية وهما مذهبان فكريان متناقضان وتياران متصارعان:

الأول: هو المذهب الشيوعي الإلحادي المتمثل في الاتحاد السوفيتي الذي قاده ستالين نحو الشق الأول من الانتصار في الحرب -بالمعدات الأمريكية -.

والثاني: هو المذهب الديموقراطي الرأسمالي المتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية، التي قادها روزفلت أولا ثم ترومان ثانيا إلى الانتصار في الشق الثاني من الحرب.

والجديد في هذا الأمر، أن زعامة العالم السياسية كانت مقصورة حتى تلك الفترة على الدول الأوروبية الغربية فقط، ولكن ظهور الاتحاد السوفيتي بتلك القوة في الحرب زاحم غرب أوربا ونافسها على هذه الزعامة، وزاد من هذه المنافسة دخول السوفيت في عالم أبحاث الذرة والتقدم التكنولوجي الهائل العلوم العسكرية واختراع أسلحة جديدة أحدثت انقلابا على النظم وفي علوم الجغرافية العسكرية القديمة، ولم تعد دولة من الدول الصناعية المنيعة في الغرب -مثل بريطانيا- بمنأى عن الأسلحة الذرية السوفيتية الفتاكة، وكان من أهم آثار انتهاء الاستعمار العسكري الأوروبي للدول الآسيوية كسوريا ولبنان والهند وإندونيسيا ومعظم المستعمرات الأفريقية[1].

(١) انظر التيارات السياسية المعاصرة، د. عبد الحميد البطريق، (٤١٥). انظر موسوعة تاريخ أوربا الحديث =

ومن أهم ما يذكر هنا أن معظم التيارات السياسية في أمريكا رفضت أن تتورط أمريكا في صراع أوربي آخر والدخول في حرب عالمية ثانية، وكان هذا قبل القصف الياباني للقاعدة الأمريكية بيرل هاربر في ١٩٤١، إلا أن هذا الهجوم أدى إلى تأييد ديني واسع الانتشار للتدخل في هذه الحرب، وساهمت عقيدة "الحرب العادلة" في تأييد وتبرير الدخول في الحرب، مؤكدة ضرورة الوقوف ضد التهديد النازي الفاشستي، ولكنها لم تجعل الحرب حملة صليبية ضد الشرور الشيطانية، وقامت المنظمات الدينية الكاثوليكية والبروتستانتية واليهودية بنفس الدور الذي فعلته في الحرب العالمية الأولى، فبثت روح الطمأنينة في قلوب المحتضرين، وتوفير السلام الروحي لهم، وتجاوز ذلك أيضا إلى تقديم كافة الخدمات الاجتماعية والإنسانية والإغاثية(١).

وكان من أهم الآثار التي نتجت عن الحرب العالمية الثانية ظهور أضحوكة هيئة الأمم المتحدة في ٢٦/ يونيو ١٩٤٥م، التي ضمنت فيها الدول الكبرى عدم مرور أي قرار يعارض مصالحها العليا وذلك بفرض حق النقض المسمى "بالفيتو" لهم، فكانت هذه الهيئة بمثابة مستقبل للصدامات العسكرية التي يمكن أن تنشأ بين الدول الكبرى، فالذي يليق بهذه الدول العظمى هو الجلوس على طاولة المفاوضات، وليس اصطفاف الجيوش في ساحات القتال التي قد لا تكون نتائجها محمودة، وأهم ما في هذه الهيئة - بحسب عقيدة الغرب الرأسمالي والشيوعي - أن الإسلام لم يمثل فيها كعملاق من عمالقة العالم، بل كان الإسلام في هذه الهيئة - ومازال - مكسور الجناح فاقد التأثير والقوة، وكأن هذه الهيئة صممت لإذلاله أولا، ثم لحقن الدماء الأوروبية وإجبار من يريد إهراقها على الجلوس على طاولة المفاوضات ثانيا، وما سوى ذلك من دماء الأمم فيمكن التريث فيه

=

والمعاصر، د. مفيد الزيدي، (٣-٤/ ١٠٩٥).

(١) انظر الدين والسياسة في الولايات المتحدة، مايكل كوربت وجوليا كوربت، (١/ ١٢٨).

ومعالجته بحسب مصالح الدول المهيمنة على هذه الهيئة.

ولكن سرعان ما قطعت العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا عام ١٩٤٧م، وظهر مصطلح الحرب الباردة بين العملاقين الجديدين، وقد أدت هذه القطيعة وهذه الحرب الباردة إلى بث الخوف الدول الأوربية فبحثت عن أحلاف وتكتلات عسكرية بدأت صغيرة ثم تطورت حتى وقع الجانب الرأسمالي حلف الأطلسي -ميثاق الأطلنطي- في إبريل ١٩٤٩م المسمى "بالناتو"، وتكون من اثنتي عشرة دولة هي: الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وهولندة وبلجيكا، ولكسمبورج، والنرويج، والدنمرك، والبرتغال، وكندا، وأيسلندا، ثم انضمت لهذا الحلف تركيا واليونان عام ١٩٥٢م وألمانيا الغربية عام ١٩٥٥م[1].

ولما وقع ميثاق حلف الأطلسي حمل الاتحاد السوفيتي مع منظومة الدول الاشتراكية الخاضعة لسيطرته على التوقيع على هذا الميثاق بشدة، وفي النهاية نظم مؤتمر في موسكو عام ١٩٥٤ ليبحث الأمن الأوروبي ودعيت إليه بريطانيا وفرنسا وأمريكا، فرفضوا الحضور، ثم فسخ الاتحاد السوفيتي معاهدات تحالفه مع بريطانيا وفرنسا، وفي عام ١٩٥٦م استطاع الجانب الشيوعي عقد حلف "وارسو" لما أسماه الكتلة الشرقية، مكون من ثمانية دول هي الاتحاد السوفيتي -رئيسا-، وبولندة (بولونيا)، وتشيكوسلوفاكيا، وألمانيا الشرقية، ورومانيا، وبلغاريا، وألبانيا، وهنغاريا، وبنود الميثاق نسخة عن ميثاق الأطلسي وتنص المادة الخامسة فيه على:

(تنظيم قيادة عسكرية موحدة، يعهد بها إلى الماريشال السوفيتي كومنيف)، ولم يغير هذا الحلف من واقع الكتلة العسكرية الشرقية، ولكنه أعطاها معنى مؤثرا، وعزز انقسام العالم إلى كتلتين، وألقى الرعب في قلب من كان يحاول أن يقف في وجه الكتلتين، وقد هاجمته أمريكا بالدرجة نفسها التي هاجم بها الاتحاد السوفيتي حلف الناتو، وذلك للعمل

(١) انظر موسوعة تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزيدي، (٣-٤/ ١١٥٢).

على جر الدول الأخرى إلى السير في مخططاته، والارتماء في أحضان إحدى الكتلتين، كما أن هذا التنظيم العسكري أضفى مسحة من الشرعية للوجود السوفيتي في شرق أوربا، وجعل من الصعب على الدول الأعضاء فيه أن تنسحب منه؛ لأن الانسحاب يقابل بمقاومة القوة المجتمعة لدى دول الحلف، - وقد انهار هذا الحلف مع انهيار الشيوعية عام ١٩٩١م -)[١].

وقد أحدثت هذه الأحلاف توازنا في القوى العالمية إلى حد كبير، وكان إفرازه الطبيعي على الدول الأوروبية هو السلام النسبي، وعدم وجود حروب دولية كبرى حتى نهاية القرن العشرين، وعملت كل كتلة تدعيم على نفوذها في البلدان الواقعة تحت نفوذها، وعمل الطرفان على إرهاب من لا ينتمي إلى أحدهما واضطهاد من حاول الثورة عليهما.

وبعد أن سقطت الشيوعية بانهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م بعد أن أعلن رئيس الاتحاد السوفيتي جورباتشوف البيريسترويكا -إعادة البناء- لما ظنه إصلاحا للشيوعية المتناقضة مع الفطرة، انفردت أمريكا بأكبر قوة نووية في العالم، وأصبح العالم النصراني كله وعلى رأسه هيئة الأمم المتحدة كأنه يعمل من أجل أمريكا وتعزيز هذا التصور، وظهر مصطلح جديد على الساحة الدولية اسمه النظام العالمي الجديد، ثم تطور إلى ما أطلق عليه العولمة[٢].

ولعل أهم ما يتعلق بهذا المطلب، هو قيام حركات دينية نصرانية إنجيلية في كل من أوربا وأمريكا، بعد الحرب العالمية الثانية تؤمن بنشوب بحرب "هرمجدون" التي جاء

---

(١) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، د. جميل المصري، (١/ ١٥٢)، دار أم القرى الأردن، ط. الثالثة.
وانظر موسوعة تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزيدي، (٣-٤/ ١١٥٨).

(٢) انظر موسوعة تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزيدي، (٣-٤/ ١١٦٤).

ذكرها في العهد الجديد[1]، وتؤمن هذه الحركات بأن الله مدبر كل شيء، وأن في الكتاب المقدس نبوءات واضحة وجلية؛ حدد الله فيها كيفية نهاية هذا الكون، ولا سيما في أسفار حزقيال ورؤيا يوحنا، وهذه الحرب ستكون حربا نووية مدمرة ينتشر فيها الخراب في سائر أرجاء الكون، ويقتل فيها الملايين من البشر، ويظهر فيها المسيح ليخلص أتباعه من هذه المحرقة، وينتشر السلام في مملكته –مملكة الرب– لمدة ألف عام، وأطلق عليه لقب الملك الألفي[2].

---

(١) سفر الرؤيا ١٦: ٦. وانظر مبحث عقيدة الحرب في نصوص العهد الجديد.

(٢) انظر النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة محمد السماك، (١٢)، دار الشروق، ط. الرابعة. وانظر يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب، د. سفر الحوالي، (١٩). ولقد بين الدكتور يوسف الحسن في رسالته للدكتوراه "البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني" عرض أصول وجذور عقيدة هذه الحرب في الأصولية الصهيونية المسيحية في التاريخ الأوروبي والأمريكي، ورأيت أنه من المفيد تلخيص أبرز ما جاء فيها في النقاط التالية:

أولا: جذور الصهيونية المسيحية في التاريخ الأمريكي:

"شكلت الاتجاهات الصهيونية عنصرا بارزا في الحياة الثقافية والسياسية الأمريكية منذ البداية الأولى لاستيطان الأوروبيين العالم الجديد، خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر، والذي سمي فيما بعد الولايات المتحدة الأمريكية.

فالمهاجرون الأوائل كانوا من البيوريتانيين –التطهيريين– الذين حملوا معهم التقاليد والقناعات التوراتية، وتفسيرات العهد القديم، التي انتشرت في انجلترا ودول أوروبية في القرن السادس عشر وما بعده.

وقد سمح لليهود ببناء محافلهم الدينية في وقت مبكر إثر هجرتهم إلى العالم الجديد الأمريكي. وتم لهم ذلك قبل أن يسمح البروتستانت البيوريتانيون المسيطرون على معظم المستوطنات الجديدة لطائفة الكاثوليك في بناء كنائسها.

وكانت العبرية من بين الموضوعات الإجبارية في جامعة هارفارد التي لا يمكن قبول الطالب فيها إلا إذا كان قادرا على ترجمة النص العبري الأصلي للتوراة إلى اللاتينية، وقد قدمت أول دفعة طلابية تخرجت في جامعة هارفارد عام ١٦٤٢ أطروحة جامعية بعنوان "اللغة العبرية هي اللسان الأم".

=

وأصبح البيوريتانيون النموذج الروحي للعهد القديم العبري، وأسموا أنفسهم أطفال إسرائيل في طريقهم إلى الأرض الموعودة، واحتفلوا بيوم السبت كيوم راحة لهم.

وفي عام ١٨١٤ م وقف القس جون ماكدونالد راعي الكنيسة المسيحية في مدينة أولباني داعيا إلى أن اليهود يجب أن يعودوا إلى أرض صهيون، ولا بد للولايات المتحدة الأمريكية من أن تقود الأمم.

ومن هؤلاء الرواد الأوائل القس والرحالة ليفي بارسوتر، الذي زار فلسطين عام ١٨١٩م وتبعه عشرات من الزائرين ورجال الدين الذين عادوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكان لأرائهم وأفكارهم أكبر تأثير على نفوس أتباعهم والمستمعين إليهم. وغالبا ما كانت هذه الآراء عاكسة لاطروحات البروتستانت الأصوليين المتعلقة بإعادة اليهود إلى الأرض الموعودة كمقدمة لعودة المسيح الثانية.

وقد نشرت صحيفة جيروزالم بوست حديثا للحاخام الأميركي جولد شتاين جاء فيه: "لقد بعث مؤسس الكنيسة المورمونية جوزيف سميث تلميذه أورسون هايد إلى القدس عام ١٨٤٠ من أجل تسهيل نبوءة بعث إسرائيل".

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر، لم يكتف أحد قادة البروتستانتية واسمه ووردر غريسون بتعاطفه مع الأفكار الصهيونية المتعلقة باليهود كشعب، وبوطنهم الموعود في فلسطين، بل تحول إلى الديانة اليهودية، وهاجر إلى فلسطين، وأصبح مستشارا غير رسمي للولايات المتحدة الأمريكية في القدس ثم قنصلا لها عام ١٨٥٢ وأصبح نشاطه منصبا على إعادة تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين، وقام بإنشاء مستوطنة زراعية يهودية لتدريب المهاجرين اليهود على شؤون الزراعة والانتاج الزراعي.

وقد شجع استقراره في فلسطين آخرين من البروتستانت الأصوليين، فقادت المرأة كلورندا ماينور زوجة أحد كبار التجار في مدينة فيلادلفيا مجموعة من رجال الدين المسيحي للهجرة إلى فلسطين عام ١٨٥٠ وملكت مساحات شاسعة من الأراضي، ووهبتها لمنفعة إقامة مستوطنات يهودية من بينها مستوطنة جبل الأمل بالقرب من تل أبيب وعاشت مع آخرين هناك عدة سنوات انتظارا للعودة الثانية للمسيح.

وفي عام ١٨٦٦ قاد القس آدم أكثر من ١٥٠ رجل دين مسيحي من ولاية ماين للاستيطان في فلسطين، وهكذا شارك البروتستانت الصهيونية اليهودية التوق إلى استعادة فلسطين.

ويعد الرئيس الأمريكي جون آدمز ١٧٦٧– ١٨٤٨ أول رئيس أمريكي يدعو إلى استعادة اليهود وطنهم وإقامة حكومة مستقلة، وقد كتب رسالة إلى الصحفي الصهيوني مانويل نوح عام ١٨١٨ يقول فيها:" أتمنى أن أرى ثانية أمة يهودية مستقلة في يهوذا".

ولم تتوقف الصهيونية غير اليهودية عند حدود الدعوات والمواعظ والتبشير بعودة اليهود إلى فلسطين وإقامة وطن قومي لهم فيها، بل شاركت في تأسيس المستوطنات اليهودية الأولى في فلسطين، ويذكر بيتر غروز أن سبعين أمريكيا قد ساهموا في إقامة مستوطنة يهودية عام ١٨٦٧ كما سبق أن قام ضابط بحري أمريكي هو وليام لينش برحلة رسمية للإبحار في نهر الأردن والبحر الميت ١٨٤٧، وقدم تقريرا يشير إلى أن التفكك النهائي لعقد الإمبراطورية العثمانية سيحقق استعادة اليهود فلسطين، وقد سيطرت رحلته تلك على خيال الجمهور الأمريكي.

وهكذا دخل الولايات المتحدة الأمريكية منذ بداية تأسيسها وبشكل طبيعي العهد القديم، مع أوائل المهاجرين إليها، واتخذ مكانة خاصة في التراث المسيحي اليهودي فيما بعد.

ومارس المهاجرون الأوروبيون الأوائل الأسلوب الاستيطاني اليهودي القديم نفسه لأرض كنعان، فقد درس هؤلاء المهاجرون واستوعبوا قصص العهد القديم وبخاصة عناصره الخمسة الأساسية، وهي أسفار التكوين والخروج والأحبار –اللاويين– والعدد والتثنية، التي تناولت قصة دخول اليهود أرض كنعان بعد خروجهم من مصر، فصارت الولايات المتحدة الأمريكية عند هؤلاء المهاجرين كنعان الجديدة، وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء، حينما فروا من ظلم فرعون (الملك الإنجليزي جمس الأول في هذه الحالة) وهربوا من أرض مصر (إنجلترا في هذه الحالة) بحثا عن أرض الميعاد الجديدة. وكانت مطاردة مهاجري أوربا الهنود الحمر في العالم الجديد الأمريكي مشابها لمطاردة العبرانيين القدماء للكنعانيين في فلسطين.

وقد أوجد التشابه في هذه التجربة قناعة وفلسفة وعاطفة متشابه ومشتركة بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث، فالذين هاجروا في القرنين السابع عشر والثامن عشر أبادوا معظم سكانها الأصليين من الهنود الحمر واستوطنوا مكانهم، والذين هاجروا ومازالوا يهاجرون من يهود العالم إلى فلسطين المحتلة في العصر الحديث، استخدموا أساليب متطورة في طرد سكانها العرب الفلسطينيين الأصليين، واستوطنوا أراضيهم، بل حاولوا أبادتهم.

وكانت المواعظ الدينية خلال الحرب الأهلية الأمريكية تشبه الشعب الأمريكي بالشعب اليهودي الذي يسعى إلى دخول الأرض الموعودة، كما استخدم قساوسة فيما بعد من أمثال جوزيا سترونغ في عام ١٨٨٦ في كتاب له بعنوان بلادنا "عبارة الشعب المختار" مشيرا إلى أن العنصر الإنكلوسكسوني قد اختاره الله لتحضير العالم.

وقد اقترح الرئيس الأمريكي جيفرسون أن يمثل رمز الولايات المتحدة الأمريكية على شكل أبناء إسرائيل، تقودهم في النهار غيمة، وفي الليل عامود من النار بدلا من النسر، ويتفق هذا الاقتراح مع نص العهد القديم

في سفر الخروج: (وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عامود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلا في عامود نار ليضيء لهم) خر١٣/ ٢١.

ومن أبرز نماذج الحركة الصهيونية المسيحية في أمريكا، ورموزها وليم بلاكستون وهو رجل دين ومؤلف ورحالة وثري، ومن أوائل من مارس الضغط المؤسسي والمنظم على صانعي القرارات الأمريكية، لمصلحة أهداف الصهيونية اليهودية السياسية، فقد نشر بلاكستون عام ١٨٧٨ لأول مره كتابه "عيسى قادم" والذي ترجم إلى أكثر من ٤٨ لغة ومنها اللغة العبرية، وطبع عدة طبعات، وبيع منه أكثر من مليون نسخة، وكان أكثر الكتب انتشارا في القرن التاسع عشر، وكان أخطر منشور للدعوة الصهيونية المتعلقة بالاستعادة الأبدية لأرض كنعان من قبل الشعب اليهودي. وقد أشاد بلاكستون في كتابه عام ١٩٠٨ باليهود وعودتهم إلى فلسطين كإشارة إلى نهاية الزمن، وكتب يقول: "إن النبوءة التوراتية هي أكثر إيفاء من تلك الصهيونية الحالية، ورأت الحركة الصهيونية اليهودية السياسية المعاصرة في وليام بلاكستون البطل البارز من أجل صهيون، ووجد القادة المسيحيون في كتابه أنه الأكثر إثارة للاهتمام والقراءة في العصر، وقد نال من الاهتمام أكثر من أي مجلد آخر سبق نشره قبل ذلك بعقود كثيرة.

وأسس بلاكستون عام ١٨٨٧ في شيكاغو منظمة سماها "البعثة العبرية نيابة عن إسرائيل، وعملت هذه المنظمة على دعوة اليهود إلى العودة إلى الأرض المقدسة في فلسطين، واستمرت في عملها حتى يومنا هذا. وأصبح اسمها حاليا" الزمالة اليسوعية الأمريكية.

وبعد أن زار بلاكستون فلسطين عام ١٨٨٨ هو وابنته تأثر كثيرا وأطلق نداء قال فيه: "الحل الوحيد للمسألة اليهودية الروسية، هو الهجرة إلى فلسطين "حيث الأرض بلا شعب وشعب دون أرض" ونظم مؤتمرا في شيكاغو حول " ماضي وحاضر ومستقبل إسرائيل، وضرورة عقد مؤتمر دولي لمناقشة أوضاع الإسرائيليين ومطالبهم في فلسطين كوطن تاريخي لهم، وقاد في أوائل عام ١٨٩١ حملة للتوقيع على عريضة على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية لتأييد دولة يهودية في فلسطين، ووقع هذه العريضة ٤١٣ شخصية أمريكية بارزة من بينها رئيس مجلس النواب تسار ريد والكاردينال غيبونز، وعدد كبير من القضاة وحكام الولايات ورجال الدين وأعضاء الكونغرس والمحررين والصحفيين ورجال الأعمال، وقدمت للرئيس الأمريكي بنجامين هاريسون، وسط تغطية إعلامية واسعة، وطلب منه استخدام نفوذه ومساعيه لتحقيق طلبات الإسرائيليين في فلسطين كوطن قديم لهم.

ونتيجة لذلك اهتم الرئيس بالأمر وبعث وزير خارجيته بمذكرة احتجاج إلى الحكومة الروسية بسبب ما

يواجهه اليهود في روسيا ورومانيا من قمع واضطهاد.

وتعد هذه العريضة أول مبادرة مسيحية رئيسية لدعم الحركة الصهيونية السياسية في أمريكا. وقد أثارت ردود فعل واسعة أكثر مما أثاره كتاب هرتزل –أبو الصهيونية– المسمى "الدولة اليهودية"، وكانت من الأسباب الرئيسية لاستجابة الرئيس ولسون فيما بعد لقبول وعد بلفور.

وكان الدبلوماسيون الأمريكيون يحثون الحكومة العثمانية على توطين اليهود في فلسطين، ومن ذلك ما قام به سفير الولايات المتحدة الأمريكية ليو والاس في الفترة ١٨٨١ – ١٨٨٥ في الآستانة، من تقديم عدة مقترحات إلى وزارة خارجيته تقضي "أن تكون فلسطين وليس الولايات المتحدة الأمريكية وطنا لليهود".

كما نشر قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في القدس إدوين والاس مذكراته التي سماها "القدس المقدسة" يقول فيها:" قد يكون موضوع استعادة إسرائيل غير شعبي الآن، ولكن ما هو اليوم غير شعبي سيكون مقبولا في العالم غدا".

ويعتبر الرئيس الأمريكي ولسون أحد الرؤساء الأكثر تأثرا بالصهيونية منذ طفولته، فقد نشأ في بيئة دينية؛ إذ كان أحد رجال الكنيسة الإنجيلية المسيحية، وبدأ يعلن في خطبه أنه قد أعطي الفرصة التاريخية لخدمة رغبة الرب بتحقيقه البرنامج الصهيوني، وأنه يتوجب على ابن راعي الكنيسة أن يكون قادرا على المساعدة لإعادة الأرض المقدسة إلى شعبها اليهودي.

تقول ريجينا شريف: إن التزام الرئيس ولسون بالصهيونية كان عميقا جدا، وكان معميا –متشبعا– بالفكر الصهيوني المسيحي إلى الدرجة التي لم ير فيها النتائج الأخلاقية والسياسية والدينية للبرنامج الصهيوني.

ويقول غروس: إن الرئيس ولسون كان يعتقد أن عدد اليهود في العالم حوالي مئة مليون في الوقت الذي لم يكن عددهم يتجاوز أحد عشر مليونا.

ومما لا شك فيه أن استجابة الرئيس ولسون بحكم ثقافته التوراتية للدعاوي الصهيونية اليهودية السياسية كانت طبيعية، فأيد مقترحاتها، وبخاصة تغييره لاصطلاح الوطن القومي لليهود الوارد في وعد بلفور إلى الوطن القومي للشعب اليهودي.

وقد ظلت موافقة الرئيس ولسون على مشروع وعد بلفور في طي الكتمان بسبب موقع الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الأولى وفي السياسة الدولية. وحينما تأكدت نهائيا هزيمة تركيا –الدولة العثمانية– قال ولسون في أغسطس ١٩١٨: "اعتقد أن الأمم الحليفة قد قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييد تام من حكومتنا وشعبنا".

وقد أصدر مجلس النواب في ٣٠ يونيو عام ١٩٢٢ قرارا يؤيد إعطاء بني إسرائيل الفرصة التي أنكرت عليهم

طويلا لإعادة تأسيس حياة يهودية وثقافية مثمرة في الأرض اليهودية القديمة.

كما قدم السناتور الجمهوري هنري كابوت لودج رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ التوصية بتأييد وعد بلفور. وفي ٢١ سبتمبر ١٩٢٢ صادقت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بصورة نهائية على وعد بلفور. وبذلك دخلت شريكا مضاربا مع بريطانيا في فلسطين لبناء الوطن القومي اليهودي، ولضمان المصالح الحيوية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط.

وعلى صعيد ترجمة الإيمان الصهيوني غير اليهودي إلى مؤسسات ومنظمات:

برزت في النصف الأول من القرن العشرين عدة منظمات ولجان مسيحية تستخدم اسم فلسطين، وتهدف إلى تعبئة الرأي العام وممارسة الضغط على الجهات الرسمية في الإدارة الأمريكية والكونغرس لمصلحة الصهيونية السياسية، وقد شارك في عضويتها بشكل أساسي قيادات بروتستانتية، إضافة إلى مسؤولين حكوميين، وسياسيين، ورجال أعمال وصحفيين، كما ساهمت منظمات صهيونية يهودية في خلق بعض هذه المنظمات الصهيونية المسيحية أو دعمها أو التنسيق معها.

ومن أوائل هذه المنظمات واللجان "منظمة فدرالية أمريكا الموالية لفلسطين"، التي أسسها القس تشارلز رسل في عام ١٩٣٠. و"اللجنة الفلسطينية الأمريكية" التي تأسست في مايو عام ١٩٣٢، وضمت عددا كبيرا من رجال الدين أعضاء الكونغرس والوزراء عند التأسيس. و"المجلس المسيحي لفلسطين"، وهي منظمة صهيونية تأسست عام ١٩٤٢، وكان من أعضائها قساوسة بروتستانت. وقد انضم كل من اللجنة الفلسطينية الأمريكية والمجلس المسيحي لفلسطين عام ١٩٤٦ في منظمة جديدة عرفت باسم " لجنة فلسطين المسيحية الأمريكية، وبذلك امتزجت الاتجاهات الدينية بالاتجاهات السياسية داخل إطار الصهيونية المسيحية، وقد ساعد في عملية الدمج منظمات يهودية بارزة أهمها مجلس الطوارئ الصهيوني الأمريكي.

وقد ذكر السناتور وليام فولبرايت، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي في مايو ١٩٦٣ عن نشاط الممثلين غير الدبلوماسيين للحكومات الأجنبية:أن مجلس الطوارئ الصهيوني الأمريكي تلقى خمسة ملايين دولار من الوكالة اليهودية في القدس لخدمة أهداف إسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكي، وأن هذا المجلس أنفق جزءا من هذه الأموال على الصحف الأمريكية، وعلى خلق قيادات دينية في المراكز الحساسة، وإقامة ندوات لرجال الدين المسيحي عن إسرائيل، ونشر مقالات إيجابية في الصحف البروتستانتية والكاثوليكية لمصلحة الصهيونية، والعمل المضاد لكل اتجاه عدائي للصهيونية وإسرائيل في هذه الصحف.

وتأتي أهمية توقيت الدعم المالي للجنة فلسطين المسيحية الأمريكية وللصحف المسيحية من أنها جاءت في سنوات الحسم قبيل إنشاء الدولة اليهودية، مؤكدة مدى أهمية هذه المنظمات المسيحية الأصولية في تدعيم

الاتجاهات الصهيونية، وممارسة الضغوط السياسية على الإدارة الأمريكية من أجل مصلحة إقامة دولة يهودية في فلسطين، مستخدمة في ذلك كل وسائل النشر المتاحة والندوات والمؤتمرات والإعلانات والعرائض... إلخ.

وكانت تعليمات الحركة الصهيونية اليهودية السياسية تتجه نحو ضرورة إيجاد تنظيم فوري للجان فلسطين المسيحية الأمريكية في كل تجمع أمريكي.

ومارست لجنة فلسطين المسيحية الأمريكية برئاسة القس كارل بيهر في عام ١٩٤٨ ضغوطا كبيرة على أعضاء الكونغرس من أجل زيادة المساعدات المالية المقدمة إلى إسرائيل ورفعها إلى ١٥٠ مليون دولار بعد أن تقدمت الإدارة الأمريكية بمشروع مساعدة بحوالي ٢٣. ٥ مليون دولار.

وكانت الإدارة الأمريكية قد منحت الدولة اليهودية حال إعلان قيامها عام ١٩٤٨ مبلغ مئة مليون دولار لمشاريع التنمية الاقتصادية، ثم توالت القروض بعد ذلك ومن بينها قرض بقيمة ٣٥ مليون دولار عام ١٩٥٠.

وكان الفرد الأوروبي في عام ١٩٥٢ يحصل على معونات من أمريكا بمعدل سبعة دولارات وعشرين سنتا سنويا، وينال الفرد في الشرق الأوسط دولارا واحدا وثلاثة سنتات، وينال الفرد في جنوب شرق آسيا تسعة وخمسين سنتا سنويا، بينما كان الفرد في إسرائيل ينال ٤٨ دولار سنويا.

وقد عارضت هذه اللجنة عام ١٩٥٤ قرار الإدارة الأمريكية الموافقة على بيع السلاح للدول العربية، ومارست ضغوطا شديدة على الكونغرس والحكومة الأمريكية، وقد شملت شروط اللجنة في ذلك الوقت ما يلي:

١. إعلان رغبة الدول العربية في الانضمام إلى حلف "الدفاع عن العالم الحر" ضد الشيوعية.

٢. الموافقة على التفاوض مع إسرائيل لإيجاد حل سلمي.

٣. إنهاء المقاطعة العربية المباشرة وغير المباشرة والحصار المفروض على إسرائيل.

وقدمت هذه اللجنة في عام ١٩٥٨ احتجاجا إلى وزير الخارجية الأمريكي، ضد بيانات السفير الأمريكي شيلدون مليز في الأردن التي أعلن فيها أن اليهود يقومون بجرائم في فلسطين.

وقد تلاشت هذه اللجنة تدريجيا بعد انكشاف ارتباطها الوثيق بالحركة الصهيونية اليهودية، فتحولت الحركة الصهيونية اليهودية عنها بحثا عن عناصر ومؤسسات أكثر التزاما بالتفسيرات اللاهوتية، إذ برزت قوى مسيحية جديدة لها رؤية لاهوتية سياسية في مسائل صراع الشرق الغرب وفي تدعيم إسرائيل بعد قيامها، كما أن لها أطرا مميزة داخل الجسم المسيحي نفسه، وبخاصة وسط مجلس الكنائس العالمي.

لقد كان إيمان الصهيونية المسيحية قبل تأسيس دولة إسرائيل ينصب على عودة اليهود كشعب إلى أرضه الموعودة في فلسطين، وإقامة كيانه الوطني فيها، تمهيدا للعودة الثانية للمسيح وتأسيسه مملكة الألف عام السعيد.

وبعد قيام إسرائيل أخذت الصهيونية المسيحية تنظر إلى إسرائيل كحدث وإشارة تؤكد معتقداتها اللاهوتية، وصار المؤمن بهذه المعتقدات يرى في دعم وتثبيت دولة إسرائيل تعجيلا وتسريعا ليوم الخلاص بعودة المسيح، وصارت أهم إشارة إلى نهاية التاريخ وعودة المسيح الثانية، قيام دولة إسرائيل بعد آلاف من السنين والتشريد.

وانصبت جهود الصهيونية المسيحية بعد قيام إسرائيل على تحقيق الأهداف التالية:

١. تأكيد شرعية دولة إسرائيل على أساس أنها جاءت تحقيقا للنبوءة التوراتية.

٢. تأكيد حق إسرائيل في أرض إسرائيل، بما فيها الضفة الغربية وغزة.

٣. طمأنة إسرائيل على أن الإنجيليين الأصوليين ملتزمون بالعمل في الولايات المتحدة الأمريكية من أجل أمن إسرائيل.

٤. التأكيد على أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن الله بالتالي "يبارك من يباركهم ويلعن لاعنيهم".

ثانيا: جذور الصهيونية في الكنائس البروتستانتية:

البروتستانتية هي أكثر الطوائف الدينية عددا في أمريكا وقد بلغ تعدادهم بحسب الإحصاءات الرسمية عام ١٩٨٢ قرابة ٧٧ مليون شخص، وتضم أكثر من ٢٠٠ طائفة مثل: المنهجيين والمشيخيين والأسقفيين، ويمكن تقسيم البروتستانتية إلى قسمين متميزين:

الأول: الخط العام البروتستانتي، الذي يضم كنائس النخبة والطبقة العليا في المجتمع الأمريكي، وتسمى: كنائس الأنجلوسكسون البيض، والتي تختصر بكلمة "واسب". وهي أهم الكنائس تأثيرا في صياغة السياسة الأمريكية، وتضم صلب التيار الصهيوني المسيحي وهو التيار الأصولي. ومن أبرز كنائسه: اللوثريون والمنهجيون والمعمدانيون.

الثاني: البروتستانتية الليبرالية، وهي تيار ديني يؤكد على الحرية العقلية ويركز على الروح والمضمون في التفسيرات اللاهوتية ويرفض التفسيرات الحرفية، ويضم أتباعا من مختلف طوائف الخط العام. ويعتبر المجلس الوطني لكنائس المسيح في أمريكا مظلتها الرئيسية، ويمثل أربعين مليون مسيحي، وأربعة وثلاثين رابطة طائفية.

وقد عارض هذا القسم فكرة الوطن القومي اليهودي في النصف الأول من القرن العشرين، ثم تراجعت هذه المعارضة بعد الحرب العالمية الثانية، وازداد هذا التراجع بعد حرب ١٩٦٧ واحتلال إسرائيل كامل مدينة القدس، واعترف كبار المعارضين السابقين بحق إسرائيل في الوجود، ونشطت قوى الحركة الصهيونية اليهودية السياسية داخل الكنيسة البروتستانتية الليبرالية سواء على شكل اجتماعات مشتركة أو لجان مشتركة، فقامت "لجنة الاعتقاد والنظام" داخل المجلس الوطني للكنائس بإصدار بيان عام ١٩٧٣ يؤيد إسرائيل ويعتبر فلسطين أرضا موعودة لليهود.

ولكن في عام ١٩٧٩ أقرت اللجنة التنفيذية للمجلس الوطني للكنائس بيانا يؤيد منظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد للشعب الفلسطيني، وأن لها دورا في المفاوضات.

ثالثا: الاتجاهات الصهيونية والكنيسة الكاثوليكية:

كان من الواضح منذ بدء الحركة الصهيونية اليهودية السياسية في مؤتمر بازل عام ١٨٩٧، أن هذه الحركة تتناقض مع العقيدة الكاثوليكية بمركزها الديني في الفاتيكان.

وقد أكد على ذلك البابا بيوس العاشر في لقائه مع الزعيم اليهودي الصهيوني هرتزل في ٢٦ يناير ١٩٠٤، حين أعلن البابا معارضته للحركة الصهيونية وللهجرة اليهودية إلى فلسطين، وكان موقف الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية أيضا غير محبذ لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

وقد عمل هرتزل على محاولة جذب الكنيسة الكاثوليكية إلى نصرة الصهيونية السياسية، حتى ولو أدى ذلك إلى تغيير اليهود ديانتهم إلى المسيحية.

وبعد أن أعلن بلفور وعده عام ١٩١٧، لم تعلن الكنيسة الكاثوليكية موافقتها عليه، وظلت دائما على معارضة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وحافظت على علاقة طيبة مع الجماعة اليهودية.

وبعد الحرب العالمية الثانية وبسبب ما نشر من الظلم النازي لليهود، أبدى بعض الكاثوليك تعاطفا مع بعض البرامج الصهيونية، ولكن بشكل عام لم يكن هناك موقف معلن من الكنيسة الكاثوليكية تجاه هذه البرامج سوى الإعلان عن تأييدها لمسألة تدويل القدس، وهو الموقف المبني على الخطة التي أقرتها الأمم المتحدة حول فلسطين عام ١٩٤٧.

وقد اعتمد الفاتيكان عند قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ واعتمدت معه كذلك الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية، موقفا صامتا لا يعترف بها ولا يدين قيامها. وأخذ يبدي اهتماما أكثر بتدويل القدس ومسألة اللاجئين العرب.

ولا يزال الفاتيكان حتى الآن لا يعترف قانونيا بإسرائيل ولكنه يعترف بها بحكم الواقع؛ فهو يجتمع بممثليها

ومبعوثيها، وقد اجتمع باباوات الفاتيكان بعدد من المسؤولين الإسرائيليين في السبعينيات والثمانينيات، من بينهم غولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل، التي قامت بزيارة الفاتيكان في ١٥/ ١/ ١٩٧٣ والتقت مع البابا بول السادس، وصارت إسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ على جدول أي حوار يهودي- كاثوليكي.

وظلت القدس على رأس الاهتمامات الكاثوليكية، وأخذت الكنيسة الكاثوليكية في أمريكا تشهد مظاهر مؤيدة لإسرائيل سواء داخل صحافتها أو في مواعظ وبيانات بعض قياداتها وفي بعض مؤتمراتها. وقد ساعد ذلك على توافر المناخ السياسي المؤيد للاتجاهات الصهيونية داخل أمريكا. البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني.

لقد أدركت قيادات ومنظمات الصهيونية المسيحية أهمية الإعلام في توجيه الناس، وأدركت التجول الكبير الذي طرأ على أساليب العمل السياسي، وعلى وسائل الاتصال مع الجماهير نتيجة ثورة الاتصالات وانتقال العالم من عصر السينما القديمة إلى التلفزيون القديم إلى عصر الفضائيات والأقمار الصناعية.

وقد وعت أن العمل السياسي أصبح نوعا من التأثير بالانطباع أكثر منه بالاقتناع، كما فهمت ضرورة وحيوية الاستعانة بفنون البرامج الاستعراضية والسينما ابتداء من الأضواء والألوان إلى التصوير والإخراج.

وقد استثمر رجال الكنيسة الأصولية عصر تقنية التفلزة والصور المرئية بعد ظهورها، وهم يستغلون اليوم عصر البرامج الفضائية، فقد استخدموا نتائج ثورة العلوم والتقنية والإدارة والاتصالات، ووجدوا في الصور المرئية خير وسيلة إلى أوسع الجماهير التي أصبحت مشاهدا شغوفا داخل البيوت.

القس جيري فولويل:

برز في أواخر الخمسينات كرجل دين إنجيلي، لكنه لم يدخل في الحياة السياسية إلا في أواخر الستينات، وبرز كقوة سياسية اعتبارا من منتصف السبعينات، حينما دعم ترشيح جيمي كارتر لرئاسة الجمهورية، وقد سخر إمكاناته الكنسية والإعلامية لدعم هذا الترشيح عام ١٩٧٦، وبدأ منذ ذلك الحين صعوده كنجم من نجوم المجتمع السياسي.

وصارت مواقفه من إسرائيل تتخذ تغطية واسعة من الصحافة ومحطات التلفزة. وقد أسس عام ١٩٧٧ كلية في مدينته لينشبرغ في ولاية فرجينيا، أسماها "كلية لينشبرغ المعمدانية" ثم غير اسمها إلى "كلية الحرية المعمدانية" ثم غيرها "جامعة الحرية"، وتدخل الدراسات الدينية في جميع تخصصاتها، ومنها الإيمان بقدوم المسيح الثاني حيث سيحكم ألف عام، ونشر المسيحية الأصولية وقيمها وعقيدتها. كما أسس عددا من المدارس للتعليم الابتدائي والثانوي.

كما أسس عام ١٩٧٩ منظمة سياسية أسماها "الأغلبية الأخلاقية" تعتبر دعمها لإسرائيل أهم مظهر لاهتمام الحركة المسيحية الأصولية بأمن وبقاء وإسرائيل. وينفق على هذه المنظمة وعلى مشاريعه الهائلة مئات الملايين من الدولارات سنويا.

من أقوال جيري فولويل:

" لا مكان للعرب بيننا. ولا علاقات حسنة معهم، لأنهم ينكرون قيم الولايات المتحدة الأمريكية وطريقة معيشتها".

"إن دعم الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل ليس لمصلحة إسرائيل، ولكن لمصلحة الولايات المتحدة الأمريكية نفسها".

"إن الوقوف ضد إسرائيل هو معارضة لله".

"وعد الله لإبراهيم منذ أربعة آلاف عام... سأبارك إسرائيل وألعن من يلعنها.. ومن هذا الموقف اللاهوتي فإنه على الولايات المتحدة الأمريكية أن لا تتردد في تقديم كل الدعم المالي والعسكري إلى إسرائيل".

وقد اعتبر قيام إسرائيل في عام ١٩٤٨ ليس مفتاحا للنبوءات التوراتية فحسب، ولكن كعلامة على ما أسماه "مباركة الله ووفاؤه لشعب الله".

"دعمي لإسرائيل غير مشروط، ولأن إسرائيل خط الدفاع الأمريكي في الشرق الأوسط".

وعندما ضربت إسرائيل المفاعل الذري العراقي عام ١٩٨١ تلقى جيري فولويل مكالمة هاتفية من مناحيم بيغن رئيس الوزراء الإسرائيلي في ذلك الوقت، طلب فيها مساعدته لتعبئة الرأي العام الأمريكي، وقام فولويل بإبلاغ الرسالة الإسرائيلية إلى أكثر من ثمانين ألف واعظ يتبعون منظمته، وأخذ ينشر البيانات، ويتحدث في برامجه الكنسية والمرئية والمسموعة عن "أن الوقوف ضد إسرائيل هو وقوف ضد الله"، ويردد التبريرات الإسرائيلية نفسها حول العملية العسكرية القائلة بأنها كانت دفاعا عن النفس، ولحماية أطفال إسرائيل.

ولقد خطط فولويل في الثمانينات من القرن الماضي لتنفيذ أعمال ضخمة قبل نهايته عام ٢٠٠٠ ومن هذه الأعمال بناء خمس آلاف كنيسة في أمريكا، وخمسة آلاف مدرسة مسيحية، وتوسيع جامعة الحرية التابعة لمنظمته؛ لتتسع لخمسين ألف طالب، واستخدام وسائل الإعلام للوصول إلى أكبر عدد ممكن من الناس في العالم، وفي الأوقات الملائمة لتوصيل رسالتنا، ومطلوب تعبئة ٢٥ مليون أمريكي ليصبحوا نشطين للانخراط في العمل اليومي. وكان يجزم أن مثل هذه المشاريع الضخمة ستؤدي إلى التوسع في التعليم الخاص، المسيحي الصبغة والأصولي الطابع وإلى إلغاء التعليم العام أو تقليصه، وسيضع المدارس بأيدي مسيحيين حقيقيين،

وقد اتفقت هذه العقيدة مع توجه إدارة الرئيس الأمريكي السابق ريغان بخفض دعم الحكومة الاتحادية للتعليم العام. ولتشجيع ذلك عملت الإدارة الأمريكية على تقديم إعفاءات ضريبية للأسر التي ترسل أبناءها إلى المدارس الخاصة.

القس بات روبرتسون:

يعتبر القس بات روبرتسون، أحد الأوائل من رجال الكنيسة الذين تنبهوا إلى أهمية تأثير الكنيسة المرئية العام وقوة هذا التأثير. فقد قام منذ عام ١٩٦١ بشراء محطة تلفزة في مدينة بورتسموت في فرجينا، وأصبحت فيما بعد شبكة واسعة من المحطات تغطي أمريكا و٦٠ دولة أجنبية، وتستخدم الأقمار الصناعية من الثمانينات الميلادية.

وفي عام ١٩٨٨ رشح نفسه لخوض انتخابات الرئاسة الأمريكية، ولديه منظمة متشعبة الأغراض والوسائل، ولها جذور تأثير واسع، ويعتقد روبرتسون أنه الأكثر جدارة لمواصلة برنامج الرئيس الأمريكي ريغان بعد انتهاء ولاياته في عام ١٩٨٨.

تعتبر أجهزة روبرتسون وبخاصة شبكته الإعلامية المسماة "شبكة الإذاعة المسيحية" واختصارها CBN من بين الشبكات الأكثر حداثة وتجهيزا.

وتملك مؤسسته جامعة معتمدة منذ عام ١٩٧٧ هي جامعة سي. بي. إن، وهي تمنح درجة الماجستير إضافة إلى الشهادات الجامعية الأخرى، وفيها كلية للإعلام والتربية وإدارة الأعمال والقانون والدراسات التوراتية. كما تصدر نشرة إخبارية شهرية تضم ربع مليون مشترك في الثمانينات الميلادية وتسمى "مواقف بات روبرتسون"، وقد اعتاد أن يقول فيها:"إن إسرائيل هي أمة الله المفضلة"، وأن يدعو إلى الدعم الأمريكي لإسرائيل، ويؤيد احتلالها الأراضي العربية، ويقف ضد إقامة دولة للفلسطينيين.

ولا يوجد في عقل بات روبرتسون سوى الأيام الأخيرة من هذا الزمان، وغزو السوفيت والعرب لإسرائيل، واللامسيحية، وتزايد البراكين، والمجيء الثاني للمسيح. وتتمحور الإجابة عنده عن هذه القضايا في أن إعادة مولد إسرائيل هي الإشارة الوحيدة إلى أن العد التنازلي لنهاية الكون قد بدأ، كما أنه مع مولد إسرائيل، فإن بقية النبوءات أخذت تتحقق بسرعة.

ويظهر في برامجه باستمرار معاديا للعرب، وهو يعتبرهم أعداء الله، ويعتبر أنه لا مجال للعدل مع الفلسطينيين طالما أن رغبة الله هي تأسيس إسرائيل، وفي تعيين حدودها.

وقرر روبرتسون أن عمله سيكون لصالح إسرائيل فقال:" لقد أقسمت نذرا لله، بأنه رغم المعارضة لإسرائيل

من حولي، فإننا سنقف بجانب إسرائيل مهما يكن".

ويقول:"نعرف نحن المسيحيين من صميم قلوبنا أن الله يقف بجانب إسرائيل، وليس بجانب العرب الإرهابيين".

وقدم في ٥ أبريل ١٩٨٢ في أحد برامجه عددا من قيادات منظمة صهيونية مسيحية وهي "السفارة المسيحية الدولية–القدس" وفي اليوم التالي استضاف البرنامج القس مايك ايفانز، صاحب البرنامج الكنسي المرئي المسمى: "إسرائيل: مفتاح أمريكا للبقاء" وأعاد تقديمه مرة ثانية في ١٩/ مايو ١٩٨٢.

وفي أثناء غزو إسرائيل للبنان في صيف عام ١٩٨٢ طلب روبرتسون في برنامجه "السبعمائة نادي" من المشاهدين أن يكتبوا إلى الرئيس ريغان ويدعو أعضاء الكونغرس إلى حث إسرائيل على مواصلة غزوها للبنان إلى الحد الذي تراه إسرائيل ضروريا ورأى في عملية الغزو خدمة يؤديها الجيش الإسرائيلي إلى الشعب اللبناني.

وقد ظهر روبرتسون في التاسع من يونيو ١٩٨٢ في أثناء حصار قوات إسرائيل لبيروت في برنامجه وفسر المعركة الجارية لأتباعه ومشاهديه.

وبعد أن شرح لهم إستراتيجية المعركة من وجه نظر إسرائيلية بدأ يكرر بهدوء الواثق من الخلاص من الشر في معركة هرمجدون. ثم أخذ يقول: "إنني أضمن لكم أنه بحلول خريف ١٩٨٢ ستنزل ضربة القضاء على الدنيا وسيحل الحكم النهائي على الاتحاد السوفيتي فالروس هم الذين سيقومون بالمغامرات العسكرية وسوف يضربون، ثم نظر إلى لوحة معلقة وأشار إلى خريطة الشرق الأوسط وكرر كلاما من التوراة يتحدث عن تجمع يقوده يأجوج (وفسره على أنه الاتحاد السوفيتي) في أرض مأجوج (يعني فلسطين) وستنضم إليه شعوب توجارما (أرمينيا) ويوت (ليبيا) وروش (أثيوبيا) وجومر (اليمن الديمقراطية) وفارس (إيران).

وتبرز أهمية روبرتسون ومؤسساته المنظمة في طموحاته السياسية للوصول إلى رئاسة الجمهورية في انتخابات ١٩٨٨ وبخاصة أن أكثر من ٢٢ مليون مسيحي أصولي أصبحوا أعضاء في الحزب الجمهوري بفعل نشاط روبرتسون وحلفائه في الحركة المسيحية الأصولية.

جورج أوتيس ومنظمة"رعوية المغامرة الكبرى":

يعتبر القس أوتيس من أبرز القياديين في الكنيسة المرئية والصهيونية المسيحية المنظمة، ويترأس منظمة سياسية دينية تسمى "رعوية المغامرة الكبرى" وتؤمن هذه المنظمة بمبدأ عصمة التوراة وبدور إسرائيل الحديثة في تقريب موعد العودة الثانية للمسيح، وبالالتزام بدعم إسرائيل والدفاع عن سياستها.

وقد مولت هذه المنظمة الإعلانات الباهظة الثمن في كبريات الصحف الأمريكية عقب غزو إسرائيل للبنان في صيف عام ١٩٨٢، ومما جاء في هذه الإعلانات:" نحن ملتزمون بأمن إسرائيل، كما نؤمن بأن كل الأرض

المقدسة هي ميراث للشعب اليهودي غير قابل للنقل أو التصرف، وهو الوعد الذي أعطي إلى إبراهيم وإسحق ويعقوب ولم يلغ قط. كما إن إنشاء إسرائيل الحديثة هو إيفاء لا ينازع للنبوءة التوراتية ونذير بمقدم المسيح... ونعتقد أن اليهود في أي مكان مازالوا هم شعب الله المختار، وأن الله يبارك مباركيهم. وهو صديق حميم للرئيس الأمريكي السابق ريغان، وللرئيس الإسرائيلي السابق مناحيم بيغن. ولا يقل في طموحاته وقدراته ودوره عن فولويل وروبرتسون، في التأثير على المجتمع الأمريكي.

القس مايك ايفانز وبرامجه المرئية:

يعتبر القس مايك ايفانز من أكبر الأصوليين إعلانا عن علاقته بإسرائيل، وهو الوحيد من بين المسيحيين الأصوليين من أم يهودية، ويرى نفسه في مهمة ربانية؛ لحث الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل على العمل معا من أجل الله. ومن أبرز برامجه برنامجه التلفزيوني -الفضائي- "إسرائيل مفتاح أمريكا للبقاء" وقد اعتاد أن يستضيف قيادات الحركة الصهيونية المسيحية، والحركة الصهيونية اليهودية، ومسؤولين إسرائيليين، فيتحدثون عن أهمية إسرائيل بالنسبة لأمريكا. وهو مثل أصحابه السابقين في قوة الطرح وأصالة تبني القضية والاستماتة في تحقيق أهداف الصهيونية المسيحية المؤمنة بحرب هرمجدون.

ثالثا: جماعات الضغط الأصولية المعاصرة:

يرتبط مفهوم جماعات الضغط بالعمليات السياسية، وبمحاولة التأثير على صانعي القرارات في النظام السياسي من أجل تحقيق غرضها ووفق مصالحها. وتستخدم جماعات الضغط وسائل متنوعة في ممارسة نشاطاتها، منها وسيلة اللوبي (وهو الرواق أو الجناح، وقد اختيرت هذه الكلمة لأن الذين يقومون بها كانوا في البداية يلتقون المتنفذين في الأروقة) إذ يتولى تقديم المعلومات بهدف الإقناع والتأثير على قرارات الآخرين، وبخاصة في المؤسستين التشريعية والتنفيذية، فضلا عن التأثير على الجماهير من خلال تأثيرها في اتجاه الفرد ورأيه، ومواقفه السياسية، وكذلك على التنظيمات الجماعية الأخرى. ومنها أيضا محاولة التأثير لإنجاح أو عدم تأييد مرشحين في الانتخابات وتقديم المساعدات المالية والمعنوية والإعلامية في سبيل ذلك.

وقد شكلت الحركة الصهيونية المسيحية – الأصولية العديد من جماعات الضغط، وهي ذات نشاطات هائلة متنوعة وواسعة في العالم، ولا سيما بعد أن ملكت وأدارت بفعالية عالية الكنيسة المرئية ومنظماتها. ومن هذه المنظمات:

١. السفارة المسيحية الدولية– القدس.

٢. المائدة المستديرة الدينية.

٣. مؤسسة جبل المعبد.

وكانت هذه الحركة تضم في أمريكا فقط، قرابة ٧٠ مليون أمريكي في الثمانينات الميلادية، ومعظم رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية ينتمون إليها أو يتعاطفون معها بشدة، ومن أعضائها الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريغان والرئيس الأمريكي الحالي جورج بوش الابن، وتسيطر على قطاع واسع من المنابر الإعلامية والفضائية، ويشارك في

=

٤. مؤتمر القيادة المسيحية الوطنية لأجل إسرائيل.

٥. مسيحيون متحدون من أجل إسرائيل.

٦. المصرف المسيحي الأمريكي لأجل إسرائيل.

ويصعب حصر منظمات وجماعات الضغط الصهيونية المسيحية كافة في أمريكا، فبعضها صغير الحجم من حيث الأعضاء والإمكانيات والنفوذ، ويكتفي بعضها الآخر بأنشطة وأعمال تضامنية مع إسرائيل في المواسم الاجتماعية أو السياسية أو الدينية، كما يتخصص بعضها في كتابة الرسائل إلى الصحف المحلية في الولايات وإلى ممثلي مناطقه في المجالس التشريعية المحلية والاتحادية، بينما تكرس جمعيات أخرى نفسها لإلقاء المحاضرات وعرض الأفلام والشرائح التصويرية عن رحلات قادتها إلى فلسطين المحتلة، كما تقوم جماعات أخرى بتسيير التظاهرات والمسيرات التضامنية مع إسرائيل، مثل منظمة "تاف" (TAV) التي أخذت اسمها من الحروف الأخيرة من ألف باء العبرية. وتنظم باستمرار مسيرات تضامن ودعم لإسرائيل.

كما تنشط عناصر قيادية صهيونية مسيحية من بين هذه المنظمات الصغيرة، داخل التجمعات الشعبية، في الأحياء والمقاطعات، لدعم إسرائيل. وتعتبر مثل هذه الجماعات منظمات ذات جذور شعبية، وتختلف في أعدادها وفي تأثيرها من جماعة إلى أخرى، لكنها تجتمع على التأثير لمصلحة خلق وتعميق تعاطف العامة لدعم إسرائيل وحركتها الصهيونية.

وتصدر هذه المنظمات الصهيونية المسيحية، التي كان عددها في الثمانينات الميلادية أكثر من ٢٥٠ منظمة، النشرات الإخبارية، والملخصات المركزة المخصصة لدعم إسرائيل "تنفيذا لرغبة الله"، كما تنظم الرحلات الجماعية إلى الأماكن المسحية المقدسة في فلسطين المحتلة، وتسوق السندات الإسرائيلية، والمنتجات الإسرائيلية، وتحث أعضاءها على كتابة البرقيات والرسائل وإرسالها إلى محرري الصحف وإلى الرئيس الأمريكي، وأعضاء الكونغرس نيابة عن إسرائيل وخدمة لها". ملخص كتاب البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، د. يوسف الحسن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط. الثالثة.

برامجها كبار المسئولين الأمريكيين في البيت الأبيض، ووزارة الدفاع -البنتاغون-، ووزارة الخارجية[1].

ويطلق على مثل هذه الحركات "الحركة الصهيونية المسيحية الإنجيلية"، وتقوم على اعتناق ثلاث عقائد رئيسية مستنبطة من العهد القديم -التوراة-:

المبدأ الأول:

أن إيمان الفرد النصراني -المسيحي- لا يكون إيمانا صادقا إلا بعد الإيمان بعودة المسيح المخلص مرة أخرى.

المبدأ الثاني:

أن العودة الثانية للمسيح لا تكون إلا بعد قيام دولة إسرائيل وفي القدس، إشارة إلهية على اقتراب هذه العودة.

المبدأ الثالث: - وهو نتيجة للمبدأين الأولين -:

لا بد من تجمع اليهود في فلسطين. ولا بد من بذل كل أنواع الدعم والمساعدة لإسرائيل، وهذا ليس أمرا اختياريا أو مبنيا على أسس أخلاقية أو إستراتيجية، وإنما هو قضاء إلهي؛ لأنه يؤيد ويعجل بقدوم المخلص، ومن يناهض ويعارض وجود دولة إسرائيل، فهو يناهض ويعارض الإرادة الإلهية، ويحارب الله[2].

ومهمة أعضاء هذه الحركة وأتباعها هي تدبير وتهيئة كل الأمور التي من الممكن أن تعجل في عودة المسيح إلى الأرض، ومن ضمن تلك الأمور:

(١) انظر النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة محمد السماك، (١٢)، دار الشروق، ط. الرابعة.

(٢) انظر الحقيقة بين النبوءة والسياسة، محمد الحافظ، (٢٤١)، دار الأوائل، دمشق، ط الثانية. وانظر يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب، د. سفر الحوالي، (١٧). وانظر البعد الديني للسياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، د. يوسف الحسن، (١٨٦).

أولا: إضعاف العرب عسكريا.

ثانيا: تلبية مطالب إسرائيل بالدعم المالي والسياسي والعسكري.

ثالثا: تعزيز ترسانة إسرائيل النووية[1].

تقول الكاتبة الأمريكية جريس هالسل: "في وقت مبكر عام ١٩٨٦م، أصبحت ليبيا العدو الدولي رقم واحد لـ رونالد ريغان، فهل يعود تفسير ذلك إلى نبوءة توراتية؟ (استنادا إلى جايمس ميلز) الرئيس السابق لمجلس الشيوخ في ولاية كاليفورنيا، فإن ريغان كره ليبيا لأنه رأى أن ليبيا هي واحدة من أعداء إسرائيل الذين ذكرتهم النبوءات، وبالتالي فإنها عدو لله. وفي عشاء أقيم في عام ١٩٧١ في مدينة سكرمنتو في كاليفورنيا (حيث كان ريغان في ذلك الوقت حاكما) تكريما لـ"جيمس مليز"، بدأ ريغان فجأة يتحدث إلى مليز الذي كان يجلس إلى جانبه حول النبوءات الإنجيلية، وحول حتمية مقاتلتنا للاتحاد السوفيتي (يأجوج ومأجوج في الكتاب المقدس) ويذكر مليز هذا الحديث في عدد شهر أغسطس عام ١٩٨٥ في مجلة (سان دييجغو) ويقول: إن ريغان أخبره بتأكيد جازم: (في الفصل ٣٨ من إصحاح حزقيال هناك نص يقول: إن أرض إسرائيل سوف تتعرض إلى هجوم تشنه عليها جيوش تابعة إلى دول لا تؤمن بالله. وتقول: إن ليبيا ستكون من بينهم. هل تفهم ماذا يعني ذلك؟). لقد أصحبت ليبيا الآن شيوعية، وهذه مؤشر إلى أن هرمجدون ليس ببعيد، إن السجلات تشير إلى أن ريغان، وعلى مدى سنوات عديدة أطلق تصريحات مماثلة بشأن مجابهته لقوى شيطانية في هرمجدون نووية.

ويقول الباحثان لاري جونز من نيويورك، وأندرو لانغ في المعهد المسيحي الإنجيلي

---

(١) انظر الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية، مايكل كوربت وجوليا كوربت، ترجمة د. عصام فايز ود. ناهد وصفي، (١/ ٣٩) مكتبة الشروق، القاهرة، ط الثانية، وانظر الحقيقة بين النبوءة والسياسة، محمد الحافظ، (٢٤١)، دار الأوائل، دمشق، ط. الثانية. وانظر البعد الديني للسياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، د. يوسف الحسن، (١٨٦).

في مدينة واشنطن، إن دراستها تقنعها بأن ريغان قبل في الماضي تفسيرا توراتيا لنبوءة تقول: بأن هرمجدون نووية هي أمر لا يمكن تجنبه، وأنه حتى عام ١٩٨٦، ربما يكون ريغان قد استمر على هذا الاعتقاد، إن الموضوع مثير لدرجة أنني أخصص فصلا خاصا عن ريغان وإيمانه، إن معظم محطات التليفزيون الإنجيلية تعلم ما قالته هول لندسي[١] في كتابها المشهور وهو أن هذه الكرة الأرضية سوف تصبح في حياتنا آخر كرة أرضية عظيمة، إن الله يعرف أن ذلك سيحدث، إنه يعرف ذلك منذ البداية الأولى، ولكن الله أسر مخططه عن بلايين البشر الذين عاشوا قبلنا، أما الآن، واستنادا إلى لندسي، فإن الله يكشف عن مخططه إلى لندسي وإلى الآخرين مثل جيري فالويل[٢]، جيمي سواغارت[٣]، وبات روبرتسون[٤]، الذين يبشرون بنظرية هرمجدون. إن نظام الإيمان عند لندسي وفالويل وسواغارت وروبرتسون، وعند حوالي أربعين مليون إنجيلي أصولي، يتمركز حول أرض صهيون الإنجيلية، وحول دولة إسرائيل الصهيونية الحديثة التي يعتبرونها واحدة ونفس الشيء. يخبرنا لندسي أن علينا أن نمر بسبع مراحل زمنية تتضمن واحدة منها معركة هرمجدون الرهيبة، حيث يكشف عن أسلحة نووية مدمرة تماما وجديدة. وحيث إن الدم سوف يسيل كالأنهار العاتية. إن كل مرحلة من هذه المراحل تدعى

(١) كاتبة أمريكية، وصاحبة كتاب"آخر أعظم كرة أرضية" وقد بيع من هذا الكتاب في السبعينيات حوالي ١٨ مليون نسخة، وتقول الكاتبة في تعليقها على هذا الكتاب:" إن المؤلف يفسر كل التاريخ، قائلا إن دولة إسرائيل هي الخط التاريخي لمعظم أحداث الحاضر والمستقبل.

(٢) مبشر إنجيلي تصل دروسه التبشيرية إلى ٥. ٦ مليون منزل أمريكي، ويملك محط الحرية للبث بالكابل، أقام بعد شرائها بأسبوع حفل عشاء على شرف جورج بوش الأب نائب الرئيس ريغان آنذك. وقد أخبر فولويل يومها بأن جورج بوش سيكون أفضل رئيس عام ١٩٨٨.

(٣) يملك ثاني أكبر المحطات الإنجيلية شهرة، يشاهد برامجه قرابة ٩, ٢٥ مليون منزل أمريكي.

(٤) يملك شبكة تلفزيونية نصرانية، مكونة من ثلاث محطات، ومساهم في محطة تلفزيون الشرق الأوسط في جنوب لبنان، يشاهد برامجه قرابة ١٦ مليون عائلة أمريكية.

"التدبيرية"، والمبشرون بهذا الاعتقاد من جيري فالويل، وجيمي سواغارت يصورون نظامهم الإيماني على أسس أصولية، أرثوذكسية تقوم على تفسير لفظي للكتاب المقدس. غير أن هذه الأرثوذكسية لا يزيد عمرها عن مئة وخمسين سنة، وليس ممكننا أن تطبق بدقة كلمات لفظية وأصولية على معتقد مسيحي يطال بالحرب وينفي صلاة المسيح على جبل الزيتون (مبارك أولئك الذين يصنعون السلام). إن انتشار هذه النظرية في هذه البلاد يعود في معظمه إلى جهود سايرس إنجيرزون سكوفيلد الذي ولد في ١٩ آب ١٨٤٣ في كيلنتون في ولاية مشتغن"[(١)].

ويقول يوجين روستو مستشار الرئيس الأمريكي السابق جونسون:" يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول وشعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية. لقد كان الصراع محتدما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة. ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي، وإن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي بفلسفته وعقيدته المتمثلة في الدين المسيحي. ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام، وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية؛ لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسستها"[(٢)].

يقول والتر مكدوجال: "في البداية، ولد المشروع الأمريكي من تيارين في القرن الثامن عشر، العقلانية التنويرية، بمفاهيمها العالمية عن القانون الطبيعي، ومبدأ حقوق الإنسان، والأنثروبولوجيا المسيحية التي أكدت طبيعة الإنسان الناقصة وغير المتغيرة. أطلق التيار الأول في عروق الأمريكيين الطموح السامي، لكنه أغراهم بتخيل أنفسهم نخبة غنوصية يمتلكها منهج عالمي لإدارة الشئون الإنسانية. فالذين أطروا الدستور كانوا

(١) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة د. محمد السماك، (٢١-٢٣).

(٢) خفايا الدعم الأمريكي لإسرائيل، د. محمد الحاجي، (٥١)، دار المكتبي، دمشق، ط. الأولى.

مدركين بذكاء لذلك الإغراء الطوباوي، ولذلك أسسوا (الضبط والتوازن لمنع أي فريق من احتكار الحكومة الفدرالية لحسابه، وتجنبوا كل السياسات الخارجية (الثورية). وصبغ التيار الثاني الديني الأمريكيين بالتواضع والحذر ولكن أغراهم بتخيل أنفسهم، نخبة روحية استحوذ عليها احتكارها(بشكل ما) للحقيقة، ودعوة العناية الإلهية لها لتصحيح الأخطاء. وكان من أطروا الدستور مدركين لذلك الخطر أيضا، ولذلك وضعوا لائحة الحقوق وحظروا تأسيس الدولة للدين، ولحسن الحظ اتجه التياران، لضبط كل منهما الآخر، لتسمح للولايات المتحدة أن تنشأ كجمهورية علمانية وحرة بشكل ملاحظ، والتي قوتها وتلاحمها -بالرغم من ذلك- مؤسسان بشكل كبير من ضمير اجتماعي احترم تقاليد الكتاب المقدس...

وبدءا بعام ١٨٩٨، بدأ النوع الأول من الأخلاقية في إفساح الطريق للنوع الثاني، فعندئذ قدس أنبياء الدولة الصليبية عهدا جديدا للسياسة الخارجية. وقام الإمبرياليون التقدميون بدور يوحنا المعمدان الذي بشر بالمسيح ومملكة الرب. ولعب "ويلسون" دور المخلص الذي صلب في التو، كما قال كاتب سيرته. وبعد ذلك كتب مهندسو الاحتواء وتحسين العالم، الرسائل المقدسة، التي علمت الأمريكيين، كيف يعيشون إيمانهم الجديد، واعتقدوا كذلك أن سياساتهم كانت استجابات أخلاقية، وبراجماتية للعامل الذي خبروه في زمنهم. والآن لا يستطيع المسيحيون أن يدعوا جانبا العهد القديم الحقيقي، لسبب بسيط؛ هو أن عهدهم الجديد مشتق مكمل للعهد القديم. وبصيغة أخرى، إذا كانت اليهودية زائفة، تكون المسيحية أيضا زائفة. وفيما يشبه المودة فإن أمريكيي القرن العشرين، لم ينسوا عهدهم القديم للعلاقات الخارجية؛ فالمتحفظون في مجلس الشيوخ انجذبوا إلى مبادئه في سنة ١٩١٩ مثلما فعل ذلك الأحاديون في الثلاثينيات، وقلة الصامدين ضد الحرب الباردة، و(الانعزاليون الجدد) في حقبة ما بعد الحرب الباردة، فالحضور البارز للعهد القديم لسياستنا الخارجية، ثابت لدى الكل بحقيقة أن المعتقدين بالتدبير الإلهي الجديد أبدوا إجلالا لعهدنا القديم، على أرضية أنه كان صالحا في الزمن الذي انتشر فيه، كما كان المصدر لمبادئ عديدة مثل: الحرية وتقرير المصير والباب المفتوح، والتي اعتقدوا

أن أمريكا القرن العشرين نوديت للتشارك فيها مع العالم"[1].

وقد دأبت أمريكا على استخدام مصطلح يعبر عن حقيقة موقفها من إسرائيل وهو "الالتزام الأدبي – الأخلاقي بدعم إسرائيل". وهذا المصطلح خاص بإسرائيل ولم يمنح لأي دولة صديقة لأمريكا، ولا يمكن تفسير هذا التعاطف المشبوه اللامتناهي؛ إلا بمعرفة جذور العلاقة التوراتية الإنجيلية التي تحتم على كل نصراني يؤمن بالعهدين القديم والجديد أن يؤمن بأن مع عودة المسيح الثانية ستكون علامات، وأهم هذه العلامات هي قيام دولة إسرائيل[2].

وقد انتقلت هذه العقائد من أوربا إلى العالم الجديد أمريكا إبان حركة الكشوف الجغرافية ونزوح الصهيونية البروتستانتية من أوربا فرارا بدينها من ظلم ملوكها، وكان زعيم حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر مارتن لوثر، قد أسس عقيدة الصهيونية المسيحية، التي اعتمدت الأخذ المباشر من الكتاب المقدس دون الحاجة إلى رجال الدين الكذبة، واعتقدت حركة الإصلاح الديني بضرورة الأخذ بحرفية الكتاب المقدس، فبعثت عقيدة العودة الثانية للمسيح في الكنائس البروتستانتية، وصار الاعتقاد بأن عودة اليهود إلى فلسطين يحقق النبوءات التوراتية، وتمهد لمجيئه، ليقيم مملكته[3].

وقد شبه هؤلاء المهاجرون الأوروبيون البروتستانتيون الصهاينة أنفسهم وهم يغزون الأرض الجديدة ويحاربون ملاكها الهنود الحمر؛ بأسلافهم من شعب الرب الذي دخل أرض الموعد في عهد موسى واشتقوا لأنفسهم أسماء مثل أسمائهم، وسموا مدن العالم

(١) أرض الميعاد والدولة الصليبية، والتر مكدوجال، ترجمة رضا هلال، (٢٨٥)، دار الشروق، ط. الأولى.

(٢) انظر البعد الديني للسياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، د. يوسف الحسن، (١٨٦).

(٣) انظر الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية، مايكل كوربت وجوليا كوربت، ترجمة د. عصام فايز ود. ناهد وصفي، (١/ ٣٩) مكتبة الشروق، القاهرة، ط. الثانية. وانظر البعد الديني للسياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، د. يوسف الحسن، (١٨٨).

الجديد بأسماء أرض الموعد، وأطلقوا على العالم الجديد إسرائيل الجديدة[1].

وقد تأصل هذا المفهوم عند أسلاف الأمريكان القدامى من أمثال الرئيس الأمريكي السابق "جيفرسون" ١٧٤٣-١٨٢٦، فاقترح أن يكون الرمز الخاص بالولايات المتحدة الأمريكية، بأن يكون على شكل أبناء إسرائيل، إذ يقودهم الرب يهوه في النهار في هيئة غيمة وفي الليل في هيئة عمود من النار، بدلا من النسر[2].

ويعتبر الرئيس الأمريكي "جون آدمز" ١٧٦٧ - ١٨٤٨ أول رئيس أمريكي يدعو إلى ضرورة استعادة اليهود لوطنهم، وإقامة دولتهم، إذ يقول: "أتمنى أن أرى ثانية أمة يهودية مستقلة في يهوذا"[3].

وأما الرئيس الأمريكي "ولسن"، فكان يعتقد أن الرب قد منحه الفرصة التاريخية لخدمة شعبه، وتحقيق إرادته في التمهيد لعودة المسيح الثانية بمساعدة شعب الرب في العودة إلى أرضه، ولذلك ما أن تأكد له هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى إلا وأعلن موافقته لوعد بلفور فقال في أغسطس ١٩١٨: "اعتقد أن الأمم الحليفة قد قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييد تام من حكومتنا وشعبنا"[4].

وقد أصدر مجلس النواب الأمريكي في ٣٠ يوينو ١٩٢٢ قرارا يؤيد: إعطاء بني إسرائيل الفرصة التي أنكرت عليهم طويلا لإعادة تأسيس حياة يهودية وثقافة مثمرة في الأرض اليهودية القديمة. وصادقت الحكومة الأمريكية على وعد بلفور بصورة نهائية في

---

(١) انظر الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية، مايكل كوربت وجوليا كوربت، ترجمة د. عصام فايز ود. ناهد وصفي، (١/ ٤٢). وانظر البعد الديني للسياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، د. يوسف الحسن، (٣٧).

(٢) انظر البعد الديني للسياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، د. يوسف الحسن، (٤١).

(٣) انظر المرجع السابق (٤٠).

(٤) انظر المرجع السابق (٤٥).

سبتمبر من نفس العام(١).

وفي أكتوبر عام ١٩٤٤ بعث الرئيس الأمريكي روزفلت برسالة إلى السناتور "واغنر" رئيس اللجنة الفلسطينية الأمريكية الصهيونية المسيحية، بمناسبة انعقاد المؤتمر السنوي الرابع والأربعين للمنظمة الصهيونية الأمريكية، أيد فيها فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية وإقامة وطن لهم فيها، كما بعث أحد قادة هذه اللجنة، وهو النائب "سيلر" برسالة إلى الرئيس الأمريكي روزفلت قبل سفره إلى يالطا في فبراير ١٩٤٤ قال فيها: "إن ناخبي ينظرون إليك كأنك موسى المعاصر، وينتظرون منك نتائج تتعلق بدولة اليهود في فلسطين"(٢).

وبعد أن أعلن قيام دولة إسرائيل بادرت الولايات المتحدة الأمريكية بدعمها بقروض ضخمة ميسرة ومن ذلك مبلغ مئة مليون دولار عام ١٩٤٨ ثم أعقبها قرض مبلغ خمسة وثلاثون مليون دولار عام ١٩٥٠(٣).

وقد عين الرئيس الأمريكي إيزنهاور وزيرا للخارجية هو "جون فوستر دالاس" الذي كان محاميا دوليا، وكانت له رؤيته النابعة من نشأته الدينية المتزمتة، والتي طبعت بصمات واضحة على السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية طوال فترة توليه منذ سنة ١٩٥٣ وحتى وفاته سنة ١٩٥٩(٤).

وقد انتخب الشعب الأمريكي في العقود الأخيرة رؤساء يعملون من أجل تحقيق النبوءات التوراتية، ويحثون الأمم النصرانية على محاربة من يقف ضدها.

---

(١) انظر المرجع السابق (٤٦).

(٢) انظر البعد الديني للسياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، د. يوسف الحسن، (٤٨).

(٣) انظر المرجع السابق، (٤٩).

(٤) تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين، د. عبد العزيز نوار ود. محمود جمال الدين، (٢٤٧).

فيقول الرئيس الأمريكي السابق "نيكسون": "يحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يصبح قوة "جيوبوليتيكية" متطرفة، وأنه مع التزايد السكاني والإمكانيات المادية المتاحة سوف يشكل المسلمون مخاطر كبيرة وسوف يضطر الغرب إلى أن يتحد مع موسكو ليواجه الخطر العدواني للعالم الإسلامي"[1].

كما يقول الرئيس "كارتر" أعلن عام ١٩٧٦ عن شعاره وإيمانه بعقيدة الولادة ثانية كمسيحي، وهو عضو في الطائفة الإنجيلية البروتستانتية الأصولية، التي يعتبر فيها أكثر من خمسة وسبعون مليون أمريكي بأنهم ولدوا ثانية كمسيحيين. ومن أقواله: "تأسيس إسرائيل المعاصرة هو تحقيق للنبوءة التوراتية" وقد سجل أثناء عهده من عام ١٩٧٦ وحتى ١٩٨٠ انجازات كبيرة لمصلحة إسرائيل والحركة الصهيونية، وعبرت مواقفه عن إيمان لاهوتي بإسرائيل وبالتزام دعمها إلى الأبد. وبحول عام ١٩٨٠ كان ثلاثة من المرشحين لرئاسة الجمهورية يرفعون الشعار نفسه[2].

وفي عام ١٩٨٣ تحدث نائب الرئيس الأمريكي -آنذاك- جورج بوش الأب بعد حضوره حفلا تكريميا في جامعة الحرية التابعة لجيري فولويل، في ذكرى ضحايا الإبادة الجماعية لليهود (المحرقة) فقال: "اعتقد بكل أمانة أننا برجال من أمثال جيري فولويل، فإن شيئا فظيعا كالإبادة الجماعية لليهود لن يحدث ثانية"[3].

وفي أغسطس ١٩٨٤ عبر الرئيس الأمريكي ريغان في خطاب له في مدينة تكساس عن إيمانه بدور الدين في المجتمع الأمريكي، رغم الاعتراف بمبدأ فصل الدين عن الدولة، فيقول: "يلعب الدين دورا حاسما في الحياة السياسة لأمتنا"[4].

---

(١) النظام العالمي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي. ياسر أبو شبانة، (٩٦).

(٢) انظر البعد الديني للسياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، د. يوسف الحسن، (٨٣).

(٣) انظر المرجع السابق (١٧١).

(٤) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة د. محمد السماك، (٤٤). وانظر البعد الديني للسياسة الأمريكية تجاه =

وبعد ذلك وفي نفس العام نشرت جريدة جيروسالم بوست في طبعتها الدولية، حديثا دار بين الرئيس الأمريكي ريغان والمدير التنفيذي للوبي الإسرائيلي (الايباك): "حينما أتطلع إلى نبوءاتكم القديمة في العهد القديم، وإلى العلاقات المنبئة بهرمجدون، أجد نفسي متسائلا عما إذا كنا نحن الجيل الذي سيرى ذلك واقعا، ولا أدرى إذا كنت قد لاحظت مؤخرا أيا من هذه النبوءات، لكن صدقني، إنها قطعا تنطبق على زماننا الذي نعيش فيه". وأكد أكثر من أحد عشر مرة على وقوع حرب هرمجدون النووية وأن نهاية العالم

وفي المؤتمر السنوي للمنظمة الصهيونية الأمريكية في أكتوبر عام ١٩٨٤ قال الرئيس الأمريكي ريغان ما يثبت أصوليته وصهيونيته: "إنني دائما أتطلع إلى الصهيونية كطموح جوهري لليهود، وإنني أدين أولئك الذين يساوون بين جمال اليهودية وقبح العنصرية...، وبإقامة دولة إسرائيل تمكن اليهود من إعادة حكم أنفسهم في وطنهم التاريخي، ليحققوا بذلك حلما عمره ألفا عام"[٢].

وفي فبراير عام ١٩٨٥ وقع الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب على اتفاق أمريكي – سوداني بترحيل يهود أثيوبيا (الفلاشا) إلى إسرائيل[٣].

ومن تصريحات الرئيس "جورج بوش الأب": "إني هنا أمثل أمريكا التي تمثل بدورها الحضارة اليهودية المسيحية التي تقود عالم اليوم بلا منافس"[٤].

ويقول نائبه"دان كويل": "إن أخطر ثلاث حركات في القرن العشرين هي: النازية،

= الصراع العربي الصهيوني، د. يوسف الحسن، (٧١).

(١) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة د. محمد السماك، (٤٥). وانظر البعد الديني للسياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، د. يوسف الحسن، (١٧٢).

(٢) انظر البعد الديني للسياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، د. يوسف الحسن، (١٧٩).

(٣) انظر المرجع السابق (١١٧).

(٤) النظام العالمي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي. ياسر أبو شبانة، (٩٦).

والشيوعية، والحركة الإسلامية"[1].

وبنفس المبدأ يقول: "ريتشاد شيفتر" مساعد وزير الخارجية الأمريكي السابق فيقول: "إن الإسلام يمثل تهديدا كبيرا للاستقرار العالمي"[2].

ونهج الرئيس الأمريكي الحالي "جورج بوش الابن"[3] نهج أسلافه وأخبر أنه ولد الولادة المسيحية الثانية التي ولدوا هم أيضا بمثلها، وأخبر في أثناء حملته الانتخابية عام ١٩٩٩: "أن الرب استدعاه لقيادة الولايات المتحدة".

وقال في بداية أكتوبر عام ٢٠٠١ بعد أن ضربت أبراج التجارة العالمية في مدينة نيويورك بطائرتين مدنيتين، واجتمع بكبار معاونيه، وأمدهم بالمعلومات عن الحرب ضد الإرهاب، وقال: "إنه يلوح في الأفق عدد من المعارك الحاسمة" ثم وبشكل غير متوقع، طلب منهم الصلاة له. وبطريقة البوح بأفكاره ومشاعره الذاتية، قال: أنتم تعرفون، بالطبع، أن لدى مشكلة إزاء المشروبات الكحولية. لو كانت الأمور قد بقيت على حالها لكنت جالسا اليوم في أحد بارات تكساس بدلا من المكتب البيضاوي، إن هناك سببا واحدا فقط لوجودي في المكتب البيضاوي وليس البار: لقد عرفت طريق الإيمان. لقد وجدت الله"[4].

وأعلن بعد خروجه من الاجتماع للعالم عبر القنوات الفضائية أن الحرب التي سيشنها على الإرهاب -الإسلام- هي حرب صليبية، أو حملة صليبية، وأنها معركة الخير الذي

---

(١) المرجع السابق (٩٦).

(٢) المرجع السابق.

(٣) ألفت هذه الدراسة إبان ولاية جورج بوش الابن الثانية.

(٤) مقدمة في الأصول المسيحية الأمريكية والرئيس الذي استدعاه الرب، عادل معلم، (١٣)، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط. الثانية.

يمثله التيار الأصولي المسيحي الصهيوني، ضد الشر الذي يمثله المتهم الأول لهذه الهجمات -في نظره- الإسلام[١]، واستشهد بعبارات اقتبست من الكتاب المقدس قسمت العالم إلى قسمين فقال: "من ليس معنا فهو ضدنا" وهو نص مقتبس من إنجيل متى:(٣٠ من ليس معي فهو علي ومن لا يجمع معي فهو يفرق)[٢]،(٥٠ فقال له يسوع: «لا تمنعوه لأن من ليس علينا فهو معنا)[٣]. وقد ورفع الرئيس بوش الابن شعار القديس أوغستنطين "الحرب العادلة" في حرب أمريكا الحالية ضد العراق[٤].

ولا تقل تصريحات زعماء أوربا في التعبير عن العداء للإسلام عن تعبيرات قائدة العالم الغربي النصراني أمريكا.ففي بريطانيا كانت رئيسة وزراء بريطانيا السابقة مارجريت تاتشر تقول: "يجب المحافظة على حلف الأطلنطي لمواجهة الإسلام"[٥].

ويؤكد وزير خارجية إيطاليا فكرة بقاء حلف الأطلنطي لمواجهة الخطر الإسلامي فيقول:"ما تزال مهمة حلف الأطلنطي قائمة بل ضرورية، فإذا كان الخطر الشيوعي قد انتهى، وإذا كان حلف وارسو قد ذهب، فإن الخطر الإسلامي باق ولم يذهب"[٦].

والحقيقة أن مثل هذه التصريحات لها جذور في تاريخ أوروبا النصراني المتعصب، فإن عقيدة عودة المسيح المخلص لن تكون إلا بعودة اليهود إلى أرض الموعد، وأبرز مثال على ذلك وعد بلفور لليهود بإنشاء دولتهم على أرض فلسطين، ولكن هذا الوعد لم يكن ليتحقق -بعد إرادة الله تعالى- إلا بعد أن وافق الرئيس الأمريكي ولسون عليه -كما

(١) أمريكا الكتاب الأسود، بيتر سكاون، (١٨٤).

(٢) إنجيل متى، أصحاح (١٢).

(٣) إنجيل لوقا، أصحاح (٩).

(٤) مقدمة في الأصول المسيحية الأمريكية والرئيس الذي استدعاه الرب، عادل معلم، (٤٢).

(٥) النظام العالمي الجديد بين الواقع والتصور الإسلامي. ياسر أبو شبانة (٩٧).

(٦) المرجع السابق.

سبق-[1]، تقول "دوجديل" ابنة أخت بلفور ومؤرخة حياته عنه: "لقد تأثر منذ نعومة أظفاره بدراسة التوراة في الكنائس، وكلما اشتد عوده زاد إعجابه بالفلسفة اليهودية، وكان دائما يتحدث باهتمام عن ذلك، ومازلت أذكر أنني في طفولتي اقتبست منه الفكرة بأن الدين النصراني والحضارة النصرانية مدينة بالشيء الكثير لليهودية".

وقد سدد بلفور هذا الدين عندما أصدر وعده لليهود، بعد أن أصبح وزيرا لوزراء الإمبراطورية البريطانية، يقول عن نفسه:" أنا صهيوني أكبر من أي صهيوني آخر"، ويؤكد ذلك ما ذكره أول رئيس للدولة العبرية وايزمان حين قال: "أتظنون أن اللورد بلفور كان يحابينا عندما منحنا الوعد بإنشاء وطن قومي في فلسطين؟ كلا! إن الرجل كان يستجيب لعاطفة دينية يتجاوب بها مع تعاليم العهد القديم"[2].

ومن الحقيقة أيضا أن إنجلترا لم تكن هي وحدها في هذه المؤامرة، بل إن الدول الأوروبية الكبرى احتضنت الصهيونية معها حيث كان تصريح إنجلترا على لسان رئيس وزرائها بلفور بعلم وموافقة حلفاء بريطانيا، فقد وافقت فرنسا رسميا في فبراير ١٩١٨، ووافقت إيطاليا في شهر مايو". وقد أعدت هذه المؤامرة سرا بين دول أوربا واليهود وبريطانيا، فقد سبق هذا الوعد البريطاني مفاوضات في لندن بين زعماء اليهود وبريطانيا والحكومة الفرنسية والإيطالية بشأن إصدار وعد لليهود بدعم رجوعهم إلى أرض الموعد فلسطين، وتمت الموافقة رسميا على الوعد في لندن وباريس وروما وأرجئ نشر هذه الموافقة الأوروبية حتى أواخر أكتوبر ١٩١٧، ثم خرجت إلى حيز الوجود بعد أن تأكد

---

(١) بصفته رئيسا للدولة التي غيرت موازين القوى في الحربين العالميتين، ورجحت كفة الحلفاء وقلبت الهزيمتين إلى انتصارين عظيمين، تولت فيه بعد الانتصار الثاني قيادة شطر الأمم النصرانية حتى سقوط قائد الشطر الثاني الاتحاد السوفيتي، وبعد هذا السقوط تولت قيادة العالم النصراني كله.

(٢) حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى وأثرها على العالم الإسلامي، أحمد زايد، (١٨٧)، دار المعالي، الأردن، ط. الأولى.

الرئيس الأمريكي ويلسن من هزيمة الباب العالي الإمبراطورية العثمانية الإسلامية، ووافق على هذا الوعد في أغسطس عام ١٩١٨، هذا فضلا عن أن المؤتمر الصهيوني العالمي الذي عقده هرتزل كان برعاية سويسرا وعقد في بازل في عام ١٨٩٨، وكانت فرنسا هي أول من طرح بشكل جدي فكرة توطين اليهود في فلسطين، بعد أن أعدت الحكومة الفرنسية عام ١٧٩٨ خطة سرية لإقامة كومنولث يهودي في فلسطين حال نجاح الحملة الفرنسية في احتلال مصر والمشرق العربي بما فيه فلسطين[١].

يقول الكاتب بيتر سكاون -المعاصر للرئيس لجورج بوش الابن-:" تشترك أمريكا من وجهة النظر الأوروبية، ورغم كونها دولة عظيمة، مع القوات التي تتنازع معها في عدة أمور. وحكومتها تتجاوب كثيرا مع اهتمامات الأصوليين الدينيين، ولتلتزم بالمفاهيم الدينية للأخلاق فإنها تحرم مواطنيها من أشكال الحريات الخاصة. وردها الجريء على عنف المتطرفين الإسلاميين هو الاستجابة لنداءات "الحرب" و"الحملات الصليبية" ضد "الشر"[٢].

ويقول أيضا: "أدت المعاهد الإنجيلية إلى نهضة في الحركة الأصولية بعد الحرب العالمية الثانية، محولة المبشرين إلى نجوم مثل "بيلي غراهام"، وانقسمت الحركة في هذه المرحلة بين القدماء المتشددين والجيل الأصغر الراغب بالتسامح مع نظرية التطور على الأقل التي يعتنقها، إلا أن العودة الأكثر درامية للحركة جاءت في السبعينات من القرن العشرين، حين كانت النفس متخبطة نوعا ما وتبحث عن التجديد. لقد ارتبطت الأصولية دوما بالوطنية والعسكرية واقتصاديات السوق الحرة لدى أمريكيي ما بعد فيتنام، وما بعد فضيحة ووترغيت، عندما عادت تلك المشاعر للرواج، لعب الأصوليون

(١) انظر حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى وأثرها على العالم الإسلامي، أحمد زايد، (١٨٨).

(٢) أمريكا الكتاب الأسود، بيتر سكاون، (١٨٥).

المتحمسون سياسيا -الذين تاقوا لإعادة إنشاء أمريكا مسيحية- دورا هاما ومرئيا في إحياء الحق"[1].

ويقرر أن ما تقوم به إدارة الرئيس جورج بوش الابن هو نفس ما كان يقوم به أسلافه الذين دخولوا الأرض الموعودة -نيو إنغلند- الذين واجهوا الكنعانيين الجدد -الهنود الحمر- وكان قادتهم يقومون بالدور الذي قام به قادة شعب الرب عند دخولهم أرض الموعد فيقول: "إن اكتشاف أمريكا لعدو يتعدى كونه مجرد عدو، بل شر له تاريخ مثالي. في تاريخها الطويل من الردود على التهديدات الحقيقية والمزعومة يبدو أن هذه الدولة المتباينة الضخمة تعرف نفسها جزئيا من خلال أعدائها، وتبدو اللغة التي يستخدمها السيد بوش وأتباعه لوصف الإرهابيين أحيانا وكأن كاتبها هو كوتون ماذير، منذ أن وصل البيوريتانيون المتشددون إلى "نيو إنغلد" قام الزعماء المدنيون والسياسيون بإطلاق التحذير نفسه: ينتشر المتآمرون الأشرار بخفاء عبر البلاد، عصابة من الأشرار الخطرين يصرون على تدمير هذه المدينة المشرفة على تل. وكما صاغها المدعي العام جون أشكروفت مؤخرا: "لقد ظهر شر مدمر خبيث محسوب في عالمنا". تسند أمريكا ادعاءها إلى الاستقامة التوراتية بوصف أعدائها بـ"الشر"، وهو موقف متشدد جارح لبقية العالم ولأقلية في أمريكا، ولكنه يعطي الحكومة مساحة أكبر للمناورة مع الأغلبية المتقاربة فكريا"[2].

يقول مايكل كوربت وجوليا كوربت: "اكتشفنا أن متغيرات دينية ثلاثة: الهوية الدينية، الحرفية الإنجيلية، والالتزام الديني، هي وسائل تنبؤ مهمة للتوجهات والهويات السياسية، وليس المتغيرات الدينية بالتأكيد وسائل التنبؤ الوحيدة، وفي بعض الأحيان

---

(١) أمريكا الكتاب الأسود، بيتر سكاون، (١٨٩).

(٢) المرجع السابق، (١٩٣).

ليس هي حتى الوسائل الأقوى، ورغم ذلك سوف تستمر العوامل الدينية بدرجات متفاوتة في التأثير على ما يظنه الناس، وعلى الكيفية التي يتصرفون بها سياسيا"[(١)].

ثم يتساءل المؤلفان ويجيبان: "نتحول أخيرا تجاه السؤال عما إذا كانت الولايات المتحدة هي أمة دينية، أو أمة علمانية، أو هي خليط منهما؟ وعلى الرغم من أن الإجابة الأخيرة هي الأكثر تعقيدا إلى حد بعيد، إلا أنها الإجابة الوحيدة التي اتصفت الولايات المتحدة كما هي في التسعينات، وكما كانت خلال معظم تاريخها... باختصار فإنه يبدو لنا أن الولايات المتحدة هي أمة علمانية، يسكنها أناس متدينون في معظمهم، البعض منهم متدينون للنخاع، والأكثر يمكن إطلاق هذه الصفة عليهم، لكن الغالبية هم متدينون، وقد وجدوا لهم موطنا في هذه الأمة العلمانية"[(٢)].

ويحلل المؤلفان الفروق بين اليهودية والنصرانية، ويخلصان إلى التطابق التام في عقيدة مجيء المسيح المخلص، فيقولان: "النبوءات عن قدوم المسيح الموجودة في كتاب "أشعياء" هي جزء من الكتاب المقدس عند اليهود، كما هو عند المسيحيين، وقد تشكلت الروابط بين المسيح المنتظر وشخصية عيسى الناصري، فقط في العهد الجديد المسيحي، فليس لها وجود داخل "التاناخ" -العهد القديم-؛ لذلك فليس لها اعتبار من وجهة النظر اليهودية، وعيسى ليس من نوع المسيح الذي يتوقعه معظم العبريين، وطبقا للفكر العبراني في هذا الصدد، سوف يكون المسيح مبعوثا سياسيا يقود كل بيت إسرائيل من الظلم، وسوف يأتي بزمان من السلام والوفرة، إنهم لا يتوقعون شخصية مقدسة، تدور حياته وموته حول خلاص الإنسان الفرد من الخطيئة وتبعاتها، وهي المهمة التي يوكلها المسيحيون إلى عيسى"[(٣)].

---

(١) الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية، مايكل كوربت وجوليا كوربت، (٢/ ٢٥٢).

(٢) الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية، مايكل كوربت وجوليا كوربت، (٢/ ٢٥٣).

(٣) المرجع السابق، (٢/ ٢٦٥).

وبعد؛ فيظهر جليا أن صحوة الغرب الدينية بعد الحرب العالمية الثانية، هي بمثابة رجعة لأصول عقدية راسخة في نفوس النصارى، ولا شك أن أمريكا النصرانية المتدينة تمثل الغرب النصراني المتدين في الجملة، وظهر أن العلاقة بين اليهود والنصارى علاقة قائمة على جذور دينية راسخة، وهي ما سمعت البابا يوحنا المعاصر يقول عنه: "الإرث الديني المشترك بين الديانة اليهودية والنصرانية"، وهي التي تجعل الغرب النصراني - وعلى رأسهم أمريكا- يتسامح مع الدولة اليهودية عندما ترتكب المجازر في حق إخواننا الفلسطينيين يوما، وآخر هذه المذابح مذبحة بيت حانون التي حدثت عند كتابتي لهذه السطور، ونقلت بشاعة ماحدث فيها للمسلمين الفضائيات ووسائل الإعلام المختلفة، ومع ذلك ترفض أمريكا مجرد إدانة الأمم المتحدة لهذا الإجرام وتستعمل حق النقض "الفيتو" حتى لا يصدر عن الأمم المتحدة ما يدين إسرائيل، ويعطل أو يؤخر مجيء المخلص ثانية.

وهو أيضا موقف غير جديد، فإنه بعد أن انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم النصراني، سعت لتحقيق سلام واحد هو السلام في الغرب فقط، وأما إذا ما اتجه بنظره إلى غير دول الغرب فلا سلام، بل ولأن ذلك يتنافى مع عقيدة حرب هرمجدون التي يؤمن بها المؤمنون بنبوءات الكتاب المقدس، - وبالأخص منهم الإنجيليين البروتستانتيين الصهاينة الحرفيين - من الغرب النصراني أنها نووية، وأن المسيح سيأتي ليقتل مئات الملايين من الكفار، والذين على رأسهم المسلمون، وأشد ما يوضح ذلك التصريحات الحكومية السياسية التي لها التأثير الحقيقي في الواقع، والمواقف العسكرية الحربية العدائية لكل قضايا المسلمين -الإرهابيين- في العالم.

ولعل من المهم هنا تسجيل موقف الإسلام من عودة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فهي عقيدة ثابتة راسخة في الإسلام، حيث قال الله تعالى:﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى

شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾[1].

فيؤمن كل مسلم بمقتضى هذه الآية أن المسيح عيسى ابن مريم سينزل من السماء إلى الأرض بعد أن رفعه الله منها عندما عزم اليهود على قتله، فألقى الشبه على من وشى به عند الإمبراطور، فقتل شبيهه وصلب، ورفع هو عليه السلام إلى السماء.

ويعتقد المسلمون أن المسيح عيسى ابن مريم سينزل فيكسر الصليب، كناية عن مقته وإنكاره لعقيدة النصارى القائلة بصلبه. وأنه سيضع الجزية، كناية عن عدم قبوله من أهل الكتاب ما كان يقبله النبي محمد ﷺ منهم، لكون الخصومة بين أهل الكتاب والمسلمين أتباع محمد ﷺ فيه هو عليه السلام، فلا يقبل منهم إلا الإسلام الخاص الذي نزل بشريعة محمد صلى الله عليهه وسلم الناسخة لشرائع أهل الكتاب، ولا يقبل منهم الإسلام بمفهومه العام الذي جاء به هو وسائر رسل أهل الكتاب عليهم السلام[2].

وقد أخبر النبي ﷺ بأن عيسى ابن مريم عليه السلام سيقاتل الناس على دين الإسلام وبالشريعة التي جاء بها محمد ﷺ، كما أخرج أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (ليس بيني وبينه نبي يعني عيسى عليه السلام، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه؛ رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين[3]، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة،

(١) النساء: ١٥٧– ١٥٩.

(٢) وقد مر معنا ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:(والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار). صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، حديث رقم(١٥٣). انظر ص(١٥٠)، وص(٣١١).

(٣) الممصر من الثياب الملون بالصفرة وليست صفرته بالمشبعة.

ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون)[1].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبدالله أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة) قال: (فينزل عيسى ابن مريم ﷺ، فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة)[2].

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:(والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها)، ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[3][4].

وبين النبي ﷺ أنه أولى بعيسى ابن مريم من النصارى، فإن عيسى عليه السلام دعا إلى توحيد الله تعالى، كما دعا هو عليه الصلاة والسلام إليه، فقد أخرج البخاري أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)[5].

وقد أخبر الله تعالى أن المسيح ابن مريم عليه السلام يتبرأ من الذين عبدوه من دون الله عزوجل وأنه لم يدع إلا إلى توحيد الله عز وجل، ربه ورب جميع الخلائق، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ

(١) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، حديث رقم(٤٣٢٤)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح مسلم، كتابا الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ، حديث رقم ١٥٦.

(٣) النساء: ١٥٧ – ١٥٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام، حديث رقم ٣٤٤٨.

(٥) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام، حديث رقم ٣٤٤٣.

أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[1].

ويعتقد المسلمون بأن هناك مسيحا آخر وهو المسيح الدجال، وهو الذي سيخرج قبل نزول المسيح ابن مريم عليه السلام، وستكون معه فتن عظيمة، فيعيث في الأرض فسادا، ويمكث في الأرض مدة حتى يقتله المسيح ابن مريم عليه السلام.

فقد جاءت أحاديث كثيرة في إثبات خروج المسيح الدجال نزول عيسى ابن مريم عليه السلام وقتله له، ومن هذه الأحاديث:

وأخرج الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (جاءت يهودية فاستطعمت على بابي، فقالت: أطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، قالت: فلم أزل أحبسها حتى جاء رسول الله ﷺ، فقلت: يارسول الله ما تقول هذه اليهودية؟ قال: وما تقول؟ قلت: تقول أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، قالت عائشة: فقام رسول الله ﷺ فرفع يديه مدا يستعيذ من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، ثم قال: أما فتنة الدجال فإنه لم يكن نبي إلا حذر أمته، وسأحذركموه تحذيرا لم يحذره نبي أمته. إنه أعور، والله عز وجل ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن، فأما فتنة القبر فبي تفتنون، وعني تسألون)[2].

وأخرج أبو داود في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (ما بعث نبي إلا قد أنذر أمته الدجال الأعور الكذاب، ألا وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور،

---

(١) المائدة: ١١٦ – ١١٧.

(٢) مسند الإمام أحمد، من حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم ٢٥١٣٣، وقال الأرنؤوط إسناده على شرط الشيخين.

وإن بين عينيه مكتوبا كافر)[1].

وأخرج أبو داود من حديث عبادة بن الصامت أنه حدثهم: أن رسول الله ﷺ قال: (إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج[2] جعد أعور مطموس العين ليس بناتئة ولا جحراء[3] فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور)[4].

وأخرج أبو داود من حديث النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال فقال: (إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فإنها جواركم من فتنته) قلنا: وما لبثه في الأرض؟ قال: (أربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم) فقلنا: يارسول الله هذا اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟ قال: (لا اقدروا له قدره. ثم ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله)[5].

فهذه النصوص وغيرها الكثير تثبت خروج المسيح الدجال ونزول المسيح عليه السلام من السماء بعد أن رفعه الله تعالى إليها، وقتله للدجال.

ويعتقد المسلمون أنه سيتبع الدجال خلق كثيرون منهم سبعون ألفا من يهود أصبهان،

(١) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، حديث رقم ٤٣١٦، وصححه الألباني.

(٢) الأفحج الذي إذا مشى باعد بين رجليه.

(٣) العين الجحراء: هي العين الغائرة.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، حديث رقم ٤٣٢٠، وصححه الألباني.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، حديث رقم ٤٣٢١، وصححه الألباني.

كما أخرج الإمام مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة)[1].

فاليهود ينتظرون المسيح رسول الله الذي لم يرسل أصلا لإنكارهم نبوة عيسى ابن مريم، وظنهم أنهم قتلوه فعلا، وهم في الحقيقة ينتظرون المسيح الدجال.

والنصارى ينتظرون يسوع المسيح ابن الله الذي فدى به الآب البشر وجعله مخلصا لهم من الخطيئة الجدية -خطيئة آدم عليه السلام-، ثم بعد أن تم الفداء بقتله وصلبه عاد إلى الحياة مرة أخرى ثم صعد إلى جوار أبيه ثم سيعود مرة أخرى إلى الأرض ليقيم عليهم الدينونة.

والمسلمون ينتظرون المسيح ابن مريم الذي رفعه الله تعالى ولم يصلب ولم يقتل، ويتعقدون خروج المسيح الدجال الذي سيقتله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وهم أسعد الناس بالحق.

يقول ابن القيم رحمه الله: "ومن تلاعبه -يعني الشيطان- بهم أنهم ينتظرون قائما من ولد داود النبي، إذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم، وأن هذا المنتظر بزعمهم هو المسيح الذي وعدوا به، وهم في الحقيقة إنما ينتظرون مسيح الضلالة الدجال فهم أكثر أتباعه، وإلا فمسيح الهدى عيسى بن مريم عليه السلام يقتلهم ولا يبقي منهم أحدا، والأمم الثلاث تنتظر منتظرا يخرج في آخر الزمان، فإنهم وعدوا به في كل ملة، والمسلمون

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، حديث رقم ٢٩٤٤، والطيالسة جمع طيلسان، والطيلسان أعجمي معرب، وهو ثو ب يلبس على الكتف يحيط بالبدن ينسج للبس خال من التفصيل والخياطة.

ينتظرون نزول المسيح عيسى بن مريم من السماء؛ لكسر الصليب، وقتل الخنزير، وقتل أعدائه من اليهود، وعباده من النصارى، وينتظرون خروج المهدي من أهل بيت النبوة يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا)[1].

* * *

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ت محمد أحمد فقي، ٢/ ٣٣٨، دار المعرفة بيروت. وانظر القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، د. سفر الحوالي، ٢٤.

الباب الثالث

الحرب والسلام في الإسلام

ويشمل ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عقيدة الحرب والسلام في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: عقيدة الحرب والسلام في السنة النبوية.

الفصل الثالث: أهداف جهاد الكفار وحكمه في الإسلام.

الفصل الأول

عقيدة الحرب والسلام في القرآن الكريم

الفصل الأول

عقيدة الحرب والسلام في القرآن الكريم

تمهيد:

جاء الحديث عن الحرب والسلام في القرآن الكريم بما يشير صراحة إلى أن معنى الحرب هو القتال، ومعنى السلام هو عدم القتال، وجاء أيضا بما يشير لمعانٍ أوسع من مجرد القتال وعدمه، يضاف إلى ذلك ورود بعض الألفاظ المترادفة للفظي الحرب والسلام، دالة على ما ينسحب مباشرة على القتال مثل ضرب الرقاب والغزو وإثخان الجراح في الكفار، أو عدم القتال مثل موادة الكفار والإقساط إليهم وبرهم.

ووصف الله تعالى الحرب والقتال في سبيله في كتابه العزيز وصفا شرعيا يخرج بالحرب والقتال عن المعنى المتبادر للذهن ابتداءً وهو مجرد القتل وسفك الدماء إلى معنى آخر فيه سمو وعلو وشمول وهو لفظ الجهاد في سبيله تعالى.

وقد رفع الله تعالى مكانة الجهاد في سبيله لأعلى درجات العبودية له جل وعلا، فإن المؤمن بالله عز وجل يبذل في الجهاد بنوعيه المالي والبدني أنفس ما يملكه في هذه الدنيا وهما نفسه وماله، ولذلك رتَّبَ الله تعالى على من أطاع أمرَه وبَذلَ نفسَه ومالَه أعظمَ الأجر والثواب فقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾[1]، وهذا ابتلاء عظيم من الله تعالى لعباده المؤمنين، ولكن حكمة الله تعالى اقتضت عدم ترك دعوى الإيمان من العباد مجردة دون ابتلاء وتمحيص ، فقال الله عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[2]،

---

(١) الصف: ١٠-١٣.

(٢) آل عمران: ١٤٢.

وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾[(١)].
وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾[(٢)].

ومنهج القرآن الكريم في تناول عقيدة الجهاد باعتباره قتال وجلاد للكفار يكاد أن ينحصر في أربعة محاور رئيسية[(٣)]:

المحور الأول:

بيان فضل الجهاد في سبيل الله والأمر به والحض عليه. كما أمر الله نبيه محمدا ﷺ فقال له: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾[(٤)]، وبين الله فضل المجاهدين وكرامتهم عند الله حاثا المؤمنين على الإقدام على الجهاد في سبيله فقال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾[(٥)].

ومن صور الحث على الجهاد نَهْيُ المؤمنين عن الهوان والحزن إذا مسهم قرح أو هزيمة، وتسليتهم وإخبارهم أنهم في المقام الأعلى، وأن الذي أعلاهم هو إيمانهم بالله؛ ليزدادوا استمساكا به، وليشرعوا في الجهاد عملا بمقتضاه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟

(١) محمد: ٣١.

(٢) آل عمران: ١٧٩.

(٣) انظر في تفصيل ثلاث من هذه المحاور، النظم القرآني في آيات الجهاد، د. ناصر الخنين،٢٢، مكتبة التوبة الرياض، ط. الأولى.

(٤) النساء: ٨٤.

(٥) آل عمران: ١٦٩-١٧١.

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾(١).

والمحور الثاني:

يدور حول بيان أسباب نصر المجاهدين في سبيل الله. ومن تلك الأسباب بيان أن نصرة الله بالقيام بدينه والدعوة إليه ثم جهاد أعدائه وقصد وجه الله بذلك، أعظم أسباب النصر، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾(٢).

ومن أسباب النصر التوكل على الله عز وجل، وصدق التوجه إليه، كما قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾(٣).

ومن تلك الأسباب الاستعداد العسكري بحسب الاستطاعة، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾(٤).

ومن تلك الأسباب، الثبات عند لقاء العدو والإكثار من ذكر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾(٥).

(١) آل عمران: ١٣٩، ١٤٠.

(٢) محمد: ٧.

(٣) آل عمران: ١٦٠.

(٤) الأنفال: ٦٠.

(٥) الأنفال: ٤٥.

والمحور الثالث:

يدور حول بيان أسباب الهزيمة. ومن أهم هذه الأسباب مخالفة أمر الله ورسوله والركون إلى الدنيا واتباع حظوظ النفس، كما بدر من الرماة يوم أحد عندما خالفوا أمر رسول الله، وكشفوا ظهر المسلمين، فعاتبهم الله تعالى عندما تساءل المؤمنون عن سر هزيمتهم بقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ ﴾(1).

ومن أسباب الهزيمة الاغترار بكثرة العدد والعدة، كما حصل من المؤمنين يوم حنين، فعاتبهم الله تعالى بقوله: ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾(2).

المحور الرابع:

يدور حول توجيه الوعيد الشديد واللوم والعتاب لمن يتخلف عن الجهاد في سبيل الله تعالى دون عذر شرعي، وتوبيخ المتثاقل عن الجهاد منهم لكونه اقترف عملا من أعمال المنافقين، وذلك كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾(3).

(1) آل عمران: ١٦٥.

(2) التوبة: ٢٥.

(3) التوبة: ٣٨، ٣٩.

وقد تنوع الحديث في القرآن الكريم عن الأمم التي حاربت بأمر الله تعالى، فتارة يكون إخبارا عن أمم أهل الكتاب، وتارة يكون عن أمة محمد ﷺ، وقد سبقت الإشارة في مبحث سنّة الله تعالى في التدافع بين الناس وحكمتها، أن معنى دفع الله الناس بعضهم ببعض الوارد في الآيتين المحكمتين في سورة البقرة والحج[1]هو القتال والجهاد في سبيل الله ويدخل في هذا المعنى ما هو أقل من القتال من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجاءت الإشارة للكثير من الآيات القرآنية المثبتة أن سنة التدافع بين الناس هي الجهاد والقتال في سبيل الله.

فمن منهج القرآن الكريم في تقرير عقيدة الحرب إثبات أن القتال في سبيل الله قد فرض على أمم أهل الكتاب من قبلنا، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾[2]، فأثبت القرآن الكريم أن عقيدة الحرب في سبيل الله تعالى شريعة لنا وشريعة لأهل الكتاب من قبلنا.

ومن منهج القرآن الكريم في عرض آيات السلام التفريق بين الكافر المقاتل المحارب وبين غيره من الكفار، فإن الله تعالى يقول: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[3].

وسنتاول في هذا المبحث الآيات التي تحدثت عن حالة الحرب - آيات الحرب والغزو والقتال والجهاد، وعن حالة السلام -آيات السلام والأمن- بشيء من التفصيل بإذن الله تعالى.

---

(١) البقرة:٢٥١، و الحج:١٨. وانظر تفصيل ذلك صفحة (٥٠).

(٢) سورة التوبة:١١١.

(٣) الممتحنة: ٨، ٩.

حديث القرآن عن القتال والغزو والحرب والجهاد:

وردت آيات محكمات في القرآن الكريم بلفظ القتال والغزو والحرب والجهاد للدلالة على القتال وجلاد الأعداء، وانفرد لفظا القتال والغزو(١) بحصر الدلالة على هذا المعنى، وأما الحرب والجهاد فقد وردا للدلالة على أكثر من معنى قتال الكفار وجلادهم في ساحات الوغى، وفيما يلي بيان تلك المعاني:

أولا: لفظ الحرب في القرآن الكريم:

جاءت كلمة الحرب في القرآن الكريم دالة على معنيين اثنين:

الأول: القتال والجلاد مطلقا.

الثاني: محاربة شريعة الله ورسله عليهم السلام وأوليائه الصالحين محاربة دون القتال والجلاد.

وماله علاقة بهذا الفصل هو المعنى الأول وقد أنزل الله تعالى ثلاث آيات صريحات فيه:

الآية الأولى: إخباره تعالى عن اليهود أنهم أهل إثارة للحرب ضد المسلمين، فقال تعالى عنهم: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾(٢).

الآية الثانية: وهي التي تليها مباشرة، عندما أمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ، بأن ينكل بالأسرى من بني قريظة الذين نقضوا العهد الذي كان بينه وبينهم وأعانوا المشركين

(١) ولم يأت لفظ الغزو إلا في آية واحدة، هي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

(٢) المائدة: ٦٤.

بالسلاح على قتاله ﷺ وأصحابه، ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعاهدهم الثانية، فنقضوا العهد ومالئوا الكفار عليه مرة أخرى يوم الخندق، فقال تعالى له: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[1].

والثالثة: أمره عز وجل لنبيه ﷺ بقتال الكفار مطلقا فقال تعالى له في سورة القتال: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا... ﴾ الآية[2].

ثانيا: لفظ الجهاد في القرآن الكريم:

ورد لفظ الجهاد في القرآن الكريم للدلالة على عدة معانٍ وهي مجاهدة النفس والشيطان والكفار والمنافقين والفساق، وقد عرف الإمام ابن حجر رحمه الله الجهاد شرعا فقال: (بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق، فأما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين ثم على العمل بها ثم تعليمها، وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات، وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب، وأما مجاهدة الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب)[3]، وقسم الإمام ابن قيم الجوزية الجهاد إلى أربعة أقسام فقال: (فالجهاد أربع مراتب: جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الكفار وجهاد المنافقين)[4].

والجهاد الذي يتعلق بهذا المبحث هو جهاد الكفار والمنافقين[5]، وفيما يلي بعض آيات الجهاد الدالة على القتال والجلاد:

(١) الأنفال:٥٧.

(٢) القتال – محمد:٤.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٦/ ٥)، دار الريان، ط. الثانية.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية (٣/ ٩)، دار الرسالة ط. الثالثة والعشرون.

(٥) وهو أربع مراتب كما ذكر ابن القيم رحمه الله فقال: (وأما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب: بالقلب واللسان والمال والنفس، جهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان)، زاد المعاد (٣/ ١٠).

أولا: آيات أمر الله تعالى فيها بالجهاد والقتال في سبيله:

فقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين من أتباع النبي محمد ﷺ بالجهاد بمعنى قتال الكفار في أربع آيات، ثلاث منها صريحة الدلالة والرابعة متضمنة لمعنى القتال ومعاني الجهاد الأخرى:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[2].

والآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ ى ى رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[3].

والآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[4].

ثانيا: آيات تبين فضل الجهاد سبيل الله تعالى وهي بمعنى القتال، ومن هذه الآيات:

قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾[5].

(١) المائدة:٣٥.

(٢) التوبة:٤١.

(٣) التوبة: ٨٦.

(٤) الحج: ٧٨.

(٥) البقرة: ٢١٨.

وقوله تعالى في سورة النساء: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾(1).

وفي سورة المائدة أيضا يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾(2).

وفي سورة النحل يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾(3).

وفي سورة الحجرات يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾(4).

وفي سورة الممتحنة يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾(5).

ثالثا: آيات مدح المجاهدين في سبيل الله وكونهم يعملون أفضل الأعمال عند الله مع توجيه اللوم إلى المتخلفين عنه واتهام إيمانهم بالنقص أو النقض:

فقد مدح الله تعالى عقد الموالاة والمحبة التي عقدها بين المهاجرين الذين هاجروا

---

(1) النساء: ٩٥ .

(2) المائدة: ٥٤ .

(3) النحل: ١١٠.

(4) الحجرات: ١٥.

(5) الممتحنة: ١ .

في سبيل الله، وتركوا أوطانهم لله لأجل الجهاد في سبيل الله، والأنصار الذين آووا رسول الله ﷺ وأصحابه وأعانوهم في ديارهم وأموالهم وأنفسهم، فهؤلاء بعضهم أولياء بعض، لكمال إيمانهم وتمام اتصال بعضهم ببعض، فقال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ..الآية﴾[1].

وعاتب الله الذين آمنوا ولم يهاجروا من أجل الجهاد في سبيله، وأخبرهم بأن ولايتهم مقطوعة بانفصالهم عن المؤمنين في وقت الحاجة إلى الرجال، فلما لم يهاجروا لم يكن لهم من ولاية المؤمنين شيء إلا في حالة طلبهم المعونة لقتال من قاتلهم لأجل دينهم فقط وليس لأي مقصد آخر بشرط عدم وجود هدنة مع الأعداء، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ ﴾[2].

ولما عقد الله تعالى الولاية بين المؤمنين، أخبر أن الكفار حيث جمعهم الكفر فبعضهم أولياء لبعض، فلا يواليهم إلا كافر مثلهم، وبين أن عدم موالاة المؤمنين ومعادة الكافرين تؤدي إلى فتنة عظيمة وهي اختلاط الحق بالباطل، والمؤمن بالكافر، وتعطيل الكثير من العبادات الكبيرة كالجهاد والهجرة في سبيله وغير ذلك من مقاصد الشرع والدين التي تفوت إذا لم يتخذ المؤمنون وحدهم أولياء بعضهم لبعض فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ ﴾[3].

ثم عاد سبحانه لمدح عقد الموالاة بين المؤمنين من المهاجرين والأنصار فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ

(١) الأنفال: ٧٢.

(٢) الأنفال: ٧٢.

(٣) الأنفال: ٧٣.

حَقًّاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾﴾(1).

وفي سياق قرآني طويل بين سبحانه في سورة التوبة -براءة- أن الجهاد في سبيل الله بعد الإيمان بالله تعالى أفضل من عمارة المسجد الحرام بالبناء والصلاة والعبادة فيه وسقاية الحجاج، وأن جزاء من يجاهد في سبيل الله جزاء عظيم فقال تعالى: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾﴾(2).

وأوجب الله تعالى على عباده المؤمنين البراءة من المشركين والكفار وبغضهم وعدم موالاتهم حتى لو كان هذا المشرك أبا أو أخا زوجة أو قريب، بل أوجب قتالهم من أجل الله تعالى إذا لم يتوبوا عن كفرهم وشركهم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾(3).

---

(1) الأنفال: ٧٤، ٧٥. وانظر في التعليق على الآيات تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن سعدي، ٣٢٧، مؤسسة الرسالة بيروت، ط. الرابعة.

(2) التوبة: ١٩- ٢٢.

(3) التوبة: ٢٣-٢٤.

وفي سياق الآيات السابقة نفسها، جعل الله تعالى علامة صدق المؤمنين وعدم كذبهم في دعوى الإيمان قبولهم للجهاد في سبيله تعالى دون تردد، وأن الذي لا يستجيب لنفير الجهاد في سبيل الله مع عدم وجود العذر الشرعي ليس بمؤمن صادق الإيمان، بل هو شاك في دينه مرتاب حيران في إيمانه، وعاتب نبيه عندما أذن لبعض المنافقين وقبل اعتذارهم عن التخلف في غزوة تبوك فقال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾[1].

وفي السياق ذاته فضح الله تعالى المنافقين وبين أنهم يفرحون بعدم جهادهم مع رسول الله ﷺ، وبين عاقبتهم، وأمره بأن يمنعهم من الجهاد معه بعد ذلك، ومنعه أيضا أن يصلي على من مات منهم، قال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾[2].

(١) التوبة: ٣٨-٤٥ .

(٢) التوبة: ٨١- ٨٧ .

وختم الله تعالى هذا السياق القرآني ببيان عاقبة من جاهد في سبيله فقال تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾(1).

ثالثا: لفظ القتال في القرآن الكريم:

جاء لفظ القتل والقتال في القرآن للدلالة على إزهاق الأنفس سواء أكان في الحرب أو في غير الحرب، وما يتعلق بالمبحث هي الآيات الدالة على القتال بمعنى الحرب، ومن هذه الآيات:

أولا: آيات تبين فرض القتال على الأمم من قبلنا:

وقد مدح الله تعالى المؤمنين في الأمم التي قبلنا أنهم كانوا يقاتلون في سبيله ولم يضعفوا ولم يخوروا، بل صبروا وثبتوا عند لقاء الأعداء فقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾(2).

وذم الله تعالى بني إسرائيل عندما خافوا وجبنوا عن قتال أعدائه وأعدائهم، وتواصوا على الجبن والخور، عصوا أمر ربهم في جهاد الكفار لدخول الأرض المقدسة، حتى فسقهم وعاقبهم بالتيه في الأرض، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا

(1) التوبة: ٨٠ – ٨٩.

(2) آل عمران: ١٤٦.

فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ
فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن
نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي
لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ
أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾(1).

وأخبرنا الله تعالى بأحوال بني إسرائيل مع أنبيائهم، وأنه كتب عليهم القتال في سبيل إعلاء كلمته، وأن من استحق نصره في قتاله مع أعدائه تعالى هم الذين ثبت إخلاصهم له تعالى وأطاعوا أوامره وقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا، فقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ
بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ
عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ
أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ
بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ
يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ
ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ
وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ
سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ
مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ
بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ
لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ
قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ

(1) المائدة: ٢٠-٢٦.

وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ ﴾[1].

وفي نفس السياق أخبر سبحانه وتعالى أن القتال في سبيله سنة ماضية بين العباد أرادها تعالى بمشيئته الكونية لحكمة بالغة منه تعالى، وهي سنة التدافع بين الناس، وأنه لو شاء ما حصل الخلاف والقتال بينهم، ولكنه تعالى يفعل في ملكه ما يشاء، فقال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾[2].

ثانيا: آية الإذن لهم بالقتال بعد أن كانوا ممنوعين منه:

وجاءت سورة الحج، وأخبر الله تعالى أنه قادر على نصرهم وإن كان ظاهر حالهم في تلك الفترة أنهم ضعفاء لا يستطيعون كسر شوكة الكفار، فقال الله تعالى لهم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[3].

---

(١) البقرة: ٢٤٦-٢٥١.

(٢) البقرة: ٢٥١ – ٢٥٣.

(٣) الحج: ٣٩.

ثالثا:آيات فرض الله تعالى فيها القتال جهادا في سبيله تعالى، وأمر عباده المؤمنين بذلك:

كقوله تعالى في سورة البقرة في سياق طويل: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾[(١)]، فقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ﴾، ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ﴾، ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ﴾، أمر من الله تعالى يوجب القتال في سبيله ويفرضه على المؤمنين بالله تعالى .

وبين تعالى في نفس السياق أنه فرض القتال والجهاد في سبيل على المؤمنين بعد أن كانوا مأمورين بتركه لضعفهم وعدم احتمالهم لذلك، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وكثر المسلمون وأصبحت لهم قوة، أذن لهم بالقتال، ثم أمرهم به بعد ذلك، و أخبرهم أنه مكروه للنفوس لما فيه من التعب والمشقة وحصول أنواع المخاوف والتعرض للمتالف، ومع هذا فهو خير لهم؛ لما فيه من التمكين لدين الله في الأرض بعد النصر على الأعداء، وما يترتب على ذلك من الثواب العظيم لهم من عند الله تعالى، فقال عز وجل في نفس السورة: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾[(٢)].

وفي نفس السياق القرآني، أخبر تعالى عن حكم جهاد المشركين في الأشهر الحرم[(٣)]،

---

(١) البقرة: ١٩٠– ١٩٣.

(٢) البقرة: ٢١٦.

(٣) يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: (الجمهور على أن تحريم القتال في الأشهر الحرم منسوخ بالأمر بقتال المشركين حيثما وجدوا، وقال بعض المفسرين: إنه لم ينسخ؛ لأن المطلق محمول على المقيد، وهذه الآية مقيدة لعموم الأمر بالقتال مطلقا، ولأن من جملة مزية الأشهر الحرم، بل من أكبر مزاياها تحريم القتال فيها،
=

وأخبر أنهم لن يتركوا قتال المؤمنين إلا في حالة ارتدادهم عن دينهم، وأن الشرك أكبر من القتل، فقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾[1].

وأمر تعالى في نفس السياق القرآني المؤمنين بالقتال، ووصف ذلك بالقرض الحسن لكون القتال في سبيل الله لا يتم إلا بالنفقة وبذل الأموال فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾[2].

وأمر الله عباده المؤمنين بالقتال حتى لا تكون فتنة وهي الشرك والصد عن سبيل الله، ويخضع الكفار لحكم الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[3].

وحث الله تعالى عباده المؤمنين على القتال مبينا أن من يقاتل في سبيله هم المؤمنون كاملو الإيمان الصادقون في إيمانهم، وأما المتثاقلون عن القتال في سبيله فلا يعبأ سبحانه بهم خرجوا أو قعدوا، وحضهم تعالى على الجهاد ببيان أن القتال قد كتب عليهم وتعين =

وهذا إنما هو في قتال الابتداء، وأما قتال الدفع فإنه يجوز في الأشهر الحرم كما يجوز في البلد الحرام). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،٩٧.

(١) البقرة: ٢١٦ – ٢١٨.

(٢) البقرة: ٢٤٤ – ٢٤٥.

(٣) الأنفال: ٣٩.

بسبب ما أصاب الضعفاء من النساء والولدان من الظلم من أعداء الله تعالى، فلو تركوا الجهاد والحال كذلك لتوجه اللوم العظيم عليهم، وأخبر تعالى أن الذين يقاتلون في سبيله هم حزبه وأولياؤه، وأن أعداءهم هم حزب الشيطان وأولياؤه، وأنهم عاقبتهم خاسرة وأن كيدهم كيدا ضعيفا، فقال تعالى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾[1].

وفي نفس السياق أخبر سبحانه السبب في عدم فرض القتال على المؤمنين وهم في مكة، وأن لذلك حكمةً عظيمة منها: أنه تعالى يشرع لعباده على وجه لا يشق عليهم، ويبدأ بالأهم فالأهم والأسهل فالأسهل، ومنها: أنه لو فرض عليهم القتال مع قلة عددهم وكثرة عدوهم لأدى ذلك إلى اضمحلال الإسلام، وعاتب الله تعالى من كان يستعجل القتال في العهد المكي قبل أن يفرض لتلك الحكم، وتثاقل عنه عندما فرض في المدينة[2]، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾[3].

وفي نفس السياق القرآني فضح الله نفوس المنافقين، وأوضح ما يجب على المؤمنين تجاههم من قتلهم والتنكيل بهم وعدم التشكك في كفرهم، فقال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن

(١) النساء: ٧٤-٧٦.

(٢) انظر تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١٨٧.

(٣) النساء: ٧٧.

تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ﴾(1).

وأمر الله تعالى المؤمنين بالقتال بعد انتهاء الأشهر الحرم فقال في سورة التوبة: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾(2).

وفي نفس السياق أمر الله تعالى المؤمنين بقتال المعاهدين من المشركين إن نقضوا أيمانهم وحلوها ونكثوا بعهدهم فقاتلوا المؤمنين أو أعانوا على قتالهم أو انتقصوا من دينهم وعابوه وسخروا منه، فقال تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾(3).

وفي السياق ذاته أمر الله تعالى بقتال أهل الكتاب من الذين لم يتبعوا الشريعة الصحيحة التي جاء بها النبي محمد ﷺ ونسخت شريعتهم، فقال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾(4).

(1) النساء: ٨٨-٩١.

(2) التوبة: ٥.

(3) التوبة: ١٢-١٤.

(4) التوبة: ٢٩.

وفي السياق ذاته، أمر الله بقتال المشركين كافة وأنواع الكافرين برب العالمين بعد انقضاء الأشهر الحرم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾(1).

وفي السياق نفسه أمر الله المؤمنين بقتال من يلي المسلمين من الكفار الأقرب فالأقرب والغلظة عليهم والشدة في القتال والشجاعة والثبات، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾(2).

وأمر الله تعالى نبيه بأن يحرض المؤمنين على القتال وألا يلتفت لكثرة الأعداء وقلة المؤمنين، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾(3).

رابعـا: آيات تصف حال النبي ﷺ وحال المؤمنين عند قتالهم في سبيل الله عز وجل:

أخبر الله تعالى في آيات كثيرة أنه مع أوليائه الصالحين الذين يقاتلون في سبيله، ولإعلاء كلمته بنصره وتأييده وتثبيته لهم ورفع معنوياتهم، وإرسال جنده سبحانه وبحمده لنصرهم وهزيمة أعدائه وأعدائهم.

(١) التوبة: ٣٦.

(٢) التوبة: ١٢٣.

(٣) الأنفال: ٦٥، ٦٦.

ومن هذه الآيات قوله تعالى في سورة آل عمران عن حال المؤمنين يوم بدر: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

وكقوله تعالى في سياق قرآني طويل بين الله تعالى فيه حال يوم بدر أيضا وكيف أنزل عليهم نصره، وأمدهم بجند من ملائكته الكرام حتى أتم لهم النصر، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ في نفس السورة: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[2].

وعن نفس المعركة بين الله تعالى حال المؤمنين في سورة الأنفال، وكيف أنهم كانوا لقلة عددهم وعدتهم أحبوا أن يظفروا بعير قريش التي جاء بها أبو سفيان من الشام، فوعدهم الله إحدى الطائفتين العير أو النفير، ولكن الله تعالى أراد أن يظفروا بالنفير الذي فيه كبراء المشركين وصناديدهم، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَـٰنِ

(١) آل عمران: ١٣.

(٢) آل عمران: ١٢١-١٢٧.

وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾[1].

وفي نفس السياق أمر الله تعالى عباد المؤمنين بالشجاعة والقوة والثبات عند لقاء العدو وعدم الفرار من ساحات القتال والثقة بأن النصر من عنده تعالى فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾[2].

وكما فعل رسوله ﷺ يوم غزوة أحد عندما كان ينزل المقاتلين ويرتبهم كل في مقعده ومباشرته للقتال معهم وشجاعته، فقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾[3].

وفي سياق قرآني طويل أخبر الله عز وجل في سورة الأحزاب عن مِنَّته على المؤمنين؛ إذ نصرهم بجند من جنوده لم يروها وهي الريح، عندما تحزَّب الأحزاب عليهم، وحاصروهم وأحكموا طوق الحصار، وجاءوهم من كل حدب وصوب، حتى بلغت الشدة مبلغها عليهم، فنقضت اليهود عهدها وتحفزت للحرب مع الأحزاب، وقام

(١) الأنفال: ٧-١٤ .

(٢) الأنفال: ٧-١٤ .

(٣) آل عمران: ١٢١.

المنافقون بإرهاب المؤمنين وتخذيلهم وإشاعة الخوف بينهم، ثم جاءهم النصر من عند الله
تعالى، فقال عز وجل في سياق طويل عن هذه الغزوة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ
عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا
(٩) إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ (١٠) هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا (١١) وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ
وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا (١٢) وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا
مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارٗا (١٣) وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا (١٤)
وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا (١٥) قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ
إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا (١٦) قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ
بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا (١٧) ۞ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ
مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ
رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ
حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا (١٩) يَحۡسَبُونَ
ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ
أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا (٢٠) لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن
كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا (٢١) وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا (٢٢) مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا
عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا (٢٣) لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ
ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا (٢٤)
وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا
(٢٥) وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا

تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾[1].

وكوصفه الله تعالى ومدحه للمقاتلين في سبيله حال تسويتهم لصفوفهم في ساحة القتال أنهم كالبنيان المرصوص، فقال عز وجل في سورة الصف: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾[2].

خامسا: آيات فيها جاء مدح مطلق للذين يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا:

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾[3].

سادسا: آيات فيها وعيد شديد، وتخويف بالعذاب الأليم، للذين يتخلفون عن القتال في سبيل الله، وأن التلخف عن القتال من صفات المنافقين:

كما قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾[4]. والمعنى أنه كان أولى لهؤلاء القوم طاعة الرسول ﷺ، وأن يقولوا قولا معروفا، فإن ذلك أحسن

(١) الأحزاب: ٨- ٢٧.

(٢) الصف: ٤.

(٣) المزمل: ٢٠.

(٤) محمد: ٢٠ .

وأمثل لهم من غيره، ولو جدّ القتال وكانوا صادقين مع الله تعالى وقاتلوا في سبيله، لكان خيرا لهم من المعصية والمخالفة بتركهم للقتال[1].

وكما قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦)﴾[2].

وكما بين عز وجل في سورة الحشر أن التخلف عن الخروج للقتال سمة متأصلة في نفوس المنافقين، وإنهم حتى لو قدر خروجهم مع الكفار، سيحصل منهم الهروب والإدبار من ساحات القتال، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢) لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٣)﴾[3].

وكما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧)﴾[4].

سابعا: آيات يسلي الله عز وجل فيها المؤمنين ويخبرهم أن غاية ضرر الأعداء لهم هو الأذى بالكلام فقط:

أخبر تعالى في آيات كثيرة أن كيدَ أعداء الله عز وجل كيدٌ ضعيف، وبشر عباده

(١) انظر زبدة التفسير، د. محمد الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط. الأولى.

(٢) الفتح: ١٦ .

(٣) الحشر: ١١-١٣

(٤) آل عمران: ١٦٧ .

الصالحين بأن العاقبة لهم، وأنهم سيهزمونهم عند قتالهم، وأن أعداءهم سيولون الأدبار هاربين من قتالهم رعبا وخوفا منهم.

كما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[1].

وكما قال تعالى في سورة الفتح: ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ ﴾[2].

آيات تبين أحكام السلام مع الكفار في القرآن العظيم:

جاء النص القرآني مبيحًا للمؤمنين مسالمة الكفار ومهادنتهم وعقد مواثيق الصلح والمهادنة لمدد معلومة عند ترجيح المصلحة في ذلك للمسلمين، أو في حالة انضمام الكفار والمنافقين إلى من سالم المسلمين بميثاق أو عهد إلى مدة معينة.

وقد أمر الله تعالى النبي ﷺ بقبول السلام في مرحلة من مراحل دعوته ﷺ المشركين إلى الإسلام، لما في ذلك من المصلحة للمؤمنين آنذاك، وبين له أنه إن كان المشركون كاذبين في دعوتهم للسلام معه، فإنه عز وجل سيكفيه فيهم، وينصره عليهم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾[3].

فأمر الله تعالى النبي ﷺ في حال طلب الكفار المحاربين الصلح وترك القتال؛ أن يجيبهم لطلبهم، لما في ذلك من مصلحة للدعوة إلى الله تعالى في تلك المرحلة.

---

(١) آل عمران: ١١١.

(٢) الفتح: ٢٢.

(٣) الأنفال: ٦١، ٦٢.

يقول العلامة ابن سعدي رحمه الله: "يقول تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾ أي: الكفار المحاربون، أي: مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾ أي الصلح وترك القتال، ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: أجبهم إلى ما طلبوا متوكلا على ربك، فإن في ذلك فوائد كثيرة.

منها: أن طلب العافية مطلوب كل وقت، فإذا كانوا هم المبتدئين في ذلك، كان أولى لإجابتهم.

ومنها: أن في ذلك إجماما لقواكم، واستعدادا منكم لقتالهم في وقت آخر، إن احتيج لذلك.

ومنها: أنكم إذا أصلحتم وأمن بعضكم بعضا، وتمكن كل من معرفة ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فكل من له عقل وبصيرة إذا كان معه إنصاف فلا بد أن يؤثره على غيره من الأديان؛ لحسنه في أوامره ونواهيه، وحسنه في معاملته للخلق والعدل فيهم، وأنه لا جور فيه ولا ظلم بوجه، فحينئذ يكثر الراغبون فيه والمتبعون له.

فصار هذا السلم عونا للمسلمين على الكافرين، ولا يخاف من السلم إلا خصلة واحدة، وهي أن يكون الكفار قصدهم بذلك خدع المسلمين، وانتهاز الفرصة فيهم، فأخبرهم الله أنه حسبهم وكافيهم خداعهم، وأن ذلك يعود عليهم ضرره"[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، ٣٢٥. ويقول الإمام الطبري رحمه الله: "القول في تأويل قوله: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإما تخافن من قوم خيانة وغدرا فانبذ إليهم على سواء وآذنهم بالحرب، وإن جنحوا للسلم فاجنح لها، وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحرب إما الدخول في الإسلام وإما إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون وإما بالموادعة ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح ﴿ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ يقول: فمِلْ إليها وابذل لهم ما مالوا من ذلك وسألوكه ... وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ ﴾ قال: للصلح ونسخها قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾.
=

=

حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ ﴾ إلى الصلح ﴿ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ قال: وكانت هذه قبل براءة وكان النبي ﷺ يوادع القوم إلى أجل فإما أن يسلموا وإما أن يقاتلوهم ثم نسخ ذلك بعد في براءة فقال: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾. وقال: ﴿ وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ﴾. ونبذ إلى كل ذي عهد عهده وأمره بقتالهم حتى يقولوا: (لا إله إلا الله) ويسلمون وأن لا يقبل منهم إلا ذلك وكل عهد كان في هذه السورة، وفي غير وكل صلح يصالح به المسلمون المشركون يتوادعون به فإن براءة جاءت بنسخ ذلك فأمر بقتالهم على كل حال حتى يقولوا لا إله إلا الله .

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا: ﴿ جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ نسختها الآية التي في براءة قوله: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ إلى قوله ﴿وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن عقيل بن الفضيل قال ، حدثنا أسباط عن السدي. ﴿ ى ى لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ يقول: وإن أرادوا الصلح فأرده .

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ أي إن دعوك إلى السلم (إلى الإسلام) فصالحهم عليه .

حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ قال: فصالحهم قال: وهذا قد نسخه الجهاد .

قال أبو جعفر فأما ما قاله قتادة ومن قال مثل قوله من أن هذه الآية منسوخة فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل.

وقد دللنا في غير موضوع من كتابنا وهذا و غيره على أن الناسخ لا يكون إلا ما نفى حكم المنسوخ من كل وجه، فأما ما كان بخلاف ذلك فغير كائن ناسخا .

وقول الله في براءة: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾. غير نافٍ حكمه حكم قوله: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾؛ لأن قوله: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ ﴾ إنما عني به بني قريظة وكانوا يهودًا أهل كتاب، وقد أذن الله جل ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ومتاركتهم الحرب على أخذ الجزية منهم.

وأما قوله: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾. فإنما عني به مشركو العرب من عبدة الأوثان الذين لا يجوز قبول الجزية منهم فليس في إحدى الآيتين نفي حكم الأخرى بل كل واحد منهما محكمة فيما نزلت.

حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ ﴾ قال: قريظة ". جامع البيان في تأويل القرآن، ٦/ ٢٧٧.

=

ويقول الإمام القرطبي رحمه الله: "﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فيه مسألتان: ﴿ لَهَا ﴾؛ لأن السلم مؤنثة ويجوز أن يكون التأنيث للفعلة والجنوح الميل ويقول: إن مالوا يعني الذين نبذ إليهم عهدهم إلى المسالمة أي الصلح فمل إليها وجنح الرجل إلى الآخر: مال إليه ومنه قيل للأضلاع جوانح لأنها مالت على الحشوة وجنحت الإبل: إذا مالت أعناقها في المسير...

الثانية: وقد اختلف في هذه الآية هل هي منسوخة أم لا. فقال قتادة وعكرمة نسخها: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ وقالا: نسخت براءة كل موادعة حتى يقولوا لا إله إلا الله . ابن عباس: الناسخ لها ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾.

وقيل ليست منسوخة ، بل أراد قبول الجزية من أهل الجزية وقد صالح أصحاب رسول الله في زمن عمر ﷺ ومن بعده من الأئمة كثيرا من بلاد العجم على ما أخذه منهم وتركوا على ما هم فيه وهم قادرون على استئصالهم، وكذلك صالح رسول الله كثيرا من أهل البلاد على مالٍ يؤدونه، من ذلك خيبر، رد أهلها إليها بعد الغلبة على أن يعملوا ويؤدوا النصف. قال ابن إسحاق: قال مجاهد عني بهذه الآية قريظة؛ لأن الجزية تقبل منهم أما المشركون فلا يقبل منهم شيء.

وقال السدي وابن زيد: معنى الآية: إن دعوك للصلح فأجبهم ولا نسخ فيها. قال ابن العربي: وبهذا يختلف الجواب عنه؛ وقد قال الله عز وجل: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ فإذا كان المسلمون على عزة وقوة ومنعة وجماعة عديدة وشدة شديدة فلا صلح؛ كما قال:

فلا صلح حتى تطعن الخيل بالقنا		وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم

وإن كان للمسلمين مصلحة في الصلح لنفع يجتلبوه، أو ضرر يدفعوه، فلا بأس أن يبتدئ المسلمون به إذا احتاجوا إليه. وقد صالح رسول الله ﷺ أهل خيبر على شروط نقضوها فنقض صلحهم، وقد صالح الضَّمرِي وأُكَيْدر دُومة وأهل نجران، وقد هادن قريشا لعشرة أعوام حتى نقضوا عهده. وما زالت الخلفاء والصحابة على هذه السبيل التي شرعناها سالكة، وبالوجوه التي شرحناها عاملة.

قال القشيري: إذا كانت القوة للمسلمين فينبغي ألا تبلغ الهدنة سنة وإذا كانت القوة للكفار جاز مهادنتهم عشر سنين ولا تجوز الزيادة وقد هادن رسول الله أهل مكة عشر سنين.

قال ابن المنذر: اختلف العلماء في مدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وأهل مكة عام الحديبية فقال عروة: كانت أربع سنين. وقال ابن جريج: كانت ثلاث سنين. وقال ابن إسحاق كانت عشر سنين وقال الشافعي: لا تجوز مهادنة المشركين أكثر من عشر سنين على ما فعل النبي ﷺ عام الحديبية فإن هودن المشركون أكثر من ذلك فهي

=

منتقصة لأن الأصل فرض قتال المشركين حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية.

وقال ابن حبيب عن مالك ﷺ: تجوز مهادنة المشركين السنة والسنتين والثلاث وإلى غير مدة. قال المهلب: وإنما قاضاهم النبي هذه القضية التي ظاهرها الوهن على المسلمين لسبب حبس ناقة رسول الله عن مكة حين توجه إليه فبركت، وقال: حبسها حابس الفيل، على ما أخرجه البخاري من حديث المسور بن مخرمة ودل على جواز الصلح مع المشركين ومهادنتهم دون مال يؤخذ منهم إذا رأى لذلك الإمام وجها ويجوز عند الحاجة للمسلمين عقد الصلح بمال يبذلونه للعدو؛ لموادعة النبي عيينة بن حصن الفزازي والحارث بن عوف المري يوم الأحزاب على أن يعطيهما ثلث ثمر المدينة وينصرفا بمن معهما من غطفان ويخذلا قريشا ويرجعا إلى قومهما غنم، وكانت هذه المقالة مراوضة ولم تكن عقدا .. فلما رأى رسول الله منهما أنهما قد أنابا ورضيا استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فقالا: يا رسول الله هذا أمر تحبه فنصنعه لك؟ أو شيء أمرك الله به فنسمع له ونطيع؟ أو أمر تصنعه لنا؟ فقال: (بل أمر أصنعه لكم فإن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة) فقال: سعد بن معاذ: يا رسول الله، والله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وما طمعوا قط أن ينالوا منا ثمرة إلا شراء أو قرى، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، فَسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ وقال: أنتم وذلك، وقال لعيينة والحارث: (انصرف فليس عندنا إلا السيف وتناول سعد الصحيفة وليس فيها شهادة أن لا إله إلا الله فمحاها". الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٣٩٦.

ويقول ابن كثير رحمه الله: "﴿ وَإِن جَنَحُواْ ﴾ أي مالوا ﴿ لِلسَّلْمِ ﴾ أي المسألة والمصالحة والمهادنة ﴿ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ أي فمِلْ إليها واقبل منهم ذلك، ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله ﷺ تسع سنين أجابهم إلى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط الأُخَر .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا فضيل بن سليمان يعني النميري حدثنا محمد بن أبي يحيى عن إياس بن عمرو الأسلمي عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (إنه سيكون بعدي اختلاف أو أمر فإن استطعت أن يكون السلم فافعل).- مسند الإمام أحمد، ١/ ٩٠ وضعفه الأرنؤوط- وقال مجاهد نزلت في بني قريظة. وهذا فيه نظر؛ لأن السياق كله في وقعة بدر وذكرها مكتف لهذا كله.

وقال ابن عباس ومجاهد وزيد بن أسلم وعطاء الخرساني وعكرمة والحسن وقتادة: إن هذه الآية منسوخة بآية السف في براءة ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ... الآية﴾ وفيه نظر أيضا؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إذا كان العدو كثيفا فإنه تجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة

=

وكما قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (٩٠) سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا (٩١)﴾(1).

ويقول العلامة ابن سعدي أيضا: "والمراد بالمنافقين المذكورين في هذه الآيات: المنافقون المظهرون إسلام ولم يهاجروا مع كفرهم، وكان قد وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم فيهم اشتباه، فبعضهم تحرّج عن قتالهم، وقطع موالاتهم بسبب ما أظهروه من =

وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية فلا منافاة ولا نسخ و لا تخصيص والله أعلم" . تفسير ابن كثير ٢ / ٣٣٤ .

ويقول ابن الجوزي رحمه الله: "﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم (للسِّلْم) بكسر السين. قال الزجاج: السِّلم الصلح والمسالمة، يقال: سَلْم وسِلْم وسَلَمَ في معنى واحد ، أي: إن مالوا إلى الصلح فمل إليه. قال الفراء: إن شئت جعلت﴿لَهَا﴾ كناية عن السلم؛ لأنها تؤنث، وإن شئت جعلتها للفعلة ، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٣)﴾ . فإن قيل: لم قال:﴿لَهَا﴾ ولم يقل: إليها؟؟ فالجواب: أن "اللام" و"إلى" تنوب كل واحدة منهما عن الأخرى.

وفيمن أريد بهذه الآية قولان:

أحدهما: مشركون وأنها نسخت بآية السيف . والثاني: أهل الكتاب .

فإن قيل: إنها نزلت في ترك حربهم إذا بذلوا الجزية وقاموا بشرط الذمة فهي محكمة.

وإن قيل: نزلت في موادعتهم على غير جزية، توجه النسخ لها بآية الجزية " زاد المسير . ٣/ ٣٧٦ .

(١) النساء: ٨٨ – ٩١ .

الإيمان، وبعضُهم علم أحوالهَم بقرائن أفعالهم، فحَكَمَ بكفرهم، فأخبرهم الله تعالى أنه لا ينبغي لكم أن تشتبهوا فيهم ولا تشكوا، بل أمرُهم واضح غير مُشْكِل، إنهم منافقون قد تكرر كفرهم، وَوَدُّوا مع ذلك كفركم، وأن تكونوا مثلهم، فإذا تحققتم ذلك منهم ﴿ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ وهذا يستلزم عدم محبتهم، لأن الولاية فرع عن المحبة، ويستلزم أيضا بغضهم وعداوتهم؛ لأن النهي عن الشيء أمر بضده، وهذا الأمر مؤقت بهجرتهم، فإذا هاجروا جرى عليهم ما على المسلمين، كما كان النبي ﷺ يجري أحكام الإسلام لكل من كان معه وهاجر إليه، وسواء كان مؤمنا حقيقةً أو ظاهر الإيمان، وأنهم إن لم يهاجروا وتولوا عنها ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ أي: في أي وقت، وأي محل كان، وهذا من جملة الأدلة الدالة على نسخ القتال في الأشهر الحرم، كما هو قول جمهور العلماء. والمنازعون يقولون: هذه نصوص مطلقة محمولة على تقييد التحريم في الأشهر الحرم. ثم استثنى الله تعالى من قتال هؤلاء المنافقين ثلاث فرق، فرقتين أمر بتركهم وحتّم على ذلك:

إحداهما –الفرقة الأولى–: من يصل إلى قوم بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق بترك القتال، فينضم إليهم، فيكون له حكمهم في حقن الدم والمال.

والفرقة الثانية: قوم ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ ﴾ أي: بقوا، لا تسمح أنفسهم بقتالكم، ولا بقتال قومهم، وأحبوا ترك قتال الفريقين، فهؤلاء أيضا أمر بتركهم، وذكر الحكمة بذلك في قوله: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ﴾ فإن الأمور الممكنة ثلاثة أقسام:

إما أن يكونوا معكم ويقاتلوا أعداءكم، وهذا متعذر من هؤلاء. فدار الأمر بين قتالكم مع قومهم، وبين ترك قتال الفريقين، وهو أهون الأمرين عليكم، فاقبلوا العافية، واحمدوا ربكم الذي كف أيديهم عنكم مع التمكين من ذلك. فهؤلاء ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ .

الفرقة الثالثة: قوم يريدون مصلحة أنفسهم، بقطع النظر عن احترامكم، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ ﴾ أي من هؤلاء المنافقين ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ ﴾

أي:خوفا منكم ﴿ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا ﴾ أي: لا يزالون مقيمين على كفرهم ونفاقهم، وكلما عرض لهم عارض من عوارض الفتن، أعماهم ونكسهم على رؤوسهم، وازداد كفرهم ونفاقهم، وهؤلاء في الصورة كالفرقة الثانية، وفي الحقيقة مخالفة لها. فإن الفرقة الثانية تركوا قتال المؤمنين احتراما لهم، لا خوفا على أنفسهم، وأما هذه الفرقة فتركوه خوفا لا احتراما، بل لو وجدوا فرصة في قتال المؤمنين، فإنهم مستعدون لانتهازها، فهؤلاء إن لم يتبين منهم، ويتضح اتضاحا عظيما اعتزال المؤمنين وترك قتالهم، فإنهم يقاتلون، ولهذا قال: ﴿ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ ﴾ أي: المسالمة والموادعة ﴿وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ أي: حجة بينهم واضحة، لكونهم معتدين ظالمين لكم تاركين للمسالمة، فلا يلومون إلا أنفسهم"(١).

آيات تدعوا إلى قتل الكفار الذين ينقضون العهد مع المسلمين:

أمر الله عز وجل في آيات محكمة نبيه ﷺ بنبذ السلام مع الكفار وتركه إذا كانت مصلحة المؤمنين في ذلك.

ومن تلك الآيات، قول الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾(٢). فأخبر الله عز وجل أن شر خلقه هم الكافرون به، الذين لا يثبتون على عهودهم ومواثيقهم التي أبرموها مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين، وأمره إنه إن التقى بهم في ساحات القتال والوغى أن ينكل بهم ويقتلهم

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، ٣٢٥.

(٢) الأنفال: ٥٥ – ٥٨.

شر قِتْلة، لكي يكونوا عبرةً لمن لا يعتبر، ودل تقييد إباحة قتلهم في ميدان الحرب، على أنه لا يجوز للنبي ﷺ -ولا للمسلمين- إن أعطى الكفار عهدًا أن ينكث به ويغدر بهم.

ولكن إن خاف النبي ﷺ -والمؤمنون من بعده- الخيانة والغدر ممن عاهدهم وعاهدوه على عدم القتال، وظهر منهم ما يثير الريبة من القرائن الدالة على أنهم سيغدرون به وبالمسلمين، فإن له -وللمسلمين- نبذ وترك هذه المعاهدة وهذا السلام، ولكن بعد إخبارهم بنقض العهد الذي بينه وبينهم وأنه بسبب ما ظهر منهم[1].

وأمر الله عز وجل المؤمنين بعدم طلب السلام من الكفار بسبب الخوف منهم، كما قال تعالى في سورة محمد -القتال-: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾[2]. " أي: لا تضعفوا عن قتال عدوكم، ويستولي عليكم الخوف، وتطلبون من عدوكم الصلح ابتداءً منكم، بل اصبروا واثبتوا، ووطنوا أنفسكم على القتال والجلاد، طلبا لمرضاة ربكم، ونصحا للإسلام، وإغضابا للشيطان. ولا تدعوا إلى المسالمة والمتاركة بينكم وبين أعدائكم، طلبا للراحة، والحال أنكم ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ ﴾ أي: أنتم الغالبون بالسيف والحجة، ولذلك فإن آخر الأمر النصر لكم، وإن غلبوكم في بعض الأوقات؛ ذلك لأن الله عز وجل معكم بالنصر والمعونة، ومن كان الله عز وجل فلن يغلب، والله لن يضيع أعمالكم ينقصكم أجوركم، فما إلا أحدى الحسنيين النصر والظفر بالأعداء أو الموت والشهادة في سبيل الله تعالى ودخول الجنة[3].

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي،٣٢٤.

(٢) محمد: ٣٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي،٧٩٠ بتصرف. ويقول الإمام الطبري رحمه الله: "القول في تأويل قوله تعالى:﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: فلا تضعفوا أيها المؤمنون بالله ورسوله عن جهاد المشركين وتجبنوا عن قتالهم ولا تدعوا إلى الصلح والمسالمة وأنتم القاهرون عليهم.

كما حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد:﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ ﴾ قال: لا تضعفوا.

=

حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا ﴾لا تضعف أنت. وقوله: ﴿وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ يقول: لا تضعفوا عنهم وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ يقول: والله معكم بالنصر لكم عليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل غير أنهم اختلفوا في معنى قوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ فقال بعضهم: معناه: وأنتم أولى بالله منهم . و قال بعضهم مثل الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك وقال معنى قوله ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أنتم أولى بالله منهم . حدثني أحمد بن المقدام قال: ثنا المعتمر ، قال سمعت أبي يحدث عن قتادة في قوله:﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ ﴾ قال: أي لا تكونوا أولى الطائفتين تضرُّعًا.

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال ثنا سعيد ، عن قتادة:﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ ﴾ قال: لا تكونوا أولى الطائفتين ضرعت لصاحبتها ، ودعتها إلى الموادعة وأنتم أولى بالله منهم والله معكم.

حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ ﴾ قال: لا أولى الطائفتين ضرعت لصاحبتها ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ قال: يقول وأنتم أولى بالله منهم.

حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ قال: الغالبون مثل يوم أحد تكون الدائرة عليهم .

ذكر من قال: معنى قوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أنتم الغالبون الأعز منهم:

حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب ابن زيد في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ قال: هذا منسوخ، قال: نسخه القتال والجهاد، يقول: لا تضعف أنت وتدعوهم أنت إلى السلم وأنت الأعلى، قال: وهذا حين كانت العهود والهدنة فيما بينه وبين المشركين قبل أن يكون القتال، يقول: لا تهن فتضعف، فيرى أنك تدعوه إلى السلم وأنت فوقه وأعز منه، ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أنتم أعز منهم. ثم جاء القتال بعد فنسخ هذه أجمع، فأمره بجهادهم والغلظة عليهم. وقد قيل: عني بقوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ وأنتم الغالبون آخر الأمر، وإن غلبوكم في بعض الأوقات ، وقهروكم في بعض الحروب.

وقوله: ﴿ فَلَا تَهِنُوا ﴾ جزم بالنهي، وفي قوله: ﴿ وَتَدْعُوٓاْ﴾ وجهان أحدهما الجزم على في العطف على تهنوا، فيكون معنى الكلام: فلا تهنوا و لا تدعوا إلى السلم، والآخر النصب على الصرف.

وقوله: ﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ يقول: ولن يظلمكم أجور أعمالكم فينقصكم ثوابها، من قولهم: وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا، فأخذت له مالا غصبا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل" جامع البيان في تأويل القرآن/ ٣٢٦.

ويقول الإمام البغوي رحمه الله: "﴿ فَلَا تَهِنُوا ﴾لا تضعفوا ﴿ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ ﴾أي لا تدعوا إلى الصلح ابتداء، منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار إلى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا، ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ الغالبون، قال الكلبي: آخر الأمر لكم وإن غلبوكم في بعض الأوقات ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصرة ﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ لن ينقصكم شيئا من ثواب أعمالكم، يقال: وتره يتره وترا وترةً: إذا نقص حقه، قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك: لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها" معالم التنزيل . ٧/ ٢٩٠.

ويقول الإمام القرطبي رحمه الله:﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ ﴾ أي تضعفوا عن القتال. والوهن: الضعف. وقد وهن الإنسان ووهنه غيره، يتعدى ولا يتعدى. قال:

إنني لست بموهونٍ فقِرْ

ووهن أيضا (بالكسر) وهْنًا أي ضعف، وقرىء: (فما وهنوا) بضم الهاء وكسرها. وقد مضى في آل عمران .

الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ ﴾ أي الصلح. ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ أي وأنتم أعلم بالله منهم.

وقيل: وأنتم الأعلون في الحجة. وقيل: المعنى وأنتم الغالبون؛ لأنكم مؤمنون وإن غلبوكم في الظاهر في بعض الأحوال. وقال قتادة: ولا تكونوا أول الطائفتين ضرعت إلى صاحبتها.

الثالثة: واختلف العلماء في حكمها، فقيل: إنها ناسخة لقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾؛ لأن الله تعالى منع من الميل إلى الصلح إذا لم يكن بالمسلمين حاجة إلى الصلح.

وقيل: منسوخة بقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾.

وقيل هي محكمة. والآيتان نزلتا في وقتين مختلفي الحال.

وقيل: إن قوله: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾مخصوص في قوم بأعيانهم، والأخرى عامة.

فلا يجوز مهادنة الكفار إلا عند الضرورة، وذلك إذا عجزنا عن مقاومتهم لضعف المسلمين. وقد مضى هذا المعنى مستوفى.

﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ أي بالنصر والمعونة ؛ مثل: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ العنكبوت:٦٩ .

﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ أي لن ينقصكم. عن ابن عباس وغيره، ومنه الموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه، تقول منه: وتره يتره وترا وترة. ومنه قوله عليه السلام: (الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: "﴿ فَلَا تَهِنُوا۟﴾ أي لا تضعفوا عن الأعداء ﴿ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ أي المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عددكم، ولهذا قال: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ أي: حال عُلُوِّكم على عدوكم، فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين، ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة فله أن يفعل ذلك كما فعل رسول الله ﷺ حين صده كفار قريش عن مكة ودعوه إلى الصلح، ووضع بينهم عشر سنين فأجابهم ﷺ إلى ذلك"[(1)].

ويقول العلامة الشنقيطي رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾. قرأ هذا الحرف عامة السبعة غير حمزة وشعبة عن عاصم إلى السلم بفتح السين . وقرأ حمزة وشعبة إلى السلم بكسر السين.

=

وماله) – رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب إثم من فاتته صلاة العصر، حديث رقم ٥٥٢- أي ذهب بهما . وكذلك وتره حقه أي نقصه. وقوله تعالى: ﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ أي لن ينقصكم في أعمالكم، كما تقول: دخلت البيت، وأنت تريد في البيت، قاله الجوهري. الفراء﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ هو مشتق من الوتر وهو الفرد، فكان المعنى: ولن يفردكم بغير ثواب" الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٣٣.

ويقول ابن الجوزي رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟﴾ أي لا تضعفوا ﴿ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم ﴿إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ بفتح السين، وقراء حمزة، وأبو بكر عن عاصم: بكسر السين. والمعنى: لا تدعوا الكفار إلى الصلح ابتداء.

وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز طلب الصلح من المشركين، ودلالة على أن النبي ﷺ لم يدخل مكة صلحا لأنه نهاه عن الصلح.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ أي انتم أعز منهم، والحجة لكم، وآخر الأمر لكم وإن غلبوكم في بعض الأوقات.

(والله معكم) بالعون والنصرة (ولن يتركم) قال ابن قتيبة: أي لن ينقصكم ولن يظلمكم، يقال: وترتني حقي، أي: بخستنيه. قال المفسرون: المعنى لن ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئا". زاد المسير ٧/ ٤١٣.

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/ ١٩٥.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ ﴾ أي لا تضعفوا وتذلوا، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[2] أي مضعف كيدهم. وقول زهير بن أبي سلمى:

وأخلفتك ابنة البكري ما وعدت فأصبح الحبل منها واهنا خلقا

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾جملة حالية، أي فلا تضعفوا عن قتال الكفار وتدعوا إلى السلم، أي تبدءوا بطلب السلم أي الصلح والمهادنة وأنتم الأعلون. أي والحال أنكم وأنتم الأعلون أي الأقهرون الأغلبون لأعدائكم، ولأنكم ترجون من الله النصر والثواب مالا يرجون. وهذا التفسير في قوله: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ وهو الصواب. وتدل عليه آيات من كتاب الله كقوله تعالى بعده: ﴿ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ لأن من كان الله معه هو الأعلى وهو الغالب وهو القاهر المنصور الموعود بالثواب. فهو جدير بأن لا يضعف عن مقاومة الكفار ولا يبدأهم بطلب الصلح والمهادنة.

وكقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا...الآية)[4]، وقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ...الآية﴾[6].

(١) آل عمران: ١٤٦.

(٢) الأنفال: ١٨.

(٣) الصافات: ١٧٣.

(٤) غافر: ٥١.

(٥) الروم: ٤٧.

(٦) التوبة: ١٤.

ومما يوضح معنى آية القتال هذه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾[1] من النصر الذي وعدكم الله به والغلبة وجزيل الثواب. وذلك كقوله هنا: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ أي بالنصر والإعانة والثواب.

واعلم أن آية القتال هذه لا تعارض بينها وبين آية الأنفال حتى يقال إن إحداهما ناسخة للأخرى، بل هما محكمتان وكل واحدة منهما منزلة على حال غير الحال التي نزلت عليه الأخرى.

فالنهي في آية القتال هذه في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾. إنما هو عن ابتداء بطلب السلم.

والأمر بالجنوح إلى السلم في آية الأنفال محلُّه فيما إذا ابتدأ الكفار بطلب السلم والجنوح لها، كما هو صريح قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ...الآية﴾.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ قد قدمنا الآيات الموضحة له في آخر سورة النحل في آخر الكلام على قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[2].

وهذا الذي ذكرنا في معنى الآية أولى وأصوب مما فسره به ابن كثير رحمه الله، وهو أن المعنى: لا تدعوا إلى الصلح والمهادنة وأنتم الأعلون أي في حال قوتكم وقدرتكم على الجهاد. أي، وأما إن كنتم في ضعف وعدم قوة فلا مانع من أن تدعوا إلى السلم، أي الصلح والمهادنة، ومنه قول العباس بن مرداس السلمي:

السلم تأخذ منها ما رضيت به		والحرب تكفيك من أنفاسها جرع

---

(١) النساء: ١٠٤.

(٢) النحل:١٢٨.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ أي لن ينقصكم شيئا من ثواب أعمالكم. وهذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية الكريمة من عدم نقصه تعالى شيئا من ثواب الأعمال جاء موضحا في آيات أخر، كقوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ﴾[1] أي لا ينقصكم من ثوابها شيئا.

وقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[2] والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة وقد قدمناها مرارا.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ ﴾ أصله من الوتر وهو الفرد. فأصل قوله: لن يتركم لن يفردكم ويجردكم من أعمالكم بل يوفيكم إياها"[3].

وبعد هذه الجولة المباركة في كتاب الله العزيز حول الآيات الواردة في معنى الحرب والسلام المتعلق بالفصل نكون قد بينا المعالم الرئيسية لمنهج القرآن الكريم في عرضها، واتضح رسوخ عقيدة الجهاد والقتال في سبيل الله في الشريعة الإسلامية، وأن القرآن كله من أوله لآخره يأمر بالجهاد بمعناه الشامل، لتحقيق العبودية التي يريدها الله تعالى، فهو الوسيلة العملية للدلالة على صدق الجانب العلمي النظري، وهي دعوى الإيمان من المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[4]، واتضح أيضا متى يكون السلام مع الكفار، والفرق بين أن يطلب المسملون من الكفار الصلح ابتداءً، وبين أن يطلب الكفار الصلح ابتداءً وآراء العلماء في ذلك.

---

(١) الحجرات: ١٤.

(٢) الأنبياء:٤٧.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،٧/ ٥٩٦.

(٤) العنكبوت: ٦٩.

وندلف في الصفحات التالية إن شاء الله إلى عقيدة الحرب والسلام في السنة النبوية المطهرة، ونقف بمشيئة الله تعالى على كيفية معاملة النبي ﷺ للكفار والمشركين، منذ أن بعثه الله تعالى للعالمين نذيرا، وكيف كانت مراحل تشريع الجهاد في الإسلام، وفي أي مرحلة من مراحل الدعوة لجأ النبيﷺ إلى الصلح مع الكفار، وكيف عامل المنافقين، والمعاهدين من أهل الكتاب عندما نقضوا عهدهم مع المسلمين.

* * *

الفصل الثاني

عقيدة الحرب والسلام في السنة النبوية

الفصل الثاني

عقيدة الحرب والسلام في السنة النبوية

مثلت السيرة النبوية -على صاحبها الصلاة والسلام- الواقع العملي لعقيدة الحرب والسلام التي أنزلت في القرآن العظيم، فالسنة النبوية جاءت مفسرة للقرآن وشارحة له ومطبقة لأحكامه ومفصلة لها، وقد بدأ النبي ﷺ الجهاد بمعناه العام منذ أن أمر الله تعالى بالبلاغ وأرسله عندما قال له تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾[1]، فبدأ بالدعوة السرية لقرابة ثلاث سنوات، ثم أمره الله عز وجل بأن ينذر عشرته الأقربين: فقال له: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤﴾[2] فأنذرهم، الأقرب فالأقرب، حتى تكفل عمه أبو طالب بحمايته، فصعد ﷺ على جبل الصفا ونادى في بطون قريش: (يا صباحاه)[3]، وكانت صيحة البلاغ هذه بداية عهد جديد من الجهاد بمعناه العام دون القتال، ولم يزل عليه الصلاة والسلام يدعو عشيرته الأقربين حتى أنزل الله تعالى عليه قوله: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤﴾[4] فقام عليه الصلاة والسلام يجهر بالدعوة إلى الإسلام في مجامع المشركين ونواديهم، فاشتد عداء المشركين، واشتد معه جهاد النبي ﷺ فجاهد في الله حق جهاده، وصدع بالدعوة إلى توحيد الله تعالى، ومكث قرابة ثلاث عشرة سنة في مكة يدعو إلى الله ويجاهد الكفار بالقرآن واللسان، وينذر بالدعوة إلى الله بغير قتال ولا جزية، وكان المسلمون يعانون من أصناف الظلم والاضطهاد ألوانا، ويقولون لرسول الله ﷺ: ائذن لنا في قتالهم فإنهم قد آذونا، فيقول لهم رسول الله ﷺ: (كفوا أيديكم فإني لم أومر بقتالهم)[5]، ثم أذن الله تعالى لنبيه ﷺ بالهجرة بعد أن اشتد أذى قومه عليه، وعقدوا العزم

---

(١) المدثر: ١ – ٢.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

(٣) أخرجه الإمام مسلم -وغيره-في كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين)، حديث رقم ٢٠٨.

(٤) الحجر: ٩٤.

(٥) سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، بشرح السيوطي وحاشية السندي، (٦/ ٣)، دار الكتب العلمية، حديث رقم ٣٠٨٦، وصححه الألباني.

على قتله ﷺ، فدخل جهاده ﷺ مرحلة جديدة، وهي مرحلة قتال المشركين الذين أصروا على محاربة دعوة الرسول صلى الله وعليه وسلم وأخرجوه من وطنه ظلما وعدوانا، وقد وقع ذلك في رُوع أبي بكر رضي الله، فقد صح عند النسائي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أُخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلِكُن، فنزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾[1]، فعرفت أنه سيكون قتالٌ، قال ابن عباس: فهي أول آية نزلت في القتال)[2]، وبعد الإذن له في القتال أُمِر بقتال من يقاتله فقط، ثم أمر بعد قيام دولة الإسلام بقتال المشركين والكفار كافة.

وقد أخرج ابن هشام في سيرته تحت عنوان نزول الأمر لرسول الله ﷺ في القتال عن محمد ابن إسحاق أنه قال: (وكان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب، ولم تحلل له الدماء، إنما يؤمر الدعاء إلى الله، والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم، ونفوهم من بلادهم، فهم من بين مفتون في دينه، ومن بين معذب في أيديهم، وبين هارب في البلاد فرارا، منهم من بأرض الحبشة، ومنهم من بالمدينة، وفي كل وجهه. فلما عتت قريش على الله، وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة، وكذبوا نبيه، وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه، أذن الله لرسوله في القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم، فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب وإحلاله له الدماء والقتال لمن بغى عليهم فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء قول الله تبارك وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ

(١) الحج: ٣٩.

(٢) سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، بشرح السيوطي وحاشية السندي، (٦/ ٢)، دار الكتب العلمية، حديث ٣٠٨٦، وصححه الألباني، وانظر فتح الباري، لابن حجر، (٧/ ٣٢٨) ط. الريان، عند شرح حديث رقم (٣٩٤٩).

وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾[1]، ثم أنزل الله عليه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾[2] أي: حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[3] أي: حتى يبعد الله لا يبعد معه غيره)[4].

ويقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: (فصل في ترتيب سياق هديه مع الكفار والمنافقين، من حين بعث إلى حين لقي الله عز وجل:

أول ما أَوْحَى إليه ربه تبارك وتعالى: أن يقرأ باسم ربه الذي خلق، وذلك أول نبوته، فأُمر أن يقرأ في نفسه، ولم يأمره إذاك بتبليغ، ثم أنزل عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾﴾[5]، فنبأه بقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾[6]، وأرسله بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين، ثم أنذر قومه، ثم أنذر من حولهم من العرب، ثم أنذر العرب قاطبة، ثم أنذر العالمين، فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية، ويؤمر بالكف والصبر والصفح. ثم أُذن له في الهجرة، وأُذن له في القتال، ثم أمره أن يقاتل من قاتله، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله، ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام: أهل صلح وهدنة، وأهل حرب، وأهل ذمة، فأُمر بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم، وأن يوفي لهم به ما استقاموا على العهد، فإن خاف منهم خيانة، نبذ إليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يُعلمهم بنقض العهد، وأُمر أن يقاتل من نقض عهده. ولما نزلت سورة براءة -التوبة- نزلت ببيان حكم هذه الأقسام

---

(١) الحج: ٣٩-٤١.

(٢) البقرة: ١٩٣.

(٣) البقرة: ١٩٣.

(٤) مختصر سيرة النبي، ابن هشام، (١٩٣)، دار الندوة الجديد، بيروت، ١٤٠٧.

(٥) المدثر: ١، ٢.

(٦) العلق: ١.

كلها، فأمره فيها بأن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية، أو يدخلوا في الإسلام، وأمره فيها بجهاد الكفار والغلظة عليهم فجاهد الكفار بالسيف والسنان، والمنافقين بالحجة واللسان. وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار، ونبذ عهودهم إليهم، وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثةَ أقسامٍ: قسمًا أمره بقتالهم، وهم الذين نقضوا عهده ولم يستقيموا له، فحاربهم وظهر عليهم. وقسمًا لهم عهد مؤقت لم ينقضوه، ولم يظاهروا عليه، فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم. وقسمًا لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه، أو كان لهم عهد مطلق، فأُمر أن يؤجلهم أربعة أشهر، فإذا انسلخت قاتلهم، وهي الأشهر الأربعة المذكورة في قوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[1]، وهي الحرم المذكورة في قوله: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2]،...فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد، وأهل ذمة، ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام، فصاروا معه قسمين: محاربين، وأهل ذمة، والمحاربون له خائفون منه، فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام: مسلم مؤمن به، ومسالم له آمن، وخائف محارب)[3].

وعن حكمة هذا التشريع الرباني المتدرج للجهاد يقول العلامة الشنقيطي رحمه الله: (وقد قالت جماعة من أهل العلم: إن الله تبارك وتعالى لعظم حكمته في التشريع إذا أراد أن يشرع أمرًا شاقا على النفوس كان تشريعه له على سبيل التدريج، لأن إلزامه بغتة في وقت واحد من غير تدريج فيه مشقة عظيمة على الذين كلفوا به، قالوا: فمن ذلك الجهاد، فإنه أمر شاق على النفوس لما فيه من تعريضها لأسباب الموت، لأن القتال مع العدو الكافر القوي من أعظم أسباب الموت عادة، وإن كان الأجل محدودًا عند الله تعالى، كما قال

(١) التوبة: ٢.

(٢) التوبة:٥.

(٣) زاد المعاد، ٣/ ١٥٨-١٦٠.

تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[1]، وقد بين تعالى مشقة إيجاب القتال عليهم، بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ الآية[2]، ومع تعريض النفوس فيه لأعظم أسباب الموت فإنه ينفق فيه المال أيضا، كما قال تعالى: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ قالوا: ولما كان الجهاد فيه هذا من المشقة، وأراد الله تشريعه شرّعه تدريجيا، فأذن فيه أولا من غير إيجاب بقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾[3]، ثم لما استأنست به نفوسهم بسبب الإذن فيه، أوجب عليهم قتال من قاتلهم دون من لم يقاتلهم بقوله: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾[4]،وهذا تدريج من الإذن إلى نوع خاص من الإيجاب، ثم لما استأنست نفوسهم بإيجابه في الجملة أوجبه عليهم إيجابا عاما جازما في آيات من كتابه، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ الآية[5].

وقولة تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾[6]، وقوله: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾[7]، إلى غير ذلك من الآيات، واعلم أن لبعض أهل العلم في بعض الآيات التي ذكرنا أقوالا غير ما ذكرنا، ولكن هذا التدريج الذي ذكرنا دل على استقراء القرآن في تشريع الأحكام الشاقة، ونظيره شرب الخمر، فإن تركه شاق لمن

(١) آل عمران: ١٤٥

(٢) النساء: ٧٧.

(٣) الحج: ٣٩.

(٤) البقرة:١٩٠.

(٥) التوبة: ٥.

(٦) التوبة:٣٦.

(٧) الفتح: ١٦.

اعتاده، فلما أراد الله أن يحرم الخمر حرمها تدريجا... وكذلك الصوم فإنه لما كان الإمساك عن شهوة الفرج والبطن شاقًّا على النفوس وأراد تعالى تشريعه شرعه تدريجيا، فخير أولا بين صوم اليوم وإطعام المسكين في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[1]، فلما استأنست النفوس به في الجملة أوجبه أيضا إيجابا عاما جازما بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[2][3].

وبهذا التشريع الرباني المتدرج أنزلت عقيدة والحرب والسلام، مثلها في مثل بقية الشرائع والأحكام التي نزلت منجمة لتوافق الطبيعة البشرية التي قال عنها خالقها تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[4]. ولقد كانت سيرة المصطفى ﷺ تعبر تعبيرا واقعيا ملموسا عن حقيقة ثابتة راسخة مضطردة، هي أن دعوة التوحيد التي أرسل بها رسول الله ﷺ تسير وفق سنة ربانية اقتضتها حكمة الله تعالى، وهي التي أخبر الله تعالى عنها فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾[5]،وقوله تعالى:﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾[6]، وأن كل رسول دعا إلى الله تعالى واجه هذه السنة الربانية الخالدة، ومن سنة الله تعالى في الأمم بعد موسى عليه السلام، أن يكون تدافع الناس بالقتال في سبيله تعالى، -كما قد سبق تفصيله في مبحث سنة الله التدافع بين الناس مما أغنى عن إعادته هنا-، ووقعت هذه السنة الربانية في دعوة رسولنا ﷺ، وشانأه قومه وناهضوه وكان مأمورا بعدم القتال حتى أخرجوه من وطنه مكة المكرمة، وبعد أن خرج منها طريدًا ضعيفًا مهاجرًا نصره ربه بالأنصار في المدينة المنورة وأذن له بالقتال في سبيله، ثم بعد أن

(١) البقرة: ١٨٤.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ٥/ ٧٠٠-٧٠٢.

(٤) الملك: ١٤.

(٥) الفرقان: ٣١.

(٦) غافر:٥١.

ظهرت دعوته أمره بأن يقاتل من يبدؤه بالقتال، ثم بعد أن اشتد عُودُ دولة الإسلام في المدينة المنورة أمره بقتال جميع المشركين، وكتب عليه القتال كما كتبه على أمم أهل الكتاب قبلنا لنشر دينه وإعلاء كلمته تعالى(1).

وما إن أذن الله تعالى لنبيه ﷺ بالقتال، واستقر أمر الدعوة في المدينة المنورة، إلا وبدأ رسول الله ﷺ بإعداد القوة لرد عدوان قريش التي كانت أشد عوائق دعوة العرب إلى الله تعالى، وأيضا لاسترداد حقوق المسلمين التي سلبتها قريش منهم، فأخذ يعد العدة لكسر شوكتها حتى يزيل هذه العقبة من طريق الدعوة إلى الله، وكان أكثر ما يعين قريش على الصد عن دين الله تعالى تجارتها مع الشام، والمدينة المنورة تقع وسط هذا الطريق، فأخذ الرسول ﷺ يرسل السرايا لمهاجمة قوافل قريش التجارية ويرسل البعوث للاستطلاع العام على المنطقة، ليحصل على أخبار قريش والقبائل الأخرى، بل وغزا هو بنفسه ﷺ في سبيل الله تعالى، وحقق بذلك الكثير من المكاسب المعنوية والمادية، ففي داخل المدينة المنورة أرهب المنافقين وأهل الكتب، وفي خارجها أرهب القبائل والأعراب، وأظهر قوة المسلمين وعزتهم بين القبائل.

ولم تكن السرايا والغزوات هي الطريقة الوحيدة التي سلكها النبي ﷺ بل اقتضت مصلحة الدعوة في تلك المرحلة عقد المعاهدات والموادعات والمواثيق مع القبائل المحيطة بالمدينة على السلام بين الفريقين والدفاع ضد العدو المشترك.

وبالفعل استطاع النبي ﷺ أن يرهق قريشا وحلفاءها، وأن يؤثر على تجارتهم ويضعفها، واستطاع أن يفرض هيبة الدولة الإسلامية الفتية، فلم يترك لأعداء الدعوة الفرصة للتجمع لغزوة ومهاجمته، بل كان يباغتهم بالهجوم ليصرفهم عن مهاجمته، واستطاع أن يسخّر هذه القوة التي منحها الله إياه في بناء المجتمع المسلم واستطاع بهذه

(1) انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي أحمد، (326)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط الأولى.

القوة أن يحفظ دين الله تعالى في بلد المهجر من كيد الأعداء وأفسد عليهم باستعداده للدفاع عن دينه بالقتال في سبيله كل محاولة لاجتثاث دعوته[(١)].

وغزا النبي ﷺ بنفسه، كما جاء عند البخاري رحمه الله من حديث زيد بن أرقم: (أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة... الحديث)[(٢)]، وقاتل بيده الشريفة الأعداء في ثمان منها، كما جاء في صحيح مسلم رحمه الله من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: (غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة قاتل في ثمان منهن)[(٣)]، وقد نقل الإمام ابن حجر خلاف الأئمة في عدد الغزوات التي غزاها النبي ﷺ، وأما البعوث والسرايا فقد نقل رحمه الله عن ابن إسحاق رحمه الله أنه قد عدها ستا وثلاثين بعثا وسرية، وذكر أقوالا في عددها منها أنها ثمانٍ وأربعون سرية، ومنها أنها ستٌ وخمسون سرية، ومنها أنها ستون سرية، ومنها أنها تزيد عن سبعين سرية[(٤)].

---

(١) انظر تاريخ الدعوة الإسلامية، د. جميل المصري، (١٥٠)، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط. الأولى. وانظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي أحمد، (٣٢٧)، وانظر التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، (٢/ ١٦٤)، المكتب الإسلامي، ط. الثانية. وانظر فقه السيرة النبوية، منير الغضبان، (٣٨١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، حديث رقم ٤٤٠٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب عدد غزوات النبي ﷺ، حديث رقم ١٨١٤.

(٤) قال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى عند شرحه لحديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: (ومراده الغزوات التي خرج النبي ﷺ فيها بنفسه سواء قاتل أم لم يقاتل، لكن روى أبو يعلى من طريق أبي الزبير عن جابر أن عدد الغزوات إحدى وعشرون، وإسناده صحيح وأصله في مسلم، فعلى هذا ففات زيد بن أرقم ذكر ثنتين منها ولعلهما الأبواء وبواط، وكأن ذلك خفي عليه لصغره، ويؤيد ما قلته ما وقع عند مسلم بلفظ: قلت ما أول غزوة غزاها ؟ قال: ذات العشير أو العشيرة، والعشيرة كما تقدم هي الثالثة، وأما قول ابن التين يحمل قول زيد ابن أرقم على أن العشيرة أول ما غزا هو، أي زيد بن أرقم، والتقدير: فقلت ما أول غزوة غزاها أي وأنت معه؟ قال العشير، فهو محتمل أيضا ويكون قد خفي عليه ثنتان مما بعد ذلك، أو عد الغزوتين واحدة، فقد قال موسى بن عقبة: قاتل رسول الله ﷺ بنفسه في ثمان: بدر ثم أحد ثم الأحزاب ثم المصطلق ثم خيبر ثم مكة ثم حنين ثم الطائف. أهـ. وأهمل غزوة قريظة لأنه ضمها إلى الأحزاب لكونها كانت في أثرها، وأفردها غيره =

ولو شرعنا في التفصيل في هذه الغزوات والبعوث والسرايا، لكان هذا المبحث مبحثا عن السيرة النبوية، فكل أيام النبي ﷺ بعد أن أُذن له بالقتال كانت جهادا في سبيل الله مع استثناء المعاهدين وغير المحاربين ممن استثناهم الله تعالى، وبعد أن أنزل عليه سورة براءة، أحلّه تعالى من العهود والمواثيق التي عقدها للسلام مع الكفار والمشركين، فكانت أيامه إما سرية أرسلها لتقاتل أو غزوة غزاها بنفسه ﷺ ليقاتل هو في سبيل الله، أو بعثات ورسلا يبعثهم ويرسلهم إما عيونا له ﷺ أو للدعوة إلى شهادة ألّا إله ألا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم قبلوا ذلك كف عن قتالهم، وإن كانوا أهل كتاب خيرهم بين الجزية أو القتال، فإن اختاروا القتال قاتلهم باسم الله، وأما الأعراب المشركون فلم يكن يقبل منهم إلا الإسلام أو القتال.

فما هي إلا قرابة سبعة أشهر من هجرته عليه الصلاة والسلام، حتى بدأ بإرسال السرايا لتجاهد وتقاتل في سبيل الله، وسنقف عند أهم هذه الغزوات والسرايا لندرس كيف تلقى الصحابة رضوان الله عليهم من رسول الله ﷺ عقيدة الجهاد في سبيل الله تعالى بمعنى القتال، ومراحل من التربية الإيمانية لقبول هذا الجهاد التي رباها النبي ﷺ لصحابته الكرام رضي الله عنهم، وللمسلمين من بعدهم، وكيفية البناء العقدي للحرب =

لوقوعها منفردة بعد هزيمة الأحزاب، وكذا وقع لغيره عد الطائف وحنين واحدة لتقاربهما، فيجتمع على هذا قول زيد بن أرقم وقول جابر، وقد توسع بن سعد فبلغ عدة المغازي التي خرج فيها رسول الله صلى عليه وسلم بنفسه سبعا وعشرين، وتبعه في ذلك الواقدي، وهو مطابق لما عده بن إسحاق إلا أنه لم يفرد وادي القرى من خيبر، أشار إلى ذلك السهيلي، وكأن الستة الزائدة من هذا القبيل، وعلى هذا يحمل ما أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن سعيد بن المسيب، قال: غزا رسول الله ﷺ أربعا وعشرين. وأخرجه يعقوب بن سفيان عن سلمة بن شبيب عن عبد الرزاق، فزاد فيه أن سعيدا قال أولا ثمانِ عشرة ثم قال أربعا وعشرين، قال الزهري: فلا أدري أوهم أو كان شيئا سمعه بعد. قلت: وحمله على ما ذكرته يدفع الوهم ويجمع الأقوال والله أعلم. وأما البعوث والسرايا فعد ابن إسحاق ستا وثلاثين، وعد الواقدي ثمانيا وأربعين، وحكى ابن الجوزي في التلقيح ستا وخمسين، وعد المسعودي ستين، وبلغها شيخنا في نظم السيرة زيادة على السبعين، ووقع عند الحاكم في الإكليل أنها تزيد على مئة فلعله أراد ضم المغازي إليها.

والسلام من خلال الهدي النبوي والسيرة النبوية.

أولا: غزوة بدر الكبرى، في رمضان من السنة الثانية من الهجرة:

لم يرد رسول الله ﷺ خوض هذه الغزوة حتى يستشير الأنصار رضي الله عنهم الذين كانوا قد بايعوه في بيعة العقبة على أن يمنعوه مادام في ديارهم، ولذلك كان يريدهم في الاستشارة، فتنبه الأنصار رضي الله عنهم لمراد النبي ﷺ فقالوا على لسان سيدهم سعد بن معاذ رضي الله عنه -أو المقداد بن الأسود رضي الله عنه- الكلمة المشهورة: (خرج رسول الله ﷺ إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال: كيف ترون؟ قال أبو بكر: يا رسول الله، بلغنا أنهم بكذا وكذا، قال سعد بن معاذ: يارسول الله إيانا تريد؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتابَ ما سلكتُها قط، ولا لي بها علم، لئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرنَّ معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون لكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما متبعون، ولعلك أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله لك غيره، فانظر الذي أحدث الله إليك فامض، فصل حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وعادِ من شئت، وسالم من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت)[1].

وأخرج البخاري رحمه الله من حديث عبد الله بن مسعود أنه قال: (شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عُدل به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى اذهب أنت وربك فقاتلا، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك. فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره، فكأنه

(١) المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبه، تحقيق كمال الحوت، (٧/ ٣٥٣)، حديث رقم (٣٦٦٦٠) مكتبة الرشد، السعودية، ط. الأولى. وقال ابن أبي شيبة رحمه الله: (فنزل القرآن على قول سعد كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين إلى قوله ويقطع دابر الكافرين وإنما خرج رسول الله ﷺ يريد غنيمة ما مع أبي سفيان فأحدث الله إليــه القتال)، وانظر والبداية النهاية ابن كثير، ٣/ ٢٦٤، مكتبة المعارف، بيروت.

سري عن رسول الله ﷺ)[1].

واطمأن الرسول ﷺ إلى هذه البيعة الأنصارية الجديدة المؤكدة لبيعة العقبة فقال عند ذلك: (سيروا على بركة الله، وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم)[2]. وعند الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (هذا مصرع فلان) قال: ويضع يده على الأرض ها هنا وها هنا، قال: فما أماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ)[3].

فالتقى الجمعان في معركة بدر الكبرى التي سَمَّاها الله تعالى يوم الفرقان، يوم فرق الله به بين الحق والباطل، وأظهر الحق وأبطل الباطل، وحصل فيه من الآيات والبراهين ما دل على أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق المصدق لسنن الله تعالى في هذا الكون الموافقة لقضائه وقدره، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾[4].

وكان النبي ﷺ يلحّ على ربه تعالى بالدعاء، ويسأله النصر على أعدائه، كما أخرج البخاري رحمه الله من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي الله ﷺ يوم بدر: (اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم، فأخذ أبوبكر بيده

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قوله تعالى: (إذ تستغيثون ربكم. . الآية) حديث: ٣٩٥٢، وكتاب التفسير، باب قوله تعالى: (فاذهب أنت وربك فقاتلا. . الآية) حديث: ٤٦٠٩.

(٢) تاريخ الأمم والملوك، الإمام الطبري، من رواية ابن إسحاق، ٢/ ٢٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٤، والبداية والنهاية، ابن كثير، ٣/ ٢٨٧، ٢٨٨، وقال: وله شواهد من وجوه كثيرة، وانظر تفصيل ابن حجر رحمه الله في فتح الباري، في استشارة النبي ﷺ للصحابة ورد الأنصار عليه، ٧/ ٣٣٥، ٣٣٦، عند شرحه لقول البخاري: باب قصة غزوة بدر وقول الله تعالى: (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة). . . الآية. وانظر حاشية السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي أحمد، ٣٤٢، عند تعليقه على هذا الأثر، فقد جمع أقوال أغلب من خرجها.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر، حديث رقم ١٧٧٩.

(٤) الأنفال: ٤١.

فقال: حسبك يارسول الله فقد ألححت على ربك، وهو في الدرع فخرج وهو يقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى أمر)[1].

فاستجاب الله تعالى لدعاء نبيه ﷺ، وأمده بجند من السماء ونصره على عدوه وعدوهم، وألقى في قلوب الذين كفروا الرعب، وثبت أولياءه وأنزل عليهم السكنية والاطمئنان وغشاهم بنعاس يذهب ما في قلوبهم من الخوف والوجل، وأنزل وعليهم مطرا من السماء يطهرهم من الحدث والخبث، ومن وسواس الشيطان ورجزه[2]، وأنزل جندا من السماء لتقاتل مع نبيه ﷺ[3]، وأخذ النبي ﷺ كفا من الحصباء ورمى به وجوه القوم ودعا عليهم فهزموا بإذن الله تعالى.

أخرج الطبراني رحمه الله من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال لعلي: (ناولني كفا من حصباء، فناوله فرمى به وجوه القوم فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء فنزلت: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[4].

وأخرج أيضا من حديث حكيم بن حزام أنه قال: (سمعنا صوتا من السماء وقع إلى الأرض كأنه صوت حصاة في طست ورمى رسول الله ﷺ بتلك الحصاة فانهزمنا)[5].

وأخرج أيضا من حديث حكيم بن حزام أنه قال: (لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفا من الحصباء فاستقبلنا به فرمانا بها قال: شاهت الوجوه، فانهزمنا فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[6].

وأخبره تعالى أنه قدر عليه كل شيء؛ حركات جيشه وسكناته، وموقع قتاله، وأنه

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي ﷺ، حديث رقم ٢٩١٥، وكتاب المغازي، باب قول الله تعالى: (إذ تستغيثون ربكم. . الآية)، حديث رقم ٣٩٥٣.

(٢) انظر تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ٣١٦.

(٣) وقد سبق ذكر قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ الأنفال ٩.

(٤) المعجم الكبير، ١١/ ٢٢٧، حديث رقم ١١٧٥٠، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح.

(٥) المعجم الكبير، ٣/ ٢٠٣، حديث رقم ٣١٢٧، وقال الهيثمي في المجمع: إسناده حسن.

(٦) المعجم الكبير، ٣/ ٢٠٣، حديث رقم ٣١٢٨، وقال الهيثمي في المجمع: إسناده حسن.

لعلمه تعالى بنفوس البشر أراه المشركين في منامه قليلا[1]، ودلّه تعالى على أسباب النصر وأسباب الهزيمة[2]، وأخبره عن حال المشركين مع الشيطان[3]، وأخبره عن حال المنافقين[4]، فكان قتاله ﷺ بأمر ربه تعالى، وكان مدده من عند ربه تعالى، ومصدر قوته وبأسه وشدته على أعداء ربه تعالى، وكان نصره من ربه تعالى، وفي ظل ما ذكر شرعت عقيدة الحرب والسلام في الإسلام.

وكان فعل النبي ﷺ يؤكد هذه العقيدة، فقد كان شجاعا مقدما في ساحات القتال ويأمر أصحابه بأن لا يتقدمه أحد حتى يكون هو دونه، وقاتل عليه الصلاة والسلام قتالا شديدا، كما روى ذلك الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال: (لقد رأيتنا يوم بدر ونحن

(١) كما قال تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ الأنفال: ٤٢-٤٤.

(٢) كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾. الأنفال: ٤٥-٤٧.

(٣) كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

(٤) كما قال تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ الأنفال: ٤٩.

نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا)[1].

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (...فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: (لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه)، فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض)[2].

ومما تأصل من العقائد، أنهم كانوا يحاربون في سبيل الله كما حارب المؤمنون من قبلهم من أمم أهل الكتاب في سبيل الله، واستبشروا بعددهم عندما وافق عدة أصحاب طالوت ملك بني إسرائيل الصالح عند قتال عدو الله جالوت، فقد أخرج البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن قال: (حدثني أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدرا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة. قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن)[3].

وأخرج الطبراني رحمه الله من حديث أبي أيوب الأنصاري أنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: (هم هم، هلموا أن نتعادَّ، ففعلنا فإذا نحن ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلا فأخبرنا رسول الله بعدتنا فسره ذلك فحمد الله وقال: عدة أصحاب طالوت)[4].

---

(١) المسند، ١/ ٨٦، حديث رقم ٦٥٤ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح. وابن أبي شيبه في المصنف، ٦/ ٤٢٦، حديث رقم ٣٢٦١٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، حديث رقم ١٨٩٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر، حديث رقم ٣٩٥٧.

(٤) المعجم الكبير، حديث ٤٠٥٦، ٤/ ١٧٤، دار إحياء التراث العربي، بتحقيق حمدي السلفي، ط ١٤٠٥. وقال الهيتمي في مجمع الزوائد إسناده حسن (٦/ ٧٤)، وضعفه المحقق لوجود ابن لهيعة والراوي ليس من العبادلة، ولكن له شواهد تحسنه، وقد رواه البيهقي في دلائل النبوة، (٢/ ٢٣٢) مختصرا.

ومما تأصل من العقائد أيضا أنهم جند الله تعالى وحزبه، وأن الحرب والخصومة بين المسلمين والمشركين كانت في الله تعالى، فقد أخرج البخاري رحمه الله تعالى خبر مدح الله تعالى يوم بدر أولياءه من أبطال المؤمنين عندما بارزوا لقتال فرسان المشركين الذين ذمهم تعالى وأدخلهم النار، من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: نزلت ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾[1] في ستة من قريش علي وحمزة وعبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة)[2].

ومما تأصل من عقائد في نفوس الصحابة الكرام أن الملائكة تحارب مع الذين يجاهدون في سبيل الله، فقد أخرج البخاري من حديث جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ ابن رفاعة بن رافع الزُّرقي عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: (من أفضل المسلمين) أو كلمة نحوها قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة)[3].

وأخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: (هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب)[4].

---

(١) الحج: ١٩-٢٤.

(٢) صحيح البخاري، باب قتل أبي جهل، حديث رقم: ٣٩٦٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، حديث رقم: ٣٩٩٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، حديث رقم: ٣٩٩٥.

وأخرج الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض)، فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كذاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩﴾[1] فأمده الله بالملائكة، قال أبو زميل: فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربه بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: (صدقت ذلك مدد السماء الثالثة) فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين...)[2].

وأخرج الحاكم في مستدركه من حديث أبي أمامه بن سهل قال: (قال لي أبي: يا بني لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى رأس المشترك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه)[3].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبو داود المازني رضي الله عنه أنه قال: إني لأتبع رجلا من المشركين لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري)[4].

---

(١) الأنفال: ٩.

(٢) صحيح مسلم: باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، حديث رقم ١٧٦٣.

(٣) المستدرك، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح على شرط البخاري، و أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ٦/ ٧٤، حديث رقم ٥٥٥٦.

(٤) مسند الإمام أحمد، ٥/ ٤٥٠، حديث ٣٢٨٢٩، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه وإسناده صحيح، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

وجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيرا، فقال العباس: (إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح، من أحسن الناس وجها، على فرس أبلق ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يارسول الله، فقال: اسكت فقد أيدك الله بملك كريم)[1].

وأخرج الإمام أحمد والحاكم وغيرهما عن علي رضي الله عنه قال: (قال لي النبي صلى الله عليه و سلم ولأبي بكر: مع أحدكما جبريل و مع الآخر ميكائيل و إسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ويكون في الصف)[2].

وبعد أنزل الله نصره المبين على نبيه في هذه المعركة الفاصلة قويت شوكت المسلمين وأصبح لهم عز وجاه بين قبائل العرب، ولكن لا يزال الحاقدون كثر، والراغبون في كسر شكوته كثر، فقريش وحلفاؤها من الأعراب ناقمون راغبون في الثأر من المسلمين، واليهود والمنافقون في المدينة، وكذلك بعض أحياء الأعراب ممن تعودا على السلب والنهب وخافوا من قيام دولة إسلامية تحول بينهم وبين مصالحهم، ولذلك استمر النبي صلى عليه وسلم في غزواته ولم يتوقف عن القتال، وأرسل عددا من السرايا وغزا بنفسه ﷺ.

(١) مسند الإمام أحمد، ١/ ١١٧، حديث ٩٤٨، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه وإسناده صحيح، المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبه، تحقيق كمال الحوت، (٧/ ٣٥٦)، حديث رقم (٣٦٦٧٩).

(٢) المسند، ١/ ١٤٧، حديث رقم ١٢٥٦، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، والحاكم في المستدرك، ووافقه الذهبي ٣/ ٧٢، حديث رقم ٤٤٣٠، واللفظ له، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق، مصطفى عطا، ط الأولى.

ثانيا: قتال النبي ﷺ لليهود[1]:

عندما قدم رسول الله ﷺ للمدينة وأعلن قيام دولة الإسلام فيها، وأراد أن ينظم شؤونها وعلاقات المسلمين فيما بينهم وفيما بين الأعراب والأمم الأخرى، فكتب كتابا بهذا الشأن عرف باسم صحيفة المدينة، وما يتعلق فيها بهذا المبحث هو توقيعه ﷺ مع اليهود على معاهدة موادعة وسلام معهم، وقد نصت هذه المعاهدة على عدم الخيانة والغدر وأن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وقد ذكرها ابن إسحاق رحمه الله فقال: (وكتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم:

صحيفة المدينة أول معاهدة في الإسلام:

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين... وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم...

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين: لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم: إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ - يهلك- إلا نفسه وأهل بيته.

وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني جشم مثل ما

---

(١) رأيت أن جمع أهم مباحث غزوات النبي ﷺ لليهود في مكان واحد سيظهر أسباب قتال المسلمين لهم بصورة أوضح، ولذلك لم ألتزم بتاريخ الغزوات، بل بدأت بمعاهدة الموادعة والسلام معهم حتى إجلاءهم من جزيرة العرب على يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ، وإنه لا ينحجز على ثار جرح، وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم، وإن الله على أبر هذا، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ.

وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها: وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك؛ فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين: على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن؟ من أهل هذه الصحيفة.

وإن البر دون الإثم: لا يكسب كاسب إلا على نفسه وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ)[1].

---

(١) سيرة ابن هشام، ٣ / ٣١- ٣٦. مختصر سيرة بن هشام، ٢١٧/ ٢١٩. البداية والنهاية، ابن كثير، توثيق ومقابلة علي معوض وعادل عبدالموجود، ٣/ ١٧٦، دار الكتب العلمية بيروت، ط. الأولى. وقد أورد ابن إسحاق =

واستجاب بعض اليهود لدعوة النبي ﷺ، وحسد أكثرهم المسلمين على ظهور نبي الرحمة ونبي الملحمة منهم، وكانوا ينتظرون أن يخرج فيهم ويتوعدون المشركين بأنه عندما يظهر أمره فيهم فإنهم سيقتلونهم قتل عاد وثمود وإرم، وقد وصف الله تعالى حالهم هذا فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ

=

خبر هذه الصحيفة بدون إسناد، وقد تناولها الباحثون بالتخريج، ورجحوا ثبوتها لما لها من شواهد كثيرة من الكتاب والسنة وكتب التاريخ تؤكد صحة مجمل ما جاء فيها. وقد فصل الدكتور مهدي أحمد جزاه الله خيرا في ذلك تفصيلا قيما في كتابه السيرة النبوية الصحيحة في ضوء المصادر الأصلية ٣٠٦، ونقل عن كتاب صحيفة المدينة، دراسة حديثية وتحقيق، لهارون رشيد إسحاق -رسالة غير منشورة- قدمت لجامعة الملك سعود للحصول على درجة الماجستير عام ١٤٠٥. وقد استنبط الأستاذ هارون رشيد والدكتور مهدي من هذه الصحيفة دلالات وأحكام وعبر أسوق بعض فقراتها -بتصرف- لجودتها:

١- إن هذه الوثيقة تعد أقدم دستور مكتوب في العالم.

٢- لم يذكر العلماء أن حكما من أحكامها قد نسخ، ماعدا قولهم إن المعاهدة مع اليهود، أو مع غير المسلمين بدون جزية منسوخة بآية الجزية ﴿وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ﴾ التوبة: ٢٩.

٣- وقال بعض العلماء إن العلاقة مع اليهود، والتي تضمنتها الوثيقة، توافق حكم آية: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟﴾ الممتحنة: ٨.

٤- تشكيل الأمة أي الجماعة من حيث المواطنة التي تشتمل على غير المسلمين في الدولة.

٥- المساواة العامة في الدولة

٦- منع إيواء المجرمين.

٧- منع خروج اليهود من إذن رسول الله ﷺ.

٨- منع الصلح المنفرد مع العدو.

٩- منع إجارة العدو.

١٠- إسهام الكفار في نفقة الدفاع عن الدولة.

١١- حرمة المسلم وأنه لا يقتل بكافر.

عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾[1]، يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآيات: يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾ يعني اليهود ﴿كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وهو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يعني من التوراة، وقوله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم يقولون: إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم، كما قال محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمرو عن قتادة الأنصاري عن أشياخ منهم قال: فينا والله وفيهم يعني في الأنصار وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت هذه القصة يعني: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ قالوا: كنا قد علوناهم قهرا دهرا في الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب وهم يقولون: إن نبيا سيبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾، وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ قال: يستنصرون يقولون: نحن نعين محمدا عليهم وليسوا كذلك بل يكذبون. وقال محمد بن إسحاق: أخبرني محمد بن أبي محمد أخبرني عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن يهودا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته، فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا

(١) البقرة: ٨٩.

بشيء نعرفه ما هو الذي كنا نذكر لكم فينزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾، وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يقول: يستنصرون بخروج محمد ﷺ على مشركي العرب يعني بذلك أهل الكتاب فلما بعث محمد ﷺ ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه. وقال أبو العالية: كانت اليهود تستنصر بمحمد ﷺ على مشركي العرب يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم فلما بعث الله محمدا ﷺ ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ فقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. وقال قتادة: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال: وكانوا يقولون: إنه سيأتي نبي ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وقال مجاهد ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال: هم اليهود)[(١)].

وقد ظهر عداء اليهود للمسلمين بوضوح بعد هزيمة قريش في معركة بدر الكبرى، وأدى انتشار دعوة الإسلام بين أحياء العرب إلى استفزاز مشاعر شعرائهم فسخروا شعرهم في الانتقاص من الإسلام والنيل من رسول الله ﷺ، كما فعلت عصماء بنت مروان زوج ابن يزيد الخطمي، التي اشتد أذاها للنبي ﷺ فقال: (ألا آخذ لي من ابنة مروان ؟)[(٢)]، وكانت في عز من بنيها وقومها بني خطمة ولا يجرؤ ضعفاؤهم على الجهر

---

(١) تفسير القران العظيم، ابن كثير، ١/ ١٢٨، دار المعرفة، بيروت، ط. الخامسة.

(٢) أخرج محمد بن سلامة القضاعي في مسنده ـ مسند الشهاب ـ بسنده عبد الله بن الحارث بن فضل عن أبيه قال: كانت عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد وكان زوجها يزيد بن زيد بن حصن الخطمي وكانت تحرض على المسلمين وتؤذيهم وتقول الشعر فجعل عمير بن عدي نذرا أنه لئن رد الله رسوله سالما من بدر ليقتلنها قال فعدا عليها عمير في جوف الليل فقتلها ثم لحق بالنبي ﷺ فصلى معه الصبح وكان النبي ﷺ يتصفحهم إذا قام يدخل منزله فقال لعمير بن عدي قتلت عصماء قال نعم قال فقلت يا نبي الله هل علي في قتلها شيء فقال رسول الله ﷺ لا ينتطح فيها عنزان فهي أول ما سمعت هذه الكلمة من رسول الله ﷺ)، =

بإسلامهم لسلاطة لسانها، فتمكن عمير بن عدي الخطمي من قتلها، وكما فعل أبو عفك اليهودي من بني عمرو بن عوف وأمر رسول الله ﷺ بقتله فقال: (من لي بهذا الخبيث)[1]، فقتله سالم بن عمير الأنصاري أحد البكائين من بني النجار.

واستمر شعراء اليهود من أمثال كعب بن الأشرف اليهودي في أذية النبي ﷺ المسلمين بشعره وبتحريضه لقريش على المسلمين بعد أن أغاظه انتصار المسلمين ببدر، فسافر إلى مكة ليواسي المشركين في قتلاهم ويحرضهم على أخذ الثأر، ويهجو النبي ﷺ. وعندما سأله أبو سفيان قائلا: أناشدك الله! أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه؟ وأينا أهدى إلى ربك وأقرب إلى الحق؟ قال كعب: أنتم أهدى منهم سبيلا، فأنزل الله على رسوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾[2]، وبعد عودته إلى المدينة استمر في أذية المسلمين، وأمرهم الله تعالى بالصبر والصفح، حتى إذا اشتد أذاه وأصبح يصد عن دين الله وعائقا من عوائق انتشاره أمر رسول الله ﷺ بقتله وقال: (من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله). فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: (نعم). قال: فائذن لي أن أقول شيئا، قال: (قل)... فقتلوه ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه).أخرجه البخاري من حديث جابر بن عبدالله[3].

=

مسند الشهاب، محمد القضاعي، حديث (لا ينتطح فيه عنزان) رقم ٨٥٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق حمدي السلفي، ط الثانية. و سيرة ابن هشام، ٤/ ٢٤٦ بإسناد لم يصرح فيه بن إسحاق بالسماع، انظر البداية والنهاية، ابن كثير، ٥/ ١٦٨، وانظر السيرة النبوية الصحيحة في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي احمد ٣٦٧.

(١) انظر سيرة ابن هشام، ٤/ ٢٤٦، انظر البداية والنهاية، ابن كثير، ٥/ ١٦٨.

(٢) النساء:٥١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، حديث رقم ٤٠٣٧، وانظر في تفصيل قصة قتله، فتح الباري ٧/ ٣٩٠، عند شرح ابن حجر للحديث، وانظر حاشية السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي أحمد، ٣٧٤.

وقد أخرج أبو داود في سننه هذا الخبر من حديث كعب بن مالك عن أبيه: وكان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم قال:كان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش، وكان النبيﷺ حين قدم المدينة وأهلها أخلاط منهم المسلمون، والمشركون يعبدون الأوثان، واليهود، وكانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه، فأمر الله عزوجل نبيه بالصبر والعفو ففيهم أنزل الله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾[(١)]. فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ أمر النبي ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطًا يقتلونه فبعث محمد بن مسلمة وذكر قصة قتله فلما قتلوه فزعت اليهود والمشركون، فغدوا على النبي ﷺ فقالوا طرق صاحبنا فقتل فذكر لهم النبي ﷺ الذي كان يقول ودعاهم النبي ﷺ إلى أن يكتب بينه وبينهم كتابا ينتهون إلى ما فيه، فكتب النبي ﷺ بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة[(٢)].

وبعد قتله خاف اليهود على أنفسهم من المسلمين وأرسلوا في طلب عقد معاهدة موادعة وسلام أخرى، فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك.

ولكن اليهود نقضوا هذه المعاهدة أيضا وهموا بقتل النبي ﷺ، بعد معركة بدر الكبرى عندما حرضهم مشركوا قريش. وتآمروا مع قريش على قتال المسلمين ودلوهم على عوراتهم وأماكن ضعفهم.

غزوة يهود بني قينقاع: في شوال من السنة الثانية للهجرة:

كانت أول جماعة نقضت العهد مع النبي ﷺ هم يهود بني قينقاع، وكانوا على صلة

---

(١) آل عمران: ١٨٦.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، حديث رقم ٢٥٩٣، وصحح الألباني إسناده.

بالمنافقين وبزعيمهم عبد الله بن أُبَيٍّ، فأظهروا البغي والحسد للمسلمين بعد بدر، فأمر رسول الله ﷺ بغزوة، وحاصرهم ثم أجلاهم من المدينة.

وقد أخرج أبو داود قصة بني يهود قينقاع من حديث ابن عباس أنه قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشا يوم بدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال: (يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا)، قالوا: يا محمد، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله عزوجل في ذلك: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ببدر ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾﴾[1][2].

ولم يتوقف أذى اليهود عند هذا الحد بل إن أحدهم عقد طرف ثوب امرأة مسلمة في سوق بني قينقاع، فلما قامت انكشفت، فصاحت مستنجدة، فقام أحد المسلمين فقتل اليهودي، وتواثب عليه اليهود فقتلوه[3].

---

(١) عمران: ١٢-١٣.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب كيفية إخراج اليهود من المدينة، من حديث ابن عباس، حديث رقم ٣٠٠١. وأخرجه البيهقي أيضا من حديث ابن عباس، في كتاب الجزية، باب من لا تؤخذ منه الجزية من أهل الأوثان، حديث رقم ١٨٤٠٩. وانظر تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ٢/٤٨، وانظر البداية والنهاية، ابن كثير، ٤/٤. وانظر سيرة ابن هشام، ٢/٤٢٦. وانظر تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، د. جميل المصري، ١٦٩. وضعف الألباني رحمه الله الحديث لوجود محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، وقدحكم عليه ابن حجر في التقريب بأنه مجهول، ولكنه حسن الحديث في الفتح عند شرحه لحديث رقم ٤٠٢٨، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، ٧/ ٣٨٦.

(٣) سيرة ابن هشام، ٢/ ٤٢٨، ومختصر سيرة النبي ابن هشام، ٣٢٤، والبداية والنهاية، ابن كثير، ٣/ ٤. وانظر السيرة النبوية، د. مهدي أحمد ٣٧٠. ويظهر جليا أن سبب غزو النبي ﷺ هو غدرهم ونقضهم للمعاهدات =

وعندما اشتد أذى يهود بني قينقاع على المسلمين غزاهم وحاصرهم، ونزلوا بعد الحصا ر على حكم النبي ﷺ بأن يخرجوا من المدينة وأن لهم ما حملت عيرهم، وأجلاهم منها إلى أذرعات بالشام، وقد أخرج ذلك البخاري ومسلم وغيرهما في اليهود جملة ومنهم بنو قينقاع من حديث ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: (حاربت النضير وقريظة فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ فآمنهم وأسلموا وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بني حارثة وكل يهود المدينة)(١).

غزوة يهود بني النضير: في ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة:

نقض يهود بني النضير العهد مع المسلمين من قبل بإعانتهم لقريش وتحريضها على قتالهم بعد بدر، ودلوهم على عورة المسلمين، وقام سلام بن مشكم أحد زعمائهم بمساعدة أبي سفيان في غزوة السويق، وفي أُحُد قاموا امتنعوا عن دفع ما يجب عليهم من دَيْن وبيوع وأمانات إلى من أسلم من المشركين أو من اليهود بحجة أن دخولهم في الإسلام أبطل حقهم في ذلك، فنزل قول الله تعالى موبخا لهم ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن

=

التي عقدوها مع المسلمين، وليس معنى قوله ﷺ لهم: (يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا) أنه قاتلهم وأجلاهم لعدم إسلامهم لأن الإسلام في تلك المرحلة كان يقبل السلام معهم مع بقائهم على دينهم بموجب المعاهدات التي كتبت معهم، ولكن السبب الرئيس لجلائهم هو غدرهم ونكثهم للعهود والمواثيق.

(١) صحيح البخاري، باب حديث بني النضير ومخرج رسول الله ﷺ إليهم في دية الرجلين وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ، حديث رقم ٤٠٢٨. وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود من الحجاز، حديث ١٧٦٦. وتفاصيل حصارهم أوردها ابن اسحاق ٤٢٨/٢وغيره. انظر حاشية تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ، ١٧٠، وحاشية السيرة النبوية الصحيحة في ضوء المصادر الأصلية، ٣٧٠.

تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[١]، كما أظهروا الشماتة بالمسلمين بعد مصاب أُحُد، وحاولوا تشجيع القبائل الوثنية على مهاجمة المدينة[٢]، وأيضا همُّوا بقتل رسول الله ﷺ عندما جاءهم للاشتراك في دفع دية الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه خطئا ولم يكن يعلم بأمان رسول الله ﷺ لهما فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: (قتلت قتيلين لأودينهما)[٣]، واستعدوا لإلقاء رحى على رسول الله ﷺ وصحبه، وأُخْبِرَ رسولُ الله بذلك فخرج مسرعا، وأمر محمد بن مسلمة الأنصاري أن يخبرهم بأمره ﷺ بالجلاء عن المدينة، وأمهلهم عشرة أيام، فأرسل إليهم عبد الله بن أبي يقول: لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصنكم فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم ويموتون عن آخرهم، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان، فشد ذلك من أزرهم فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك، فحاصرهم حصارا محكما، حتى وقع اليأس في قلوبهم وطالبوا بالصلح، فصالحهم على أن يخرجوا من المدينة، فتوجه أكثرهم إلى خيبر، وبعضهم إلى الشام[٤].

---

(١) آل عمران: ٧٥.

(٢) انظر تاريخ الدعوة الإسلامية، د. جميل المصري، ١٧٤.

(٣) سيرة بن هشام ٣/ ١٣٨، وقال ابن حجر في الفتح: (وقد ذكر ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم وغيره من أهل العلم أن عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية لما قتل أهل بئر معونة عن رقبة كانت على أمه فخرج عمرو إلى المدينة فصادف رجلين من بني عامر معهما عقد وعهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به عمرو فقال: لهما عمرو ممن أنتما فذكرا أنهما من بني عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما عمرو وظن أنه ظفر ببعض ثأر أصحابه، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: لقد قتلت قتيلين لأودينهما).

(٤) انظر سيرة ابن هشام، ١/ ٣٧٤، وانظر تاريخ الطبري ٢/ ٥٥٣، وانظر تاريخ الدعوة الإسلامية ١٧٥، وانظر السيرة النبوية الصحيحة في ضوء المصادر الأصلية، ٤١٧.

وقد أخرج أبو داود خبر بني النضير وغيرهم من اليهود وذكر فيه تهديد قريش لليهود في المدينة، وأنهم في حالة عدم معاونتهم على المسلمين فإنهم سينتقمون منهم شر انتقام، فالتقت أحقاد الفريقين على قتال المسلمين واستئصالهم، وأخرجه أبو داود عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: (أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبي ومن كان يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج -ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر- إنكم آويتم صاحبنا وإنا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال رسول الله ﷺ فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم فقال: (لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدهم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم)، فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا فبلغ ذلك كفار قريش فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود إنكم أهل الحلقة- السلاح- والحصون وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء وهي الخلاخيل، فلما بلغ كتابهم النبي ﷺ أجمعت بنو النضير بالغدر فأرسلوا إلى النبي ﷺ: اخرج إلينا في ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حبرا حتى نلتقي بمكان المنصف فيسمعوا منك فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا بك فقص خبرهم فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحصرهم فقال لهم: (إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه)، فأبوا أن يعطوه عهدا فقاتلهم يومهم ذلك، ثم غدا الغد على بني قريظة بالكتائب وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه فانصرف عنهم، وغدا على بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء فجلت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها فكان نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة أعطاه الله إياها وخصه بها فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ ۝٤ ...﴾[1]. يقول: بغير قتال فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين

(١) الحشر: ٦.

وقسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار كانا ذوي حاجة لم يقسم لأحد من الأنصار غيرهما وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة رضي الله عنها)(١).

وأخرج أبو داود أيضا من حديث ابن عمر: أن يهود النضير وقريظة حاربوا رسول الله ﷺ فأجلى رسول الله ﷺ بني النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة بعد ذلك فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأموالهم وأولادهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا برسول الله ﷺ فأمنهم وأسلموا وأجلى رسول الله ﷺ يهود المدينة كلهم بني قينقاع وهم قوم عبد الله بن سلام ويهود بني حارثة وكل يهودي كان بالمدينة)(٢).

غزوة يهود بني قريظة: في ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة:

كان السبب المباشر لغزو بني قريظة أنهم هم الذين حزّبوا الأحزاب على المسلمين في غزوة الخندق وانضموا إلى الأعداء في أحرج موقف مر على المسلمين، وقد نقض بنو قريظة العهد مع المسلمين بتحريض من حيي بن أخطب النضري الذي جاء إلى سيدهم كعب بن أسد القرظي فامتنع عن نقض عهده مع المسلمين في بداية الأمر ولكن مازال حيي بن أخطب يبين له قوة الأحزاب ودنو أجل المسلمين وإبادتهم حتى وافق، وبموافقة بنو قريظة للانضمام للأحزاب أحاط أعداء الإسلام المدينة إحاطة السوار بالمعصم، وعندما سمع رسول الله ﷺ بالخبر أرسل إليهم وفدا وعلى رأسهم سعد بن معاذ وسعد

(١) سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، حديث ٢٥٩٣، وقال الألباني صحيح الإسناد، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط. الأولى. وقال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد. وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه، كتاب الجهاد، باب دعاء العدو، حديث رقم ٩٧٣٣، ٥/ ٣٥٨. ت حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثانية.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في خبر بني النضير، حديث ٣٠٠٥، وصححه الألباني.

ابن عبادة لمعرفة خبرهم فوجودهم أخبث الناس، وأعلنوا نكث العهد ومزقوا الصحيفة التي بينهم وبين النبي ﷺ[١].

وبعد أن نصر الله تعالى عبده ونبيه ﷺ وحده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده -كما سيأتي بيانه في غزوة الأحزاب- ووضع سلاحه ليتنفس المسلمون الصعداء من جراء محاصرة أحزاب الكفار لهم، جاءه جبريل حاثا له أن يغزو يهود بني جزاءً لخيانتهم، كما أخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه فاخرج إليهم. قال: (فإلى أين؟). قال: ها هنا، وأشار إلى بني قريظة فخرج النبي ﷺ إليهم)[٢]، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه بغزوهم مباشرة وألا يصلين أحد العصر إلا هناك، كما أخرج البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة). فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي ثم يرد منا ذلك. فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم)[٣].

ورأى الصحابة غبار موكب جبريل عليه السلام، كما أخرج البخاري أيضا من حديث أنس رضي الله عنه قال: (كأني أنظر إلى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة)[٤].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ١٧٦، وانظر حاشية السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ٤٥١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم. حديث ٤١١٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم. حديث ٤١١٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم. حديث ٤١١٨.

ولم يمنع عظم الجرم و فحش الخيانة الذين فعلهما يهود بني قريظة مع المسلمين من العدل معهم ومحاولة إدخالهم في دائرة المسلمين قبل الشروع في قتالهم، فقد أخرج عبد الرزاق في مصنفه عن بن المسيب أن النبي ﷺ لم يقاتل بني قريظة حتى دعاهم إلى الإسلام فأبوا فقاتلهم)[1].

وحاصر المسلمون بني قريظة حتى أنهكوهم ونزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله بعد إذن النبي ﷺ في ذلك فحكم بقتل رجالهم وسبي نسائهم وذراريهم وقسمة أموالهم بين المسلمين، كما أخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ فأرسل النبي ﷺ إلى سعد فأتى على حمار فلما دنا من المسجد قال للأنصار: (قوموا إلى سيدكم أو خيركم). فقال: (هؤلاء نزلوا على حكمك).فقال: تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم قال: (قضيت بحكم الله وربما قال بحكم الملك)[2].

وأخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له حبان بن العرقة، رماه في الأكحل فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض رأسه من الغبار فقال: وضعت السلاح؟ والله ما وضعته اخرج إليهم قال النبي ﷺ: (فأين). فأشار إلى بني قريظة فأتاهم رسول الله ﷺ

---

(١) مصنف عبد الرزاق، كتاب الجهاد، باب دعاء العدو، حديث ٩٤٢٢، ت حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثانية، وظاهر الحديث الإرسال، ولكن له شواهد كثيرة منها ما سيأتي من فعل النبي ﷺ مع يهود خيبر عندما أمر عليا بن أبي طالب ألا يقاتلهم حتى يدعوهم للإسلام، وهو في الصحيحين.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم. حديث ٤١٢١.

فنزلوا على حكمه فرد الحكم إلى سعد، قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم)[١]. ونفذ رسول الله ﷺ حكم الله فيهم[٢].

غزوة خيبر: في المحرم من السنة السابعة من الهجرة:

أقام اليهود بخيبر وهم يتطلعون للانتقام من رسول الله ﷺ ومن دولة الإسلام، وبعد أن لحق بهم زعماء بني النضير من أمثال سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب، أعلن يهود خيبر العداء السافر للمسلمين، وبعد أن عقد رسول الله ﷺ صلح الحديبية مع قريش، توجه إلى غزو خيبر ليكسر شوكة اليهود.

وقد فاجأ النبي ﷺ يهود خيبر بالغزو وهم في طريقهم إلى أعمالهم، فهرب اليهود إلى حصونهم وحاصرهم المسلمون حتى أنهكوهم، ثم دعاهم رسول الله ﷺ للإسلام، فأبوا، فأخذ المسلمون يفتحون حصونهم واحدًا تلو الآخر، كما أخرج البخاري من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: (خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ وكان عامر رجلا شاعرا حداء، فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا. فاغفر فداء لك ما اتقينا * وثبت الأقدام إن لاقينا. وأَلْقِيَن سكينةً علينا * إنا إذا صيح بنا أبينا وبالصياح عولوا علينا. فقال رسول الله ﷺ: (من هذا السائق). قالوا عامر بن الأكوع قال: (يرحمه الله). قال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله لولا أمتعتنا به؟ فأتينا خيبر فحاصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة ثم إن الله تعالى فتحها عليهم...)[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم. حديث ٤١٢٢.

(٢) انظر في تفصيل القصة ومن نجا منهم بإسلامه، السيرة النبوية في المصادر الأصلية، د. مهدي أحمد ٤٦١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث رقم ٤١٩٦.

وأخرج البخاري أيضا من حديث أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلا وكان إذا أتى قوما بليل لم يغز بهم حتى يصبح، فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتِلِهم فلما رأوه، قالوا: محمد والله، محمد والخميس. فقال النبي ﷺ: (الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة القوم فساء صباح المنذرين)[(١)].

وقد واجه المسلمون قتالا شديدا من اليهود عند أغلب حصون خيبر حتى ظنوا أن بعضها لا يفتح، وبشرهم رسول الله ﷺ بالفتح، وأنه سيعطي الراية لرجل يحب الله ورسوله ويحبانه، فأعطاها علي بن أبي طالب رضي الله، أمره أن يدعوهم للإسلام قبل قتالهم، كما أخرج البخاري أيضا من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: (لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله). قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غَدَوْا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: (أين علي بن أبي طالب). فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: (فأَرْسِلُوا إليه). فأُتِيَ به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ -أي مسلمين مثلنا- فقال: (انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحد خير لك من أن يكون لك حمر النعم)[(٢)].

وجاءت زيادة في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فأعطاه إياها وقال: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك، قال: فسار علي شيئا ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث رقم ٤١٩٧، و ٤١٩٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث رقم ٤٢١٠.

الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)[1].

وهذا يؤكد أن من أهم ما تربى عليه الصحابة عند قتالهم في سبيل الله هو وجوب الدعوة إلى الإسلام وبيان ما للعدو وما له إن هو قبل الإسلام، وما عليه إن لم يقبله، وذلك قبل الشروع القتال[2].

وبعد رفض اليهود الإسلام واختيارهم للحرب، قاتلهم المسلمون وهزموهم وفتحوا حصونهم، كما أخرج البخاري أيضا من حديث أنس رضي الله عنه قال: صلى النبي ﷺ الصبح قريبا من خيبر بغلس ثم قال: (الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة القوم فساء صباح المنذرين) فخرجوا يسعون في السكك فقتل النبي ﷺ المقاتلة وسبى الذرية...)[3].

وقد أنهكهم المسلمون بالحصار حتى فتحوا معظم الحصون، وأثخنوهم بالجراح، فأعلنوا قبولهم النزول على أمر النبي ﷺ وحكمه فقبل منهم ذلك واشترط عليهم أن للمسلمين سائر أموالهم وأسلحتهم وألا يغيبوا شيئا ولا يكتموه، وأن لليهود ما حملت ركابهم، ولكنهم غيبوا مسكا من ذهب لحيي بن أخطب، فلما سألهم عنه، قالوا أنفقته الحروب والعيال، فوجده المسلمون، فقتل رسول الله ابن أبي الحقيق وسبى نساءهم وذراريهم وأراد أن يجليهم عن خيبر، ثم عرضوا الصلح على أن للمسلمين نصف ما يخرج من أرضهم، فأجابه لذلك.

وقد أخرج أبو داود في سننه هذا الخبر مختصرا من حديث ابن عمر رضي الله عنه: أن النبيﷺ قاتل أهل خيبر فغلب على النخل والأرض وألجأهم إلى قصرهم فصالحوه على

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل علي بن أبي طالب، حديث رقم ٢٤٠٥.

(٢) انظر تفصيل وجوب الدعوة إلى الإسلام قبل القتال، فتح الباري، ابن حجر، ٧/ ٥٤٦، عند شرحه لحديث سهل بن سعد المذكور في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث رقم ٤٢١٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث رقم ٤٢٠٠.

أن لرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء والحلقة، ولهم ما حملت ركابهم على أن لا يكتموا ولا يُغيِّبوا شيئا فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد، فغيبوا مسكا لحُيِّ بن أخطب، وقد كان قتل قبل خيبر وكان احتمله معه يوم بني النضير حين أجليت النضير فيه حليهم، قال: فقال النبي ﷺ لسعية: (أين مسك حُيِّ بن أخطب ؟) قال: أذهبته الحروب والنفقات، فوجدوا المسك، فقتل ابن أبي الحقيق وسبى نساءهم وذراريهم. وأراد أن يجليهم، فقالوا: يا محمد دعنا نعمل في هذه الأرض ولنا الشطر ما بدا لك ولكم الشطر. وكان رسول الله ﷺ يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقا من تمر وعشرين وسقا من شعير)[(١)].

وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أعطى النبي ﷺ خيبر اليهود أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها)[(٢)].

وانتهى الأمر على أن للمسلمين نصف الخراج، وأن كلفة خدمة الأرض على اليهود، وأن بقاءهم بخيبر مرهون بمشيئة المسلمين فمتى أرادوا أخرجوهم منها، وقد أخرجهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تيماء وأريحاء[(٣)]، امتثالا لأمر رسول الله ﷺ في مرض موته عندما قال: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)[(٤)].

---

(١) سنن أبي داوود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب حكم أرض خيبر، حديث ٣٠٠٦. وقال الألباني: حسن الإسناد.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث رقم ٤٢٤٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب إذا قال رب الأرض أقرك ما أقرك الله، ولم يذكر أجلا معلوما فهما على تراضيهما، حديث رقم ٢٣٣٨. وصحيح مسلم، كتاب المساقاة والمعاملة بجزء الثمر والزرع، حديث رقم١٥٥١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب جوائز الوفد، حديث رقم ٣٠٥٣.

ثالثا: غزوة أحد: في شوال في السنة الثالثة من الهجرة:

ثم كانت غزوة أحد التي أرادت فيها قريش الثأر لهزيمتها، وتستعيد مكانتها، وتنقذ تجارتها، وأراد الله تعالى أن يبتلي المؤمنين ويمتحنهم ويمحصهم ويختبر إيمانهم، فبعد أن كان النصر حليفا للمسلمين في بداية المعركة وولت فلول جيش المشركين بالهرب حتى بدت سوق نسائهم، عصى الرماة الذين كانوا يحمون ظهر المسلمين رسول الله ﷺ عندما رأوا ما نزل بالمشركين من الهزيمة فظنوا أن المعركة قد انتهت، وأقبلوا إلى الغنائم لأخذها، فانكشف ظهر المسلمين، فتنبه المشركون إلى هذه الثغرة القاتلة فمالوا على المسلمين منها، فكان أن قتل سبعون من الصحابة، وشج وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته وسال الدم على وجهه الشريف.

فعندما رأى إبليس اللعين فلول المشركين هاربة مدحورة مهزومة، صرخ في القوم مشجعا إياهم على الرجوع، فرجعوا وتجالدوا وهاجموا المسلمين من تلك الثغرة، وحققوا شيئا من النصر على المسلمين، أخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (لما كان يوم أحد هزم المشركون فصرخ إبليس لعنة الله عليه أي عباد الله أخراكم فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم)[1].

وأخرج البخاري رحمه الله قصة معصية الرماة للنبي ﷺ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: (جعل النبي ﷺ على الرجالة يوم أحد -وكانوا خمسين رجلا- عبد الله بن جبير فقال: (إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم)، فهزموهم، قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن. فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة: أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله ابن

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ آل عمران: ١٢٢، حديث ٤٠٦٥.

جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة. فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين. فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم فلم يبق مع النبيﷺ غير اثني عشر رجلا فأصابوا منا سبعين، وكان النبي ﷺ وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيرا وسبعين قتيلا. فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال: كذبت والله يا عدو الله إن الذين عددت أحياء كلهم وقد بقي لك ما يسؤوك. قال: يوم بيوم بدر والحرب سجال إنكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز: اعل هبل اعل هبل. قال النبي ﷺ: (ألا تجيبونه ؟)، قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: (قولوا: الله أعلى وأجل). قال: إن لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي ﷺ: (ألا تجيبونه). قال: قالوا يا رسول الله ما نقول؟ قال: (قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم)[1].

وأخرج بن هشام عن ابن إسحاق وصف ما حل بالمسلمين يوم أحد فقال رحمه الله: (كان يوم أحد يوم بلاء ومصيبة وتمحيص اختبر الله به المؤمنين ومحن به المنافقين ممن كان يظهر الإيمان بلسانه، وهو مستخف بالكفر في قلبه، ويوما أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته)[2].

وكان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام رؤيا عبرها ما حدث للمسلمين يوم أحد، فقد أخرج البخاري رحمه الله من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول اللهﷺ: (رأيت في رؤياي أني هززت سيفا فانقطع صدره فإذا هو ما أصيب من

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، حديث ٣٠٣٩.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، ٣/ ٤٨.

المؤمنين يوم أحد، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين ورأيت فيها بقرا، والله خير، فإذا هم المؤمنون يوم أحد)[١].

وقد أشار البخاري إلى بعض الحكم التي أرادها الله تعالى فيما حل بالمؤمنين يوم أحد من هزيمة بعد أن كان النصر حليفهم في بداية المعركة، فقال رحمه الله: باب غزوة أحد وقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾[٢]. وقوله جل ذكره: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾[٣]. وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ﴾ تستأصلونهم قتلا، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾[٤]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[٥])[٦].

فأشار رحمه الله إلى الحكم العظيمة لهذا البلاء العظيم التي منها إخبار الله تعالى بأن المسلمين هم الأعلون في كل حال حتى في حال الهزيمة العسكرية، وأن الأيام دول بينهم

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد، حديث ٤٠٨١.

(٢) آل عمران: ١٢١.

(٣) آل عمران: ١٣٩ – ١٤٣.

(٤) آل عمران: ١٥٢.

(٥) آل عمران: ١٦٩.

(٦) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ص ٦٨٤.

وبين أعداء الله وأعدائهم، وأنه تعالى يريد بهذا الابتلاء أن يتخذ منهم شهداء ليكرمهم بالمنازل العظيمة يوم القيامة، ويريد أن تقوم الحجة على الكافرين فيحق عليهم القول ويدخلهم النار، ويريد أن يبين أن الابتلاء سنة من سننه في خلقه، وأن يظهر صدق الصادقين، وأن الشهداء ليسوا بميتين وإنما هم أحياء عند ربهم يرزقون.

وأن من أعظم ما أراد الله تعالى أن يبين لهم أثر المعاصي عليهم، وأن سبب ما أصابهم من كرب وشدة وقتل نحو سبعين منهم إنما كان بسبب معصيتهم لرسول الله ﷺ، فخاطبهم الله تعالى بقوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾﴾[1]، وذلك بعد أن قال لهم: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ﴾ أي صدقكم بالنصر فنصركم على أعدائكم، حتى ولوكم أكتافهم مدبرين وأخذتم تقتلونهم وتستأصلونهم، ثم بعد ذلك عصى بعضكم الله تعالى فأعنتم عدوكم عليكم، ففشلتم بالجبن والضعف والخور ثم بالتنازع والاختلاف، فكان ذلك سبب هزيمتكم وصرف الله وجوهكم عنهم، فصار الوجه لعدوكم، ابتلاء من الله لكم وامتحانا، ليتبين المؤمن من الكافر، والطائع من العاصي، وليكفر عنكم بهذه المصيبة ما صدر منكم[2].

ومن هذه الحكم أن من كان الله تعالى مولاه فإنه سينصره ويحفظه، ولذلك عاتب بعض المؤمنين من الأوس والخزرج، وبين لهم أن الجبن والضعف في القتال سبب في الهزيمة –وقد سماه الله تعالى بالفشل–، وأن التوكل على الله تعالى والثقة في نصره تعالى لأوليائه والإقدام في القتال سبب في النصر، قال البخاري رحمه الله: باب ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[3]. ثم ساق حديث

---

(١) آل عمران: ١٦٥.

(٢) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، (١٥٢) عند تفسيره الآية.

(٣) آل عمران: ١٢٢.

جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: (نزلت هذه الآية فينا ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ بني سلمة وبني الحارثة وما أحب أنها لم تنزل والله يقول﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾[(1)]. يقول ابن حجر رحمه الله: (أي وأن الآية وإن كانت في ظاهرها غضًّا منهم لكن في آخرها غاية الشرف لهم، قال ابن إسحاق: قوله: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي الدافعة عنهما ما هموا به من الفشل، لأن ذلك كان من وسوسة الشيطان من غير وهم منهم).

ومن بيان صدق الصادقين من المؤمنين، أنهم خرجوا في ابتغاء مرضاة يبذلون أنفسهم رخيصة في سبيله تعالى، فقد أخرج البخاري رحمه الله من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: (فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ﴾[(2)]، فألحقناها في سورتها في المصحف)[(3)].

ومن بيان صدق الصادقين أنه لما طلب الرسول ﷺ من المقاتلين معه في معركة أحد، أن يلبسوا لامة الحرب والقتال مرة أخرى والخروج في طلب المشركين بالرغم مما أصابهم من القرح والجهد والنصب والتعب، لإرهابهم وتخويفهم وتشتيت أفكارهم، وتفويتهم فرصة الرجوع على المسلمين والميل عليهم مرة أخرى، فقد أخرج البخاري رحمه الله من عائشة رضي الله عنها: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾[(4)]. قالت لعروة: يا ابن أختي كان أبواك منهم: الزبيرُ وأبو بكر لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، حديث رقم ٤٠٥١.

(٢) الأحزاب: ٢٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، حديث ٤٠٤٩.

(٤) آل عمران:١٧٢.

يرجعوا قال: (من يذهب في إثرهم؟) فانتدب منهم سبعون رجلا، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير)[1].

وأخرج الطبراني من حديث عبد الله بن عباس أنه قال: (لما انصرف أبو سفيان و المشركون عن أحد وبلغوا الروحاء قالوا: لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم شر ما صنعتم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فندب الناس فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد أو بئر أبي عيينة فأنزل الله عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾[2]. وقد كان أبو سفيان قال للنبي ﷺ: موعدك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا، فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة فأتوه فلم يجدوا به أحدًا وتسوقوا فأنزل الله عز وجل ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾[3])[4].

وكانت هذه مناورة بارعة من النبي ﷺ ألقت الرعب في قلوب المنافقين واليهود في المدينة، وأعادت الثقة في نفوس المؤمنين[5].

ومن هذه الحكم ابتلاء الله تعالى للمنافقين ونكس قلوبهم وفضحهم، فقد أخرج البخاري رحمه الله من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: (لما خرج النبي ﷺ إلى أحد رجع ناس ممن خرج معه وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: الذين استجابوا لله وللرسول. حديث رقم ٤٠٧٧.

(٢) آل عمران:١٧٢.

(٣) آل عمران: ١٧٤.

(٤) المعجم الكبير، ١١/ ١٩٧، حديث رقم ١١٦٣٢. وقال الهيثمي في المجمع ورجاله رجال الصحيح غير محمد من منصور الجواز وهو ثقة، (٦/ ١٢١).

(٥) تاريخ الدعوة الإسلامية، د. جميل المصري، (١٦٢).

لا نقاتلهم فنزلت ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ﴾(١). وقال: (إنها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الفضة)(٢).

وقد حفظ الله تعالى رسوله ﷺ، وأنزل ملائكة تدافع عنه، كما أخرج البخاري رحمه الله، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما من قبل ولا بعد)(٣).

وأخرج الإمام مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص أنه قال: (رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام)(٤).

وقد أخرج البخاري وغيره خبر جرح النبي ﷺ، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سئل عن جرح رسول الله ﷺ فقال: (أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ومن كان يسكب الماء وبما دووي، قال: كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ تغسله، وعلى بن أبي طالب يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها، فاستمسك الدم وكسرت رباعيته يومئذ وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه)(٥).

ومما تأصل من عقائد لدى الصحابة رضوان الله عليهم أن من قتل في سبيل الله شهيدا ليس بميت بل هو حي عند الله تعالى يرزق، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه من

(١) النساء: ٨٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، حديث رقم ٤٠٥٠. وانظر تفسير قوله ﷺ: (إنها طيبة) الفتح ٧/ ٤١٣ ' عند شرحه للحديث.

(٣) كتاب المغازي، باب (إذ همت طائفتان. . . الآية)حديث رقم ٤٠٥٤.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد، حديث رقم ٢٣٠٦.

(٥) صحيح البخاري، كتاب المغازي باب ما أصاب النبي ﷺ يوم أحد، حديث ٤٠٧٥.

حديث عبد الله بن مسعود أنه سئل عن قول الله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾(١) قال: أما إنا سألنا عن ذلك فقال: (أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا)(٢).

وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه شهيد على أنهم قتلوا في سبيل الله يوم القيامة، فقد أخرج البخاري رحمه الله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه أخبر أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين رجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: (أيهم أكثر أخذا للقرآن). فإذا أشير له إلى أحد قدمه في اللحد وقال: (أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة). وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يُغسّلوا)(٣).

ومما تأصل من عقائد أن الشهداء أنفسهم وجدوا ريح الجنة دون أحد، كما أخرج البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين. ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد. قال

---

(١) آل عمران: ١٦٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، حديث رقم١٨٨٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد، حديث رقم ٤٠٧٩.

سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه. قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ...﴾ إلى آخر الآية)[1].

رابعا: غزوة الخندق - الأحزاب -: في شوال من السنة الخامسة للهجرة:

بعد أن التقت أحقاد يهود بني النضير -الذين أجلاهم رسول الله ﷺ إلى خيبر كما سبق بيانه- مع مشركي مكة الذين عزموا على القضاء على دولة الإسلام التي أقيمت في المدينة، واستنجد كل فريق بحلفائه، وقام بتحريض وتأليب الأعراب في سائر جزيرة العرب، فأرادت قريش أن تهزم المسلمين هزيمة ساحقة تقضي على وجودهم وتستأصل شأفتهم لتنقذ تجارتها من تهديد المسلمين المستمر، وطمع اليهود في الثأر لأنفسهم والعودة إلى المدينة مرة أخرى.

فتحزب الأحزاب من سائر أقطار جزيرة العرب وجمعوا جيشا عظيما قوامه عشرة آلاف مقاتل، بينما كان جيش المسلمين ثلاثة آلاف، فاستشار رسول الله ﷺ الصحابة في الأمر فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق، فأخذ رسول الله ﷺ بمشورته، وأمر بحفر الخندق وشارك مع سائر المسلمين -غنيهم وفقيرهم في حفره- وأصابهم نصب وجهد شديدين حتى حفروا هذا الخندق، ومع ذلك كانوا شاكرين لله تعالى أن هداهم للإسلام، عازمين على القتال في سبيل الله تعالى باذلين أرواحهم رخيصة له سبحانه وبحمده، مبايعين النبي ﷺ على القتال ما بقيت لهم في هذه الدنيا، وقد أخرج البخاري ما يبين هذه الصورة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: خرج رسول الله ﷺ

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله عز وجل: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)، الأحزاب ٢٣، حديث رقم ٢٨٠٥. وأخرجه مسلم في الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد رقم ١٩٠٣.

إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: (اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة). فقالوا مجيبين له: نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا)[1].

وأخرج البخاري من حديث البراء بن عازب أنه قال: (لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى -يعني الغبار- جلدة بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل من التراب يقول: (اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا..فأنزلن سكينة علينا * وثبت الأقدام إن لاقينا..إن الألى قد بغوا علينا * وإن أرادوا فتنة أبينا)، قال: ثم يمد صوته بآخرها)[2].

وأهم ما يتعلق بهذا المبحث في غزوة الخندق -الأحزاب- من عقائد غير ما ذكر، هو أن الدين الذي دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ليبقى وليظهر على الدين كله ولو كره المشركون والكافرون فقد قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾[3].

وقد بلغ كيد الكفار والمشركين والمنافقين مبلغه ومنتهى قوته في هذه الغزوة كما وصفه الله تعالى بقوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾[4]، أخرج البخاري من حديث عائشة رضي

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، حديث رقم ٤٠٩٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، حديث رقم ٤١٠٦.

(٣) الصف: ٨، ٩.

(٤) الأحزاب: ١٠.

الله عنها أنها قالت عن هذه الآية: (كان ذلك يوم الخندق)[1]. فقد زحف جيش الأحزاب من فوق الوادي من قبل المشرق، ومن أسفل الوادي من قبل الغرب، وأحكم طوق الكفار على المسلمين بعد نقض يهود قريظة لحفلها معهم وانضمامهم لجيش الأحزاب، وقام المنافقون بالتثبيط والإرجاف من الداخل، وخشي المسلمون على النساء والذراري، وزاغت الأبصار بلغت القلوب الحناجر كناية عن شدة الخوف.

وبالرغم من عدم تكافؤ قوة جيش المسلمين مع جيش أعدائهم، أخذ رسول الله ﷺ بالأسباب التي يمكن أن تؤخذ، وقد أخرج مسلم كيف أرسل رسول الله ﷺ حذيفة إلى معسكر الأحزاب ليأتي بخبرهم، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: (لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وقُرٌّ، فقال رسول الله ﷺ: (ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ؟)، فسكتنا فلم يجبه منا أحد. ثم قال: (ألا برجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ؟)، فسكتنا فلم يجبه منا أحد. ثم قال: (ألا برجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ؟، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، فقال: (قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم)، فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: (اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي). فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام، حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهما في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله: (ولا تذعرهم علي) ولو رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قُرِرْتُ، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال: (قم يا نومان)[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، حديث رقم ٤١٠٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، حديث رقم ١٧٨٨.

ومن جملة الأسباب التي أخذها رسول الله ﷺ ما رواه ابن إسحاق وغيره، أن نعيم ابن مسعود الغطفاني رضي الله عنه، أتى النبي ﷺ مسلما وعرض عليه فعل ما يأمره به، فقال ﷺ: إنما أنت رجل واحد فينا، ولكن خذل عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة)[(١)].

ولم يكن الأحزاب يعرفون بإسلام نُعيم بن مسعود رضي الله عنه بعد، فأتى بني قريظة فأقنعهم بعدم القتال مع قريش حتى يأخذوا منهم رهائن، لكيلا يولوا الأدبار ويتركوهم وحدهم يواجهون مصيرهم مع المسلمين في المدينة، ثم أتي قريشا فأخبرهم أن بني قريظة قد ندموا على ما فعلوا، وأنهم قد اتفقوا سرا مع رسول الله ﷺ على أن يختطفوا عددا من أشراف قريش وغطفان فيسلموهم له ليقتلهم دليلا على ندمهم، وقال لهم: فإن أرسلت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فإياكم أن تسلموهم رجلا منكم، ثم أتى غطفان وقال لهم مثل قال لقريش.وبذلك زرع بذور الشك بينهم. وأخذ كل فريق يتهم الفريق الآخر. ونجحت هذه الخدعة في تفريق كلمتهم وتشتيت شملهم. فكان هذا من الأسباب التي أخذها رسول الله ﷺ[(٢)].

ثم بعد أخذه بالأسباب توجه إلى ربه بالدعاء وألح عليه لينصره تعالى على أعدائهم وأعدائه، كما أخرج البخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما يقول: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم)[(٣)]. فنصر الله تعالى عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأرسل على أعدائه وأعدائهم ريحا وجنودًا لم يروها، فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ١٨٣. وقوله ﷺ: (الحرب خدعة) قد أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، حديث رقم ٣٠٢٧، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز الخداع في الحرب، حديث رقم ١٧٣٩.

(٢) انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ٤٥٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، حديث رقم ٤١١٥.

﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[1].

وأوحى الله تعالى لنبيه وأخبره عن هذه القوة التي سخرها له، كما في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور)[2]. فتحققت سنة الله تعالى التي أخبر عنها بقوله ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[3]، وبقي دين الله تعالى والمشركون والكافرون كارهون.

ومما له علاقة بهذا المبحث نبوءة المصطفى صلى عليه وسلم عن فتح المسلمين لبلاد فارس وبلاد الشام وهزيمتهم لأعظم القوى في ذلك الزمن وهما والفرس والروم بالإضافة إلى فتح جزيرة العرب، لأنهم أبوا الإذعان لداعي الله تعالى فأصابتهم السنة الربانية، كما أخرج الإمام أحمد في مسنده وغيره من حديث البراء بن عازب قال: (أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، قال: وعرض لنا صخرة في مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول، قال: فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ -قال عوف: وأحسبه قال-: وضع ثوبه ثم هبط إلى الصخرة فأخذ المعول فقال: (بسم الله) فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر، وقال: (الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا. ثم قال: (بسم الله) وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر، فقال: (الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا). ثم قال: (بسم الله) وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر فقال: (الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا)[4].

---

(١) الأحزاب: ٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، حديث رقم ٤١٠٥. وصحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب في الصبا والدبور، حديث رقم ٩٠٠.

(٣) الحج: ٤٠.

(٤) مسند الإمام أحمد، مسند الكوفيين، حديث البراء بن عازب، ٤/ ٣٠٣، حديث رقم ١٨٧١٦. مؤسسة قرطبة، =

ومما يتعلق بهذا المبحث بيان أن المنافقين والمرجفين في زمن رسول الله ﷺ، هم على شاكلة المنافقين والمرجفين في كل زمان، فقد جاءت زيادة صحيحة عند الطبراني رحمه الله تبين حال المنافقين يوم الخندق وهي من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (اذهبوا بنا إلى سلمان فإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها فقال نبي الله ﷺ لأصحابه: دعوني فأكون أول من ضربها، فقال: بسم الله فضربها فوقعت فلقة ثلثها فقال: الله أكبر، قصور الروم ورب الكعبة، ثم ضرب بأخرى فوقعت فلقة، فقال: الله أكبر، قصور فارس ورب الكعبة، فقال عندها المنافقون: نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم)[1]. وهم الذين نزل قول الله تعالى فيهم: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾[2]،﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾[3].

وقد صرفت هذه الريح الأحزاب عن المسلمين ولم تنشب حرب سوى بعض المناوشات، استشهد فيها عدد من المسلمين، وقتل عدد آخر من الأحزاب، وقال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾[4].

= القاهرة. وأخرجه النسائي في سننه الكبرى، كتاب السير، باب حفر الخندق، ٥/ ٢٦٩، حديث رقم ٨٨٥٨. وحسنه الإمام ابن حجر في الفتح ٧/ ٤٥٨، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، حديث ٤١٠٢.

(١) المعجم الكبير، ١١/ ٢٩٧، حديث رقم ١٢٠٥٢، وقال الهيثمي في المجمع(٦/ ١٣٢) ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن أحمد بن حنبل ونعيم العبدي وهما ثقتان.

(٢) الأحزاب: ١٢.

(٣) الأحزاب: ٢٢.

(٤) الأحزاب: ٢٥.

وكان أثر هذه الهزيمة النفسية على الأحزاب عظيما، فلم تقم لهم بعد ذلك قائمة، وقد بشر النبي ﷺ المسلمين بأنهم لن يغزوهم مرة أخرى، بل المسلمون يغزونهم في عقر دارهم، كما أخرج البخاري من حديث سليمان بن صرد قال: سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلى الأحزاب عنه: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم)(١).

خامسا: غزوة الحديبية: ذو القعدة من السنة السادسة من الهجرة:

كانت غزوة الحديبية شروعا من النبي ﷺ لتحقيق شعيرة من شعائر الإسلام تحقيقا عمليا، وتأكيدا لبلوغ الدعوة الإسلامية مبلغا لا يستطيع مشركو قريش صده وإيقاف انتشاره، وقد استثمر النبي ﷺ تعظيم من حوله من قبائل الأعراب للكعبة والبيت الحرام، ودعاهم للانضمام للجماعة المسلمة لقصده وأداء العمرة معهم، وكانت هذه حكمة عظيمة منه ﷺ، ذلك لأن دعوة الأعراب لأداء هذه العمرة مع المسلمين حققت حلفا ضمنيا ضد قريش، التي لو قامت بمنعهم من أدائها ستظهر بمظهر المعتدي الذي يصد عن بيت الله من جاء يعظمه، وفي الوقت نفسه سيظهر لهؤلاء الأعراب أن الإسلام يعظم الكعبة والبيت الحرام والحج والعمرة، وهم قد توارثوا هذا التعظيم كابرا عن كابر، وأيضا سيظهر لهم أن اتهام قريش للمسلمين بأنهم لا يعترفون بحرمة الكعبة اتهام باطل مختلق ليس له أساس من الصحة(٢).

وخرج رسول الله صلى عليه وسلم في ألف وأربع مئة رجل ليس معهم سلاح إلا سيوف في أغمادها يسوقون الهدي كدليل واضح أنهم لا يريدون حربا وإنما أداء العمرة،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، حديث رقم ٤١١٠.

(٢) انظر السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، ٢/ ٤٣٤، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط السادسة. وانظر تاريخ الدعوة الإسلامية، د. جميل المصري، ١٨٦. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي أحمد. ٤٨٢.

وأحرم صلى عليه وسلم مع الصحابة بالعمرة من ذي الحليفة، ولبى قائلا: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)[1].

ولما علم مشركو مكة بخبر مجيء النبي ﷺ إليهم، اشتد بهم الذعر، وأجمعوا على منع المسلمين من دخول مكة، واستنفروا الأحابيش[2] وحلفاءهم من ثقيف، وخرج خالد بن الوليد بخيلهم ليعترض طريقهم، وجاء بشر بن سفيان الكعبي بخبر قريش هذا، فاستشار النبي ﷺ أصحابه في أن يغير على ديار الذين ناصروا قريشا واجتمعوا معها، فإن علموا بقدوم المسلمين عليهم تركوا قريشا وعادوا للدفاع عن ديارهم وأموالهم وذراريهم، فأشار عليه أبوبكر الصديق بأن يمضي في طريقه للبيت الحرام، فإن صده المشركون قاتلهم، فأخذ عليه الصلاة والسلام بمشورته، ولتفادي الحرب معهم سلكوا طريقا آخرا وعرا بعيدا عن أعين المشركين، حتى إذا وصلوا إلى الحديبية بركت ناقة رسول الله ﷺ، ثم بدأت الوفود المشاورات بينه وبين مشركي مكة، وكان من سفراء النبي ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبعد أن احتبسه المشركون في مكة وأشيع خبر مقتله، دعا رسول الله ﷺ الصحابة تحت شجرة سمرة، فبايعوه جميعا على عدم الفرار من الحرب والقتال معه حتى الموت أو الظفر بأعداء الله[3].

وقد أخرج الإمام البخاري في كتاب المغازي بعض قصة الحديبية من حديث المسور ابن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما قالا: (خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة

---

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري، كتاب اللباس، باب التلبيد، حديث رقم ٥٩١٥. وانظر المراجع السابقة.

(٢) الأحابيش هم بنو الهون من خزيمة بن مدركة وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة وبنو المصطلق من خزاعة كانوا تحالفوا مع قريش تحت جبل يقال له الحبشي أسفل مكة، وقيل سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم.

(٣) انظر سيرة ابن هشام، ٣/٣٦٢، والطبري، ٢/٢٧٨، وانظر السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، ٢/ ٤٤٠، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ٤٨٦، تاريخ الدعوة الإسلامية، د. جميل المصري، ١٨٦.

من أصحابه، فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة، وبعث عينا له من خزاعة، وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط، أتاه عينه، قال: إن قريشا جمعوا لك جموعا، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك. قال: (أشيروا أيها الناس علي أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عينا[١] من المشركين وإلا تركناهم محروبين[٢]). قال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه. قال: (امضوا على اسم الله)[٣].

وأخرج البخاري بقية القصة في كتاب الشروط من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أيضا أنهما قالا: (خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى كانوا ببعض الطريق قال النبيﷺ: (إن خالد بن الوليد بالغميم[٤]في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين). فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش[٥]. فانطلق يركض نذيرا لقريش، وسار النبي ﷺ، حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها[٦]بركت به راحلته، فقال الناس: حلْ حلْ[٧]. فألـحَّت[٨]. فقالوا: خلأت القصواء، خلأت القصواء[٩]. فقال النبي ﷺ: (ما

(١) قطع عينا: أي كنا كمن لم يبعث جاسوسا وواجههم بالقتال، وقيل قطع عنقا: أي أهلك جماعة من أهل الكفر فتضعف قوتهم.

(٢) محروبين أي مسلوبين منهوبين.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديثان ٤١٧٨، ٤١٧٩.

(٤) الغميم: واد بعسفان على بعد ٦٤ كم عن مكة.

(٥) قترة الجيش: الغبار الأسود. والمقصود الغبار الذي حدث من تحركه. فتح الباري ٥/ ٣٩٤.

(٦) الثنية التي يهبط عليهم منها، هي ثنية المرار بكسر الميم وتخفيف الراء هي طريق في الجبل تشرف على الحديبية. فتح الباري، ٥/ ٣٩٤.

(٧) كلمة تقال للناقة إذا تركت السير. فتح الباري، ٥/ ٣٩٤.

(٨) فألحت: أي تمادت على عدم القيام، وهو من الإلحاح. فتح الباري، ٥/ ٣٩٤.

(٩) خلأت: أي بركت وحرنت من غير علة ظاهرة، فلم تبرح مكانها.

خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل). ثم قال: (والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها)[1]. ثم زجرها فوثبت، قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا[2]، فلم يُلبِّثه الناس حتى نزحوه، وشكي إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله مازال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه. فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة (وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة)[3] فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل[4] وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: (إنا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم[5]مدة ويخلّوا بيني وبين الناس، فإن أَظْهَرْ فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جَمُّوا[6]، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي[7]، ولينفذن الله أمره)[1]. فقال بديل:

(١) خطة: أي خصلة، يعظمون فيها حرمات الله: أي من ترك القتال في الحرم.

(٢) ثمد: أي بئر، يتبرضه الناس: أي يأخذون منه قليلا قليلا، والبرض هو اليسير من العطاء.

(٣) أي أنهم موضع النصح له والأمانة على سره. فتح الباري، ٥/ ٣٩٧.

(٤) العوذ جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن، والمطافيل الأمهات اللاتي معها أطفالها، يريد أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا ولا يرجعوا حتى يمنعوه، أو كنى بذلك عن النساء معهن الأطفال، والمراد أنهم خرجوا معهم بنسائهم وأولادهم لإرادة طول المقام، وليكون أدعى إلى عدم الفرار. فتح الباري، ٥/ ٣٩٧.

(٥) ماددتهم أي جعلت بيني وبينهم مدة بترك الحرب بيننا وبينهم فيها. فتح الباري، ٥/ ٣٩٧.

(٦) وتقدير الكلام: فإن ظهر وانتصر غيركم عليّ كفاكم الله مؤنة قتالي، وإن ظهرت أنا وانتصرت على من سواكم من الأعراب، فأنتم بالخيار، إن شئتم أطعتوني، وإن شئتم فلا، والصلح الذي بيننا نافذ إلى مدته، وفي هذه الحالة لا تنقضي مدة الصلح إلا وقد جموا:أي استراحوا.

(٧) السالفة: صفحة العنق، وكني بذلك عن القتل، لأن القتيل تنفرد مقدمة عنقه. فتح الباري، ٥/ ٣٩٩.

سأبلغهم ما تقول. قال: فانطلق حتى أتى قريشا، قال: إنّا قد جئناكم من هذا الرجل، وسمعناه يقول قولا، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول، قال سمعته يقول: كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي ﷺ، فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم. ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهمونني؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ، فلما بلحوا علي[٢] جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد، اقبلوها ودعوني آتِهِ، قالوا: ائته، فأتاه، فجعل يكلم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ نحوا من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإني والله لأرى وجوها، وإني لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر: امصص بظْر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، قال: وجعل يكلم النبي ﷺ فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال له: أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أي غدر، ألست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: (أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء). ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له. فرجع عروة إلى =

(١) لينفذن الله أمره: أي ليمضين الله في نصر دينه.

(٢) بلحوا علي: امتنعوا عن إجابتي، والمعنى أنه دعا أهل عكاظ لنصرة قريش وألحّ عليهم في ذلك فأبوا نصرتهم.

أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمدا، والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته، فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه، قال رسول الله ﷺ: (هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له).فبعثت له، واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك، قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه، قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له: مكرز بن حفص، فقال: دعوني آته، فقالوا: ائته، فلما أشرف عليهم، قال النبي ﷺ: (هذا مكرز وهو رجل فاجر). فجعل يكلم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو، قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة: أنه لما جاء سهيل بن عمرو، قال النبي ﷺ: (لقد سهل لكم من أمركم). قال معمر: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو، فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابا، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: (بسم الله الرحمن الرحيم). قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هي، ولكن اكتب: باسمك اللهم، كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: (اكتب باسمك اللهم)، ثم قال: (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله)، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: (والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله).قال الزهري: وذلك لقوله: (لا يسألونني خُطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها). فقال له النبي ﷺ: (على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به). فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنّا أُخذنا ضُغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا

يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي، فقال النبي ﷺ: (إنّا لم نقض الكتاب بعد)، قال: فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبدا، قال النبي ﷺ: (فأجزه لي)، قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: (بلى فافعل)، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بل قد أجزناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أُرد إلى المشركين وقد جئت مسلما؟ ألا ترون ما قد لَقِيت؟ وكان قد عذب عذابا شديدا في الله، قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقا ؟ قال: (بلى)، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: (بلى)، قلت فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: (إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري)، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال: (بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟)، قال: قلت: لا، قال: (فإنك آتيه ومطوف به)، قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق؟ قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به. قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالا، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: (قوموا فانحروا ثم احلقوا)، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يانبي الله أتحب ذلك؟ اخرج لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيلحقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل غما. ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ﴾ حتى بلغ ﴿ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ...الآية﴿١٠﴾﴾[1]، فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية. ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال: أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا، فاستله الآخر فقال: أجل والله، إنه لجيد، لقد جربت به ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: (لقد رأى هذا ذعرا)، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم نجاني الله منهم، قال النبي ﷺ: (ويلُ أُمِّهِ، مِسعَرَ حرب لو كان له أحد)، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشأم إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده بالله والرحم لما أرسل، فمن آتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾حتى بلغ ﴿حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ...﴾)[2]وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت)[3].

---

(١) الممتحنة: ١٠.

(٢) الفتح: ٢٤-٢٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، حديث =

وجاءت زيادة في مسند الإمام أحمد تثبت عقر الغوغاء من المشركين لناقة النبي ﷺ وما وقع لعثمان بن عفان، من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أيضا أنهما قالا: (وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة، وحمله على جمل له يقال له الثعلب، فلما دخل مكة عقرت به قريش، وأرادوا قتل خراش، فمنعهم الأحابيش، حتى أتى رسول الله ﷺ، فدعا عمر ليبعثه إلى مكة، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي، وليس بها من بني عدى أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل هو أعز منى، عثمان بن عفان، قال: فدعاه رسول الله ﷺ، فبعثه إلى قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب، وأنه جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته، فخرج عثمان حتى أتى مكة، ولقيه أبان بن سعيد بن العاص، فنزل عن دابته، وحمله بين يديه، وردف خلفه، وأجاره، حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، قال: فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل)(1).

وأخرج ابن هشام عن بن إسحاق خبر دعوة النبي ﷺ إلى المبايعة على القتال بعد أن سمع مقالة قتل عثمان رضي الله عنه: فقال: قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: (أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: (لا نبرح حتى نناجز القوم). فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة فكانت بيعه الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت وكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا

=

٢٧٣١، ٢٧٣٢. وقد أخرج الإمام أحمد الحديث بزيادات، انظر مسند الإمام أحمد، ٤/ ٣٢٣، حديث رقم ١٨٩٣٠، وحسنه الأرنؤوط. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، حديث رقم (٩١) ١٧٨٣-١٧٨٥. قال أبو عبد الله- البخاري -: "معرة " العُر: الجرب. " تزيلوا " تميزوا. حميتُ القوم منعتُهم حماية، وأحميتُ الحمى جعلتُه حِمىً لا يُدخل. وأحميتُ الرجلَ إذا أغضبتَه إحماءً.

(١) مسند الإمام أحمد ٤/ ٣٢٣، حديث رقم ١٨٩٣٠، وحسنه الأرنؤوط.

على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر. قال: فبايع رسول الله ﷺ الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة فكان جابر بن عبد الله يقول: والله لكأني أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته. قد ضبأ إليها[1] يستتر بها من الناس. ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل)[2].

وقد أخرج البخاري خبر هذه البيعة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها كانت رحمة من الله فسألت نافعا: على أي شيء بايعهم على الموت؟ قال: لا بل بايعهم على الصبر)[3].

وأخرج البخاري أيضا من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال: (لما كان زمن الحرة أتاه آتٍ فقال له: إن ابن حنظلة يبايع الناس على الموت، فقال: لا أبايع على هذا أحدا بعد رسول الله ﷺ)[4].

وأخرج البخاري أيضا من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أنه قال: (بايعت النبي ﷺ ثم عدلت إلى ظل الشجرة، فلما خف الناس، قال: (يا ابن الأكوع ألا تبايع). قال: قلت: قد بايعت يا رسول الله، قال: (وأيضا). فبايعته الثانية. فقلت له: يا أبا مسلم على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟ على الموت)[5].

---

(١) ضبأ إليها: التصق بها.

(٢) مختصر سيرة ابن هشام، ٤٣٣.

(٣) كتاب الجهاد والسير، باب البيعة في الحرب أن لا يفروا وقال بعضهم على الموت لقول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ۝٢٠﴾ الفتح:١٨، حديث رقم ٢٩٥٨.

(٤) كتاب الجهاد والسير، باب البيعة في الحرب أن لا يفروا وقال بعضهم على الموت لقول الله تعالى﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ۝٢٠﴾ الفتح:١٨، حديث رقم ٢٩٥٩.

(٥) كتاب الجهاد والسير، باب البيعة في الحرب أن لا يفروا وقال بعضهم على الموت لقول الله تعالى﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ۝٢٠﴾الفتح:١٨، حديث رقم ٢٩٦٠.

ولا تعارض بين الأحاديث في ذلك لأن المبايعة على الموت تعني الصبر عند لقاء الأعداء وعدم الفرار من ساحات القتال(١).

وقد مدح الله تعالى أهل بيعة الرضوان ورضي عنهم ووعدهم بالفتح، وأباح لهم الغنائم ووعدهم بالكثير منها، فقال تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾(٢).

ومدحهم رسول الله ﷺ وأثنى عليهم، ووصفهم بأنهم خير أهل الأرض، كما أخرج البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم

(١) يقول ابن حجر رحمه الله: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ... الآية﴾ قال ابن المنير: أشار البخاري بالاستدلال بالآية إلى أنهم بايعوا على الصبر، ووجه أخذه منها قوله تعالى: (فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم. . .) والسكينة الطمأنينة في موقف الحرب، فدل ذلك على أنهم أضمروا في قلوبهم أن لا يفروا فأعانهم على ذلك. وتعقب بأن البخاري إنما ذكر الآية عقب القول الصائر إلى أن المبايعة وقعت على الموت، ووجه انتزاع ذلك منها أن المبايعة فيها مطلقة، وقد أخبر سلمة بن الأكوع وهو ممن بايع تحت الشجرة: أنه بايع على الموت، فدل ذلك على أنه لا تنافي بين قولهم بايعوه على الموت وعلى عدم الفرار لأن المراد بالمبايعة على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا، وليس المراد أن يقع الموت ولا بد، وهو الذي أنكره نافع، وعدل إلى قوله بل بايعهم على الصبر، أي على الثبات وعدم الفرار، سواء أفضى بهم ذلك إلى الموت أم لا، والله أعلم. فتح الباري، ٦/ ١٣٧.

وقال أيضا: قوله: (على الموت)، تقدم الكلام عليه في باب البيعة على الحرب من كتاب الجهاد، وذكرت كيفية الجمع بينه وبين قول جابر لهم نبايعه على الموت، وكذا روى مسلم من حديث معقل بن يسار مثل حديث جابر، وحاصل الجمع أن من أطلق أن البيعة كانت على الموت أراد لازمها، لأنه إذا بايع على أن لا يفر لزم من ذلك أن يثبت، والذي يثبت إما أن يغلب وإما أن يؤسر، والذي يؤسر إما أن ينجو وإما أن يموت، ولما كان الموت لا يؤمن في مثل ذلك أطلقه الراوي، وحاصله: أن أحدهما حكى صورة البيعة والآخر حكى ما تئول إليه وجمع الترمذي بأن بعضا بايع على الموت وبعضا بايع على أن لا يفر. فتح الباري، ٧/ ٥١٥.

(٢) الفتح: ١٨-١٩.

الحديبية: (أنتم خير أهل الأرض). وكنا ألفا وأربعمائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة)[1].

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أم مبشرة أنها سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول عند حفصة: (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها)، قالت: بلى يارسول الله ! فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال النبي ﷺ: قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[2].

ثم عادت الوفود مرة أخرى بين الفريقين للتفاوض، وتبين أن خبر مقتل عثمان رضي الله عنه مجرد إشاعة وليس صحيحا، وأرسلت قريش داهية من الدهاة وهو سهيل ابن عمرو العامري، وتم على يديه الصلح بين المشركين والمسلمين[3].

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه زيادة من حديث البراء بن عازب أنه قال: كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية فكتب: (هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله) فقالوا: لا تكتب رسول الله فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال النبي ﷺ لعلي: (امحه) فقال: ما أنا بالذي أمحاه فمحاه النبي ﷺ بيده قال: وكان فيما اشترطوا أن يدخلوا مكة فيقيموا بها ثلاثا ولا يدخلها بسلاح إلا جلبان السلاح. قلت لأبي إسحاق: وما جلبان السلاح؟ قال: القراب وما فيه)[4].

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث رقم ٤١٥٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة، أهل بيع الرضوان، حديث رقم٢٤٩٦.

(٣) وقد أخرج ابن هشام أيضا عن ابن إسحاق قصة الحديبية. مختصر سيرة ابن هشام، ٤٢٧-٤٤١.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، حديث رقم (٩٠) ١٧٨٣.

وأنزل الله تعالى على نبيه قرآنا واصفا صلح الحديبية بالفتح المبين، كما أخرج الإمام البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال: الحديبية، قال أصحابه: هنيئا مريئا، فما لنا؟ فأنزل الله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾ قال شعبة: فقدمت الكوفة فحدثت بهذا كله عن قتادة، ثم رجعت فذكرت له، فقال: أما ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ فعن أنس، وأما (هنيئا مرئيا) فعن عكرمة)[1].

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾[2] مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدى بالحديبية فقال: (لقد أنزلت عليَّ آية هي أحب إليَّ من الدنيا جميعا)[3].

وقد سأل عمر رضي الله عنه النبي ﷺ عن هذا الصلح هل يعتبر فتحا فأكد له النبي صلى الله وسلم ذلك، كما أخرج الإمام مسلم في صحيحه أن سهل بن حنيف رضي الله عنه أنه قال يوم الصلح بعد أن جادل عمر النبي ﷺ، قال: (فنزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه فقال: يا رسول الله أو فتح هو؟ قال: (نعم) فطابت نفسه ورجع)[4].

ومن أهم ما يتعلق بهذا المبحث -غير ما ذكر- من غزوة الحديبية مايلي:

١- بالرغم من أن خروج النبي ﷺ بالصحابة كان من أجل أداء العمرة، إلا أنه كان على استعداد لقتال المشركين لو منعوه منها مطلقا.

---

(١)صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث رقم ٤١٧٢.

(٢) الفتح: ١-٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، حديث رقم ١٧٨٦.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، حديث رقم ١٧٨٥.

٢- بيان حكمة النبي ﷺ في استشارته للصحابة بعد أن جاءته الأخبار بخروج قريش لقتاله، وأنهﷺ يخطط تخطيطا عسكريا جادا، ويستفرغ طاقة جهده في الوصول للخطة القتالية التي ينتصر بها على عدوه، وذلك عندما استشار الصحابة في الإغارة على ديار الأعراب الذين حالفوا قريشا ضده، وبذلك سيقفلون راجعين إلى ديارهم لحماية بيضتهم، ولما أخذ بمشورة عدم الإغارة، سلك طريقا وعرا غير مألوف لدى أعدائه حتى يفاجئهم بقرب جيشه منهم، وبالفعل ما إن عرف خالد بن الوليد بتغيير الطريق إلا وقفل راجعا لتحذير قريش.

٣- بيان فضل صحابة رسول الله صلى عليه وسلم وأنهم أفضل من بني إسرائيل، وذلك عندما قال لهم عند عبورهم الطريق الوعرة عبر ثنية المُرَارِ التي هي مهبط الحديبية: (قولوا نستغفر الله ونتوب إليه)، فقالوا ذلك، فقال: (والله إنها للحطة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها).أخرجه الطبري وابن هشام عن ابن إسحاق.[١] وأخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: (من يصعد ثنية المُرَارِ، فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل)، قال: فكان أول من صعدها خيلنا، خيل بني الخزرج، ثم تتام الناس، فقال رسول اللهﷺ: (كلكم مغفور له، إلا صاحب الجمل الأحمر)، فأتيناه فقلنا له تعال يستغفر لك رسول اللهﷺ، فقال: والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم، قال: وكان رجل ينشد ضالة له)[٢].

٤- تعظيم النبي ﷺ للقتال في الحرم، وقسمه بالله تعالى بعد أن بركت ناقته أنه سيعطي قريشا سؤلها إن كان يعظم الحرم ويمنع القتال فيه.

(١) تاريخ الطبري ٢/ ١١٧، مختصر سيرة ابن هشام، ٤٢٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث ٢٧٨٠.

٥- بيان حكمة النبي ﷺ بعرضه للصلح مع مشركي قريش من أجل مصلحة الدعوة إلى الله، والذي نتج عنه شق في صفوفهم، بين مؤيد للصلح ومعارض له.

٦- بيان حكمة النبي ﷺ عندما أمر بسوق الهدي ونحرها أمام الحُليس بن علقمة سيد الأحابيش الذين يعظمون هذا الأمر، فكان ثمرة ذلك أن قفل الحليس راجعا وهو يقول: (رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت)[(١)]، فرفضت قريش ذلك، ونقض الحليس تحالفه هو وقومه معهم، ونجحت خطة النبي ﷺ في عزل بعض حلفاء قريش عنهم.

٧- بيان كيفية تربية النبي ﷺ للصحابة في قبول أمره وذلك بالرغم من شروط الصلح المجحفة في حق المسلمين.

٨- رسوخ عقيدة الجهاد في سبيل الله عند الصحابة، وكونهم بايعوا النبي ﷺ على الجهاد في سبيل الله، وأن البيعة بعد الهجرة إلى المدينة، وظهور دولة الإسلام تكون على الإسلام أولا ثم الجهاد في سبيل الله، كما أخرج البخاري رحمه الله من حديث عن مجاشع رضي الله عنه قال: (أتيت النبي ﷺ أنا وأخي فقلت بايعنا على الهجرة، فقال: (مضت الهجرة لأهلها). فقلت: علام تبايعنا؟ قال: (على الإسلام والجهاد)[(٢)].

٩- كانت قوة المسلمين العسكرية السبب في قبول مشركي قريش الصلح معهم حماية لمصالحهم، وكانت هذه القوة أيضا السبب في نشر الدين الإسلامي في جزيرة

(١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب السير، باب الموادعة والمهادنة، حديث رقم ٤٨٧٢، ١١/٢١٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وقال: حديث صحيح.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب البيعة في الحرب على أن لا يفروا، و قال بعضهم:على الموت، حديثان رقم ٢٩٦٢، ٢٩٦٣. وأخرجه مسلم في الإمارة باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد رقم ١٨٦٣.

العرب، بعد أن تحقق الأمن للدعاة إلى الله بالصلح مع من كان يمنع هذه الدعوة ويحاول تشويهها، وبذلك تعلم المسلمون درسا عمليا أن الغرض الأسمى للجهاد في سبيل الله هو الدعوة إلى الله(١).

سادسا: سرية مؤتة: في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة:

بعث أن النبي صلى الله عليه رسله إلى الملوك داخل وخارج جزيرة العرب، يدعوهم إلى الإسلام، ومن جملتهم الحارث بن عمير الأزدي، أرسله إلى ملك بُصرى، فلما نزل أرض مؤتة عرض له شُرحبيل بن عمرو الغساني فقتله صبرا، وكانت الرسل لا تقتل، فغضب الرسول ﷺ فأرسل هذه السرية، وكانت الشام متجه نظر الرسول ﷺ لتوسيع رقعة الدولة الإسلامية التي تحكم بما أنزل الله، وتجاهد من يقف لصد الدعوة إلى هذه الدولة، وكان ﷺ قد أمن الجنوب بعهده مع قريش، وإذعان باذان عامل كسرى في اليمن لدعوة الإسلام(٢).

وقد أخرج ابن هشام عن ابن إسحاق قصة سرية مؤتة مرسلة من حديث عروة بن الزبير أنه قال: (بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن أصيب زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة على الناس، فتجهز الناس، ثم تهيأوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم، ودع الناس أمراء رسول الله، وسلموا عليهم وودعوهم، فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله ﷺ بكى، فقالوا له: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم،

(١) انظر تاريخ الدعوة الإسلامية، د. جميل المصري، ١٩٣.

(٢) انظر البداية النهاية، ابن كثير، ٢/ ١٤٢، وانظر السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، ٢/ ٤٦٧، وانظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي أحمد، ٥٤٣، انظر تاريخ الدعوة الإسلامية، د. جميل المصري، ٢٠.

ولكني سمعت رسول الله يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾[١]، فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود، فقال: المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين فقال عبد الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا[٢]

أو طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ... أرشدك الله من غاز وقد رشدا

ثم إن القوم تهيأوا للخروج، فجاء عبد الله بن رواحة إلى رسول الله ﷺ، فودعه،...ثم خرج القوم وخرج رسول الله يشيعهم، حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم...ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشأم، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضمت إليه المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبهراء وبلي في مائة ألف منهم، عليهم رجل من بلي، ثم أحد إراشة يقال له مالك بن رافلة، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ونخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا برجال وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له، فشجع الناس عبد الله بن رواحة، وقال: يا قوم والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون، الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة، فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة.

فمضى الناس،حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء، لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة، فالتقى الناس عندها، فتعبأ لهم المسلمون؛ فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بني عذرة

(١) مريم: ٧١.

(٢) ذات فرغ: أي ضربة مجهزة. تقذف الزبدا: أي الدم المتفجر.

يقال له قطبة بن قتادة، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عباية بن مالك، ثم التقى الناس، واقتتلوا، فقاتل زيد ابن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم[1]، ثم أخذها جعفر بن أبي طالب، فقاتل بها، حتى إذا ألحمه القتال، اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها[2]، ثم قاتل القوم حتى قتل، فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام فرسه.

ثم ساق بسنده إلى يحيى بن عباد عن أبيه قال: حدثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مرة بن عوف وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل فلما قتل جعفر أخذ الراية عبد الله بن رواحة ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... لتنزلن أو لتكرهنهْ
إن أجلب الناس وشدوا الرنةْ[3] ... مالي أراك تكرهين الجنةْ
قد طالما قد كنت مطمئنةْ ... هل أنت إلا نطفة من شنةْ[4]

وقال أيضا:

يا نفس إلا تقتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت ... إن تفعلي فعلهما هديت

يريد صاحبيه زيدا وجعفرا، ثم نزل، فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق من لحم، فقال: شد

(١) شاط في رماح القوم: أي غرزت فيه فسال دمه ومات.

(٢) اقتحم عن فرسه: أي نزل عنها.

(٣) اجلبوا وشدوا الرنة: أي صاحوا وأصدروا أصواتا تشبه البكاء، وشدوا الصيحة إلى الحرب.

(٤) من شنة: أي من ماء.

بها صلبك، فإنك قد لقيت أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده فانتهس منه نهسة، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس[1]، فقال: وأنت في الدنيا؟ ثم ألقاه من يده، وأخذ سيفه، فتقدم فقاتل حتى قتل، فأخذ الراية ثابت بن أرقم أخو بني عجلان، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس.

ولما انصرف القوم قال رسول الله ﷺ فيما بلغني: (أخذ الراية زيد ابن حارثة فقاتل حتى قتل شهيدا، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا)، ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: (ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا)، ثم قال: (لقد رفعوا إلى في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازْورارا عن سريري صاحبيه، فقلت: عم هذا؟ فقيل لي: مضيا وتردد عبد الله بعض التردد، ثم مضى)...

فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير، قال: فلما دنوا من حول المدينة، تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون، ولقيهم الصبيان يشتدون، ورسول الله مقبل مع القوم على دابة، فقال: (خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر)، فأُتي بعبد الله ابن جعفر، فأخذه فحمله بين يديه، قال: وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون: يا فُرار فررتم في سبيل الله!! فيقول رسول الله: (ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله)[2].

(١) ثم سمع الحطمة في ناحية الناس: أي أنه سمع صياح القتال.

(٢) مختصر سيرة ابن هشام، ٤٦٨، بتصرف يسير، وله شواهد تؤيده في الصحيحين وغيرهما.

وقد أخرج البخاري رحمه الله وغيره شواهد كثيرة تثبت صحة خبر هذه الغزوة، ومنها ما أخرجه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ: (إن قتل زيد فجعفر وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة). قال عبد الله: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده، بضعا وتسعين من طعنة ورمية)(١).

وأخرج البخاري أيضا من حديث ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره، يعني في ظهره)(٢).

وأخرج البخاري أيضا من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ نعى زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: (أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم)(٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، حديث رقم ٤٢٦١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، حديث رقم ٤٢٦٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، حديث رقم ٤٢٦٢. وقال الإمام ابن حجر رحمه الله: (وفي حديث في حديث أبي قتادة ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد، ولم يكن من الأمراء وهو أمير نفسه، ثم قال رسول الله ﷺ: (اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت تنصره) فمن يومئذ سمى سيف الله. وفي حديث عبد الله بن جعفر: (ثم أخذها سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليهم) وتقدم حديث الباب في الجهاد -من صحيح البخاري- من وجه آخر عن أيوب: (فأخذها خالد بن الوليد من غير إمرة) والمراد: نفي كونه كان منصوصا عليه، وإلا فقد ثبت أنهم اتفقوا عليه وزاد فيه: (وما يسرهم أنهم عندنا) أي لما رأوا من فضل الشهادة).

ثم قال رحمه الله: واختلف أهل النقل في المراد بقوله: (حتى فتح الله عليه)، هل كان هناك قتال فيه هزيمة للمشركين؟ أو المراد بالفتح انحيازه بالمسلمين حتى رجعوا سالمين؟ ففي رواية بن إسحاق عن محمد بن جعفر عن عروة: (فحاش خالد الناس ودافع وانحاز وانحيز عنه ثم انصرف بالناس) وهذا يدل على الأول، ويؤيده =

وأخرج البخاري أيضا من حديث خالد بن الوليد أن قال: (لقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وصبرت في يدي صفيحة لي يمانية)[1].

وأخرج الإمام أحمد -وغيره- في مسنده ما يؤكد مباشرة المسلمين القتال قبل الانسحاب من ساحة المعركة، من حديث عوف بن مالك الأشجعي قال: خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مؤتة، ورافقني مددي من اليمن ليس معه غير سيفه، فنحر رجل من المسلمين جزورا، فسأله المددي طائفة من جلده فأعطاه إياه، فاتخذه كهيئة الدرق، ومضينا، فلقينا جموع الروم، وفيهم رجل على فرس له أشقر،

ما تقدم من بلاغ سعيد بن أبي هلال في الحديث الأول.

وذكر ابن سعد عن أبي عامر: أن المسلمين انهزموا لما قتل عبد الله بن رواحة، حتى لم أر اثنين جميعا، ثم اجتمعوا على خالد.

وعند الواقدي من طريق عبد الله بن الحارث بن فضيل عن أبيه قال: (لما أصبح خالد بن الوليد جعل مقدمته ساقة وميمنته ميسرة، فأنكر العدو حالهم، وقالوا جاءهم مدد، فرعبوا وانكشفوا منهزمين).

وعنده من حديث جابر قال: (أصيب بمؤتة ناس من المشركين، وغنم المسلمون بعض أمتعة المشركين).

وفي مغازي أبي الأسود عن عروة: (فحمل خالد على الروم فهزمهم)، وهذا يدل على الثاني، أو يمكن الجمع، بأن يكونوا هزموا جانبا من المشركين، وخشي خالد أن يتكاثر الكفار عليهم، فقد قيل إنهم كانوا أكثر من مائة ألف، فانحاز بهم حتى رجع بهم إلى المدينة) وهذا السند وإن كان ضعيفا من جهة الانقطاع، والآخر من جهة بن لهيعة الراوي عن أبي الأسود، وكذلك الواقدي، فقد وقع في المغازي لموسى بن عقبة وهي أصح المغازي. كما تقدم ما نصه: (ثم أخذه، يعني اللواء، عبد الله بن رواحة، فقتل، ثم اصطلح المسلمون على خالد بن الوليد، فهزم الله العدو وأظهر المسلمين، قال العماد ابن كثير: يمكن الجمع: بأن خالدا لما حاز المسلمين وبات ثم أصبح وقد غير هيئة العسكر كما تقدم، وتوهم العدو أنهم قد جاء لهم مدد، حمل عليهم خالد حينئذ، فولوا فلم يتبعهم، ورأى الرجوع بالمسلمين هي الغنيمة الكبرى).

ثم وجدت في مغازي بن عائذ بسند منقطع: (أن خالدا لما أخذ الراية قاتلهم قتالا شديدا، حتى انحاز الفريقان عن غير هزيمة، وقفل المسلمون، فمروا على طريقهم بقرية بها حصن كانوا في ذهابهم قتلوا من المسلمين رجلا، فحاصروهم حتى فتح الله عليهم عنوة، وقتل خالد بن الوليد مقاتلتهم، فسمى ذلك المكان نقيع الدم إلى اليوم). فتح الباري، ٧/ ٥٨٦، عند شرحه للحديث.

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، حديث رقم ٤٢٦٦.

عليه سرج مذهب، وسلاح مذهب، فجعل الرومي يفري بالمسلمين، وقعد له المددي خلف صخرة، فمر به الرومي، فعرقب فرسه، فخر، وعلاه فقتله وحاز فرسه وسلاحه. فلما فتح الله للمسلمين، بعث إليه خالد بن الوليد، فأخذ منه السلب، قال عوف: فأتيته فقلت: يا خالد أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل؟ قال: بلى، ولكني استكثرته، قلت: لتردنه إليه أو لأعرفنكها عند رسول الله ﷺ، وأبى أن يرد عليه، قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ، وقصصت عليه قصة المددي، وما فعله خالد، فقال رسول الله ﷺ: (يا خالد ما حملك على ما صنعت؟) قال: يا رسول الله استكثرته، فقال رسول الله ﷺ: (يا خالد رد عليه ما أخذت منه)، قال عوف: فقال: دونك يا خالد ألم أف لك؟ فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ فأخبرته، فغضب رسول الله ﷺ وقال: يا خالد لا ترده عليه، هل أنتم تاركون لي أمرائي؟ لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره)[1].

وأهم ما يتعلق بالمبحث -غير ما ذكر- في هذه الغزوة ما يلي:

١- رسوخ عقيدة الجهاد في نفوس الصحابة، وجرأتهم على القتال وشجاعتهم، فقد كانت غزوة مؤتة أول معركة ضد النصارى، ولم يجربوا قتالا معهم من قبل، وكانوا أكثر منهم عددا حتى قيل أنهم مئة ألف مقاتل، ومع ذلك أقدموا على القتال، لأنهم كانوا يطلبون الموت أكثر من طلبهم للحياة، فهم بين حُسنيين: النصر من عند الله تعالى، أو الشهادة في سبيل الله تعالى.

٢- كمال تسليم الصحابة واعتقادهم الجازم بنصر الله تعالى، وتمسكهم بما قاله لهم رسول الله ﷺ عند إصابة قائدهم، ومخالفتهم لعادة كل الجيوش من الهزيمة في

(١) مسند الإمام أحمد، ٦/ ٢٧، حديث رقم ٢٤٠٤٣. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل، حديث رقم ١٧٥٣. وأبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في السبي يعطى القاتل، حديث رقم ٢٧١٧. وصححه الألباني.

حالة قتل قادتها، ولكن بالرغم من قتل الثلاثة الذين ولّاهم رسول الله ﷺ، فإن جيش المسلمين ثبت بعد أن أصابته هنة ثم تمالك المسلمون أنفسهم وأسلموا القيادة لخالد بن الوليد، الذي فتح الله على يديه، وأطلق عليه رسول الله ﷺ لقب سيف الله، بالرغم أنه كان في هدنة الحديبية قائد خيالة المشركين، ولم يمر على إسلامه سوى خمسة أشهر، فقد أسلم في صفر سنة ثمان من الهجرة، ومؤتة في جمادى الأولى[1].

٣- بالرغم من انسحاب جيش المسلمين من المعركة قبل تحقيق نصر حاسم على النصارى، إلا أنه قد أنزل بهم هزيمة في المعركة وحقق فتحا، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، وأن الفرار الذي حصل من بعض الصحابة، كان من أجل طلب المدد من المدينة، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: (.. وموسى بن عقبة والواقدي مصرحان بأنهم هزموا جموع الروم والعرب الذين معهم، وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعا: (ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه) رواه البخاري[2]، وهذا هو الذي رجحه ومال إليه الحافظ البيهقي بعد حكاية القولين لما ذكر من الحديث. قال ابن كثير: قلت: ويمكن الجمع بين قول ابن إسحاق، وبين قول الباقين، وهو: (إن خالدًا لما أخذ الراية حاش بالقوم المسلمين حتى خلصهم من أيدي الكافرين من الروم والمستعربة فلما أصبح وحول الجيش ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة، كما ذكره الواقدي توهم الروم أن ذلك عن مدد جاء إلى المسلمين فلما حمل عليهم خالد هزموهم بإذن الله والله أعلم. قال ابن كثير: وقد قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر عن عروة

---

(١) انظر فقه السيرة النبوية، منير الغضبان، ٥٤٦، وانظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مهدي أحمد، ٥٤٨، وانظر السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، ٢/ ٤٦٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، حديث رقم ٤٢٦٢.

قال: لما أقبل أصحاب مؤتة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون معه، قال: ولقيهم الصبيان يشتدون، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة فقال: (خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر)، فأتي بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه، فجعلوا يحثون عليهم التراب، ويقولون: يا فرار فررتم في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: (ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله عز وجل) وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة. وعندي أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق فظن أن هذا الجمهور الجيش، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ للمسلمين وهو على المنبر في قوله: (ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه فما كان المسلمون ليسمونهم فرارا بعد ذلك، وإنما تلقوهم إكراما وإعظاما، وإنما كان التأنيب وحثي التراب للذين فروا وتركوهم هنالك وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما)[1]. وساق رحمه الله أدلة كثيرة على أن جمهور المسلمين لم يفروا بل فرت

---

(١) البداية والنهاية ٤/ ١٩٨. وأخرج الإمام الترمذي – وغيره –خبر من فر من المعركة من حديث عبدالله ابن عمر أنه قال: (بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فحاص الناس حيصة فقدمنا المدينة فأختبأنا بها وقلنا هلكنا ثم أتينا رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال: (بل أنتم العكارون وأنا فئتكم). قال أبو عيسى –الترمذي–: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن أبي زياد، ومعنى قوله: فحاص الناس حيصة، يعني: أنهم فروا من القتال، ومعنى قوله: (بل أنتم العكارون) والعكار: الذي يفر إلى إمامه لينصره ليس يريد الفرار من الزحف). سنن الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الفرار من الزحف، حديث رقم ١٧٧٠، دار الفكر، بيروت، ط الثانية، وضعفه الألباني، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمر، حديث رقم ٥٣٨٤، وضعفه شعيب الأرنؤوط، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب التولي يوم الزحف، حديث رقم ٢٦٤٧، وقال ابن القيم في عون المعبود بعد أن شرح الحديث: وابن أبي زياد تكلم فيه غير واحد من الأئمة. ٧/ ٢٢١. وأخرجه غيرهم من الأئمة، ومعنى قوله: (فئتكم) الفئة: الجماعة من الناس في الأصل، والطائفة: التي تقوم وراء الجيش، فإن كان عليهم خوف أو هزيمة التجأوا إليه. عون المعبود، ابن القيم، ٧/ ٢٢١، دار الكتب العلمية، بيروت.

مجموعة منهم وانسحبوا من أرض المعركة ظنا منهم أنه أجدى من القتال ليطلبوا مددا من الرسول ﷺ لنجدتهم، ولذلك أطلق عليهم الرسول ﷺ لقب العكارون، أي الذين فروا إلى إمامهم لينصرهم لا أنهم يريدون الفرار من الزحف.

٤- كان لمؤتة نتائج باهرة تمثلت في عدد القتلى في صفوف المسلمين الذي لم يتجاوز إثنا عشر شهيدا، بالرغم من كثرة عدد جيش العدو، بالإضافة إلى إعجاب القبائل العربية بالإسلام، وبشجاعة المسلمين، فأسلم بعض زعمائهم من أمثال فروة بن عمرو الجذامي عامل الروم على من يليهم من العرب[١]، وكان منزله منطقة "معان" وما حولها من أرض الشام، كما دخلت سليم وعلى رأسها العباس بن مرداس الإسلام[٢]، وغطفان وأشجع فازداد الإسلام عزة ومنعة، ووجدت الدعوة الإسلامية مجالا جديدا رحبا انطلق فيه الدعاة يفتحون النفوس والقلوب[٣].

٥- مما تأصل من عقائد في نفوس الصحابة، أن شهداء مؤتة نالوا أجرا عظيما عند الله، جعلهم لا يحبون الرجوع إلى الدنيا مرة أخرى، كما أخرج البخاري رحمه الله من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمرة ففتح الله عليه، فما يسرني -أو قال: ما يسرهم- أنهم عندنا، وقال: وإن عينيه لتذرفان)[٤].

(١) انظر سيرة ابن هشام، ٤/ ٢٠١.

(٢) انظر البداية والنهاية، ابن كثير ٥/ ٢٣٩.

(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية، د. جميل المصري، ٢٠٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من تأمّر في الحرب من غير إمرة إذا خاف العدو، حديث رقم ٣٠٦٣.

سابعا: غزوة فتح مكة: في رمضان من لسنة الثامنة للهجرة:

نقضت قريش عهدها مع رسول الله ﷺ، وأعانت بني بكر على خزاعة بالمال والسلاح والرجال، وكان من بنود الصلح أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد ﷺ دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش دخل، فدخلت خزاعة في عقد المسلمين، ودخلت بنو بكر في عقد قريش، وظنت قريش أن المسلمين لن يعلموا بخبر نصرتهم لحليفه، واستنجدت خزاعة بالنبي ﷺ وأنشد منشدهم عمرو بن سالم شعرا يحث النبي ﷺ، فأجابه: (نصرت يا عمرو بن سالم، فما برح حتى مرت سحابة، فقال ﷺ: (إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب)[1]، وأرسل إلى قريش يخيرهم بين دفع دية قتلى خزاعة، أو البراءة من حلف بكر، أو الحرب، فاختارت قريش الحرب، ظنا منها أن جيش المسلمين جيش ضعيف، بعدما جاءتهم أخبار سرية مؤتة وما حدث فيها، ثم تشاورت قريش فيما بينها وعلمت أنها قد ارتكبت حماقة وخطأ فادحا وندمت على اختيارها للحرب، وذلك بعد أن جاءتهم أخبار سرايا المسلمين بعد مؤتة، والتي منها سرية ذات السلاسل التي أدَّب فيها المسلمون قبائل قضاعة التي أرادت غزو المدينة بعد مؤتة بمدة يسيرة، فغزوهم ولكنهم فروا من أمام المسلمين، وحاولت قريش استدراك الأمر مع النبي ﷺ، فأرسلت حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، وكان آخرهم أبا سفيان إلى المدينة لتجديد المعاهدة، وعندما جاء إلى المدينة لم يتصل بالرسول ﷺ مباشرة، بل ذهب إلى أبي بكر ثم عمر ثم فاطمة، ثم علي رضي الله عنهم، فردوه جميعا، فعاد إلى مكة خائبا[2].

(١) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن لذاته، ورجاله رجال الصحيح ما عدا ابن إسحاق فهو مدلس وقد صرح بالتحديث، مختصر سيرة ابن هشام، ٤٧٤. وللحديث عدة روايات انظر حاشية السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي أحمد، ٥٥٧.

(٢) انظر تاريخ الدعوة الإسلامية، د. جميل المصري، ٢٠٧، وانظر فقه السيرة النبوية، منير الغضبان، ٥٥٩، وانظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مهدي أحمد، ٥٥٧، وانظر السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، ٤٧٣.

وأمر رسول الله صلى عليه وسلم بتجهيز ولم يخبر أحدًا بالوجهة التي سيتجهون إليها، ثم أعلمهم بعد ذلك بأنها مكة، وأمرهم بالجد والتهيؤ وسأل الله تعالى أن يخفي عن قريش أمر هذا الجيش، واستنفر ﷺ القبائل المجاورة للمدينة، فمنهم من جاءه وهو بالمدينة ومنهم من لحق به في الطريق إلى مكة، حتى بلغ جيش المسلمين عشرة آلاف مقاتل، ولم يتخلف أحد من المهاجرين والأنصار(١).

ثم تجمعت جيوش المسلمين بمر الظهران بين مكة والمدينة، ولم تكن الأنباء قد وصلت قريشا بعد، ولكنهم كانوا يتوقعون أمرًا بسبب فشل مفاوضاتهم مع المسلمين، وأرسلت قريش من يتحسس خبر هذا الجيش الكبير، وكان منهم أبو سفيان الذي هاله الأمر وكان سببا في إسلامه، فخرج من عند المسلمين إلى مكة محذرا إياهم من هذا الجيش، وحاثا لهم بقبول ما جاء به النبي ﷺ، فكان ذلك من أهم أسباب يأس من أراد مقاومة جيش المسلمين من مشركي قريش، ولم يبق ممن له شأن في قريش عازم على القتال عزما أكيدا إلا النزر اليسير؛ ولذلك لما دخلت جيوش المسلمين إلى مكة لم تلق بأسا شديد سوى بعض المناوشات التي قضى عليها الجيش المسلم مباشرة(٢).

وأخرج البخاري خبر فتح مكة من حديث هشام ابن عروة أنه قال: (لما سار النبي ﷺ عام الفتح، فبلغ ذلك قريشا، خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران، فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة، فقال أبو سفيان: ما هذه؟ لكأنها نيران عرفة، فقال بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو، فقال أبو سفيان: عمرو أقل من ذلك، فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم، فأَتَوْا بهم رسولَ الله ﷺ، فأسلم أبو سفيان، فلما سار قال للعباس: (احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين). فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ، تمر كتيبةً كتيبةً على أبي

---

(١) انظر المراجع السابقة.

(٢) انظر المراجع السابقة.

سفيان، فمرت كتيبة، قال: يا عباس، من هذه؟ قال: هذه غفار، قال: مالي ولغفار، ثم مرت جهينة، قال مثل ذلك، ثم مرت سعد بن هذيم، فقال مثل ذلك، ومرت سليم فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية، فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة(١) اليوم تستحل الكعبة. فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذمار(٢). ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب، فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه، وراية النبي ﷺ مع الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان، قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال: (ما قال). قال كذا وكذا فقال: (كذب سعد(٣) ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، يوم تكسى فيه الكعبة). قال: وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون. قال عروة: وأخبرني نافع بن جبير بن مطعم، قال: سمعت العباس يقول للزبير بن العوام: يا أبا عبد الله ها هنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية؟ قال: وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء، ودخل النبي ﷺ من كداء، فقتل من خيل الوليد رضي الله عنه يومئذ رجلان حبيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهري)(٤).

وقد أخرج البخاري رحمه الله خبر حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه الذي أراد أن يخبر قريشا بأمر غزو المسلمين، فأطلع الله تعالى نبيه بذلك فبعث من جاء بالكتاب الذي أرسله إليهم، وذلك من حديث علي رضي الله عنه أنه قال: (بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة(٥)معها كتاب فخذوه

---

(١) الملحمة: أي المقتلة العظمى. قاله ابن حجر في الفتح، ٧/ ٦٠١.

(٢) يوم الذمار: أي يوم الهلاك. المصدر السابق.

(٣) كذب سعد: أي أخطأ. المصدر السابق.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، حديث رقم ٤٢٨٠. وجاء زيادات في روايات كثيرة منه ما جاء في مصف عبدالرزاق، كتاب المغازي، غزوة الفتح، ٥/ ٣٧٤، حديث رقم ٩٧٣٩.

(٥) الظعينة: هي المرأة التي على سفر.

منها). قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها[1]، فأتينا رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (يا حاطب ما هذا؟). قال: يا رسول الله، لا تعجل عليّ إني كنت امرءا ملصقا في قريش -يقول: كنت حليفا ولم أكن من أنفسها- وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: (أما إنه قد صدقكم). فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: (إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدرا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم). فأنزل الله السورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ -إلى قوله ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾[2].

وأخرج مسلم في صحيحه خبر دخول جيش المسلمين مكة من حديث أبي هريرة أنه قال: (ألا أعلمكم بحديث من حديثكم؟ يا معشر الأنصار، ثم ذكر فتح مكة، فقال: أقبل رسول الله ﷺ حتى قدم مكة، فبعث الزبير على إحدى المجنبتين[3]، وبعث خالدا على المجنبة الأخرى، وبعث أبا عبيدة على الحسر، فأخذوا بطن الوادي، ورسول الله ﷺ في كتيبة، قال: فنظر فرآني فقال: (أبو هريرة)، قلت: لبيك يا رسول الله، فقال: (لا يأتيني إلا

---

(١) عقاصها: أي من جدائل شعرها.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح وما بعث به حاطب بن أبي بلتعةَ إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي ﷺ، حديث رقم ٤٢٧٤. وتمام الآية: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٧ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٨ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا﴾ الممتحنة:١.

(٣) المجنبتين: هما الميمنة والميسرة ويكون بينهما الوسط أو القلب.

أنصاري)، زاد غير شيبان، فقال: (اهتف لي بالأنصار)، قال: فأطافوا به، ووبشت قريش أوباشا لها وأتباعا[(١)]، فقالوا: نقدم هؤلاء فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا، فقال رسول الله ﷺ: (ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم) ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى ثم قال: (حتى توافوني بالصفا) قال: فانطلقنا فما شاء أحد منا أن يقتل أحدا إلا قتله، وما أحد منهم يوجه إلينا شيئا، قال: فجاء أبو سفيان، فقال: يا رسول الله: أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم[(٢)]، ثم قال: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن)، فقالت الأنصار بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته، قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا، فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحي، فلما انقضى الوحي، قال رسول الله ﷺ: (يا معشر الأنصار)، قالوا: لبيك يا رسول الله، قال: (قلتم أما الرجل فأدركته رغبة في قريته) قالوا: قد كان ذاك، قال: (كلا إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم والممات مماتكم)، فأقبلوا إليه يبكون، ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله وبرسوله، فقال رسول الله ﷺ: (إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم)، قال: فأقبل الناس إلى دار أبي سفيان، وأغلق الناس أبوابهم، قال: وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل إلى الحجر فاستلمه، ثم طاف بالبيت، قال: فأتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه، قال: وفي يد رسول الله ﷺ قوس وهو آخذ بسية القوس[(٣)]، فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل)، فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت ورفع يديه فجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو)[(٤)].

---

(١) وبشت قريش أوباشا: أي جمعت جموعا من قبائل شتى.

(٢) أبيحت خضراء قريش: أي استؤصلت قريش بالقتل وأفنيت، وخضراؤهم: أي جماعتهم، قاله النووي، ١٢/٣٦٩.

(٣) بسية القوس: أي بطرفها المنحني.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، حديث رقم ٨٤- ١٧٨٠.

وجاءت رواية أخرى عند مسلم فيها زيادة، من حديث أبي هريرة أيضا أنه قال: (كنا مع رسول الله ﷺ يوم الفتح، فجعل خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى، وجعل الزبير على المجنبة اليسرى، وجعل أبا عبيدة على البياذقة[1] وبطن الوادي، فقال: (يا أبا هريرة ادع لي الأنصار)، فدعوتهم، فجاءوا يهرولون، فقال: (يا معشر الأنصار هل ترون أوباش قريش ؟) قالوا: نعم، قال: (انظروا إذا لقيتموهم غدا أن تحصدوهم حصدا)[2]، وأخفى بيده ووضع يمينه على شماله، وقال: (موعدكم الصفا)، قال: فما أشرف يومئذ لهم أحد إلا أناموه[3]، قال: وصعد رسول الله ﷺ الصفا، وجاءت الأنصار فأطافوا بالصفا، فجاء أبو سفيان، فقال: يا رسول الله أبيدت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، قال أبو سفيان: قال رسول الله ﷺ: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن)، فقالت الأنصار: أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ورغبة في قريته، ونزل الوحي على رسول الله ﷺ قال: (قلتم أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ورغبة في قريته، ألا فما اسمي إذا؟ (ثلاث مرات) أنا محمد عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، فالمحيا محياكم والممات مماتكم) قالوا: والله ما قلنا إلا ضنا بالله ورسوله، قال: (فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم)[4].

وأهم ما يتعلق بالمبحث -غير ما ذكر- من هذه الغزوة ما يلي:

١- كان أهم آثار فتح مكة وظهور النبي ﷺ على قريش، هو دخول الناس في دين الله أفواجا، فقد كانت العرب تنتظر ما يؤول إليه أمر الصراع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش لتتبع الصادق فيهما، كما أخرج البخاري من حديث عمرو بن

(١) البياذقة: أي الراجلة من الجيش.

(٢) تحصدوهم حصدا: أي من أظهر من كفار مكة قتالا ولم يعتبر بالأمان الذي أعطاهم إياه رسول الله ﷺ. انظر شرح النووي ١٢/ ٣٧٢.

(٣) أناموه: أي قتلوه.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، حديث رقم ٨٦- ١٧٨٠.

سلمة أن قال: (كنا بماء ممر الناس، وكان يمر بنا الركبان، فنسألهم ما للناس ما للناس؟ ما هذا الرجل؟ فيقولون: يزعم أن الله أرسله أوحى إليه، أو أوحى الله بكذا، فكنت أحفظ ذلك الكلام وكأنما يقرُّ في صدري. وكانت العرب تلوّمُ بإسلامهم الفتح[1]، فيقولون: اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر أبي قومي بإسلامهم[2]، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقا، فقال: (صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرآنا)، فنظروا، فلم يكن أحد أكثر قرآنا مني لما كنت أتلقى من الركبان، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت علي بردة، كنت إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تغطون عنا است قارئكم؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصا فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص)[3].

٢- ومن أهم ما استقر في نفوس الصحابة من عقائد بعد فتح مكة، أنه لا مبايعة على الهجرة في سبيل الله بعده، ولكن البيعة تكون على الجهاد في سبيل الله، كما أخرج البخاري من حديث مجاشع بن مسعود أنه قال: (انطلقت بأبي معبد إلى النبي ﷺ ليبايعه على الهجرة، قال: (مضت الهجرة لأهلها، أبايعه على الإسلام والجهاد)[4]. وأخرج البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن مجاهدا قال له: (إني أريد أن أهاجر إلى الشأم، قال: لا هجرة ولكن جهاد، فانطلق

(١) تلوّمُ بإسلامهم الفتح: أي تنتظر حتى تفتح مكة فيسلموا.

(٢) بدر أبي قومي إسلامهم: أي سبق أبي قومنا بالإسلام.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، حديث رقم ٤٣٠٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، حديثان رقم ٤٣٠٧-٤٣٠٨.

فاعرض نفسك، فإن وجدت شيئا وإلا رجعت. وقال النضر: أخبرنا شعبة أخبرنا أبو بشر سمعت مجاهدا قلت لابن عمر، فقال: لا هجرة اليوم أو بعد رسول الله ﷺ – مثله)[1].

٣- وأخرج البخاري حال رسول الله ﷺ عند دخوله مكة فاتحا لها منتصرا على أعدائه، من حديث عبد الله بن مغفل أنه قال: (رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجع وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجع)[2]. وأزال ﷺ الأصنام من حول الكعبة، والأزلام، وأخبر أن آباءه إبراهيم وإسماعيل لم يستقسما بها أبدا، كما أخرج الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود قال: (دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصبا –وفي رواية عند مسلم(صنما)–، فجعل يطعنها بعود كان بيده ويقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[3] ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ﴾[4][5] –وعند مسلم: زاد ابن أبي عمر يوم الفتح–. وأخرج البخاري أيضا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها، فأخرجت فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلام فقال النبي ﷺ: (قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط). ثم دخل البيت فكبر في

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، حديث رقم ٤٣١٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، حديث رقم ٤٢٨١.

(٣) الإسراء:٨١.

(٤) سبأ: ٤٩.

(٥) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، حديث رقم ٤٢٨٧. وصحيح مسلم، كتاب المغازي باب إزالة الأصنام من حول الكعبة، حديث رقم ٨٧– ١٧٨١.

نواحي البيت وخرج ولم يصل فيه، تابعه معمر عن أيوب وقال وهيب: حدثنا أيوب عن عكرمة عن النبي ﷺ)[(١)].

٤- حرم رسول الله ﷺ مكة بعد أن فتحها، وأخبر أن الله تعالى قد أباحها له ساعة من نهار فقط، كما أخرج البخاري من حديث أبي شريح العدوي أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولا (قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: (إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، لا يحل لامرئ يؤمن الله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرا، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله فيها فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب). فقيل لأبي شريح: ماذا قال لك عمرو؟ قال: قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيذ عاصيا ولا فارا بدم ولا فارا بخربة. قال أبو عبد الله - البخاري- الخربة البلية)[(٢)]. وقد أحل الرسول ﷺ لخزاعة أن تقتص من بني بكر في اليوم الأول من الفتح حتى العصر، وذلك لأنهم أعملوا فيهم القتل بعد أن أعانهم كفار قريش، وعندما دخل العصر أمر بكف السلاح عن بني بكرة وبيّن حرمة مكة.

٥- استثنى رسول الله ﷺ من الأمان أربعة رجال وامرأتين، وأهدر دماءهم ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة بسبب شدة أذاهم للمسلمين، فقتل منهم رجلين وامرأة، وقد أخرج البخاري خبر قتل أحدهم، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح على رأسه المغفر فلما نزعه جاءه

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، حديث رقم ٤٢٨٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب، حديث رقم ٤٢٩٥.

رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال: (اقتله). قال مالك: لم يكن النبي ﷺ فيما نرى -والله أعلم- يومئذ محرما)[1].

٦- استثنى رسول الله ﷺ مكة من معاملة البلاد التي تفتح عنوة، وذلك لقدسيتها، فحرم فيها القتل والسبي، وأبقى أموال الناس في أيديهم، ولم يفرض عليهم خراجا[2].

ثامنا: غزوتا حُنين والطائف: في شوال من السنة الثامنة من الهجرة:

أغاظ قلبيتي هوازن وثقيف فتح المسلمين لمكة المكرمة، وأعادوا ترتيب جمعوهم التي جموعها قبل فتح المسلمين لمكة، وحشدوا جيشهم البالغ قرابة عشرين ألف مقاتل، وخرجوا بأموالهم ونسائهم وذراريهم حتى يكون ذلك أدعى إلى ثباتهم وشدة بأسهم في القتال، والموت دونهم، وكان قائد جيشهم ملكهم مالك بن عوف النصري، وخرجوا للقاء المسلمين في حنين، وبعث النبي ﷺ إليهم عينا فجاءه بخبرهم وعددهم وعدتهم، فاستعد لهم واستعار بعض السلاح والكراع، واستعان بعدد من المسلمين الجدد الذين أسلموا يوم فتح مكة - اصطلح على تسميتهم بالطلقاء- وقيل إنهم ألفا مقاتل خرجوا مع جيش المسلمين المكون من عشرة آلاف مقاتل، ودخل نوع من العجب على بعض المسلمين من هذا العدد، وأنهم لن يغلبوا من قلة، وكمن له جيش هوازن وثقيف بين الجبال، وبعد أن وصل جيش المسلمين تظاهروا أمامهم بالفرار ثم بعد أن ظن المسلمون بأن هزموهم، وطفق بعضهم يجمع الغنائم، فَجَأَهم جيش العدو بالهجوم عليهم بالنبال حتى تفرق جيش المسلمين، وثبت رسول الله ﷺ هو وبضع عشرات من خواصه، حتى أنزل السكينة عليه وعلى جيش المسلمين ثم أعاد ترتيب صفوف الجيش، وأعادوا الكرة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، حديث رقم ٤٢٨٦. انظر الفتح عند شرح الحديث، فقد ذكر خبرهم كاملا، وانظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ٥٦٧.

(٢) انظر زاد المعاد، ابن قيم الجوزية ٣/ ٤٣٥.

على أعدائهم وأعداء الله، فانهزموا أمامهم وفروا تاركين النساء والأطفال والأموال، وغنم المسلمون غنيمة عظيمة[1].

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه خبر غزوة حنين من حديث العباس بن عبد المطلب أنه قال: (شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار، ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض على بغلته قِبَلَ الكفار، قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (أي عباس نادِ أصحاب السمرة) فقال عباس (وكان رجلا صيتا): فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها[2]، فقالوا: يا لبيك يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار[3]، يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ: (هذا حين حمي الوطيس)[4]، قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال:

(١) انظر مختصر سيرة ابن هشام، ٤٩٥، وانظر تاريخ الطبري، ٣/ ٧١، وانظر البداية النهاية، ابن كثير، ٤/ ٣٢٢، وانظر تاريخ الدعوة الإسلامية، د. جميل المصري، ٢١٢، وانظر فقه السيرة النبوية، منير الغضبان، ٥٧٠، وانظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مهدي أحمد، ٥٨١، وانظر السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، ٢/ ٤٨٩.

(٢) (لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها) أي: عودهم لمكانتهم وإقبالهم إليه ﷺ عطفة البقر على أولادها، أي: كان فيها انجذاب مثل ما في الأمهات حين حنت على الأولاد.

(٣) (والدعوة في الأنصار) أي: الاستغاثة والمناداة إليهم.

(٤) (هذا حين حمي الوطيس) قال الإمام النووي: قال الأكثرون: (هو شبه تنور يسجر فيه ويضرب مثلا لشدة الحرب التي يشبه حرها حره، وقد قال آخرون: الوطيس هو التنور نفسه، وقال ا لأصمعي: هي حجارة

(انهزموا ورب محمد) قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا[(١)])[(٢)].

وجاءت زيادة في رواية أخرى عند الإمام مسلم أيضا أن رسول الله ﷺ قال: (انهزموا ورب الكعبة انهزموا ورب الكعبة) وزاد في الحديث حتى هزمهم الله، قال -أي العباس-: وكأني أنظر إلى النبي ﷺ يركض خلفهم على بغلته)[(٣)].

وأخرج البخاري مسلم في صحيحيهما أن رجلا قال للبراء بن عازب: أكنتم وليتم - وفي رواية (فررتم)- يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال:أشهد على نبي الله ﷺ ما ولى، ولكنه انطلق أخفاء من الناس[(٤)]، وحسر إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة، فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد، فانكشفوا[(٥)]، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ -وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته- فنزل ودعا واستنصر وهو يقول: (أنا النبي لا كذب... أنا ابن عبدالمطلب، اللهم نزل نصرك) -وفي رواية (ثم صفهم)-، قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به وإن الشجاع منا للذي يحاذى به يعني النبيﷺ)[(٦)].

=

مدورة إذا حميت لم يقدر أحد أن يطأ عليها فيقال: الآن حمي الوطيس. وقيل: هو الضرب في الحرب، وقيل: هو الحرب الذي يطيس الناس أي يدقهم. قالوا وهذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه الذي لم يسمع من أحد قبل النبي ﷺ). شرح صحيح مسلم، ١٢/ ٣٥٨.

(١) (فما زلت أرى حدهم كليلا) أي: ما زلت أرى قوتهم ضعيفة.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين حديث رقم ٧٦- ١٧٧٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب لجهاد والسير، باب في غزوة حنين حديث رقم ٧٧- ١٧٧٥.

(٤) (أخفاء الناس) أي: المسارعون المستعجلون. وفي رواية: (حسرا ليس عليهم سلاح) أي أقبلوا لجمع الغنائم بدون أسلحتهم.

(٥) (فانكشفوا) أي: انهزموا وفارقوا مواضعهم وكشفوها.

(٦) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) إلى قوله: (غفور رحيم)، حديث رقم ٤٣١٤، صحيح مسلم، كتاب لجهاد والسير، باب في غزوة حنين حديث رقم ٧٨، ٧٩- ١٧٧٦، واللفظ لمسلم.

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث سلمة بن الأكوع أنه قال: (غزونا مع رسول الله ﷺ حنينا، فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية، فاستقبلني رجل من العدو، فأرميه بسهم فتوارى عني، فلما دريت ما صنع، ونظرت إلى القوم، فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى، فالتقوا هم وصحابة النبي ﷺ، فولى صحابة النبي ﷺ، وأرجع منهزما، وعليَّ بردتان، متزرا بإحداهما مرتديا بالأخرى، فاستطلق إزاري، فجمعتهما جميعا، ومررت على رسول الله ﷺ منهزما[1]، وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله ﷺ: (لقد رأى ابن الأكوع فزعا). فلما غشوا رسول الله ﷺ، نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال: (شاهت الوجوه)[2] فما خلف الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله عز وجل، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين)[3].

وجاءت زيادة في إحدى روايات البخاري من حديث البراء أيضا أن رجلا من قيس سأله: (أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال لكن رسول الله ﷺ لم يفر كانت هوازن رماة وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وهو يقول: (أنا النبي لا كذب).قال إسرائيل وزهير: نزل النبي ﷺ عن بغلته)[4]. وقد بينت

(١) (منهزما) حال للراوي أي مررت بالنبي ﷺ حال كوني هاربا. وقال الإمام النووي رحمه الله: (قال العلماء قوله منهزما حال من ابن الأكوع كما صرح أولا بانهزامه، ولم يرد أن النبي ﷺ انهزم، ولم ينقل أحد قط أنه انهزم ﷺ في موطن من المواطن، وقد نقلوا إجماع المسلمين على أنه لا يجوز أن يعتقد انهزامه ﷺ، ولا يجوز ذلك عليه، بل كان العباس وأبو سفيان بن الحارث آخذين بلجام بغلته يكفانها عن إسراع التقدم إلى العدو وقد صرح بذلك البراء في حديثه السابق، والله أعلم). شرح مسلم. ١٢/ ٣٦٤.

(٢) (شاهت الوجوه) أي: قبحت وخابت وخسرت.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين حديث رقم ١٧٧٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) إلى قوله: (غفور رحيم)، حديث رقم ٤٣١٧.

هذه الرواية حال أخفاء الناس الذين انكبوا لجمع الغنائم، ثم ثبات النبي ﷺ ونزوله عن بغلته ليحثو في وجوه جيش العدو التراب ويدعوا عليهم.

وبعد أن أنزل الله سكينته على رسوله والمؤمنين وأيدهم بجند من عنده، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾[1].

ولم يثبت المشركون طويلا في هذه الجولة الثانية من القتال، ففروا في نهاية اليوم مخلفين وراءهم كثيرا من القتلى والأموال، وأمر رسول الله ﷺ بتعقب الفارين وجزهم لكسر شوكتهم حتى لا يجتمعوا للحرب مرة أخرى، وحبس رسول الله ﷺ الغنائم والسبي بالجعرانة ليتصرف فيها بعد الفراغ من غزو الطائف التي تحصنت فيها فلول الهاربين من هوازن وثقيف، وذهب رسول الله ﷺ بجيشه إليهم، ولكن كانت حصونهم منيعة، وطالت مدة حصارهم فآثر عليه الصلاة والسلام العودة إلى الجعرانة حيث ترك الغائم، ولم يوزع من الغنائم سوى الفضة، وانتظر بضع عشرة ليلة آملا في قدوم هوازن وثقيف ليدخلوا في الإسلام، ثم وزعها بعد ذلك على المهاجرين والطلقاء، ولم يعط الأنصار شيئا، وبعد أن فرغ النبي ﷺ من توزيع الغنائم، جاءه وفد من هوازن يعلن إسلامه، ويطلب رد الأموال والسبي إليهم، فخيرهم ﷺ بين المال والسبي، فاختاروا السبي، فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه في الأمر، فأقره الجميع بنفس طيبه وأذنوا في رد السبي ما عدا نفر قليل، فوعدهم عليه والصلاة والسلام بتعويضهم عنها[2].

---

(١) التوبة: ٢٥، ٢٦.

(٢) انظر مختصر سيرة ابن هشام، ٤٩٩، وانظر تاريخ الطبري، ٣/ ٧٤، وانظر البداية النهاية، ابن كثير، ٤/ ٣٢٣، وانظر تاريخ الدعوة الإسلامية، د. جميل المصري، ٢١٦، وانظر فقه السيرة النبوية، منير الغضبان، ٥٧٥، =

وقد أخرج البخاري رحمه الله خبر هذه القصة من حديث مروان والمسور ابن مخرمة أنهما قالا: (أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: (معي من ترون وأحب الحديث إلي أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال وقد كنت استأنيت بكم). وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا: فإنا نختار سبينا، فقام رسول الله ﷺ في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: (أما بعد فإن إخوانكم قد جاؤونا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل). فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله صلى وسلم: (إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم). فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا. هذا الذي بلغني عن سبي هوازن)[(١)].

وأهم ما يتعلق بهذا المبحث من هذه الغزوة ما يلي:

١- أراد الله تعالى تربية المسلمين على أن العدد والعدة ما هي إلا أسباب للنصر، أما النصر الحقيقي فهو من عند تعالى ولذلك بوب البخاري رحمه الله فقال: باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ إلى قوله ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[(٢)].

=

وانظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مهدي أحمد، ٥٨٤، وانظر السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، ٢/ ٤٩٠.

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) إلى قوله: (غفور رحيم)، حديث رقم ٤٣١٨، ٤٣١٩.

(٢) التوبة: ٢٥-٢٧.

٢- بيان سمو أخلاق الصحابة في قبولهم لرد السبي لهوازن بعد أن تم توزيعهن على الجيش كله، وعظمة التجربة والتربية النفسية أنها تمت بعد تملك المسلمين للسبايا. أما الأنصار فكان لهم شأن أكبر من هذا السمو الأخلاقي، فكل الناس رجعوا بالشاء والبعير وهم رجعوا برسول الله ﷺ.

تاسعا: أحاديث عامة توضح عقيدة الحرب والسلام في الإسلام:

جاءت أحاديث صحيحة كثيرة تثبت أن عقيدة الجهاد أصل أصيل في العقيدة الإسلامية، وذلك لأن الذي شرعها هو الله تعالى الذي يعلم طبائع ونفوس خلقه، وتؤكد هذه الأحاديث ما أكدته من قبل الآيات القرآنية، وهي أن الجهاد والقتال في سبيل الله هو أفضل عمل يتقرب به العبد إلى ربه، وأن أحب العباد إلى الله هم المجاهدون في سبيله، ولذلك كان ذلك فعل أفضل أنبيائه ورسله، وفيما يلي جملة من الأحاديث الصحيحة التي تثبت هذه العقيدة:

١- ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قيل يارسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: (مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله. قالوا: ثم من؟ قال: مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره)(١).

٢- وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله، لا يناله إلا أفضلهم)(٢).

---

(١) صحيح البخاري، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حديث رقم(٢٧٨٦).

(٢) المعجم الكبير، باب الصاد، صدى بن العجلان أبو أمامة، ٨/ ٢٢٣، حديث رقم ٧٨٨٥.

٣- وصح عند ابن ماجه وغيره أن رسول الله ﷺ أنه قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: (ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ الجهاد)[١].

٤- وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (سألت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: (الصلاة على ميقاتها). قلت: ثم أي؟ قال: (ثم بر الوالدين). قلت:ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله). فسكت عن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادني)[٢].

٥- وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه حدثه قال: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال دلني على عمل يعدل الجهاد قال: (لا أجده). قال: (هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر). قال: ومن يستطيع ذلك. قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات[٣]).[٤]

٦- وفي الصحيحين من حدث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حدثه قال: (قيل: يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: (مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله). قالوا: ثم من؟ قال: (مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره)[٥].

(١) صحيح سنن ابن ماجه للألباني، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم (٣٢٠٩)، صحيح سنن الترمذي للألباني، أبواب الإيمان، باب حرمة الصلاة، حديث رقم (٢١١٠)، ومسند الإمام أحمد، من حديث، معاذ بن جبل، ٥/ ٢٣٥، حديث رقم ٢٢١٠٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، حديث رقم ٢٧٨٢.

(٣) (ليستن) يمرح بنشاط من الاستنان وهو العدو. (طوله) حبله الذي يشد به من طرف ويمسك طرفه الآخر ثم يرسل في المرعى. (فيكتب له حسنات) يكتب مرحه ورعيه حسنات لصاحبه.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، حديث رقم ٢٧٨٥. ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى حديث رقم ١٨٧٨.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حديث رقم ٢٧٨٦، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة باب فضل الجهاد والرباط حديث رقم ١٨٨٨.

٧- وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول (مثل المجاهد في سبيل الله -والله أعلم بمن يجاهد في سبيله- كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة)[(١)].

وبعد، فإن المتأمل فيما سبق بيانه ليجد أمرا جليا واضحا، وهو أن محمدا رسول الله ﷺ بعث لنهج سنة ربانية هي قدر الله، كتبها وسنّها عز وجل عليه وعلى الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليه عليهم من قبله، وهي سنة التدافع بين الناس، فلم يبعث نبي من أنبياء الله عليهم السلام إلا وعودي وحورب، فعاش عليه الصلاة والسلام مجاهدا في الله حق جهاده، متدرجا في هذا الجهاد، فبدأ بالجهاد اللسان، والصبر على تحمل الأذى في سبيل تبليغ دين الله تعالى للناس، وانتهى إلى الجهاد بالسنان، لإقامة دين الله تعالى وحده لا شريك له، هذه إرادة الله تعالى، فمن أراد مخالفتها كان نصيبه الذل والصغار والهوان.

ومع أن الجهاد في سبيل الله تعالى سنة من سننه؛ إلا أن له أحكامًا وضوابط للوصول للهدف الأسمى منه، فما أهداف الجهاد في سبيل الله تعالى؟ وما حكمه؟ وهل يختلف حكمه باختلاف الزمان؟، هذا ما سيكون محور الفصل الثالث والأخير في هذه الرسالة، وهو سواد الصفحات التالية.

* * *

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حديث رقم ٢٧٨٧.

الفصل الثالث

هدف جهاد الكفار في الإسلام

الفصل الثالث

هدف جهاد الكفار في الإسلام

من خلال ما سبق بيانه في الفصلين الماضيين من إثبات رسوخ عقيدة الجهاد بمعنى القتال في سبيل الله ومجالدة الكفار، يظهر أن هدف الجهاد الأسمى في الإسلام هو منع الكفار والمشركين عن صدهم تبليغ دين الله تعالى للعالمين، وحتى تكون الغلبة والقوة والظهور في أرض الله تعالى لدين الله تعالى، ولا يغلب ولا يقوى ولا يظهر في الأرض دين الكفار المشركين، فيكون عند ذلك الدين كله لله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[2]، والفتنة هي الشرك بالله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾[3].

وقول النبي ﷺ في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله، إلا بحقه، وحسابه على الله)[4].

ولفهم حقيقة أهداف الجهاد في الشريعة الإسلامية وحكمه لا بد أن ننطلق من ثلاثة أصول أساسية:

---

(١) البقرة: ١٩٣.

(٢) الأنفال: ٣٩.

(٣) التوبة: ٢٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله، حديث ٢٩٤٦، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، حديث رقم ٢١.

الأصل الأول:

أن الله تعالى قدر سنة التدافع بين الناس لتمكين دين الله في الأرض، فالجهاد هو سنة التدافع بين الأمم من بعد أن كتبه الله تعالى على نبيه موسى عليه السلام؛ ليدخل الأرض المقدسة مع بني إسرائيل، ويبعد من أراد منعهم من الجبارين ومخالفة أمر الله تعالى[1].

الأصل الثاني:

أن هذه السنة الربانية في الأمم هي التي مضت وتحققت في أمة محمد ﷺ، والله تعالى الحكيم العليم، يعلم من نفوس البشر وطبائعهم أن أكثرهم لا يؤمنون، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾[2]، ولذلك فإن من دعا إلى الله لا بد وأن يمنع من نشر هذه الدعوة، وعند ذلك تكون المدافعة بين الحق والباطل، بموجب هذه السنة والإرادة الإلهية، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾[3]، وكما في حديث ورقة ابن نوفل -المتقدم- للنبي ﷺ عندما قال له رسول الله ﷺ: (أومخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي)[4]. فهي إذن سنة ماضية بين الأمم، ولن ترفع عن هذه الحياة الدنيا حتى يفصل الله تعالى بين الناس يوم القيامة.

---

(١) وأما سنة الله في التدافع بين الناس من قبل موسى، فكانت تدافع دون القتال من الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين، وكان الله تعالى يتولى الدفاع عن أوليائه، ويعذب أعداءه بعد إقامة الحجة عليهم. انظر مبحث سنة الله في التدافع بين الناس وحكمتها.

(٢) يوسف : ١٠٣.

(٣) إبراهيم : ١٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم ٢، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث ١٦٠.

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾(١): "فذكر تعالى أنه أنزل الكتاب والميزان، وأنه أنزل الحديد لأجل القيام بالقسط، وليعلم الله من ينصره ورسله، ولهذا كان قوام الدين بكتاب يهدي وسيف ينصر، وكفى بربك هاديا ونصيرا"(٢).

ويقول الدكتور عبدالله القادري: "فما دام في الأرض مسلمون (ولا بد أن يكونوا) وما دام في الأرض كافرون (ولا بد كذلك أن يكونوا) فلا بد من وجود الصراع بين المسلمين والكافرين لتباين طبيعة الإسلام والكفر، فالإسلام يُصرُّ على تحرير الناس من عبادة كل ما سوى الله وتعبيدهم له وحده، والكفر يُصرُّ على بقاء الناس في الظلمات، بل على إخراجهم من النور إلى الظلمات وتعبيدهم لأرباب متفرقين من دون الله: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾(٣)، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾(٤).

والواقع يؤيد إصرار أعداء الله على صد الناس عن دين الله، وغدرهم بالمسلمين، وعدم الوفاء بعهودهم لهم، وأنه لا يجدي في تقويمهم إلا القضاء على رؤوس الفتنة من

---

(١) الحديد: ٢٥.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٠/ ١٣.

(٣) البقرة: ٢٥٧.

(٤) البقرة : ٢١٧.

قادتهم، وإذلالهم بالجهاد في سبيل الله، وهو أمر دائم ما دام في الأرض كفر وإسلام. ولهذا كانت آخر مرحلة من مراحل الجهاد -في عهد النبي ﷺ- صريحة صارمة لا تقبل تأويلا ولا تحريفا، كما قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾(1) "(2).

ويقول الدكتور علي العلياني: "إن للجهاد حكما بالغة وأهدافا جليلة، لأن الذي شرعه هو العليم الخبير، فما دام أن الآمر به هو الحكيم فالحكمة والمصلحة ثابتة فيه قطعا، وتلمُّس حكمة الجهاد لا يتوقف القيام به على معرفتها عند المسلم الصادق، فإن مقتضى العبودية أن ينفذ العبد أمر سيده، عرف حكمته أو لم يعرف، ولكن معرفة الحكمة تقوي العزائم، وتشحذ الهمم، وتيسر أمر التكاليف على المكلفين، ونحو ذلك من الفوائد والمصالح، ولنرجع إلى ما أمرنا الله بالرجوع إليه (الكتاب والسنة) نأخذ منهما أهداف الجهاد وغاياته. الهدف الرئيسي هو تعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية

(1) التوبة: ٧- ١٥.

(2) الجهاد في سبيل الله حقيقته وغاياته، د. عبد الله القادري، ١٠٨، دار المنارة، جدة، ط الثانية.

للعباد، إلى العبودية لرب العباد، وإزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعا، وإخلاء العالم من الفساد؛ وذلك لأن خضوع البشر لبشر مثلهم وتقديم أنواع العبادة لهم من الدعاء والنذر والذبح والتعظيم والتشريع والتحاكم هو أساس فساد الأجيال المتعاقبة من لدن نوح عليه السلام إلى يومنا هذا، وهو انحراف بالفطرة السوية عما خلقها الله عليه من التوحيد، كما قال ﷺ عن الله -عز وجل- أنه قال: (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا)[1]. فهدف الجهاد الأكبر هو إرجاع البشر إلى الأصل، وهو الملة الحنيفية التي تخضعهم لرب العالمين، وتجعلهم يستمدون منه سبحانه منهج حياتهم الدنيا، ويعبدونه كما أمر ولا يعبدون أحدا غيره، وهذا الخضوع لله هو الذي يحقق لهم السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة"[2].

الأصل الثالث:

وهو مع رسوخ عقيدة الجهاد في الشريعة الإسلامية، إلا أنها شريعة تحكمها ضوابط محددة، هي مقتضى حكمة الله تعالى الذي شرع هذا القتال، فإذا تحقق مقصود الجهاد، وجب على المسلمين وقف القتال، سواء أكان القتال مع أهل الكتاب أم مع غيرهم، كما حقق ذلك الإمام ابن تيمية رحمه الله ، ونقل الإجماع على أن أهل الكتاب والمجوس إذا أدوا الجزية عن يد وهم صاغرون حرم قتالهم[3].

وأما عن بقية الأمم فقد اختلف علماء المسلمين في وقف قتالهم مقابل أخذ الجزية

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم ٢٨٦٥.

(٢) أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الفرق الضالة فيه، د. علي العلياني، ١٥٨، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة.

(٣) قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم، ابن تيمية، ت عبدالعزيز آل حمد، ٩٢، ط الأولى. وانظر الجهاد و القتال في السياسة الشرعية، د. محمد خير هيكل، ٣/ ١٤٥١.

منهم، وقد نقل الإمام ابن تيمية أيضا هذا الخلاف، فقال رحمه الله: "وتنازع العلماء في سائر الكفار على ثلاثة أقوال فقيل: جميعهم يقاتلون بعد ذلك حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون إذا لم يسلموا. وهذا قول مالك. وقيل: يُسْتَثْنَى من ذلك مشركو العرب. وهو قول أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين عنه. وقيل: ذلك مخصوص بأهل الكتاب ومن له شبهة كتاب. وهو قول الشافعي وأحمد في رواية أخرى عنه.

ثم فصل في المسألة بالجمع بين القولين فقال رحمه الله: "والقول الأول والثاني متفقان في المعنى، فإن آية الجزية لم تنزل إلا بعد فراغ النبي ﷺ من قتال مشركي العرب، فإن آخر غزواته للعرب كانت غزوة الطائف، وكانت بعد حنين، وحنين بعد فتح مكة، وكل ذلك سنة ثمانٍ، وفي السنة التاسعة غزا النصارى عام تبوك، وفيها نزلت سورة براءة، وفيها أمر بالقتال حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون"(١).

وحرر القول أيضا في موضع آخر فقال: "فالذين نقاتلهم لحرابهم متى آتوا الجزية عن يد وهم صاغرون لم يجز قتالهم إذا كانوا أهل كتاب أو مجوسا باتفاق العلماء، وإن كانوا من مشركي الترك والهند ونحوهم، فأكثر العلماء لا يجوزون قتالهم حينئذ، وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة والأوزاعي وأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه، وهي المنصوصة عنه صريحا، والأخرى ما ذكره الخرقي وغيره"(٢).

وأوضح الإمام ابن تيمية رحمه الله -في نص طويل- حدود قتال الكفار تحديدا دقيقا أيضا فقال: "العقوبات التي جاءت بها الشريعة لمن عصى الله ورسوله نوعان:

أحدهما: عقوبة المقدر عليه من الواحد والعدد كما تقدم.

---

(١) منهاج السنة النبوية، ت د. محمد سالم، ٨/ ٥١٤، ط الأولى، مؤسسة قرطبة.

(٢) قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحرير قتلهم لمجرد كفرهم، ابن تيمية، ت د عبدالعزيز آل حمد، ١٢٥، ط. الأولى.

والثاني: عقاب الطائفة الممتنعة كالتي لا يقدر عليها إلا بقتال فاصل، وهذا هو جهاد الكفار أعداء الله ورسوله، فكل من بلغته دعوة رسول الله ﷺ إلى دين الله الذي بعثه به فلم يستجب له فإنه يجب قتاله ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾(١)، وكان الله -تعالى- لما بعث نبيه وأمره بدعوة الخلق إلى دينه لم يأذن له في قتل أحد على ذلك، ولا قتاله حتى هاجر إلى المدينة فإذن له وللمسلمين بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾(٢).

ثم إنه بعد ذلك أوجب عليهم القتال بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾(٣).

وأكد الإيجاب وعظم أمر الجهاد في عامة السور المدنية وذم التاركين له ووصفهم بالنفاق ومرض القلوب فقال تعالى: ﴿ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ

(١) الأنفال: ٣٩.

(٢) الحج: ٣٩-٤١.

(٣) البقرة: ٢١٦.

(٤) التوبة : ٢٤.

وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾[2].

وهذا كثير في القرآن وكذلك تعظيمه وتعظيم أهله في سورة الصف التي يقوم فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[3].

وكقوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[4].

---

(١) الحجرات: ١٥.

(٢) محمد: ٢٠-٢٢.

(٣) الصف: ١٠-١٣.

(٤) التوبة ١٩-٢٢.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[2].

فذكر ما يولده عن أعمالهم، وما يباشرونه من الأعمال والأمر بالجهاد، وذكر فضائله في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصر، ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان، وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة، ومن الصلاة التطوع، والصوم التطوع.كما دل عليه الكتاب والسنة، حتى قال النبيﷺ: (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد)[3]. وقال: (إن في الجنة مائة درجة ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله) متفق عليه[4]. وقال: (من اغبر قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار) رواه البخاري[5]. وقال ﷺ: (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه

---

(١) المائدة :٥٤.

(٢) التوبة: ١٢٠-١٢١.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه للألباني، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم (٣٢٠٩)، صحيح سنن الترمذي للألباني، أبواب الإيمان، باب حرمة الصلاة، حديث رقم (٢١١٠)، ومسند الإمام أحمد، من حديث، معاذ بن جبل، ٥/ ٢٣٥، حديث رقم ٢٢١٠٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، حديث رقم ٢٧٩٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله، حديث رقم ٢٨١١.

وإن مات أجرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان) رواه مسلم[1].

وفي السنن: (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل)[2]. وقال ﷺ: (عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله) قال الترمذي حديث حسن[3]. وفي مسند الإمام أحمد: (حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها)[4]. وفي الصحيحين: (أن رجلا قال: يا رسول الله أخبرني بشيء يعدل الجهاد في سبيل الله، قال: لا تستطيع، قال: أخبرني، قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم لا تفطر وتقوم لا تفتر؟ قال: لا، قال: فذلك الذي يعدل الجهاد)[5]. وفي السنن أنه ﷺ قال: (إن لكل أمة سياحة وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله)[6]. وهذا باب واسع لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه فهو ظاهر عند الاعتبار فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين الدنيا ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة،... وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن منع هذا، قوتل باتفاق المسلمين، وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصبيان والراهب والشيخ

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل، حديث رقم ١٦٣ - ١٩١٣.

(٢) سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب فضل المرابط، حديث رقم ١٦٦٧، وسنن النسائي، كتاب الجهاد، باب فضل الرباط، حديث رقم ٣١٦٩، وحسنه الألباني.

(٣) سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب فضل الحرس في سبيل الله، حديث رقم ١٦٣٩، وصححه الألباني.

(٤) مسند الإمام أحمد من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، حديث رقم ٤٣٣، وقال شعيب الأرنؤوط حسن وهذا ضعيف الإسناد.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، حديث رقم ٢٧٨٥. ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى حديث رقم ١٨٧٨.

(٦) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب النهي عن السياحة، حديث رقم ٢٤٦٨، وحسنه الألباني.

الكبير والأعمى والزمن ونحوهم فلا يقتل عند جمهور العلماء، إلا أن يقاتل بقوله أو فعله، وإن كان بعضهم يرى إباحة قتل الجميع لمجرد الكفر، إلا النساء والصبيان لكونهم مالا للمسلمين، والأول هو الصواب لأن القتال هو لمن يقاتلنا إذا أردنا إظهار دين الله كما قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾[1]. وفي السنن عنه ﷺ: (أنه مر على امرأة مقتولة في بعض مغازيه قد وقف عليها الناس فقال: ما كانت هذه لتقاتل وقال لأحدهم: الحق خالدا فقل له: لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا)[2]. وفيها أيضا عنه ﷺ أنه كان يقول: (لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة)[3]. وذلك أن الله تعالى أباح من قتل النفوس ما يحتاج إليه في صلاح الخلق، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾[4] أي أن القتل وإن كان فيه شر وفساد؛ ففي فتنة الكفار من الشر والفساد ما هو أكبر منه، فمن لم يمنع المسلمين من إقامة دين الله؛ لم تكن مضرة كفره إلا على نفسه، ولهذا قال الفقهاء: إن الداعية إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة يعاقب بما لا يعاقب به الساكت، ولهذا أوجبت الشريعة قتل الكفار ولم توجب قتل المقدور عليهم منهم، بل إذا أسر الرجل منهم في القتال أو غير القتال، مثل أن تلقيه السفينة إلينا، أو يضل الطريق، أو يؤخذ بحيلة، فإنه يفعل فيه الإمام الأصلح من قتله، أو استعباده، أو المن عليه، أو مفاداته بمال، أو نفس عند أكثر الفقهاء، كما دل عليه الكتاب والسنة، وإن كان من الفقهاء من يرى المن عليه ومفاداته منسوخا.

(١) البقرة: ١٩٠.

(٢) سنن النسائي الكبرى، كتاب السير، باب قتل العسيف، حديث رقم ٨٦٢٧، ومسند الإمام أحمد، من حديث رباح بن الربيع رضي الله عنه، حديث رقم ١٦٠٣٥، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب دعاء المشركين، حديث رقم ٢٦١٤. وضعفه الألباني. وله شواهد تقويه منها ما جاء في مصنف إبن أبي شيبة، كتاب السير، باب من ينهى عن قتله في دار الحرب، حديث رقم ٣٣١٨.

(٤) البقرة: ٢١٧.

فأما أهل الكتاب والمجوس فيقتلون حتى يستسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ومن سواهم فقد اختلف الفقهاء في أخذ الجزية منهم، إلا أن عامتهم لا يأخذونها من العرب، وأيما طائفة ممتنعة انتسبت إلى الإسلام، وامتنعت من بعض شرائعه الظاهرة المتواترة، فإنه يجب جهادها باتفاق المسلمين حتى يكون الدين كله لله، كما قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه وسائر الصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة، (وكان قد توقف في قتالهم بعض الصحابة) ثم اتفقوا، حتى قال عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله عنهما: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) فقال له أبو بكر: فإن الزكاة من حقها والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق)[1] ، وقد ثبت عنه ﷺ من وجوه كثيرة أنه أمر بقتال الخوارج "[2].

ويقول رحمه الله: (ثم قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[3]. والفتنة أن يفتن المسلم عن دينه، كما كان المشركون يفتنون من أسلم عن دينه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[4]، وهذا إنما يكون إذا اعتدوا على المسلمين، وكان لهم سلطان وحينئذ يجب قتالهم، حتى لا تكون فتنة، حتى لا يفتنوا مسلما، وهذا يحصل بعجزهم عن القتال،

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله، حديث ٢٩٤٦، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، حديث رقم ٢١.

(٢) السياسية الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية، ١٥٩، دار المعرفة.

(٣) البقرة: ١٩٣.

(٤) البقرة: ١٩١.

ولم يقل وقاتلوهم حتى يسلموا، وقوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾. وهذا يحصل إذا ظهرت كلمة الإسلام، وكان حكم الله ورسوله غالبا، فإنه قد صار الدين لله. ويدل على ذلك: أننا إذا قاتلنا أهل الكتاب، فإنا نقاتلهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، وهذا المقصود يحصل إذا أدوا الجزية عن يد وكانوا صاغرين، وقول النبي ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله، إلا بحقه، وحسابه على الله)[(١)]. هو ذكر للغاية التي يباح قتالهم إليها، بحيث إذا فعلوها حرم قتالهم، والمعنى: أني لم أؤمر بالقتال إلا إلى هذه الغاية. ليس المراد: أني أمرت أن أقاتل كل أحد إلى هذه الغاية، فإنه خلاف النص والإجماع، فإنه لم يفعل هذا قط، بل كانت سيرته أن من سالمه لم يقاتله، وقد ثبت هذا بالنص والإجماع: أن أهل الكتاب والمجوس إذا أدوا الجزية عن يد وهم صاغرون، حرم قتالهم"[(٢)].

ويقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: "القتل إنما وجب في مقابلة الحراب لا في مقابلة الكفر، ولذلك لا يقتل النساء، ولا الصبيان، ولا الزمني والعميان، ولا الرهبان الذين لا يقاتلون، بل نقاتل من حاربنا، وهذه كانت سيرة رسول الله في أهل الأرض، كان يقاتل من حاربه إلى أن يدخل في دينه أو يهادنه، أو يدخل تحت قهره بالجزية، وبهذا كان يأمر سراياه وجيوشه إذا حاربوا أعداءهم كما تقدم من حديث بريدة، فإذا ترك الكفار محاربة أهل الإسلام، وسالموهم وبذلوا لهم الجزية عن يد وهم صاغرون، كان في ذلك مصلحة لأهل الإسلام وللمشركين، أما مصلحة أهل الإسلام فما يأخذونه من المال الذي يكون

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله، حديث ٢٩٤٦، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، حديث رقم ٢١.

(٢) قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم، ابن تيمية، ت عبدالعزيز آل حمد، ٩٢، ط. الأولى.

قوة للإسلام مع صغار الكفر وإذلاله، وذلك أنفع لهم من ترك الكفار بلا جزية، وأما مصلحة أهل الشرك، فما في بقائهم من رجاء إسلامهم إذا شاهدوا أعلام الإسلام وبراهينه أو بلغتهم أخباره فلا بد أن يدخل في الإسلام بعضهم، وهذا أحب إلى الله من قتلهم، والمقصود إنما هو أن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله، وليس في إبقائهم بالجزية ما يناقض هذا المعنى، كما أن إبقاء أهل الكتاب بالجزية بين ظهور المسلمين لا ينافي كون كلمة الله هي العليا، وكون الدين كله لله، فإن من كون الدين كله لله إذلال الكفر وأهله وصغاره، وضرب الجزية على رؤوس أهله، والرق على رقابهم، فهذا من دين الله، ولا يناقض هذا إلا ترك الكفار على عزهم وإقامة دينهم كما يحبون بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة، والله أعلم"[(١)].

وقد اخرج الإمام مسلم في صحيحه ما يؤيد ما ذهب إليه علماء المسلمين من حديث بريدة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أمر أمير على جيش أو سرية أوصاه خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال: (اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم

(١) أحكام أهل الذمة، ١/ ١١٠، ت يوسف البكري، شاكر العاروري، رمادي للنشر، بيروت، ط. الأولى.

ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا)[(1)].

وعليه فيحمل قول من قال من سلف الأمة رحمهم الله تعالى بأن الأصل في جهاد الكفار أنه جهاد طلب، أو أنه جهاد دفع، على النظر في حقيقة فعل الجهاد، وهو كونه إما طلبا لعدو أو دفعا له، وهذا ليس له علاقة بحكم الجهاد أصلا من حيث إنه سنة سنها الله تعالى ليتدافع الناس بها، وهي الصراع بين الحق والباطل، حتى يصل هذا الصراع إلى أن يتجرأ أهل الباطل على الله تعالى، ثم عند ذلك ينصر الله عز وجل رسله والذين آمنوا.

فقد قدر الله تعالى أن يدعوا الأنبياء عليهم السلام أهل الأرض إلى توحيده تعالى في العبادة، ثم يواجهون من يصدهم عن هذا البلاغ، ثم يحق القول على من لم يستجب لداعي الله تعالى ويدخل في الدين الحق، فيعذبه الله تعالى بعذاب من عنده، كما كان في الأمم من قبل موسى عليه السلام، أو بأيدي المؤمنين من المجاهدين كما كان من بعد موسى عليه السلام -كما هو ظاهر النصوص-.

حكم الجهاد -القتال- في سبيل الله باعتباره سنة إلهية كونية:

وأما حكم الجهاد في سبيل الله الذي يتعلق بهذا الفصل وهو باعتباره سنة الله تعالى في الكون، فهو سنة ماضية بين الأمم، إلى أن تقوم الساعة ويرث الله الأرض ومن عليها، فلن يتوقف الجهاد في سبيل؛ حتى تتوقف الحياة في الأرض، وحتى ينتهي الابتلاء الذي كتبه الله على الأحياء، فيرتفع الخير والشر والحق والباطل من الأرض، فيقبض الوارث عز وجل الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ

(١) صحيح مسلم. كتاب المغازي، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو غيرها، حديث رقم ١٧٣١.

يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[١].

ويفصل بين الخلائق الذين خلقهم في هذه الحياة الدنيا ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾[٢].

والأدلة على بقاء الجهاد حتى قيام الساعة كثيرة منها:

١- ما أخرجه الإمام أحمد وغيره من حديث سلمة بن نفيل الكندي رضي الله عنه، أنه قال: (كنت جالسا عند رسول الله ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله، أذال الناس الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد قد وضعت الحرب أوزارها، فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال: كذبوا، الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يوحي إلي أني مقبوض غير ملبث، وأنتم تتبعوني أفنادا يضرب بعضكم رقاب بعض، وعقر دار المؤمنين الشام)[٣].

٢- وأخرج أبو داود في سننه من حديث عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال)[٤].

(١) الزمر: ٦٧.

(٢) الحج: ١٧.

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، حديث رقم ١٧٠٠٦، وصحح الأرنؤوط سنده. وسنن النسائي، كتاب الخيل، حديث رقم ٣٥٦١، واللفظ له، وصححه الألباني. وابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب إخباره ﷺ، عما يكون في أمته من الفتن والحوادث. حديث رقم ٦٧٧٧، وصححه الأرنؤوط.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب دوام الجهاد، حديث رقم ٢٤٨٤ وصححه الألباني.

٣- وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبدالله أن قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة) قال: (فينزل عيسى ابن مريم ﷺ، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض، أمراء تكرمة الله هذه الأمة)[١].

٤- وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة)[٢].

٥- وفي صحيح مسلم من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة)[٣].

٦- وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله)[٤].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ، حديث رقم ١٥٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قول النبي ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، حديث رقم ١٧٣-١٩٢٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قول النبي ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، حديث رقم ١٠٣٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود، حديث رقم ٢٩٢٦، وصحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، حديث رقم ٢٩٢٢. والمراد قوله: (لا تقوم الساعة) تأكيد أن هذا الأمر واقع لا محالة، وربما كان قريبا، وليس المراد أنه من علامات قيام الساعة والساعة القيامة وزلازلها.

٧- وأخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق[١]، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصادفوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدا فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته)[٢].

٨- وأخرج الإمام مسلم عن يسير بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيري إلا: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة[٣]. قال: فقعد وكان متكئا، فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة. ثم قال بيده هكذا، (ونحاها نحو الشام). فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام. قلت: الروم تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة، فيشترط المسلمون شُرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون، حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم

(١) (بالأعماق أو بدابق): موضعان بالشام بقرب حلب.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح القسطنطينية، وخروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، حديث رقم ٢٨٩٧.

(٣) (ليس له هجيري إلا يا عبد الله بن مسعود قامت الساعة): أي شأنه ودأبه أن ينادي تبن مسعود.

يشترط المسلمون شرطة للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع، نهد إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدُبرة عليهم، فيقتلون مقتلة (إما قال: لا يرى مثلها وإما قال: لم ير مثلها) حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتا، فيتعاد بنو الأب، كانوا مائة، فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح؟ أو أي ميراث يقاسم؟ فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ: إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم، ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ -أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ- قال ابن أبي شيبة في روايته عن أسير بن جابر)[1].

٩- وأخرج الإمام مسلم من حديث جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، قال: فأتى النبي ﷺ قوم من قبل المغرب عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أكمة، فإنهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعد، قال: فقالت لي نفسي ائتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه، قال: ثم قلت: لعله نُجِّيَ معهم، فأتيتهم، فقمت بينهم وبينه، قال: فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي، قال: (تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، حديث رقم ٢٨٩٩.

فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله)، قال: فقال نافع: يا جابر لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم)[1].

١٠- وأخرج أبو داود من حديث جبير بن نفير رضي الله عنه أنه سئل عن الهدنة مع الروم عن الهدنة فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ستصالحون الروم صلحا آمنا فتغزون أنتم وهم عدوا من ورائكم فتنصرون وتغنمون وتسلمون ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج (المرج الموضع ترعى فيه الدواب) ذي تلول فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول غلب الصليب فيغضب رجل من المسلمين فيدقه فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة)[2].

ولو ذهبت أحصى النصوص الصحيحة الصريحة في إثبات عقيدة الجهاد في الإسلام لشق ذلك الأمر من كثرة هذه النصوص.

حكم الجهاد بالنسبة للمكلفين من المسلمين:

لا شك أن لمثل النصوص السالفة حكم يتعلق بالمكلفين من المسلمين، باعتبار مباشره الجهاد في سبيل الله.

ولعلماء المسلمين ثلاثة أقوال في حكم الجهاد باعتبار تعلقه بالمكلفين بالمسلمين:

القول الأول:

أنه فرض كفاية على المسلمين، فإن قامت طائفة منهم بهذا الفرض قياما كافيا سقط عن الباقين، وإن لم تَكْفِ هذه الطائفة وجب على المسلمين أن يُخرجوا من يكفي، ولو لم يكف إلا جميع المسلمين وجب عليهم جميعا، ويأثمون كلهم بتركه، ويصبح في هذه الحال فرض عين على كل مكلف منهم، وعلى هذا القول عامة المذاهب وجمهور علماء المسلمين.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال. حديث رقم٢٩٠٠.

(٢) سنن أبي داود، كتابا الملاحم، باب ما يذكر من ملاحم الروم، حديث رقم ٤٢٩٢، وصححه الألباني.

قال عالم المذهب الحنفي السرخسي رحمه الله: "ثم فريضة الجهاد على نوعين:

أحدهما: عين على كل من يقوى عليه بقدر طاقته، وهو ما إذا كان النفير عاما، قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[2].

ونوع هو: فرض على الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين لحصول المقصود، وهو كسر شوكة المشركين وإعزاز الدين"[3].

وقال محمد أمين بن عابدين رحمه الله في حاشيته: "هو فرض كفاية: كل ما فرض لغيره فهو فرض كفاية، إذا حصل المقصود بالبعض، وإلا ففرض"[4].

وفي البداية: "الجهاد فرض على الكفاية، إذا قام به فريق من الناس سقط عن الباقين"[5].

وفي الحاشية: "الجهاد فريضة محكمة وقضية محترمة، يكفر جاحدها، ويضلل عاندها"[6].

---

(١) التوبة :٤١.

(٢) التوية :٣٨-٣٩.

(٣) المبسوط، السرخسي، ١٠ / ٣.

(٤) حاشية رد المحتار، ابن عابدين، ٤/ ١٢٢.

(٥) شرح فتح القدير، محمد عبدالواحد ابن الهمام الحنفي ، ٥/ ٤٣٦.

(٦) المرجع السابق.

وقال الكاساني رحمه الله: "فإن لم يكن النفير عاما فهو فرض كفاية، ومعناه أن يفترض على الجميع من هو من أهل الجهاد، لكن إذا قام به البعض سقط عن الباقين"[(١)].

وقال في الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك: "الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله كل سنة، كإقامة الموسم بعرفة والبيت وبقية المشاهد.. فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي"[(٢)].

وقال ابن عبد البر رحمه الله: "والقسم الثاني من واجب الجهاد، فرض أيضا، على الإمام إغزاء طائفة إلى العدو كل سنة مرة، يخرج معهم بنفسه أو يُخرج من يثق به، ليدعوهم إلى الإسلام، ويرغبهم، ويكف أذاهم، ويظهر دين الله عليهم، ويقاتلهم حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية، فإن أعطوها قبلها منهم، وإن أبوا قاتلهم وفرض على الناس بأموالهم وأنفسهم الخروج المذكور، حتى يعلم أن في الخارجين من فيه كفاية بالعدو وقيام به، فإذا كان ذلك سقط الفرض عن الباقين وكان الفضل للقائمين على القاعدين أجرا عظيما، وليس عليهم أن ينفروا كافة"[(٣)].

وقال في المنهاج للشافعية: "الجهاد في عهد رسول الله ﷺ فرض كفاية، وقيل فرض عين"[(٤)].

وقال النووي رحمه الله: "وأما اليوم فهو ضربان:

أحدهما: أن يكون الكفار مستقرين في بلدانهم، فهو فرض كفاية، فإن امتنع الجميع منه أثموا، وهل يعمهم الإثم أم يختص بالذين يدنون إليه؟ وجهان، قلت -أي النووي-: الأصح أنه يأثم كل من لا عذر له كما سيأتي بيان الأعذار إن شاء الله تعالى والله أعلم. وإن قام من فيه كفاية سقط عن الباقين، وتحصل الكفاية بشيئين:

(١) بدائع الصنائع، ٩/ ٤٢٩٩.

(٢) الشرح الصغير، ٢/ ٢٦٧.

(٣) الكافي في فقه المدينة المالكي، ١/ ٤٦٣.

(٤) حواشي تحفة المحتاج على المنهاج، ٩/ ٢١٢.

أحدهما: أن يشحن الإمام الثغور بجماعة يكافئون من بإزائهم من الكفار، وينبغي أن يُحتاط بأحكام الحصون وحفر الخنادق ونحوهما، ويُرتب في كل ناحية أميرًا كافيا يقلده الجهاد وأمور المسلمين.

الثاني: أن يدخل الإمام دار الكفر غازيا بنفسه، أو بجيش يؤمر عليهم من يصلح لذلك، وأقله مرة واحدة في كل سنة، فإن زاد فهو أفضل، ويستحب أن يبدأ بقتال من يلي دار الإسلام من الكفار، فإن كان الخوف من الأبعدين أكثر بدأ بهم، ولا يجوز إخلاء سنة عن جهاد إلا لضرورة"[(١)].

وقال ابن قدامة الحنبلي رحمه الله: "والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقط عن الباقين، معنى فرض الكفاية إن لم يقم به من يكفي أَثِم الناس كلهم، وإن قام به من يكفي سقط عن سائر الناس، فالخطاب في ابتدائه يتناول الجميع كفرض الأعيان، ثم يختلفان في أن فرض الكفاية يسقط بفعل بعض الناس له، وفرض الأعيان لا يسقط عن أحد بفعل غيره"[(٢)].

وقال مصطفى السيوطي رحمه الله: "وشرعا: قتال الكفار، وهو فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط وجوبه عن غيرهم، وإلا أثم الناس كلهم"[(٣)].

وقال ابن حزم رحمه الله: "والجهاد فرض على المسلمين، فإذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم في عقر دارهم ويحمي ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقين، وإلا فلا، قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[(٤)].

---

(١) روضة الطالبين، النووي١٠ / ٢٠٨.

(٢) المغني، ابن قدامة، ١٣/ ٦.

(٣) مطالب أولي النهى، ٢/ ٤٩٧، نقلا عن الجهاد في سبيل الله حقيقته وغاياته، د. عبد الله القادري، ١/ ٥٦.

(٤) المحلى، ٢/ ٤٩٧. والآية، التوبة: ٤١.

ونقل ابن رشد رحمه الله الإجماع على أن الجهاد فرض كفاية فقال: "فأما حكم هذه الوظيفة، فأجمع العلماء عل أنها فرض على الكفاية، لا فرض عين، إلا عبد الله بن الحسين فإنه قال إنها تطوع"[1].

وتبين هذه الأقوال اتفاق المذاهب الأربعة، وغيرها على أن الجهاد في سبيل الله فرض كفاية، إذا قامت به طائفة من المسلمين سقط عن الباقين وإلا أثموا جميعا.

واستدل من قال بهذا القول بأدلة من القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وعمل السلف الصالح والقياس الصحيح.

فأما القرآن والسنة، فإن استدلالهم يأتي من وجهين:

الوجه الأول: النصوص العامة الآمرة بالجهاد، والمحذرة عن تركه المتوعدة على ذلك بالعذاب والذل، ومن هذه النصوص:

قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾[2].

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[3]. ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[4].

---

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ١/ ٣٩٦.

(٢) التوبة: ٥.

(٣) البقرة: ٢١٦.

(٤) البقرة: ١٩٠-١٩٣.

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾[1]. ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾[3].

وأما الأحاديث فكثيرة جدا منها ما سبق ذكره ومنها أيضا:

ففي سنن الإمام أحمد وغيره، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)[4].

وفي صحيح مسلم أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق)[5].

فقال أصحاب هذا القول: إن هذه النصوص واضحة في أن الجهاد فرض يأثم المسلمون بتركه، لأنها وردت بصيغ لا تحتمل إلا ذلك، كصيغة الأمر في قوله تعالى:

(١) التوبة: ٢٩.

(٢) التوبة: ٣٦.

(٣) التوبة : ٣٨-٣٩.

(٤) مسند الإمام أحمد، ما أسند لأنس بن مالك رضي الله، حديث رقم ١٢٢٦٨، وقال شعيب الأرنؤوط، صحيح على شرط مسلم، وسنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، حديث رقم ٢٥٠٤، وصححه الألباني.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو، حديث رقم ١٩١٠.

﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1]، ﴿وَقَـٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2]. ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[3]. ﴿فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾[4]. والكفار لا يكفون عن قتال المسلمين إلا لضعف طارئ عليهم، ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[5].

وصيغة التوبيخ والوعيد، كما في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأَخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[6]. ووجه الاستدلال بهذه النصوص أمر لا يجوز الجدال فيه.

أما **الوجه الثاني** من الاستدلال بالقرآن والسنة لهذا القول، فهو أن هذه النصوص العامة الدالة على فرض الجهاد على المسلمين وردت بإزائها نصوص أخرى من القرآن والسنة أيضا تدل على أن هذا الوجوب ليس عينا وإنما هو فرض على الكفاية.

ومن هذه النصوص في القرآن الكريم:

قول الله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[7].

---

(١) التوبة :٥.

(٢) البقرة : ١٩٠.

(٣) البقرة : ١٩١.

(٤) البقرة : ١٩١.

(٥) البقرة : ١٩٣.

(٦) التوبة : ٣٨-٣٩.

(٧) التوبة :١٢٢.

وجه الدلالة منها وجهان:

الوجه الأول: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ أي ما صح ذلك وما استقام أن يهُبَّ جميع أفراد المؤمنين القادرين على الجهاد والغزو، لما في ذلك من ضياع من وراءهم من العيال، ومن ترك السعي للرزق وحرث الأرض وعمارتها التي لا يتم الجهاد إلا بها، وبقاء من يتفقه في الدين ليعلم الناس العلم ليقوم دين الله تعالى في الأرض كما أراده الله تعالى.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "وفيه ست مسائل: الأولى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ وهي أن الجهاد ليس على الأعيان، وأنه فرض كفاية كما تقدم؛ إذ لو نفر الكل لضاع من وراءهم من العيال، فليخرج فريق منهم للجهاد وليقم فريق يتفقهون في الدين"[1].

وقال السرخسي رحمه الله: "ونوع هو فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين لحصول المقصود، وهو كسر شوكة المشركين وإعزاز الدين؛ لأنه لو جعل فرضا في كل وقت على كل واحد عاد موضوعه بالنقض، والمقصود أن يأمن المسلمون ويتمكنوا من القيام بمصالح دينهم ودنياهم، فإذا انشغل الكل بالجهاد لم يتفرغوا للقيام بمصالح دنياهم، فلذلك قلنا: إذا قام البعض سقط عن الباقين"[2].

والوجه الثاني: قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[3]. فإنه ظاهر بأن الله تعالى كما نفى أن ينفر المسلمون كافة في أول الآية؛ حض في آخرها على أن ينفر من كل جماعة من المسلمين

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٤/ ٢٠٩.

(٢) المبسوط، ١٠/ ٣.

(٣) التوبة :١٢٢.

طائفة لتقوم الطائفة النافرة بفض الجهاد الذي يسقط عن الباقية، وتقوم الباقية بالمصالح التي لا بد منها، وإلا تعطل الجهاد وعاد على موضوعه بالنقض كما قال السرخسي رحمه الله.

وقوله تعالى:﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾[١]، ووجه الدلالة من الآية أن الله تعالى فضل المجاهدين على القاعدين بدون عذر، ووعدهم جميعا الحسنى، فالقاعد عن الجهاد بدون عذر لا يأثم إذا قام به غيره وكفى، ولم يُستنفر ذلك القاعد".

قال الفخر الرازي: "وكلا وعد الله الحسنى"، أي وكلا من القاعدين والمجاهدين فقد وعده الله الحسنى، قال الفقهاء: فيه دليل على أن فرض الجهاد على الكفاية، وليس على كل أحد بعينه، لأنه تعالى وعد القاعدين الحسنى كما وعد المجاهدين، ولو كان الجهاد واجبا على التعيين لما كان القاعد أهلا لوعد الله تعالى إياه الحسنى[٢].

وقال ابن قدامة بعد أن استدل بالآية: "وهذا يدل على أن القاعدين غير آثمين مع جهاد غيرهم"[٣].

وقال الكاساني بعد أ ن استدل بالآية: "وعد الله عز وجل المجاهدين والقاعدين الحسنى، ولو كان الجهاد فرض عين في الأحوال كلها لما وعد القاعدين الحسنى، لأن القعود يكون حراما"[٤].

---

(١) النساء : ٩٥.

(٢) التفسير الكبير، ١١/ ٩.

(٣) المغني، ٩/ ١٩٦.

(٤) بدائع الصنائع، ٩/ ٤٣٠٠.

وقال في المهذب: "وهو فرض على الكفاية إذا قام به من فيه كفاية سقط الفرض عن الباقين، لقوله عز وجل: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾، ولو كان فرضا على الجميع لما فاضل الله بين من فعل وبين من ترك، ولأنه وعد الجميع بالحسنى، فدل على أنه ليس بفرض على الجميع"[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[2]، والجهاد قمة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية وليسا فرض عين.

قال السرخسي رحمه الله: "فأما بيان المعاملة مع المشركين فنقول الواجب دعاؤهم إلى الدين وقتال الممتنعين منهم من الإجابة؛ لأن صفة هذه الأمة في الكتب المنزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبها كانوا خير الأمم، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية[3]. ورأس المعروف الإيمان بالله تعالى، فعلى كل مؤمن أن يكون آمرا به داعيا إليه، وأصل المنكر الشرك، فهو أعظم ما يكون من الجهل والعناد لما فيه من إنكار الحق من غير تأويل فعلى كل مؤمن أن ينهى عنه بما يقدر عليه"[4].

وأما السنة فإن دلالتها على أن الجهاد فرض كفاية وليس فرض عين من وجهين:

الأول: في قول النبي ﷺ كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعث بعثا إلي بني لحيان من هذيل، فقال: (لينبعث من كل رجلين أحدهما، والأجر

(١) تكملة المجموع، محمد العقبي، ١٨/ ٤٧.

(٢) آل عمران : ١٠٤.

(٣) آل عمران :١١٠.

(٤) المبسوط، ١٠/ ٢.

بينهما) وفي رواية: (ليخرج من كل رجلين رجل) ثم قال للقاعد: (أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير، كان له مثل نصف أجر الخارج)[١].

فالحديث صريح في أن الجهاد ليس فرضا على الأعيان، وإلا لما قال ﷺ: (لينبعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما) ثم إنه أشار ﷺ إلى أنه لا بد من وجود من يخلف الغزاة في الأهل والمال.

وفي حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلفه في أهله وماله فقد غزا)[٢].

الوجه الثاني: من فعله وسيرته ﷺ، وأنه كان يخرج في الغزوة تارة، ويبقى تارة، ويؤمِّر غيره على الغزوة أو السرية، ولم يكن يُخرج جميع أصحابه، بل بعضهم، إلا أن يكون الأمر يستدعي النفير العام كما في غزوة تبوك. وهذا دليل على أن الجهاد لم يكن فرض عين، وإنما فرض كفاية، كما في حديث بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميرا على جيش، أو سرية وصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: (اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله... الحديث)[٣].

قال ابن قدامة: "ولأن رسول الله ﷺ، كان يبعث السرايا، ويقيم هو وسائر أصحابه"[٤].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب أو غيره وخلافته في أهله، حديث رقم ١٨٩٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب أو غيره وخلافته في أهله، حديث رقم ١٨٩٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث وتوصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، حديث رقم ١٧٣١.

(٤) المغني، ٩/ ١٦٩.

وقال الكاساني:"وكذا النبي عليه الصلاة والسلام كان يبعث السرايا، ولو كان فرض عين في الأحوال كلها، لكان لا يتوهم منه القعود عنه في حال، ولا أذن لغيره بالتخلف عنه بحال"(١).

أما الاحتجاج بالقياس على أن الجهاد فرض كفاية:

فإن الجهاد شرع لإعلاء كلمة الله تعالى، فإذا قامت به طائفة حتى تحقق هذا الهدف، فعلت كلمة الله وقهر أعداء الله بتلك الطائفة، فقد حصل المقصود أو الهدف الذي شرع من أجله الجهاد، فلا محل لفرضه على كل أفراد الأمة.

قال الكاساني: "ولأن ما فُرض له الجهاد وهو: الدعوة إلى الإسلام، وإعلاء الدين الحق، ودفع شر الكفرة وقهرهم يحصل بقيام البعض به"(٢).

وقال ابن الهمام: "وهو فرض على الكفاية، لأنه ما فُرض لعينه إذ هو إفساد في نفسه، وإنما فرض لإعزاز دين الله ودفع الشر عن العباد، فإذا حصل المقصود بالبعض سقط عن الباقين، كصلاة الجنازة ورد السلام"(٣).

القول الثاني: -في حكم الجهاد-:

أنه فرض عين، وهو رأي لسعيد ابن المسيب(٤)، وبه قال بعض الشافعية(٥)، وذكره ابن قدامة ورد عليه(٦)، وذكره ابن رشد عن عبدالله بن الحسن(٧).

واستدل أصحاب هذا القول بظاهر الأدلة التي فرض فيها الجهاد.

(١) بدائع الصنائع، ٩/ ٤٣٠٠.

(٢) بدائع الصنائع، ٩/ ٤٣٠٠.

(٣) فتح القدير، ابن الهمام، ٥/ ٤٣٨.

(٤) فتح القدير، ابن الهمام، ٥/ ٤٣٩.

(٥) انظر حواشي تحفة المحتاج، ٩/ ٤٣٩.

(٦) المغني، ٩/ ١٩٦.

(٧) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ١/ ٣٩٦.

القول الثالث:

أن الجهاد في سبيل الله ليس فرضا لا عينا ولا كفاية، وإنما هو مندوب فقط، ونقل عن ابن عمر وعطاء والثوري وابن شبرمه[1]، ويفهم من عبارات بعض العلماء أن هؤلاء قد يحتجون بدخول التخصيص على النصوص العامة الموجبة للجهاد، لأن النص إذا دخله التخصيص أصبح ظني الدلالة فيضعف الاحتجاج به على الوجوب فيبقى الندب، ولكن هذا الرأي ضعيف؛ لأن العام إذا دخله التخصيص عند أهل الأصول اقتصر على بعض أفراده، قال في حاشية فتح القدير: "والتخصيص المعتبر عند أهل الأصول، قصرُ العام على بعض ما يتناوله، بدليل مستقل لفظي مقارن للمعنى، وبهذا ينتفي ما نقل عن الثوري وغيره أنه ليس بفرض وأن الأمر به للندب...ونقل عن ابن عمر، ويجب حمله إن صح على أنه ليس بفرض عيني"[2].

وعلى هذا حمله الجصاص، فقال: "ومعلوم في اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خاف أهل الثغور من العدو ولم تكن فيهم مقاومة لهم، فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريهم، أن الفرض على كافة الأمة أن ينفر إليهم من يكفّ عاديهم عن المسلمين، وهذا لا خلاف فيه بين الأمة، إذ ليس من قول أحد من المسلمين إباحة القعود عنهم حتى يستبيحوا دماء المسلمين وسبي ذراريهم، ولكن موضع الخلاف بينهم؛ أنه متى كان بإزاء العدو مقاومين له ولا يخافون غلبة العدو عليهم، هل يجوز للمسلمين ترك جهادهم حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية؟ فكان من قول ابن عمر وعطاء وعمرو بن دينار وابن شبرمة أنه جائز للإمام والمسلمين ألا يغزوهم وأن يقعدوا عنهم، وقال آخرون: على الإمام والمسلمين أن يغزوهم أبدًا حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية ...)[3].

---

(١) انظر فتح القدير، ٥/ ٤٣٧، وانظر أحكام القرآن للجصاص، ٣/ ١١٤.

(٢) فتح القدير، لابن همام، ٥/ ٤٣٧.

(٣) أحكام القرآن، ٣/ ١١٤.

وإذا لم يحمل هذا القول المروي عن هؤلاء على هذا المحمل فلا وجه له، وإذا لم تكن هذه النصوص من الكتاب، والسنة، وإجماع السلف، والواقع التاريخي لسيرة الرسول ﷺ، كافية للقول بفرض الجهاد، فأي فريضة بعد ذلك تثبت بنصوص هي أقل من هذه النصوص عددًا ودلالةً؟ وينبغي أن يفهم أن هذا الخلاف هو في الجهاد بمعناه الخاص أي القتال، والراجح فيه أنه فرض كفاية كما هو قول جمهور أهل العلم المعتبرين[1].

حكم الصلح والهدنة مع الكفار:

يتخذ الفقهاء من آيات القرآن الكريم الداعية إلى السلم، ومن المعاهدات التي عقدها النبي ﷺ قاعدة وأساسا لجواز عقد الصلح بين الدولة الإسلامية والدول غير الإسلامية.

فقد أذن الله عز وجل في الصلح بين المسلمين وغيرهم كما قال تعالى: ﴿...وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ..الآية ﴿٩٢﴾﴾[2]، وكما قال تعالى﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾[3]، وكما قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾[4].

---

(١) انظر الجهاد في سبيل الله، د. عبد الله القادري، ١/ ٥٣. وقد اقتبست منه طريقة عرض الأدلة، وانظر معوقات الجهاد في العصر الحاضر، د. عبد الله العقلا، ١/ ٥٣. مكتبة الرشد، السعودية، ط. الثانية. وانظر قواعد الحرب في الشريعة الإسلامية، عواض الوذيناني، ٦٦، مكتبة الرشد السعودية، ط. الأولى. وانظر أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، د. علي العلياني، ١٢٤. وانظر الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، د. محمد هيكل، ١/ ٧٧٩، وانظر آثار الحرب في الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، ٨٤، دار الفكر، دمشق، ط. ١٩٨٣. فقد بسط هؤلاء العلماء أقوال فقهاء المسلمين بسطا وافيا.

(٢) النساء:٩٢.

(٣) التوبة : ١.

(٤) الأنفال : ٦١.

والحكمة في ذلك ظاهرة فإن أداء فرض الجهاد في سبيل الله عز وجل مشروط بأن يكون في المسلمين قوة وقدرة على القتال، فإن الله تعالى يقول:﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا بَعْضُكُم .. الآية﴾[1] فإن كان فيهم ضعف يجوز ترك قتال الكفار وعقد الصلح معهم، كما فعل النبي ﷺ زمن الحديبية.

ويشترط الفقهاء لعقد الصلح والهدنة مع الكفار أربعة شروط:

الشرط الأول:

أن يكون في هذا الصلح مصلحة متحققة للمسلمين، ولا يجوز للدولة الإسلامية أن تعقد هدنة مع دولة غير إسلامية إلا إذا تحققت هذه المصلح، فقد يضعف المسلمون عن قتال الكفار لكثرة عدده وقلتهم أو لبعد دياره عن ديارهم، عندئذ يكون ترك قتالهم وعقد الصلح معه أرجى لتحقيق مصلحة المسلمين؛ إذ بالصلح تصان أرواح المسلمين من القتل والأسر والسبي.

وقد تلم ظروف طارئة بالمسلمين، كأن تحيط بهم بعض المشاكل أو تنزل بهم بعض النوازل، فيفضل الإمام الصلح على الحرب، حتى لا تتوزع همته بين محاولة إقرار الأمور في الداخل، ومحاربة العدو في الخارج.

وقد يحتاج المسلمون المال، فيسالمون عدوهم أملا في الحصول منه على الجزية.

وقد يكفل السلم والصلح جوا من الهدوء والأمان يرجى من خلاله دخول عدد كبير من الأعداء في الإسلام، فتحقق الحكومة الإسلامية بذلك هدفها الأسمى دون تجشم تبعات الحرب ونفقات القتال.

(١) البقرة: ٢٨٦.

فإذا لم يكن في الصلح مصلحة، فلا يصالح المسلمون لقوله تعالى﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾[1]، ولأن قتال المشركين فرض وتأخير الفرض لا يجوز.

الشرط الثاني:

أن يتولى إمام المسلمين عقد الهدنة مع ا لكفار. كما فعل النبي ﷺ عندما تولى عقد هدنة الحديبية مع كفار مكة، إذ أملى الرسول ﷺ بنفسه كتاب الهدنة.

الشرط الثالث:

أنه لا يجوز للدولة الإسلامية أن تعقد هدنة أبدية مع دولة غير إسلامية، بل يجب أن تكون للهدنة مدة معلومة، ذلك أن الهدنة الأبدية تعطل الجهاد الذي فرضه الله تعالى على المسلمين من أجل نشر الإسلام، و تخالف قول الله عزوجل: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿... فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾[5].

(١) محمد:٣٥.

(٢) الأنفال: ٣٩.

(٣) التوبة:١٢.

(٤) التوبة: ٤١.

(٥) التوبة: ٧٣.

ولذلك هادن رسول الله ﷺ كفار قريش إلى مدة ولم يهادنهم إلى الأبد؛ لأن قتالهم حتى يسلموا فرض إذا قوي عليهم.

الشرط الرابع:

ألا تتضمن الهدنة شرطا يخالف دين الإسلام، فلقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، في قوله: (من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فليس له وإن اشترط مئة شرط)[1]،[2].

يقول الإمام ابن قدامة رحمه الله: "ومعنى الهدنة أن يعقد لأهل الحرب عقدا على ترك القتال مدة ، بعوض وبغير عوض، وتسمى مهادنة وموادعة ومعاهدة ، وذلك جائز بدليل قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾[3]، وقال سبحانه ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾[4].وروى مروان ومسور بن مخرمة أن النبي ﷺ صالح سهيل بن عمرو بالحديبية، على وضع القتال عشر سنين[5].

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد، حديث رقم ٤٥٦.

(٢) انظر الهدنة في النظرية الإسلامية والواقع التاريخي، د. سميرة عبدالقادر، ص ٩، وانظر الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ١/ ٤٦٧، انظر الأم، الشافعي، كتاب المهادنة، ٧٨٤، ت حسان عبد المان، بيت الأفكار الدولية، الأردن، السعودية، وانظر المبسوط، محمد بن سهل السرخسي، ١٠ /٨٦، مطبعة السعادة، القاهرة، ط. الأولى. وانظر المنتقى، سليمان بن خلف، ٣/ ١٥٩، وانظر المغني، ابن قدامة، ت د. عبد الله التركي ود. عبدالفتاح الحلو، ١٣/ ١٥٥، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط. الأولى. وانظر شرح فتح القدير، محمد عبدالواحد ابن همام الحنفي، ٥/ ٤٥٥-٤٥٦، وانظر صبح الأعشى في صناعة الانشاء، أحمد بن علي القلقشندي، ١٤/ ٧، القاهرة، ط. الأولى. شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس، ٢/ ١٢٥، عالم الكتب، بيروت.

(٣) التوبة : ١.

(٤) الأنفال : ٦١.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب صلح العدو، حديث رقم ٢٧٦٥.

ولأنه قد يكون بالمسلمين ضعف فيهادنهم حتى يقوى المسلمون. ولا يجوز ذلك إلا للنظر للمسلمين؛ إما أن يكون بهم ضعف عن قتالهم ، وإما أن يطمع في إسلامهم بهدنتهم، أو في أدائهم الجزية، والتزامهم أحكام الملة، أو غير ذلك من المصالح.

وإذا ثبت هذا، فلا يجوز المهادنة مطلقا من غير تقدير للمدة، لأنه يفضي إلى ترك الجهاد بالكلية.

ولا يجوز أن يشترط نقضها لمن شاء منهما؛ لأنه يفضي إلى ضد المقصود منها.

وأن شرط الإمام لنفسه ذلك دونهم، لم يجز أيضا، ذكره أبو بكر؛ لأنه ينافي مقتضى العقد، فلم يصح، كما لو شرط ذلك في البيع والنكاح.

وقال القاضي والشافعي: يصح؛ لأن النبي ﷺ صالح أهل خيبر على أن يقرهم ما أقرهم الله تعالى، ولا يصح هذا فإنه عقد لازم، فلا يجوز اشتراط نقضه، كسائر العقود اللازمة، ولم يكن بين النبي ﷺ وبين أهل خيبر هدنة، فإنه فتحها عنوة ، وإنما ساقاهم وقال لهم ذلك.

وهذا يدل على جواز المساقاة، وليس هذا بهدنة اتفاقا، وقد وافقوا الجماعة في أنه لو اشترط في عقد الهدنة أني أقركم ما أقركم الله، لم يصح ، فكيف يصح منهم الاحتجاج به مع إجماعهم مع غيرهم على أنه لا يجوز اشتراطه.

ولا يجوز عقد الهدنة إلا على مدة مقدرة معلومة؛ لما ذكرناه. قال القاضي: وظاهر كلام أحمد أنها لا تجوز أكثر من عشر سنين، وهو اختيار أبي بكر، ومذهب الشافعي، لأن قوله تعالى: ﴿... فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ .. الآية ﴿٥﴾﴾[1] عام خص منه مدة العشر لمصالحة النبي ﷺ قريشا يوم الحديبية عشرا، ففيما زاد يبقى على مقتضى العموم، فعلى هذا إن زاد المدة على عشر بطل في الزيادة.

(١) التوبة: ٥.

وهل تبطل في العشر؟ على وجهين بناء على تفريق الصفقة. وقال أبو الخطاب: ظاهر كلام أحمد أنه يجوز على أكثر من عشر على ما يراه الإمام من المصلحة. وبهذا قال أبو حنيفة؛ لأنه عقد يجوز في العشر، فجاز على الزيادة عليها، كعقد الإجارة، والعام مخصوص في العشر لمعنى موجود فيما زاد عليها، وهو أن المصلحة قد تكون في الصلح أكثر منها في الحرب"[1].

ويظهر مما سبق جواز مهادنة ومصالحة الكفار إن كان في ذلك مصلحة للمسلمين بالشروط الشرعية التي يجب أن تتوفر قبل عقد الصلح والهدنة معهم وهذا من تيسير الله تعالى للمسلمين؛ فإن وجود مثل هذه الرخصة يتلاءم مع طبائع البشر المتحولة المتغيرة، وهذه هي الشريعة التي أنزلت على النبي محمد ﷺ لتكن صالحة لكل زمان ومكان، ولكن لا بد أن يعلم أن من يحكم ويفصل مثل هذه القضايا الكبرى هم العلماء الربانييون الذين يقدرون المصالح والمفاسد الناتجة عن مصالحة ومهادنة الكفار.

* * *

(١) المغني ١٣/ ١٥٥، وانظر الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ٣/ ١٤٨٢.

مناقشة فرضيات الدراسة

مناقشة فرضيات الدراسة

قامت الدراسة على فرضيات ثلاث:

الفرضية الأولى:

أن الحرب بالمفهوم الواسع والقتال بالمفهوم الحرفي هما سنة الله تعالى في الكون، وقد أصابت هذه السنة أمة أهل الكتاب وأمة الإسلام.

وحتى يمكن اختبار الفرضية الأولى بطريقة علمية، كان لابد من البدء في تحليل الجذور لعقدية والعقلية والنفسية لقضية الحرب والسلام، وذلك من طريقين:

١. **عقدي**: تمثل في تحليل النصوص المتعلقة بقضية الخير والشر وعلاقتها بالقدر الإلهي، فظهر أن الله تعالى الخالق لكل شيء؛ خلق وقدرالخير والشر من جملة ما خلق وقدر سبحانه وبحمده، وأن هناك فرقا بين الإرادة الكونية المقتضية لإرادة الله تعالى لجميع ما في الكون من خير وشر، والإرادة الشرعية، المقتضية لمحبته للخير وكراهيته للشر، ، وأن الصراع بين الخير الذي يمثله أهل الحق، وبين الشر الذي يمثله أهل الباطل، وهو صراع معنوي عقدي، وحسي دموي، وأن حكمة الله تعالى في تقدير هذا الصراع؛ هي ظهور عبوديات يستحقها سبحانه وبحمده، ما كنت لتظهر لولا هذا الصراع، فالحرب وإن كان ظاهرها الشر إلا إنها تفضي إلى عبادات هي محبوبة إليه تعالى وهي الجهاد في سبيله، فهي من حيث ذاتها مكروهة إليه تعالى، ومن حيث آثارها مطلوبة ومرادة.

وظهر أن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد طافح بالنصوص المثبتة لوجود الحروب المقدسة في الماضي والمتنبئة بوجوده في المستقبل.

وظهر أن هناك فارقا منهجيا بين المسلمين وأهل الكتاب في هذه العقدية، فاليهود يعتقدون بأن الله تعالى هو خالق للخير والشر معا، ولكنهم لا ينزهون الله تعالى عن نسبة النقائص إليه. والنصارى لا يقرون بإرادة الله تعالى للشر ويحصرون إرادته تعالى في الخير فقط، فوقعوا في لوازم باطلة تقتضي وجود خالقين آخرين مع الله تعالى خلقوا الشر، وأنه يقع في ملك الله تعالى مالا يريده.

وكان لابد من تحليل النصوص الشرعية المتعلقة بسنن الله تعالى في الكون. فظهر أن سنة الابتلاء بالمدافعة بين الناس، هي سنة الله تعالى التي لم تتحول ولم تتبدل منذ أن أهبط أدم عليه السلام بعداء إبليس اللعين له إلى هذه الأرض، فقال له ربه ولبنيه من بعده: ﴿...وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾[1]، وأخبرنا الله تعالى أن المجرمين من شياطين الإنس والجن، قد ورثوا هذا العداء من إمامهم ورأسهم إبليس اللعين الشيطان الأكبر الرجيم، مع ذرية آدم عليه السلام، وأئمتهم ورأسهم من بعده أنبياء الله تعالى ورسله عليهم السلام، فقد قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾[2].

وأخبر الله سبحانه وبحمده أنه لولا مدافعة أهل الحق - وعلى رأسهم الأنبياء والرسل عليهم السلام-، لأهل الباطل من الكفار والمشركين، لفسدت الأرض واختل نظامها الذي خلقت من أجله، كما قال تعالى: ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾[3].

(١) البقرة: ٣٦.
(٢) الأنعام :١١٢.
(٣) الحج : ٤٠.

وظهر من النصوص الشرعية الصريحة، أن سنة التدافع الإلهية الكونية كانت قبل أن يشرع الله تعالى القتال في سبيله لأهل الكتاب؛ كانت مباشرة الله عز وجل لعذاب واستئصال الأمم الكافرة. كما قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾[1]. وبين الله تعالى هذه العاقبة بقوله: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[2].

وظهر أن سنة الله عز وجل في الدفع بين الناس كانت قبل موسى عليه السلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان الله تعالى يباشر إهلاك الأمم الكافرة. وبعد موسى عليه السلام كانت هذه السنة هي الجهاد في سبيل الله عز وجل.

وظهر أن الله عز وجل أمر رسوله محمد ﷺ وأمته من بعده بالجهاد والقتال في سبيله كما أمر أنبياء أهل الكتاب- من بعد موسى عليه السلام- من قبله وأمر أممهم.

وظهر أن الله عز وجل قد فرض الحرب بمفهومها الواسع المتضمن درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ والمتضمن أيضا الحرب بمفهومها المباشر وهي القتال في سبيله سبحانه وبحمده، وأن هذه الفريضة هي سنة الله تعالى التي كتبها في التدافع بين أهل الحق وأهل الباطل.

وهذه السنة قد تحققت بالفعل في أهل الكتاب فقاتلوا الأمم الأخرى على الحق وجاهدوا في سبيل الله تعالى قبل بعثة النبي محمد ﷺ، واستحقوا بذلك المدح والأجر من الله عز وجل في الدنيا، ودخول الجنة في الآخرة، ثم انحرفوا عن هذا الحق وقاتلوا على الباطل بقتالهم للنبي محمد بعد بعثته ﷺ، وأمته من بعده.

(١) آل عمران :١٣٧ .

(٢) العنكبوت: ٤٠ .

وظهر أن المسلمين من بعد أهل الكتاب وهم أمة محمد ﷺ النبي الخاتم قاتلوا في سبيل الله عز وجل، مثلما قاتلت أمم أهل الكتاب من قبلهم، وقد أوجب الله تعالى على أهل الكتاب في التوراة والأنجيل اتباع نبيه محمد ﷺ فهو النبي الخاتم، وأمته آخر الأمم، ولذلك هي الأمة التي تقاتل على الحق وتجاهد في سبيلة تعالى بكل أنواع الجهاد إلى أن تقوم الساعة.

٢. **تاريخي**: تمثل في النظر في التاريخ البشري بطريقة عامة موجزة، وظهر أن كثيرا من المؤرخين ذهبوا إلى إثبات أن الإنسان الأول كان إنسانا عدوانيا محاربا، يرى أن الحرب هي الوسيلة الوحيدة لبقائه مطمئنا على وجه هذه البسيطة، بل وذهبوا إلى أبعد من ذلك بقولهم أن الحرب كانت الوسيلة الأساسية لرقي الإنسان وانتقال الحضارات بين الأمم، وأن صفحة من صفحات التاريخ لا توجد فيها رائحة السلام، وأن الحرب أروع التظاهرات الاجتماعية بلا خلاف، وأن الحرب هي التي ولدت التاريخ الذي بدأ في الواقع بكونه تاريخ المعارك المسلحة دون غير، وسيبقى دوما تاريخ المعارك، وأن الأمم من لدن آدم عليه السلام وحتى هذا العصر لم تعرف السلام قط، بل كانت وما زالت الحروب ناشبة في جميع أقطار الأرض.

الفرضية الثانية :

وهي أن المقاتلين في سبيل الله من أهل الكتاب، كانوا على الحق وجازهم الله تعالى على ذلك خير الجزاء.

وكان لابد من النظر في أصول أهل الكتاب وهي قسمان:

الأول: النظر في الأصول اليهودية:

ولاختبار هذه الفرضية بحسب العقيدة اليهودية، كان لا بد من عرضها على نصوص العهد القديم، والوقوف على الأسس العقدية الراسخة عند اليهود، وأيضا الوقوف على تاريخ تطبيق هذه النصوص، فظهر ما يلي:

١. أن العهد القديم – التوراة – هو في الحقيقة تاريخ لحروب بني إسرائيل الخارجية والداخلية، وأن للحروب فيه ذكر طويل وخصائص وأساليب متعددة، وأن هذه الحروب اتصفت بأنها حروب مقدسة، بل هي حروب للرب يهوه نفسه.

٢. أن لعقيدة الاختيار والاصطفاء عند اليهود أثر جوهري في استحقاق شعب الرب – اليهود- في محاربه الأغيار من الأمميين وقتلهم واستباحة دماءهم وأموالهم، فإن كل من يعادي شعبه الخاص فهو عدوا للرب يهوه. وأن ظهور هذه العقيدة تبلور وظهر نتيجة لازدراء الأمم التي حاربت اليهود وهزمتهم وأسرتهم واضطهدتهم، فأبرز حاخامات اليهود نصوصا مقدسة – محرفة – أثبتت عقيدة حرب الرب للأمميين انتقاما لشعبه بموجب هذا الاصطفاء، كعقيدة جديدة ركبت من إحساس اليهود بالذل والهوان بين الأمم نتيجة لهزائمهم، وأيضا حتى تكون هذه العقيدة مؤثرة في الواقع النفسي والاجتماع اليهود على مر العصور.

٣. أن لعقيدة أرض الموعد عند اليهود أثر في الحرب والسلام مع الأغيار، فقد أباحت محاربة سكان الأرض الأصليين، مع أمر آخرا جديد وهو التحريم والذي يعني الإبادة التامة لكل نسمة فيها من الناس والبهائم وحتى الغنيمة والأملاك التي فيها كنت تحرق بالنار لأن شرور مدن أرض الموعد قد تفاقمت واكتمل مكيال إثمها. وهذه العقيدة فسرت النزعة اليهودية الصهيونية العالمية التي كان قائدها في العصر الحديث هرتزل، وكما فسرها الرئيس اليهودي السابق مناحيم بيجن بقوله:"سوف تعود أرض إسرائيل الكبرى إلى شعب إسرائيل كاملة إلى الأبد"(١)، وفسرت محاولة إبادة الشعب الفلسطيني في المذابح التي ارتكبها اليهود في حقهم؛ ابتداء من دير ياسين التي فعل فيها السفاح "بيجن" كما فعل يشوع بأريحا – زعموا – وكذلك صبرا وشاتيلا، وانتهاءا بمجازر جنين وبيت حانون.

(١) انظر ص ٣٦٣.

٤. أن لعقيدة النفي والشتات عند اليهود؛ أثر في الحرب والسلام، فقد استطاع حاخامات اليهود بلورت هذه العقيدة وتوظيفها، حتى أصبحت عقيدة تعبر عن نمط متكرر يعيد نفسه في التاريخ اليهودي المقدس، حتى أصبح السبي والنفي إلى بابل ثم الخروج منها والعودة إلى فلسطين، مثله مثل العبودية في مصر ثم الخروج منها والدخول في أرض كنعان والاستيلاء عليها، وأن النفي من القدس بعد تحطيم الهيكل في عام ٧٠ م على يد الإمبراطور النصراني تيطس؛ شكل من أشكال هذه العبودية يتبعه خروج من الشتات ثم الدخول إلى فلسطين مرة أخرى جزء من نمط متكرر.

ويتضح أثر عقيد النفي والشتات في الحرب والسلام في اعتقاد اليهود أن العودة إلى أرض الموعد بعد النفي والشتات لا تكون إلا على يدي الماشيح المخلص الذي سيحرر اليهود من عبودية مضطهديهم، فيقضي على أعدائهم الأشرار من الأغيار، ويعيدهم من المنفى، ويحكم بشريعة اليهود ويعم العدل، ويسود السلم اليهودي في الأرض، كما جاء في التلمود:"ويعيش اليهود في حرب طاحنة مع باقي الشعوب في انتظار ذلك اليوم، وسيأتي المسيح الحقيقي ويحقق النصر المنتظر" وجاء فيه أيضا:" ويل للأمة التي ستحاول عرقلة السبيل عندما يقوم الواحد القدوس تبارك اسمه بتحقيق خلاص أبنائه ومن الذي يتجاسر على رمي ردائه بين أسد ولبؤة أثناء جماعهما"[(١)].

وهذا يفسر قيام دولة إسرائيل المعاصرة ودعوتها لهجرة اليهود من نفيهم وشتاتهم في الأرض، إلى أرض الموعد انتظارا لعودة الماشيح.

ولمعرفة الموقف الإسلامي الشرعي لهذه العقائد، كان لابد من تحليل النصوص الشرعية المتعلقة بهذا الموضوع، فظهر الآتي:

---

(١) انظر ص ٣١٧ و٤١١، تعالى الله عما يقوله الكافرون علوا كبيرا.

١. أن أمة بني إسرائيل كانت بالفعل أمة مختارة اصطفاها الله تعالى من العالمين وقد أثبت الله تعالى هذا الاصطفاء بقوله: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾(١).

٢. أن هذه الأمة التي اصطفاها الله تعالى في مرحلة من الزمن قد قامت بما أمر الله تعالى به من شريعة لها لمّا تم فضل الله عليها الذي أراده لهم كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾(٢)، وكما قال تعالى حكاية عن يعقوب – إسرائيل –عليه السلام: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(٤).

٣. أن الله عز وجل منّ على بني إسرائيل بوراثة أرض مصر و الشام مجتمعة– على القول المختار–، وجعلهم أئمة للمؤمنين عندما كانوا متمسكين بكتابه عز وجل، كما قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ

(١) الدخان : ٣٢ .
(٢) الأعراف : ١٣٧ .
(٣) البقرة : ١٣٣ .
(٤) المائدة : ٤٤.

ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾[1]. وكما قال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[2]، وكما قال تعالى:﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾[3].

٤. أن الإسلام دين الله تعالى الذي لا يقبل دينا سواه فقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[4]. وقد أمرنا نحن المسلمين بالإيمان بما أنزل على جميع الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم ومن جملة الأنبياء أنبياء أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾[5]، وأنبياء بني إسرائيل من جملة الأنبياء والرسل الذين طبقوا شرع الله تعالى في أقوامهم.

٥. أن بني إسرائيل بدلوا إيمانهم بالكفر، ونقضوا العهود والمواثيق التي أبرموا، وعلى إدبارهم نكصوا، وحرفوا ما أنزل الله عليهم، فبدل الله تعالى ذلك الاصطفاء والاختيار إلى لعنة وطرد من رحمته إلا من عصمه الله منهم، كما قال تعالى :﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾[6].

---

(١) القصص : ٥.

(٢) السجدة: ٢٤.

(٣) الأعراف : ١٣٧

(٤) آل عمران:٨٥.

(٥) البقرة : ١٣٦.

(٦) المائدة :٧٨، ٧٩.

٦. أن الله عز وجل كتب على أهل الكتاب القتال في سبيله تعالى لإعلاء كلمته، وتمكين دينه في الأرض، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[1].

الثاني: النظر في الأصول النصرانية:

ولاختبار هذه الفرضية بحسب العقيدة النصرانية، كان لا بد من عرضها على نصوص العهد الجديد، والوقوف على تفسير رجال الدين النصارى لهذه النصوص، وأيضا الوقوف على تاريخ تطبيق هذه النصوص، فظهر ما يلي:

١. وجود نصوص في العهد الجديد تثبت أن عقيدة الحرب لها جذور راسخة في النصرانية.

٢. وجود نصوص في العهد الجديد تثبت أن عقيدة السلام لها جذور راسخة في النصرانية.

٣. تناقض النصارى في تفسير نصوص العهد الجديد المتعلقة بالحرب والسلام، فمنهم من سلك المنهج الرمزي، ومنهم من سلك المنهج الحرفي، ومن سلك المنهج الحرفي فسرها على ظاهرها – وهو وجود الحرب المقدسة – مما يعني إثبات وجود عقيدة الحرب المنافية للسلام المطلق المدعى، ومنذ زمن مبكر في النصرانية.

٤. أن نصوص العهد الجديد المثبتة للسلام، إنما تثبت سلاما واحدا فقط؛ هو السلام الذي نادى به المسيح، وهو خاص بمن تبعه فقط.

---

(١) التوبة :١١١.

٥. أن نصوص العهد الجديد تثبت أن المسيح تنبأ بالانقسام والحروب في مستقبل الدين الذي جاء به، وأبرز هذه النبوءات الحرب التي ستكون في منطقة هرمجدون لإقامة الدينونة على الكفار، وجاء ذكرها في سفر الرؤيا، وهو السفر الذي جاءت فيه نبوءات مستقبل الكون وكيفية ملك يسوع المسيح، ومن هذه النبوءات ما جاء في نفس السفر:(١٦فَجَمَعَهُمْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى بِالْعِبْرَانِيَّةِ «هَرْمَجَدُّونَ». ١٧ثُمَّ سَكَبَ الْمَلاَكُ السَّابعُ جَامَهُ عَلَى الْهَوَاءِ، فَخَرَجَ صَوْتٌ عَظِيمٌ مِنْ هَيْكَلِ السَّمَاءِ مِنَ الْعَرْشِ قَائِلاً: «قَدْ تَمَّ!». ١٨فَحَدَثَتْ أَصْوَاتٌ وَرُعُودٌ وَبُرُوقٌ. وَحَدَثَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ لَمْ يَحْدُثْ مِثْلُهَا مُنْذُ صَارَ النَّاسُ عَلَى الأَرْضِ، زَلْزَلَةٌ بِمِقْدَارِهَا عَظِيمَةٌ هَكَذَا.١٩وَصَارَتِ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ ثَلاَثَةَ أَقْسَامٍ، وَمُدُنُ الأُمَمِ سَقَطَتْ، وَبَابِلُ الْعَظِيمَةُ ذُكِرَتْ أَمَامَ اللهِ لِيُعْطِيَهَا كَأْسَ خَمْرِ سَخَطِ غَضَبِهِ. ٢٠وَكُلُّ جَزِيرَةٍ هَرَبَتْ وَجِبَالٌ لَمْ تُوجَدْ. ٢١وَبَرَدٌ عَظِيمٌ، نَحْوُ ثِقَلِ وَزْنَةٍ، نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى النَّاسِ. فَجَدَّفَ النَّاسُ عَلَى اللهِ مِنْ ضَرْبَةِ الْبَرَدِ، لأَنَّ ضَرْبَتَهُ عَظِيمَةٌ جِدّاً)[1].

٦. أن النصارى الأوائل الذين آمنوا بالمسيح؛ استعذبوا العذاب والموت في سبيله في مرحلة اضطهادهم في القرون الثلاثة الأولى بعد ميلاده، وكانوا يرفضون القتال مهما كانت الأسباب. وأن الذي حملهم على تحمل الظلم هو قوة بطش الأباطرة، وضعفهم عن مقاومتهم.

٧. بعد انتشار النصرانية في الإمبراطورية الرومانية بدأ رجال الدين النصراني بقبول فكرة دخول المؤمنين –النصارى– في الجيوش، ثم تطورت الفكرة بعد ذوبان النصارى في المجتمع الروماني، وبدأت جذور عقيدة الحرب العادلة في الظهور بمثل خطاب إكليمندس للنصارى وطلبه منهم بقاء الجنود في الجيوش لأن ذلك بركة على الجيش الروماني. وهو شعار الحرب العادلة الذي رفعة القديس أوغستنطين فيما بعد.

(١) الرؤيا، أصحاح (١٦).

٨. على امتداد التاريخ النصراني الطويل ظهرت حروب وصفها مؤرخو النصارى بالقداسة ومن هذه الحروب:

أ. قبل انقسام الإمبراطورية الرومانية:

● حروب الإمبراطور قسطنطين – في القرن الرابع– وأنه انتصر في حروبه على أعدائه الوثنيين بفضل الصليب، وأنه ا تخذ الصليب علامة وشعارا على أسلحة جنده وراياته.

● حروب الإمبراطور ليكينيوس على خصمه مكسيميانوس كانت أيضا بظهور نفس العلامة التي ظهرت لقسطنطين– وهو معاصر له–.

● حروب أبناء الإمبراطور قسطنطين المقدسة ضد الوثنية.

● الحروب الطائفية الشرسة التي نشبت بين أصحاب العقيدة الأريوسية وأصحاب العقيدة الأثناسيوسية، التي بدأت في عهد الإمبراطور قسطنطين، واستمرت قرونا طويلة، وكل فرقة تدعي أنها صاحبة القداسة في حربها.

● حروب الإمبراطور ثيودسيوس في أواخر القرن الرابع الميلادي ضد الوثنية.

● حروب الإمبراطور أركاديوس حتى بدايات القرن الخامس الميلادي.

ب. الجانب الغربي من الإمبراطورية الرومانية:

● تكرار نفس أسطورة ظهور الصليب في السماء مع أحد أبرز ملوك دولة الميروفنجية "كلوفس" ٤٨٢– ٥٢٢، وهزم فيها أعداءه واعتنق النصرانية.

● حروب الإمبراطور شارلمان المقدسة ضد الأريوسية في منتصف القرن الثامن، وهو الذي أسقط الدولة اللمباردية، وحارب السكسون لنشر النصرانية وقمع الوثنية، وحارب خاقان الآفار بسبب إساءته معاملة النصارى، وقد حصل على مباركة البابا في

حروبه، ويذكر المؤرخون: أن شارلمان رأى في منامه قديسا وأمره بان يخلص مدينة جليقية الإسبانية من أيدي المسلمين، وكانت حروبه ضد المسلمين أول رد فعل نصراني ضد الفتوحات الإسلامية، وطمع في إخراج المسلمين من إسبانيا، وقتل أميرهم عبدالرحمن الداخل. وقد توّجه البابا إمبراطورا، وأقام إمبراطورية تقوم على أسس نصرانية.

● حروب ملوك أوربا الصليبية من تحت إمرة البابا الكسندر الثاني لإخراج المسلمين من الأندلس، فقد تجمع جيش كبير من فرنسا وإيطاليا ومن النورماند، وغيرهم، وحققت هذه الحملة نجاحا في البداية في ربيع عام ١٠٦٤ تحت شعار الصليب، غير أن المسلمين استطاعوا أن يهزموها.

● حروب ملوك أوربا الصليبية، فقد عاد الصليبيون عام ١٠٨٥م مرة أخرى بقيادة القائد الفونسو السادس، واستولوا على طليطلة، ورد المسلمون عليهم وأنزلوا بهم هزيمة منكرة في موقعة الزلاقة عام ١٠٨٦م.

● الحروب الصليبية لاسترداد الأماكن المقدسة، ففي عام ١٠٩٥ م استطاع البابا أوربان الثاني إشعال فتيل الحملات الصليبية على المسلمين لاسترداد بيت المقدس والضريح المقدس، والتي استمرت حتى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي.

● الحروب الصليبية لاسترداد إسبانيا، ففي عام ١١١١ م قاد الفونسو حملة صليبية لاسترداد اسبانيا، واستطاعت دولة المرابطين أن ترد هذه الحملة.

● الحروب الصليبية التي انتزعت قرطبة المسلمة، ففي عام ١٢٣٦م كانت الكارثة باستيلاء الصليبيين على قرطبة الإسبانية.

● الحروب الصليبية في عام ١٥٠٢ م التي أنهى فيها الملك الصليبي المتعصب فرناندو وزوجته الملكة إيزابيلا الوجود الإسلامي في الأندلس، وإجبار المسلمين على الدخول في النصرانية.

ج.الجانب الشرقي من الإمبراطورية الرومانية – البيزنطيون المتدينون – :

●حروب الإمبراطور جستنيان لنصرة العقيدة الإثناسيوسية، فقد قضى على دولة الوندال في شمال أفريقيا الأريوسية عام ٥٣٣م. وقضى على العقيدة الأريوسية في إيطاليا وأزال دولتهم نهائيا عام ٥٥٤ م، واستعاد الجزء الشرقي من إسبانيا حتى قرطبة عام٥٤٤م.

●الحروب المقدسة في عهد الأسرة الهرقلية ٦١٠-٧١٧ م وبدأت على يد الإمبراطور هرقل في أوائل القرن السابع الميلادي، مع الفرس والآفار والصقالبة والجبيد، ومع المسلمين في معركة – سرية – مؤتة ٨/٥ هـ والتي انسحب فيها جيش رسول الله ﷺ بقيادة سيف الله المسلول الصحابي المجاهد خالد بن الوليد رضي الله عنه انسحابا يشبه الانتصار. ثم التقى رضي الله بجيش السلمين مرة أخرى مع جيش الأسرة الهرقيلةفي معركة اليرموك عام ٦٣٦ م وهزمهم المسلمون يومئذ الهزيمة التاريخية الشهيرة وأخرجوهم من الشام. وقد اعتبره بعض المؤرخين أنه الصليبي الأول، وقد نذر نفسه لله ومضى على أنه محارب نصراني يقاتل قوى الظلمة.

●حروب الأسرة الأيسورية المقدسة ٧١٧-٨٠٢ م مع المسلمين وغيرهم التي بدأت على الإمبراطور ليو الثالث في بداية القرن الثامن.

●حروب الأسرة المقدونية المقدسة ٨٦٧ – ١٠٥٦ م مع المسلمين وغيرهم، والتي بدأها الإمبراطور باسيل الأول ٨٦٧-٨٨٧ م ضد المسلمين ومن أشهرهم الإمبراطور قسطنطين السابع ٩١٣١-٩٥٩ م الذي بدأ عصر الحروب الصليبية الأولى لاسترجاع الأماكن المقدسة من المسلمين.

●حروب الأسرة الكومنينة المقدسة ١٠٨١ -١٢٠٤ م ضد المسلمين والذي بدأها الإمبراطور إليكسوس بدعوة الجانب الغربي للإمبراطورية للحروب الصليبية التي دعا إليها البابا أوربان الثاني عام ١٠٩٥م.

● حروب أسرة باليولوج المقدسة ١٢٦١ - ١٤٥٣ م التي بدأها الإمبراطور ميخائيل الثامن لاسترداد الأملاك القديمة من المسلمين وغيرهم.

● حروب النصارى الداخلية المقدسة بين البروتستانت والكاثوليك، والتي كان من بداياتها حرب الفرسان عام ١٥٢٣م ومن نهاياتها حرب الثلاثين عاما الأممية ١٦٣٥-١٦٤٨.

● الحروب الصليبية البرتغالية المتحدة مع الكنيسة، التي بدأ بها الأمير البرتغالي الصليبي هنري الملاح عام ١٤١٥ م على المسلمين في شمال أفريقيا، وطمعت في نشر النصرانية في العالم، وقد خطط البابا نقولا الخامس لاستغلال الفتوحات استغلال الكشوف الجغرافية لشن الهجوم على المسلمين من الشرق، والوصول إلى نجاشي الحبشة، ومهاجمة السواحل الهندية وتكوين طوق صليبي ضخم يهجم على المسلمين في عقر دارهم حتى أنهم هددوا بيت الله الحرام والأراضي الإسلامية المقدسة في الحجاز، واستطاعوا حصار مدينة جدة بوابة الحرمين الشريفين، ورد الله عز وجل كيدهم، وأفشل مخططاتهم.

● الحروب الصليبية في مطلع القرن السادس عشر وبعد اتصال الأوروبيين والبرتغاليين بالحبشة، كانت جبهة الحبشة مهيأة لشن حروب صليبية على العالم الإسلامي، وقامت بحروب صليبية شرسة في شرق أفريقيا وبلاد الصومال.

● الحروب الصليبية التي شنتها أوروبا بقيادة إسبانيا في مطلع القرن السادس عشر على الأمريكتين، والتي أبادوا فيها الهنود الحمر بمباركة البابوية.

● حروب الصليبية التي شنتها روسيا الأرثوذكسية ضد المسلمين في أواسط القرن السابع عشر الميلادي، والتي أرغموا فيها السلطان العثماني على عقد معاهد كوجك قينارجي عام ١٧٧٤ م.

● الحرب الإسبانية المقدسة ضد جيش الإمبراطور نابليون -الملحد في نظر الإسبان- في بداية القرن التاسع عشر في معركة بايلن عام ١٨٠٨ م، وهزم فيها نابليون.

٩. ظهرت بوضوح المؤتمرات المسيحية الصهيونية المنادية بعودة شعب الرب إلى أرض الموعد، في نهاية القرن التاسع عشر، وأنه أمر ديني يتوقف عليه عودة المسيح المخلص الرب يسوع.

١٠. ظهرت عقيدة الحرب العادلة المبررة التي نالت القداسة بتدخل أمريكا في الحرب العالمية الأولى والثانية.

١١. سيطرت الصهيونية المسيحية على زمام قيادة أمريكا - زعيمة العالم الغربي الصليبي بعد سقوط المنافس الشيوعي- إلى حرب هرمجدون النووية التي سيقودها المسيح لتقوم مملكة الرب، وسيحكم فيها المسيح العالم لمدة ألف عام وهو ما أطلقوا عليه الملك الألفي.

ولمعرفة الموقف الإسلامي الشرعي لما سبق، كان لابد من تحليل النصوص الشرعية المتعلقة بهذا الموضوع، فظهر الآتي:

١. أن النصرانية في أصلها هي دين الإسلام العام الذي جاء به جميع الأنبياء عليهم السلام.

٢. أن ما أصاب النصرانية عند نشأتها من ضعف واضطهاد، هو سنّة الله تعالى في دعوة الأنبياء عليهم السلام.

٣. أن سنة التدافع وهي الجهاد والقتال قد تحققت في النصرانية، فمن النصارى من قاتل لتكون كلمة هي العليا، كما قال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [1]. وقد جاء في السنة ما يؤيد

(١) التوبة: ١١١.

ذلك، فقد أخرج ابن أبي حاتم من طرق عن ابن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ :(يا عبدالله، قلت :لبيك يا رسول الله ثلاث مرات...إلى أن قال صلى الله عليه وسلم: (واختلف من كان قبلنا على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرها، فرقة وزت الملوك وقاتلتهم على دين الله وعيسى بن مريم حتى قتلوا، وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بالمقام معهم فساحوا في الجبال وترهبوا فيها وهم الذين قال الله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ الذين آمنوا بي وصدقوني ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ الذين كفروا بي وجحدوني)[1].

وأخرج الحديث ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم رواية أخرى ابن مسعود رضي الله أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ:(يابن مسعود، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة؟ لم ينجو إلا ثلاث فرق، قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى ابن مريم عليه السلام ، فدعت إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت فنجت، ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال فقامت بين الملوك والجبابرة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم فقتلت وقطعت بالمناشير وحرقت بالنيران فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط، فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾[2].

٤. أن النصرانية انحرفت وضلت عن صراط الله عز وجل المستقيم، ودب التحريف في الإنجيل الذي أنزله الله تعالى على عيسى بن مريم.

(١) سبق تخريجه ص ٥٣٧ .

(٢) سبق تخريجه ص ٥٣٧ .

٥. أن المسلمين يتفقون مع أهل الكتاب في مجيء مسيح، ولكنهم يختلفون فيمن هو هذا المسيح، فاليهود ينتظرون مسيحهم الحقيقي، وهو في الحقيقة المسيح الدجال، والنصارى ينتظرون يسوع المسيح ابن الله- تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا-. والمسلمون ينتظرون المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، عبد الله ورسوله الذي رفعه الله عز وجل إليه، وسينزل آخر الزمان داعيا إلى التوحيد الذي دعت إليه كل الرسل صلوات ربي وسلامه عليهم، وليحكم بالشريعة التي أنزلت على محمد ﷺ، حكما عدلا، فيضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام.

٦. بعد أن بُعث النبي محمد ﷺ، نسخ شريعة نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام، وأوجب على النصارى إتباعه، لأن نبيهم - عيسى عليه السلام- بشر بمبعثه ﷺ، فمن آمن به آتاه الله تعالى أجره مرتين، ومن كفر منهم به قاتله ﷺ على ذلك.

٧. أن عداء أهل الكتاب للمسلمين عداء دائم حتى تقوم الساعة، وأنهم لن يرضوا عن المسلمين حتى يتبعوا ملتهم.

٨. أن المسلمين دافعوا أهل الكتاب بعد انحرافهم عن الحق، وهو جهادهم وقتالهم في سبيل الله عز وجل.

٩. أن عقيدة حرب هرمجدون والحروب التي وردت في الكتاب المقدس، فيها شيء من الحق الذي أخبر النبي ﷺ، ومنه الملحمة الكبرى التي تكون مع النصارى، وأن الحروب مع الروم إلى أن تقوم الساعة.

الفرضية الثالثة:

وهي أن المسلمين نهجوا نهج الصالحين المسلمين من أهل الكتاب فقاتلوا في سبيل الله عز وجل، وقد كتب الله تعالى عليهم القتال إلى يوم القيامة.

ولاختبار وقياس هذه الفرضية، عرضت على نصوص الكتاب والسنة لتحليلها، فظهر الآتي:

١. أن نصوص القرآن العظيم بينت فرض الله تعالى للقتال والجهاد في سبيله، وأنه يأمر بالجهاد بمعناه العام والخاص، من أوله إلى آخره.

٢. أن الجهاد في سبيل الله تعالى سبب في دخول الجنة، وأن تركه سبب دخول النار.

٣. أن القتال والجهاد في سبيل الله ذروة سنام الدين الإسلامي، وأنه أفضل الأعمال عند الله تعالى.

٤. أن رسول الله ﷺ، عاش مجاهدا ومقاتلا في سبيل الله تعالى منذ أن أذن له ربه بهما.

٥. أن مقصود السلف بإطلاق لفظ جهاد الطلب وجهاد الدفع، باعتبار الواقع الفعلي للحرب، فهو إما جهاد طلب أو دفع، وأما باعتبار أنه سنة الله تعالى في الكون فهو أمر مسلم به عندهم، بدليل إجماعهم على مضي الجهاد إلى قيام الساعة.

٦. أن إذعان الكفار لقبول حكم الله عز وجل بدفع الجزية عن يد وهم صاغرون، يكف سيف المسلمين معهم.

٧. أن السلام مع الكفار بعقد المعاهدات لمدة محدودة جائز إذا كان في ذلك مصلحة المسلمين.

٨. أن الجهاد بمعناه الخاص هو قدر الله عز وجل على هذه الأمة إلى يبلغ دين الله تعالى ما بلغ الليل والنهار، وأنه باق وماض حتى تقوم الساعة، وذلك لأدلة كثيرة. منها: ما أخرجه الإمام أحمد وغيره من حديث سلمة بن نفيل الكندي رضي الله عنه، أنه قال: (كنت جالسا عند رسول الله ﷺ، فقال رجل يا رسول الله: أذال الناس الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا لا جهاد قد وضعت الحرب أوزارها، فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال: كذبوا الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب

أقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يوحي إلي أني مقبوض غير ملبث، وأنتم تتبعوني أفنادا يضرب بعضكم رقاب بعض، وعقر دار المؤمنين الشام)[(1)].

الوصول لهدف البحث:

كشفت الدراسة بعد تحليل ودراسة أهم نصوص الحرب والسلام الواردة في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد والقرآن الكريم والسنة النبوية دراسة وافية الأصول الدينية للحرب والسلام عند أهل الكتاب وعند المسلمين الإجابة عن سبب الحملة العسكرية الشرسة التي يقوم بها أهل الكتاب ضد المسلمين في هذا العصر، وهو كونها صليبية يهودية صهيونية، وأنها امتداد للحروب الصليبية التي دعا إليها البابا أوريان الثاني عام ١٠٩٥م، ولذلك هي حملة عسكرية تقوم على أسس عقدية توراتية وإنجليلة، ولا ينفي ذلك وجود أسباب أضافية.

التوصيات:

إن المسلم الناصح لأمته يوصيها بوجوب أخذ الأسباب المستطاعة لإعداد القوة الإسلامية التي تواجه هذه الحروب التي استباحت بيضة المسلمين وديارهم، وتهدف إلى قيام دول الكفر في أرض الإسلام.

ويجب على علماء المسلمين أن يتقوا الله تعالى فيما حملهم الله تعالى من أمانة تبليغ العلم، وأن لا تأخذهم في الله تعالى لوم لائم، وأن يبينوا للأمة الحكم الشرعي الواجب عليهم من ربهم تجاه أعدائه وأعدائهم.

---

(١) سبق تخريجه ص ٨٦٤.

ويجب على المسلمين أن يسمعوا للعلماء ويطيعوهم في طاعة الله عز وجل، وأن يتفهموا طبيعة المرحلة، وأن يفرقوا بين الحكم الشرعي وبين القدرة على تنفيذه، وأن يعلموا أن ما أصاب الأمة اليوم من الذل والصغار بين الأمم، إنما هو من عند أنفسهم، وأنها سنة ماضية في أمة الإسلام كلما ابتعدت عن صراط الله تعالى المستقيم.

وقد أصابت هذه السنة الربانية صحابة رسول الله ﷺ الكرام رضي الله عنهم، خير جيل عرفته الدنيا، عند معصية بعضهم لرسول الله ﷺ يوم أحد بتأويل خاطىء نتج عنه قتل عدد من خيارهم، فعاتبهم الله عز وجل بقوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾[1].

وقد عاتبهم الله عز وجل بهذا العتاب بعد بين لهم منته عليهم بإرسال خير رسول لهم، فقال لهم قبل هذه الآية: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[2].

إنها التربية الإيمانية العملية لذلك الجيل الذي ينبغي علينا أن نتأسى به ونقتفي أثره، فإن الواجب على أتباع خير رسول بعث للبشرية، أن يكونوا خير بشرية تبعت الرسل، ولذلك كانت التربية العملية مؤثرة جدا عليهم، بل كانت مصيبة كما عبر القرآن الكريم عنها.

ومن رحمة الله تعالى بهذه الأمة، أن بين لهم عز وجل وهو يعاتب المؤمنين، الأسس العقدية الراسخة التي يجب أن لا تتزعزع ولا تضعف، فبعد أن عاتب الصحابة رضي الله عنهم على ما بدر من بعضهم، بين لهم أن ذلك الخطأ وتلك المصيبة الناتجة عنه، هما بقضائه

(١) آل عمران: ١٦٥.

(٢) آل عمران: ١٦٤.

وقدره عز وجل، فقال لهم : ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾[1].

وبين لهم الحكم من هذا الابتلاء، التي منها فضح المنافقين وإظهار عوار المخذلين وصفاتهم، فقال لهم تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾[2].

ثم بشرهم بالعاقبة الحسنة، لذلك القضاء الذي أظهر عبوديات يحبها سبحانه وبحمده، فقال لهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾[3].

وبين حالهم حين مصيبتهم واستجابتهم لأمر ربهم على لسان رسوله ﷺ، وإقدامهم على القتال في سبيل الله تعالى بالرغم الهزيمة العسكرية في نهاية المعركة ، فظهرت بذلك قوة إيمانهم، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾[4].

---

(١) آل عمران:١٦٦.
(٢) آل عمران:١٦٨،١٦٧.
(٣) آل عمران:١٦٩–١٧١.
(٤) آل عمران:١٧٢.

ثم مدحهم على ثباتهم وتوكلهم على ربهم وعدم خوفهم من الكفار، بالرغم من قوتهم، والمساندة الداخلية من المنافقين والمرجفين بتخذيل الصف المسلم وإرهابه من العدو وتضخيم قوته، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[1].

ثم بين تعالى عاقبة هذا الصبر وهذا التوكل والاحتساب فقال عز وجل :﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾[2].

وبين تعالى السنة الربانية للمعركة الأزلية الأبدية بين الحق والباطل، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[3]، نعم إنه الشيطان الرجيم الذي يقود قوى الباطل ضد قوى الحق، وقد يحقق بعض النصر، ولكنه بالقدر الذي يخرج العبوديات المستحقة لله تعالى فيصطفى من عباده من يشاء ويتخذ منهم شهداء، ثم تعود الدائرة على الباطل وأهله فيهزمون في الدنيا شر هزيمة ، ويدخلون نار جهنم في الآخرة، كما بين تعالى في تكملة سياق الآيات السابقة بقوله: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾[4] . الله أكبر .. أنها قوة الله تعالى التي لا غالب لها، الله عز وجل الذي له الكبرياء في السماء والأرض، الغني القوي العزيز الجبار.

---

(١) آل عمران:١٧٣.

(٢) آل عمران:١٧٤.

(٣) آل عمران:١٧٥.

(٤) آل عمران:١٧٦-١٧٨..

ثم بين تعالى إنها سنة الله عز وجل في الابتلاء والتمحيص، فقال تعالى:﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾[1] .

هذه هي السنة الربانية في الابتلاء والتمحيص وفي التدافع بين الناس، وهذا هو النموذج الذي يجب أن يحتذى المسلمون اليوم حذوة للخروج من هذا المأزق التاريخي الذي تعيشه أمة الإسلام في هذا العصر، ... معرفة قدر أمة خير نبي ﷺ، ثم معرفة سنة الله تعالى فيمن عصاه، ثم معرفة طبيعة المعركة وطبيعة أعداء الخارج وأعداء الداخل، ثم التسليم بقضاء وقدر الله تعالى، ثم التوكل عليه والأخذ بالأسباب الممكنة واليقين بعد ذلك بنصر الله جل وعلا لأوليائه وقدرته على ذلك.

ويجب أن يعلم أن سنة الله تعالى الماضية في أمة محمد ﷺ هي أنها الأمة الباقية الوارثة، وأن كيد أهل الكتاب – والكفار قاطبة – لها عابر زائل، لن يستطيع أن يزيلها، أو أن يقضي عليها، مهما بلغت قوته وشدة بأسه، فإن الله تعالى يقول: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[2].

ولن يستطيع المسلمون مواجهة أمم الكفر من أهل الكتاب وغيرهم إلا إذا عادوا إلى كتاب ربهم عز وجل وسنة رسوله ﷺ، وتمسكوا بهما حق التمسك وعضوا عليهما بالنواجذ، عند ذلك تتحقق السنة الربانية وتدور الدوائر على أعداء الله وينتصر المسلمون عليهم ويخزهم ويرد كيدهم في نحرهم، ويذهب غيظهم، ويشف صدور قوم مؤمنين.

---

(١) آل عمران:١٧٩.

(٢) الأنفال:١٨.

كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾(١).

وصلى الله وسلم وبارك على رسوله المصطفى ونبيه المجتبى وعلى آله وأزوجه وصحابته والتابعين ومن لهم اقتفى، وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.

* * *

(١) النور: ٥٥-٥٧.

قائمة المصادر

الأساسية والمساعدة

قائمة المصادر الأساسية

١. القرآن الكريم.

٢. ١٩٩٩ نصر بلا حرب، ريتشارد نيكسون، إعداد وتقديم المشير محمد أبو غزالة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط. الرابعة.

٣. آثار الحرب في الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط. ١٩٨٣.

٤. أحجار على رقعة الشطرنج، وليم غاي كار، ترجمة سعيد جزائرلي، دار النفائس، ط. الثالث عشر.

٥. أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، دار الكتاب العربي، بيروت.

٦. أحكام أهل الذمة، ١/ ١١٠، ت. يوسف البكري وشاكر العاروري، رمادي للنشر، بيروت، ط. الأولى.

٧. أرض الميعاد والدولة الصليبية، والتر مكدوجال، ترجمة رضا هلال، دار الشروق، القاهرة، ط. الأولى.

٨. الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، روجيه جارودي، دار الشروق، ط. الخامسة.

٩. إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أبكار السقاف، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط. الثانية.

١٠. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبدالواحد وافي، دار النهضة، القاهرة.

١١. الأسفار المقدسة، د. صابر طعيمة، عالم الكتب، ط. الأولى.

١٢. أصول الصهيونية في الدين اليهودي، د. إسماعيل الفاروقي، مكتبة وهبه، القاهرة، ط. الثانية.

١٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٣.

١٤. أمريكا الكتاب الأسود، بيتر سكاون، ترجمة إيناس أبو حطب، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط. الأولى.

١٥. الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

١٦. الأناجيل الإزائية، الخوري الفغالي، الرابطة الكتابية، ١٩٩٣م.

١٧. الأهداف المعلنة والأسرار الخفية لأندية الروتاري والماسونية، محمد أمين، دار الفكر العربي.

١٨. أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الفرق الضالة فيه، د. علي بن نفيع العلياني، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة.

١٩. أوربا الحديث والمعاصر، د. عمر عبدالعزيز عمر، دار المعرفة الجامعية، ط (٢٠٠١).

٢٠. أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور،

٢١. أوربا في مطلع العصور الحديثة، د. عبدالعزيز الشناوي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. السابعة.

٢٢. أوروبا والمسيحية، الألفية الأولى. يان دوبراتشينسكي، ترجمة د. كبرو لحدو، دار الحصاد للطباعة والنشر دمشق، ط. الثانية.

٢٣. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني، مطبعة الإمام القاهرة.

٢٤. البداية والنهاية، ابن كثير، توثيق ومقابلة علي معوض وعادل عبدالموجود، ٣/ ١٧٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى.

٢٥. البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، د. يوسف الحسن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط. الثالثة.

٢٦. بنو إسرائيل في ميزان القرآن، البهي الخولي، دار القلم، دمشق، ط. الأولى.

٢٧. بنو إسرائيل، د. محمد بيومي مهران، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩.

٢٨. تاريخ إسرائيل، الأب متى المسكين، مطبعة دير القديس أنبا مقار- وادي النطرون، القاهرة، ط. الثانية.

٢٩. التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثانية.

٣٠. تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس حتى السقوط، وديع أبو زيدون، الأهلية للنشر والتوزيع، ط. الأولى.

٣١. التاريخ الأمريكي الحديث، د. أشرف مؤنس، مكتبة الرشد، الرياض، ط. ١٤٢٣هـ.

٣٢. تاريخ الأمم والملوك، الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الثالثة.

٣٣. التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د. عبدالحميد البطريق، و د. عبدالعزيز نوار، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

٣٤. التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، د. جلال يحي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

٣٥. تاريخ الحروب الصليبية وليم رئيس أساقفة صور، ترجمة د. سهيل زكار، دار الفكر لبنان، ٢٠٠٣.

٣٦. تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، ترجمة د. السيد العريني، ط. الثالثة.

٣٧. تاريخ الحضارات العام، موريس كروزية، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط. الرابعة.

٣٨. تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، د. جميل المصري.

٣٩. تاريخ الدعوة الإسلامية، د. جميل المصري، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط الأولى.

٤٠. تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر كمال توفيق، دار المعرفة الجامعية، ط. ١٩٩٤.

٤١. تاريخ الشرق الأدنى القديم د. حسن محمد السعدي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢.

٤٢. تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، كيرلس سليم بسترس وآخرون، المكتبة البولسية، بيروت، ط. الأولى.

٤٣. تاريخ الكنيسة القبطية، القس منسى يوحنا، دار المحبة، ط ١٩٨٣.

٤٤. تاريخ الكنيسة، د. القس. جون لوريمر، ترجمة عزرا مرجان، دار الثقافة، ط. الأولى.

٤٥. التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د. عبدالعزيز نوار ود. عبدالمجيد نعنعي، دار النهضة العربية.

٤٦. تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين، د. عبدالعزيز نوار و د. محمود جمال الدين، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٥.

٤٧. التاريخ اليهودي العام ، صابر طعيمة، دار الجيل، بيروت، ط. الثالثة.

٤٨. تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، د. عمر عبدالعزيز عمر، دار المعرفة الجامعية، ط (٢٠٠١).

٤٩. تاريخ أوربا المعاصر، د. إسماعيل ياغي، مكتبة الرشد، السعودية، ط. الأولى.

٥٠. تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث، عبدالعظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. (١٩٩٦).

٥١. التدمرية ، أحمد بن عبدالسلام بن تيمية، ت د. محمد السعوي، مطبعة العبيكان، الرياض، ط. الأولى.

٥٢. التطرف الإسرائيلي، طاهر شاش، دار الشروق، ط. الأولى.

٥٣. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مجموعة من المؤلفين ، تعريب شركة ماستر ميديا، القاهرة.

٥٤. التفسير الحديث للكتاب المقدس ، مجموعة من المفسرين، ترجمة مجموعة من المترجمين، دار الثقافة، ط. الأولى. (سلسلة كاملة في تفسير الكتاب المقدس).

٥٥. التفسير الحديث للكتاب المقدس، ديريك كدنر، ترجمة نكلس نسيم، دار الثقافة.

٥٦. تفسير العهد الجديد، وليم باركلي، دار الثقافة، ط. الأولى.

٥٧. تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم ، تحقيق أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز، ط الأولى.

٥٨. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار المعرفة، ط. الخامسة.

٥٩. التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠.

٦٠. تفسير الكتاب المقدس، د. فرنسس دافسن وآخرون، ترجمة د. توفيق صالح وآخرون، دار منشورات النفير، ط. الثالثة.

٦١. تفسير الكتاب المقدس، نجيب جرجس، بيت مدارس الأحد القبطي، ط. الرابعة ٢٠٠١.

٦٢. تفسير متى هنري، ترجمة القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، ٢٠٠٢، (سلسلة كاملة في تفسير الكتاب المقدس).

٦٣. من تفسير وتأملات الآباء الأولين، القمص تادرس يعقوب ملطى، ترجمة مجموعة من المترجمين، كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتينج، ١٩٨٣. (سلسلة في تفسير كامل الكتاب المقدس).

٦٤. تكملة المجموع، محمد حسين العقبي، مطبعة الإمام القاهرة.

٦٥. التيارات السياسية المعاصرة ١٨٧٠ – ١٩٦٥، د. عبدالحميد البطريق، دار الفكر العربي، القاهرة.

٦٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي، ت. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الرابعة.

٦٧. جامع البيان،

٦٨. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن محمد الأنصاري القرطبي، ت. عرفات العشا، مراجعة صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط. ١٤١٤.

٦٩. الجمعيات السرية، نورمان ماكنزي، ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم، دار الشروق، القاهرة، ط. الأولى.

٧٠. الجهاد في سبيل الله حقيقته وغاياته، د. عبدالله القادري، دار المنارة، جدة، ط الثانية.

٧١. الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، د. محمد خير هيكل، دار البيارق ودار ابن حزم بيروت، ط. الثانية.

٧٢. حاشية رد المحتار، محمد أمين بن عابدين، مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

٧٣. حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، د. جميل المصري، دار أم القرى الأردن، ط. الثالثة.

٧٤. الحرب المقدسة، كارين آرمسترونغ، ترجمة سامي الكعكي ، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤.

٧٥. الحرب المقدسة، الجهاد الحرب الصليبية، العنف والدين في المسيحية والإسلام، جان فلوري، ترجمة غسان مايسو، دار الثقافة والنشر، دمشق، بيروت، ط. الأولى.

٧٦. الحرب المقدسة، كارين آرمسترونغ، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤.

٧٧. حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى وأثرها على العالم الإسلامي، أحمد محمد زايد، دار المعالي، الأردن، ط. الأولى.

٧٨. الحقيقة بين النبوءة والسياسة، محمد نضال الحافظ، دار الأوائل، دمشق، ط. الثانية.

٧٩. حقيقة يهود الدونمة في تركيا، د. هدى درويش، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط. الأولى.

٨٠. حكومة العالم الخفية، شيريب سبيريدوفيتش، دار النفائس، بيروت، ط. العاشرة.

٨١. الحملة الصليبية الأولى، نصوص ووثائق، د. قاسم عبده قاسم، عين للدراسات، ط٢٠٠١م.

٨٢. حواشي تحفة المحتاج على المنهاج، أحمد بن حجر الهيثمي وعبدالحميد الشرواني وأحمد بن قاسم العبادي، دار صادر.

٨٣. الخطر اليهودي أو بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. السابعة.

٨٤. خفايا الدعم الأمريكي لإسرائيل، د. محمد عمر الحاجي، دار المكتبي، دمشق، ط. الأولى.

٨٥. دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة، مجموعة من المؤلفين، دار الثقافة، القاهرة، ط. الثانية.

٨٦. دراسات بيبلية، الخوري بولس الفغالي، الرابطة الكتابية، المكتبة البولسية، ط. الأولى. (سلسلة في تفسير كامل الكتاب المقدس).

٨٧. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبدالعزيز الخلف، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط. الأولى.

٨٨. دراسات في الصهيونية وجذورها، د. سيد فرج راشد، دار المريخ، الرياض، ط. ١٤١٢.

٨٩. دراسة في تاريخ الفرق وتاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة"، د. أحمد جلي،

٩٠. دلائل النبوة، أبوبكر أحمد بن الحسين البيقهي، ت عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى.

٩١. الدولة البيزنطية، د. السيد العريني، دار النهضة العربية، ط ١٩٨٢.

٩٢. دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، سلامة الهرفي، المكتبة الفيصلية، ١٤٠٥هـ.

٩٣. الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية، مايكل كوربت وجوليا ميتشل كوربت، ترجمة د. عصام فايز ود. ناهد وصفي ود. زين نجاتي وم. نشأت جعفر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة- كوالا لمبور- جاكرتا - لوس أنجلوس، ط الثانية.

٩٤. روضة الطالبين، يحيى بن شرف الدين النووي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت.

٩٥. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ت. شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، دار الرسالة، بيروت، ط. الثالثة والعشرون.

٩٦. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الرابعة.

٩٧. زبدة التفسير، د. محمد الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط. الأولى.

٩٨. السلام في تعاليم السيد المسيح، د. ميخائيل إسكندر والقس بولس شاكر، مكتبة المحبة، القاهرة، ٢٠٠٠.

٩٩. صحيح سنن أبي داود باختصار السند، باختصار السند، محمد ناصر الألباني، مكتب العربي لدول الخليج، الرياض، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى.

١٠٠. سنن الترمذي، محمد بن عيس الترمذي، دار الفكر، بيروت، ط. الثانية.

١٠١. السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، القس وليم مارش، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧٣.

١٠٢. سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، ت د. عبدالغفار البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى.

١٠٣. صحيح سنن النسائي، باختصار السند، محمد ناصر الألباني، مكتب العربي لدول الخليج، الرياض، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى.

١٠٤. سنن النسائي، بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية السندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٥. السياسية الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية، دار المعرفة.

١٠٦. سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، أبو محمد عبدالملك ابن هشام، ت محمد محي الدين عبدالحميد، كتاب التحرير، القاهرة، ١٣٨٤.

١٠٧. السيرة النبوية الصحيحة في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي أحمد، مركز أبحاث الملك فيصل، ط. الأولى.

١٠٨. السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط. السادسة.

١٠٩. الشرح الصغير على أقرب المسالك، أحمد بن محمد الدردير، دار المعارف.

١١٠. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ت ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. التاسعة.

١١١. شرح صحيح مسلم، النووي، مراجعة خليل الميس، دار القلم، بيروت، ط. الأولى.

١١٢. شرح فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن الهمام، مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

١١٣. شعب الإيمان، أبوبكر أحمد بن الحسين البيقهي، ت محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى.

١١٤. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، تخريج مصطفى أبو النصر شلبي، مكتبة السوداي، جدة، ط. الثانية.

١١٥. الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الأولى.

١١٦. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق شعيب الأرنؤوط.

١١٧. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط. الثانية.

١١٨. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٢.

١١٩. صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند، محمد ناصر الألباني، مكتب العربي لدول الخليج، الرياض، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى.

١٢٠. صحيح سنن الترمذي، باختصار السند، محمد ناصر الألباني، مكتب العربي لدول الخليج، الرياض، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى.

١٢١. صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، غسان علي الرمال، دار العلم للطباعة والنشر، جدة ١٤٠٦ هـ.

١٢٢. الصهيونية المسيحية، عبدالله الحسن، مركز الدراسات الفلسطينية، ط الأولى.

١٢٣. الصهيونية والعنف، د. عبدالوهاب المسيري،دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى.

١٢٤. الصهيونية وخطرها على البشرية، د. حمود بن أحمد الرحيلي، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط. الأولى.

١٢٥. ضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، ط. الأولى.

١٢٦. ظاهرة النبوة الإسرائيلية، طبيعتها – تاريخها – الموقف الإسلامي منها، د. محمد خليفة أحمد، دار الزهراء، القاهرة، ١٩٩١.

١٢٧. عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين عرض ونقد، محمد آل عامر، مجلة البيان(رسالة ماجستير)، ط الأولى.

١٢٨. العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، د. سعد الدين السيد صالح، دار التابعين، القاهرة، مكتبة الصحابة، جدة، ط. الثانية.

١٢٩. علم التفسير، د. القس. فهيم عزيز، دار الثقافة، القاهرة.

١٣٠. العنصرية اليهودية وأثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، د. أحمد بن عبدالله الزغيبي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط. الأولى.

١٣١. عون المعبود، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٢. الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، د. علي عبدالحليم محمود، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط. الأولى.

١٣٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر ، دار الريان، ط الثانية.

١٣٤ . الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم،

١٣٥ . فقه السيرة النبوية، منير الغضبان، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط. الخامسة.

١٣٦ . الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، د. حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، دار البشير، جدة، ط. الثالثة.

١٣٧ . قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم، أحمد ابن عبد السلام بن تيمية، ت. عبدالعزيز آل حمد، ط. الأولى.

١٣٨ . قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، دار مكتبة العائلة، ط. الرابعة عشر.

١٣٩ . قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت، ترجمة د. زكي نجيب محفوظ، دارالجيل، بيروت، ط. ١٩٨٨.

١٤٠ . قواعد الحرب في الشريعة الإسلامية، عواض بن محمد الوذيناني، مكتبة الرشد، السعودية، ط. الأولى.

١٤١ . الكافي، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر، مكتبة الرياض الحديثة، ط الأولى.

١٤٢ . الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، ابن الأثير، ت عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الثالثة.

١٤٣ . الكتاب المقدس يتحدث اليوم، سفر التكوين الجزء الثاني، جويس بالدوين، دار الأسقفية،

١٤٤ . الكتاب المقدس يتكلم اليوم، سفر التكوين، جويس بالدوين، ترجمة نكلس نسيم، دار النشر الأسقفية، ط الأولى.

١٤٥. الكليات، أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني، ت د. عدنان درويش المصري، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى.

١٤٦. الكنز المرصود في فضائح التلمود، ت. د. محمد عبدالله الشرقاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١.

١٤٧. الكنز المرصود في قواعد التلمود، د. روهلنج- شارل لوران، ترجمة د. يوسف نصر الله، دراسة وتقديم، د. أحمد حجازي السقا، مكتبة النافذة، القاهرة، ط. الأولى.

١٤٨. لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط. الأولى.

١٤٩. المبسوط، شمس الدين السرخسي، مطبعة السعادة، مصر، ط الأولى.

١٥٠. المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني، عبد المجيد همو، دار الأوائل، ط الأول.

١٥١. المجتمع الإسرائيلي، د. أفيفا أفيف، ترجمة وتعليق، د. محمد أحمد صالح، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٨.

١٥٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب، بيروت.

١٥٣. مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن قاسم النجدي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢.

١٥٤. المجموعة الكتابية أسفار الشريعة، د. الخوري بولس الفغالي، منشورات المكتبة البولسية، ط. الأولى. (سلسلة المدخل إلى الكتاب المقدس).

١٥٥. المحلى، علي بن أحمد بن حزم، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.

١٥٦. مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، مكتبة الإخوة، القاهرة، ط. الرابعة.

١٥٧. مختصر سيرة النبي، ابن هشام، دار الندوة الجديد، بيروت، ١٤٠٧.

١٥٨. المستدرك على الصحيحين، الحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق، مصطفى عطا، ط الأولى.

١٥٩. مسند الإمام أحمد، ت شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

١٦٠. مسند الشهاب، محمد القضاعي، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق حمدي السلفي، ط الثانية.

١٦١. المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جينبير، ترجمة د. عبدالحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط. الرابعة.

١٦٢. المسيحية والسيف، المطران برتولومي كازاس، ترجمة سميرة الزين، المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، ط. الأولى.

١٦٣. المسيحية، أ. ساجد مير، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط. الأولى.

١٦٤. المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبه، تحقيق كمال الحوت، مكتبة الرشد، السعودية، ط الأولى.

١٦٥. معالم التزيل، الحسين بن مسعود البغوي، ت محمد النمر، عثمان ضميرية، سليمان الحرش، دار طيبة، الرياض، ط ١٤٠٩.

١٦٦. معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، د. محمود عمران ، دار المعرفة الجامعية، ط ٢٠٠٣. مختصر تاريخ الكنسية، أندرو ملر.

١٦٧. معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. محمود عمران، دار النهضة العربية، بيروت، الثانية.

١٦٨. المعجم الكبير، دار إحياء التراث العربي، بتحقيق حمدي السلفي، ط ١٤٠٥.

١٦٩. معجم اللاهوت الكتابي، إشراف الأب سيداروس، تعريب لجنة من المترجمين، دار المشرق، بيروت، ط. الرابعة.

١٧٠ . معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، ت عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

١٧١ . معوقات الجهاد في العصر الحاضر، د. عبدالله بن فريح العقلا، مكتبة الرشد، السعودية، ط. الثانية.

١٧٢ . المغني، لموفق الدين محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، ت د. عبدالله التركي، د. عبدالفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط الأولى.

١٧٣ . المفردات، حسن بن محمد الراغب الأصفهاني، نور محمد أصح المطابع، كراتشي.

١٧٤ . اليهودية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط. الحادي عشر.

١٧٥ . مقدمة في الأصول المسيحية الأمريكية والرئيس الذي استدعاه الرب، عادل معلم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط. الثانية.

١٧٦ . مكايد يهودية عبر التاريخ، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط. السادسة.

١٧٧ . الملل المعاصرة في الدين اليهودي، د. إسماعيل الفاروقي، مكتبة وهبه،

١٧٨ . منهاج السنة النبوية، ت د. محمد سالم، ط الأولى، مؤسسة قرطبة.

١٧٩ . موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم، محمود شاكر، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن. ط. الأولى.

١٨٠ . موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، ط. الأولى.

١٨١ . موسوعة تاريخ اليهود، محمود شاكر، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط. الأولى.

١٨٢ . موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزيدي، دار أسامة للنشر ، عمان، ط الأولى.

١٨٣ . موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، مجموعة من المختصين، إشراف د. صالح بن حميد، عبدالرحمن بن ملوح، دار الوسيلة، جدة. ط. الأولى.

١٨٤ . النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة محمد السماك، دار الشروق، القاهرة، ط. الرابعة.

١٨٥ . النبوة والأنبياء في العهد القديم، الأب متى المسكين، دير القديس أنبا مقار، ط. الأولى.

١٨٦ . النظام العالمي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي، ياسر أبو شبانة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط. الأولى.

١٨٧ . النظم القرآني في آيات الجهاد، د. ناصر الخنين، مكتبة التوبة الرياض، ط. الأولى.

١٨٨ . النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٨٩ . الهدنة في النظرية الإسلامية والواقع التاريخي، دراسة في عصر الخلفاء الراشدين، د. سميرة يونس عبدالقادر، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط. الأولى.

١٩٠ . هذه هي الحرب، غاستون بوتول، ترجمة مروان القنواتي، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط. الأولى.

١٩١ . هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، يوسف أيوب حداد، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ط. الأولى.

١٩٢ . اليهود الحسيديم، نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، تقاليدهم، د. جعفر هادي حسن، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط. الأولى.

١٩٣. اليهود واليهودية ، د. علي وافي، نهضة مصر، ط. الثالثة.

١٩٤. اليهود ودولتهم، د. حمدي الطاهري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط. الأولى.

١٩٥. اليهودي العالمي، هنري فورد، ترجمة أميمة عبداللطيف وبدر الرفاعي وعبدالعظيم الورداني، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط. الأولى.

١٩٦. اليهودية في أسفارها المقدسة ، د . إبراهيم محمد إبراهيم، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط. الأولى.

١٩٧. يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب، د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي، دار غار حراء.

قائمة المصادر المساعدة

١٩٨. ١١ سبتمبر الخديعة المرعبة، لم تتحطم أي طائرة على مبنى البنتاجون، تيرى ميسان، ترجمة د. داليا محمد السيد الطوخي و د. جيهان حسن عبدالغنيي. شركاسف باريس – القاهرة، ٢٠٠٢.

١٩٩. ٩٩ سببا من أجلها لا نعرف متى يأتي المسيح، ب. ج. أوروبيزا، ترجمة زكي رزق جيد، دار الثقافة، القاهرة، ط. الأولى.

٢٠٠. أبحاث في الفكر اليهودي، د. حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، دار العلوم والثقافة، بيروت، ط. الأولى و ط. الثانية.

٢٠١. إبراهيم أبو الأنبياء، عباس محمود العقاد، نهضة مصر، ط ٢٠٠١.

٢٠٢. الاتجاهات الحزبية في الإسلام منذ عهد الرسول ﷺ حتى عصر بني أمية، فاطمة جمعة، دار الفكر اللبناني، بيروت.

٢٠٣. اتجاهات الفكر التربوي المعاصر في إسرائيل، التحديات وسبل المواجهة، د. محمد فوزي عبدالمقصود، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢.

٢٠٤. أحجار على رقعة الشطرنج، وليام غاي كار، ترجمة سعيد جزائرلي، دار النفائس، ط. الثالثة عشر.

٢٠٥. الأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات، القس صموئيل مشرقي، مطبعة أوتو برنت، ٢٠٠٢.

٢٠٦. أحكام الحرب في الإسلام وخصائصها الإنسانية، د. وهبة الزحيلي، دار المكتبي، دمشق، ط. الأولى.

٢٠٧. أحكام المعاهدات في الفقه الإسلامي، د. إسماعيل كاظم العيساوي، دار عمار، الأردن، ط. الأولى.

٢٠٨. أحوال المسلمين في مملكة بيت المقدس الصليبية، د. محمد فتحي الشاعر، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة.

٢٠٩. الإدارة الأمريكية المحافظة، وتسييس نبوءات التوراة لآخر الزمان، مروان الماضي، دار الفكر، دمشق، ط. الأولى.

٢١٠. الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية، نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الثالث الهجري، د. سليمان بن صالح آل وكيل، مطبعة جامعة أم القرى، ١٤١٩.

٢١١. الإرهاب الصهيوني، د. محمد عمر الحاجي، دار المكتبي، دمشق، ط. الأولى.

٢١٢. الإرهاب صناعة غير إسلامية، د. نبيل لوقا بباوي، دار البباوي للنشر، القاهرة، ط. ٢٠٠٢.

٢١٣. الإستراتيجية العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية، د. هيثم الكيلاني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط. الأولى.

٢١٤. استهداف العراق، العقوبات والغارات في السياسة الأمريكية، جيف سيمونز، مركز دراسات الوحدة العربية، ط. الأولى.

٢١٥. الاستيطان الصليبي في فلسطين، مملكة بيت المقدس، يوشع براور، ترجمة د. عبدالحافظ البنا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. الأولى.

٢١٦. إسرائيل التوراة التاريخ التضليل، سيد القمني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط. ١٩٩٨.

٢١٧. الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم، دراسة في ملحمة جلجامش، د. محمد خليفة حسن، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٧.

٢١٨. الإسلام في عيون غربية، دراسات سويسرية، ترجمة ثابت عابد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط. الأولى.

٢١٩. الإسلام في مرآة الغرب، كارين آرمسترونغ، ترجمة محمد الجورا، دار الحصاد، دمشق، ط. الثانية.

٢٢٠. الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا، د. عمر سالم بابكور، مطبعة جامعة أم القرى، ١٤١٨.

٢٢١. الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، د. حسن أحمد محمود، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢٢٢. الإسلام والغرب في كتابات، د. زغلول النجار، نهضة مصر، القاهرة، ط. الأولى.

٢٢٣. الإسلام والغرب، رجب البنا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨.

٢٢٤. الإسلام والمسيحية، أليكسي- جورافسكي، ترجمة د. خلف محمد الجراد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت.

٢٢٥. الإسلام وخرافة السيف، حوار في سيدني بين طائفة من المفكرين الأستراليين، د. عبدالودود شلبي، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، ط. الثانية.

٢٢٦. أشهر النبوات، القس حمدي سعد، دار الثقافة، ط. الأولى.

٢٢٧. أشهر حوادث الإعدام على مر التاريخ، أسامة توفيق عبدالهادي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٩.

٢٢٨. الأصول السومرية للحضارة المصرية، أ. وادل، ترجمة زهير رمضان، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط. الأولى.

٢٢٩. أصول الصهيونية ومآلها، عبدالحميد بن أبي زيان بن شنهو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

٢٣٠. أضواء جديدة حول ثورات طليطلة في عصر الإمارة الأموية، د. حمدي عبد المنعم حسين، مركز الإسكندرية للكتاب.

٢٣١. أطلس الكتاب المقدس، كارل راسموسن، ترجمة إدوارد وديع عبدالمسيح، دار الثقافة، القاهرة، ط. الأولى.

٢٣٢. إظهار الحق، رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، ت. د. محمد أحمد ملكاوي، دار الحديث، القاهرة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط. الثانية.

٢٣٣. الاعتبار، أبو مظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيرازي، ت فيليب فيليب حتّي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى.

٢٣٤. أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، د. حسن حبشي، دار الفكر العربي، دار الهنا للطباعة، مصر.

٢٣٥. إفحام اليهود، وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ، ت. د. محمد عبدالله الشرقاوي، دار الهداية، القاهرة، ط. الأولى.

٢٣٦. أفيقوا أيها المسلمون قبل أ ن تدفعوا الجزية، د. عبدالودود شلبي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤١٧.

٢٣٧. الأقباط النشأة والصراع، من القرن الأول إلى العشرين، ملاك لوقا، مكتبة إنجليوس، ٢٠٠١.

٢٣٨. الأقباط والقومية العربية، أبو سيف يوسف، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط. الأولى.

٢٣٩. الأقصى في مواجهة أفيال أبرهة، قراءة أدبية في يوميات الانتفاضة، د. حلمي القاعود، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ط. الأولى.

٢٤٠. أقنعة التوراة، تزوير الرموز واستبدال العقائد والأساطير، ناجع المعموري، الأهلية، الأردن، ط. الأولى.

٢٤١. أقوال الآباء الشيوخ، ترجمة معهد القديس يوحنا الدمشقي- البلمند، منشوارت النور، بيروت، ١٩٩٠.

٢٤٢. أمريكا سياسة تضليل الشعوب، المركز العلمي للاستشارات الاستراتيجية، سحر زيناتي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط. الثانية.

٢٤٣. أمريكا وإسرائيل، د. محمد معروف الدواليبي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط. الأولى.

٢٤٤. انتحار شمشون، أسرار أسلحة الدمار الشامل في الكيان الصهيوني، م. حسني إبراهيم الحايك، دار النفائس، بيروت، ط. الأولى.

٢٤٥. الانتفاضة والتتار الجدد، د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي، مجلة البيان، الرياض، ط. الأولى.

٢٤٦. الانتفاضة والمجتمع الإسرائيلي، د. عزمي بشارة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط. الأولى.

٢٤٧. الإنجاد في أبواب الجهاد، محمد بن عيسى الأزدي القرطبي ابن الناصف، ت. مشهور بن حسن آل سلمان و محمد بن زكريا أبو غازي، مؤسسة الريان للنشر والتوزيع، بيروت، ط. الأولى.

٢٤٨. الإنجيل والحضارة، دعوة لتجديد الحضارات، د. القس. صموئيل حبيب، دار الثقافة، القاهرة، ط. الأولى.

٢٤٩. أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، أحمد زكي، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط. الأولى.

٢٥٠. الإنفاق العسكري الإسرائيلي ١٩٦٥ – ١٩٩٠، د. طلال محمد كداوي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط. الثانية.

٢٥١. الأهداف المعلنة والأسرار الخفية لأندية الروتاري والماسونية، محمد فهيم أمين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٩.

٢٥٢. أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي، د. محمد جلاء إدريس، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ط. الأولى.

٢٥٣. أوربا وفلسطين من الحروب الصليبية حتى اليوم، د. بشارة خضر، ترجمة منصور القاضي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الأولى.

٢٥٤. أوروبا والإسلام، عبدالحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط. الثالثة.

٢٥٥. أوهام التاريخ اليهودي، جودت السعد، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط. الأولى.

٢٥٦. أيعيد التاريخ نفسه؟، دراسة لأحوال العالم الإسلامي قبل صلاح الدين مقارنة مع تاريخنا المعاصر، محمد العبدة، المنتدى الإسلامي، ط. الثالثة.

٢٥٧. بحوث في مقارنة الأديان، د. محمد عبدالله شرقاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط. ٢٠٠٢.

٢٥٨. البداية والنهاية لأمة بني إسرائيل، أحمد أحمد على السقا، دار الكتاب العربي، دمشق- القاهرة، ط. الأولى.

٢٥٩. بطرس، ف. ب. ماير، ترجمة القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة.

٢٦٠. البطل الصنديد، الخوري أنطوان الدويهي، المكتبة البولسية، بيروت، ط. الأولى.

٢٦١. البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي، د. م. محمد الحسني إسماعيل، مكتبة وهبة، القاهرة، ط. الأولى.

٢٦٢. بلاد الهند في العصر الإسلامي، منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيموري، د. عصام الدين عبدالرؤوف الفقي، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١.

٢٦٣. بنو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم، د. صابر طعيمة، عالم الكتب، بيروت، ط. الأولى.

٢٦٤. بنو إسرائيل في القرآن والسنة، د. محمد سيد طنطاوي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط. الأولى.

٢٦٥. البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة من ١٩٥٤ إلى ١٩٩٢، نصوص مختارة، جولييت حداد، دار المشرق بيروت، ط. الأولى.

٢٦٦. البيريسترويكا والتفكير الجديد لأجل بلادنا وللعالم بأسره، م. غورباتشوف، ترجمة زياد الملا، دار الشيخ للدراسات والترجمة والنشر، دمشق.

٢٦٧. بين الإسلام والمسيحية، أبي عبيدة الخزرجي، ت. د. محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط. الثانية.

٢٦٨. التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، د. عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط. الأولى.

٢٦٩. التاريخ الإسلامي، قبل البعثة، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، ط الثالثة.

٢٧٠. التاريخ الأمريكي الحديث، د. أشرف محمد مؤنس، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣.

٢٧١. التاريخ الأندلسي- من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، د. عبدالرحمن على الحجي، دار القلم، دمشق، ط الرابعة.

٢٧٢. التاريخ الأوربي الحديث، د. إسماعيل ياغي، مكتبة الرشد. الرياض، ١٤٢٣.

٢٧٣. تاريخ الحروب الصليبية في مصر والشام، د. محمود السيد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٢.

٢٧٤. تاريخ الخلفاء، الحافظ جلال الدين السيوطي، ت. قاسم الشماعي و محمد العثماني، دار القلم، بيروت، ط. الأولى.

٢٧٥. تاريخ الخلفاء، الحافظ جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.

٢٧٦. تاريخ الدولة العثمانية، د. علي حسون، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة.

٢٧٧. تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، د. السيد حسين جلال، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠١.

٢٧٨. تاريخ العرب القديم من إبراهيم عليه السلام إلى ظهور الإسلام، د. أحمد حجازي السقا، مكتبة النافذة، القاهرة، ط. الأولى.

٢٧٩. تاريخ العرب القديم، د. محمد بيومي مهران، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط ١٩٨٩.

٢٨٠. تاريخ العرب في الأندلس الفتح وعصر الولاة، د. خالد الصوفي، منشورات جامعة قار يونس، ط. الثانية.

٢٨١. تاريخ العلاقات الدولية والحضارة الحديثة، د. صلاح أحمد الزهراني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٢.

٢٨٢. تاريخ الفكر المسيحي، د. القس. حنا الخضري، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨١.

٢٨٣. تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر، أديب نجيب سلامة، دار الثقافة، القاهرة.

٢٨٤. تاريخ الكنيسة الشرقية، المطران ميشيل يتيم والأرشمندريت أغناطيوس ديك، منشورات المكتبة البولسية، ط. الرابعة.

٢٨٥. تاريخ الكنيسة القبطية، القس منسى يوحنا، مكتبة المحبة، القاهرة.

٢٨٦. تاريخ المسيحية الشرقية، عزيز سوريال عطية، ترجمة إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط الأولى.

٢٨٧. تاريخ المسيحية وآثارها في أسوان والنوبة، نبيه كامل داود وعاطف نجيب، مؤسسة القديس مرقس لدراسات التاريخ القبطي، ط. الأولى.

٢٨٨. تاريخ اليهود، أحمد عثمان، مكتبة الشروق، ط. الثانية.

٢٨٩. تاريخ أوربا العصور الوسطى، د. السيد العريني، دار النهضة العربية، بيروت.

٢٩٠. تاريخ أوربا في العصر الحديث، هـ. أ. فشر. ترجمة أحمد نجيب هاشم و وديع الضبع، دار المعارف، القاهرة، ط. التاسعة.

٢٩١. تاريخ دو لجنوب شرق آسيا، د. محمود السيد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٢.

٢٩٢. تاريخ شرق آسيا الحديث، د. إسماعيل أحمد ياغي، مكتبة العبيكان، ط. الأولى.

٢٩٣. تاريخ عصر النهضة الأوربية، د. نور الدين حاطوم، دار الفكر، دمشق، ط. ١٩٨٥.

٢٩٤. تاريخ فن القتال البحري، في البحر المتوسط، العصر الوسيط. د. أحمد رمضان أحمد، هيئة الآثار المصرية.

٢٩٥. تأملات في الأنبياء الصغار يونان – ميخا – ناحوم - حبقوق – صفنيا، هنري أيرنسايد، ترجمة أديب يسى، مكتبة الإخوة، القاهرة، ط. الأولى.

٢٩٦. تأملات في الأنبياء الصغار، حجي – زكريا – ملاخي، هنري أيرنسايد، ترجمة أديب يسى، مكتبة الإخوة، القاهرة، ط. الأولى.

٢٩٧. تأملات في الأنبياء الصغار، هوشع –يوئيل – عاموس – عوبديا، هنري أيرنسايد، ترجمة أديب يسى، مكتبة الإخوة، القاهرة، ١٩٩٩.

٢٩٨. تأملات في سفر الأمثال، هنري أيرنسايد، مكتبة الإخوة، القاهرة، ١٩٩٩.

٢٩٩. تأملات في سفر المزامير، د. القس منيس عبدالنور، الكنيسة الإنجيلية بقصر- الدوبارة، القاهرة، ط. الأولى.

٣٠٠. تتمة كتاب وليم الصوري، لمؤلف مجهول والمنسوب خطأ إلى روثلان، ترجمة أسامة زكي زيد، دار المصطفى للطباعة والكمبيوتر، مصر، ط الثانية.

٣٠١. تجديد الفكر الديني في المسيحية، د. القس صموئيل رزقي، دار الثقافة، ط. الأولى.

٣٠٢. التحول عن العنف، رؤية مسيحية لصناعة السلام ونبذ العنف، روبرت هر وجودي زيمرمان هر، ترجمة لويس كامل، دار الثقافة، القاهرة، ط. الأولى.

٣٠٣. تزوير التاريخ، في الرد على كتاب نتنياهو مكان تحت الشمس، د. فايز رشيد، دار قباء للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩٨.

٣٠٤. تشريح العقل الإسرائيلي، السيد، يسين، ميريت للنشر والمعلومات، ط. الأولى.

٣٠٥. التصفية والتربية، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، الأردن، ط. الأولى.

٣٠٦. التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاده، طاهر شاش، دار الشروق، القاهرة، ط. الأولى.

٣٠٧. تعرف إلى العهد الجديد مع شهود عديدين، الخوري بولس الفغالي، المكتبة البولسية، بيروت، ط. الأولى.

٣٠٨. تعرف إلى العهد القديم، مع الآباء والأنبياء، الخوري بولس الفغالي، المكتبة البولسية، بيروت، ط. الأولى.

٣٠٩. التفسير الكامل للكتاب المقدس، العهد الجديد، متى هنري، ترجمة مجموعة من المختصين، مطبوعات إيجلز، القاهرة.

٣١٠. تفسير الكتاب المقدس، سفر الجامعة، القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، ٢٠٠٢.

٣١١. تفسير الكتاب المقدس، للأرشيدياكون نجيب جرجس، بيت مدارس الأحد القبطي، القاهرة، ط. الرابعة. (سلسلة في تفسير كامل الكتاب المقدس).

٣١٢. تفسير رسالة فيلبي، ف. ب. ماير، تعريب القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، ٢٠٠٢.

٣١٣. تفسير سفر الرؤيا، ابن كاتب قيصر، راجعه ووضع حواشيه القمص أرمانيوس حبشي، مكتبة المحبة، القاهرة، ط. الثالثة.

٣١٤. تفسير سفر المكابيين الثاني، مكاريوس، مراجعة الأنبا إيسوزورس، دار نوبار للطابعة، ط. الأولى.

٣١٥. تفسير سفر أيوب، متى هنرى، تعريب القمص مرقس داود، مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية، القاهرة، ٢٠٠٢. (سلسلة في تفسير كامل الكتاب المقدس).

٣١٦. تفسير كلمات الكتاب المقدس، معجم الألفاظ العسرة، سعيد مرقص، ط. الخامسة.

٣١٧. التقرير الاستراتيجي العربي، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ط. الأولى ٢٠٠٢-٢٠٠٣.

٣١٨. التلمود، نشأته، تاريخ، مقتطفات من نصوصه، راهب م دير البرموس، مراجعة الأنبا إيسوذورس، دار الجيل للطباعة، ط. الثانية.

٣١٩. تنبؤات مستقبل الكون، جون جريبن، ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمي، دار الثقافة، القاهرة، ط. الأولى.

٣٢٠. التنصير:خطة لغزو العالم الإسلامي، الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشري الذي عقد في مدينة جلين آيري بولاية كولورادوا في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٨، ونشرته دار MARC للنشر والتوزيع بعنوان: " THE GOSPEL AND ISLAM A 1978 COMPENDIUM".

٣٢١. التوراة السياسي، السلطة اليهودية:أنساقها ووظائفها، ناجح المعموري، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط. الأولى.

٣٢٢. ثقافة المواجهة، شرق أوسط جديد أم صهيونية جديدة، د. ساسين عساف، دار النفائس، بيروت، ط. الأولى.

٣٢٣. ثلاث رسائل في الجهاد، تقي الدين أحمد بن عبدالسلام بن تيمية، ت. محمد أبو صعيليك وإبراهيم العلي، دار النفائس، الأردن، ط. الأولى.

٣٢٤. ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية، د. حمدي عبد المنعم حسين، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ١٩٩٣.

٣٢٥. الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين، إيليربي، ترجمة أ. د. سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق، ط الأولى.

٣٢٦. جغرافية الكتاب المقدس، القمص ميخائيل فهمي، مطبعة الأنبا رويس الأوفيست، العباسية، القاهرة، ط. الأولى.

٣٢٧. الجماعات الوظيفية اليهودية، نموذج تفسيري جديد، د. عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ط. الأولى.

٣٢٨. جمهورية اشتراكية مسيحية، اليسوعيون وهنود البركواي، ترجمة د. كميل اسكندر حشيمة، دار المشرق، بيروت، ط الأولى.

٣٢٩. جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، العصر الفاطمي والسلجوقي والزنكي، د. فايد حماد عاشور، مؤسسة الرسالة، ط. الرابعة.

٣٣٠. جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، د. عبدالله سعيد محمد الغامدي، مطبعة جامعة أم القرى، ١٤١٠.

٣٣١. الجهاد في الإسلام، توفيق على وهبه، دار اللواء للنشر والتوزيع، السعودية، ط. ١٤٠١.

٣٣٢. الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، عهد نور الدين وصلاح الدين، دراسة مقارنة مع الواقع المعاصر، محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، الرياض، ط. الأولى.

٣٣٣. جهود الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية في دحض مفتريات اليهود، سميرة عبدالله بناني، معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٨.

٣٣٤. جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين، محمد بن إبراهيم أبا الخيل، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، السعودية، ط. الأولى.

٣٣٥. جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، دراسة وصفية تحليلية لأهداف تلك المرحلة، د. محمد السيد الوكيل، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط. الخامسة.

٣٣٦. جون كلفن، حياته وتعاليمه، دراسة تاريخية عقائدية، د. القس، حنا جرجس الخضري، دار الثقافة، القاهرة، ط. أولى.

٣٣٧. حاضر العالم الإسلامي، د. تاج السر أحمد حران، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٥.

٣٣٨. حرب آل بوش، أريك لوران، دار الخيال، بيروت، ط. الأولى.

٣٣٩. الحرب الأهلية، شارل زورغبيب، ترجمة أحمد برو، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط. الأولى.

٣٤٠. الحرب العالمية الأولى، عرض مصور، عمر الديراوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. السابعة عشر.

٣٤١. حرب تكنولوجية لقمع الانتفاضة، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ط. الأولى.

٣٤٢. الحرب وضد الحرب، ألفين وهايدي توفلر، ترجمة المشير محمد عبدالحليم أبو غزالة، دار المعارف، القاهرة.

٣٤٣. الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، ط السادسة.

٣٤٤. الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، الجزء الثاني، مكتبة الأنجلو المصرية، ط السابعة.

٣٤٥. الحركة الصهيونية و علاقتها بالتراث الديني اليهودي، أ. د. محمد خليفة حسن، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة.

٣٤٦. حروب البلقان والحركة العربية في المشرق العربي العثماني، د. عايض بن خزّام الروقي، مطبعة جامعة أم القرى، ١٤١٦.

٣٤٧. الحروب الصليبية الأولى، د. حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة.

٣٤٨. الحروب الصليبية المتأخرة، حملة بطرس الأول لوسنيان على الاسكندرية، د. سهير محمد نعينع، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. الأولى.

٣٤٩. الحروب الصليبية في الأندلس، ميلادها وتطورها حتى القرن العاشر، مع دراسة نقدية لمصادرها العربية والأسبانية، د. عبد المحسن طه رمضان، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١.

٣٥٠. الحروب الصليبية في شمال أفريقيا وأثرها الحضاري د. ممدوح حسين، دار عمار، الأردن، ط. الأولى.

٣٥١. الحروب الصليبية، وليم الصوري، ترجمة وتعليق ط. حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥.

٣٥٢. حروب صليبية بكل المقاييس، أ. د. زينب عبدالعزيز، دار الكتاب العربي، دمشق-القاهرة، ط. الأولى.

٣٥٣. حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية، د. عايض بن خزام الروقي، مطبعة جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط الثانية.

٣٥٤. حضارة الإسلام، جوستاف جرونيباوم، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، الهيئة المصريةالعامة للكتاب، ١٩٩٤.

٣٥٥. الحضارة البيزنطية، ستيفن رنسيمان، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية للكتاب، ط الثاني.

٣٥٦. الحقائق المطموسة في كتاب هرمجدون، أبي خالد مجدي بن سعد، دار الغد الجديد للنشر والتوزيع، مصر، ط. الأولى.

٣٥٧. حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي، ر. ك. سبرول، ترجمة نسيم سلامة، مكتبة المنار، القاهرة، ٢٠٠٠.

٣٥٨. حكم الاستعانة بغير المشركين في الجهاد الإسلامي، أ. د. محمد عثمان شبير، دار النفائس، الأردن، ط. الأولى.

٣٥٩. الحماية والعقاب، الغرب والمسألة الدينيةفي الشرق الأوسط، سمير مرقس، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٠.

٣٦٠. الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، مشيل بالار، ترجمة بشير السباعي، عين للدراسات والأبحاث الاجتماعية والإنسانية، ط الأولى.

٣٦١. حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، د. مصطفى حسن الكناني، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٥.

٣٦٢. حمى سنة ٢٠٠٠، نظرات جديدة في مسيرة الصراع الديني ضد المسلمين، عبدالعزيز بن مصطفى كامل، المنتدى، مجلة البيان، دار السليم للنشر، السعودية، ط. الأولى.

٣٦٣. الحوار المسيحي الإسلامي، رؤية جديدة، هاني لبيب، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط. الأولى.

٣٦٤. حولية التاريخ الإسلامي الوسيط، سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط، قسم التاريخ بجامعة عين شمس، مصر العربية ، ٢٠٠٠-٢٠٠١.

٣٦٥. حياة إبراهيم، ف. ب. ماير، ترجمة القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٨٩.

٣٦٦. الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، د. محمد جمال الدين سرور، دار الفكر العربي، القاهرة.

٣٦٧. حياة المسيح، دراسة تفصيلية، د. برايان ج. بايلي، P. T. W، القاهرة.

٣٦٨. الحياة اليهودية بحسب التلمود، القمص روفائيل البرموسى، دار نوبار للطباعة، مصر، ٢٠٠٣.

٣٦٩. حياة داود، الراعي ، المرنم، الملك، ف. ب. ماير، ترجمة القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٨٩.

٣٧٠. حياة صموئيل، ف. ب. ماير، ترجمة القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، ط. الثانية.

٣٧١. حياة يعقوب، ف. ب. ماير، ترجمة القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٨٩.

٣٧٢. الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري جمعا وتوثيقا، د. يحيى بن إبراهيم اليحيى، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط. الأولى.

٣٧٣. الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية، د. قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. الأولى.

٣٧٤. الخلفية التاريخية لمحاكمة روجيه جاروي، د. صالح زهر الدين، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت، ط الأولى.

٣٧٥. الخلفية الحضارية للكتاب المقدس، العهد الجديد، كريج. س. كينر، دار الثقافة، القاهرة، ط. الأولى.

٣٧٦. الخيار النووي في الشرق الأوسط، أعمال الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات المستقبل بجامعة أسيوط، مجموعة من الكتاب والمفكرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط. الأولى.

٣٧٧. دراسات في التاريخ الأمريكي، د. صلاح أحمد الهريدي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٠.

٣٧٨. دراسات في العلاقات بين الشرق والغرب، العصور الوسطى، د. محمد مؤنس عوض، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. الأولى.

٣٧٩. دراسات في الملل والنحل، أصول المسيحية الهلينية، د. محمد عبدالله الشرقاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط. الأولى.

٣٨٠. دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتب الرشد، الرياض، ط. الأولى.

٣٨١. دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، د. حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠.

٣٨٢. دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، د. عمر عبدالعزيز عمر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٠.

٣٨٣. دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور، د. يوسف بن علي الثقفي، دار الثقافة، ط الثانية.

٣٨٤. دراسة موسعة في إنجيل مرقس، القس بيشوى فؤاد واصف، كنيسة السيدة العذراء بالعصافرة، ط. الثالثة.

٣٨٥. دراسة موسعة في إنجيل يوحنا، القس بيشوى فؤاد واصف، كنيسة السيدة العذراء بالعصافرة، ١٩٩٦.

٣٨٦. الدنيا لعبة إسرائيل، وليم كار، ترجمة سعيد جزائلي، كولور فيوز كوماني بيروت.

٣٨٧. الدولة العربية الإسلامية منذ العام الأول للهجرة وحتى نهاية العصر العباسي الأول، د. محمد جمال الدين سرور، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١. الأحكام السلطانية، أبي الحسن على بن محمد الماوردي، ت. د. عبدالرحمن عميرة، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٩٤.

٣٨٨. الدولة اليهودية، ثيودور هرتسل، ترجمة محمد يوسف عدس، مراجعة ودراسة أ. د عادل حسن غنيم، دار الزهراء للنشر، ١٩٩٤.

٣٨٩. الديانة المسيحية، مفاهيم أساسية، مقارنة مع المعتقدات الأخرى، د. موريس تاوضروس، طباعة دار الناسخ للطباعة، القاهرة.

٣٩٠. الدين عند العبرانيين، أبكار السقاف، العصور الجديدة، القاهرة، ٢٠٠٠.

٣٩١. رؤية استراتيجية في القضية الفلسطينية، أ. د. ناصر بن سليمان العمر، المنتدى، مجلة البيان، ط. الأولى.

٣٩٢. الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية، صفي الرحمن المباركفوري، دار الكتاب والسنة، باكستان، ط. الأولى.

٣٩٣. الرد المسيحي على عقائد شهود يهوه، القس فريد حوري، دار منشورات النفير، بيروت، ط. الثانية.

٣٩٤. رسالة في الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية، سمير مرقس، مكتبة الشروق، القاهرة-كوالا لمبور- جاكارتا، ط. الأولى.

٣٩٥. ركن الجهاد أو الركن الذي لا تحيا الأمة إلا به، د. على عبدالحليم محمود، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط. الأولى.

٣٩٦. الروتاري في قفص الاتهام، أبو إسلام أحمد عبدالله، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٧.

٣٩٧. رومية يعظم انتصارنا، برايان ج. بايلي، المحرر بول كارام، P. T. W، ٢٠٠٢.

٣٩٨. زبدة القول الصحيح في أخبار سيدنا المسيح عليه السلام، مصباح ابن الشيخ أبي بكر دنبا واقي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط. الأولى.

٣٩٩. الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس ٨٨٦-٩١٢ الأبعاد الدينية والدلالة السياسية، د. وسام عبدالعزيز فرج، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١.

٤٠٠. سفر إشعياء آية آية، ناشد حنا، مكتبة الإخوة، القاهرة، ٢٠٠١.

٤٠١. سلسة تفسير الكتاب المقدس "آية آية"، ناشد حنا، مكتبة الإخوة، القاهرة، ٢٠٠١.

٤٠٢. سياحة مع النبي إرميا، رشاد فكري، مكتبة الإخوة، القاهرة، ١٩٨٨.

٤٠٣. السياسة اليهودية، دراسة تحليلية، مصطفى السعدني، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٧١.

٤٠٤. السياسية الأمريكية تجاه العرب، كيف تصنع ؟ ومن يصنعها ؟ د. فواز جرجس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط. الثانية.

٤٠٥. السير الكبير، محمد بن الحسن الشيباني، إملاء محمد أحمد السرخسي، ت. د. صلاح الدين المنجد.

٤٠٦. السيف الأحمر، دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة، د. جمال البدري، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط. الأولى.

٤٠٧. شارون مصاص الدماء، مازن النقيب، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، ٢٠٠١.

٤٠٨. شخصيات الكتاب المقدس آدم وحواء، قايين وهابيل، البابا شنودة الثالث، بابا الإسكندرية، وبطريريك الكزارة المرقسية.

٤٠٩. شرح أصول الإيمان، د. القس إبراهيم سعيد، دار الثقافة، القاهرة، ط. الرابعة.

٤١٠. شرح أفسس، د. القس إبراهيم سعيد، دار الثقافة، القاهرة، ط. الثالثة.

٤١١. شرح الرسالة إلى العبرايين، د. القس غبريال رزق الله، دار الثقافة.

٤١٢. شرح الكتاب المقدس، الأب متى المسكين، دير القديس أنبا مقار، ط. الأولى. (سلسلة في تفسير كامل الكتاب المقدس).

٤١٣. شرح الكتاب المقدس، تشارلس ماكنتوش، ترجمة ناشد ساويرس، مكتبة الإخوة، القاهرة، ٢٠٠٠. (سلسلة في تفسير كامل الكتاب المقدس).

٤١٤. شرح الكتاب المقدس، للقديس يوحنا الذهبي الفم، إعداد القس أغسطينوس البرموسى، سلسلة كنوز مخطوطات البرموس، مكتبة دير البرموس، ط. الأولى. (سلسلة في تفسير كامل الكتاب المقدس).

٤١٥. شرح بشارة لوقا، د. القس إبراهيم سعيد، دار الثقافة، القاهرة، ط. الرابعة.

٤١٦. شرح بشارة يوحنا، د. القس إبراهيم سعيد، دار الثقافة، القاهرة، ط. الرابعة.

٤١٧. شرح رسالة غلاطية، د. القس غبريال رزق الله، دار الثقافة.

٤١٨. الشرعية الدولية في ظل النظام العالمي الجديد، د. محمود صالح العادلى، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٣.

٤١٩. الشرق الإسلامي في العصر الوسط، نيكيتا ايليسف، ترجمة منصور أبو الحسن، دار مؤسسة درا الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٦.

٤٢٠. شعب الله، المركز اللوثري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط، بيروت.

٤٢١. صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، صموئيل هنتنغتون، ترجمة د. مالك عبيد أبو شهيوة ود. محمود محمد خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، ط. الأولى.

٤٢٢. الصراع العربي الإسرائيلي بين الرادع التقليدي والرادع النووي، أمين حامد هويدي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط. الثانية.

٤٢٣. الصراع بين الحق والباطل، د. إبراهيم بن محمد أبو عباة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط. الأولى.

٤٢٤. الصراعات الأخوية والمصالحة في الكتاب المقدس، المطران أنطوان أودو، دار المشرق، بيروت، ط. الأولى.

٤٢٥. صمت النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين العاصمي، ت. عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط. الأولى.

٤٢٦. صناعة العداء للإسلام، رجب البنا، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٣.

٤٢٧. صنع القرار في الاتحاد الأوروبي والعلاقات العربية الأوروبية، د. محمد مصطفى كامل ود. فؤاد نهرا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط. الأولى.

٤٢٨. الصهيونية الدينية، مدخل تاريخي، د. أنيتا شابيرا، ترجمة أ. د. محمد محمود أبوغدير، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، ١٩٩٨.

٤٢٩. الطوائف المسيحية في مصر والعالم، ماهر يونان عبدالله، مراجعة القس جرجس صبحي، الناشر: ماهر يونان عبدالله، جمع كمبيوتر: شركة سبكترام، مصر، ٢٠٠١.

٤٣٠. ظُهر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الخامسة.

٤٣١. العالم الإسلامي، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة.

٤٣٢. العالم البيزنطي، ج. م. هسّى، ترجمة وتعليق وتقديم د. رأفت عبد الحميد، دار المعارف، القاهرة، ط. الثانية.

٤٣٣. عالم بدون حرب، آرثر لارسون، ترجمة د. راشد البراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٤٣٤. العبرانيين داخل الحجال، د. برايان ج. بايلي، ٢٠٠٢.

٤٣٥. العد التنازلي نحو المجيء الثاني للمسيح والاختطاف ونهاية العالم واقتراب ساعة الصفر، القس صبري واسيلى بطرس، دار الطباعة القومية، القاهرة، ط. الثانية.

٤٣٦. العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب، دار الشروق، ١٩٥٤.

٤٣٧. العدوان الصليبي على بلاد الشام، هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة، د. جوزيف نسيم يوسف، دار الكتب الجامعية، مصر، ط الثالثة.

٤٣٨. العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، د. جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط الثانية.

٤٣٩. العرب والقوى الدولية، د. مفيد الزيدي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط. الأولى.

٤٤٠. العرب ومستقبل النظام العالمي الجديد، د. عبدالمنعم سعيد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط. الأولى.

٤٤١. عصر الخلافة الراشدة، محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط. الأولى.

٤٤٢. العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، أ. د. أ؛دم أمين سليم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩.

٤٤٣. العلاقات الدولية في الإسلام، أ. د. وهبة الزحيلي، دار المكتبي، دمشق، ط. الأولى.

٤٤٤. العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

٤٤٥. علم اللاهوت الكتابي، جرهاردوس فوس، ترجمة د. عزت زكي، دار الثقافة، القاهرة.

٤٤٦. علم اللاهوت النظامي، القس جمس أنس، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، القاهرة، ١٩٩٩.

٤٤٧. على خطى الصليبيين، الماضي المستعاد، جان كلود جويبو، ترجمة عبدالهادي عباس، دار الحصاد، دمشق، ط. الثاني.

٤٤٨. عمر مصالحة السلام الموعود، الفلسطينيون من النزاع إلى التسوية، ترجمة وديع أسطفان وماري طوق، دار الساقي، بيروت، ط. الأولى.

٤٤٩. عملية السلام، وليام. ب. كوانت، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط. الأولى.

٤٥٠. العنف والمقدس، مراد وهبة، دار الثقافة، القاهرة، ط. الأولى.

٤٥١. عهد الأخوة بين البشر، القس صموئيل مشرقي، الكنيسة المركزية بالقاهرة، ط. الثانية.

٤٥٢. العهد القديم كما عرفته كنيسة الإسكندرية، دار مجلة مرقس، القاهرة، ط. الأولى.

٤٥٣. عولمة أم أمركة، حسن قطامش، مكتب الطيب لخدمة التراث الإسلامي والرسائل العلمية، مصر، ط. ١٤٢٠.

٤٥٤. الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، د. عبد الحليم محمود، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط. الأولى.

٤٥٥. الفاشية موشيه ديان، يوميات قادة العدو، ترجمة جوزيف صغير، دار المسيرة، لبنان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط. الثانية.

٤٥٦. الفتح العثماني لجزيرة رودس، د. خلف بن دبلان الوذيناني، مطبعة جامعة أم القرى، ١٤١٨.

٤٥٧. الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، نهاد خياط، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط. الثانية.

٤٥٨. الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، دار الأوائل، دمشق، ط. الأولى.

٤٥٩. الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، عبدالمجيد همو، الأوائل، دمشق، ط. الثانية.

٤٦٠. الفكر الديني وتقدم المجتمع، د. محمد سليم العوا، دار الثقافة، ط. الأولى.

٤٦١. الفكر اللاهوتي للقوة، رؤية مسيحية عربية للحرب والسلام، د. مكرم نجيب، دار الثقافة، ط. الأولى.

٤٦٢. الفكر اليهودي بين تأجيج الصراعات وتدمير الحضارات، د. الحليم عويس، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ط. الأولى.

٤٦٣. الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية، القس غسان خلف، دار النشر المعمدانية، بيروت، ١٩٧٩.

٤٦٤. فهرس الكتاب المقدس، د. جورج بوست، دار العائلة، القاهرة، ط. الثانية عشر.

٤٦٥. في الصراع الإسلامي الصليبي، السياسة الخارجية للدولة النورية، د. محمد مؤنس عوض، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. الأولى.

٤٦٦. في تاريخ الدولة العربية الإسلامية، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، د. كمال السيد مصطفى و د. أسامة أحمد حماد، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٣.

٤٦٧. القتل من أسفار اليهود وبروتوكولات حكماء صهيون، إلى فارس بلا جواد، مازن النقيب، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، ط. الأولى.

٤٦٨. القدرة النووية الإسرائيلية وأثرها على الأمن القومي العربي، د. ممدوح عطية، مركز الدراسات العربي الأوربي، باريس.

٤٦٩. القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، د. توماس ل. تومبسون و سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة د. فراس السواح، مركز دراسات الوحدة العربية، ط. الأولى.

٤٧٠. القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي، مكتبة السنة، القاهرة، ط. الأولى.

٤٧١. القدس بين اليهودية والإسلام، د. محمد عمارة، نهضة مصر القاهرة، ١٩٩٩.

٤٧٢. القدس قضية أمة، د. جاسم بن محمد الياسين، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ط. الثانية.

٤٧٣. القدس وبيت لحم، د. ميخائيل مكسي اسكندر، مكتبة المحبة، القاهرة.

٤٧٤. القراءة المسيحية للعهد القديم، حصيلة محاضرات مؤتمر لارنكا الكتابي، ١٩٨٨، نسقها وقدم لها الخوري بولس الفغالي، الرابطة الكاثوليكية العالمية، المكتبة البولسية، بيروت، ط. الأولى.

٤٧٥. القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان ؟ حسن الباش، دار قتيبة للنشر والتوزيع، بيروت – دمشق ، ط. الأولى.

٤٧٦. قصص الأنبياء، القصص الحق، د. عبدالقادر بن شيبة الحمد، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط. الأولى.

٤٧٧. القصص الحق في سيرة سيد الخلق محمد ﷺ، عبدالقادر شيبة الحمد، مكتبة المعارف، الرياض، ط. الأولى.

٤٧٨. قضايا فقهية في العلاقات الدولية حال الحرب، د. حسن أبوغدة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط. الأولى.

٤٧٩. قضايا في الفكر المعاصر، العولمة- صراع الحضارات- العودة إلى الأخلاق- التسامح- الديمقراطية ونظام القيم – الفلسفة والمدينة، د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط. الثانية.

٤٨٠. قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، د. رأفت عبدالحميد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. الأولى.

٤٨١. القضية الفلسطينية بأقلام سعودية، فيصل بن محمود السباعي و أ. د. مصطفى صميدة معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٣.

٤٨٢. القضية الفلسطينية، خلفياتها وتطوراتها حتى سنة ٢٠٠١، د. محسن محمد صالح، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ط. الأولى.

٤٨٣ . القول الفصل في هرمجدون وأشراط الساعة، محمد الأزهري، دار البيان العربي ودار الروضة للنشر والتوزيع، ط. الأولى.

٤٨٤ . قيامة المسيح حقيقة أم خدعة، د. فريز صموئيل، الطريق ✡✌⌖ ☜☝❄، مصر، ١٩٩٥.

٤٨٥ . الكامل في التاريخ ، على بن محمد الشيباني، ابن الأثير، دار الكتب العلمية، ط. الثالثة.

٤٨٦ . كتاب الخراج، القاضي إبى يوسف يعقوب بن إبراهيم، صاحب الإمام إبي حنيفة.

٤٨٧ . الكتاب المقدس يتحدث اليوم، جويس بالدوين، ترجمة نكلس نسيم، دار النشر الأسقفية، القاهرة، (السلسلة الكاملة).

٤٨٨ . الكتاب المقدس، الأسفار القانونية الثانية، مكتبة المحبة.

٤٨٩ . كشف الشبهات في مسائل العهد والجهاد، فيصل بن قزار الجاسم، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط. الرابعة.

٤٩٠ . كل الملوك والملكات في الكتاب المقدس، هربرت لوكير، ترجمة أدوارد وديع عبدالمسيح، دار الثقافة، القاهرة، ط. الأولى.

٤٩١ . كل الوعود الكتابية، هربرت لوكير، ترجمة ادوارد وديع عبدالمسيح، دار الثقافة، القاهرة، ط. الأولى.

٤٩٢ . الكنائس الشرقية وأوطانها، راهب من الكنيسة القبطية، مكتبة المنار، القاهرة، ط. الأولى.

٤٩٣ . الكنيسة، بين الخسارة والتعويض، تدبير الروح القدس من صعود الرب يسوع إلى مجيئه الثاني، إيمى سمبل ماكفرسون، ترجمة إكرامي فوزي عوض، مكتب النسر للطباعة، ١٩٩٧.

٤٩٤. كيفية ممارسة السلطات العامة في إسرائيل، د. شمران حمادى، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٥.

٤٩٥. ليس لليهود حق في فلسطين، د. جمال عبد لهادي محمود و د. وفاء محمد جمعة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط. الرابعة.

٤٩٦. مؤتمر زيوريخ الصهيوني العالمي ١٩٣٧ ودور حايم وايزمان في أعماله، د. محمد عبدالرؤوف سليم، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٩٣.

٤٩٧. ما هي الحروب الصليبية ، جوناثان رايلي سمث، ترجمة د. محمد فتحي الشاعر، ١٩٩٠.

٤٩٨. مأساة إخواننا المسلمين في طاجيكستان، د. فهد العصيمي، مطابع شركة الصفحات الذهبية، الرياض، ط الأولى.

٤٩٩. ماهية الحروب الصليبية، الأيديولوجية – الدوافع – النتائج، د. قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٣و ط. ٢٠٠٤.

٥٠٠. مثلث الدم شارون أمس. . اليوم. . غدا، د. جمال البدري، الأوائل، ط. الأولى.

٥٠١. المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني، عبدالمجيد همو، الأوائل، دمشق، ط. الأولى.

٥٠٢. المجتمع العربي قبل الإسلام، دراسة في مرحلة التمهيد للدعوة الإسلامية، د. رءوف شلبي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٧.

٥٠٣. المجتمع في ميزان الكنيسة، فاضل سيداروس اليسوعي، دار الجيل للطباعة، ١٩٧٩.

٥٠٤. المجمع الفاتيكاني الثاني، دساتير– قرارات – بيانات، أشرف على الترجمة الأب حنا الفخوري، المكتبة البولسية، بيروت، ط. الأولى.

٥٠٥. المجيء الثاني للمسيح بين الادعاءات الصهيونية والحقائق الدينية، نصرالله زكريا، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، ٢٠٠٣.

٥٠٦. المجيء الثاني للمسيح، والأحداث العالمية والنبوات المتصلة به، القس وديع ميخائيل، ط. الثانية.

٥٠٧. المجيئ الثاني وهل سينتهي العالم سنة ٢٠٠١ أو ٢٠١٢؟، القس عبدالمسيح بسيط أبو الخير، مطبعة المصريين، القاهرة، ط. الثانية.

٥٠٨. محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط. الثالثة.

٥٠٩. المحبة والعدالة والعنف، كوستي بندلى، مطبوعات الشرق الأوسط، بيروت، ط. الأولى.

٥١٠. محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، عبدالأحد داوود، ترجمة م. عبدالمعطي على باشا، نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط. الأولى.

٥١١. المختار في الرد على النصارى، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ت. د. محمد عبدالله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت ومكتبة الزهراء، القاهرة، ط. الأولى.

٥١٢. مخطوطات البحر الميت، أحمد عثمان، مكتبة الشروق، القاهرة، ط. الأولى.

٥١٣. المدخل إلى العهد الجديد، د. موريس تاوضروس، دار القديس يوحنا الحبيب للنشر، ط. الرابعة.

٥١٤. مدخل إلى الكتاب المقدس، يشتمل على تحليل لأسفار العهدين القديم والجديد، جون بالكين وآخرون، ترجمة نجيب إلياس، دار الثقافة، القاهرة، ط. الأولى.

٥١٥. المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، د. عاصم أحمد حسين، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٩١.

٥١٦. مدخل إلى سفر المكابيين، راهب من دير البرموس، مراجعة الأنبا إيسوذورس، مركز دلتا للطباعة، ٢٠٠٢.

٥١٧. المدينة المسحورة، د. عصام موسى قنيبي، دار الطليعة الجديدة، دمشق، ط الأولى.

٥١٨. مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق، ط. الخامسة.

٥١٩. المرجع الوافي في تحليل وتلخيص أسفار الكتاب المقدس، د. القس وديع ميخائيل، راعي الكنيسة المعمدانية الكتابية الأولى، الإسكندرية.

٥٢٠. المزامير المسياوية، يوسف رياض، مكتبة الإخوة، القاهرة، ط. ٢٠٠٢.

٥٢١. المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، .

٥٢٢. المسلمون والروم في عصر النبوة، د. عبد الرحمن أحمد سالم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧.

٥٢٣. المسلمون والنظام العالمي الجديد، عبدالله بن فهد اللحيدان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٢١.

٥٢٤. المسيح آت، القس يوسف قسطة، دار منشورات النفير، بيروت، ط. الثانية.

٥٢٥. المسيح اليهودي ونهاية العالم، المسيحية السياسية والأصولية الأمريكية، رضا هلال، مكتبة الشروق، القاهرة – كوالالمبور –جاركرتا- لو أنجيلوس، ط. الثانية.

٥٢٦. المسيح في مصادر العقائد المسيحية، و. أحمد عبدالوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط. الثانية.

٥٢٧. المسيح والسياسية، جون يودر، ترجمة بهيج يوسف، دار الثقافة، القاهرة، ط. الأولى.

٥٢٨. المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون، سلسلة حوارية يشرف عليها عادل تيودور خوري، مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البولسية، لبنان.

٥٢٩. المسيحية والحضارة العربية، الأب د. جورج شحاته قنواتي، دار الثقافة، ط. ثانية.

٥٣٠. المسيحية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط. العاشرة.

٥٣١. مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام، أحمد بن إبراهيم المشهور بابن النحاس، ت. إدريس محمد علي ومحمد خالد إسطنبولي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الثالثة.

٥٣٢. مطلع العصر العباسي الثاني، الاتجاهات السياسية والحضارية في خلافة المتوكل على الله، د. نادية حسني صقر، درا الشروق، جدة، ط الأولى.

٥٣٣. معارك العرب ضد الغزاة، د. محمد عمارة، دار الرشاد، القاهرة، ط الخامسة.

٥٣٤. معالم التاريخ الأمريكي الحديث، د. إسماعيل أحمد ياغي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط الأولى.

٥٣٥. معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، كمدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي، د. محمود سعيد عمران، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣.

٥٣٦. معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير، د. إبراهيم سليمان الجبهان، عالم الكتب، ط الرابعة.

٥٣٧. معجم المعارك الحربية، ماجد اللحام، دار الفكر العربي، بيروت، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠.

٥٣٨. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، دار المعرفة، بيروت، ط. الثالثة.

٥٣٩. معجم مصطلحات الكنسية، أثناسيوس، راهب من الكنيسة القبطية، مكتبة مجلة مرقس، القاهرة، ط. الأولى.

٥٤٠. معركة الإسلام والرأسمالية، سيد قطب، دار الشروق، ط. الثامنة.

٥٤١. معركة هرمجدون ونزول عيسى والمهدي المنتظر بين النفي والإثبات في التوراة والإنجيل والقرآن، مكتبة النافذة، القاهرة، ط. الأولى.

٥٤٢. معركتنا مع اليهود، سيد قطب، دار الشروق، ط. السادسة.

٥٤٣. مفاهيم تلمودية، نظرة اليهود إلى العالم، عبدالمجيد همو، الأوائل، دمشق، ط. الأولى.

٥٤٤. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد على، ط الثانية.

٥٤٥. مقالات بين الكنيسة والدين، الأب متى المسكين، دار مجلة مرقس، ط. الخامسة.

٥٤٦. المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي، عصر ولاة السلاجقة في الموصل، د. عماد الدين خليل، مكتبة المعارف، الرياض، ط. الأولى.

٥٤٧. مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، محمد السماك، دار النفائس، بيروت، ط. الأولى.

٥٤٨. مقومات السلم وقضايا العصر بين النظرية والتطبيق، د. علي بن عبدالرحمن الطيار، مركز النشر الدولي، الرياض، ط. الأولى.

٥٤٩. ملامح المستقبل، محمد بن حامد الأحمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط. ٢٠٠٥.

٥٥٠. الملل المعاصرة في الدين اليهودي، د. إسماعيل راجي الفاروقي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط. الثانية.

٥٥١. ملوك يهوذا، القس عزت شاكر، دار الثقافة، القاهرة، ط الأولى.

٥٥٢. الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، د. سعيد عبدالله البيشاوي، دار المعرفة الجامعية، ١٤١٠.

٥٥٣. مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين في العصور الوسطى، د. محمد عبد الشافي المغربي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط الأولى.

٥٥٤. من أحكام الحرب في الشريعة الإسلامية والقانون، دار الفكر العربي، القاهرة.

٥٥٥. من هو اليهودي، د. عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ط. الأولى.

٥٥٦. من يغلب، بيتر واجنر، ترجمة ماجد صدقي، أوغسطينوس لخدمات الطباعة والتوزيع، ١٩٩٩.

٥٥٧. مناهضة السامية، تاريخها وأسبابها، برناردي لازار، ترجمة د. ماري شهرستان، الأوائل، دمشق، ط. الأولى.

٥٥٨. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، ت. محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط. الثانية.

٥٥٩. موسوعة آباء الكنيسة، عادل فرج عبدالمسيح، دار الثقافة، القاهرة، ط. الأولى.

٥٦٠. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، د. أحمد شلبي، مكتبة نهضة مصر، ط. الخامسة عشر.

٥٦١. الموسوعة السياسية العسكرية، د. فراس البيطار، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط. ٢٠٠٣.

٥٦٢. الموسوعة اللاهوتية الشهيرة بالحاوي، ابن مكين، راهب من دير المحرق، دير السيدة العذراء المحرق، ط. الأولى.

٥٦٣. موسوعة تاريخ الخليج العربي، محمود شاكر، دار أسامة، الأردن، ط الأولى.

٥٦٤. موسى وأساطير الشرق، ناجع المعموري، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط الأولى.

٥٦٥. موقع الإسلام في صراع الحضارات، والنظام العالمي الجديد، محمد السماك، دار النفائس، بيروت، ط. الأولى.

٥٦٦. نبوة جبل الزيتون، رشاد فكري، مكتبة الأخوة، القاهرة، ٢٠٠٢.

٥٦٧. نحو إستراتيجية وخطة عمل للصراع العربي الصهيوني، مجدي حماد، ولجنة من المستشارين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط. الأولى.

٥٦٨. النصرانية في الميزان، محمد عزت الطهطاوي، دار القلم، دمشق ودار الدار الشامية، بيروت، ط. الأولى.

٥٦٩. النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد أحمد الحاج، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، ط. الأولى.

٥٧٠. نصوص الشرق الأدنى المتعلقة بالعهد القديم، جيمس بريتشارد، ترجمة د. عبد الحميد زايد، دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر.

٥٧١. نظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام، صابر أحمد طه، نهضة مصر، القاهرة، ط. الثانية.

٥٧٢. نظام السلم والحرب في الإسلام، د. مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، الرياض – بيروت، ط. الثانية.

٥٧٣. النظام العالمي الجديد، هل هو مقدمة للنظام العالمي الإلهي؟، بات روبرتسون و مجدي منير، ترجمة لويس كامل، لوجوس سنتر، ١٩٩٧.

٥٧٤. النظم الإسلامية، د. حسن إبراهيم حسن و د. على إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٥٧٥. نقض شريعة الهيكل وكيف تعود فلسطين، عبدالتواب مصطفى، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ط. الأولى.

٥٧٦. نقطة اللاعودة، الصراع الضاري من أجل السلام في الشرق الأوسط، جيفرى كيمب و جيرمي بريسمان، ترجمة رضا خليفة و د. توفيق على منصور، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط. الأولى.

٥٧٧. نهر التاريخ الإسلامي، منابعه العليا وفروعه العظمى، د. إبراهيم أحمد العدوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٩.

٥٧٨. هرمجدون، آخر بيان يا أمة الإسلام، أمين محمد جمال الدين، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

٥٧٩. الهزيمة والإيديولوجيا المهزومة، ياسين الحافظ، دار الحصاد، دمشق، ط. الثانية.

٥٨٠. همجية الكيان الصهيوني، أ. د. محمد عمر الحاجي، دار المكتبي، دمشق، ط. الأولى.

٥٨١. هي تبيد وأنت تبقى، إسحق إسكندر، مكتبة كنيسة الإخوة، القاهرة، ط. الثانية.

٥٨٢. الهيكل الأخير، القس عزت شاكر، دار الثقافة، القاهرة، ط. الأولى.

٥٨٣. وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، د. محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثانية.

٥٨٤. وثائق مركز العالم الثالث للدراسات والنشر ـ لندن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، حسين آغا، أحمد سامح الخالدي، قاسم جعفر، ط. الأولى.

٥٨٥. وجوب التعاون بين المسلمين، وموضوع الجهاد الديني وبيان كليات من براهين الدين، العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٢.

٥٨٦. اليد الخفية، دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية، د. عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ط. الثانية.

٥٨٧. يقظة العالم اليهودي، إيلي ليفي أبو عسل، دار الفضيلة، ط. الأولى.

٥٨٨. يهود الأمس سلف سيئ لخلف أسوأ، عبدالرحمن الدوسري، ت. مصطفى أبو النصر ـ شلبي، مكتبة السوادي، جدة، ط. الأولى.

٥٨٩. اليهود في السنة المطهرة، د. عبدالله بن ناصر الشقاري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط. الأولى.

٥٩٠. اليهود في العالم العربي، د. زبيدة محمد عطا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. الأولى.

٥٩١. اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، عطا علي محمد شحاته ريّه، دار الكلمة للطباعة والنشر، دمشق، ط. الأولى.

٥٩٢. اليهود واليهودية ، د. عبدالجليل شلبي، دار أخبار اليوم، ط. الثانية.

٥٩٣. اليهودية واليهود، د. على عبدالواحد وافي، نهضة مصر، القاهرة، ط. الثالثة.

٥٩٤. يوم الرب العظيم المسمي هرمجدون، في التوراة والإنجيل والقرآن، أحمد أحمد على السقا، دار الكتاب العربي، دمشق – القاهرة، ط. الرابعة.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

******